www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام

وما جاء في علم الوراثة، والرضاعة، وبَدْء الخلق

دار المعرفة
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام

كاتب:

كريم نجيب الاغر

نشرت فى الطباعة:

دارالمعرفة

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام ----- ۱۵
اشارة ----- ۱۵
تنبیه ----- ۱۵
[تقریظ] ----- ۱۵
شخصیة بارزة فی علم الأجنّة تدلی بشهادتها ----- ۱۵
مقدمة ----- ۱۵
موجز فی تعریف الإعجاز العلمی فی القرآن و السنّة ----- ۱۶
اشارة ----- ۱۶
تعریف الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة: ----- ۱۶
حکم التعارض بین التفسیر العلمی و تفسیر السّلف ----- ۱۷
ثقافة العالم القدیم و الحدیث فی علم الأجنة ----- ۱۸
اشارة ----- ۱۸
أ- مرحلة علم الأجنّة الوصفی: ----- ۱۸
ب- مرحلة علم الأجنّة التجریبی: ----- ۱۹
ج- مرحلة التقنیة و استخدام الأجهزة: ----- ۲۰
معارف العرب علی عهد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم ----- ۲۰
أمّیة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم ----- ۲۱
الوحی یمحو الأمیة ----- ۲۱
التحدّی ----- ۲۲
بدء الخلق ----- ۲۳
تعریف الأطوار ----- ۲۴
المنهجیة المتبعة فی وصف الأطوار الجنینیة ----- ۲۵

الماء و المنی ----- ۲۵
أ- نبذة علمیة عن إفرازات الرجل و المرأة: ----- ۲۵
ب- التعریف القرآنی و اللغوی للماء و المنی: ----- ۲۵
ج- مطابقة بین المعطیات العلمیة و التعریف القرآنی و اللغوی للماء و المنی «۱» ----- ۲۵
د- النقاط الثمانیة حول الماء و المنی: ----- ۲۶
اشارة ----- ۲۶
۱- تفسیر النقطة الأولی (أن للمرأة منیا کما للرجل منی): ----- ۲۶
۲- تفسیر النقطة الثانیة (أن لمنی الرجل و لمنی المرأة دورا فی تسهیل عملیة إذکار أو إیناث الجنین): ----- ۲۷
۳- تفسیر النقطة الثالثة (أن کلا من ماء الرجل و ماء المرأة یشارک فی تخلّق و إذکار أو إیناث الجنین): ----- ۲۸
۴- تفسیر النقطة الرابعة (ان لماء المرأة و لماء الرجل دورا فی شبه الجنین بأمّه أو بابیه): ----- ۲۸
۵- تفسیر النقطة الخامسة (أن هذا الماء متدفق): ----- ۲۸
۶- تفسیر النقطة السادسة (أن هذا الماء لیس متدفّقا فحسب بل دافق): ----- ۲۸
۷- تفسیر النقطة السابعة (أن مکوّنات هذا الماء تخرج من الظهر): ----- ۳۰
۸- تفسیر النقطة الثامنة (أن ماء المرأة أصفر): ----- ۳۱
النطفة ----- ۳۱
اشارة ----- ۳۱
أ- النطفة: ----- ۳۲
۱- تعریف النطفة ----- ۳۲
۲- نطف ذکریة و أنثویة ----- ۳۲
ب- السلالة: ----- ۳۳
اشارة ----- ۳۳
المعنی الأول و هو الماء القلیل: ----- ۳۳
المعنی الثانی و هو السمکة الطویلة: ----- ۳۳
المعنی الثالث و هو انتزاع الشیء و إخراجه فی رفق: ----- ۳۳

المعنی الرابع و هو الخروج من زحام: ۳۴
المعنی الخامس و هو الخروج من مضیق: ۳۴
المعنی السادس و هو السیر السریع و السباق: ۳۴
ج- الوصف الداخلی للنطف: ۳۴
مستودع النطف ۳۵
نطفة الأمشاج ۳۶
اختلاط عروق النطفة ۳۶
اضطراب عروق النطفة ۴۰
انفلاق النطفة و الازدواجیة فی الترکیب ۴۰
وقوع النطفة فی الرّحم ۴۱
القرار المکین ۴۱
اشارة ۴۱
أ- بالنسبة لعلاقة الرحم بالجنین: ۴۱
ب- و أما بالنسبة لعلاقة الرحم بجسم المرأة: ۴۲
ازدیاد الأرحام و غیضها ۴۲
اشارة ۴۲
أ- (مرحلة النمو ESAHP EVITAREFILORP): ۴۳
ب- (مرحلة الإفراز ESAHP YROTERCES): ۴۳
ج- (مرحلة الغیض NWODKAERB LAIRTEMODNE FO ESAHP): ۴۳
د- علاقة الزمان و المکان بدم الحیض: ۴۴
اشارة ۴۴
۱- معتقدات الشعوب عن الحیض: ۴۴
۲- مسألة المحیض فی الفقه الإسلامی: ۴۵
۳- الحقائق العلمیة: ۴۷

۴- مجموع الإعجازات (أو الإشارات) العلمیة فی مجال الحیض: ۴۷
الإجهاض المبکّر ۴۸
مکان مستودع النطف و موقع الإخصاب ۴۸
هجرة النطفة من المستودع إلی الرحم ۴۹
الحرث ۵۰
غیض النطفة فی الرحم و استقرارها ۵۱
ملخص المعلومات عن النطف ۵۳
اشارة ۵۳
بخصوص البویضة: ۵۳
و بخصوص الحیوان المنوی: ۵۳
و بخصوص البویضة الملقحة: ۵۳
جمع خلایا الجنین ۵۳
تذکیر بالمراحل الماضیة للنطفة ۵۴
الذّنب ۵۴
مرحلة ازدیاد الأرحام بالأجنة ۵۷
العلقة ۵۸
اشارة ۵۸
المعنی الأول و هو معنی الالتصاق و التعلق بشیء: ۵۸
المعنی الثانی و هو معنی الدودة التی تعیش فی البرک: ۵۸
المعنی الثالث و هو الدم الجامد: ۵۸
المعنی الرابع و هو معنی الدم الرطب: ۵۹
المعنی الخامس و هو شدید الحمرة: ۵۹
الظلمات الثلاث ۵۹
المضغة ۵۹

اشارة ----- ۵۹
أ- الشکل الخارجی للمضغة: ----- ۶۰
اشارة ----- ۶۰
المعنی الأول و هو المادة التی لاکتها الأسنان: ----- ۶۰
المعنی الثانی و هو معنی الشیء الصغیر: ----- ۶۰
ب- الشکل الداخلی: ----- ۶۰
ج- شق السمع و البصر: ----- ۶۲
الإقرار ----- ۶۳
التسویة ----- ۶۳
اشارة ----- ۶۳
أ- التسویة و التصویر: ----- ۶۳
ب- خلق العظام و الکساء باللحم: ----- ۶۴
اشارة ----- ۶۴
۱- خلق العظام: ----- ۶۴
I- خلق المضغة عظاما: ----- ۶۴
II- عدد العظام: ----- ۶۶
۲- کسو العظام لحما: ----- ۶۷
ج- نفخ الروح: ----- ۶۷
إتمام الخلق ----- ۶۸
النشأة ----- ۶۹
اشارة ----- ۶۹
أ- تعریف النشأة: ----- ۶۹
اشارة ----- ۶۹
۱- المعنی الأول (بدأ): ----- ۶۹

۲- المعنی الثانی (نما): ۶۹
۳- المعنی الثالث (ارتفع و ربا): ۶۹
ب- مرحلة القابلیة للحیاة: ۷۰
اشارة ۷۰
۱- التعدیل: ۷۰
اشارة ۷۰
I- الصورة الشخصیة: ۷۰
II- التوازن: ۷۰
III- تخلّق الجلد: ۷۱
IV- التمیز الجنسی: ۷۱
۲- العدة: ۷۲
۳- أقل مدة للحمل: ۷۵
ج- مرحلة الحضانة الرحمیة: ۷۷
تیسیر سبل الولادة ۷۷
توقیت أحداث التخلّقات فی القرآن و السنة ۷۷
المراحل، و الأطوار، و الأحداث الجنینیة التی ذکرتها النصوص الشرعیة ۷۸
الأسلوب القرآنی فی استخدام حرفی «ثم» و «الفاء» فی آیات علم الأجنة ۷۹
اشارة ۷۹
النص القرآنی الأول: ۷۹
النص القرآنی الثانی: ۸۰
النص القرآنی الثالث: ۸۰
النص القرآنی الرابع: ۸۰
اجتهاد غیر مصیب ۸۱
رعایة الخلق: الرضاعة ۸۳

اشارة ----- ۸۳
۱- نظام الرضاعة و تغذیة الطفل کما أقره الشرع الإسلامی: ----- ۸۳
۲- أفضلیة الرضاعة من الأم علی الرضاعة من المرضعات: ----- ۸۴
۳- أفضلیة اللبن الإنسانی علی اللبن الحیوانی و المنتجات الصناعیة: ----- ۸۴
۴- المکوّنات الأساسیة للبن: ----- ۸۵
۵- قیمة اللبن الغذائیة لا یماثلها أی قیمة أخری لأی غذاء آخر: ----- ۸۷
۶- عملیات خروج الحلیب: ----- ۸۷
۷- وقت احتیاج الطفل إلی اللبن: ----- ۸۸
۸- حکمة تحدید مدة الرضاعة بسنتین: ----- ۸۸
۹- أسباب تحریم المرضع: ----- ۸۹
۱۰- نوعیة اللبن المحرّم: ----- ۸۹
۱۱- الجوع أساس فی التحریم: ----- ۹۰
۱۲- مقدار اللبن المحرّم: ----- ۹۰
۱۳- عدوی اللبن: ----- ۹۱
۱۴- الغیل: ----- ۹۳
۱۵- مجموع الإعجازات (و الإشارات العلمیة) التی وردت فی النصوص الشرعیة: ----- ۹۴
معجزة الرؤیة الإسلامیة فی علم الوراثة ----- ۹۴
اشارة ----- ۹۴
أ- النطفة فی الإسلام ----- ۹۵
۱- دور النطفة فی التقدیر: ----- ۹۵
اشارة ----- ۹۵
I- التقدیر کما جاء فی النصوص الشرعیة: ----- ۹۵
II- نبذة علمیة عن الخطة الجینیة و الانفلاق الفتیلی للخلایا: ----- ۹۵
III- خلق الموت: ----- ۹۶

IV- نبذة علمیة عن الموت الخلوی المبرمج: ۹۶
V- نبذة علمیة عن أسباب الشیخوخة: ۹۷
VI- نبذة علمیة عن التقدیر الجینی لموت الإنسان: ۹۸
VII- الخلاصة: ۹۸
VIII- دلائل الإعجاز: ۹۸
۲- دور النطفة فی تحدید جنس الجنین: ۹۸
اشارة ۹۸
I- النطفة المسببة للإذکار أو الإیناث: ۹۸
II- عملیة الإذکار أو الإیناث: ۹۹
ب- الإعجاز العلمی فی الصبغیات کما جاء فی النصوص الشرعیة: ۹۹
۱- صفات الصبغیات: ۹۹
۲- انحدار الصبغیات فی النسل: ۱۰۰
۳- دور الصبغیات فی تنویع الخلق: ۱۰۱
۴- المورثات المسیطرة و المتنحّیة: ۱۰۱
۵- دور الصبغیات فی شبه الجنین لوالدیه: ۱۰۳
۶- طفرات الصبغیات و آثارها علی الجسد: ۱۰۴
۷- السبب الوراثی لتنوع خلق الحیوانات: ۱۰۵
ج- خلاصة القول ۱۰۷
د- الانحراف التخلّقی و مضاعفاته کما یراه القرآن الکریم و السنّة النبویة الشریفة: ۱۰۷
اشارة ۱۰۷
۱- الفساد العلمی: ۱۰۷
۲- العلاقات المحرمة و الأمراض الوراثیة التی تنتج منها: ۱۰۸
۱- آثار العلاقات المحرمة بالدم: ۱۰۸
اشارة ۱۰۸

العلاقات ذات الدرجة الأولى ---- ۱۰۸
العلاقات ذات الدرجة الثانية ---- ۱۰۸
العلاقات ذات الدرجة الثالثة ---- ۱۰۸
۲- العلاج الوقائی لأمراض العلاقات المحرمة: ---- ۱۰۸
۳- دور الزنی فی إحداث الأمراض فی النسل: ---- ۱۰۸
۴- حالة استثنائية للانحراف التخلقی: ---- ۱۰۹
۵- الانحراف التخلقی و تأثیره علی النسل: ---- ۱۰۹
تعریف الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة و الأسس التی یرتکز علیها ---- ۱۰۹
اشارة ---- ۱۰۹
آراء العلماء فی التفسیر العلمی (التجریبی) للقرآن و السنة: ---- ۱۰۹
تعریف الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة: ---- ۱۱۰
اشارة ---- ۱۱۰
شرح التعریف: ---- ۱۱۰
- قولنا (مطابقة): ---- ۱۱۰
- قولنا (معان کثیرة و متوافرة): ---- ۱۱۰
و من الإعجازات العلمیة فی القرآن و السنة: ---- ۱۱۱
- قولنا (معان ... صریحة فی دلالتها): ---- ۱۱۱
قولنا (من الکتاب و السنّة): ---- ۱۱۳
قولنا (لحقائق علمیة): ---- ۱۱۴
تأثّر حکم التوفیق بین دلالات النصوص الشرعیة و المعطیات العلمیة بصحة ثبوت کلّ منهما: ---- ۱۱۵
قولنا (غیر معلومة): ---- ۱۱۵
قولنا (زمن التنزیل): ---- ۱۱۶
قولنا (و لا تدرک إلا بالتجربة أو وسائل مادیة): ---- ۱۱۶
قولنا (لتثبت صدق الرسالة التی جاء بها النبی محمد صلّی اللّه علیه و سلّم من عند اللّه عزّ و جلّ): ---- ۱۱۶

قسم تخریج الأحادیث وصلتها بالإعجاز العلمی ----- ۱۱۶
ملحق تقویة الحدیث الضعیف جدا إلی درجة الاستئناس ----- ۱۲۹
خاتمة ----- ۱۳۵
المصادر و المراجع ----- ۱۳۵
اشارة ----- ۱۳۵
کتب تفسیر القرآن: ----- ۱۳۵
کتب علوم القرآن: ----- ۱۳۵
کتب علوم الحدیث: ----- ۱۳۵
کتب تخریج الحدیث: ----- ۱۳۵
کتب تفسیر الحدیث: ----- ۱۳۶
کتب الفقه: ----- ۱۳۶
کتب أصول الفقه: ----- ۱۳۷
کتب اللغة العربیة: ----- ۱۳۷
کتب متفرقة: ----- ۱۳۷
المصادر العربیة: ----- ۱۳۷
المصادر الأجنبیة: ----- ۱۳۷
Point ----- ۱۳۷
المؤتمرات: ----- ۱۳۸
فهرس الکتاب ----- ۱۳۸
تعریف المرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۱۳۸

إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام

اشارة

نام کتاب: إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام نویسنده: کریم نجیب الاغر موضوع: اعجاز علمی تاریخ وفات مؤلف: معاصر زبان: عربی تعداد جلد: ۱ ناشر: دارالمعرفة مکان چاپ: بیروت سال چاپ: ۱۴۲۵ / ۲۰۰۵ نوبت چاپ: اوّل

تنبیه

تنبیه عزیزی القاری: إن ما سنطالعه فی هذا الکتاب من مباحث و قواعد شرعیة. کلّه مستمد من کتب أهل العلم الأثبات. و ربما خالفهم غیرهم من أهل العلم. و لا غضاضة فی ذلک. فالاختلاف فی الفروع هو شأن أهل العلم. فلی أن أتبع من أثق به من أهل العلم، و لک أن تتبع من تثق به. المهم أن لا أسفه لک رأیا و أن لا تسفه لی رأیا. شریطة أن نرجح بالبرهان. و نقول بالدلیل، کما قال عز و جل: قُلْ هاتُوا بُرْهانَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ (البقرة: ۱۱۱). و نسأل الله تعالی أن یرینا الحق حقا و یرزقنا اتباعه. و یرینا الباطل باطلا و یرزقنا اجتنابه. ربع هذا البحث للأعمال الخیریة الرجاء لمن له تعلیق علی البحث من القراء الکرام أن یبعثه علی البرید الألکترونی علی العنوان: rahgameeraK hotmail .com المؤلف إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۷

[تقریظ]

[تقریظ] بسم الله الرحمن الرحیم تحیة و ذکری عطرة بمناسبة قراءتی للکتاب المبارک، و السّفر العظیم الذی ألفه الاستاذ/ کریم بن نجیب الأخر و الذی کان بعنوان: اعجاز القرآن فیما تخفیه الأرحام و هو من أنفع ما کتب فی بابه. أیّها الباحث عن خلق البشر أیّها الناظر فی سرّ القدر أیّها السّائل عن نشأته کیف کانت لیس یذری ما الخبر قد أتاک الیوم سفر کامل جمع النورین: شمسا و قمر صاغ معنی الخلق للإنسان فی دقّة تجلوه صفوا و کدر فضّل الأمر و جلّی غیبه و کساه هذبه حتّی سفر بیّن الإعجاز حتی صاغه من هدی الوحیین حقا و استقر فاتخذه للمعانی سلّما و لفهم الوحی سمعا و بصر و تدبّر ما به من حکم و تأمّل ما حواه من درر و انظر الإعجاز فی تکوینا و مبادئ الخلق اثنی و ذکر تجد الأسطر منه أنجما تصعق الباغی و تهدی من نظر کلّ لفظ منه یجری کوثرا ینبت الإیمان: ینعا و ثمر و یشع النّور من کلّ فم نطقته و هو نور مستطر کتبته بمدی الدّهر ید لا تمسّ الشّیء إلا و ازدهر ترجم المنّة علما و هدی و کتاب الله آیا و سور فهو مفتاح لها فی بابه و هو فی ذاک الکلام المعتبر أشرقت أحرفه فی صبحه فهی لا تنطق إلّا بالعبر فخرت بین ذویها أنها لکریم بن نجیب بن الأغر أبو حزم عبد الرحمن بن محمد بن أسعد الحکمی الفیفیّ إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۸

شخصیة بارزة فی علم الأجنّة تدلی بشهادتها

شخصیة بارزة فی علم الأجنّة تدلی بشهادتها «لقد عملت لثلاث سنوات خلت مع هیئة علم الأجنة التابعة لجامعة الملک عبد العزیز فی جدّة، السعودیة، کنت أساعدهم فیها علی تفسیر البیانات العدیدة التی وردت فی القرآن و السّنّة، المرتبطة بالتوالد الإنسانیّ و التطور ما قبل الولادة. بدایة، أدهشتنی دقة النصوص التی دوّنت فی القرن السابع المیلادی، و ذلک قبل تأسیس علم الأجنّة، و ذلک بالرغم من علمی المسبق بالتاریخ المشرق لعلماء المسلمین فی القرن العاشر المیلادی، و مساهمات بعضهم فی علم الطب، و لم أکن أعلم شیئا عن الحقائق و المعتقدات الدینیة الواردة فی القرآن و السنة. و أعتقد أنه من المهم للطلبة المسلمین و لغیرهم فهم معانی النصوص القرآنیة المتعلقة بعلم النمو الإنسانی، و ذلک فی ضوء العلم الحدیث». تورنتو، کندا، أیلول، ۱۹۸۳ م. کیث. ل. مور «۱».

(_____ ۱) الدکتور کیث. ل. مور هو بروفسور فخری فی علم التشریح و علم الخلایا الحیة، کلیة الطب بجامعة تورنتو، تورنتو، کندا. و بروفسور فی علم التشریح الإنسانی و علم الخلایا، قسم التشریح، کلیة الطب، جامعة مانتوبا، و نیاغ، مانتوبا، کندا. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۹

مقدمة

مقدمة بسم الله الرّحمن الرّحیم الحمد لله ربّ العالمین، و الصلاة و السلام علی من بعثه الله رحمة للخلق أجمعین. و بعد: فإنی بفضل الله استودعت خلاصة جهدی فی هذا الکتاب، و بذلت فیه غایة و سعی، حیث بحثت فیه عن إشارات لحقائق علمیة فی القرآن الکریم، و السّنة النبویة المطهرة، و قصدت فی ذلک أن القرآن وحی من عند الله، أنزله علی قلب نبیه صلّی الله علیه و سلّم، و لم ینقوّله من عنده، و لم یخترعه من ذاته، و أن أعلن للملإ أن الإسلام و العلم أخوان توأمان لا یفترقان؛ فحیث وجد الإسلام وجد العلم، و مهما تطور العلم و ترقّی فإنه کاشف دوما عن حقیقة القرآن، و مؤکّد أنه منزل من عند الله تعالی. و القرآن یحثّ کلّ طالب حقیقة أن یقرأه، و یتعمّق فی معانیه و أبعاده، لیتوصل بذلک إلی إدراک إعجازه، و الإیمان بأنه لیس من وضع البشر، لأن ما یضعه البشر یختلف اختلافا بیّنا عمّا یکون من عند الله. یقول الله تعالی: أَ فَلا یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ کانَ مِنْ عِنْدِ غَیْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِیهِ اخْتِلافاً کَثِیراً [النساء: ۸۲]. کما یوجه القرآن الناس لیفتحوا عقولهم و قلوبهم کی یصلوا إلی الهدی و ینظروا إلیه نظرة تدبر موضوعیة، فیکون دالا لهم علی حقائق علمیة کبری. یقول الله تعالی: أَ فَلا یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلی قُلُوبٍ أَقْفالُها [محمد: ۲۴]. و القرآن هو معجزة رسول الله صلّی الله علیه و سلّم الخالدة، علما أن الله تعالی قد أیّد رسله بمعجزات تناسب ما برع فیه أهل عصرهم؛ فمن معجزات موسی علیه السّلام إبطال سحر أهل زمانه، حیث عجزوا عن الإتیان بمثل ما أتی به من الحق، فآمن السحرة و خرّوا ساجدین؛ و ذلک لأنهم عرفوا بین الحق و الباطل، و بین العلم و الشعوذة. یقول الله تعالی: وَ جاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِنْ کُنَّا نَحْنُ الْغالِبِینَ (۱۱۳) قالَ نَعَمْ وَ إِنَّکُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِینَ (۱۱۴) قالُوا یا مُوسی إِمَّا أَنْ تُلْقِیَ وَ إِمَّا أَنْ نَکُونَ إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۰ نَحْنُ الْمُلْقِینَ (۱۱۵) قالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْیُنَ النَّاسِ وَ اسْتَرْهَبُوهُمْ وَ جاؤُ بِسِحْرٍ عَظِیمٍ (۱۱۶) وَ أَوْحَیْنا إِلی مُوسی أَنْ أَلْقِ عَصاکَ فَإِذا هِیَ تَلْقَفُ ما یَأْفِکُونَ (۱۱۷) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَ بَطَلَ ما کانُوا یَعْمَلُونَ (۱۱۸) فَغُلِبُوا هُنالِکَ وَ انْقَلَبُوا صاغِرِینَ (۱۱۹) وَ أُلْقِیَ السَّحَرَةُ ساجِدِینَ (۱۲۰) قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِینَ (۱۲۱) رَبِّ مُوسی وَ هارُونَ (۱۲۲) [الأعراف: ۱۱۳- ۱۲۲]. أما عیسی علیه السّلام فقد بعثه الله فی زمن اشتهر فیه الطب، و تفاخر الناس به، فأکرمه الله تعالی بمعجزة من جنس ما تفاخروا به؛ فأحیا من مات بإذن الله، و حرّک ما صوّر بإذن الله، و فعل ما دون ذلک مما یعجز عنه الطب فی جمیع الأزمنة لا فی زمانه فحسب. یقول الله تعالی: إِذْ قالَ اللَّهُ یا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ اذْکُرْ نِعْمَتِی عَلَیْکَ وَ عَلی والِدَتِکَ إِذْ أَیَّدْتُکَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُکَلِّمُ النَّاسَ فِی الْمَهْدِ وَ کَهْلًا وَ إِذْ عَلَّمْتُکَ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةَ وَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِیلَ وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّینِ کَهَیْئَةِ الطَّیْرِ بِإِذْنِی فَتَنْفُخُ فِیها فَتَکُونُ طَیْراً بِإِذْنِی وَ تُبْرِئُ الْأَکْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ بِإِذْنِی وَ إِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتی بِإِذْنِی وَ إِذْ کَفَفْتُ بَنِی إِسْرائِیلَ عَنْکَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَیِّناتِ فَقالَ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِینٌ [المائدة: ۱۱۰]. فلم یؤمن برسالته إلا من فتح الله قلبه فعلم الحق، و أبصر الحقیقة. و أما محمد صلّی الله علیه و سلّم، الرسول الذی وصفه الله تعالی بالأمّی فی قوله عزّ و جلّ: الَّذِینَ یَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِیَّ الْأُمِّیَّ الَّذِی یَجِدُونَهُ مَکْتُوباً عِنْدَهُمْ فِی التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِیلِ [الأعراف: ۱۵۷]، فقد بعثه الله تعالی کذلک فی قوم أمیین لا یقرءون و لا یکتبون و لا یحسبون کما تعلمنا الآیة: هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الْأُمِّیِّینَ رَسُولًا مِنْهُمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِهِ وَ یُزَکِّیهِمْ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةَ وَ إِنْ کانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِی ضَلالٍ مُبِینٍ [الجمعة: ۲]، و أیّده بمعجزات حسّیة متعددة فی عصره مثل: معجزة انشقاق القمر، و معجزة نبع الماء من بین أصابعه بعد أن وضع یده فی الإناء، و تکلّم الشاة التی سمّتها امرأة یهودیة، و زیادة الطعام ببرکته، و حنین الجذع إلیه الذی یمسک به حین یخطب، و إبراء المرضی بلمسه ... فآمن فی عصره من آمن، ثم أبقی له تعالی معجزة مستمرة إلی قیام الساعة، ألا و هی القرآن الکریم کتاب الله المعجز الذی: «... لا یشبع منه العلماء ... و لا تنقضی عجائبه» [أخرجه الترمذی ح ۷۶] «۱»، و الذی أعجز الثقلین عن

(_____ ۱) الرجاء من القراء الکرام مراجعة «قسم تخریج الأحادیث» للاطلاع علی مدی صحة سند الأحادیث التی أوردناها فی هذا البحث، و علی «تعریف الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة و الأسس التی یرتکز علیها» حتی یتبین للقارئ حکم الحدیث فی مجال الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۱ الإتیان و لو بسورة من مثله، و مع کونه معجزا فی بلاغته، فإنه حجة دامغة علی أهل العلم التجریبی الذین وقفوا مشدوهین أمام الحقائق الباهرة التی دلّ علیها. و معلوم أن القرآن قد حثّ علی التعلم، فکانت أول کلمة نزلت من القرآن الکریم: اقْرَأْ، قال تعالی: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ (۱) خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ (۲) اقْرَأْ وَ رَبُّکَ الْأَکْرَمُ (۳) الَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (۴) عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ یَعْلَمْ (۵) [العلق: ۱- ۵]. و من هنا نفهم أهمیّة البحث، فالبحث وسیلة لاکتشاف الحقائق، و طریق للتمرس فی العلوم عموما، و بواسطته یرتقی الإنسان من الجهل إلی النور بإذن الله عزّ و جلّ. و خیر هذه العلوم هی التی تؤدی إلی التفکّر فی آیات الله تعالی، فسبب خلق الإنسان هو التعرّف علی صفات الله تعالی، من عظمة و حکمة ... کما جاء فی الآیة الکریمة: وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِیَعْبُدُونِ [الذاریات: ۵۶]. و العلوم التی تؤدی إلی هذا الطریق هی خیر العلوم علی الإطلاق، لأنها تخدم هذا الهدف السامی الذی وجد من أجله الإنسان؛ فإحدی الطرق التی تؤدی إلی العبودیة الکاملة لله تعالی هی التفکر فی آیات الله عزّ و جلّ کما تشیر إلیه الآیة الکریمة: إِنَّ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّیْلِ وَ النَّهارِ وَ الْفُلْکِ الَّتِی تَجْرِی فِی الْبَحْرِ بِما یَنْفَعُ النَّاسَ وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْیا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ بَثَّ فِیها مِنْ کُلِّ دَابَّةٍ وَ تَصْرِیفِ الرِّیاحِ وَ السَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَیْنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ [البقرة: ۱۶۴]. و إنی أدعو کل مثقف لینظر نظرة موضوعیة إلی ما أشارت إلیه النصوص من القرآن و السنة من حقائق علمیة کبری، فتکون لهم سبیل هدایة، و منار علم فی آن واحد. کذلک فإنی أحثّهم علی إکمال الطریق فی مجال البحث فی النصوص المقدّسة لأن دلالاتها ستتکشف شیئا فشیئا و سیرتقی فهمها مع مرور الوقت فالله تعالی قال: سَنُرِیهِمْ آیاتِنا فِی الْآفاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ حَتَّی یَتَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ یَکْفِ بِرَبِّکَ أَنَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ شَهِیدٌ [فصلت: ۵۳]. و هذا الکتاب یتحدّث عن مسألة خلق سیدنا آدم علیه السّلام، و یظهر کیف أن المعطیات العلمیة تتوافق مع المعطیات الدینیة فی هذا الشأن، و لا تعارضها، و یضع للقارئ تصوّرا جدیدا لعملیة تخلق سیدنا آدم علیه السّلام. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۲ کذلک فهو یتناول موضوع تخلق الجنین بدءا من تخلق الحیوان المنوی و البویضة، و التقاءهما، و تطوّر هذه البویضة، کما أنه یصف سائر المراحل التی تمرّ بها البویضة

المخفیّة، و المراحل التی یمر بها جسد الجنین فی رحم المرأة الحامل، و یتحدّث بالتفصیل عن الأعراض التی تظهر علیه من الخارج و الداخل، و یصف لنا کیفیة خروج الجنین من الجسد المستضیف: (الرّحم)، و یتحدّث عن مدّة المکوث فی الرّحم، مع وصف دقیق له. کذلک یتناول الکتاب موضوع الرضاعة بدءا من تخلق العناصر الأساسیة للبن، و عملیة خروجها من الثدی، و امتصاصها من الرضیع، و أثرها المورفولوجی فی جسده، مع الترکیز علی إبراز الأحکام التی تؤدی إلی تحریم الطفل لأمه أو لأخته بالرضاعة. و هناک بحث مهم فی علم الوراثة یتحدّث عن الوحدة الأساسیة الموجودة فی جسم الإنسان التی تتسبّب فی تخلق خلایا الجنین بإذن اللّه تعالی، و إعطائه الصفات التی سیکون علیها، و الأمراض التی قد تظهر علی هذا الجنین: ألا و هی الحمض النوی الرئیسی. کذلک هناک وصف لآثار الفساد الاجتماعی علی صحة الأفراد من الناحیة الوراثیة. السبب الباعث: إن ما دفعنی لتألیف هذا الکتاب هو اطلاعی الیسیر علی بعض الکتب الطبیة المتعلقة بتخلّق الجنین، حیث دعتنی الحقائق العلمیة الباهرة إلی متابعة التفکر و التأمل فی مراحل تطور خلق الإنسان من بدایتها، ثمّ اطّلعت بعد ذلک علی ما فی القرآن الکریم و السّنة النبویة من إشارات حول هذا الموضوع، فتبین لی تطابق مذهل بین النصوص الشرعیة، و الحقائق الطبیة الحدیثة. عندها بدأت أبحث بجدّ و تعمّق فی هذا المجال، و أدقّق فی المطابقة، فازداد یقینی بالقرآن و السنة، فحمدت اللّه سبحانه و تعالی علی تفضله علی الخلق، بمنّة الدلالة علی الحق، بکتاب مقروء، مطابق للکتاب الکونی المشهود. فبدأت بکتابة مقال مقتضب، أروم فیه إثبات هذا الإعجاز، إلا أنی لم أتمکن من إقناع من أحببت له التوفیق للهدایة، و کان ذلک تقدیرا من العزیز العلیم، مما حدا بی إلی التوسع بدقة فی هذا البحث لیکون بذلک أکثر وقعا فی نفوس الناس. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۳ فعکفت زمانا أطّلع علی الکتب العلمیة الطبیة، و الکتب الدینیة فی هذا الموضوع، و قد تأملت کثیرا مما حوت هذه الکتب إلا أن نقاطا عدة استوقفتنی فی أثناء ذلک، و بقیت فترة غیر وجیزة أتبینها من أهل الاختصاص فی ذلک. و قد کانت أوّل مطالعة لی فی موضوع تخلّق الجنین کتاب (ولد طفل NROB SI DLIHC A) و کان هذا فی بریطانیا سنة ۱۹۹۲ م، ثم انتقلت بعدها إلی الکویت، فکتبت مقالا فی هذا المجال- لم ینشر- سنة ۱۹۹۴ م، زرت بعدها هیئة الإعجاز العلمی للقرآن و السنة فی مکة المکرمة و فی جدّة، حیث التقیت فیها بالدکتور عبد الجواد الصاوی (الباحث الطبی بهیئة الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة). فأهدانی کتاب «علم الأجنة فی ضوء القرآن و السنة»، فکان هذا الکتاب بمثابة الضوء الساطع فی بحثی، فانکشف لی به بعض الأمور الغامضة التی سبق أن توقفت عندها. و بدأت بعدها بالتوسع و الکتابة و ذلک عند ما کنت فی السعودیة سنة ۱۹۹۶- ۱۹۹۷ م. ثمّ فی لبنان سنة ۱۹۹۸ م حیث قابلت بعض علماء الطب و الفقه؛ و ذلک من أجل مناقشة بعض النقاط العالقة فی ذهنی للاطمئنان إلی أن المعلومات التی تضمّنها الکتاب علمیة موضوعیة، لا یعتریها شک، من الناحیتین: العلمیة و الفقهیة، حیث اتّضح لی ما أشکل، و تبین لی- من خلال المناقشة- بعض الإعجازات العلمیة التی أحسب أن لا سابقة لها. فجاء کتابی هذا مرتکزا علی ثلاثة مقاصد: أولاً: مقابلة نصوص القرآن و السنة فیما بینها، و ذلک لاستنباط الکثیر من الحقائق العلمیة. ثانیا: وضع منهجیة علمیة فی طریقة البحث، و ذلک لإثبات إرادة الإعجاز فی النص أو عدمه. ثالثا: قصد إبراز موضوعات جدیدة لم تناقش من قبل. و قد أخذ البحث وقتا طویلا لکی یثمر عن نتائج جیّدة، لأنی لم أکن علی علم واسع فی مجال علم تخلق الجنین، کذلک فی العلوم الشرعیة: من تفسیر و حدیث و فقه، فعکفت علی التمرس فیها. و العامل الآخر الذی أطال البحث هو البحث فی الکم الهائل من الکتب الکونیة إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۴ و الشرعیة عن دلالات تربطها بعضها ببعض، و ملاحقة العلماء، و حثّهم علی التفکّر فی هذا المجال، و إثراء البحث من مخزونهم الفکری. أضف إلی ذلک أنه یجب أن نتوخی الحذر فی انتقاء معانی الکلمات، فموضع الزلل خطیر فی هذا المجال، فقد یأخذ بنا إلی تفسیر الآیات القرآنیة بتکلف و تحمیلها ما لا تحتمل، و بما أن الموضوع خطیر لأن إیمان المرء قد یترنّح أو یتزعزع من جراء التفسیر الذی یجده أمامه، فوجب الترکیز الشدید و إمعان النظر فی المعانی المتشابهة المتشابکة التی یتوجب فکّها کثیرا من النظر و الرجوع إلی ذوی فنون متعدّدة من حدیث، و أصول فقه، و لغة، و طب ... حتی نتحری عن الحقیقة المجرّدة. و الذی تطلّب جهدا کبیرا منی هو أنی قد اعتنیت کثیرا بانتقاء الصور التی قد تعبر عن الفکرة المقصود إیضاحها تعبیرا دقیقا، و إبرازها إبرازا أوضح من إبراز غیرها لها، حتی یقف القارئ الکریم علی جلیة الأمر فکرة و صورة. خطة البحث: و أما خطة البحث فهی کالآتی: ارتکزت فی البحث علی القرآن الکریم، و کتب تفسیر القرآن، و علوم القرآن، و کتب الأحادیث، و شروحاتها، و کتب مصطلح الحدیث، و کتب الفقه، و أصوله، و المعاجم اللغویة، و الکتب العلمیة، بغیة أن أصل إلی نتیجة واضحة دقیقة فی البحث. و قد رتّبت عرض النصوص الشرعیة خلال البحث حسبما یملیه السیاق الزمنی بمعنی أنّی رتّبت عرض هذه النصوص أو أجزاءها فی البحث وفقا للجدول الزمنی لتخلّق أعضاء الجنین، حتی یسهل علی القارئ تتبع الأحداث. و قد اعتنیت ابتداء بشرح معانی الکلمات الأساسیة التی لها علاقة بالإعجاز، کما تناولتها المعاجم اللغویة المعتمدة؛ کی یسهل علی القارئ فهم معنی الآیة القرآنیة أو الحدیث الشریف، و من ثم أتیت علی ذکر التفاصیل العلمیة و طابقت مفهوم الحدیث علی الحقیقة العلمیة، و علّقت فی کثیر من الأحیان علی نواحی الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، و لم أغفل خلال البحث ذکر ما ورد فی کتب تفسیر القرآن الکریم، و شرح الأحادیث الشریفة لتبیان الأبعاد التی ترمی إلیها الآیات الکریمة، و الأحادیث الشریفة، فموّلفو هذه الکتب هم من العلماء الأثبات، الذین حصّلوا العلم الواسع فی کلّ إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۵ العلوم الشرعیة، و قد خاضوا فی التفاصیل، و یعلمون جیدا جوانب النصوص الشرعیة و أبعادها، و تأویلها. و قد أثرت بعض المباحث عن مکانها الزمنی فی قلیل من الأحیان، حیث إن فهمها یتطلّب فهم ما یأتی بعدها من حقائق علمیة. و أما بالنسبة للموضوعات التی تناولتها: ۱- ابتدأت بشرح نظری لمسألة خلق سیدنا آدم علیه السّلام إذ أنّ النشأة ابتدأت منه. ۲- أتیت بعد ذلک علی شرح تخلّق الجنین بالتفصیل حیث إن الجنین تولّد من آدم و حواء علیهما السلام. ۳- وضعت بعده قسم الرضاعة بعد قسم تخلق الجنین، لأن الرضاعة هی بمثابة رعایة الخلق الذی نتج. ۴- أعقبت ما سبق بمبحث «معجزة الرؤیة الإسلامیة فی علم الوراثة» حیث إن ظاهرتی تخلق الجنین، و الرضاعة ترتکزان علیه. ۵- اختتمت الکتاب بمبحث «تعریف الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة و الأسس التی یرتکز علیها» و قسم «تخریج الأحادیث وصلتها بالإعجاز» و قد وضعتهما فی النهایة حتی لا یشعر القارئ غیر المتخصّص بالملل، و هما بحثان مهمان لضبط الإعجاز العلمی، و معرفة الصحیح منه من الموهوم. هذا و قد اعتنیت فی بحثی هذا بما یلی: ۱- جمع ما توصّل إلیه العلماء المسلمون من إعجازات علمیة متفرّقة فی کتبهم ضمن مجموعة متجانسة مترابطة، متحقّق من صحتها. ۲- تصحیح بعض الأخطاء و المفاهیم المجانبة للصواب لدی بعض مفسّری القرآن الکریم، و الباحثین فی الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، فی مجال تخلّق الجنین و الرضاعة، و علم الوراثة المنتشرة فی المجتمع، و التی لا بد أن نصحّحها لکی یتقدّم و یرتقی العلم فی هذا المجال. ۳- التکلم عن جوانب إعجازیة غیر معلومة لبعض الآیات الکریمة، و الأحادیث الشریفة التی سبق أن اکتشف بعض جوانبها الإعجازیة الأخری، و التی ظلّت إلی یومنا هذا غیر واضحة، و غیر معروفة من قبل کثیر من الباحثین و أفراد المجتمع الإسلامی و غیر الإسلامی. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۶ ۴- اکتشاف أحادیث و مفاهیم و إعجازات جدیدة فی کل من المجالات المذکورة آنفا، لکی یتجدّد نبع الآیات علی مدی العصور، و لکی یتیقّن القرّاء الکرام أن هذا الدین لن یموت أبدا مهما تطوّر العلم، فالعلم الکونی و الدین الإسلامی ینبعان من مشکاة واحدة، و لذلک لا بد أن یلتقیا علی مدی الدهور. شکر و تقدیر: فی عملی المتواضع هذا، الذی أرجو أن ینال القبول من اللّه عزّ و جلّ، ثم من خلقه، أحمد اللّه تعالی و أشکره بادئ ذی بدء علی ما منّ به علیّ من علم فی هذا المجال، فلو لا فضله علیّ و علی خلقه لما تکامل هذا البحث، و من ثمّ أتقدم بالشکر إلی کل من الأحبة الذین أبدوا ملحوظاتهم علی البحث، أو أسهموا معی بشکل أو آخر فی إثراء البحث علمیا حتی خرج بحثی علی صورته هذه، فرسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «من صنع إلیه معروف، فقال لفاعله: جزاک اللّه خیرا، فقد أبلغ فی الثناء» [أخرجه الترمذی ح ۹۳]. و أخصّ بالشکر کلا- من: الشیخ الدکتور باسم عیتانی علی مراجعته الفقهیة. و الدکتورة: فدی قطّان، و الدکتور: محمد جناح الحسن علی مراجعتهما الطبیة. و الشیخ: محمد علی المصری علی تخریجه معظم الأحادیث. و الدکتور: بدیع السید اللحام علی تنقیحه الأحادیث و تحریرها. و الشیخ: عبد الرحمن بن محمد الحکمی الفیفی علی مراجعته لدلالات و معانی النصوص الشرعیة. و صلی اللّه علی سید المرسلین و الحمد للّه رب العالمین بیروت، لبنان، فی ۸ أغسطس ۲۰۰۴ م، الموافق: ۲۲ جمادی الآخرة، ۱۴۲۵ ه. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۷

موجز فی تعریف الإعجاز العلمی فی القرآن و السنّة

اشارة

موجز فی تعریف الإعجاز العلمی فی القرآن و السنّة من المهم أن نعرّف الإعجاز العلمی فی القرآن و السنّة بطریقة موجزة؛ لکی یتسنّی للقارئ فهم الآلیة التی عملنا من خلالها، و تقییم الإعجاز العلمی علی أسس سلیمة، و من أراد التفصیل فیمکنه قراءة مبحث «الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة و الأسس التی یرتکز علیها».

تعریف الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة:

تعریف الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة: الإعجاز لغة هو إثبات العجز، و هو الفوت و السبق. و الإعجاز هو الإعلام بعجز البشر عن معرفة حقائق مشار إلیها. و الإعجاز العلمی هو إشارة إلی حقائق علمیة یعجز الناس فی حینها عن معرفتها. و فی مصطلحنا، الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة هو: مطابقة معان کثیرة و متوافرة، صریحة فی دلالتها، من الکتاب و السنة، لحقائق علمیة، غیر معلومة زمن التنزیل، و لا تدرک إلا بالتجربة أو وسائل مادیة، لتثبت صدق الرسالة التی جاء بها النبی محمد صلّی اللّه علیه و سلّم من عند اللّه عزّ و جلّ. و تفسیر التعریف هو کما یلی: - قولنا: (مطابقة): التطابق فی الإعجاز العلمی یکون بعرض صفات الحقیقة العلمیة الثابتة علی دلالة النص الشرعی القطعی، فإن وافقت صفات الحقیقة العلمیة دلالة النص الشرعی طابقته. - قولنا: (معان کثیرة و متوافرة): کلمة «معان» جمع معنی، و المعنی- فی هذا المقام- هو المفهوم من لفظ مستعمل، ورد فی نصوص القرآن الکریم و الحدیث الشریف، و علیه أن یطابق حقیقة علمیة، و هذه المعانی علیها أن تکون کثیرة و متوافرة، حتی لا یحکم علیها بعض القرّاء بأنها أتت علی سبیل الصدفة. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۸ - قولنا: (معان ... صریحة فی دلالاتها): المعنی- کما أسلفنا- هو المفهوم من لفظ مستعمل یأتی فی جملة مرکبة، و یعود لجذر محدد. و قد یکون لهذا الجذر کثیر من التفریعات، و بالتالی معان مختلفة فی أحیان کثیرة. و یجب عندها إیجاد ضابط للانتقاء من هذه المعانی: ألا و هو معنی جذر الکلمة المعتبرة. و المعتبر فی معانی الفروع أن تکون لها صفة مشترکة علی الأقل مع معنی جذر الکلمة الأم. کذلک فمن الأهمیة بمکان انسجام جمیع معانی اللفظ الذی یشیر إلیه الباحث

فی مجال الإعجاز العلمی مع سیاق النص الشرعی، و ثوابت الشریعة الإسلامیة، و کذلک مع مفهوم العلم الکونی الیقینی. و أما المصادر التی سنستقی منها التفسیر للألفاظ التی وردت فی نصوص الکتاب و السنة، فلخصها کما یلی: القرآن الکریم، و المأثور عن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم، و المأثور عن الصحابة، و معاجم اللغة العربیة، و المجاز. - قولنا: (من الکتاب و السنّة): و هی النصوص الشرعیة التی تشیر إلی الحقائق العلمیة، و التی سوف نطابق علیها السنن الکونیة و المقصود بها: ٭ القرآن الکریم: و هو کلام اللّه المعجز، المنزل علی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم، المکتوب فی المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبّد بتلاوته. ٭ و السنّة: و هی ما صدر عن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم من قول أو فعل أو تقریر أو صفة خلقیة. و أمّا الأسانید التی روی بها الأحادیث النبویة (أی: طریقة روایتها) فإنها تنقسم إلی: مقبولة، و مردودة. فالمقبول هو ما ترجّح به صدق المخبر به. و المردود: هو ما لم یترجّح به صدق المخبر به، و حکمه: أنه لا یحتج به و لا یعمل به إلا بشروط. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۹ - قولنا: (الحقائق علمیة): معناه: أن تکون الظواهر العلمیة التی یشیر إلیها الإعجاز العلمی، مطّردة، عامّة، معلومة، محددة، و حقیقیة. - قولنا: (غیر معلومة): معناه: أن یکون التحدّث عن حقیقة علمیة غیر معلومة، أو غیبیّة. - قولنا: (زمن التنزیل): معناه: أن تکون تلک الحقائق العلمیة غیر معلومة فی عهد الرسالة، و أن تکون مجهولة قبله، و أن تکتشف بعد عهد التنزیل، حتی یتبیّن للناس أن ما أخبر به رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم لم یکن بمستطاع البشر معرفته لو لا معطیات العلم. - قولنا: (و لا تدرک إلا بالتجربة أو وسائل مادیة): معناه: أن الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة هو کشف للحقائق العلمیة الغیبیة بدون وسائط، و التی لیس بمقدور البشر أن یأتوا بمثلها إلا بوسائل مادیّة. - قولنا: (لتثبت صدق الرسالة التی جاء بها النبی محمد صلّی اللّه علیه و سلّم من عند اللّه عزّ و جلّ): الغرض من الإعجاز العلمی هو أن یبرهن أن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم مرسل من عند اللّه عزّ و جلّ، و لیظهر و یثبت صدق مدده من عند اللّه تعالی. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۰

حکم التعارض بین التفسیر العلمی و تفسیر السّلف

حکم التعارض بین التفسیر العلمی و تفسیر السّلف قد ینشأ فی بعض الأحیان اختلاف بین تفسیر السلف لبعض الآیات و بین التفسیر العلمی الذی أوردناه، أو أورده بعض العلماء فی کتبهم المختلفة. و قد یکون مرد هذا الاختلاف لعدة أمور، أهمها: أن وسائل البحث فی أیامنا تختلف تماما عن أیامهم (و بالتالی فقد نصل إلی نتائج مختلفة عن نتائجهم)، و أن الألفاظ التی وردت فی القرآن الکریم معانیها واسعة متعددة کما یشیر إلیه الحدیث الشریف: «بعثت بجوامع الکلم» [أخرجه البخاری ح ۱۳] (و بالتالی فقد نستدل بمعان مختلفة عن المعانی التی استدلوا بها). و قد شرحت ظاهرة تعددیة الدلالات بالتفصیل فی مبحث «تعریف الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة و الأسس التی یرتکز علیها»، تحت باب «معان ... صریحة فی دلالاتها»، فانظره هناک. و لکن ما أضیفه هنا أن بعض المعانی، و بالتالی بعض المفاهیم، التی یشیر إلیها المفسّر قد تکون أصوب و أقوی بحجّتها من غیرها استنادا بالحدیث: «القرآن ذلول ذو وجوه، فاحملوه علی أحسن وجوهه» [أخرجه الدارقطنی ح ۱۰۱]، و الأجدر أن نعتمدها «۱». و قد یرتبک القارئ فی أی من الأقوال علیه أن یأخذ بها فی حال الاختلاف: أقول السلف، أم قول العلماء المتأخرین؟. فمن جهة قال بعض: «قول الصحابة حجّة، و لا یجب أن نعارضهم»، و من جهة أخری قال بعض: «و لکن العلم یقول کذا و کذا». فإن حصل هذا الخلاف فعلینا عندئذ أن نتحری أمرین مهمین قبل أن نخوض فی حدیث ترجیحی قد یکون الخوض فیه غیر مجد: أولا: أن یکون الاختلاف فی النصوص الشرعیة للعلم قول فیها: أی: آیات (أو أحادیث) تتحدث عن ظواهر کونیة.

(۱) قال الماوردی: «و قوله: فاحملوه علی أحسن وجوهه یحتمل معنیین: أحدهما الحمل علی أحسن معانیه، و الثانی أحسن ما فیه من العزائم دون الرخص». الإتقان للسیوطی، (ج ۲/ ص ۵۵۴). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۱ ثانیا: أن نفرق بین النظریة العلمیة و الحقیقة العلمیة المسلّم بها. فإن لم یکن الخلاف فی آیات تتحدث عن ظواهر کونیة، فلیس علینا أن نتقدم علی الصحابة رضوان اللّه تعالی علیهم بدون دلیل کما رأی بعض الفقهاء الأصولیین. و إن کان الاختلاف فی تفسیر آیات کونیة قائم بین نظریة کونیة و قول السلف، فنتوقّف عندئذ ریثما تتجلی الحقیقة العلمیة، لأن النظریة العلمیة لیست مستقرة، و قد تکون خاطئة، و بالتالی نکون قد تعدّینا علی قول السلف (فی حال ظهور خطأ النظریة العلمیة فیما بعد) بغیر علم. أما إن نشأ اختلاف بیّن فی تفسیر بعض الآیات التی تتحدث عن ظواهر کونیة بین علماء یعتمدون فی تفسیرهم علی حقائق علمیة ثابتة و بین السلف، فنواجه عندئذ أحد الأمور الثلاثة: ۱- إما أن کلا من الفریقین لدیه تفسیر مقبول، مع استحسان قول أحد الفریقین عملا بقاعدة النصوص الظنیة عند الأصولیین و استنادا بحدیث فیه ضعف: «القرآن ذلول ذو وجوه، فاحملوه علی أحسن وجوهه» [أخرجه الدارقطنی ح ۱۰۱]. ۲- و إما أن یکون أحد الفریقین مخطئا. ۳- و إما أن یکون کلا الفریقین مخطئا. و الضابط فی هذا المجال القواعد التی شرحناها فی مبحث «تعریف الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة و الأسس التی یرتکز علیها» من قواعد بلاغیة، و معان مصیبة، و أسانید صحیحة ... فإن کان تفسیر الفریقین لا یلتزم بالضوابط المتّبعة، أعدنا البحث علی ضوئها فی تفسیر النص الشرعی الکونی، فإن ظهر أن تفسیر أحد الفریقین خرج عن الصواب، أخذنا بقول الفریق المصیب، و إن کان تفسیر کل من الفریقین یحتمل الضوابط، رجّحنا الأوجه من التفسیرین. و الأدوات التی سوف نساعدنا علی الترجیح هی کالآتی: ۱- السیاق: قد یکون أحد الفریقین فسّر النص الشرعی تفسیرا لم یراع فیه ما قبله أو ما بعده، و بالتالی فإن قوله یضعف. قال البغوی و الکواشی و غیرهما: «التأویل صرف الآیة إلی معنی موافق لما قبلها و بعدها، تحتمله الآیة، غیر مخالف إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۲ للکتاب و السنة من طریق الاستنباط، غیر محظور علی العلماء بالتفسیر» «۱». فإذا کان کذلک حال التأویل، فإن التفسیر أولی أن یراعی فیه ما ذکروه. ۲- العلم: لقد أعطی الإسلام مکانة کبیرة للعلم، کما جاء فی الآیتین: وَ ما یَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ [العنکبوت: ۴۳]، و هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَ الَّذِینَ لا یَعْلَمُونَ [الزمر: ۹]. لذلک فأی من التفسیرین احتمل الحقائق العلمیة أکثر، بمعنی أن أیا منهما تلاءمت فیه صفات الموصوف (من حقائق کونیة) مع المضمون الشرعی فذلک الذی نستحسنه. ۳- العقل: لقد أثنی اللّه تعالی علی عباده الذین یتأملون الحیاة بغیة التبصّر و التعبّد فی کثیر من الآیات، منها: إِنَّما یَتَذَکَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ [الزمر: ۹]، و الَّذِینَ یَذْکُرُونَ اللَّهَ قِیاماً وَ قُعُوداً وَ عَلی جُنُوبِهِمْ وَ یَتَفَکَّرُونَ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلًا سُبْحانَکَ فَقِنا عَذابَ النَّارِ [آل عمران: ۱۹۱]، و وَ ما یَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ [العنکبوت: ۴۳]، و بالتالی فإن الإسلام عظّم دور العقل، و حوّله أن یستحسن فی سائر أمور الحیاة، و من هذه الأمور: الأمور العلمیة (کما فی آیة سورة آل عمران)، و الأمور الفقهیة. فإن کان تفسیر الآیة المعتبرة یعارض العقل و لا یستسیغه ضعفناه. و مثال ذلک: قول بعض المفسرین من المتقدمین إن معنی ن [القلم: ۱]: الحوت الذی تقف الأرض علیه، و هذا مرفوض فی أیامنا، و لا یقبله العقل (حتی و لو افترضنا أنه منسجم مع السیاق- و هو بعید عن ذلک-)، و إنما أخذه المفسّر عن إسرائیلیات- أی: ما روی عن أهل الکتاب-. ۴- قرینة خارجیة: قد یکون هناک فی کثیر من الأحیان شواهد أخری من قرآن کریم و حدیث شریف تساعد علی إلقاء الضوء علی الآیة المختلف فی تفسیرها، و قد یساعد هذا علی ترجیح أحد الأقوال التی وردت فی صددها. قد یعترض بعض القرّاء قائلین: إن الکلام السابق مرفوض ابتداء، لأننا لا نسلّم و لا نقبل أن یخطّئ العلماء المتأخرون بعض الصحابة- رضوان اللّه تعالی علیهم- فی تفسیر بعض الآیات الکونیة، فالصحابة هم خیر القرون، و هم أعلم منّا فی الدلالات اللغویة، و هم أعلم منّا فی القرآن الکریم و الحدیث الشریف لما شاهدوه من قرائن، و هم أقرب إلی نبع الحقیقة (أی: الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم)، و لقد بیّن لهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم القرآن وفقا لما جاء فی الآیة: وَ أَنْزَلْنا إِلَیْکَ الذِّکْرَ لِتُبَیِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَیْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ یَتَفَکَّرُونَ [النحل: ۴۴] فهل یعقل مخالفتهم؟.

(۱) الإتقان للسیوطی، (ج ۲/ ص ۵۵۵). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۳ فالجواب نعم، هم خیر القرون أدبا و ورعا و إیمانا، و لکن قد لا تتکشف لهم بعض المعانی لآیات کونیة، بالرغم من أنهم أفصح منّا لغة، و أقرب لمصدر بیان القرآن، و قد یخطئون للأسباب التالیة: ۱- أن الشرع سکت عن تبیان بعض الآیات الکونیة، وفقا للآیة: سَنُرِیهِمْ آیاتِنا فِی الْآفاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ حَتَّی یَتَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ یَکْفِ بِرَبِّکَ أَنَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ شَهِیدٌ [فصلت: ۵۳] لیظهرها فی المستقبل من خلال کتابه الکریم، فیتبین للناس أن رسالة محمد صلّی اللّه علیه و سلّم حق. و هذا المستقبل غیر محصور بجیل من الأجیال، أو بوقت من الأوقات، لأن لفظ الآیة جاء مطلقا، و هذا یدل علی أن هذا المستقبل یمتد إلی یوم القیامة. فإذا کان کذلک، و أظهر اللّه تعالی الحقائق الکونیة للأجیال القادمة، فهذا یعنی أنها خفیت علی المتقدمین، و إلا لأظهروها مخافة الإثم. ۲- من شروط المفسّر فی علوم القرآن: أن یکون له علم بالعلوم المتعلقة بالآیة المفسّرة، و إلا لأصبح تفسیره أقرب إلی الرأی. جاء فی کتاب الإتقان: «و منهم من قال: یجوز تفسیره [أی تفسیر القرآن الکریم] لمن کان جامعا للعلوم التی یحتاج المفسّر إلیها ... قال ابن أبی الدنیا: و علوم القرآن و ما یستنبط منه، بحر لا ساحل له، قال: فهذه العلوم التی هی کالآلة للمفسر، لا یکون مفسرا إلا بتحصیلها، فمن فسّر بدونها کان مفسرا بالرأی المنهی عنه، و إذا فسّر مع حصولها لم یکن مفسرا بالرأی المنهی عنه ... و قال ابن النقیب: جملة ما تحصل فی معنی حدیث التفسیر بالرأی خمسة أقوال: (أحدها) التفسیر من غیر حصول العلوم التی یجوز معها التفسیر ...». و بما أن موضوع الآیة المعتبرة فی الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة یتناول حادثة کونیة، فعلی المفسّر أن یلمّ بالعلم الکونی المرتبط بها، و إلا لزاد احتمال الخطأ. و کما نعلم فإن وسائل البحث فی أیامنا تختلف عن أیام الصحابة- رضوان اللّه تعالی علیهم- و هی أدق، و بالتالی فإن کلامهم غیر ملزم. ۳- أجمع العلماء أن السلف غیر معصومین، و أن العصمة للأنبیاء صلوات اللّه تعالی و سلامه علیهم فقط، و بالتالی فهناک احتمال أن یخطئ السلف، و قد أکد السلف و أئمتهم هذه الحقیقة. فی هذا ننقل بعض الأقوال: قال الإمام مالک: کلّ منّا یؤخذ من کلامه و یرد إلا صاحب هذا القبر [أی النبی محمد صلّی اللّه علیه و سلّم] ۱۰ (۱). شرح کتاب التوحید، ص ۲۳۴. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۴ و جاء فی «تحفة المرید، شرح جوهرة التوحید»: «و العصمة- لغة-: مطلق الحفظ، و اصطلاحا: حفظ اللّه للمکلف من الذنب مع استحالة وقوعه، و لا یجوز لنا سؤال العصمة بهذا المعنی، کأن یقال: اللّهمّ إنّا نسألک العصمة ...» «۱». ۴- لقد اختلف العلماء فی قول الصحابی و فقهه: هل هو حجة ملزمة؟ فإذا کان مذهب الصحابی فی الفقه عامّة فیه خلاف، فکیف نحتج أن کلامه حجّة فی بحث کونی لیس له إلمام به؟. قال الإمام الغزالی: «الأصل الثانی من الأصول الموهومة: قول الصحابی. و قد ذهب قوم إلی أن مذهب الصحابی حجة مطلقا، و قوم إلی أنه حجة إن خالف القیاس، و قوم إلی أن الحجة فی قول أبی بکر و عمر خاصة لقوله صلّی اللّه علیه و سلّم: «اقتدوا باللذین من بعدی»، و قوم إلی أن الحجة فی قول الخلفاء

الراشدین إذا اتفقوا. و الکل باطل عندنا، فإن من یجوز علیه الغلط و السهو، و لم تثبت عصمته عنه فلا حجة فی قوله، فکیف یحتج بقولهم مع جواز الخطأ؟، و کیف تدّعی عصمتهم من غیر حجة متواترة؟، و کیف یتصور عصمة قوم یجوز علیهم الاختلاف؟، و کیف یختلف المعصومان؟، کیف و قد اتفقت الصحابة علی جواز مخالفة الصحابة فلم ینکر أبو بکر و عمر علی من خالفهما بالاجتهاد» (۲).

و فی النهایة من المهم جدّا أن نتوه آننا لا ندعی فهما للقرآن أکثر من فهم خیر القرون، قرن أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، و لکننا نقول: إن الکشوف العلمیة التی انکشفت فی هذا القرن أمدّتنا بفهم یقینی مدعوم بالدلیل، بخلاف الفهم الفطری الذی ساد فی القرون الأولی؛ فکلام الخالق سبحانه و تعالی عن أسرار خلقه فی الآفاق و فی الأنفس غیب قبل أن یرینا اللّه حقائق تلک الأسرار بواسطة التقدم العلمی، و لا طریق لمعرفة کیفیاتها و تفاصیلها قبل رؤیتها، و ذلک لأن العقول البشریة محدودة الإدراک و الزمان و المکان. و لقد اختلف السلف و الخلف، رضوان اللّه علیهم، فی شرح بعض آیات القرآن الکریم و الحدیث الشریف التی تتحدث عن العلوم الکونیة، فأصابوا فی بعض الأحیان، و أخطئوا فی البعض الآخر، و ذلک لأن الخطأ فی التفسیر قد نشأ من جراء اعتماد المفسرین علی العلوم التی توفرت فی بیئتهم و فی عصرهم، فحاولوا تفسیر آیات تشیر إلی حقائق کونیة جد غریبة بالنسبة لعصرهم، بما کانوا علیه من أفهام (_____ ۱) تحفة المرید، شرح جوهرة التوحید، للبیجوری، ص ۱۴۹. (۲) المستصفی فی علم الأصول للغزالی، ص ۱۶۸، و انظر أیضا ص ۱۵۱ و ص ۱۷۱. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۵ و من خلال معارف بدائیة و غیر صحیحة تبتررت لدیهم، و أما الإصابة فی التفسیر، فتعود لاعتماد هؤلاء علی دلالات الألفاظ المعلومة لدی العرب المتمکنین فی اللغة العربیة آنذاک کما تؤکده الآیة: کِتابٌ فُصِّلَتْ آیاتُهُ قُرْآناً عَرَبِیّاً لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ [فصلت: ۳]. و قد وفّق هؤلاء کثیرا فی شرحهم لمعنی الآیات القرآنیة رغم احتجاب حقائقها الکونیة، متحدین ما توصّل إلیه باقی الشعوب من علم کونی، مع أن المفسّر الذی یصف الحقائق الکونیة و هی محجوبة عن الرؤیا فی عصره، علی ضوء ما سمع من الوحی، یختلف عن المفسر الذی کشفت أمامه الحقائق الکونیة و تفاصیلها، فجمع بین ما سمع من الوحی و بین ما شاهد فی الواقع، فإذا ما حان وقت کشف الحقیقة الکونیة، ظهر التوافق الجلی بین تفسیرهم و بین حقائق العلم الکونی، و ظهرت الأمور علی حقیقتها، و ازداد الإعجاز تجلیا و ظهورا. و لذلک فنحن نعتبر کلام الصحابة فی تفسیر الآیات الکونیة معلما للوصول إلی الحقیقة العلمیة علی سبیل الاستئناس لا الجزم. و لنعط مثالا رائعا علی تحدی العلماء المسلمین المفسّرین للقرآن الکریم، و الأحادیث الشریفة للعلماء الکونیین فی عصرهم، بما فهموا من الأحادیث الشریفة خلاف ما أعطه العلماء الکونیون آنذاک: فقد ردّ الإمام ابن القیّم و الإمام ابن حجر و غیرهما أقوال علماء التشریح فی عصورهم، فقال ابن حجر: «و زعم کثیر من أهل التشریح أن منیّ الرجل لا أثر له فی الولد إلا فی عقده، و أنه إنما یتکون من دم الحیض. و أحادیث الباب تبطل ذلک» (۱). و کتب اللّه التوفیق للمفسّرین فیما شرحوه من آیات و أحادیث متعلقة بأسرار الأرض و السماء، لأنهم اعتمدوا علی نصوص الوحی المنزل ممن یعلم السرّ فی الأرض و السماء، و علی دلالات الألفاظ، و معانی الآیات_____

(۱) فتح الباری بشرح صحیح البخاری، کتاب القدر، رقم الحدیث ۶۵۹۴- (ج ۱۱/ ص ۴۸۰). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۶

ثقافة العالم القدیم و الحدیث فی علم الأجنة

اشارة

ثقافة العالم القدیم و الحدیث فی علم الأجنة لا بد ابتداء من تعریف کلمة «جنین»، فمدار البحث علیها. و بدایة فإن کلمة «جنین» تشیر إلی الولد الذی یتخلق فی البطن. جاء فی القاموس المحیط: «الجنین: الولد فی البطن ج: أجنّة و أجنن» (۱). و فی کلام العرب إذا اجتمعت الجیم و النون فی کلمة، و تقدمت الجیم، أفادت الکلمة معنی الخفاء و الستر (۲). و لذلک سمّی الولد الذی فی البطن جنینا لأنه مستور عن الأعین. جاء فی القاموس المحیط: «و کلّ مستور و جنّ فی الرحم یجنّ جنّا: استتر، و أجنّته الحامل ... و علیه جنّا و جنونا و أجنّه: ستره، و کلّ ما ستر عنک فقد جنّ عنک» (۳). و بالتالی فإن هذه التسمیة تعبّر عن مدی جهل العرب بحال الجنین الذی یتخلق فی رحم المرأة. و من المهم إلقاء نظرة علی تاریخ علم الأجنّة و من ثم متابعة الکشوفات المتلاحقة فی هذا المجال، کی ندرک حقیقة المراحل التی مرّ بها علم الأجنّة، و ما اکتنف هذا العلم من جهل و غموض عند سائر الشعوب- غیر العربیة- لندرک مدی حجم الصعوبة التی کانت تحول دون معرفة العلماء الکونیین عما کان یجری فی الرحم، کما تشیر إلیه کلمة «جنین» عند العرب. و لا یخفی علیک صعوبة الطریق الموصلة إلی حقیقة عالم الأرحام، و ما یجری فیه. و بالإجمال: یمکننا تقسیم تاریخ علم الأجنّة إلی ثلاث مراحل أساسیة (_____ ۱) القاموس المحیط لمجد الدین محمد، باب النون، فصل الجیم، ص ۱۵۳۲. (۲) و نعطی أمثلة لهذه القاعدة: فمن ذلک الجنّة؛ لأنها محجوبة عن الأعین، و الجنّ؛ لأنهم مستورون عن أعین الناس، و الجنون؛ لأنه تغطیة لنور العقل، و من الشواهد القرآنیة لهذه القاعدة: کلمة «جنّ» التی جاءت فی الآیة: فَلَمّا جَنَّ عَلَیْهِ اللَّیْلُ رَأی کَوْکَباً قالَ هذا رَبِّی فَلَمّا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِینَ [الأنعام: ۷۶]، تشیر إلی ستر الظلام لسیدنا إبراهیم علیه السّلام، جاء فی تفسیر ابن کثیر- (ج ۲/ ص ۱۵۱): «فَلَمّا جَنَّ عَلَیْهِ اللَّیْلُ: أی تغشاه و ستره»، و کلمة «جنّة» التی جاءت فی الآیة: اتَّخَذُوا أَیْمانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ ساءَ ما کانُوا یَعْمَلُونَ [المنافقون: ۲]، تشیر إلی تستر المنافقین عن المؤمنین بالأیمان الکاذبة التی یسترون بها حقیقتهم، جاء فی تفسیر القرطبی، (ج ۱/ ص ۱۲۳): «أی سترة». (۳) القاموس المحیط لمجد الدین محمد، باب النون، فصل الجیم، ص ۱۵۳۲. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۷

أ- مرحلة علم الأجنّة الوصفی:

أ- مرحلة علم الأجنّة الوصفی: المرحلة الأولی هی التی یمکن أن نسمیها مرحلة تاریخ علم الأجنّة الوصفی، و هی تعود إلی أکثر من ستة قرون قبل المیلاد، و تمتد حتی القرن التاسع عشر، و اقتصرت هذه الفترة علی وصف الملحوظات الخاصة بظاهرة تطوّر الجنین، و إعطائها تفسیرات سطحیة قائمة علی التوهم و التخیّل، مع تأثر کبیر بالسحر. و لا بأس من إلقاء نظرة عاجلة علی نشاطات هذه المرحلة و تصوّراتها: لقد وجد فی مجال علم الأجنّة بعض السجلات المدوّنة من فترة السّلالات الفرعونیة الرابعة و الخامسة و السادسة فی مصر القدیمة، و قد حمل ما لا یقل عن عشرة أشخاص متعاقبین اللقب الرسمی: فاتح مشیمة الملک، و اقتضت المراسیم فیما بعد أن تحمل رأیة تمثّل مشیمة الملک أمام موکب الفراعنة. (انظر الصورة رقم: ۱). و کانت تعزی إلی خواصّ المشیمة قوی سحریة خفیة فی اختلاط ظاهر بین العلم و السحر، و کانت للنساء رقی و تمائم یتلونها عند الحمل و الولادة، و لکی تضمن المرأة الحامل الحصول علی ولادة سهلة و طبیعیة، فقد کانت تستعین بتمیمة تصوّر امرأة راقدة علی سریرها فی هدوء و راحة شدیدتین، و إلی جوارها طفلها الذی وضعته فی یسر و بلا معاناة، فی تعلّق واضح علی القوی السحریة و الخفیة. (۱)- رایة تمثل «المشیمة الملکیة» لفرعون ۴۶۹۱ ssielK). و دام ذلک الاعتقاد حتی عهد الیونانیین القدماء، حیث کان لعلم المنطق الیونانی أثر فی فهم علم الأجنّة. و أقدم الوصفات المدوّنة للوقایة من الحمل، مدونة بالخط الهیری (لغة مصر القدیمة قبل الهیروغلیفیة) علی ورق البردی، و یعود تاریخها إلی ما بین ۲۰۰۰ و ۱۸۰۰ قبل المیلاد، و من العناصر الأساسیة المکونة للوصفة روث التماسیح إلی جانب عناصر أخری «۱». (_____ ۱) کتاب علم الأجنّة فی ضوء القرآن و السنة، هیئة الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، ص ۱۳. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۸ و کان المصریون القدماء یقدسون الحیوانات التی لا تضر و لا تنفع، فی صورة معبودات نوعیة یقدم کل منها خدمة معیّنة؛ فکانت المعبودة «تاویرت» علی هیئة أنثی فرس النهر، و ترمز إلی الخصب البشری، کما تحمی الحوامل من الوضع المتعسر. و کان أیضا هناک «أبیس»، العجل المقدّس، و یشیر إلی القوة الجسدیة و التفوق فی النسل. و کذلک «حقت»، المعبودة التی ترسم برأس ضفدعة، و کانت تساعد الحوامل فی الولادة، و کان هناک أیضا «خنوم»، و یظهر فی هیئة رجل له رأس کبش، و أمامه عجلة الفخار یشکّل علیها الطفل قبل مولده، و کانت هناک «نیت»، و نسب إلیها أنها إله التناسل، و أنها عظیمة الاهتمام بالحوامل، و کانت هناک أیضا «مسخنت» علی هیئة سیدة یعلو رأسها نبات مائی، و کانت معبودة للولادة، مما یدلّ علی دور الأوهام العظیم الذی کان یسیطر علی عقول المصریین القدماء. و کان المصریون القدماء یجهلون دور المنی فی تخلّق الجنین، و إن کانوا یعتقدون أن هناک علاقة ما بین العضو الذکری و المنی و الحمل، و کان الرأی العلمی لدیهم أن المنی ینبع من الحبل الشوکی، و ربما یکون مرجع ذلک إلی الکهنة الذین کانوا یذبحون الثیران، و کانوا یعتقدون بأن قضیب الثور امتداد لعموده الفقری، و من هنا کان اهتمامهم بالعظمة الموجودة فی آخر أربع أو خمس فقرات من العمود الفقری، عند العجز، باعتبار أنها المسئولة عن الحفاظ علی منی الرجل. و قد عرف المصریون القدماء علی وجه التقریب مدة الحمل؛ ففی إحدی البردیات الطبیة «و سنکار» نجد «خوفو» یسأل الساحر (دجیدی IDEJD) متی ستتم ولادة (ریدجدت TEDDEJDDER) فیجیبه قائلا: «سوف تولد فی الخامس عشر من أول الشتاء، و تلک فترة تتراوح بین ۲۷۵ و ۲۹۴ یوما» (۱). و قد وجد أیضا فی مجال طب الأجنّة الهندی (رسالة سنسکریتیة ESITAERT TIRKSNAS) تعود إلی ۱۴۱۶ سنة قبل المیلاد. هذه الرسالة تسمی (غربها أو بانیشاد DAHSINAPU AHBRAG) و تصف الأفکار القدیمة المتعلقة بتطور الجنین. و تشیر هذه الرسالة إلی ما یلی: من اتحاد الدم و المنی یأتی الجنین إلی الوجود. (_____ ۱) کتاب إعجاز آیات القرآن فی بیان خلق الإنسان، د. محمد فیاض، ص ۲۴- ۲۶. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۹ و بعد التزاوج الجنسی، فی الوقت المؤاتی للحمل، یصبح [الجنین بما یسمی] (کلادا ADALAK) (أی جنین فی الیوم الأول من عمره). و بعد مرور سبع لیال، یصبح [الجنین] بذرة. و بعد مرور أسبوعین، یصبح [الجنین] کتلة مستدیرة. و بعد مرور شهر، یصبح [الجنین] کتلة متماسکة. و بعد مرور شهرین، یتخلّق الرأس. و بعد مرور ثلاثة أشهر، تظهر منطقة الأوصال. و ظاهر أن هذا یتنافی تماما مع الحقیقة، و یدلّ علی دور الخیال فی فهم مراحل تطور الجنین. أما الیونان القدماء، فهم أول من ربط العلم بالمنطق بفضل تعلیلهم لملحوظاتهم بالمنطق العقلی لا بالقوی السحریة الغامضة، و لکن مع هذا التقدم، لم ینسجم منطقهم مع الحقائق الثابتة، و ظلت التعلیلات بعیدة عن الحقیقة، و ذلک لأن العقل لا یستطیع وحده الوقوف علی الحقائق، و إلا فإن الظنون تجتاحه و یتحول منطقه مملوءا بالخرافات. فکان أول من تکلم فی هذا المجال (هیبوکراتس SOG FO SETARCOPPIH) العالم الیونانی الشهیر الذی عاش فی القرن الخامس قبل المیلاد، فقد کتب:

«خذ عشرین بیضة أو أکثر ودع دجاجتین أو أکثر تحضنها، و بعد کل یوم من الیوم الذی حصل فیه التفقیس، خذ بیضة و اکسرها و تفحصها، فسوف تری تماما ما قلناه لکم إنه من الممکن مماثلة طبیعة الطیر بطبیعة الإنسان». ثم اشتهر العالم (أرسطو ARIGATS FO ELTOTSIRA) (۳۸۴ -۳۲۲ ق. م) بأبحاثه عن علم الأجنّة حیث وصف تطور الصیصان و أجنة أخری، فاعتبر بذلک مؤسس علم الأجنّة مع أن أفکاره کانت تدور حول تطور الجنین من الحیض بعد تنشیطه من قبل منّی الرجل «۱». و قد شیّع فکرتین: الأولی: أن الجنین یتطور من مادة لاـ شکل لها واصفا إیاها «بالبذرة المعدّة قلیلة التکامل ذات نفس مغذّیة و أعضاء جسدیة».

(_____ ۱) کتاب (الإنسان النامی، د. مور و بارسو DUASREP DNA EROOM, NAMUH GNIPOLEVED EHT) ص ۹، بتصرف. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۰ و الثانیة: بأن الجنین یمر بمراحل، و ذلک بعد أن درس تطور بیض الدجاج، غیر أنه لم یعط تفاصیل کافیة عنها. أما (جالن NELAG SUIDUALC) فقد وضع فی القرن الثانی بعد المیلاد کتابا تحدث فیه عن تطور و تغذیة الأجنّة، و عن المشیمة التی تحیط بالجنین، و قد اقتصر بحثه علی المراحل المتأخرة من تطور الجنین. و من ثمّ لم تسجل فی العصور الوسطی أبحاث تذکر سوی قلة نادرة جدا عن هذا الموضوع، إلا ما ورد فی القرآن الکریم و الأحادیث الشریفة (و سوف نتکلم عنها بتفصیل- إن شاء الله- فی هذا الکتاب فیما بعد). و قد کتب العالم (قسطنطین ۱۰۲۰-) (ONRELAS FO SUNACIRFA SUNITNATSNOC ۱۰۸۷ م) رسالة قصیرة سماها (طبیعة الإنسان ARUTAN ANAMUH ED) وصف فیها مراحل تطور الجنین المتلاحقة. و قد ربط تطورات الجنین المتلاحقة بالکواکب، و هنا یظهر کیف أن التعلیلات التی تعتمد علی الظن تؤدی إلی نشوء نظریات أقرب إلی الخرافات. أما فی عهد النهضة فقد نشر (لیوناردو دافانشی ICNIV AD ODRANOEL) فی القرن الخامس عشر رسومات دقیقة عن مقاطع لأرحام حاملة مع أغشیتها و قد أدخل فیها النّسب القیاسیة الدالة علی تطوّر نمو الجنین «۱». (انظر الصورة رقم: ۲). أما فی القرن السادس عشر فقد أظهرت بعض الرسوم فی کتب القبالة کیفیة تطور الجنین من کتلة دمویة و بذرة. (انظر الصورة رقم: ۳). و هذا المفهوم الخاطئ کان قد قال به العالم أرسطو، و استمرّ ذلک علی مر القرون. أما فی عام ۱۶۰۴ م فقد بینت أعمال (فابریسیوس SUICIRBAF SUMYNOREIH) رسما ممتازا لتطور جنین دجاجة. (انظر الصورة رقم: ۴). و قد اشتهر (ویلیام هارفی YEVRAH MAILLIW)- أحد تلامیذ فابریسیوس- فی (بادوا AUDAP) بدراسته فی مجال دوران الدم و ملحوظاته لتطور الأجنّة (_____ ۱) کتاب الإنسان النامی، د. مور و بارسو، ص ۱۰، بتصرف. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۱ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۲ و فی عام ۱۶۵۱ م نشر هارفی کتابا سماه «الجیل الحیوانی MUILAMINA ENOITARENEG ED)»، و قد ذکر فیه أن بذرة الرجل (أی المنی) بعد أن تدخل الرحم تتحول إلی مادة شبیهة بالبیضة یتخلق منها الجنین، کما أنه درس أجنّة صیصان بواسطة عدسات و وضع بعض الملحوظات الجدیدة علیها، و قد درس تطور الغزال و لکنه لم یستطع مراقبة المراحل الأولی لتخلق الجنین، و خلص إلی أن الأرحام تفرز الأجنّة (أی أن بطانة الرحم تلفظها بعد أن کانت موجودة کاملة فی داخلها) «۱». و فی ذلک الوقت ظهر المجهر، و کان عبارة عن عدسة بدائیة مکبرة و حامل قصیر و لم یکن متطورا آنذاک. و فی عام ۱۶۷۲ م لاحظ (دو غراف FAARG ED) حجرات صغیرة فی رحم الأرنب، و استنتج فی أبحاثه أن الرحم لا یفرز الأجنة و لکنها تأتی من أعضاء أخری سماها (أوفاریز SEIRAVO) و بدون شک فقد کانت هذه الحجرات الصغیرة هی ما نطلق علیه الآن اسم (الکرات الجرثومیة STYCOTSALB). و فی عام ۱۶۷۵ م درس (مارسیلو مالبیجی IHGIPLAM OLLECRAM)- علی ما اعتقد- بیض دجاجات غیر ملحقة و اعتقد أنها تحتوی علی أجنّة صغیرة «۲»، کما نشر رسومات لجنین الدجاجة المتخلق یظهر الفلقات بوضوح تام. (انظر الصورة رقم: ۵). ((SC ۵))- المراحل الأولی من تخلق الدجاجة وفقا لکتاب ما لبیجی و کتابه: (.(OVO ni illup enoitamroF eD

(_____ ۱) کتاب علم الأجنّة فی ضوء القرآن و السنة، هیئة الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، ص ۱۰- ۱۵، بتصرف. (۲) کتاب الإنسان النامی، د. مور و بارسو، ص ۱۱، بتصرف. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۳ و نعرف الیوم أن هذه الفلقات تحتوی علی خلایا، تولّد الجزء الأکبر من الهیکل العظمی للجسم و عضلاته. و هذا ما لم ینتبه إلیه (أو لم یکتشفه) العلماء آنذاک و ذلک لأنهم کانوا یعتقدون- إلی هذا الوقت- أن التخلّق الإنسانی لیس إلا زیادة فی الحجم لصورة واحدة تتسع أبعادها بمرور وقت الحمل «۱»، حیث کانت فکرة الخلق التام للإنسان من أول مراحله ما زالت مسیطرة علی أذهان العلماء «۲». و نشرت فی الوقت ذاته تقریبا مجموعة أخری من الرسومات، تظهر تخلّق الجنین البشری و تعبّر کلها عن نفس الأفکار و عن رسم واحد، و لکن بمقاییس مختلفة. (انظر الصورة رقم: ۶). و هذه الأفکار تعرف: بنظریة (الخلق الجاهز ۶) (SC). (YROEHT NOITAMROFERP)- رسم قدیم یظهر التخلق البشری و کان الاعتقاد السائد أن هذا الإنسان یتضخم مع مرور الوقت (۱۹۵۹ م MAHDEEN)، و فی عام ۱۶۷۷ م استعمل کل من (هام و لو فینهوک KEOHNEWUEEL DNA MMAH) مجهرا أکثر تطورا من الذی وضع من قبل و اکتشفا الحیوان المنوی و ظنّا أنه یحتوی علی إنسان صغیر جدا «۳». (انظر الصورة رقم: ۷).

(_____ ۱) الجمعیة الملکیة للفلسفة. (۲) کتاب علم الأجنّة فی ضوء القرآن و السنة، هیئة الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، ص ۱۵. (۳) کتاب الإنسان النامی، د. مور و بارسو، ص ۱۱. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۴ (۷)- استعمل العالم لوفینهوک المجهر فی أواخر القرن السابع عشر فاکتشف الحیوان المنوی، و فی الرسم منظر جانبی یوضح طریقة استخدام هذا المجهر، حیث کان الجسم یوضع أمام العدسة علی الحامل القصیر و یتم تعدیل وضع الجسم أمام العدسة بواسطة اللولب، و فی الصفحة القادمة رسومات للحیوان المنوی وفقا للعالم لوفینهوک. (SC) و تظهر صورة الحیوان المنوی فی الصور التی تلی (انظر الصورة رقم: ۸- ۹) و التی وضعت وفقا للعالم لو فینهوک عام ۱۷۰۱ م. و الرقمان ۱ و ۷ فی الصورة رقم: ۹ یشیران إلی الحیوان المنوی البشری، أما البقیة فتشیر إلی الحیوان المنوی للأغنام. و من أنصار نظریة الخلق الجاهز، نذکر العالم (سوامردام ۱۶۸۰ -۱۶۳۷ (MADREMMAWS NAJ م)، الذی اعتقد هو أیضا أن الإنسان موجود بصورة مصغرة فی رأس الحیوان المنوی «۱». و قد ثار جدل کبیر فی هذه الفترة حول الملحوظات التی تمت أو تم تخیّلها، و لم یمض وقت طویل بعد ذلک حتی تعرّف المراقبون علی أشیاء فی الحیوان المنوی تعبّر عن روح الإبداع فی ذلک العصر. و الرسم الذی قدمه (هرتسوکر REKEOSTRAH) للحیوان المنوی عام ۱۶۹۴ م (انظر إلی شکل القزم فی الصورة رقم: ۱۰) یدل علی أن المجهر یومئذ لم یکن کافیا لبیان تفاصیل تکوین الحیوان المنوی، فأکملت الصورة من خیال العلماء، و عبروا مرة ثانیة عن الفکرة السائدة عندهم، و هی أن الإنسان یکون مخلوقا خلقا تاما فی الحیوان المنوی فی صورة قزم «۲».

(_____ ۱) کتاب خلق الإنسان بین الطب و القرآن، محمد علی البار، ص ۱۸۷- ۱۸۸، بتصرف. (۲) کتاب علم الأجنّة فی ضوء القرآن و السنة، هیئة الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، ص ۲۱. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۵ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۶ و الرسم الذی وضعه (بوفون NOFFUB) عام ۱۷۴۹ م (انظر الصورة رقم: ۱۱) للسائل المنوی البشری (انظر إلی الشکل فی الجزء الأعلی)، و السائل المنوی للکلب (انظر إلی الشکل فی الجزء الأسفل)، بما فی ذلک بعض سائل من أنثی کلب لم تخصّب بعد، هو مثال ثان علی أن الخیال کان یلعب دورا کبیرا فی فهم عملیة تخلق الجنین البشری. (۱۱) (SC)- التناسل وفقا للعالم بافون ۱۷۴۹ م (noffuB). یمثل الشکل (A) المنی البشری مخلوطا بماء المطر بغیة عزل ما یحتویه من خیوط للسماح بانفصال الأجسام الصغیرة. الشکل (B) المنی نفسه بعد ترکه فترة من الوقت لیصبح أکثر سیولة. الشکل (C) مأخوذ عن ذکر کلب. الشکل (D) من أنثی کلب لم تخصب بعد. و فی عام ۱۷۴۵ م عادت الأنظار لتتجه إلی البویضة علی أنها تحمل الجنین بصورة مصغرة، و ذلک عند ما اکتشف العالم (بونیه TENNOB SELRAHC) أن بویضات الحشرات یمکنها التطور إلی أجنّة کاملة دون الحاجة مطلقا إلی الذکر، و تدعی هذه الطریقة: (الولادة بدون أب «۱» SISENEGONEHTRAP)

(_____ ۱) کتاب خلق الإنسان بین الطب و القرآن، محمد علی البار، ص ۱۸۸، بتصرف. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۷ و فی عام ۱۷۵۹ م رفض (وولف FFLOW HCIRDEIRF RAPSAC) الأفکار القائمة سابقا، و ذلک بعد أن لاحظ أن بعض أجزاء الجنین تتطور من «کریّات» (و هی أنسجة الجنین النامیة)، فقد شاهد بیض دجاج غیر مخصّب و لم یستطع رؤیة الأجنة التی تکلم عنها ما لبیجی، و قدم أفکاره علی أن ما نسمیه الیوم بالبیضة المخصّبة تنفلق لتؤلف طبقات من الخلایا (و نسمیها الیوم القرص الجنینی) التی یتخلق منها الجنین. و قد أسّست أفکاره نظریة (الخلق الفوقی SISENEGIPE) القائلة بأن التطور ناتج عن نمو الخلایا و تمایزها. و بینما کان فریق من العلماء یری أن الإنسان یخلق خلقا تاما فی بویضة الأنثی، کان فریق آخر یقول: إن الإنسان یخلق خلقا تاما فی الحیوان المنوی. و لم ینته الجدل بین الفریقین إلا قرابة عام ۱۷۷۵ م عند ما أثبت (سالالتزانی INAZNALLAPS) أهمیة کل من الحیوان المنوی، و البویضة فی عملیة التخلّق البشری بعد أن أظهرت تجاربه فی التلقیح الصناعی أن الحیوان المنوی هو العامل المخصّب للبویضة.

ب- مرحلة علم الأجنّة التجریبی:

ب- مرحلة علم الأجنّة التجریبی: لم تکتشف بویضة الثدییات إلا فی أواخر القرن الثامن عشر، حیث بدأت المرحلة الثانیة- عهد علم الأجنّة التجریبی- بکتابات (فون بایر ۱۸۲۷) (REAB NOV م) و (شلیدن و شوان ۱۸۳۹) (NAWHCS DNA NEDLIEHCS م) و (داروین ۱۸۵۹) (NIWRAD SELRAHC م) و آخرین. و فی عام ۱۸۱۷ م اکتشف (باندر REDNAP NAITSIRHC) أن الجنین مؤلف من ثلاث طبقات. أما فون بایر (۱۸۲۷ م) فکان عملاقا فی عصره فی هذا المجال، فقد قفز بعلم الأجنّة من التجارب و المشاهدات إلی صیاغة المفاهیم الجنینیة لا العکس، و کانت تلک نقلة نوعیة دقیقة جدا، حیث انتقل به تفکیره إلی أبعد من المفاهیم التی تعلّمها، فقد تابع تقاسم البویضة المخصّبة فی أنبوب الرحم و الخلیة الجرثومیة فی الرحم، و ساهم فی فهم مصادر الأنسجة و الأعضاء من الطبقات التی تحدث عنها باندر و ما لبیجی. و قد عمّم فون بایر نظریة باندر و قال إن أجنّة جمیع الحیوانات تحتوی علی إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۸ ثلاث طبقات، کما أنه وضع مفهومین مهمین فی مجال طب الأجنة: مفهوم مراحل تطور الجنین، و مفهوم سبق الصفات العامة للصفات الخاصة «۱». و فی عام ۱۸۲۴ م تمکن العالمان (برایفوست و

دوماس SAMUD DNA TSOVERP) من وصف (انشقاق البويضة EGAVAELC) و لكنهما لم يتبينا مغزى ذلك الانشقاق «۲». و حصل تطور مهم فی علم الأجنّة عند ما أعلن كل من شليدن و شوان (۱۸۳۹ م) أن جسم الإنسان مكون من خلايا، و هذا المفهوم أدى إلى إدراك أن الجنين تأتّى من خلية واحدة و هی: (البويضة المخصبة ۳ (ETOGYZ». و فی عام ۱۸۶۵ م وضع العالم (غريغور مندل LEDNEM ROGERG) أسس علم الوراثة غير أن علماء الطب لم يفهموا معانی هذه الأسس لسنين عديدة. و فی عام ۱۸۷۵ م تمكن (هيرتويج GIWTREH) من ملاحظة كيفية تلقيح الحيوان المنوی للبويضة، و أثبت بذلك أن كلا من الحيوان المنوی و البويضة يساهمان فی تكوين البويضة الملقحة، و كان بذلك أول إنسان يشاهد عملية التلقيح هذه و يصفها «۴». كما تميزت المرحلة التاريخية الثانية بالبحث عن الآليات، و برز اسم (ويلهلم روكس XUOR MLEHLIW) فی هذا المجال، و انتقلت الدراسة الجنينية من وصف الملحوظات إلى التدخل، و معالجة الكائنات الحية المتطورة «۵». و قد شغلت مسألة معرفة الآلية التی يحدث فيها التمـايز بيـن الخلايـا اهتمـام البـاحثين أمثـال العـالم (فليمينغ ۱۸۷۸) (GNIMMELF م) الـذی شاهـد (الصـبغيات SEMOSOMORHC) و اقترح أن لها دورا فی عملية الإخصاب. و أمثال العالم (فان بندن ۱۸۸۳) (NOV NEDENEB م) الذی وصف ظاهرة (الانقسام الاختزالی SISOIEM) قائلا: إن الخلايا الناتجة عن عمليـة الانقسام لها عدد منخفض من الصبغيات.

(_____ ۱) كتاب الإنسان النامی، د. مور و بارسو، ص ۱۱- ۱۲. (۲) كتاب خلق الإنسان بين الطب و القرآن، محمد علی البار، ص ۱۸۹، بتصرف. (۳) كتاب الإنسان النامی، د. مور و بارسو، ص ۱۲. (۴) كتاب خلق الإنسان بين الطب و القرآن، محمد علی البار، ص ۱۹۰، بتصرف. (۵) كتاب علم الأجنّة فی ضوء القرآن و السنة، هيئة الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، ص ۲۳. إعجاز القرآن فی ما تخفيه الأرحام، ص: ۳۹ و أمثال العالمين (ستن و بوفری ۱۹۰۲) (NOTTUS IREVOB م) حيث أعلن كل منهما علی حدة أن الصبغيات تنقسم أثناء التخصيب و تخلّق الخلايا وفقا للأسس التی وضعها العالم مندل فی علم الوراثة «۱». و أمثال العالم (مورجان NAGROM TNUH SAMOHT) ۱۹۱۲ م) الذی وصف دور الجينات فی الوراثة و أن هذه الجينات موجودة فی مناطق محددة من الصبغيات «۲». و كان أول من حاول تحديد عدد الصبغيات هو (فون وينيوارتر RETRAWINIW NOV) عام ۱۹۱۲ م قائلا: إن عددها هو سبعة و أربعون، و من ثم أعلن كلّ من (تجيو و لوفان OIJT NAVEL) عام ۱۹۵۶ م أن عدد الصبغيات هو ستة و أربعون «۳». و فی عام ۱۹۱۴ م رتّب (مول LOOM) مائتين و ستة و ستين جينا بشريا فی سلسلة من المراحل. و من ثمّ رتب (ستريتر RETEERTS) عام ۱۹۴۲ م الجنين البشری فی ثلاث و عشرين مرحلة، و أطلق عليها اسم «آفاق التطور». و من ثم قدم (أورايلی YLLIERO) عام ۱۹۷۳ م نظاما أكثر تفصيلا من الذی وضع من قبل لتصنيف الجنين البشری، و خاصة خلال الأسابيع الثلاثة الأولی من تكوينه «۴». و درس (هانس سيمان ۱۹۴۱ -۱۸۴۱) (NNAMEPS SNAH م) آليات التفاعل النسيجی كالذی يحدث خلال التطور الجنينی «۵». و بدأ (أوتو واربورغ ۱۹۷۰ -۱۸۸۳) (GRUBRAW HCIRNIEH OTTO م) دراسات عن الآليات الكيميائية للتخلق «۶».

(_____ ۱) كتاب الإنسان النامی، د. مور و بارسو، ص ۱۲. (۲) كتاب خلق الإنسان بين الطب و القرآن، محمد علی البار، ص ۱۹۰، بتصرف. (۳) كتاب الإنسان النامی، د. مور و بارسو، ص ۱۲. (۴) كتاب علم الأجنّة فی ضوء القرآن و السنة، هيئة الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، ص ۱۷۵. (۵) كتاب علم الأجنّة فی ضوء القرآن و السنة، هيئة الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، ص ۲۳. كتاب الإنسان النامی، د. مور و بارسو، ص ۱۲. (۶) كتاب علم الأجنّة فی ضوء القرآن و السنة، هيئة الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، ص ۲۳. إعجاز القرآن فی ما تخفيه الأرحام، ص: ۴۰

ج- مرحلة التقنية و استخدام الأجهزة:

ج- مرحلة التقنية و استخدام الأجهزة: و تمتد المرحلة الثالثة أو الحديثة من الأربعينات حتی يومنا هذا، و قد تأثرت هذه المرحلة تأثرا كبيرا بتطور الأجهزة مما أثر بقوة علی مجری البحوث. و علی سبيل المثال: فإن المجهر الألكترونی «۱»، و آلات التصوير الأخری، و قياس الشدة النسبية لأجزاء الطّيف، و الحاسوب، و مجموعة وسائل الكشف عن البروتينات، و الأحماض النووية، و الكربوهيدرات المعقدة، و عزلها و تحليلها، يمكن أن تعتبر كلها عوامل تجعل علماء (الأحياء السيولوجی النمائی YGOLOIB LATNEMPOLEVED) اليوم فی وضع يسمح لهم بإجراء تجارب كانت تبدو قبل عقد من الزمن مجرد حلم خيالی. فيمكننا اليوم مثلا- أن نجری تحليلا- دقيقا مفصلا لسطح الخلايا خلال تمايزها. و يمكننا أيضا أن ندرس دور النواة، و السائل الهلامی للخلية (أی السيتوبلازم: المادة الحية للخلية باستثناء النواة)، و المنابت خارج الخلية باستخدام تهجين الخلايا، و كذلك غرس النواة و غرس الجينات فی الرحم، و غير ذلك من التقنيات. و يمكننا أن ننظر أيضا إلى الأجنة بوضوح لم يمكن تصوره فی زمن العالم ماليجی. و يمكننـا أن ننظر داخـل الأقسـام لنفهـم آليـات التمـايز الطـبيعی و الشـاذ بشـكل أفضـل. (انظر الصـورة رقـم: ۱۲).

(_____ ۱) المجهر الألكترونی يتيح لنا تكبير الصورة إلى درجة تصل إلى نصف مليون مرّة. فالإلكترونات المستخدمة فی المجهر الألكترونی كمصدر للضوء تتميّز بأطوال موجية قصيرة تجعل (قوّة تباين NoITULOSER) المجاهر الألكترونية كبيرة، مما يمكننا أن نرى المسافات بين نقطتين تصل إلى حد ۲۰- ۴۰ من النانوميتر، (و النانوميتر جزء من المليون من الملم). و يمكن رؤية و دراسة طبوغرافية و أسطح الخلايا و الكائنات الصغيرة، و تكوين صورة ثلاثية الأبعاد باستخدام: (المجهر الألكترونی الماسح MES: epocsorciM nortcelE gninnacS). و يمكن رؤية الخلايا، و محتوياتها الداخلية، و قطاعات الأنسجة باستخدام: (المجهر الألكترونی النفاذ MET: epocsorciM nortcelE)، و لكن كل ذلك بعد تحضير العينات بمساعدة (المثبتات evitaxiF) و (المواد الكيميائية المنظمة reffuB) التی تغير فی كثير من الأحيان من طبيعة و شكل النسيج المعتبر. و يمكننا تفادی هذه المشكلة باستخدام (تقنية التبريد euqinhcet- oyrC): كالتثبيت بالتبريد المنخفض و السريع، أو باستخدام مثبتات بسيطة مثل: البارافو مالدهايد، أو (التبريد البديل noitutitsbus oyrC- ymotorcimartlu- oyrC) التی تمكننا من دراسة العينات، و محتويات الأنسجة، و الخلايا الطبيعية باستخدام: (التحليل الدقيق بأشعة س X- yaR sisylanaorcim XADE) بدون تعريض العينات النسيجية للمواد الكيميائية. إعجاز القرآن فی ما تخفيه الأرحام، ص: ۴۱ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفيه الأرحام، ص: ۴۲

معارف العرب علی عهد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم

معارف العرب علی عهد رسول اللّه صلّی اللّه عليه و سلّم سنلقی الضوء أولا علی الحالة الثقافية التی كانت سائدة فی شبه الجزيرة العربية ليتبين لنا مدی الفرق الشاسع بين المستوی العلمی السائد فی هذه الجزيرة، و بين ما جاء علی لسان رسول اللّه صلّی اللّه عليه و سلّم من آيات علمية إعجازية، و حتی نتفهّم ما فی آيات الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة من تحد و سبق علمی للأمم عامة، و للعرب خاصة. لم يكن العرب حينها علی مستوی عال من الثقافة العلمية، فغالبية العرب كانت تجهل الكتابة و يؤيد ذلك قوله تعالی: هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِی ضَلالٍ مُبِينٍ [الجمعة: ۲] و قوله صلّی اللّه عليه و سلّم: «إنّا أمة أمية لا نكتب و لا نحسب» [أخرجه البخاری ح ۷] «۱». إلا أن بعض العرب قد عرف الكتابة قبل الإسلام و كان منهم من يقرأ و يكتب بقلم المسند (قلم ظهر فی اليمن) و بقلم النبط و بقلم بنی أرم، و قد تعلم بعضهم اللغة العبرانية، و كان القليل منهم يلجأ إلی معابد و مدارس اليهود و النصاری لتعلم الكتابة و القراءة، و لكن السواد الأعظم منهم كان يجهل الكتابة و القراءة قبيل الإسلام، و لم يكن العرب يعنون بتعليم أطفالهم الكتابة و القراءة «۲»، إنما كان الرجل منهم يشعر بالحاجة إلی ذلك فيتعلمها، و لذلك لم يستطيعوا النهوض إلی درجة عالية من العلم. لقد تفاوتت درجة العلوم التی انتشرت فی عصرهم، فقويت العلوم التی كانت لها صلة ببيئتهم مثل الشعر، و تحسس مخابئ الماء تحت طبقات الأرض و علم الأنواء (تعرف أوقات نزول الغيث عن طريق حركة النجوم و منازلها)، و معرفة آثار الأقدام (القيافة)، و علم الأنساب (و ذلك ليحفظوا أنسابهم و لأمور أخری كان

(_____ ۱) الرجـاء من القرّاء الكرام مراجعة «قسم تخريج الأحاديث» للاطلاع علی مدی صحة سند الأحاديث التی أوردناها فی هذا البحث، و علی «تعريف الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة و الأسس التی يرتكز عليها» حتی يتبين للقارئ ما هو حكم الحديث فی مجال الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة. (۲) كتاب مختصر الجامع فی السيرة النبوية، سميرة الزائد، ج ۱/ ص ۷۰- ۷۱، كتاب السيرة النبوية، محمد بن محمد أبو شهبة، ص ۹۳، بتصرف. إعجاز القرآن فی ما تخفيه الأرحام، ص: ۴۳ مجتمعهم اليدوی بحاجة إليها)، و ضعفت العلوم الأخری عندهم مثل الطب «۱»، الذی كان مرتبطا بالسحر، و اقتصر علی الوسائل البدائية مثل الكیّ و البتر و الفصد (الشق) و التداوی بالأعشاب و الحجامة، و انتشرت بعض العلوم التی ليس لها ركائز منطقية مثل دراسة الأجرام السماوية: التنجيم و الكهانة، لمعرفة الأمور الغيبية من حاضر و مستقبل. أما علم الأرحام عند العرب- و هو الذی يعنينا فی بحثنا هذا- فلم يكن أحسن حالا من سائر العلوم الأخری، و كان قائما عندئذ علی ما تعلّمه العرب من اليهود، كما يعلمنا الحديث الشريف: «عن ابن عباس، قال: إن ابن عمر- و اللّه يغفر له- أوهم، إنما كان هذا الحی من الأنصار- و هم أهل وثن- مع هذا الحی من يهود- و هم أهل كتاب- و كانوا يرون لهم فضلا عليهم فی العلم فكانوا يقتدون كثيرا من فعلهم ..» [أخرجه أبو داود ح ۱۱۷]. فعلی سبيل المثال: اقتدی العرب باليهود فی اعتزال المرأة إذا حاضت اعتزالا تاما، لا يؤاكلونها، و لا يجالسونها علی فراش، و لا حتی يساكنونها، لأنهم كانوا يعتقدون أن السموم تغلب علی بدن المرأة فی فترة الحيض «۲». كذلك كانوا يعتقدون أن الجنين يأتی أحول إذا أتی الرجل امرأته من دبرها فی قبلها- أی: إذا جامع الرجل المرأة من الخلف و لكن فی قبلها- علی ما كان يعتقده اليهود، مثلما جاء فی الحديث: «حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن ابن المنكدر، قال: سمعت جابرا رضی اللّه عنه قال: كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول، فنزلت: نِساؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّی شِئْتُمْ [البقرة: ۲۲۳]» [أخرجه البخاری ح ۱۵]، و قد اعتقد الأطباء العرب أيضا أن الجنين يعقد من دم الحيض «۳». و هكذا نفهم أن الظلام العلمی كان منتشرا فی شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، و لا سيما عند العرب.

(_____ ۱) علی أنه كان فيهم أطباء معروفون و إن كانوا قلة، مثل الحارث بن كلدة. (۲) انظر مبحث «ازدياد الأرحام و غيضها». (۳) انظر مبحث «اضطراب عروق النطفة». إعجاز

القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۴

اُمّیة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم

اُمّیة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم اُمّیا لا یقرأ و لا یکتب، فقد نشأ فی مجتمع کانت غالبیته من الأمیین، و قد اقتصر علمه صلّی اللّه علیه و سلّم علی المعرفة برعایة الغنم (و ذلک لمساعدة عمه أبی طالب)، و علی بعض الأمور الحربیة (لعموم الضرورة إلی معرفة ذلک)، و علی بعض الأمور السیاسیة (کاشتراکه فی حلف الفضول)، و علی بعض أمور التحکیم (فقد حکّمه قومه فی وضع الحجر الأسود فی الکعبة و رضی بحکمه سائر القبائل). و قد أتیح له السفر إلی الیمن أربع مرات فی مهمات تجاریة کان یقوم بها صلّی اللّه علیه و سلّم للاتجار بمال خدیجة بنت خویلد رضی اللّه عنها، و مرة واحدة إلی مدینة بصری فی بلاد الشام «۱»، و هی أبعد مکان رآه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم فی حیاته «۲» (و الأولی أن نقول: قبل النبوة) «۳». و من الشواهد علی هذه المعرفة قوله تعالی: وَ ما کُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ کِتابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِیَمِینِکَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ [العنکبوت: ۴۸] و قوله تعالی: قُلْ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَیْکُمْ وَ لا أَدْراکُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِیکُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ [یونس: ۱۶] و حادثة نزول الوحی (کما روتها لنا السیدة عائشة رضی اللّه عنها): «أول ما بدئ به رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم من الوحی الرؤیا الصالحة فی النوم، فکان لا یری رؤیا إلا جاءت مثل فلق الصبح، حتی جاءه الحق و هو فی غار حراء، فجاءه الملک فقال: اقرأ، قال: «ما أنا بقارئ»، قال: «فأخذنی فغطّنی (الغطّ هو العصر الشدید و الکبس) حتی بلغ منی الجهد، ثم أرسلنی، فقال: اقرأ، قلت: «ما أنا بقارئ»، فأخذنی فغطنی الثانیة حتی بلغ منی الجهد، ثم أرسلنی، فقال: اقرأ، فقلت: «ما أنا بقارئ»، فأخذنی فغطنی الثالثة، ثم أرسلنی، فقال: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ (۱) خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ (۲) اقْرَأْ وَ رَبُّکَ الْأَکْرَمُ (۳) [العلق: ۱ - ۳] [أخرجه البخاری ح ۸] «۴».

(_____ ۱) و کانت بصری یومئذ کبری مدن حوران (فی سوریة) (المعالم الأثیرة فی السنة و السیرة، محمد محمد حسن شراب، ص ۴۸- ۴۹). (۲) کتاب دراسة فی السیرة، د. عماد الدین خلیل، ص ۳۹. (۳) و ذلک أن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم وصل إلی أبعد من هذا المکان بعد النبوة، و ذلک فی حادثة الإسراء (حیث کان الإسراء إلی المسجد الأقصی فی بیت المقدس). (۴) الرجل من القرّاء الکرام مراجعة «قسم تخریج الأحادیث» للاطلاع علی مدی صحة سند الأحادیث التی أوردناها فی هذا البحث، و علی «تعریف الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة و الأسس التی یرتکز علیها» حتی یتبین للقارئ حکم الحدیث فی مجال الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۵ هذه الحادثة تشیر إلی نقطتین بالغتی الأهمیة: • أولا: أن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم لم یکن غیر متعلم فحسب «۱»، بل کان أمیا لا یعرف القراءة و الکتابة «۲». • ثانیا: أن اللّه سبحانه و تعالی أشار فی ثانی آیة أنزلت من القرآن الحکیم- أی: فی بدء الوحی- أن الإنسان خلق من علقة تبیانا لمعجزة خلق الإنسان- و الله أعلم-، و هذه المعجزة اتخذت منحی خطیرا بعد ما أمر اللّه سبحانه و تعالی رجلا أمّیا صلّی اللّه علیه و سلّم أن یعلم أمة بأکملها حیث قال تعالی: هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الْأُمِّیِّینَ رَسُولًا مِنْهُمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِهِ وَ یُزَکِّیهِمْ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةَ وَ إِنْ کانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِی ضَلالٍ مُبِینٍ [الجمعة: ۲].

(_____ ۱) و إلی ذلک تشیر الآیة: وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَیْکَ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةَ وَ عَلَّمَکَ ما لَمْ تَکُنْ تَعْلَمُ وَ کانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَیْکَ عَظِیماً [النساء: ۱۱۳]، حیث إنها تشیر إلی أن اللّه عزّ و جلّ علّم الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم أمورا لم یکن علی درایتها، مثل: أمور الشرع، و الحکمة کما تنصّ علیه الآیة نفسها، و کما تنص علیه الآیة التالیة: وَ کَذلِکَ أَوْحَیْنا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما کُنْتَ تَدْرِی مَا الْکِتابُ وَ لَا الْإِیمانُ وَ لکِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِی بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا وَ إِنَّکَ لَتَهْدِی إِلی صِراطٍ مُسْتَقِیمٍ [الشوری: ۵۲]، و مثل: بعض الأمور العلمیة کما یشیر إلیه الحدیث الشریف رقم ۹ الذی سیأتی تفصیله، حیث سأل الیهودی الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم عن العملیة التی تؤدی إلی الإذکار أو الإیناث فأجابه صلّی اللّه علیه و سلّم: «لقد سألنی هذا عن الذی سألنی عنه و ما لی علم بشیء منه حتی أتانی اللّه به» [أخرجه مسلم ح ۹]. (۲) و إلی ذلک تشیر الآیة: فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ النَّبِیِّ الْأُمِّیِّ الَّذِی یُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ کَلِماتِهِ وَ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّکُمْ تَهْتَدُونَ [الأعراف: ۱۵۸]، و الآیة: قالَ عَذابِی أُصِیبُ بِهِ مَنْ أَشاءُ وَ رَحْمَتِی وَسِعَتْ کُلَّ شَیْءٍ فَسَأَکْتُبُها لِلَّذِینَ یَتَّقُونَ وَ یُؤْتُونَ الزَّکاةَ وَ الَّذِینَ هُمْ بِآیاتِنا یُؤْمِنُونَ (۱۵۶) الَّذِینَ یَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِیَّ الْأُمِّیَّ الَّذِی یَجِدُونَهُ مَکْتُوباً عِنْدَهُمْ فِی التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِیلِ [الأعراف: ۱۵۶- ۱۵۷]. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۶

الوحی یمحو الأمیة

الوحی یمحو الأمیة لقد قرأنا فی البحوث السابقة عن الثقافة التی کانت سائدة داخل شبه الجزیرة العربیة و خارجها، فرأینا أن الظلام الدامس کان یسود کل أقطار العالم فی المجال العلمی و خاصة فی مجال علم الأجنّة فی عصر النبوة، فالعرب فی شبه الجزیرة العربیة آنذاک کانوا أمیین فی غالبیتهم، و القلّة الباقیة التی تعلمت القراءة و الکتابة لم تکن بارعة فی العلوم الحیویة، أما الغرب خاصة و بقیة العالم عامة بعد القرن الخامس قبل المیلاد، فکانوا أکثر معرفة، لأنهم استطاعوا أن یربطوا العلم بالمنطق و لکن هذا لم یفدهم شیئا، لأنهم أخطئوا فی النظریات التی وضعوها و التی کانت لا ترقی إلی مستوی الحقیقة العلمیة، و لأن قلة الوسائل التقنیة المتاحة لهم حجزتهم عن مراقبة الأمور عن کثب فی الأرحام، و حالت دون معرفتهم لحقائق الأمور فی علم الأجنّة. و هکذا فإن التاریخ یشهد أنه لم یکن هناک أی تدوین ممیّز شامل للتخلّق البشری کالتصنیف المرحلی، و علم المصطلحات، و الوصف لمجریات الأمور فی الأرحام، کما أن التاریخ یشهد أنه لم یکن هناک أیة وسیلة لمراقبة ما یجری فی الأرحام فی عصر النبوة. فهل یعقل- و الحال هذه- أن یکشف الرسول الکریم- علیه الصلاة و السلام- حقائق علمیة لم تکن موجودة آنذاک فی العلوم البشریة لو لا وحی السماء؟. لقد رأینا کیف أن الأمیة و الجهل یولّدان مجرد خیالات بعیدة عن الدقة کما فی حالة الیونانیین، بالرغم من أنهم کانوا أکثر الشعوب تطورا فی مجالات العلوم، فأنّی للنبی صلّی اللّه علیه و سلّم المقدرة علی کشف حقائق علمیة هی فی أقصی الدرجات من الدقة إلا بإعجاز قاهر، من رب قادر، و قد عجز کثیر من العلماء عن الإتیان بالقلیل منها و لو بصورة مبسطة، حتی بعد أن اکتشفوا المجهر، و بعد أن انکبوا علی مراقبة الأجنّة؟. إلی غیر ذلک، فتقدیم وصف علمی لمراحل التخلّق البشری یتطلب الحصول علی عدد کبیر من الأجنّة البشریة فی عمر معین و دراستها، و یصعب تماما حتی فی یومنا هذا تجمیع مثل هذه السلسلة، کما یحتاج إلی أجهزة متطورة جدا لم تکن متصوّرة فی عصر النبوة فی أی قطر من أقطار العالم (کالمجهر الألکترونی، و آلات التصویر الأخری، و قیاس الشدة النسبیة لأجزاء الطیف، و الحاسوب، و مجموعة إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۷ وسائل الکشف عن البروتینات، و الأحماض النوویة، و الکربوهیدرات المعقدة و غیرها)، و لو لا هذه البحوث لما توصل علم الأجنّة إلی ما هو علیه الآن. و مما یزید الأمور تعقیدا أیضا، أن الأجنّة التی کانت تخرج فی حالات الإجهاض فی المراحل الأولی من تخلّق الجنین علی هیئة سقط میکر، کانت تخرج فی کمیة من الدماء، و قد تمزّقت إلی أجزاء دقیقة و لم تکن لتعطی مظهرا یمکن دراسته. إضافة إلی ذلک فإن الأجیال التی عاصرت الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم لم یکن بإمکانها أن تعلم أن هذه الدماء تحمل سقطا من جنین، لأن معرفة حدوث الحمل فی الأسابیع الأولی لم تکن متحقّقة حتی عهد قریب. و لو افترضنا أنه أتیح للرسول صلّی اللّه علیه و سلّم هذا کله، فالجنین فی المراحل الأولی من تخلّقه و خصوصا فی مرحلة عجب الذّنب (التی ستتکلم عنها فیما بعد- انظر مبحث «الذّنب»-) لا یبلغ حجم أجزائه أکثر من ۰،۵ ملم، و تلک الأجزاء موجودة لیس داخل الرحم ذی الظلمة الدامسة فحسب، بل داخل بطانة الرحم و الوصول إلی تلک الأمکنة متعذر، لأن عنق الرحم- کما نعلم- لا یسمح فی الحالات العادیة- عند معظم النساء- لأکثر من الإصبع الصغیر من أن یدخل فیه، و هو مسدود (بکتلة مخاطیة GULP SUCUM) فی فترة الحمل (انظر الصورة رقم: ۱۳)، و الفجوة التی تحدثها التطفة عند الدخول داخل بطانة الرحم تنغلق بسدادة نسیجیة. (۱۳) (SC)- تسد مدخل الرحم کتلة من المخاط مما یجعل مراقبة الأجنة أمرا صعبا للغایة إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۸ إنه لمن الغریب جدا، بل من المستحیل أن یصف الرسول- علیه الصلاة و السلام- أحوال و مظهر الجنین فی الرحم و خصوصا فی الأسابیع الأولی، و هی تتغیر باستمرار خلال أوقات وجیزة جدا، و إنه لمن الغریب أیضا أن یضع برنامجا زمنیا دقیقا للغایة کما سنری، لا- یقبله أی عقل بشری فی ذلک الوقت نظرا لغرابته و لخروجه عن المألوف، أو لیس هذا کله دلیلا علی أنه نبی یوحی إلیه من اللّه تعالی؟. فمن یتخیل أن یتخلّق الجسم الأساسی للجنین خلال أربعین یوما، و الحال أن الجنین یمکث فی بطن أمه تسعة أشهر؟، و من یتخیل أن الجنین یشبه المادة الممضوغة التی تلوکها الأسنان؟. لقد أخبر الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم ببعض أسس علم الوراثة بإذن من رب العالمین قبل ۱۴۰۰ سنة من اکتشافها من قبل العلماء؛ فلقد أوضح صلّی اللّه علیه و سلّم أن بنیة الإنسان تتقدر حین خلقه عند ما یلقّح الحیوان المنوّی البویضة، و أن عملیة التقدیر تستوجب انصهار محتوی النطفتین بعضهما ببعض، و انتشار صبغیات الحیوان المنوی بین صبغیات البویضة، و أن عملیة نمو الجنین تعتمد علی الشیفرة الجینیة الموجودة داخل البویضة المخصّبة. إن التحدث عن هذه الأمور الغیبیة یعتبر أقوی من التحدث عن التغیرات التی تطرأ علی الجنین، و ذلک لأن الأمور أدق فی هذا المجال، ففضلا عن أنها الأسس التی تتحکم بمصیر الجنین فی المستقبل الخفی. حقا إنه لکشف مدهش، إن هذا الکشف- إن لم یکن وحیا من اللّه تعالی- فإنه یحتاج إلی کثیر من الوقت و العدید من الاختصاصیین المتمرّسین لیفهموا تلک الأحداث، و إلی تقنیات متطوّرة للغایة؛ و هذا الوقت و تلک التقنیات لم تکن متوفرة للرسول صلّی اللّه علیه و سلّم؛ لأنه کان مشغولا بالدعوة و تنظیم الأمة الإسلامیة علی أحسن حال، إضافة إلی أنه لم یمارس فی حیاته نشاطا علمیا قط فی هذا المجال کما سجّل التاریخ (فهو علیه الصلاة و السلام اشتغل برعایة الغنم، ثم بالتجارة قبل البعثة، و من ثمّ تفرّغ لأعباء الدعوة). و کان أمّیا کما أخبر بذلک القرآن، و کما یظهر لنا من خلال روایة حادثة بدء الوحی. و فی المقاطع اللاحقة سنقارن- إن شاء اللّه- بین ما بیّنه اللّه عزّ و جلّ علی لسان رسوله صلّی اللّه علیه و سلّم، و بین الاعتقادات السائدة فی عصره فی مختلف مراحل تخلق الجنین (و التی قلبها رأسا علی عقب). هذا من جهة، و من جهة أخری بین ما اکتشفه إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۹ مجموعة من العلماء بعد قرون عدیدة بواسطة آلات ذات تقنیة «۱» عالیة (کان أولها فی القرن السابع عشر، و آخرها فی القرن العشرین) لندرک مدی إعجاز الکشف الربانی علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، و حتی نزداد یقینا أنه وحی من عند اللّه عزّ و جلّ.

(_____ ۱) إن کلمة «تقانة» هی القیاس اللغوی الصحیح، و لکننا سنستعمل کلمة «تقنیة» فی البحث لأنها هی الشائعة فی عصرنا هذا. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص:

التحدّی

التحدّی إن من قرأ و تأمّل فی تاریخ دعوة الأنبیاء- علیهم الصلاة و السلام- للناس لاحظ أن دعوتهم کانت حافلة بالتحدی، فعامة الناس لا یؤمنون بالرسل إلا إذا رأوا منهم آیات أو معجزات تدل علی صدق نبوتهم. فعلی سبیل المثال: لم یؤمن السحرة بنبوة سیدنا موسی علیه السّلام إلا عند ما رأوا العصا تتحول إلی حیة، و إلا حینما عاینوا یده تشع نورا ... و کذلک قوم سیدنا صالح علیه السّلام لم یؤمنوا إلا عند رؤیتهم الناقة المعلاقة تخرج من الحجر ... و قوم سیدنا عیسی علیه السّلام إلا عند معاینتهم له یحیی الموتی بإذن اللّه، و یشفی الأکمه و الأبرص بإذن اللّه ... إلخ ما ورد من القصص العدیدة المرویة فی القرآن الکریم، و العهد القدیم و العهد الجدید، و کتب الروایة و کتب التاریخ البشری. و عند ما بعث الرسول- صلوات اللّه و سلامه علیه- تحداه قومه کالعادة، و طالبوه بأن یأتی بالمعجزات و بالآیات التی تدل علی اصطفائه صلّی اللّه علیه و سلّم من قبل اللّه عزّ و جل کما حکی عنهم القرآن الکریم: وَ قالُوا لَوْ لا یَأْتینا بِآیَةٍ مِنْ رَبِّهِ [طه: ۱۳۳]، أو کقوله تعالی: وَ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتَّی تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ ینْبُوعاً (۹۰) أَوْ تَکُونَ لَکَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِیلٍ وَ عِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلالَها تَفْجِیراً (۹۱) أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ کَما زَعَمْتَ عَلَینا کِسَفاً أَوْ تَأْتِی بِاللَّهِ وَ الْمَلائِکَةِ قَبِیلًا (۹۲) أَوْ یَکُونَ لَکَ بَیْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقی فِی السَّماءِ وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِیِّکَ حَتَّی تُنَزِّلَ عَلَینا کِتاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحانَ رَبِّی هَلْ کُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا (۹۳) [الإسراء: ۹۰- ۹۳] فقبل الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم هذا التحدی بإذن من رب العالمین، و تحققت المعجزات و تنوعت علی یده؛ فکان منها: المعجزات الإخباریة کحادثة وصفه لبیت المقدس و هو صلّی اللّه علیه و سلّم فی مکة و ذلک فی حادثة الإسراء و المعراج، و حادثة الإخبار بأن الأرضة أکلت الصحیفة التی تعاهد فیها کفار مکة علی مقاطعة سیدنا محمد صلّی اللّه علیه و سلّم و بنی هاشم، و استئنافها لأسماء اللّه تعالی التی کتبت علیها. و من المعجزات أیضا معجزات حسّیة کنبع الماء من أصابع الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم، و کإعادته عین مقاتل إلی مکانها بعد أن اقتلعت، و ککسر کدیة عظیمة- أی صخرة صلبة من الأرض لا تعمل فیها الفأس- عجز الصحابة عن کسرها، بثلاث ضربات حتی عادت کالکثیب- أی کالرمل المتجمع-، و کالبرکة فی الطعام حتی إن الطعام إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۱ الذی دعا إلیه جابر بن عبد اللّه رضی اللّه عنه الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم، و هو طعام یکفی لرجلین فقط، کفی ألفا من الصحابة، و بقی بقیة منه .. إلخ. و لما کان الرسل قبل محمد صلّی اللّه علیه و سلّم یبعثون إلی أقوامهم خاصة، و لأزمنة محدودة فقد أیدهم اللّه ببینات حسیة کما رأینا، و تستمر هذه البینات الحسیة محتفظة بقوة إقناعها فی الزمن المحدد لرسالة کل رسول، حتی إذا تطاول الزمن و تقادم و تکدّر نبع الرسالة الصافی، اختفت قوة الإقناع الحسیة، و بعث اللّه رسولا آخر بالشریعة التی یرضاها و بمعجزة جدیدة و بینة مشاهدة. و لما ختم اللّه النبوة بمحمد صلّی اللّه علیه و سلّم ضمن له حفظ دینه، و ذلک بأن أیده بمعجزات معنویة تتکشف فی المستقبل، لکی یؤمن بها المتأخرون من الأمم، فتبقی البینة الکبری بین أیدی الناس قائمة إلی قیام الساعة «۱». قال اللّه تعالی: وَ قالُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَیْهِ آیاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّما الْآیاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَ إِنَّما أَنَا نَذِیرٌ مُبِینٌ (۵۰) أَ وَ لَمْ یَکْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَیْکَ الْکِتابَ یُتْلی عَلَیْهِمْ إِنَّ فِی ذلِکَ لَرَحْمَةً وَ ذِکْری لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ (۵۱) [العنکبوت: ۵۰- ۵۱]، فهذه الآیات تعلمنا أن اللّه تعالی أجاب طلب قوم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم لآیات یؤمنون من خلالها بأن القرآن الکریم هو خیر دلیل علی صدقه صلّی اللّه علیه و سلّم، بما فیه من معجزات معنویة. و قوة هذه البینة هی أنها تدحض ادعاءات من افتری، و ادعی کذبا أن سیدنا محمدا صلّی اللّه علیه و سلّم استفاد من العلوم المتوافرة فی عصره لتألیف القرآن. فإظهار الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم معلومات لم تکن معروفة فی عصره، و هی من اختصاص علم اللّه تعالی، تنقطع الحجة بأن الرسول- علیه أفضل الصلاة و التسلیم- قد استفاد و تعلم من الأمم التی عاصرها، و بهذا لا یستطیع أحد أن ینفی أن معلوماته مستقاة من خالق الإنسان، و هذه الآیات التی فیها الإخبار بما لم یکن معروفا فی زمنه هی من علم اللّه، و ستبقی منار هدی، و سبیل معرفة بأن القرآن هو کلام اللّه لکل إنسان فی کل زمان و مکان (_____ ۱) قد یعترض بعض الناس أن هناک أشخاصا تنبئوا ببعض الأمور فی الکون و حدثت، نعم قد یحدّث بعض الناس بأمور ستحدث فی المستقبل و تقع، و لکنهم أیضا یحدّثون بأمور کثیرة و لا تقع، بل یحدّثون بخلاف الواقع، و هذا یطعن فی الشخص: فی نبوءته و فی أقواله. أما رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم فأقواله و أحادیثه صحیحة السند عن الأمور الکونیة دائما مصیبة کما سنری فی «قسم تخریج الأحادیث و صلتها بالإعجاز العلمی»، و تتحدث عن الواقع الکونی کما هو، دون تحلیل ذهنی و عن تجربة، بل هو إعلام من اللّه تعالی فقط، فقد قال اللّه تعالی: وَ عَلَّمَکَ ما لَمْ تَکُنْ تَعْلَمُ وَ کانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَیْکَ عَظِیماً [النساء: ۱۱۳]. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۲ قال تعالی: لکِنِ اللَّهُ یَشْهَدُ بِما أَنْزَلَ إِلَیْکَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَ الْمَلائِکَةُ یَشْهَدُونَ وَ کَفی بِاللَّهِ شَهِیداً [النساء: ۱۶۶]. قال ابن کثیر فی تفسیر هذه الآیة «۱»: «أنزله بعلمه، أی: فیه علمه الذی أراد أن یطلع العباد علیه من البینات و الهدی و الفرقان، و ما یحبه اللّه و یرضاه و ما یکرهه و یأباه، و ما فیه من العلم بالغیوب من الماضی و المستقبل». و هکذا یسطع نور الوحی المنزل علی سیدنا محمد صلّی اللّه علیه و سلّم بینا، بما نزل فیه من علم إلهی یدرکه الناس فی کل زمان و مکان متجددا علی مر العصور، و لم یتأت ذلک لسائر النبیین- علیهم السلام-، و لذلک قال صلّی اللّه علیه و سلّم: «ما من الأنبیاء نبیّ إلا أعطی من الآیات ما مثله آمن علیه البشر، و إنما کان الذی أوتیته وحیا أوحاه اللّه إلیّ، فأرجو أنّی أکثرهم تابعا یوم القیامة» [أخرجه البخاری ح ۱۰]. و فی القرآن توجد إشارات کثیرة إلی کشوفات علمیة سیرفع عنها اللثام فی المستقبل، و سوف تبقی ظاهرة متجددة إلی قیام الساعة، و هذه الأنباء موجودة فی القرآن، و لکن حقائقها و کیفیاتها لا- تتجلی إلا- بعد حین، قال اللّه تعالی: إِنْ هُوَ إِلَّا ذِکْرٌ لِلْعالَمِینَ (۸۷) وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِینٍ (۸۸) [ص: ۸۷- ۸۸]. قال الفرّاء- من علماء اللغة- فی تفسیر الحین: إنه «بعد الموت و قبله .. أی فی المستأنف» «۲». و ذهب الثدّی الکبیر- من التابعین- إلی هذا المعنی «۳». و قال ابن جریر الطبری فی تفسیره: «إن اللّه أعلم المشرکین المکذبین بهذا القرآن أنهم یعلمون نبأه بعد حین من غیر حد منه لذلک الحین بحدّ ... و لا حدّ عند العرب للحین» «۴». و شاء اللّه أن یجعل لکل نبأ زمنا خاصا یتحقق فیه هذا النبأ، فإذا تجلی الحدث ماثلا للعیان أشرقت تلک المعانی التی تدلّ علیها الحروف و الألفاظ فی القرآن، و فی هذا الباب قوله تعالی: لِکُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ [الأنعام: ۶۷]. و یبقی النبأ الإلهی محیطا بکل الصور التی یتجدد ظهورها عبر القرون، قال ابن (_____ ۱) تفسیر ابن کثیر- (ج ۱/ ص ۵۸۹).

(۲) تفسیر القرطبی- (ج ۱۵/ ص ۲۳۱). (۳) البحر المحیط لأبی حیان- (ج ۷/ ص ۴۱۱). (۴) تفسیر الطبری- (ج ۲۳/ ص ۱۲۱). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۳ جریر الطبری فی تفسیره: «لکل خبر مستقر، یعنی قرارا یستقرّ عنده و نهایة ینتهی إلیه فیتبین حقّه و صدقه من کذبه و باطله» «۱». و قال الطبری أیضا: «یقول: و سوف تعلمون أیها المکذبون بصحة ما أخبرکم به» «۲». و قال ابن کثیر فی تفسیره: «أی لکل خبر وقوع، و لو بعد حین، کما قال تعالی: وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِینٍ [ص: ۸۸] و قال: لِکُلِّ أَجَلٍ کِتابٌ [الرعد: ۳۸]» «۳». و إلی هذا ذهب کثیر من المفسرین «۴». و من هذا الباب أیضا قوله تعالی: وَ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَیُرِیکُمْ آیاتِهِ فَتَعْرِفُونَها وَ ما رَبُّکَ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ [النمل: ۹۳]. قال أبو حیان فی البحر المحیط: «سَیُرِیکُمْ آیاتِهِ: تهدید لأعدائه بما یریهم اللّه من آیاته التی تضطرهم إلی معرفتها و الإقرار أنها آیات اللّه» «۵». و إشارة أخری من اللّه عزّ و جلّ: خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِیکُمْ آیاتِی فَلا تَسْتَعْجِلُونِ [الأنبیاء: ۳۷]. قال القرطبی فی تفسیره للآیة «۶»: «و المراد بالآیات ما دل علی صدق محمد صلّی اللّه علیه و سلّم من المعجزات و ما جعله له» «۷» (_____ ۱. ۷) تفسیر الطبری- (ج ۷/ ص ۱۴۷). (۲) تفسیر الطبری- (ج ۷/ ص ۱۴۷). (۳) تفسیر ابن کثیر- (ج ۲/ ص ۱۴۳). (۴) تفسیر القرطبی- (ج ۷/ ص ۱۱)، فتح القدیر للشوکانی- (ج ۲/ ص ۱۲۸)، تفسیر الرازی- (ج ۷/ ص ۲۵، ۲۶)، محاسن التأویل للقاسمی- (ج ۶/ ص ۱۱۲)، تفسیر أبی السعود- (ج ۷/ ص ۲۳۹)، نظم الدرر للبقاعی- (ج ۱۶/ ص ۴۳۵). (۵) البحر المحیط لأبی حیان- (ج ۷/ ص ۱۰۳).

(۶) تفسیر القرطبی- (ج ۱۱/ ص ۲۸۹). (۷) و الدلیل علی أن هذه الآیة تشیر إلی الإعجاز العلمی فی العلوم الکونیة أنها أتت بعد الحدیث عن ظواهر کونیة کان فهمها ضربا من الغیب علی عهد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، و هی الآن محط أنظار العلماء الکونیین و الإسلامیین لإثبات إعجازها، مثل ظاهرة الانفجار الکونی العظیم کما فی قوله: أَ وَ لَمْ یَرَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ کانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما [الأنبیاء: ۳۰]، و أن کل شیء خلق من ماء وفقا للآیة وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ کُلَّ شَیْءٍ حَیٍّ أَ فَلا یُؤْمِنُونَ [الأنبیاء: ۳۰]، و أن الجبال تحفظ الطبقة الأرضیة الخارجیة من الانزلاق وفقا للآیة وَ جَعَلْنا فِی الْأَرْضِ رَواسِیَ أَنْ تَمِیدَ بِهِمْ [الأنبیاء: ۳۱]، و أن الأرض و القمر یدوران فی فلک کما جاء فی الآیة وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ اللَّیْلَ وَ النَّهارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ [الأنبیاء: ۳۳]، و من الجدیر بالذکر أن النص القرآنی موجه إلی الکفار، حتی یؤمنوا بعد أن یروا مطابقة الحقائق الکونیة لمعانی الآیات القرآنیة کما أشارت إلیه الآیة أَ وَ لَمْ یَرَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ کانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما ... [الأنبیاء: ۳۰]. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۴ و من المعجزات التی تتحدث عن المستقبل علی سبیل المثال، ما قاله صلّی اللّه علیه و سلّم عما سیحل بأمته فی آخر الزمان فی الحدیث: «یوشک أن تداعی علیکم الأمم کما تداعی الأکلة إلی قصعتها. قیل: أو من قلة نحن یومئذ یا رسول اللّه؟ قال: بل إنکم یومئذ کثیرون و لکنکم کغثاء السیل، و لینزعن اللّه من قلوب عدوکم المهابة، و لیقذفن فی قلوبکم الوهن، قیل: و ما الوهن یا رسول اللّه؟ قال: حب الدنیا و کراهیة الموت» [أخرجه أبو داود ح ۱۱]. و من الأمثلة المستقبلیة أیضا، ما جاء فی القرآن عن کشف أسرار طبیعة الإنسان، و الذی سیکشفه العلم فی المستقبل مصداقا لقوله تعالی: سَنُرِیهِمْ آیاتِنا فِی الْآفاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ حَتَّی یَتَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ یَکْفِ بِرَبِّکَ أَنَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ شَهِیدٌ [فصلت: ۵۳]. و السین فی قوله تعالی سَنُرِیهِمْ للاستقبال، و هی قرینة تدلّ علی أن الفعل المضارع للاستقبال. و الآفق: ما ظهر من نواحی الفلک و أطراف الأرض، و آفاق السماء: نواحیها «۱». قال الشوکانی عند تفسیره الآیة: «سنریهم دلالات صدق القرآن، و علامة کونه من عند اللّه فی الآفاق- أی فی النواحی- و فی أنفسهم» .. «۲». و لقد وردت فی القرآن الکریم- فی عدة مواضع- آیات تؤکد علی أن اللّه یعلم ما یجری فی الأرحام، مثل: * قال العلیم الحکیم: وَ ما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثی وَ لا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ... [فاطر: ۱۱]. * قال عزّ و جلّ: وَ یَعْلَمُ ما فِی الْأَرْحامِ [لقمان: ۳۴]. قال سبحانه و تعالی: هُوَ الَّذِی یُصَوِّرُکُمْ فِی الْأَرْحامِ کَیْفَ یَشاءُ ... [آل عمران: ۶]. * قال علّام الغیوب: اللَّهُ یَعْلَمُ ما تَحْمِلُ کُلُّ أُنْثی ... [الرعد: ۸]. (_____ ۱) مقاییس اللغة لابن فارس- (ج ۱/ ص ۱۱۴- ۱۱۵)، لسان العرب لابن منظور- مادة «أفق»- (ج ۱/ ص ۱۶۴)، الصحاح للجوهری- (ج ۴/ ص ۱۴۴۶)، تاج العروس لمحمد مرتضی- مادة «أفق»- (ج ۱/ ص ۶)، المفردات للأصفهانی- ص ۷۹. (۲) فتح القدیر للشوکانی- (ج ۴/ ص ۵۲۳). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۵ * قال جلّ ذکره: هُوَ أَعْلَمُ بِکُمْ إِذْ أَنْشَأَکُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ إِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِی بُطُونِ أُمَّهاتِکُمْ ... [النجم: ۳۲]. و تعدد إیراد هذه الآیات قد یکون للدلالة علی مدی صعوبة کشف الأحداث المنوطة بتخلق الجنین فی رحم الأم، و علی

مدی إعجازه، و لم تقتصر الآیات علی التشدید علی هذا الأمر بل تعدته لتعلن أن اللّه أعلم من الناس أنفسهم بتخلقهم، فلما ذا هذا التأکید؟ و حدهم علماء الأجنة یستطیعون الإجابة علی هذا السؤال؛ و ذلک لأن الرحم غیر بارز، بل هو واقع فی وسط الجسم، و من الصعب معرفة ما یجری فیه فی مراحل تخلق الجنین الأولی إلا بواسطة المجاهر الإلکترونیة التی لم تکن موجودة فی عصر النبوة. فالجنین الذی یدور الکلام علیه لا یبلغ طوله أکثر من ۱ ملم فی مراحله الأولی و ۱۳ ملم بعد تخلّقه و لا مجال لرؤیة تفاصیله فی الرحم إلا بواسطة تلک المجاهر المتطورة. إن المعجزات الإخباریة الغیبیة أقوی من المعجزات الحسیة بالنسبة لعصرنا، ذلک لأن الإنسان یفتقد السیطرة علی الأمور غیر المرئیة، و لا مجال لدیه للاطلاع علیها أصلا، و لذلک کان حقا علی ابن آدم أن یؤمن إذا أبلغ بها. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۶

بدء الخلق

بدء الخلق * قال اللّه تعالی: وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ کُلَّ شَیْءٍ حَیٍّ أَ فَلا یُؤْمِنُونَ [الأنبیاء: ۳۰]. * قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «کل شیء خلق من ماء» [أخرجه أحمد ح ۱۲]. * قال اللّه عزّ و جلّ: فَإِنَّا خَلَقْناکُمْ مِنْ تُرابٍ ... [الحج: ۵]. * قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «إن اللّه خلق آدم من قبضة قبضها من جمیع الأرض ...» [أخرجه الترمذی ح ۶۴]. * قال اللّه علام الغیوب: وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسانِ مِنْ طِینٍ [السجدة: ۷]. * قال العلیم الحکیم: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِینٍ [المؤمنون: ۱۲]. * قال الخالق سبحانه و تعالی: إِنَّا خَلَقْناهُمْ مِنْ طِینٍ لازِبٍ [الصافات: ۱۱]. * قال الواحد الأحد: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ [الحجر: ۲۶]. * قال اللّه البارئ المصور: خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ کَالْفَخّارِ [الرحمن: ۱۴]. * قال اللّه العلیم الحکیم: وَ اللَّهُ أَنْبَتَکُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً [نوح: ۱۷]. و قبل الخوض فی موضوع «تخلّق الجنین فی الرحم» نود إلقاء نظرة علی مسألة بدایة الخلق: فمن هذه النقطة ابتدأ خلق الإنسان، و من هذا الباب خرج الإنسان إلی الوجود، و کان بالتالی أول الأسباب لإیجاد الأجنّة فی الأرحام، و من هذه النقطة نستطیع النظر عن کثب إلی المادة التی خلقنا منها لکی یصبح الموضوع متکاملا، واضحا، مترابطا فیما بینه. من الأمور التی لا مجال للنقاش فیها: مسألة خلق سیدنا آدم علیه السّلام، فلم یشاهد أحد ذلک و لا یستطیع أحد أن یزعم أن هناک آلة خاصة أو منهجیة محددة تخلّق منها الإنسان الأول، و ذلک لأن هذا العلم و الخلق من اختصاص اللّه سبحانه و تعالی و من دلائل قدرته، فهو القائل: ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَ ما کُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّینَ عَضُداً [الکهف: ۵۱]. و لکن ما نستطیع أن نتعرف علیه هو المادة التی خلق منها سیدنا آدم علیه السّلام؛ صفاتها، و مستلزماتها لکی تصبح مادة حیّة- أی مادة مکوّنة من خلایا- مهیّئة لتقبّل الروح بإذن من رب العالمین وفق السنن الکونیة التی وضعها اللّه عزّ و جلّ. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۷ و لا بد من رکیزة لهذه المعرفة، و هذه الرکیزة لا بد من أن تتلقّی من رب العالمین؛ فهو الخالق، و هو الأعلم بالمخلوقات التی خلقها، فهو القائل: أَ لا یَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ اللَّطِیفُ الْخَبِیرُ [الملک: ۱۴]. هذه الرکیزة هی آیات اللّه سبحانه و تعالی فی کتابه الکریم و التی ذکرناها سابقا. من هذه الآیات تتوضح لنا عدة أمور: أولا: أن من عناصر المادة التی خلق منها سیدنا آدم علیه السّلام: الماء، کما فی قول اللّه سبحانه و تعالی: وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ کُلَّ شَیْءٍ حَیٍّ أَ فَلا یُؤْمِنُونَ [الأنبیاء: ۳۰] و کما فی قول رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «کل شیء خلق من ماء» [أخرجه أحمد ح ۱۲]. ثانیا: أن العنصر الثانی الذی کوّنت منه هذه المادة هو: التراب کما فی قول اللّه سبحانه و تعالی: فَإِنَّا خَلَقْناکُمْ مِنْ تُرابٍ ... [الحج: ۵] و فی قول الرسول- علیه الصلاة و السلام-: «إن اللّه خلق آدم من قبضة قبضها من جمیع الأرض ...» [أخرجه الترمذی ح ۶۴]. فإذا اجتمع التراب و الماء أصبحا طینا، و هذا ما أکده اللّه تعالی فی قوله: وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسانِ مِنْ طِینٍ ... [السجدة: ۷] و کان هذا الطین رخوا لزجا، کما قال اللّه سبحانه و تعالی: إِنَّا خَلَقْناهُمْ مِنْ طِینٍ لازِبٍ [الصافات: ۱۱]. قال الطبری: «و إنما وصفه باللزوب لأنه تراب مخلوط بماء» «۱». و من صفات هذا الطین أنه أسود، أو أن صفاته تتغیر إلی أن یصبح الطین مائلا إلی السواد، کما فی قوله تعالی: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ [الحجر: ۲۶]، جاء فی تاج العروس: «حمأ: الحمأة بفتح فسکون: الطین الأسود المتغیر» «۲»، و قال القرطبی: « (الحمأ): الطین الأسود ... و (المسنون): المتغیر» «۳». (۱) صفوة التفاسیر لمحمد علی الصابونی- تفسیر سورة الصافات- (ج ۳/ ص ۲۹). (۲) تاج العروس- مادة حمأ- (ج ۱/ ص ۱۴۰). (۳) تفسیر القرطبی- (ج ۱۰/ ص ۲۱)، و جاء فی تفسیر الألوسی- (ج ۳/ ص ۲۱) للآیة: أَوْ کَالَّذِی مَرَّ عَلی قَرْیَةٍ وَ هِیَ خاوِیَةٌ عَلی عُرُوشِها قالَ أَنَّی یُحْیِی هذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها [البقرة: ۲۵۹]. «لَمْ یَتَسَنَّهْ أی لم یتغیر فی هذه المدة المتطاولة، و قیل: أصله لم یتسن و منه- الحمأ المسنون- أی الطین المتغیر و متی اجتمع ثلاثة حروف متجانسة یقلب أحدها حرف علة کما قالوا فی تظنّنت: تظننت و فی تقضّضت: تقضیت». و جاء فی تفسیر أبی السعود- (ج ۵/ ص ۲۳۹): «وَجَدَها أی الشمس تَغْرُبُ فِی عَیْنٍ حَمِئَةٍ [الکهف: ۸۶] أی ذات حمأة و هی الطین الأسود، من حمئت البئر إذا کثرت حمأتها ..». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۸ و من صفات هذا الطین أیضا أنه منتن. عن ابن عباس و مجاهد: أن الحمأ المسنون هو المنتن «۱». جاء فی لسان العرب: «و المسنون: المنتن» «۲». و من صفات هذه المادة أنها لیّنة بحیث نستطیع أن نصقلها صقلا، و أن نلمسها بسهولة لکی نصوّرها. جاء فی لسان العرب: «المسنون: المصقول من سننته بالمسنّ سنّا، إذا مرّرته علی المسن، ... و المسنون المصور و قد سننته أسنّه إذا صوّرته، المسنون الممسلس ... و سنّ علیه الماء صبه و قیل أرسله إرسالا لیّنا، ... و السنّ الصب فی سهولة» «۳». و الآن بعد أن سردنا عناصر هذه المادة و صفاتها، نأتی إلی الحدیث عن شروط عملیة التکوین هذه التی وضعها سبحانه و تعالی. نستخلص أول شرط من الآیة الکریمة التالیة: خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ کَالْفَخّارِ [الرحمن: ۱۴]، أی خلق أباکم آدم من طین یابس یسمع له صلصلة، أی: صوت «۴». فإذا کان التراب معجونا بالماء کما أسلفنا القول فکیف یذکر الآن أنه یابس؟. الجواب هو أن هذا الطین تعرض للحرارة حتی جف، و الدلیل علی ذلک قوله تعالی: مِنْ صَلْصالٍ کَالْفَخّارِ، فالفخار یستلزم حرارة عالیة لیصبح علی ما هو علیه «۵». (۱) تفسیر ابن کثیر- تفسیر سورة الحجر- (ج ۲/ ص ۵۵۰). (۲) لسان العرب لابن منظور- مادة «سنن»- (ج ۶/ ص ۴۰۱). (۳) لسان العرب لابن منظور- مادة «سنن»- (ج ۶/ ص ۳۹۵). (۴) صفوة التفاسیر- تفسیر سورة الرحمن- (ج ۳/ ص ۲۹۵). (۵) و مما یشیر إلی أن الطین تعرّض لحرارة عالیة هو ما جاء فی تفسیر أبی السعود- (ج ۵/ ص ۲۳۹): «وَجَدَها أی الشمس، تَغْرُبُ فِی عَیْنٍ حَمِئَةٍ أی ذات حمأة، و هی الطین الأسود من حمئت البئر إذا کثرت حمأتها، و قرئ حامیة أی حارّة. روی أن معاویة قرأ (حامیة) و عنده ابن عباس رضی اللّه عنهما فقال: (حمئة)، فقال معاویة لعبد اللّه بن عمرو بن العاص: کیف تقرأ؟ قال: کما یقرأ أمیر المؤمنین، ثم وجه إلی کعب الأحبار: کیف تجد الشمس تغرب؟ قال: فی ماء و طین. و روی فی تأط فوافق قول ابن عباس رضی اللّه عنهما، و لیس بینهما منافاة قطعیة لجواز کون العین جامعة بین الوصفین». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۹ أما الشرط الثانی فیتجلی لنا من الآیة: وَ اللَّهُ أَنْبَتَکُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً [نوح: ۱۷] «۱»، قال بعض المفسرین فی تفسیر هذه الآیة: «و أنشأکم من الأرض کما یخرج النبات» «۲»: أی أنبتکم من الأرض بالطریقة التی اتّبعت لإنبات النبات، و بالتالی فإن الطریقة المرموز إلیها هی عملیة التمثیل الضوئی (SISEHTNYSOTOHP التمثیل الضوئی) و اللّه تعالی أعلم، و ذلک أن النبات یعتمد خلال نموّه علی عملیة التمثیل الضوئی بحیث یحول بواسطتها مادة (ثانی أوکسید الکربون ۲ OC) و مادة الماء إلی (مواد عضویة SDNUOPMOC CINAGRO) (کمادة النشاء HCRATS) و مادة الأوکسیجین من خلال مادة لونها أخضر (فی الغالب) تسمی (کلوروبلاست TSALPOROLHC) موجودة داخل خلایا نسیج النبات الأخضر مستعینا بالطاقة الشمسیة التی یلتقطها لاقط للضوء لونه أخضر هو الآخر یسمی (الکلوروفیل LLYHPOROLHC) موجود بدوره داخل مادة الکلوروبلاست «۳». و الحاصل أن الکلوروفیل یلتقط الطاقة الشمسیة و یستعملها لکسر ذرات الماء فی النبات إلی أوکسیجین و هایدروجین، فأما الأوکسیجین فیطلقه النبات فی الهواء و أما الهایدروجین فیستعمل لتحویل ثانی أوکسید الکربون الموجود فی الهواء إلی نشاء و سکر نباتی «۴». و بالتالی فإن الکلوروفیل یعتبر المولّد للطاقة، و السبب الأول لحصول عملیة التمثیل الضوئی و لإیجاد المواد العضویة، (۱) من المهم أن ننوّه إلی أن هذا البحث عامة، و الشرط الثانی خاصة غیر قطعی، لأننا نعتمد علی دلالات الآیات القرآنیة و الحدیثیة، و لیس هناک علم کونی یقینی یثبت ما أشرنا إلیه، فنحن لم نشاهد خلق سیدنا آدم علیه السّلام، و بالتالی لا نستطیع أن نجزم بالتفسیر المشار إلیه أعلاه، غیر أننا نرجحه لأن الأدلة تعضد بعضها بعضا، و لا تعارضها المعطیات العلمیة. (۲) صفوة التفاسیر- تفسیر سورة نوح- (ج ۳ ص ۴۵۳). (۳) AIDEPOLCYCNE AIDEMITLUM REILLORG/ SECNEICS/ SECNEICS EFIL/ YGOLOISYHP DNA ERUTCURTS TNALP/ YNATOB/ SISEHTNYSOTOHP LLYHPOROLHC. (۴) قد یعترض بعض القرّاء أن الإنسان- فی عصرنا و العصور التی مضت- لم یکن لدیه أجهزة نمو النبات مثل الکلوروفیل و الکلوروبلاست- و بالتالی فإن نظریة خلق المادة الحیّة للإنسان- الخلایا- بواسطة التمثیل الضوئی باطلة. غیر أنه نود التذکیر أن عدم وجود هذه الأجهزة لدی الإنسان الحالی لا تنفی ابتداء الخلق باستعمال عملیة التمثیل الضوئی و ذلک أنه لا یشترط أن یحتفظ الإنسان بهذه الأجهزة بعد أن یستغنی عنها، فقد تتغیر طبیعة المادة التی تخلقت بواسطة هذه الأجهزة بعد الفراغ منها دون أن تتغیر صورة الإنسان الخارجیة، و ذلک أن اللّه تعالی- کما نعلم- قد خلق آدم علیه السّلام علی صورته وفقا للحدیث: «خلق اللّه آدم علی صورته طوله ستّون ذراعا» [أخرجه البخاری ح ۱۰۷]، أی أنه خلقه علی صورته التی وجد علیها دون أن یتنقل فی أطوار تمسّ صورته، بل توثّر علی مادته؛ فلا خلاف لدی العلماء أن مادّة سیدنا آدم علیه السّلام مرّت بعدّة أحوال إلی أن صارت علی ما هی علیه، و بالتالی فقدت ترکیبتها الأولی. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۰ و الکلوروبلاست السبب الثانی و العملی لتصنیع البروتین النباتی، و کلاهما أخضر (ما عدا عددا قلیلا- من أنواع الکلوروبلاست). و الدلیل علی أن الآیة وَ اللَّهُ أَنْبَتَکُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً [نوح: ۱۷] تشیر إلی عملیة التمثیل الضوئی هی الآیة: وَ هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ نَباتَ کُلِّ شَیْءٍ فَأَخْرَجْنا مِنْهُ خَضِیراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَراکِباً [الأنعام: ۹۹]. فهذه الآیة تتکلم عن نمو النبات علی وجه عام، و قد أشارت إلی المادة الخضراء (من خلال إیراد کلمة «خضراء») التی ینتج منها النبات. و الهاء التی جاءت فی الجملة: خَضِیراً نُخْرِجُ مِنْهُ تعود لکلمة «خضراء» و ذلک أن الضمیر فی اللغة العربیة یعود لأقرب مذکور له «۱»، و وظیفة کلمة «من» التی جاءت فی اللفظ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ هی ابتداء الغایة «۲»، و بالتالی فإن معنی الآیة علی النحو التالی: وَ هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ نَباتَ کُلِّ شَیْءٍ فَأَخْرَجْنا مِنْهُ خَضِیراً نُخْرِجُ مِنْهُ حبا متراکبا ...»، و کما رأینا سالفا فإن المواد العضویة تتخلق بدءا من المواد الخضراء: الکلوروفیل و الکلوروبلاست من خلال عملیة التمثیل الضوئی، (و بالتالی فإن عملیة الإنبات

التی وردت فی الآیة رقم ۱۷ من سورة نوح ترتکز علی عملیة التمثیل الضوئی التی تحصل فی «المادة الخضراء» التی ذکرتها آیة رقم ۹۹ من سورة الأنعام) کما أتیته العلم الحدیث و کما أشارت إلیه الآیات القرآنیة. و الإشارة إلی هذه المادة هو إعجاز بحد ذاته، لأن هذه المادة الخضراء غیر مرئیة، حیث إن حجمها یتراوح بین أربعة إلی ستة میکرون طولا. (و المیکرون هو واحد علی الألف من المیلیمتر)، و واحد إلی اثنین میکرون عرضا، و لم یکتشفها العلماء إلا فی القرن التاسع عشر علی ید العالمین (هیوغو فون موهل LHOM NOV OGUH) و (جولیوس فان ساش SHCAS NOV SUILUJ)، أی بعد حوالی ألف و مائة سنة تقریبا!!! نستنتج إذا أن تکوین و خلق سیدنا آدم علیه التراب لام استلزم التالی: ۱- الماء. ۲- التراب.

- کذلک لا یشترط أن یکون لدی الإنسان أجهزة شبیهة بأجهزة النباتات ذلک أنه قد تکون عملیة التمثیل الضوئی قد حصلت بأجهزة أخری و أدّت إلی نتائج مختلفة عن تلک التی حصلت و تحصل للنباتات، غیر أن کیفیة و آلیة التخلق کاستعمال الطاقة الشمسیة لکسر و ترکیب ذرات المادة التی تخلق منها سیدنا آدم علیه السّلام اتّبعت خلال تخلقها، و الله تعالی أعلم و أجلّ و أکرم. (۱) راجع الحاشیة رقم ۳، ص ۱۳۷ فی مبحث «اختلاط عروق النطفة». (۲) راجع مبحث «النطفة/ النطفة». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۶۱- کون الطین رخوا لزجا فی بادئ الأمر. ۴- کون الطین قریبا إلی السواد. ۵- کون الطین منتنا. ۶- خضوع الطین للحرارة العالیة. ۷- کون الطین لیّنا صالحا للصقل، و للتصویر. ۸- عملیة (التمثیل الضوئی) فی عملیة تخلّق المادة الحیّة أو الخلایا. قبل بدء البحث فی الشروط التی استخلصناها من الآیات و الأحادیث الشریفة التی أسلفنا ذکرها نود أن نلفت نظر القارئ إلی أن الإنسان یتغذی و یتکون من خلاصات الطعام، و الطعام إما أن یکون من مصدر نباتی أو من مصدر حیوانی، و المصدر الحیوانی یتغذی و یتکوّن علی المصدر النباتی، و النبات ینبت من الأرض، و بالتالی فإن سلالته من طین. لنر الآن ما ذا یقول العلم الحیوی فی صدد الشروط التی ذکرناها سابقا: یفید العالم فی (علم النبیوECNEICS YGOLOCE) (و هو علم الأحیاء الذی یدرس العلاقات بین الکائنات الحیة و بیئتها) (دایفد أتامیورو HGUOROBNETTA DIVAD)؛ «إنه مما لا شک فیه أن أساس ترکیبات البروتینات مثل (الحامض الأمینی DICA ONIMA) و (الحامض النووی DICA CIELCUN) و السکریات و غیرها قد تکونت فی البحار فی بادئ التاریخ» «۱» معتمدا علی بعض التجارب المخبریة التی أجریت عام ۱۹۵۰ م. و هذا ما یؤکد أن کل شیء حی خلق من الماء مصداقا لقوله تعالی: وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ کُلَّ شَیْءٍ حَیٍّ [الأنبیاء: ۳۰] و ذلک لأن تلک الذرات (أی الحامض الأمینی و غیره) هی أساس ترکیبات الکائنات الحیّة. و یفید عالم النبیو دایفد أتامیورو أیضا أن أبسط صور للکائنات الحیة مثل البکتیریا، و (الطحالب الزرقاء و الخضراء EAGLA NEERG-EULB)، و (البروتوزوا AOZOTORP) الآحادیة الخلیة تعیش فی الماء و تحتاج لعملیة (التمثیل الضوئی) لکی تبقی علی قید الحیاة. (انظر الصورتین رقم: ۱۴- ۱۵)، و هذا ما یؤکد أن الخلایا أو المادة الحیّة تعتمد علی العملیة التی تمتاز بها النباتات خلال تکاثرها، و هکذا نفهم لما قال اللّه تعالی: وَ اللَّهُ أَنْبَتَکُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً [نوح: ۱۷].

(۱) (کتاب الحیاة علی الأرض، دایفد أتامیورو HGUOROBNETTA DIVAD, HTRAE NO EFIL)، ص ۱۹- ۲۲. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۲ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۳ و بما أنه کان من المتعذر علینا مشاهدة حادثة خلق أبینا آدم علیه السّلام، فالطریقة الوحیدة التی تتیح لنا أن نتحقق عملیا من النقاط التی أوردناها أعلاه هی إیجاد وسط اصطناعی مخبری یخضع للشروط التی أسلفنا ذکرها، أو النظر إلی وسط طبیعی یمتاز بهذه الشروط لنری مدی تشابه حصیلة اجتماع تلک المستلزمات بالشروط المرموز إلیها فی القرآن الکریم. و بما أنه من المتعذر علینا فی عصرنا هذا صناعة خلایا معقدة فی وسط مخبری یتصف بالشروط التی أتینا علی ذکرها، فقد اخترنا النظر عن کثب إلی وسط طبیعی یتصف إلی حد ما بالشروط التی ذکرناها آنفا، من غیر أن نحدد أو نجزم بالمکان الذی خلق فیه الانسان الأول. یشیر العالم دایفد أتامیورو «۱» إلی منطقة تقع فی الولایات المتحدة تسمی: منطقة (یالوستون ENOTSWOLLEY) فی ولایة (وایومینغ GNIMMOYW)، یقول: إن هناک الکثیر من البکتیریا التی تولد فی هذه المنطقة البرکانیة ذات الصخور المائعة- أی الطین- (انظر الصورة رقم: ۱۶)، و من هنا نفهم لما ذا قال اللّه سبحانه و تعالی: إِنَّا خَلَقْناهُمْ مِنْ طِینٍ لازِبٍ [الصافات: ۱۱]. و یتفجر من هذه الصخور الماء مصداقا لقول اللّه تعالی: وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ کُلَّ شَیْءٍ حَیٍّ (الأنبیاء: ۳۰)، و هذه المیاه ذات حرارة عالیة لأنها تنبع وسط أرض برکانیة، مما یطابق المعطیات القرآنیة فی قوله تعالی: خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ کَالْفَخَّارِ [الرحمن: ۱۴]، و من هذه الصخور تفوح رائحة البیض المعفن الناتجة من رائحة الهیدروجین الکبریتی (الذی یتولد من تفاعل الکبریت المعدنی مع المیاه الجوفیة) و التی تعتمد علیه تلک الکائنات الحیة فی غذائها و تکاثرها، و هذه الصخور لینة بحیث إن لها القابلیة علی أن تنصقل و تملّس «فأکثر أنواع الکبریتید لینة» «۲»، و تلک الصفات تحدّث عنها القرآن فی الآیة: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ [الحجر: ۲۶]، أی من طین منتن کما فسره ابن عباس رضی اللّه عنهما و مجاهد رحمه اللّه، و هذا الطین له القابلیة علی أن ینصقل بسهولة کما جاء فی لسان العرب: «المسنون: المصقول ... المسنون: المملّس ... و سنّ علیه الماء: صبه، و قیل: أرسله إرسالا لینا، و السن (AIDEPOLCYCNE AIDEMITLUM REILORG, ۵۹۹۱: ۱)

کتاب الحیاة علی الأرض، دایفد أتامیورو، ص ۲۰. (۲) (باب الکبریت المعدنی SLARENIM SEDIFLUS)، إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۴ (۱۶) (SC)- تتوالد البکتیریا فی منطقة (یالوستون enotswolleY) فی أمریکا و هی منطقة برکانیة ذات حرارة عالیة. الصب فی سهولة» «۱». و هذه الصخور تمیل إلی السواد لأنها من مشتقات الکبریت المعدنی مما یفسر قول اللّه تعالی: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ ... [الحجر: ۲۶]، أی من الطین المتغیر إلی السواد، «فالکبریتیة یأتی فی عدة ألوان حسب صفاته من الشوائب، و لکن الصفرة و السواد المعدنی و السخامی (أی القاتم) یغلب علیه» «۲».

(۱) لسان العرب لابن منظور- مادة «سنن»- (ج ۶/ ص ۳۹۸ - ۳۹۹ - ۴۰۱). (۲) AIDEPOLCYCNE AIDEMITLUM, REILORG, ۵۹۹۱ (باب الکبریت المعدنی SLARENIM SEDIFLUS). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۵ یقول الدکتور محمد علی البار «۱»: «و یقول العلم الحدیث إن نشأة الحیاة کانت من الطین الآسن .. طین المستنقعات التی تتصاعد منه الغازات الکریهة الرائحة .. و هی غاز (المیثان ENAHTEM) و (غاز کبریتور الهیدروجین H ۲ S)، و غاز النشادر (الأمونیا AINOMMA) و ترى صورة ضخمة فی قاعة المتحف الطبیعی بلندن تصور کیف تجمعت هذه الغازات المنتنة من الحمأ المسنون لتکوّن الأحماض الأمینیة ثم کیف تطورت هذه لتکوّن البروتینات و أعمها الحامض النووی الذی به سر الحیاة». و من هذه النقاط نری توافق المعطیات العلمیة مع المعطیات الدینیة علی النقاط السبع المنطویة فی الآیات القرآنیة ألا و هی: الماء، التراب، أن یکون الطین مائعا، أن یکون التراب قریبا إلی السواد، أن یکون التراب منتنا، أن یخضع التراب للحرارة العالیة، و أن تستعمل عملیة التمثیل الضوئی فی عملیة تکاثر الخلایا (۱) کتاب خلق الإنسان بین الطب و القرآن، د. محمد علی البار، ص ۱۷. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۶

تعریف الأطوار

تعریف الأطوار * قال عزّ و جلّ: ما لَکُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً (۱۳) وَ قَدْ خَلَقَکُمْ أَطْواراً (۱۴) [نوح: ۱۳- ۱۴]. * قال العلیم الحکیم: یَخْلُقُکُمْ فِی بُطُونِ أُمَّهاتِکُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ ... [الزمر: ۶]. إن التخلق الإنسانی معقد للغایة؛ و ذلک لأن ترکیة الإنسان البیولوجیة و صورته تختلف و تتغیر مع مرور الوقت، لذلک إذا أراد الإنسان أن یفهم تطور الجنین فی رحم أمه، فإن أفضل طریقة لذلک هو أن یقسم تطور الجنین إلی عدة مراحل محددة بأوقات زمنیة، و لها ممیزات خاصة تدل علی ما یطرأ علیها من تغییرات علی الجنین. و الطّور لغة: هو الحال أو الهیئة «۱». و من هذا التفسیر نفهم أن الآیة السابقة تعنی: ما لَکُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً (- أی عظمة و جلالا- و قد خلقکم علی هیئات). و بما أن لفظ طور أتی فی صیغة الجمع فقد دلّ ذلک علی أن الهیئات مختلفة. یؤکد هذا المفهوم الآیة الثانیة فی قوله تعالی: یَخْلُقُکُمْ فِی بُطُونِ أُمَّهاتِکُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ ... [الزمر: ۶]، فعبارة «خلقا من بعد خلق» تنص علی أن خلقا جدیدا یضاف إلی خلق آخر قد تم من قبل، أو بعبارة أخری إلی طور جدید قد حدث. و لمزید من التفسیر نورد ما جاء فی تفسیر الألوسی: «و صیغة المضارع للدلالة علی التدرج و التجدد، و قوله تعالی: خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ مصدر مؤکد إن تعلق من بعد بالفعل، و إلا فغیر مؤکد، أی: یخلقکم فیها خلقا مدرجا حیوانا سویا، من بعد عظام مکسوّنا لحما، من بعد عظام عاریة، من بعد مضغة غیر مخلقة، من بعد علقة، من بعد نطفة، فقوله سبحانه: خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ لمجرد التکریر کما یقال مرة بعد مرة لا أنه مخصوص بخلقین ..» «۲». و بالفعل سوف یتیقن القارئ عبر قراءته للکتاب أن الجنین یمر بمراحل مختلفة.

(۱) المعجم الوسیط- مادة «طار»- (ج ۲/ ص ۵۶۹). (۲) تفسیر الألوسی- (ج ۲۳/ ص ۲۴۱). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۷ و لقد فهم بعض فقهاء الصحابة رضوان اللّه علیهم المفسرین للقرآن معنی هذه الآیات: جاء فی تفسیر القرطبی تفسیرا لکلمة «أطوارا» «۱»: «قال ابن عباس: أطوارا یعنی نطفة ثم علقة ثم مضغة» و هو یشیر بذلک- کما سنراه لا حقا- إلی مراحل تخلق الجنین التی وردت فی الآیة الکریمة: ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَکَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِینَ [المؤمنون: ۱۴]. و ورد فی تفسیر القرطبی تعلیقا علی عبارة خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ «۲»: «قال قتادة و السدی: نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما ثم لحما». و تجدر الإشارة هنا إلی أن أول من اکتشف أن تطور الجنین یمر فی مراحل هو (أرسطو ELTOTSIRA) فی القرن الرابع ق. م، من خلال أبحاثه علی الدجاج. غیر أن هذه الأبحاث لم تکن هامة لسببین: الأول: أنه لم یعط تفاصیل عنها. و الثانی: أن المراحل الابتدائیة للدجاج لا تنطبق علی المراحل الأولی للتخلق البشری. و ظل بعدها العلم المختص بتقسیم تخلق الجنین إلی أطوار ضعیفة للغایة حتی القرن العشرین. و فی أواسط القرن السابع عشر اکتشف المجهر، و قد أدی هذا التطور إلی اکتشاف الحیوان المنوی، و اعتقد العلماء فی ذلک الحین أن کل حیوان منوی یحمل کائنا بشریا فی داخله، (کما أشرنا إلیه سابقا فی مبحث «ثقافة العالم القدیم و الحدیث فی علم الأجنة»). و فی عام ۱۶۷۵ م ظن العالم مالیجی- الذی یعتبر أبا لعلم الأجنّة الحدیث- أن بیضة الدجاج غیر المخصّبة تتضمن شکلا مصغرا لدجاجة، علی إثر دراسته لبیضة دجاجة غیر ملقحة. إن الصورة التی کانت سائدة لدی سائر العلماء هی أن الحیوان المنوی أو البویضة یحمل کائنا بشریا دقیق الحجم و أن التخلق الإنسانی لیس إلا زیادة فی الحجم لصورة واحدة تتسع أبعادها مع مرور

الوقت (کما أشرنا إلیه سابقا فی مبحث: «ثقافة العالم القدیم و الحدیث فی علم الأجنة»)، غافلین عن أن تخلق الجنین یمر بمراحل مختلفة، و لم ینته الجدل بین العلماء إلا عام ۱۷۷۵ م عند ما أثبت (سبالانزانی INAZNALLAPS) أهمیة کل من الحیوان و البویضة فی عملیة التخلق (_____ ۱) تفسیر القرطبی- (ج ۱۸/ ص ۳۰۳). (۲) تفسیر القرطبی- (ج ۱۵/ ص ۲۳۶). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۸ و کانت هذه الحادثة انطلاقة جدیدة لمفاهیم تخلق الأغشیة الجنینیة التی وضع أسسها (فون بایر REAB NOV) عام ۱۸۲۷ م مشیرا إلی مراحل تطور الجنین، بید أن أول محاولة لوصف مراحل تخلق الجنین ظهرت عام ۱۹۱۴ م علی ید (مول LOOM) و من ثم ابتدأ وصف المراحل الجنینیة یتطور علی أیدی العلماء إلی یومنا هذا أمثال (ستریتر RETEERTS) و (أورایلی YLLIERO) و غیرهما. و یرمز علماء الأجنّة الیوم إلی مراحل تخلّق الجنین بواسطة أرقام عدیدة تجعل تصنیف المراحل معقّدا للغایة. لقد ذکر القرآن الکریم و السنّة المطهرة منذ أربعة عشر قرنا الحقیقة العلمیة و هی أن التخلق البشری یتم علی مراحل، و لم تکن هذه الحقیقة معروفة للعلماء غیر المسلمین حتی منتصف القرن التاسع عشر، و بذلک یکون سید البشریة، معلم الخلائق- علیه الصلاة و السلام- السبّاق فی هذا المجال بما أوحی اللّه إلیه. و ستتناول فی هذا الکتاب کل مرحلة علی حدة فی مقاطع وضعناها وفق ترتیب حصولها. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۹

المنهجیة المتبعة فی وصف الأطوار الجنینیة

المنهجیة المتبعة فی وصف الأطوار الجنینیة لقد وضع العلماء فی بدایة محاولاتهم لوصف تخلق الجنین حرفا أبجدیا لوصف کل مرحلة من المراحل التی یمر بها الجنین، ثم غیرت الحروف إلی أرقام، إلا أن هذه الحروف و الأرقام لم تحمل مفهوما وصفیا ممیزا لمرحلة دون أخری. و من ثم حاول العلماء وضع تسمیات مناسبة لکل مرحلة، غیر أنهم ما زالوا یجدون صعوبة فی اختیار تسمیات مناسبة لوصف الملامح الأساسیة لکل مرحلة. و التسمیات المستعملة حالیا لوصف هذه المراحل لا تبرز الصفات الممیزة للجنین فی کل مرحلة، و قد یستعمل الترقیم التعددی لذلک، دون إشارة إلی أی وصف. من هذا المنطلق ینبغی استعمال مصطلحات متطورة أکثر من التی استعملت من قبل العلماء تبرز صفات الجنین، و یجب أن یکون هناک توافق تام بین التسمیة و بین طبیعة التطور و الأحوال التی یمر بها الجنین فی هذه المرحلة، و لکی نتجنب الالتباس بین مرحلة و أخری یجب أن یکون المصطلح واصفا للمظهر، و أن یعکس العملیات التی تحدث فی کل طور و أن یحدد بدایة و نهایة واضحة لکل مرحلة. لذلک کانت المصطلحات الواردة فی القرآن و السنة تتمیز بالبساطة و الشمولیة، کما أنها تتصف بالإیجاز و کثافة المعلومات التی تلقیها علی المستمع، إضافة إلی انسجامها مع علم الأجنّة الحالی، و هی مع ذلک معبرة عن التغیرات الداخلیة التی تطرأ علی الجنین، و عن الأوصاف الخارجیة معا. أما البساطة فهی مشار إلیها فی الآیة التالیة: وَ لَقَدْ یَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّکْرِ [القمر: ۱۷]، و التیسیر هو جعل المعنی بسیطا قریبا إلی أذهان مختلف طبقات الناس. و أما الشمولیة و غزارة المعلومات مع الإیجاز و کثرة المعانی فی التعبیر فقد أشار إلیها الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم بقوله: «بعثت بجوامع الکلم» [أخرجه البخاری ح ۱۳]، و جوامع الکلم هو جمع أکثر من معنی فی کلمة واحدة. ورد فی «فتح الباری بشرح صحیح البخاری» «۱»: «و جوامع الکلم: القرآن فإنه _____ ۱) فتح الباری بشرح صحیح البخاری- کتاب الجهاد- باب قول النبی صلّی اللّه علیه و سلّم: نصرت بالرعب مسیرة شهر- رقم الحدیث ۲۹۷۷- (ج ۶/ ص ۱۲۸)، و انظر تحفة الأحوذی بشرح جامع الترمذی للمبارکفوری- کتاب السیر- باب ما جاء فی الغنیمة- رقم ۱۵۵۳- (ج ۵/ ص ۱۱۹). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۷۰ تقع فیه المعانی الکثیرة بالألفاظ القلیلة، و کذلک یقع فی الأحادیث النبویة الکثیر من ذلک». و جاء فی صحیح مسلم بشرح النووی «۱»: «أعطیت جوامع الکلم» و فی الروایة الأخری (بعثت بجوامع الکلم) قال الهروی: یعنی به القرآن، جمع اللّه تعالی فی الألفاظ الیسیرة منه المعانی الکثیرة، و کلامه صلّی اللّه علیه و سلّم کان بالجوامع قلیل اللفظ کثیر المعانی». و کذلک قیل فی شرح سنن النسائی للسیوطی و السندی «۲». و ورد فی عون المعبود شرح سنن أبی داود «۳»: « (یستحب الجوامع من الدعاء): أی الجامعة لخیر الدنیا و الآخرة، و هی ما کان لفظه قلیلا، و معناه کثیرا». و أفضل ما یقال فی هذا المجال- بعد کلام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم-: اللفظ قائم، و المعانی مختلفة، تدور حوله. نستنتج من التعلیقات التی وردت فی کتب شروح الحدیث و التی سردناها آنفا أن کلام الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم یحتوی علی الکثیر و العدید من المعانی، و هذه القاعدة تطبّق أیضا علی کلام اللّه تعالی. و هذا المنهج یفتح الباب علی مصراعیه لوصف مراحل تطور الجنین و إلقاء الضوء علی التغیرات و العملیات التی تطرأ علیه من عدة أوجه بعبارات وجیزة، و هکذا فإن المنهجیة فی وصف الأطوار الجنینیة تقتضی البحث عن معانی کلام اللّه تعالی، و کلام رسوله صلّی اللّه علیه و سلّم فی الآیات القرآنیة و الأحادیث الشریفة، و تخریج الأوجه الخفیة منها بشرط أن لا تتعارض فیما بینها، و أن تکون منضبطة ضمن قواعد اللغة العربیة، و أن تتفق مع العلم الدینی و الدنیوی. و نحن نقترح- خدمة للإنسانیة جمعاء علی وجه العموم، و للطب علی وجه الخصوص- «قرآنة» المصطلحات التی تشیر إلی مختلف المراحل الجنینیة لأن کلمات القرآن الکریم، و الحدیث الشریف شاملة و أیسر من التی وضعها علماء الأجنّة (و انظر فی آخر الکتاب جدول «قرآنة مصطلحات المراحل الجنینیة (_____»). ۱) صحیح مسلم بشرح النووی- کتاب المساجد و مواضع الصلاة- باب ابتناء مسجد النبی صلّی اللّه علیه و سلّم- رقم الحدیث ۶- (ج ۳/ ص ۱۰). (۲) شرح سنن النسائی للسیوطی و حاشیة السندی- کتاب الجهاد- باب وجوب الجهاد- (ج ۶/ ص ۳). (۳) عون المعبود شرح سنن أبی داود لأبی الطیب- کتاب الصلاة- باب الدعاء- رقم الحدیث ۱۴۶۹- (ج ۴/ ص ۳۵۵). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۷۱

الماء و المنی

أ- نبذة علمیة عن إفرازات الرجل و المرأة:

أ- نبذة علمیة عن إفرازات الرجل و المرأة: لکی لا یلتبس الموضوع علی القارئ نرید فی البدایة أن نوضح ما یلی قبل الاستفاضة فی الشرح: للرجل نوعان من السوائل من حیث آلیة الإفراز من العضو التناسلی: أولها: سائل شفاف یسیل من العضو التناسلی للرجل، و لیس له علاقة فی تکوین الجنین، و مهمته تنظیف القناة البولیة عند الرجل قبل خروج سائل ثان (المذکور فیما یلی)، و هذا السائل یخرج عند شهوة الرجل. ثانیها: سائل متدفق یخرج من العضو التناسلی للرجل، و قدر هذا السائل حوالی ثلاثة و نصف من الملللتر و هذا السائل یحتوی علی الحیوانات المنویة التی هی سبب لتخلق الجنین لأنها تلقح بویضة المرأة، و هذا السائل یخرج عند اشتداد شهوة الرجل. و للمرأة نوعان من السوائل من حیث آلیة الإفراز من العضو التناسلی: أولها: سائل لزج یسیل و لا یتدفق و هو ماء المهبل ... و لیس له علاقة فی تکوین الجنین، و مهمته المساعدة فی الإیلاج- أی فی إدخال إحلیل الرجل فی مهبل المرأة-، و فی ترطیب المهبل و تنظیفه من الجراثیم و المیکروبات، و هذا السائل یخرج عند شهوة المرأة. ثانیها: سائل متدفق یخرج من المبیض مع کل بویضة، و قدّر هذا السائل عشرة إلی خمسة عشر ملیلتر، و هذا السائل یحتوی علی البویضة التی هی سبب لتخلق الجنین لأنها تجتمع مع الحیوان المنوی، و هو یخرج مرة کل شهر.

ب- التعریف القرآنی و اللغوی للماء و المنی:

ب- التعریف القرآنی و اللغوی للماء و المنی: المنی: ورد فی لسان العرب «۱»: «منی: المنی بالیاء: القدر». و جاء أیضا فی نفس الکتاب: « (قال) أبو بکر: تمنّیت الشیء أی قدّرته و أحببت أن یصیر إلیّ، من المنی و هو القدر ...». _____ ۱) لسان العرب لابن منظور- مادة «منی»- (ج ۱۳/ ص ۴۰۲). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۷۲ و جاء أیضا: «یقال منی الرجل و أمنی من المنّی بمعنی، و استمنی أی استدعی خروج المنی» «۱». إذا فأصل کلمة منی هو القدر، و المنی سمی منیا لأن الإنسان یقدّر نزوله، و یتمنّی حصول الشهوة بنزوله. و من الجدیر بالذکر أن لفظ «منّی» لفظ خاص، لأنه وضع للسائل الذی یخرج بشهوة الإنسان. و اللفظ الخاص هو اللفظ الموضوع وضعا واحدا لکثیر محصور، أو لواحد سواء أ کان شخصیا، أم نوعیا، أم جنسیا «۲». و بالتالی فدلالته علی معناه دلالة قطعیة، و هذا یعنی أن لفظ «منی» یدل فقط علی المعنی الذی أوردناه سابقا و لا یصرف عن معناه الذی وضع له إلی غیره إلا بدلیل یدل علی ذلک. و هکذا فإن لفظ «منی» لا یصح أن نصرفه إلا للسائل الذی یخرج من خلال شهوة الإنسان. الماء: الماء هو- کما جاء فی القرآن الکریم- السائل الذی یتخلق منه الجنین کما فی الآیة: فَلْیَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ (۵) خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ (۶) یَخْرُجُ مِنْ بَیْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ (۷) [الطارق: ۵- ۷]. و من الجدیر بالذکر أن لفظ «ماء» من أسماء الأجناس التی تدل علی ماهیة الشیء، و هو بالتالی من ألفاظ العموم. و اللفظ العام هو اللفظ الدال علی کثیرین، المستغرق لما یصلح له، بحسب وضع واحد، دفعة واحدة من غیر حصر «۳». _____ ۱) غریب الحدیث- ج ۱/ ص ۶۶۷: «التمنّی: یتصرّف علی ثلاثة أوجه: أحدها أن یقال: تمنّی الرّجل بمعنی قدّر و أحبّ، و هو مأخوذ من المنی و هو القدر. یقال: منی اللّه لک ما تحب منّی، أی قدّر لک. و منه قوله: مِنْ نُطْفَةٍ إِذا تُمْنی [النجم: ۴۶] أی تقدّر». (۲) کتاب أصول الفقه الإسلامی، د. إبراهیم السلقینی، الفصل الخامس: التقسیم الرابع باعتبار وضع اللفظ للمعنی، المبحث الثانی: العام، ص ۲۹۱- ۲۹۳. و اللفظ الخاص الذی أشرنا إلیه هنا هو بالمعنی الاصطلاحی لا بالمعنی الأصولی. (۳) کتاب أصول الفقه الإسلامی، د. إبراهیم السلقینی، الفصل الخامس: التقسیم الرابع باعتبار وضع اللفظ للمعنی، المبحث الثانی: العام، ص ۲۷۹- ۲۸۰. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۷۳ و هذا یعنی أن اسم الجنس إذا عرّف بأل التعریف، فیشمل و یتناول ما وضع له من أفراد مفهومه. و هکذا فإن لفظ «الماء» قد یطلق علی أی نوع من السوائل، سواء أ کانت تسبّب التخلق أم لا، و هو بذلک قد یدل علی المنی أو علی أی سائل آخر فی الرحم.

ج- مطابقة بین المعطیات العلمیة و التعریف القرآنی و اللغوی للماء و المنی «۱»

ج- مطابقة بین المعطیات العلمیة و التعریف القرآنی و اللغوی للماء و المنی «۱»: سائل المبیض: هو السائل الذی یخرج من المبیض و

الذی یحتوی علی البویضة و یتخلق منه الجنین، و لذلک یسمی ماء علی وجه التحدید فی مجال علم الأجنة وفقا لما جاء فی القرآن. إن السائل الذی یخرج من المبیض لا یخرج عند شهوة المرأة، و لکن یخرج فی أوقات محددة فی الشهر، و لذلک فلا یصح أن یسمی منیّا، للدلیل الذی سقناه سابقا فی نص «التعریف القرآنی و اللغوی للماء و المنی». و هکذا، فإن هذا السائل یسمی ماء فقط. سائل المهبل: هو السائل الذی یخرج من المهبل تقدّر المرأة نزوله، و تتمنی حصول الشهوة بنزوله، و لذلک یسمی منیا وفقا للمعنی اللغوی الذی أوردناه سابقا. إن السائل الذی یخرج من المهبل لا یتخلق منه الجنین، غیر أنه فی نهایة الأمر سائل من السوائل، و بالتالی فقد یشار إلیه بالماء علی اللفظ العام، کما أشرنا إلیه سابقا فی نص «التعریف القرآنی و اللغوی للماء و المنی». و هکذا، فإن هذا السائل یسمی منیّا علی اللفظ الخاص، و ماء علی اللفظ العام. سائل الرجل: هو السائل الذی یخرج من إحلیل الرجل یحتوی علی الحیوانات المنویة و یتخلق منه الجنین، و بالتالی یسمی ماء علی وجه التحدید فی مجال علم الأجنة وفقا لما جاء فی القرآن. إن السائل الذی یخرج من إحلیل الرجل یقدّر الرجل نزوله، و یتمنی حصول الشهوة بنزوله، و لذلک یسمی منیا علی وجه التحدید وفقا للمعنی اللغوی الذی أوردناه سابقا (_____ ۱) لمزید من التفصیل عن الماء و المنی نرجو مراجعة مبحث «معجزة الرؤیة الإسلامیة فی علم الوراثة»، قسم «دور النطفة فی تحدید جنس الجنین». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۷۴ و هکذا فإن هذا السائل یسمی منیا و ماء علی وجه التحدید فی الوقت نفسه. أما الماء الذی یسیل من إحلیل الرجل عند شهوته قبل خروج المنی، و الذی لا یحتوی علی الحیوانات المنویة، فلیس له أثر یذکر علی عملیة تخلق الجنین، و لذلک لن نتحدث عنه فی هذا البحث، و نظرا لدقة الألفاظ، سنته الشریعة الإسلامیة المذی للتفریق بینه و بین المنی للحدیث: عن علی رضی اللّه عنه أنّه قال: استحییت أن أسأل النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم عن المذی من أجل فاطمة فأمرت المقداد فسأله فقال: «منه الوضوء» [أخرجه مسلم ح ۱۰۲]. و فی کلمة مختصرة: فإن سائل المهبل یسمّی منیّا فقط، و سائل المبیض یسمّی ماء فقط، و سائل الرجل الذی یخرج عند الجماع یسمّی منیّا أو ماء، و سائل الرجل الذی یخرج عند الشهوة قبل القذف یسمّی مذیا فقط.

د- النقاط الثمانیة حول الماء و المنی:

اشارة

د- النقاط الثمانیة حول الماء و المنی: الآیات و الأحادیث التی جاءت فی هذا المجال هی: * قال سبحانه و تعالی: فَلْیَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ (۵) خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ (۶) یَخْرُجُ مِنْ بَیْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ (۷) [الطارق: ۵- ۷]. * قال اللّه تعالی: وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّیَّتَهُمْ [الأعراف: ۱۷۲]. * قال اللّه تعالی: یا أَیُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّکُمُ الَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَ بَثَّ مِنْهُما رِجالًا کَثِیراً وَ نِساءً ... [النساء: ۱]. * قال اللّه تعالی: یا أَیُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناکُمْ مِنْ ذَکَرٍ وَ أُنْثی ... [الحجرات: ۱۳]. * عن أم سلمة رضی اللّه عنها: جاءت أمّ سلیم إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم فقالت: یا رسول اللّه إن اللّه لا یستحیی من الحق، فهل علی المرأة من غسل إذا هی احتلمت؟ فقال النبی صلّی اللّه علیه و سلّم: «إذا رأت الماء» فغطت أم سلمة- تعنی وجهها- و قالت: أو تحتلم المرأة؟ فقال: «تربت یمینک فبم یشبهها ولدها؟» [أخرجه البخاری ح ۱۴]. * عن ثوبان مولی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم ... قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «ماء الرجل أبیض و ماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا منیّ الرجل منیّ المرأة أذکرا بإذن اللّه و إذا علا منیّ المرأة منیّ الرجل آنثا بإذن اللّه» [أخرجه مسلم ح ۹]. * قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «ماء الرجل غلیظ أبیض و ماء المرأة رقیق أصفر فأیهما سبق کان الشبه» [أخرجه النسائی ح ۶۷]. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۷۵ من خلال الآیات الحکیمة و الأحادیث الشریفة السابقة الذکر یمکن أن نستنتج ثمانیة نقاط: * النقطة الأولی: أن للمرأة منیا کما أن للرجل منیا. * النقطة الثانیة: أن لمنیّ الرجل و منیّ المرأة دورا فی إتمام تسهیل عملیة إذکار أو إیناث الجنین. * النقطة الثالثة: أن کلّا من ماء الرجل و ماء المرأة یشارک فی تخلق و إذکار أو إیناث الجنین. * النقطة الرابعة: أن لماء المرأة و لماء الرجل دورا فی شبه الجنین بأمه أو بأبیه. * النقطة الخامسة: أن هذا الماء متدفق- أی یخرج بقوة و بسرعة مع ضغط-. * النقطة السادسة: أن هذا الماء لیس متدفقا فحسب بل هو دافق- أی یملک قوة دفع ذاتیة-. * النقطة السابعة: أن مکونات هذا الماء تخرج من الظّهر و تحدیدا من مکان موجود ما بین الصلب و الترائب. * النقطة الثامنة: أن ماء المرأة أصفر.

۱- تفسیر النقطة الأولی (أن للمرأة منیا کما للرجل منی):

۱- تفسیر النقطة الأولی (أن للمرأة منیا کما للرجل منی): * الحدیث الأول: عن أمّ سلمة جاءت أمّ سلیم رضی اللّه عنهما إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم فقالت: یا رسول اللّه إن اللّه لا یستحیی من الحق، فهل علی المرأة من غسل إذا هی احتلمت؟ فقال النبی صلّی اللّه علیه و سلّم: «إذا رأت الماء»، فغطّت أم سلمة- تعنی وجهها- و قالت: أو تحتلم المرأة؟ فقال: «تربت یمینک فبم یشبهها ولدها» [أخرجه البخاری ح ۱۴]. * الحدیث الثانی: عن أمّ سلیم رضی اللّه عنها قالت: إنها مجاورة أمّ سلمة رضی اللّه عنها زوج النبی صلّی اللّه علیه و سلّم، فکانت تدخل علیها، فدخل النبی صلّی اللّه علیه و سلّم، فقالت أم سلیم: یا رسول اللّه أ رأیت إذا رأت المرأة أن زوجها یجامعها فی المنام أ تغتسل؟ فقالت أم سلمة: تربت یداک یا أم سلیم فضحت النساء عند رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، فقالت أم سلیم: إن اللّه لا یستحیی من الحق و إنا أن نسأل النبی صلّی اللّه علیه و سلّم عما أشکل علینا خیر من أن نکون منه علی إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۷۶ عمیاء، فقال النبی صلّی اللّه علیه و سلّم لأم سلمة: «بل أنت تربت یداک، نعم یا أم سلیم علیها الغسل إذا وجدت الماء»، فقالت أم سلمة: یا رسول اللّه، و هل للمرأة ماء؟!، فقال النبی صلّی اللّه علیه و سلّم: «فأنی یشبهها ولدها؟ هن شقائق الرجال» [أخرجه أحمد ح ۷۷]. یؤکد الحدیث الأول أن المرأة تحتلم. و الاحتلام فی نظر الصحابیات- رضی اللّه عنهن- هو ورود الشهوة خلال النوم، و الدلیل علی ذلک أن أم سلیم قالت- علی سبیل الإیضاح- بخصوص موضوع الاحتلام، فی الحدیث الثانی: «إذا رأت المرأة أن زوجها یجامعها فی المنام» [أخرجه أحمد ح ۷۷]. و یصاحب الاحتلام فی أغلب الأحیان، خروج ماء عند المرأة (غیر مخاطیة عتق الرّحم). هذا الماء فی نظر الشرع الإسلامی هو المنی. جاء فی فتح الباری شرح صحیح البخاری «۱»: «قوله: إذا رأت الماء: أی المنی بعد الاستیقاظ ...». و کما أشرنا إلیه فی نص «التعریف القرآنی و اللغوی للماء و المنی» الذی أوردناه سابقا «۲»، فلفظ الماء هو لفظ عام، و قد یشیر إلی أیّ سائل یفرزه الرحم، فلا یوجد بذلک تعارض بین دلالة لفظ الماء الظاهر فی الحدیث و بین تفسیر العلماء علی أنه المنی. إن معرفة الصحابیات بالاحتلام لا یعنی أنهن یعلمن أن للمرأة منیّا یخرج عند الاحتلام؛ فأم سلمة رضی اللّه عنها کانت علی شک من أمرها لأنها قالت: «یا رسول اللّه، و هل للمرأة ماء؟!» [أخرجه أحمد ح ۷۷]. هذه الحادثة تدل علی قلّة المعرفة التی کانت سائدة فی أوساط الجزیرة العربیة فی هذا الجانب العلمی- «مجال الإفرازات المهبلیة»- کما أنه إشارة إلی کون الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم معلّما لأمته فی مجال علم الأرحام، مصداقا للحدیث الشریف: «إنما بعثت معلّما» [أخرجه ابن ماجة ح ۷۸]. فجاء الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم، و أکّد أن المرأة تفرز منیا قیاسا علی ما یفرز ولدها من منی، بقوله صلّی اللّه علیه و سلّم: «فأنی یشبهها ولدها، هن شقائق الرجال» [أخرجه أحمد ح ۷۷]. (_____ ۱) فتح الباری شرح صحیح البخاری- کتاب الغسل- باب إذا احتلمت المرأة- رقم الحدیث ۲۸۲- (ج ۱/ ص ۳۸۹). (۲) انظر ص ۷۶. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۷۷ فشبه المرأة بولدها هو أنها تفرز ماء کما یفرز ولدها ماء لأنها من نفس الجنس. جاء فی تحفة الأحوذی بشرح جامع الترمذی عن معنی «الشقائق» «۱»: «قال ابن الأثیر: أی نظائرهم و أمثالهم، کأنهن شققن منهم، و لأن حواء خلقت من آدم علیه السّلام». و جاء فی فتح الباری شرح صحیح البخاری «۲»: (و قد روی أحمد من حدیث أم سلیم رضی اللّه عنها فی هذه القصة أن أم سلمة رضی اللّه عنها قالت: «یا رسول اللّه و هل للمرأة ماء؟!، فقال: هن شقائق الرجال»، و روی عبد الرزاق الصّنعانی فی هذه القصة «إذا رأت إحداکن الماء کما یراه الرجل»، و روی أحمد من حدیث خولة بنت حکیم رضی اللّه عنها فی نحو هذه القصة: «لیس علیها غسل حتی تنزل کما ینزل الرجل). و نود الإشارة هنا إلی أن خروج المنی عند الاحتلام غیر واضح للمرأة، و ذلک لأن هناک سوائل أخری تخرج من رحم المرأة، و لا سیما ما یسمّی بالطّهر (و المخاط عند وقت الإباضة)، غیر أن ما یمیز المنی هو کثرته (و ترکیبه الکیمیائیة)، و لذلک قال الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم: «إذا رأت الماء» [أخرجه البخاری ح ۱۴]، فلا بد أن یخرج هذا السائل بکثرة لیکون بینا و تراه المرأة بعد سیلانه. ورد فی شرح سنن ابن ماجة للمنتدی «۳»: «أثبت أنها یمکن أن تحتلم، إذ خروجه ممکن إذا کثر و أفاض». و هذه نظرة دقیقة للأمور یفتح من اللّه عزّ و جلّ علی رسوله الکریم صلّی اللّه علیه و سلّم. و هکذا أکّد الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم أن للمرأة منیا. و قد ثبت علمیا، أن الطّهر یختلف عن المنی بشیئین: أولا بکمیته، و ثانیا بنسب الترکیز فی عناصر السوائل التی تولّفه. فخلایل الجماع یفرز حائط المهبل (الغشاء المخاطیّ ETADUSNART)، و یحتقن عتق الرحم بالأوردة، و یخرج من الغدد- خصوصا (غدد سکن (_____ ۱) تحفة الأحوذی بشرح جامع الترمذی للمبارکفوری- أبواب الطهارة- باب ما جاء فیمن یستیقظ فیری بللا، و لا یذکر احتلاما- رقم الحدیث ۱۱۳- (ج ۱/ ص ۳۲۶). (۲) فتح الباری شرح صحیح البخاری- کتاب الغسل باب إذا احتلمت المرأة- رقم الحدیث ۲۸۲- (ج ۱/ ص ۳۸۹). (۳) شرح سنن ابن ماجة للسندی، کتاب الطهارة و سننها- أبواب التیمم- باب المرأة تری فی منامها ما یری الرجل- (ج ۱/ ص ۱۰۸). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۷۸ SDNALG ENEKS) و (غدد بارثولین ۱ (SDNALG NILOHTRAB- إفرازات بکمیة کبیرة، و بذلک فإن منی المرأة مکوّن من عدة سوائل علی غرار منی الرجل المکون- هو أیضا- من عدة سوائل و لا سیما إفراز (البریخ SIMYDIDIPE)، و (الحویصلة المنویة ELCISEV LANIMES)، و (غدد البروستاتا- المونة- SDNALG ETATSORP)، و غدد صغیرة تقع حول مجری البول تدعی (غدد کوبر SDNALG REPWOC). التمییز بین ماء المبیض و المنی عند المرأة:* قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «ماء الرجل أبیض و ماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا منیّ الرجل منیّ المرأة أذکرا بإذن اللّه، و إذا علا منی المرأة منیّ الرجل آنثا بإذن اللّه» [أخرجه مسلم ح ۹]. إن هذا الحدیث یحتاج فهمه إلی دقة علمیة و لغویة لکی یفسّر علی الوجه الصحیح؛ فالاکتشافات العلمیة و المفردات التی ینتقیها الرسول- علیه الصلاة و السلام- ثم صیاغة الحدیث، هی التی تضع الأسس الواجب انتهاجها عند البحث عن الحقیقة. و کما أسلفنا القول فإن للمرأة نوعین من السوائل من حیث آلیة الإفراز: - سائل یتدفق من المبیض و یحتوی علی البویضة، و هو السبب فی تخلّق الجنین. - و سائل تفرزه المرأة عند الجماع و

عند الشهوة، و هذا السائل ليس له دور فی تخلّق الجنين. و تختلف وظيفة هذين السائلين، و ذلک تبعا لاختلاف خصائص کل منهما، و اختلاف ترکيبتهما الکيميائية. و لذلک، فقد فرّق الرسول صلّی اللّه عليه و سلّم بين هذين السائلين، فی حديثه الشريف المتعلق بعملية إذکار أو إيناث الجنين. و التفريق يحصل من خلال صياغة الحديث، و انتقاء المفردات الملائمة لکل سائل. و التفريق بين السائلين يتمّ من خلال استعمال کلمتين مختلفتين (ماء) و (منی) (_____ ۱) هذه الغدد تقع فی الجهة الخلفية من الفرج، علی جانبی (الدهليز ELUBITSEV)، و للغدة قناة طولها ۲۵ ملم، تفتح فی الفرج داخل الشفرين الصغيرين. إعجاز القرآن فی ما تخفيه الأرحام، ص: ۷۹ لهما دلالات مختلفة فی حديث واحد، حيث تعود کلمة (ماء) لسائل المبيض، و تعود کلمة (منی) لسائل عنق الرّحم «۱». و التفريق يتمّ من خلال ذکر عمليتی اختلاط متعاقبتين (علا) و (أذکرا) أو (آنثا) لسائلين مختلفين (منی) و (ماء)، و ذلک إن أحسنا فهم الحديث علی أنه لا يشير إلی عملية اختلاط واحدة لسائل واحد (علی عکس ما فهمه الکثير من العلماء)، و إن أصبنا فی إعادة ألف التثنية لکلمة (اجتمعا) و ألفی التثنية لکلمتی (أذکرا) و (آنثا) للفاعلين المناسبين، فکثير من العلماء لم يفرّقوا بين کلمة (ماء) و کلمة (منی)، و اعتبروهما سائلا واحدا، و بالتالی فهموا أن ماء الرجل و ماء المرأة (أو منی الرجل و منی المرأة- حيث لا فرق عندهم بين الکلمتين-) يختلطان، فيعلو الواحد الآخر، فينتج عن ذلک إذکار أو إيناث الجنين. و هذا خطأ لعدّة أسباب: أن ماء المرأة مختلف عن منی المرأة، و لا يختلط ماء المرأة بماء الرجل فی بادئ الأمر، و إنما يختلط فی البداية منی المرأة بمنی الرجل، و من ثمّ يختلط ماء الرجل (بالمعنی الخاص) بماء المرأة، فينتج عن ذلک إذکار أو إيناث الجنين. و تفصيل ذلک فقهيا و علميا: بداية سوف نتحدث عن ألف التثنية لفعل «اجتمعا» الذی ورد فی الحديث الذی أسلفنا ذکره. إن ألف التثنية هذه قد تعود إلی الرجل و المرأة کما قد تعود لماء الرجل و ماء المرأة و قد ورد ذکر کل منهما فی الحديث. إن الماء الذی يخرج من المبيض يتبعثر فی (التجويف البطنی YTIVAC LAENOTIREP)، و ما يصل منه إلی (قناة فالوب EBUT NAIPOLLAF) يختلط بالسائل الذی يغطيها، و بالسوائل الأخری التی تفرزها غدد رحمية موجودة فی الرحم مثل (لين الرحم ۲، KLIM ENIRETU)، و بالتالی ما يخرج من عنق المهبل، فی حال خرج منه، تخف خصائصه و تضعف قبل أن تتفاعل مع منی الرجل و بذلک لا يکون هذا السائل مميّزا عن غيره من السوائل، و هذا يعنی أنه بعيد عن ماء الرجل الذی يقع فی مهبل المرأة، فلا مجال إذا للاختلاط مباشرة به فور جماع الرجل لامرأته (_____ ۱) إن الماء و المنی اللذين نتکلم عنهما فی هذه الحالة يعودان للمرأة، کما سبق بيانه. (۲) کتاب (علم الأجنّة الإنسانی، بويد و موسمان، هاملتون NOTLIMAH, NAMSSOM DNA DYOB, YGOLOYRBME NAMUH)، ص ۸۵ إعجاز القرآن فی ما تخفيه الأرحام، ص: ۸۰ و من هذا الشرح نفهم أن ألف التثنية لفعل «اجتمعا» تعود للرجل و المرأة و ليس لماء الرجل و لماء المرأة و ذلک لأن ماء المبيض و ماء الرجل لا يجتمعان فی بادئ الأمر. هذا المفهوم يؤيده الحديث التالی الذی سنأتی علی تفسيره فی مبحث «اختلاط عروق النطفة» و هو «إذا أراد اللّه تعالی أن يخلق النسمة فجامع الرجل المرأة ...» [رواه الطبرانی ح ۲۱]، ففی هذا الحديث يظهر جليّا أن فعل «جامع» يعود للرجل و المرأة فقط لأنه لا يوجد ذکر لأی من السوائل فيما قبل، و الحديث يفسّر بعضه بعضا. أما الماء الثانی الذی يفرز من قبل المرأة عند الجماع فهذا يفرز من (عنق الرحم XIVREC) و من غدد أخری مثل: (غدد بارثولين) و (غدد سکن) و هو يختلط (أو يجتمع) بماء الرجل فی المهبل فور الجماع کما جاء فی الحديث الشريف أعلاه: «... فعلا منّی الرجل منّی المرأة ...» [أخرجه مسلم ح ۹]. لذا نجد أنفسنا أمام نوعين من السوائل يتحدث عنهما الرسول صلّی اللّه عليه و سلّم، أحدهما يختلط بعضه ببعض أولا بأول، عند الجماع، و يسمی «منيا»، و الثانی لا يختلط بعضه ببعض فی بادئ الأمر، فور الجماع، و يسمی ماء. أما ألف التثنية لفعلی (أذکرا) و (آنثا) فتعود لماء الرجل و ماء المرأة (کما سنراه فی تفسير النقطة الثالثة)، حيث يشترکان معا فی إذکار أو إيناث الجنين، و بالتالی فإن الحديث ينص أن هناک جماع الرجل للمرأة، و من ثمّ علو منی الرجل لمنی المرأة (أو العکس)، و من ثمّ إذکار أو إيناث الجنين من جراء اختلاط ماء الرجل بماء المرأة. و يظهر بالتالی فکّ الإشکال سابقا من أن ألف التثنية فی (اجتمعا) تعود للرجل و المرأة بذاتهما، و ألف التثنية فی (أذکرا، آنثا) تعود إلی مائهما «۱». (_____ ۱) لفک الإشکال الذی نتج فی الحديث رقم ۹، لا بد من الاستعانة بقواعد اللغة العربية، و الارتکاز علی دلالاتها، و ما توصّل إليه العلم الکونی فی هذا المجال حتی يستقر المعنی علی نحو سليم و منضبط، فهذا الحديث جاء فی مجال تحدّی رسول اللّه صلّی اللّه عليه و سلّم لليهودی فی نبوّته، و بالتالی ناسب إظهار أقصی درجات الإعجاز البلاغی فی الکلام النبوی الشريف إلی جانب الإعجاز العلمی لإثبات نبوة الرسول صلّی اللّه عليه و سلّم عبر استعمال عدّة أدوات بيانية فی آن واحد تؤدی مجتمعة إلی إيصال المعنی المراد بطريقة موجزة و مکثفة، يعجز الجن و الإنس عن الإتيان بمثلها: ففی الحديث استعمال «الکناية» (و هو ضرب من المجاز، انظر مبحث «الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة و الأسس التی يرتکز عليها، باب: قولنا: معان ... صريحة فی دلالاتها»). و تتمثل الکناية هنا باستعمال فعل (اجتمعا) کناية عن الجماع و الممارسة الجنسية، تماما کما أن لمس- إعجاز القرآن فی ما تخفيه الأرحام، ص: ۸۱ - _____ الرجل للمرأة فی الآية: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَ أَنْتُمْ سُکاری حَتَّی تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ وَ لا جُنُباً إِلَّا عابِری سَبِيلٍ حَتَّی تَغْتَسِلُوا وَ إِنْ کُنْتُمْ مَرْضی أَوْ عَلی سَفَرٍ أَوْ جاءَ أَحَدٌ مِنْکُمْ مِنَ الْغائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِکُمْ وَ أَيْدِيکُمْ إِنَّ اللَّهَ کانَ عَفُوًّا غَفُوراً [النساء: ۴۳]، کناية عن جماع الرجل للمرأة بالاتفاق عند علماء الحنفية، حيث أن الاجتماع و اللمس بين الجنسين هو لغرض الجماع. تنبيه: الکناية فی فعل (اجتمعا) ليس فيها الإعجاز، و ليست هی عين الإعجاز، و لکن الإعجاز فی کيفية الإذکار و الإيناث التی لا تتعلق بمجرّد اجتماع الجنسين، و إنما جاءت هذه الکناية عرضا ضمن سياق الکلام، فليست من قبيل هذا الإعجاز الذی نتکلم عنه (راجع مبحث «الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة و الأسس التی يرتکز عليها، باب: قولنا: معان ... صريحة فی دلالاتها» للوقوف علی تعليقنا عن الکناية)، و إنما هی أداة لإظهار الإعجاز الموجود فی الحديث، و بالتالی فهی لا تؤثر علی مصداقية الإعجاز المعتبر. و فی الحديث استعمال «الاستخدام»، و هو فن بديعی تعرفه العرب، و تعريفه: «أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما، ثم بضمير معناه الآخر، أو يراد بأحد ضميريه أحدهما، و بالآخر الآخر» (بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح فی علوم البلاغة، لعبد المتعال الصعيدی، ج ۴، ص ۳۳). و يتمثل الاستخدام بأن ألف التثنية فی فعل (اجتمعا) تعود إلی الرجل و المرأة ذاتهما علی ما سلف أنه کناية عن الجماع، علی حين أن ألفی التثنية فی (أذکرا) و (آنثا) تعودان إلی ماء الرجل و ماء المرأة علی جهة الاستخدام. و بيان وقوعه فی الحديث أنه أراد بألف التثنية الرجل و المرأة فی فعل (اجتمعا)، ثم أراد بألف التثنية الأخری فی (أذکرا) و (آنثا) المعنی الآخر الذی له صلة ماسة باجتماع الرجل و المرأة، و هو منی الرجل و منی المرأة. و فی الحديث «التدرج من العام إلی الخاص»، حيث انتقل من خلال هذا الأسلوب من الفعل العام الذی کنّی به عن الجماع فی قوله (اجتمعا) إلی الفعل الخاص و هو اختلاط (ماء)، الرجل (بماء) المرأة، و هذا يندرج تحت باب «الإطناب من علم المعانی»، ضمن مبحث «الإيضاح بعد الإبهام». و فی الحديث استعمال «اللف و النشر»، و تعريفه: «ذکر متعدّد علی جهة التفصيل و الإجمال، ثم ذکر ما لکل واحد من غير تعيين، ثقة بأن السامع يرده إليه» (انظر «التلخيص لعلوم المفتاح»، (ج ۴/ ص ۳۴)، ضمن «بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح»، و انظر «عروس الأفراح فی شرح تلخيص المفتاح» لبهاء الدين السبکی، (ج ۴/ ص ۳۴۷)، و انظر «الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم» لابن عربشاه، (ج ۱/ ص ۴۰۰)، و انظر «المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم» للتفتازانی، ص ۶۵۴). و يتمثل اللف و النشر هنا بذکر جميع أعضاء الموضوع المراد تفصيله علی سبيل اللف، و هی جنسا بنی آدم، و جنسا الماء، ثمّ بتفصيل ما لکل من الجنسين من أدوار علی سبيل النشر، حيث أعاد فعل الاجتماع (أی الجماع) للرجل و المرأة، و من ثمّ الإذکار و الإيناث لماء الرجل و ماء المرأة.- إعجاز القرآن فی ما تخفيه الأرحام، ص: ۸۲ و مما يجدر ذکره هنا أن المنی عند المرأة يطلق عليه اسم الماء، و ذلک لأنه فی نهاية الأمر سائل من السوائل کما أوضحنا سابقا، أما ماء البويضة فلا يسمی منيا، و ذلک لأنه لا يخرج عند الشهوة، و لکن يخرج فی وقت محدد من کل شهر (و هو اليوم الذی يأتی قبل أربعة عشر يوما من أول يوم للحيض المقبل) و لذلک ذکر الرسول صلّی اللّه عليه و سلّم فی حديث أم سلمة الماء و إن کان الحديث يدور علی المنی أصلا «۱»، و امتنع فی حديث الإذکار أو الإيناث عن ذکر کلمة الماء فقط بل استعمل فی صياغة الحديث کلمتی (الماء) و (المنی).

۲- تفسير النقطة الثانية (أن لمنی الرجل و لمنی المرأة دورا فی تسهيل عملية إذکار أو إيناث الجنين):

۲- تفسير النقطة الثانية (أن لمنی الرجل و لمنی المرأة دورا فی تسهيل عملية إذکار أو إيناث الجنين): * قال رسول اللّه صلّی اللّه عليه و سلّم: «ماء الرجل أبيض و ماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا منّی الرجل منّی المرأة أذکرا بإذن اللّه و إذا علا منّی المرأة منّی الرجل آنثا بإذن اللّه» [أخرجه مسلم ح ۹]. إن الفعل الرئيسی فی الحديث النبوی الذی يشرح عملية الإذکار أو الإيناث هو فعل «علا». و هذا الفعل له عدة معان، منها - _____: و هذا الأسلوب جاء فی أکثر من موضع فی القرآن الکريم، و نظيره: وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَکُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لِتَسْکُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ [القصص: ۷۳]، فالليل و النهار فيهما لف، ثم نشر من الکلام ما يخصّ کل واحد منهما، حيث يرد السامع إلی کل واحد منهما ما يخصّه، فالليل يخصه قوله تعالی: لتسکنوا فيه، و النهار يخصه قوله تعالی: وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ. (۱) قد يتساءل القارئ: لما ذا ذکر الرسول صلّی اللّه عليه و سلّم لفظ «الماء» أمام أمّ سلمة و أمّ سليم رضی اللّه عنهما فی الحديث «إذا رأت الماء» [أخرجه البخاری ح ۱۴]، و قد امتنع فی حديث الإذکار أو الإيناث «ماء الرجل أبيض و ماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا منّی الرجل منّی المرأة أذکرا بإذن اللّه و إذا علا منّی المرأة منّی الرجل آنثا بإذن اللّه» [أخرجه مسلم ح ۹] عن تسمية المنی ماء؟، و نقول- و اللّه أعلم-: إنه فی الحديث الأول يعلّم الرسول صلّی اللّه عليه و سلّم أمّ سلمة و أمّ سليم رضی اللّه عنهما أحکاما شرعية لا تحتاج لدقة علمية، بل تحتاج لبساطة فی الصياغة حتی يفهمها عامة الناس، أما فی حديث الإذکار أو الإيناث فالسؤال محدد، و فيه مجابهة بين الحق و الباطل، و تحدّ واضح من الکفار للرسول صلّی اللّه عليه و سلّم لإبراز معلومات علمية دقيقة غير مألوفة تدل علی صدق نبوّته، و هذا ما استوجب أن تکون الإجابة دقيقة و علمية لکی يستثير بها العلماء و الأجيال التی ستأتی فيما بعد، و لکی يستيقنوا أنها تحمل فی طيّاتها إعجازا علميا بالغا. إعجاز القرآن فی ما تخفيه الأرحام، ص: ۸۳ ۱- غلب. جاء فی تاج العروس «۱»: «علوت الرجل: غلبته». هذا المعنی ورد فی القرآن الکريم فی آيتين: الأولی: إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِی الْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ وَ

یَسْتَحْیی نِساءَهُمْ إِنَّهُ کانَ مِنَ الْمُفْسِدِینَ [القصص: ۴]، الثانیة: وَ لا تَهِنُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ [آل عمران: ۱۳۹].

۲- أن یأتی شیء فوق شیء و یعلوه. جاء فی تاج العروس «۲، أیضا: « (و علاه) ... (صعده) جبلا کان أو دابة». و جاء فی الحدیث: عن أبی موسی الأشعری قال: أخذ النبی صلّی اللّه علیه و سلّم فی عقبة- أو قال فی ثنیة- (و هو المرتفع من الأرض)، قال: فلما علا علیها رجل، نادی فرفع صوته: لا إله إلا اللّه و اللّه أکبر، قال: و رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم علی بغلته، قال: «فإنکم لا تدعون أصمّا و لا- غائبا» [أخرجه البخاری ح ۱۶]. و سوف نتطرق إلی المعنی الأول لفعل علا (غلب) فی مبحث «معجزة الرؤیة الإسلامیة فی علم الوراثة» و ذلک خلال حدیثنا عن شبه الولد لأمه أو لأبیه. أما المعنی المرموز إلیه فی الحدیث المذکور آنفا فهو أن یأتی شیء فوق شیء و یعلوه، و تفصیل ذلک: - من المعلوم أن الإفراز المهبلی للمرأة یمتاز بخاصیة الحموضة، و تأتی هذه الخاصیة نتیجة لوجود (حامض اللاکتیک DICA CITCAL) الذی یخرج من الخلایا المهبلیة الغنیة بمادة (الجلیکوجین NEGOCYLG)، هذه الحموضة هامة و ذلک لحمایة المرأة من غزو البکتیریا لها، غیر أن هذه الحموضة تضعف و تقتل کثیرا من الحیوانات المنویة الحاملة للذکورة Y، و ذلک لصغر حجمها مقارنة بالحیوانات المنویة الحاملة للأنوثة X التی تستطیع مقاومة هذه الحموضة. و لکن ما ینقذ الموقف الحرج بالنسبة للحیوانات الذکریة هو منی المرأة، فهذا الأخیر له خاصیة قلویة، و هو یعدّل من الحموضة فی المهبل عند ما تفرزه المرأة، فإذا صبّ الرجل ماءه فی فرج المرأة قبل أن تستثار جنسیا فإن ماءه یلتقی بالوسط الحامضی للفرج، و بذلک تموت أعداد کثیرة من الحیوانات المنویة الحاملة للذکورة Y و تعطب، و یضعف بذلک احتمال أن یفوز بالسباق إلی البویضة الحیوان المنوی الذکری (_____ ۱) تاج العروس لمحمد مرتضی- مادة «علو»- (ج ۱۹/ ص ۶۹۹). (۲) تاج العروس لمحمد مرتضی- مادة «علو»- (ج ۱۹/ ص ۶۹۹). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۸۴ فی هذه الحالة یظهر منی الرجل قبل منی المرأة، لأن الرجل قد صب ماءه قبل أن تستثار المرأة جنسیا، و من ثم یأتی منی المرأة و یعلوه- أی یأتی فوقه-. أما فی الحالة المعاکسة، أی فی حالة إثارة المرأة و إفرازها لمنیها قبل أن یقذف الرجل ماءه فإن منیها فی هذه الحالة یکون موجودا قبل منی الرجل، و بما أن له خاصیة قلویة فإنه یلطف من حموضة المهبل، و من ثم یأتی منی الرجل فوق منی المرأة و یعلوه، و تنجو بذلک الحیوانات المنویة الذکریة من الهلاک، و بما أن الحیوانات المنویة الذکریة أصغر حجما من الحیوانات المنویة الأنثویة، فهی بالتالی أسرع منها و تستطیع أن تصل إلی البویضة بسرعة أکبر، و بذلک یزید احتمال أن یأتی الولد ذکرا «۱». و هکذا نفهم أبعاد الحدیث «فإذا علا منیّ الرجل منیّ المرأة أذکرا بإذن اللّه و إذا علا منیّ المرأة منیّ الرجل آنثا بإذن اللّه» [أخرجه مسلم ح ۹].

۳- تفسیر النقطة الثالثة (أن کلا من ماء الرجل و ماء المرأة یشارک فی تخلق و إذکار أو إیناث الجنین):

۳- تفسیر النقطة الثالثة (أن کلا من ماء الرجل و ماء المرأة یشارک فی تخلّق و إذکار أو إیناث الجنین): * قال سبحانه و تعالی: فَلْیَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ (۵) خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ (۶) یَخْرُجُ مِنْ بَیْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ (۷) [الطارق: ۵- ۷]. * قال اللّه تعالی: یا أَیُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّکُمُ الَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَ بَثَّ مِنْهُما رِجالًا کَثِیراً وَ نِساءً ... [النساء: ۱]. * قال اللّه تعالی: یا أَیُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناکُمْ مِنْ ذَکَرٍ وَ أُنْثی ... [الحجرات: ۱۳]. * قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «ماء الرجل أبیض و ماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا منیّ الرجل منیّ المرأة أذکرا بإذن اللّه و إذا علا منیّ المرأة منیّ الرجل آنثا بإذن اللّه» [أخرجه مسلم ح ۹]. إن ضمیر التثنیة المثبت فی الفعلین «أذکرا» و «آنثا» فی الحدیث السابق یعود للماءین؛ ماء المبیض و ماء الرجل، و لیس لمنی المرأة و منی الرجل کما یعتقده بعض الناس، و ذلک لأن کلّا من ماء المبیض و ماء الرجل یشارک فی تخلّق الجنین؛ فنصف (الموروثات SENEG) لدی المخلوق الجدید تأتی من ماء الرجل، و النصف الآخر یأتی من ماء المرأة و بذلک یشارکان کلاهما فی عملیة التخلّق و عملیة الإذکار أو الإیناث_____

(۱) کتاب هل تستطیع اختیار جنس مولودک: ولد أم بنت؟، د خالد بکر کمال، ص ۲۲، ۲۵، ۳۱، بتصرف. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۸۵ إن نطفة الرجل (أی الحیوان المنوی)- کما سنشرحه فی مبحث «معجزة الرؤیة الإسلامیة فی علم الوراثة»- هی التی تحمل الصبغیات X أو Y و نطفة المرأة تحمل الصبغیة X فقط، فإذا اجتمع الحیوان المنوی الحامل للصبغیة Y مع نطفة المرأة الحاملة للصبغیة X أصبح الجنین ذکرا بإذن اللّه و إذا اجتمع الحیوان المنوی الحامل للصبغیة X مع نطفة المرأة الحاملة للصبغیة X أصبح الجنین أنثی بإذن اللّه. و هکذا یعود ضمیر التثنیة فی الفعلین «أذکرا» و «آنثا» للماءین مجتمعین؛ ماء الرجل و ماء المرأة؛ لأن إذکار أو إیناث الجنین یحتاج لکلیهما معا. و من هذا المنطلق نفهم لما ذا خصّ الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم بالذکر نوعین من السوائل فی الحدیث؛ الماء و المنی؛ و ذلک لأن الماء (أی ماء الرجل و ماء المرأة) هو أساس لتخلّق الجنین، و المنیّ (منیّ الرجل و منیّ المرأة) هو الذی یسهل عملیة الإذکار و الإیناث. و قد أشار القرآن إلی أن ماء المرأة و ماء الرجل یشترکان فی تخلّق الجنین فی قول اللّه تعالی: یا أَیُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناکُمْ مِنْ ذَکَرٍ وَ أُنْثی ... [الحجرات: ۱۳]. جاء فی القرطبی «۱»: «بیّن اللّه تعالی فی هذه الآیة أنه خلق الخلق من الذکر و الأنثی، و کذلک فی أول سورة النساء ... و الصحیح أن الخلق یکون من ماء الرجل و المرأة لهذه الآیة فإنها نص لا یحتمل التأویل». کذلک أشار اللّه عزّ و جلّ فی أول سورة النساء إلی هذا الأمر فی قوله تعالی: یا أَیُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّکُمُ الَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَ بَثَّ مِنْهُما رِجالًا کَثِیراً وَ نِساءً ... [النساء: ۱]. ورد فی تفسیر ابن کثیر «۲»: «و ذرأ منهما أی: من آدم و حواء رجالا- کثیرا و نساء». فالخلق کان من الذکر و الأنثی و لیس من واحد دون الآخر، و البثّ کان من آدم و حواء- أی: من ذکر و أنثی-، و الفقهاء أقروا أن هذا الخلق إنما هو من ماء الرجل و ماء المرأة. و الآیة خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ تعنی ماء الرجل و ماء المرأة علی حدّ سواء، لأن لفظ «ماء» جاء هنا علی إطلاقه، و هذا ما أکده القرطبی فی تفسیره للآیة قائلا «۳»: «و أراد ماءین: ماء الرجل و ماء المرأة، لأن الإنسان مخلوق منهما»، فتلک الآیة لم _____ ۱) تفسیر القرطبی- (ج ۱۶/ ص ۳۴۳). (۲) تفسیر ابن کثیر- (ج ۱/ ص ۴۴۸). (۳) تفسیر القرطبی- (ج ۲۰/ ص ۴). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۸۶ تفرق بین ماء الرجل و ماء المرأة، کما أن کلا الماءین یتدفق، و کلاهما یخرج من بین الصلب و الترائب، کما سنری فی النصوص المقبلة. إن الاعتقاد السائد قبل عهد الرسالة، أی قبل التوضیح بالآیات القرآنیة و الحدیث، هو أن الجنین یتخلق من اتحاد المنی مع دم الحیض، و هذا ما کتبه (أرسطو) فی القرن الرابع قبل المیلاد، و کان یعتبر أفضل المراجع العلمیة آنذاک. و هذا الاعتقاد (بأن دم الحیض و لیس منی المرأة هو سبب وجود الطفل) ظل مسیطرا لمدة طویلة إلی أن أتی الإسلام بتعالیمه الحکیمة، و لم یکتف الإسلام بنسف فکرة تخلّق الإنسان من دم الحیض، بل أمر بعدم إتیان النساء فی فترة الحیض: وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْمَحِیضِ قُلْ هُوَ أَذیً فَاعْتَزِلُوا النِّساءَ فِی الْمَحِیضِ وَ لا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّی یَطْهُرْنَ فَإِذا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَیْثُ أَمَرَکُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ یُحِبُّ التَّوَّابِینَ وَ یُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِینَ [البقرة: ۲۲۲]. و منعا للجدل و لتثبیت الحقائق المنصوصة فی الآیة الکریمة (التی لم یحدد اللّه سبحانه و تعالی فیها أن الماء هو منیّ الرجل فقط)، حدّد الرسول الکریم- علیه الصلاة و السلام- أن الماء هو للمرأة کما هو للرجل فی حدیث الإذکار أو الإیناث الذی أوردناه سابقا.

۴- تفسیر النقطة الرابعة (ان لماء المرأة و لماء الرجل دورا فی شبه الجنین بأمّه أو بابیه):

۴- تفسیر النقطة الرابعة (ان لماء المرأة و لماء الرجل دورا فی شبه الجنین بأمّه أو بابیه): * قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «ماء الرجل غلیظ أبیض و ماء المرأة رقیق أصفر فأیّهما سبق کان الشبه» [أخرجه النسائی ح ۴۹۷]. لقد رأینا فی المقطع السابق أن کلّا من ماء المبیض و ماء الرجل یشارک فی تخلّق الجنین، و ذلک لمشارکة الحیوان المنوی و البویضة فی تلک العملیة. فإذا کان کذلک، فهذا یعنی أن الجنین سیتخلّق وفق ما تحمله تلک الأعضاء من خصائص، و بالتالی فهذه مسئولة عن إعطائه شکلا یشبه شکل الأم أو الأب، و سنفصّل هذا الأمر أکثر- إن شاء اللّه- فی مبحث «معجزة الرؤیة الإسلامیة فی علم الوراثة»، فانظره هناک وفقک اللّه.

۵- تفسیر النقطة الخامسة (أن هذا الماء متدفق):

۵- تفسیر النقطة الخامسة (أن هذا الماء متدفق): * قال سبحانه و تعالی: فَلْیَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ (۵) خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ (۶) یَخْرُجُ مِنْ بَیْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ (۷) [الطارق: ۵- ۷]. کما هو ظاهر فی الآیة القرآنیة فإن الماء الذی یخلق منه الجنین یدفق- أی یخرج بقوة و بسرعة مع ضغط-. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۸۷ و لسنا بحاجة هنا إلی توضیح استمناء الرجل و تدفق مائه فذلک ظاهر، و لکن تجدر الإشارة إلی ما یحصل عند المرأة، و ذلک أن سلالة المرأة (أی البویضة)- کما یفسره الدکتور عدنان الشریف، جزاه اللّه خیرا «۱»- التی ستنضج فی أحد مبیضیها، تسبح داخل (جریب ELCILLOF). و هذا الجریب یحتوی سائلا یتزاید ضغطه إلی درجة من الضغط تساوی ۱۵ ملیمترا زئبقیا تفجر عندها حویصلة البویضة و قشرة المبیض فی أضعف نقطة منهما، فتقذف بالسلالة و الخلایا الحامیة لها و المحیطة بها مع قلیل من ماء الحویصلة إلی تلافیف بوق أنبوب الرحم المعروف بقناة فالوب (انظر الصورة رقم: ۱۷)، و لو لا هذا الضغط لما استطاعت البویضة أن تقفز من المبیض إلی (التجویف البطنی YTIVAC LAENOTIREP)، لتلتقطها من ثمّ (أهداب بوق فالوب EBUT NAIPOLLAF FO EAIRBMIF). إن الضغط الذی یصاحب انتقال البویضة و السرعة التی تحتاجها حتی تستطیع الانتقال من المبیض إلی بوق فالوب لهو الدلیل علی أن ماء المرأة هو ماء دافق کما هو ماء الرجل وفقا لصیاغة الآیة الکریمة السابقة الذکر التی جاءت علی الإطلاق لتشمل الماءین: ماء الرجل، و ماء المرأة.

۶- تفسیر النقطة السادسة (أن هذا الماء لیس متدفّقا فحسب بل دافق):

۶- تفسیر النقطة السادسة (أن هذا الماء لیس متدفّقا فحسب بل دافق): * قال سبحانه و تعالی: فَلْیَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ (۵) خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ (۶) یَخْرُجُ مِنْ بَیْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ (۷) [الطارق: ۵- ۷] لقد اختلف العلماء کثیرا فی تفسیر کلمة (دافق) التی وردت فی الآیة: خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ (۶) [الطارق: ۶]، فمنهم من اعتبر أن کلمة (دافق) اسم فاعل، و لکن أسندها إلی المجاز، و منهم من أول کلمة الدفق بالدفع، و أخذها علی حقیقتها، و اعتبر أن الدفع ناتج من فاعل و مفعول به، و منهم من أوّل دافق بمعنی مفعول، و منهم من صرف الدفق إلی النسب، و منهم من قال: إن کلمة (دافق) اسم فاعل، و انظر لهذا الغرض قول تفسیر ابن عاشور «۲»، و تفسیر الألوسی

«۳»، و تفسیر الشوکانی «۴»، و تفسیر ابن القیم «۵» فی هذا الموضوع.

(_____ ۱) کتاب من علم الطب القرآنی، د. عدنان الشریف، ص ۷۶. (۲) تفسیر التحریر و التنویر لابن عاشور- ج ۳۰/ ص ۲۶۱. (۳) روح المعانی، ج ۳۰، ص ۹۹. (۴) فتح القدیر، ج ۵/ ص ۴۲۰. (۵) التبیان فی أقسام القرآن، ج ۱/ ص ۶۴. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۸۸ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۸۹ و من الطبیعی أن یکون هذا الخلاف فی معنی هذه الصیغة موجودا علی أشدّه عند المتقدمین، فإن حقائق مبادئ الخلق کانت غیر متوفّرة لهم، و هی التی کشفت لنا المعنی الحقیقی لهذه الصیغة، و جعلتنا نلمس مواطن الإعجاز فی هذه النقطة. و لا بد أن نلقی نظرة علی أبعاد هذه الصیغة من الناحیة البلاغیة، قبل أن نستعرض المعطیات العلمیة فی هذا الخصوص، لکی نوفّق بینهما علی أتمّ وجه، و تتکشّف لنا الأسرار الإعجازیة فی استعمال هذه الصیغة. و التحقیق فی هذه الصیغة ما نقله من تعلیقات الشیخ عبد الرحمن الحکمی علی کتاب البصائر و الذخائر لأبی حیان التوحیدی، قال: «اشتقاق صیغة [فاعل] من فعلها، ینبغی أن یکون فی الصیغة معنی الفعل، أی: یکون الفعل قائما بالصیغة، فإذا قلنا: آکل، فمعنی ذلک أن الأکل- و هو مصدر أو معنی الفعل- یکون قائما بالصیغة التی هی اسم الفاعل الذی قام بالأکل، هذا هو الأصل و الأکثر فی اللغة العربیة بالنسبة لهذا الاشتقاق و هذه الصیغة. و لکن قد ترد هذه الصیغة فی کلام العرب، و یلحظ المتلقی أن الفعل لیس قائما فیها، بل قائم بغیرها، و إنما جاء علی صورتها لکون صاحبها له صلة فعلیة مؤثّرة من قریب أو بعید فیها، و ذلک نحو قولهم: «لابن- تامر»، عن صاحب اللبن و صاحب التمر، فاللبن لم یقم بالرجل الذی هو صاحب الصیغة، إنما قام بالدابة التی ربّاها الرجل و اعتنی بها حتی صارت لابنة، و کذلک التمر، لم یونع فی الرجل المقصود بصیغة [فاعل] فی «تامر»، و إنما أینع فی النخل التی اعتنی بها الرجل و ثمرها حتی صارت متمرة. و فیما تقدّم تظهر فی هذه الصیغة، بهذا المعنی، مراعاة فاعلین حقیقیین لفعل واحد، و إن کان أحدهما مظهرا للفعل أو محلا له، و لکن لم یهمل فی هذه الصیغة بهذا المعنی لقوّة سببه، و شدّة تأثیره، فاللابن بهذا المعنی جمعت هذین الفاعلین: ۱- الرجل الذی قصد بها مع أن اللبن لم یظهر فیه، و لکن اعتبر سببه، و اعتدّ بتأثیره، حتی أخرج علی أنه فاعل، فأعطی صورة الفاعل. ۲- الدابة التی ألبنت و ظهر فیها اللبن، و هی الفاعل الحقیقی. و قد عبّر کثیر من النحویین عن مثل هذا المعنی فی هذه الصیغة بأنه یحمل معنی [ذو]، و المراد من لابن مثلا: ذو لبن. و قد ذکر الإمام الرازی- رحمه الله- وجود مثل هذا اللون فی اللغة، و جوّزه فی مبحث تام فی کتابه «المحصول» (ج ۱/ ص ۲۴۸- ۲۵۰). قال: «و مما یدل علی أنه لیس من شرط المشتق منه قیامه بمن له الاشتقاق: أن المفهوم من الاسم المشتق إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۹۰ لیس إلا- أنه «ذو» ذلک المشتق منه، و لفظ «ذو» لا یقتضی الحلول». و قد طوّل الإمام ابن الحاجب- رحمه الله- هذه المسألة فی «مختصر المنتهی»، و انظره بشرح العضد- رحمه الله- (ج ۱/ ص ۱۸۱- ۱۸۲). و ذکر الإمام ابن الوزیر- رحمه الله- أن هذه المسألة لغویة لیس فیها نظر و لا قیاس (أی أنها سماعیة)، و أن العرب قد یشذّون مما لیس بقائم بالفاعل صیغة (فاعل)، انظر کتابه «العواصم و القواصم» (ج ۴/ ص ۳۶۶). ... و سبب ذلک أن المقصود بهذه الصیغة- التامر (أو اللابن)- کان سببا مؤثّرا، و عاملا قویا، فی الإیناع حتی صار فی درجة قوّة الفاعل، و أصبح لصیقه و ضمیمه، حتی کأنه هو، و لذلک ظهر فی صورته، و تجلّی فی مظهره، فأتی علی صیغته، و لیس فی الأصل، و من هنا یتبیّن صدق هذه الصیغة، و صحة ورودها، و دقّة معناها فیما جاءت له» انتهی کلامه. أما إذا أردنا أن نقابل الکلام السالف ذکره علی موضوع الدقق المنصوص سابقا فی مجال الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، فنقول: إنه إذا حقّ علی کلمة (دافق) أن تکون اسم فاعل، فهذا یعنی أن فعل الدقق قائم بها، أی بمعنی آخر أن صفة تکوین الماء: الاندفاق، حیث یوجد فیه قوّة ذاتیة للدقق کسبب لصیق به، و کصفة ثابتة فیه لا تنفک عنه، قائمة به. أما إذا حقّ أن تنطبق صیغة النسب علی (دافق)، فهذا یعنی أن السبب الرئیس للدقق لیس قائما بالماء، و لم یحل فیه، و لکن حلّ بغیره، غیر أن السبب الرئیس متصل مع سبب ثانوی قائم بالماء لکی تحقّ صفة النسب علی فعل دقق الماء. و سنستعرض المعطیات العلمیة و نری مدی صحة آخر تفسیرین. و قد أثبتت العلم فی العصر الحدیث أن للحیوانات المنویة قطعا مصفوفة واحدة تلو الأخری تسمی: PTA (میتوکوندریا AIRDNOHCOTIM) موجودة قبل رأس الحیوان المنوی، و تحتوی علی مادة (أدینوزین تریفوسفات ETAHPSOHPIRT ENISONEDA)- المادة المهمة لتزوید الحیوان المنوی بالطاقة الدافعة إلی الأمام لعدة ساعات «۱»- (انظر إلی الصورة رقم: ۱۸ حیث تظهر قطع «المیتوکوندریا»، کما أن الغطاء النسیجی لقطع المیتوکوندریا یدفع ذیل الحیوان المنوی إلی الحرکة «۲» (_____ ۱) کتاب (ولد طفل، د. لارس هامبرغر REGREBMAH SRAL, NROB SI DLIHC A)، ص ۴۵، بتصرف و کتاب الإنسان النامی، د. مور و بارسو، ص ۲۳. (۲) ۱۹۹۱ IROMIHSOT DNA ARUO. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۹۱ (۱۸) (SC)- نری فی الصورة قطع «المیتوکوندریا» خلف رأس الحیوان المنوی، و هذه تعطی للحیوان المنوی الطاقة لکی یتحرک، و بالتالی فهو و المنی الذی یرافقه دافقان، کما تشیر إلیه الآیة: خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ [الطارق: ۶] بالإضافة إلی أن ماء الرجل یحتوی علی مادة (البرستاجلاندین SNIDNALGATSORP) التی تحدث تقلصات فی الرحم تساعد علی نقل الحیوانات المنویة إلی موقع الإخصاب، و بالتالی فإن مصدر النطف- ماء الرجل- هو الذی یسبّب دفع الحیوان المنوی إلی الأمام. کذلک فإن (الحویصلات المنویة SELCISEV LANIMES) تفرز مادة (الفرکتوز ESOTCURF) التی تصبح أحد أعضاء المنی، و هذه المادة تعطی الطاقة للحیوانات المنویة لکی تتابع سیرها «۱». و هکذا یتبیّن لنا أن هناک سببین ینشآن من نفس الفاعل و یؤدیان إلی إحداث الفعل به، کصفة لا تنفک عنه، و هما مادة المیتوکوندریا و الفروکوز، و أن هناک سببا آخر ینشأ من نفس الفاعل یاذن الله، و لکن لا یتجلّی به مباشرة، بل یرد فعل عکسی من خلال عضو آخر یدفع الفاعل إلی فعله، کما فی حالة مادة البرستاجلاندین، فیعود الدقق بذلک إلی النسب فی هذه الحالة. (_____ ۱)، EKOOC DNA TTARAB

۱۹۹۱. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۹۲ و یکون مجمل حرکة الماء ناتجا من سببین علی صیغة فاعل، و من سبب علی صیغة نسب. أما بالنسبة للبویضة فإن عملیة إباضتها معقّدة للغایة، و دققها غیر واضح و لا جلی، غیر أن العلماء استطاعوا أن یکتشفوا کثیرا مهما من المعلومات عنها، و إذا أردنا تحلیل دلالات کلمة دافق، لنری کیف تنطبق علی عملیة الإباضة، و انتقال البویضة من المبیض إلی قناة فالوب، فلا بد أن نراجع بالتفصیل عملیة الإباضة، و نتوقّف عند کل مرحلة من مراحلها. و یخبرنا الدکتور آلان أندرز عن مراحل عملیة الإباضة قائلا «۱»: ۱- (تنشق البذرة التی تتکون فی سطح المبیض فی أضعف منطقة لها AMGITS EHT FO ERUTPUR)، فیخرج الماء الحویصلی بسرعة، مع (حبیبات الخلایا LLEC ASOLUNARG)، و ذلک من جراء الضغط المتولّد من الماء الحویصلی «۲»، حیث یبلغ ۲۰ ملم زئبقیا، و هو و إن کان معتدلا، و لکن یلعب دورا مهما «۳». ۲- و من ثم یتبع ذلک خروج البویضة مع (کم الخلایا التی ترافقها SLLEC SULUMUC) بسرعة أقل [من الماء الذی سبقها]. ۳- و تتقلّص بعض العضلات داخل الحویصلة باعجة إیاها، و دافعة لها، فتساعدها علی الخروج مع بقیة الماء الحویصلی. و تقلّص العضلات المراد هی عضلات الأغشیة الخارجیة التی تحیط بالحویصلة (تکا إکسترنا ANRETXE ACEHT)، و التی یعود تقلّصها لمادة (البرستاجلاندین SNIDNALGATSORP)، الموجودة فی الماء الحویصلی «۵»، و لانخفاض ضغط الماء «۴». (_____ ۱) AHC ude .sivadcu

.scodem ://ptth .AHC srednE nellA ,rD ,ymotanA cipocsorciM namu ,۱۹۹۸ ,۴ hcraM / ۴۰۲/ ۲) ۲۰۰۲/ ۴/ ۲۲. ETAD: ۲۰۲/ ۲۰۴/ MTH. mef ۱/ ۸۹/ ystcel) کتاب الإنسان النامی، د. مور و بارسو، ص ۲۹. (۳) ۲۰۰۴/ ۴ ETAD .lmth .cycne /cycne /noitaluvo /yeps -el /ude .ytinirt .www ://ptth ۷۸۲۱۲ XT: /۲۲ ۴) .oinotnA naS ,ytisrevinU ytinirT ,yepsE .L ecnerwaL .noitaluvO، کتاب الإنسان النامی، د. مور و بارسو، ص. ۲۹ (۵) - ENOTSGNIVIL LLIHCRUHC ,۴۰ EGAP ,۱۹۹۷ ,NOITIDE DNOCES ,HTROW. إعجاز القرآن SNRAF ELLEBANNA DNA LESSUR RETEP ,SEIRAVO FO YGOLOHTAP LACIGRUS فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۹۳ الحویصلی الذی یدفع عضلات الغشاء الخارجی للحویصلة للتقلص بطریقة منتظمة و متقطّعة «۱». ۴- و تمایل أهداب بوق فالوب حول المبیض ... مساعدة شعیرات بوق فالوب [التی تمایل هی أیضا] لالتقاط البویضة و إدخالها مع الخلایا المحیطة بها إلی داخل البوق. أضف إلی ذلک أن دقق البویضة یعود أیضا لإشارات کیمیائیة تأتی مع الماء الحویصلی، و تجعل عضلات قناة فالوب تنقبض، و تولّد ضغطا سلبیا، مما یساعد شعیرات بوق فالوب علی التقاط البویضة «۲». و بعد ذلک تنتقل البویضة ببطء فی قناة فالوب إلی الرحم من جراء دفع الشعیرات التی تبطّن القناة لها «۳». و بذلک تکون الحرکة الإجمالیة للماء مزیجا من السرعة و البطء، و الضغط الداخلی المعتدل، و الشفط الخارجی. و هکذا فإن دقق الماء الحویصلی مع البویضة یعود لماء البویضة نفسه فقط (کما فی حالة ضغط الماء) (کاسم فاعل)، و لماء البویضة بالتعاون مع مسبّب آخر لا یظهر فیه فعل الدقق، بل یحث علیه (کما فی حالة انقباض عضلات قناة فالوب من جراء الإشارات الکیمیائیة التی تأتی مع الماء الحویصلی، و لانقباضات العضلة التی تحیط بالجریب بفعل مادة البرستاجلاندین الموجودة فی الماء الحویصلی، و بفعل انخفاض ضغطه) (فیعود الدقق بذلک إلی النسب)، کما أنه یعود لعوامل خارجیة مستقلّة (شعیرات بوق فالوب) غیر أن هذه الشعیرات أنتجت أثرا فاعلا أدّی إلی حرکة الماء بدقق حتی صار فی صورة الفاعل، و لیس هو هنا فی الحقیقة بفاعل، و هذا کلّه لا یخرج عن معنی النسب فی هذه الصیغة. و من هذا الکلام نفهم أن مجمل الدقق یعود للنسب أو للفاعل نفسه فی (_____ ۱) ehcac /hcraes /۲۲۵ .۷۱

:ptth .tnemetrapeD ygolonircodne ,ecneics htlaeh dna larutaN :ytisrevinu yrraB noislupxe pv+ fo+ eht+ etycoo yna tv- pv o tsv lla dv o If lla fv ۱- ۸۸۵۹- OSI ie p mv ۲۰ n mth. ۳ a ۰۰۰۰۰۰/ ۱۰ csid-/ ude. yrrab. nilp- shns u noislupxe ۲۲ I w+ fo+ eht+ ۲۲ I etycoo ۲۱۲۷۱ F ۵ F ۲) pci. ۱ etaD. ۲۲ ۴/ ۲۰۰۴/ cy ۴۵۰۸۲ c ۴۸۳ d ۷۳) کتاب ولد طفل، د. لارس هامبرغیر، ص ۳۲. (۳) کتاب ولد طفل، د. لارس هامبرغیر، ص ۳۵. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۹۴ الغالب، و هو یظهر کذلک بالرغم من أن هناک عوامل خارجیة تضاف إلی العوامل الفاعلة و النسبیة، و لا یعبر عن هذه الصفات- أو الأسباب- إلا صیغة «الدافق» بالمعنیین المتقدمین فقط لا غیر، فیا سبحان اللّه! و فی النهایة نودّ تلخیص ما سبق: ۱- یتبیّن لنا فی المبحث السابق، أن صعوبة الصیغة، و عدم تجلّی الحقائق العلمیة فی ذلک للمتقدمین أدی إلی خلاف کبیر فی عدم فهم هذه الصیغة علی معناها الدقیق. ۲- صیغة (فاعل) تأتی فی اللغة العربیة

لفاعل الفعل الذی اشتق منه، و هذا هو الأکثر. و لکن قد تأتی لغیر ذلک، لمناسبة بین الفاعل الحقیقی و بین الکلمة التی اشتقت له مثل (لابن)، و کلا هذین المعنیین لهذه الصیغة حقیقة لغویة، و سماع عن العرب، و لیس بمجاز. و (دافق) جمعت هذین المعنیین معا، و کانت هذه الصیغة هی المناسبة تماما للإحاطة بتفاصیل صفات ذلک الماء و ملابساته. ۳- قد ظهر ذلک کما تقدّم مفصلا، و یمکن تلخیصه فیما یأتی: I – ماء الرجل: أ- تعطی مادة الفرکتوز و مادة المیتوکوندریا الطاقة للحیوان المنوی علی السیر ذاتیا، و فی کلا هاتین الحالتین یتجلّی المعنی الأکثر لصیغة (الفاعل)، حیث إنه هو الفاعل الحقیقی المستقل. ب- تحتّ مادة البرستاجلاندین الموجودة فی الماء الرحم علی الانقباض مما یؤثّر عکسیا علی الحیوانات المنویة فی السیر، فیحل سبب الدفق الرئیس فی غیر الفاعل، و لکن یظهر الفعل فی الفاعل، و یکون للفاعل نسبة فی إحداث السبب الرئیس، فیتجلّی معنی النسبیة فی الصیغة [فاعل]. II – ماء المرأة: أ- یدفق ماؤها من جراء ضغطه المتولّد فی الحویصلة، فیقع بذلک سبب الفعل علی الفاعل نفسه، و یتجلّی معنی (اسم الفاعل) فی هذا المقام. ب- یدفق ماؤها من جراء المواد الموجودة فیه، و التی تحث أعضاء أخری- مثل عضلات غشاء الحویصلة، و عضلات قناة فالوب- علی دفعه إلی الأمام، فیصیر إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۹۵ الماء مظهرا للفعل، حتی کأن فیه سبب الفعل الرئیس، فیحق أن یذکر الفعل علی صیغة النسب فی هذا المقام. ت- یدفق ماؤها من جراء عوامل مستقلة، مثل تمایل شعیرات بوق فالوب، التی تحدث ضغطا سلبیا، فتجذب ماء الحویصلة إلی داخل البوق، فیظهر دافقا و کأنه هو الذی دفق بنفسه، و بذلک حقّ هنا المعنی الثانی لصیغة الفاعل، و هو النسبة. و یظهر مما تقدّم من اللطائف أن صیغة (دافق) استوعبت کل من هذه الحالات الست.

۷- تفسیر النقطة السابعة (أن مکوّنات هذا الماء تخرج من الظهر):

۷- تفسیر النقطة السابعة (أن مکوّنات هذا الماء تخرج من الظهر): « قال سبحانه و تعالی: فَلْیَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ (۵) خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ (۶) یَخْرُجُ مِنْ بَیْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ (۷) [الطارق: ۵- ۷]. لفظ التَّرائِبِ اسم صفة، لا اسم ذات، و یدل بأصل اشتقاقه علی التماثل و التناظر، فکلمة «الترائب» جمع ترییة و هی مشتقة من ترب، أی من التراب و التراب هو الأرض، جاء فی لسان العرب: «ترب: ... (قال) اللّیث: التّرب و التّراب واحد، إلا أنهم إذا أنّثوا قالوا التربة، یقال أرض طیبة التربة أی خلقة ترابها ...»، و تستعمل الکلمة لوصف أن شیئا ما تستوی حاله مع التراب، جاء فی لسان العرب: «... و رجل ترب، لازق بالتراب من الحاجة، لیس بینه و بین الأرض شی ء» و فی حدیث أنس رضی اللّه عنه، لم یکن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم سیابا و لا فحاشا، کان یقول لأحدنا عند المعاتبة: ترب جبینه، قیل: أراد به دعاء له بکثرة السجود ...»، و بالتالی فهی تعنی علی وجه العموم الاستواء بین شی ء و شی ء آخر، جاء فی لسان العرب: «... و الترب اللدّة و السن: یقال هذه ترب هذه أی لدتها، و قیل ترب الرجل أی الذی ولد معه ...»، و یفید دلالة اللفظ السیاق الذی یأتی فیه، و القرائن التی تستنبط من النص، و القرائن الخارجیة من حدیث شریف و علم ثابت ... فعلی سبیل المثال: یشیر السیاق و الأحادیث النبویة الشریفة أن کلمة «ترب» فی الآیات: وَ عِنْدَهُمْ قاصِراتُ الطَّرْفِ أَتْرابٌ (۵۲) [ص: ۵۲]، و إِنَّا أَنْشَأْناهُنَّ إِنْشاءً (۳۵) فَجَعَلْناهُنَّ أَبْکاراً (۳۶) عُرُباً أَتْراباً (۳۷) [الواقعة: ۳۵- ۳۷]، و وَ کَواعِبَ أَتْراباً (۳۳) [النبأ: ۳۳] تشیر إلی التماثل فی الحسن و الجمال و البهاء و فیض الأنوثة و نضارة الشباب فی تصویر حال الزوجات فی الجنة. و نظرا لطبیعة هذه الکلمة فقد تفتّر علی أکثر من وجه، و لذلک اختلف المفسّرون بشکل واسع حول دلالة اللفظ فی النص القرآنی المعتبر، جاء فی لسان إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۹۶ العرب «۱»: «و الترائب: موضع القلادة من الصدر، و قیل: ما بین الترقوة إلی الثندوة، و قیل: الترائب عظام الصدر، و قیل: ما ولی الترقوتین، و قیل ما بین الثدیین و الترقوتین ... و قیل: الترائب أربع أضلاع من یمنة الصدر و أربع من یسرته ...»، و إذا اعتبرنا قاعدة أن دلالة اللفظ یقیدها السیاق و القرائن التی تأتی فیه، فهمنا أن قرائن النص فی هذا المقام- مقام الإعجاز العلمی فی القرآن و السنّة- تعتمد مباشرة علی المعطیات العلمیة التی تثبت هذه الصفة طبقا للحقیقة الموجودة فی جسم الإنسان، فیصدق بذلک أن یصرف إلی الأضلاع التی تکوّن عظام الصدر- کما سنری فیما بعد-، و لفظ الصُّلْبِ بالمثل، اسم صفة، لا اسم ذات، یدل بأصل اشتقاقه علی قائم متین، یصلب علیه الشی ء و یشد محمولا علیه، فیصدق علی العمود الفقری الذی یحمل معظم بدن الإنسان القائم، غیر أن المفسّرین لم یختلفوا حوله، و ذلک لأن الأعضاء النظیرة فی الجسم کثیرة کما رأینا، أما الأعضاء المتینة التی تحمل أعضاء أخری فهی جد قلیلة فی الجسم، و هو کما جاء فی لسان العرب «۲»: «و الصّلب: عظم من لدن الکاهل إلی العجب ...». و تحدثنا الآیتان التالیتان خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ (۶) یَخْرُجُ مِنْ بَیْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ (۷) أن الماء یخرج من مکان ما واقع ما بین الصلب و الترائب «۳»، و ذلک لکل من المرأة (_____ ۱) لسان العرب لابن منظور- مادة «ترب»- (ج ۲/ ص: ۲۴- ۲۵). (۲) لسان العرب لابن منظور- مادة «صلب»- (ج ۷/ ص: ۳۷۹). (۳) لقد أعاد بعض العلماء فعل یَخْرُجُ الذی جاء فی النص القرآنی: فَلْیَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ (۵) خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ (۶) یَخْرُجُ مِنْ بَیْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ (۷) [الطارق: ۵- ۷] للإنسان، فتصبح الآیة عندئذ تعنی: فلینظر الإنسان ممّ خلق، خلق من ماء دافق، یخرج الإنسان من بین الصلب و الترائب. و نقول: إن الآیة فی هذه الحال لا تفید شیئا جدیدا، بل و لا تشیر إلی حکمة بالغة، فکلّنا یعلم أن الحمیل- أی الجنین بالمعنی المتداول- یخرج من الرحم الذی یقع فی وسط الجسم، و بذلک یخرج عبر محور الجسم الذی یقع بین الصلب و الترائب، و هذا یتنافی مع بلاغة القرآن. فالآیة تعلن بوضوح من خلال فعل فَلْیَنْظُرِ أن هناک أمرا مهمّا یجب النظر إلیه- ألا و هو إعجاز علمی- أکثر من مجرد الإخبار عن خبر مألوف لدی الجمیع، کذلک فإن سیاق النص القرآنی: یَخْرُجُ مِنْ بَیْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ (۷) إِنَّهُ عَلی رَجْعِهِ لَقادِرٌ (۸) یَوْمَ تُبْلَی السَّرائِرُ (۹) فَما لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَ لا ناصِرٍ (۱۰) وَ السَّماءِ ذاتِ الرَّجْعِ (۱۱) وَ الْأَرْضِ ذاتِ الصَّدْعِ (۱۲) ... [الطارق: ۷- ۱۲] یشیر إلی عدّة إعجازات علمیة مثل: أن السماء لها خاصیة الرجع، أی أنها ترجع عدة أشیاء إلی الأرض، کإرجاع میاه البحور- التی تبخر و من ثمّ تتکثّف- إلی الأرض من خلال سقوط المطر، و إرجاع الأشعة الصوتیة الضارة إلی الفضاء الخارجی، و مثل: أن الأرض لیست قطعة واحدة متواصلة، بل یوجد فیها صدوع عدّة، تجعلها مؤلفة من (لوحات SETALP) عدّة، تتحرک و تمور کما تخبرنا الآیة: أَ أَمِنْتُمْ مَنْ فِی السَّماءِ أَنْ یَخْسِفَ بِکُمُ الْأَرْضَ فَإِذا هِیَ تَمُورُ [الملک: ۱۶]. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۹۷ و الرجل، لأن لفظ «ماء» یخص کلیهما، و هو لفظ عام غیر مقید بأحد الجنسین، و لیس کما أشار إلیه بعض المفسّرین أنه من صلب الرجل و من ترائب المرأة. قال الألوسی: «و ظاهر الآیة أن أحد طرفی البینیة (التوسط): الصلب، و الآخر الترائب ... فکان الصلب و الترائب لشخص واحد فلا تغفل ... قال الحسن، و روی عن قتادة أیضا: أن المعنی یخرج من بین صلب کل واحد من الرجل و المرأة، و ترائب کل منهما ...» «۱» _____ ۱۰ -.

و لقد أعاد باحثون آخرون الخروج المذکور إلی الإنسان مرّة أخری، و لکن فی إشارة إلی اجتماع الأصول الخلویة فی الظهر فی الحدبة التناسلیة لدی الإنسان، مثل ما جاء فی البحث الذی قدّمه د. محمد إبراهیم دودح فی المؤتمر العالمی السابع للإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، ۲۲- ۲۴ مارس ۲۰۰۴، دبی الإمارات العربیة المتحدة، و هذا وجه مقبول و یتفق مع دلالة الآیة: وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّیَّتَهُمْ [الأعراف: ۱۷۲] التی تشیر إلی أن الإنسان انحدر من الظهر فی عالم الذر، و یکون تفسیر الآیة عندئذ: یخرج [أصل الإنسان] (مقدّر محذوف) من مکان یقع بین الصلب و الترائب، من خلال ماء یدفق فیما بعد من الخصیة (أو المبیض). و فی ذلک التفسیر إشارة إلی الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة الموجود بقوّة فی عدّة آیات من سورة الطارق. و مفهوم هذا التفسیر یتّفق مع المفهوم الذی اعتمدناه، و ذلک أن الأصول الخلویة التی أشار إلیها الباحثون الکرام فی هذه المرحلة (أی عند الخروج من مکان یقع بین الصلب و الترائب) هی مکوّنات أصل الماء الذی أشرنا إلیه فی تفسیرنا السالف الذکر و مفاده: یخرج أصل الماء (مقدّر محذوف) من مکان یقع بین الصلب و الترائب. و اللفظ البیانی- کما تری أیها القارئ الکریم- معجز من حیث یمکنه أن یتّسع لجمیع الدلالات المقبولة التی نستخرجها من النص القرآنی، فسبحان من علّم الإنسان البیان کما جاء فی النص القرآنی: الرَّحْمنُ (۱) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (۲) خَلَقَ الْإِنْسانَ (۳) عَلَّمَهُ الْبَیانَ (۴) [الرحمن: ۱- ۴]. و من الجدیر بالذکر أن النصوص القرآنیة بلغت فی التعبیر أقصی درجات البلاغة، حیث إنها لم تشر إلی أن الأصول الخلویة تخلق فی الظهر، أو بین الصلب و الترائب، بل تخرج و تؤخذ منهما، و الخروج غیر التخلق کما لا یخفی عند الجمیع، و الأخذ کذلک، فکلا الفعلین السالفی الذکر یشیران إلی أن الأصول الخلویة تؤخذ من مکان ما فی الظهر، یقع بین الصلب و الترائب، فتخرج منه و تنتقل إلی مکان آخر، و هی الخصیة (أو المبیض). و هذا ما یشیر إلیه العلم الکونی بالفعل، (فالأصول الخلویة SLLEC MREG YRAMIRP) تتخلّق فی جدار (کیس المح CAS KLOY) بدایة من الأسبوع الرابع من عمر الجنین، و تنتقل عبر الأمعاء إلی الحدبتین التناسلیتین، حیث تندمج (بالخیوط الجنسیة الأولی SDROC XES YRAMYRP) فی الأسبوع السادس للحدبتین التناسلیتین الواقعتین بین الصلب و الترائب، و اللتین بدورهما تنتقلان إلی الجزء السفلی للجنین لتصلا إلی حیث یقع المبیض أو الخصیة فی حوالی الأسبوع الثامن و العشرین (کتاب الإنسان النامی، د. مور و بارسو، ص ۳۲۳، ۳۲۴، ۳۴۲). (۱) روح المعانی، ج ۳۰/ ص ۹۹. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۹۸ و نلاحظ أیضا أن اللّه سبحانه و تعالی قال: یَخْرُجُ مِنْ بَیْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ و لم یقل ... یخرج من الصلب و الترائب، لما ذا؟: ذلک لأن الماء یخرج من موضع ما قریب من التقاء الصلب و الترائب و لیس من الموضعین نفسیهما، هذا الاستنتاج لیس خطأ أو غریبا عن القرآن الکریم لأن هذا الأسلوب وصف فی موضع آخر من القرآن الکریم تخلّق اللبن عند الحدیث عن مصدره فی قوله تعالی: مِنْ بَیْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ [النحل: ۶۶]. و قد أوضحنا فی باب تخلّق اللبن فی مبحث «الرضاعة» الآتی لاحقا أن اللبن یستخلص من الفرث و من ثمّ من الدم، و لیس هو الدم و الفرث نفسیهما «۱». کلنا یعلم أن ماء الرجل إنما یتکون فی الخصیة و ملحقاتها، و أن ماء المرأة یتکون فی المبیض، فکیف یخرج الماء إذا من مکان بعید عن تلک الأعضاء (أی من بین الصلب و الترائب)؟ الحقیقة أن الآیة تتحدث عن أصل الماء و لیس عن الماء نفسه و ذلک لإظهار الإعجاز فی معرفة خفایا تخلّق الماء. إن أصل الماء هو الماء الذی یغذّی المبیض و الخصیة، و بالتالی یکون أساسا لهذا الماء. یقول الدکتور محمد علی البار فی حدیثه عن تحدید موقع مصدر «أصل الماء»: «إن الخصیة و المبیض إنما یتکوّنان من الحدبة التناسلیة بین صلب الجنین و ترائبه ... و تتکون الخصیة و المبیض فی هذه المنطقة بالضبط أی: بین الصلب و الترائب. ثم تنزل الخصیة تدریجیا حتی تصل إلی کیس الصّفن (خارج الجسم) فی أواخر الشهر السابع من الحمل .. و بینما ینزل المبیض إلی حوض المرأة و لا ینزل أسفل من ذلک. (انظر الصورة رقم: ۱۹). و مع هذا فإن تغذیة الخصیة و المبیض بالدماء و الأعصاب و اللّمف تبقی من حیث أصلها .. أی من بین الصلب و الترائب. فشریان الخصیة أو المبیض یأتی من الشریان الأبهر (الأورطی البطنی) من بین الصلب و الترائب، کما أن ورید الخصیة یصب فی نفس المنطقة .. یصب الورید الأیسر فی الورید الکلوی الأیسر بینما یصب ورید الخصیة الأیمن فی الورید الأجوف السفلی .. و کذلک أوردة المبیض و شریانها یصبان فی نفس المنطقة أی بین الصلب و الترائب ..

کما أن الأعصاب المغذیة (_____ ۱) انظر مبحث «الرضاعة». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۹۹ للخصیة أو للمبیض تأتی من المجموعة العصبیة الموجودة تحت المعدة من بین الصلب و الترائب .. و کذلک الأوعیة اللمفاویة تصب فی نفس المنطقة أی بین الصلب و الترائب ... فالحیوانات المنویة لدی الرجل أو البویضة لدی المرأة إنما تستقی مواد تکوینها من بین الصلب و الترائب، کما أن منشأها و مبدأها من بین الصلب و الترائب» «۱». (انظر الصورة رقم: ۲۰). فالخصیة أو المبیض قد بدأ تکوینهما إذا من مکان یجاور الکلی (من جسم (ولف FFLOW) و قناته الذی نشأ بدوره علی جانب من جانبی العمود الفقری)، أی ما بین منتصف العمود الفقری تقریبا و مقابل أسفل الضلوع، لذلک ظل مصدر تغذیتهما حیث کان، أی: بین الصلب و الترائب. و مما یعزّز هذا المعنی قوله تعالی: وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّیَّتَهُمْ [الأعراف: ۱۷۲]. تشیر هذه الآیة إلی أن الشامختین التناسلیتین، اللتین تمثلان أصل الإنسان بما تحتویان علی خلایا جنسیة، ابتدأ تخلّقهما علی الجدار الخلفی للبطن من الظهر. (انظر الصورة رقم: ۲۱). و للعلم فإن الظهر لیس محصورا بالصلب کما یعتقده عامة الناس و لکن یشمل کلّما من الصلب و الترائب و الأعضاء الموجودة علی الجهة الخلفیة للإنسان، و ذلک واضح فی المفهوم القرآنی و الدلیل علی ذلک قوله تعالی: وَ مِنَ الْبَقَرِ وَ الْغَنَمِ حَرَّمْنا عَلَیْهِمْ شُحُومَهُما إِلَّا ما حَمَلَتْ ظُهُورُهُما ... [الأنعام: ۱۴۶]، أی ما احتوت ظهورهما «۲»، و بذلک تندرج الشامختان التناسلیتان فی محتوی الظهر لدی الجنین، و یکون أصل الذریة من الظهر. إنه یحق إعجاز علمی، فمن یتصوّر أن المبیضین و الخصیتین ینحدران من مکان ما یقع ما بین الصلب و الترائب؟!، و من یتصوّر أنّ تغذیتهما باللمف و الأعصاب و الأوردة تنبع من نفس المکان؟!، مع أن المبیضین و الخصیتین موجودان فی أسفل البطن، و مع أن ماهما یخرج من الأعضاء التناسلیة بعیدا عن الصلب و الترائب کما یشاهده عامة الناس، لا شک أن ذلک غیر متصوّر فی عصر خلا من الوسائل و التقنیات العلمیة، و لکن إثباته فی ذاک لا یدل إلا علی شیء واحد، ألا و هو الوحی الإلهی الربانی؟!!.

(_____ ۱) کتاب خلق الإنسان بین الطب و القرآن، د. محمد علی البار، ص ۱۱۴. (۲) قال الإمام ابن کثیر فی تفسیره للآیة رقم ۱۴۶ من سورة الأنعام: «یعنی ما علق بالظهر من الشحوم». و اختلف العلماء علی ما شملته الآیة من أعضاء (و هذا لا یعنینا فی بحثنا هذا، و ما یعنینا هو أن الظهر یشمل الأعضاء الموجودة فی الجهة الخلفیة من جسم الإنسان علی وجه العموم). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۰۰ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۰۱ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۰۲ و من الجدیر بالذکر هنا أن نشیر إلی أنه قد جاء ذکر الأصلاب فی ثلاثة نصوص شرعیة هی الآیة الکریمة: حُرِّمَتْ عَلَیْکُمْ أُمَّهاتُکُمْ وَ بَناتُکُمْ وَ أَخَواتُکُمْ وَ عَمَّاتُکُمْ وَ خالاتُکُمْ وَ بَناتُ الْأَخِ وَ بَناتُ الْأُخْتِ وَ أُمَّهاتُکُمُ اللاَّتِی أَرْضَعْنَکُمْ وَ أَخَواتُکُمْ مِنَ الرَّضاعَةِ وَ أُمَّهاتُ نِسائِکُمْ وَ رَبائِبُکُمُ اللاَّتِی فِی حُجُورِکُمْ مِنْ نِسائِکُمُ اللاَّتِی دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَکُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُناحَ عَلَیْکُمْ وَ حَلائِلُ أَبْنائِکُمُ الَّذِینَ مِنْ أَصْلابِکُمْ وَ أَنْ تَجْمَعُوا بَیْنَ الْأُخْتَیْنِ إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ کانَ غَفُوراً رَحِیماً [النساء: ۲۳]، و الحدیث الشریف: «عن عائشة أمّ المؤمنین رضی اللّه عنها قالت: دعی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم إلی جنازة صبیّ من الأنصار، فقلت: یا رسول اللّه طوبی لهذا عصفور من عصافیر الجنّة لم یعمل السّوء و لم یدرکه، قال: أو غیر ذلک یا عائشة! إنّ اللّه خلق للجنّة أهلا خلقهم لها و هم فی أصلاب آبائهم، و خلق للنّار أهلا خلقهم لها و هم فی أصلاب آبائهم». [أخرجه مسلم ح ۲۰۹] «۱»، و الحدیث الشریف: «قال النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم: بل أرجو أن یخرج اللّه من أصلابهم من یعبد اللّه وحده لا یشرک به شیئا» [أخرجه البخاری ح ۱۱۰]. و ظاهر النصوص الثلاثة یشیر إلی أن الإنسان کان موجودا فی عالم الذر فی الصلب، و بالتالی فهذا الظاهر یتعارض مع الحقیقة العلمیة التی سبق و أشرنا إلیها

(_____ ۱) فائدة: من المهم بمکان هنا أن نوضّح أمرین أساسیین لیس لهما صلة بالإعجاز العلمی، و هما یرتبطان بصلب العقیدة الإسلامیة، و یرتکز علیهما فهم الحدیث رقم ۲۰۹: إن علم اللّه عزّ و جلّ هو علم کاشف راصد، و هذا العلم لا دخل له فی اختیارات العباد، و لا فی إلزامهم بها، فهو علم إحاطة فقط، و اللّه جلّ و علا یعلم أعمال العباد و اختیاراتهم للکفر و الإیمان قبل أن یخلقهم فی الأزل. إن الأطفال فی الإسلام- سواء أ کانوا أطفال الکفار أم أطفال المؤمنین- یدخلون الجنّة علی أغلب أقوال العلماء، و یشهد لذلک عدّة أحادیث ثابتة، و ذلک لأنهم لم یبلغوا الحلم، و لم یکلّفوا بعد، و إنما جاء نهی الرسول صلی اللّه علیه و سلّم للسیدة عائشة رضی اللّه عنها فی التکلم عن مصیر الطفل، تعلیما لنا بأن نتوقف عن التکلم عن مصیر المخلوقات لأن هذا من اختصاص اللّه تعالی، فالأحوط أن نتوقّف فی هذه المسائل الغیبیة حتی لا نقع فی الخطأ و نحاسب علیه، جاء فی شرح سنن النسائی للسندی للحدیث رقم ۱۹۴۷، کتاب الجنائز، باب الصلاة علی الصبیان: « (أو غیر ذلک) أی بل غیر ذلک أحسن و أولی و هو التوقف ... قال النووی ... لعله نهاها المسارعة إلی القطع من غیر دلیل». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۰۳ و هی: أن الإنسان انبثق من الشامختین التناسلیتین اللتین تقعان قرب الصلب و الترائب، و لیس من نفس الصلب و الترائب، کما أشار إلیه النص القرآنی الکریم: فَلْیَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ (۵) خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ (۶) یَخْرُجُ مِنْ بَیْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ (۷) [الطارق: ۵- ۷]. و فی الحقیقة لیس هناک تعارض لعدّة أسباب، أهمها: هو أن آیة سورة النساء، و الحدیث رقم ۲۰۹، و الحدیث رقم ۱۱۰ جاءوا علی ذکر الأصلاب من باب المجاز المرسل للدلالة علی أن الإنسان انحدر من مکان یجاور الصلب، و ذلک لکثرة تداول و شیوع هذه الکلمة عند العرب. فالعرب تستعمل هذا النوع من المجاز، و قد جاء ذکره فی کتب اللغة العربیة، قال الکردی فی «نظرات فی البیان» «۱»: «إذا کان الشیء مجاورا لآخر فی مکانه یکون بینهما اتصال، یعدّ فی العرف مجاورة. من ذلک قولک: شربت من الرابویة. الرابویة: ما یستقی علیه من بعیر و غیره، و المزادة: سقاء الماء الذی یوضع علیها. و الرابویة مستعملة فی المزادة، و العلاقة مجاورة المزادة للرابویة، و القرینة کلمة: شربت». و عند الأصولیین إذا وقع تعارض ظاهر بین نصّین شرعیین، فعلینا التألیف بینهما قبل أن نحکم علیهما بالتعارض، و هو الحال هنا. فهناک الکثیر من الأحادیث تتکلّم عن أمور لها صلة بظواهر کونیة لم تکن تعرف لدی العرب وقت التنزیل، و التکلم عن هذه الأمور جاء لتبیین مواضیع شتّی کالتشریع ... أو إظهار حکمة ما، و لم یسق أساسا لتبیین الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، و الاستطراد فی الکلام لتبیین الأمور العلمیة الغیبیة التی تتفرع من المواضیع الأساسیة یجعل فهم المواضیع الأساسیة معقّدا علی السامعین. لذلک فالاختصار فی الکلام فی هذا الموضع و استعمال المجاز فیه، المألوف للمجتمع العربی آنذاک، یسهّل استیعاب الکلام، و فی الوقت نفسه یفتح المجال لاکتشاف الحقیقة العلمیة فی المستقبل، و هذا الأسلوب یدلّ علی دقّة عالیة، و حکمة متناهیة، فی التعبیر عن المعانی التی یصل إلیها الکل بطرق مختلفة، حیث إن استعمال المجاز هنا لا یعارض معتقدات هذه الشعوب (لأنه بالظاهر یوافق معتقداتهم بأن الإنسان ینسل من الصلب)، و لا الحقیقة العلمیة (لأنه یستخدم المجاز الذی یتیح فهم أن انسلال (_____ ۱)

«نظرات فی البیان»، للدکتور محمد الکردی، باب المجاز المرسل، ص ۲۳۸- و انظر «عروس الأفراح فی شرح تلخیص المفتاح»، لأحمد السبکی، (ج ۱/ ص ۱۰۰)- و «المطول فی شرح تلخیص العلوم»، للتفتازانی، ص ۵۷۶- و «الأطول شرح تلخیص مفتاح العلوم»، لإبراهیم محمد بن عرشاه العصام الحنفی، (ج ۱/ ص ۸۵). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۰۴ الإنسان هو من مکان یجاور الصلب) فی آن واحد، فجاء التألیف بینهما بأسلوب سهل، لیّن، سائغ للسامعین. و لا یعتبر هذا الأسلوب تضلیلا للسامعین عن الحقیقة العلمیة، لأن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم بین الحقیقة العلمیة فی مکان آخر، فقد جاء ذکرها فی نص سورة الطارق بأسلوب یدعونا للتفکّر و اکتشاف الحقیقة العلمیة، و هو أسلوب إیضاح، و تبیین، و تفصیل لمبدأ نشأة الإنسان کما یشیر إلیه سیاق النص القرآنی: فَلْیَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ (۵) [الطارق: ۵]، أما فی آیة سورة النساء و الحدیث رقم ۲۰۹، و الحدیث رقم ۱۱۰ فقد جاء ذکر کلمة «الأصلاب» بطریقة موجزة، و هکذا فإن النصوص الشرعیة الثلاثة مجملة، و آیة سورة الطارق مبیّنة، و علینا أن نردّ المجمل إلی المبیّن کما یقرّره علم «أصول الفقه»، و بالتالی فلا نستطیع أن نقول إن النصوص الشرعیة الثلاثة تتعارض مع نص سورة الطارق. کذلک فإن نص سورة الطارق سیق لغرض تبیین نشأة الإنسان، و النصوص الشرعیة الثلاثة لتبیین أمور أخری، و قد استعمل فیها کلمة «الأصلاب» تبعا فی ذکر أمر آخر، و علینا أن نردّ الأمر العرضی إلی الأمر الأساسی، أضف إلی ذلک أن المجاز استعمل فی النصوص الشرعیة الثلاثة، و الحقیقة العلمیة فی نص سورة الطارق، و علینا أن نردّ المجاز إلی الحقیقة قبل أن نجزم أن هناک تعارضا.

۸- تفسیر النقطة الثامنة (أن ماء المرأة أصفر):

۸- تفسیر النقطة الثامنة (أن ماء المرأة أصفر): * قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «ماء الرجل أبیض و ماء المرأة أصفر ...» [أخرجه مسلم ح ۹] إن الماء الذی یتدفق من مبیض المرأة (أی السائل الحویصلی) و الذی یحتوی علی البویضة، أصفر اللون، و الحدیث السابق یشیر إلی هذا الماء؛ و الدلیل علی ذلک هو أن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم أشار فی حدیث آخر «۱» إلی لون النطفة الذّکریة و الأنثویة، و بما أن النطفة هی القطرة من الماء، فبالتالی إن لونها یتبع لون الماء الذی یحویها. (انظر الصورة رقم: ۲۲). و بعد خروج البویضة من الحویصلة یتحول ما تبقی من تلک الحویصلة إلی ما یعرف (بالجسم الأصفر «۲»، (MUETUL SUPROC

۱) _____) الحدیث هو: «نطفة الرجل بیضاء غلیظة، و نطفة المرأة صفراء رقیقة، فأیهما غلبت فالشبه له» [ذکره ابن هشام ح ۶۹]. (۲) کتاب الآیات العجاب فی رحلة الإنجاب، د. حامد أحمد حامد، ص ۴۰. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۰۵ (۲۲) (SC)- نری هنا النطفة داخل بوق فالوب و هی صفراء اللون وفقا للحدیث «ماء المرأة أصفر» [أخرجه مسلم ح ۹] هذا الأمر لم یستطع أحد تأکیده فی عهد رسول اللّه- علیه و علی آله الصلاة و السلام- لأن المجهر لم یکن موجودا فی ذلک العصر لیکشف عما یجری داخل الرحم، بید أن هذا الأخیر اکتشف عام ۱۶۷۷ م علی ید هام و هوک لیوین. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۰۶

النطفة

اشارة

النطفة * قال العلیم الحکیم: أَ لَمْ یَکُ نُطْفَةً مِنْ مَنِیٍّ یُمْنی [القیامة: ۳۷]. * قال العلیم الحکیم: ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ ماءٍ مَهِینٍ [السجدة: ۸]. * قال صلی اللّه علیه و علی آله و سلم: «ما من کل الماء یکون الولد ..» [أخرجه مسلم ح ۱۷]. * قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «ماء الرجل غلیظ أبیض و ماء المرأة رقیق أصفر فمن أیّهما علا أو سبق یکون الشّبه منه» [أخرجه مسلم ح ۶۷]. * عن ابن عباس رضی اللّه عنهما، قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «نطفة الرجل بیضاء غلیظة و نطفة المرأة صفراء رقیقة فأیهما

غلبت فالشبه له». [ذکره ابن هشام ح ۶۹].

أ- النطفة:

۱- تعریف النطفة

۱- تعریف النطفة نفهم من الآیتین الکریمتین السابقتین أن الإنسان خلق من جزء من المنی و لیس من المنی کله، لأن الإنسان خلق من نُطْفَةٌ مِنْ مَنِیٍّ «۱». فالنطفة لیست المنی کله و لکنها جزء من المنی، و یکون معنی الآیة: أ لم یک الإنسان قطرة من منی یمنی؟.

(_____ ۱) لقد رأینا فی مبحث «الماء و المنی» أن الإنسان یتخلق من منی الرجل و ماء المرأة، و أیضًا أیضا أن ماء الرجل هو منی الرجل فی الوقت نفسه، علی حین أن ماء المرأة یختلف عن منی المرأة، لذلک قد یتساءل بعض القرّاء لما ذا قال اللّه تعالی: أَ لَمْ یَکُ نُطْفَةً مِنْ مَنِیٍّ یُمْنی [القیامة: ۳۷]؟ و الحال هی أن الإنسان لم یتکون بأکمله من منی یمنی، لأن الآیة فی هذه الحالة تشیر بالظاهر إلی منی الرجل فقط، و هی تؤلّف نصف مادة الجنین المتخلق، و لیس کلّها، کذلک فالقارئ قد یتساءل أن اللّه تعالی لو قال: أ لم یک نطفة من ماء، أ لم یکن ذلک یکفی المعنی؟ نقول- و باللّه التوفیق-: إن اللّه تعالی نزّل هذا الکلام منزلة التغلیب، و تعریفه: «و حقیقته إعطاء الشیء حکم غیره، و قیل ترجیح أحد المغلوبین علی الآخر، أو إطلاق لفظه علیهما، إجراء للمختلفین مجری المتفقین». «البرهان فی علوم القرآن للزرکشی، ص ۳۰۲. و انظر «الأشباه و النظائر» للسیوطی- (ج ۱/ ص ۱۷۰). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۰۷

- _____ و هذا الأسلوب جاء بوفرة فی القرآن الکریم کما فی قوله تعالی: وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِکَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِیسَ [البقرة: ۳۴]، حیث صرّح بأمر السجود للملائکة و استثنی منهم إبلیس، مع کونه لیس منهم، إنما هو من الجن (و الأصل فی المستثنی أن یکون من جنس المستثنی منه)، و کقوله عزّ و جلّ: وَ مَرْیَمَ ابْنَتَ عِمْرانَ الَّتِی أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فِیهِ مِنْ رُوحِنا وَ صَدَّقَتْ بِکَلِماتِ رَبِّها وَ کُتُبِهِ وَ کانَتْ مِنَ الْقانِتِینَ [التحریم: ۱۲]، حیث إن اللّه تعالی وصف مریم ابنت عمران بأنها من القانتین، و لم یصفها بأنها من القانتات، فغلّب الذکور علی الإناث، و کقوله عزّ و جلّ: فاطِرُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ جَعَلَ لَکُمْ مِنْ أَنْفُسِکُمْ أَزْواجاً وَ مِنَ الْأَنْعامِ أَزْواجاً یَذْرَؤُکُمْ فِیهِ [الشوری: ۱۱]، فغلّب المخاطبین، و هم بنو آدم علی الأنعام، و لم یقل للأنعام: یذرؤها فیه، مع قربها للضمیر إلیها، إلی ذلک من أمثال. و للمزید انظر مبحث «التغلیب» فی کتاب «الأشباه و النظائر» للسیوطی، (ج ۱/ ص ۱۶۹- ۱۷۱). و فی هذه الآیة یتمثّل التغلیب بنوعین: تغلیب المذکّر، و تغلیب الأشهر، و کلاهما من أنواع التغلیب کما «فی البرهان فی علوم القرآن»، و یتمثّل تغلیب الأشهر بأن اللّه جلّ و علا غلّب کلمة «منی» (التی تشیر إلی سائل الرجل الظاهر للعیان) علی کلمة «ماء» (التی تشیر إلی سائل الرجل و المرأة علی حدّ سواء)، فصرّح بکلمة «منی» و أعرض عن ذکر کلمة «ماء»، و یمثّل تغلیب المذکر بأنه جلّ و علا غلّب منی (أو ماء) الرجل علی ماء المرأة، أی أنه صرّح بمنی (أو ماء) الرجل فقط، و ورّی عن ذکر ماء المرأة، مع استوائهما فی إرادة المتکلم لعدّة أسباب: - فی مجال تغلیب کلمة منی (أو ماء) الرجل علی ماء المرأة: ۱- أن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم بعث بجوامع الکلم کما أشرنا إلیه فی مبحث «المنهجیة المتّبعة فی وصف الأطوار الجنینیة»، و بالتالی فإن اللّه تعالی بذکر الآیة: نُطْفَةً مِنْ مَنِیٍّ یُمْنی [القیامة: ۳۷]، أتاح لنا تفسیر النص القرآنی: أَ لَمْ یَکُ نُطْفَةً مِنْ مَنِیٍّ یُمْنی (۳۷) ثُمَّ کانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّی (۳۸) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَیْنِ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثی (۳۹) [القیامة: ۳۷- ۳۹] بوجهین سلیمین، یتّفق کلّ منهما مع قدرات القرّاء و ثقافتهم، سواء أ کانوا متأخرین أم متقدمین. فمن الممکن فی هذه الحالة أن نرجع ضمیر «الهاء» فی قوله تعالی: فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَیْنِ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثی إلی الإنسان المذکور فی سورة القیامة علی العموم- و ذلک یجوز لأن موضوع سورة القیامة یتکلم عنه- أو للمنی المذکور فی الآیة: أَ لَمْ یَکُ نُطْفَةً مِنْ مَنِیٍّ یُمْنی [القیامة: ۳۷]- و ذلک یجوز أیضا لأن کلمة «منی» هی أقرب مذکور إلی ضمیر الهاء فی «منه»-، و کلا الوجهین صحیح علمیا، و یؤدی إلی فهم النص القرآنی علی نحو سلیم. ففی الحالة الأولی من الممکن أن نفهم أن الآیة تفید أن إذکار أو إناث الجنین یحصل بعد مرحلة التسویة المشار إلیها فی قوله عزّ و جلّ: ثُمَّ کانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّی [القیامة: ۳۸]، و المذکورة مباشرة قبل الزوجین: الذکر و الأنثی، کأن نقول إن الآیة تقول: فسوی، و من ثمّ جعل من الإنسان (أی الجنین) الزوجین: الذکر و الأنثی، کما سنفصّله لاحقا فی مبحث «النشأة/ مرحلة القابلیة للإناث/ التعدیل/ التمیز الجنسی». و هذا المفهوم یدعمه الحدیث الشریف التالی: «إذا مر بالنطفة ثنتان و أربعون لیلة بعث اللّه إلیها ملکا فصورها و خلق سمعها و بصرها و جلدها و لحمها و عظامها ثم قال: یا رب: أذکر أم أنثی؟ ...» [أخرجه مسلم ح ۴۵]. و إذا أرجعنا ضمیر «الهاء» فی قوله تعالی: فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَیْنِ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثی- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۰۸

- _____ القیامة: ۳۹] إلی المنی المذکور فی الآیة أَ لَمْ یَکُ نُطْفَةً مِنْ مَنِیٍّ یُمْنی [القیامة: ۳۷]، صحّ أیضا، و نصّ أن الإذکار أو الإیناث سببه المنی (أو ماء الرجل) فقط، و لیس ماء المرأة، کأن نقول: إن الآیة تقول: فجعل من المنی الزوجین الذکر و الأنثی، کما سنفصّله فی مبحث «معجزة الرؤیة الإسلامیة فی علم الوراثة/ دور النطفة فی تحدید جنس الجنین»، و هذا المفهوم یدعّمه النص القرآنی: وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَیْنِ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثی (۴۵) مِنْ نُطْفَةٍ إِذا تُمْنی (۴۶) [النجم: ۴۵- ۴۶]. ۲- إن منی الرجل ظاهر للعیان، و بالتالی فمن الأسهل علی المخاطبین- علی وجه عام- أن یستوعبوا أن الإنسان یتخلّق منه، بدلا من أن یحاولوا استیعاب أن الجنین یتخلّق من منی الرجل، و من ماء غیر مرئی، مختبئ فی جسد المرأة، «و العرب تغلّب الأقرب علی الأبعد»، کما صرّح السیوطی فی الأشباه و النظائر (ج ۱/ ص ۱۷۰)، لذلک غلّب المنی علی ماء المرأة، لقربه من الذهن أکثر من ماء المرأة. ۳- إن ذکر نطفة و منی الرجل جاء من أجل دحض اعتقاد العرب أن المرأة هی السبب فی إنجاب الإناث، و کان یترتّب من جراء هذا الاعتقاد ظلم و إیذاء للمرأة، فکان لا بد من إعادة الأمور إلی نصابها، و إظهار أن الرجل هو السبب فی إذکار أو إیناث الجنین، و ترسیخ و تغلیب هذا المفهوم علی الاعتقاد الخاطئ و السائد عند العرب، لذلک غلّب منی الرجل علی ماء المرأة. فجاء الإخبار عن حقیقة علمیة غیبیة إعجازا علمیا ساطعا، و خصوصا أنه تحدّی زعم العرب آنذاک، و أشار إلی عکس ما آمنوا به. و أری من الأهمیة بمکان أن أنقل ما جاء فی المفصّل فی تاریخ العرب قبل الإسلام، للدکتور جواد علی، (ج ۵/ ص ۹۴)، حتّی یتبیّن للقارئ أن الإسلام هو أوّل من دافع عن المرأة، و أدی لها کامل حقوقها، و نصّه ما یلی: «و من النساء من تکون خصبة فی ولادة البنات، فیجلب لها الخصب هجر زوجها لها و فراره منها و من رؤیة بناته. یحدثنا الأصمعی أن امرأة ولدت لرجل بنتا سمتها الذلفاء، فکانت هذه البنت سببا فی هرب الرجل من البیت، فقالت: ما لأبی الذلفاء لا یأتینا یظل فی البیت الذی بلینا؟ یحرد أن لا تلد البنینا و إنما تأخذ ما یعطینا و مثل تلک المرأة المسکینة کثیر من النساء هجرهن أزواجهن لکثرة ما کن یلدن لهم من البنات، و لسان حالهن یکرر کلمات أم الذلفاء». - فی مجال تغلیب کلمة «منی» علی کلمة «ماء»: ۱- أنه لو قال اللّه تعالی: أ لم یک نطفة من ماء، لما کان بالإمکان فهم الآیة علی أن سبب إذکار أو إیناث الجنین هو المنی، کما ذکرنا سابقا، لانتفاء التخصیص فی نوع الماء الذی یتولّد منه زوجا الجنین. ۲- إن الکلام لن یعود متناسبا من الناحیة البلاغیة، و لن یحتفظ بجمال انسیابه علی الألسنة ...: «فمن ناحیة: أن ذکر المنی یفید الشهوة کما بیّناه فی مبحث «الماء و المنی/ التعریف القرآنی و اللغوی للماء و المنی»، و هو یتوافق مع ذکر الزوجین، و میلهما إلی بعض، فأرجع الکلام إلی أوله، و ردّ العجز علی صدر الکلام. و لعلّ الآیة تشدّد علی إبراز الشهوة، ذلک أنه کان یکفینا أن نقول أ لم یک نطفة- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۰۹ إلی ذلک فالنطفة فی اللغة العربیة هی القلیل من الماء الذی یعدل القطرة. جاء فی لسان العرب «۱»: «النطفة: و النطفة القلیل من الماء ... و النطف: القطر و نطف الحب و الکوز و غیرهما ینطف و ینطف نطفا و نطوفا و نطافا و نطفانا: قطر». و قد وردت عدة أحادیث للرسول صلّی اللّه علیه و سلّم، و روایات للصحابة رضی اللّه عنهم تحمل هذا المفهوم منها: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «بینما أنا نائم رأیتنی أطوف بالکعبة فإذا رجل آدم سبط الشعر بین رجلین ینطف رأسه ماء ...» [أخرجه مسلم ح ۱۸]، و منها: «یطلع علیکم الآن رجل من أهل الجنة»، فطلع رجل من الأنصار تنطف لحیته من وضوئه. [أخرجه أحمد ح ۱۹]. هذا هو مفهوم الصحابة رضی اللّه عنهم للنطفة. هذا و قد أوضح الرسول الکریم- علیه أزکی الصلوات و أطیب التحیات- أن مصدر الإنسان إنما هو من جزء من الماء بقوله صلّی اللّه علیه و سلّم: «ما من کل الماء یکون الولد، و إذا أراد اللّه خلق شیء لم یمنعه شیء» [أخرجه مسلم ح ۱۷]، فمنطوق الحدیث أنّه لیس من کل الماء یکون الولد، و مفهومه بل من جزء یسیر منه، و بهذا تکون النطفة- أی القطرة من الماء- السبب فی خلق الإنسان. و هکذا نفهم لما ذا أطلق الرسول الکریم صلّی اللّه علیه و سلّم لفظ «نطفة» علی کل من بویضة المرأة و البویضة المخصبة، بل و حتی علی الحیوانات المنویة التی تنتقل هی أیضا من المهبل إلی قناة فالوب حتی تلقح بویضة المرأة. (انظر الصورتین رقم: ۲۳ - ۲۴).

- _____ من منی؟ أو أ لم یک نطفة تمنی؟ کما فی قوله تعالی: وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَیْنِ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثی (۴۵) مِنْ نُطْفَةٍ إِذا تُمْنی (۴۶) [النجم: ۴۵- ۴۶]، لکی نفهم المعنی، غیر أن تکریر أصل «منی» من خلال کلمتی «منی» و «یمنی»، الذی یشیر إلی تمنی الشهوة بتزول السائل الجنسی دلّ علی أن شهوة الذکر للأنثی (أو شهوة الأنثی للذکر) تلعب دورا کبیرا فی تسهیل إذکار أو إیناث الجنین کما یشیر إلیه الحدیث الشریف: «ماء الرجل أبیض و ماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا منیّ الرجل منیّ المرأة أذکرا بإذن اللّه، و إذا علا منی المرأة منیّ الرجل آنثا بإذن اللّه» [أخرجه مسلم ح ۹]، و کما أشرنا إلیه فی مبحث «الماء و المنی/ أن لمنی الرجل و لمنی المرأة دورا فی تسهیل عملیة إذکار أو إیناث الجنین): و من هنا کان ارتباط آخر الکلام بأوّله». و من ناحیة أخری: إن قول- علی سبیل المثال-: أ لم یک نطفة من ماء یتدفق، ثم کان علقة، فخلق، فسوی، فجعل منه الزوجین الذکر و الأنثی، لن یحتفظ بجمال البیان و رونقه، کما لا یخفی علی العالم باللغة العربیة، و نحوها، و بلاغتها ... و اللّه تعالی أعلم، و أجلّ و أکرم. (۱) لسان العرب لابن منظور- مادة «نطف»- (ج ۱۴/ ص ۱۸۷). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۱۰ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۱۱

۲- نطف ذکریة و أنثویة

۲- نطف ذکریة و أنثویة • سأل یهودی الرسول الکریم- علیه أفضل الصلاة و التسلیم- قائلا: یا محمد مم خلق الإنسان؟، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «یا یهودی من کلّ یخلق: من نطفة الرجل و نطفة المرأة» [أخرجه أحمد ح ۲۰]. بعد أن عرّفنا- من خلال ما تقدم- أن للمرأة ماء کما أن للرجل ماء، لا بد أن نشیر إلی أن إثبات وجود ماء للمرأة لا یلزم منه إثبات وجود بویضة داخل هذا الماء. و إن کانت الفرضیة قد تقود إلی مثل هذا الفهم، فإن ثمة فرضیات کثیرة أخری تقود إلی خلاف هذا، فقد ذهب العالم (مارسیلو

مالیبجی ۱۶۷۵ (IHGIPLAM OLLECRAM) م إلی أن الحیوان یکون فی ماء الرجل و یتغذی من ماء المرأة. إذا فالمعرفة الدقیقة لهذا المعنی لا بد أن تکون قائمة علی أسس أکثر ثباتا من الفرض و التخمین. و قد أثبت الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم: « أن للمرأة نطفة کما أن للرجل نطفة. » أن نطفة المرأة تلعب دورا أساسیا کنطفة الرجل فی خلق الإنسان، و الحال أن اکتشاف حویصلة البویضة لم یتم إلا فی القرن السابع عشر علی ید العالم دوغراف، و لذلک تسمی: (فولیکول دوغراف FAARG ED ELUCILLOF). و بذلک یکون الرسول- علیه الصلاة و السلام- قد نسخ مزاعم الطبیب مالیبجی التی أطلقها فی سنة ۱۶۷۵ م من أن البویضة تحمل الجنین بصورة مصغرة، و أن السائل لا-وظیفة له إلا- تنشیط البویضة، و اعتقاد (هام و لو فینهوک KEOHNEWUEEL DNA MMAH) أن الجنین موجود بصورة مصغرة جدا فی الحیوان المنوی، و أن لا وظیفة للبویضة إلا فی تغذیته و تنشیطه، و ذلک عند ما أکد صلّی اللّه علیه و سلّم أن لکل من نطفة الرجل و نطفة المرأة حظا فی عملیة تخلّق الجنین، و کان بذلک صلّی اللّه علیه و سلّم قد أشار إلی هذه الحقیقة العلمیة قبل أن یکتشفها العالم (سیلانزانی ۱۷۹۹ -۱۷۲۹) (INAZNALLAPS م) أیضا.

ب- السلالة:

اشارة

ب- السلالة: هذا ما یتعلق بکلمة نطفة، أما بالنسبة لکلمة سلالة، فنشیر إلی أن کلمة سلالة قد وردت فی الآیة الکریمة: ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ ماءٍ مَهِینٍ [السجدة: ۸] إلی جانب کلمة «ماء». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۱۲ هذه السلالة تستخرج من الماء تحدیدا و لیس بالضرورة من المنی، و بالتالی فإن السلالة تأتی من الرجل أو من المرأة و لیس من الرجل فقط، و ذلک لأن الماء هو سبب تخلّق الجنین کما أشرنا إلیه فی مبحث «الماء و المنی» و هو بالتالی یحمل نطف المرأة أو نطف الرجل، أما المنی فهو یحتوی علی نطفة الرجل فقط و لا یحتوی علی نطفة المرأة (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «الماء و المنی»). و الماء المهین هو الماء القلیل فی اللغة العربیة. جاء فی لسان العرب «۱»: «مهین: قال أبو إسحاق: هو فعیل من المهانة و هی القلة ... و قوله عزّ و جلّ: خلق من ماء مهین، أی من ماء قلیل ضعیف». کلنا یعلم أن منی الرجل قلیل و ذلک لأنه ظاهر للعیان؛ فعلی سبیل المثال: فإن متوسط ما یتدفق من المنی عند استمناء الرجل یبلغ حوالی ثلاثة و نصف من المیلیلتر، و یوجد فی هذا الحیّز من المکان حوالی ثلاثة مائة و خمسین ملیون حیوان منوی؛ أی أن لکل مائة ملیون نطفة- تبلغ من الطول ستة فی المائة من المیلیمتر- ملم مکعب واحد لتتحرک فیه، و هذا مکان صغیر نسبیا. أما بالنسبة للبویضة فإن قطرها یبلغ ۱۳۰ ، ۰ ملیمتر عند خروجها من الجریب «۲» و یبلغ حجم السائل الذی یقذف معها حوالی ۱۰ إلی ۱۵ ملیلتر «۳»، و هو أیضا رقم صغیر نسبیا. إذا معرفة أن ماء الرجل قلیل کما أسلفنا القول لیس من الإعجاز، أما معرفة أن ماء المرأة قلیل فهو أمر غیر طبیعی؛ فالسائل الذی یحتوی علی البویضة غیر ظاهر و لا سبیل للنظر إلیه إلا بواسطة آلات متقدمة کانت غیر موجودة فی عصر الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم. و هذا السائل یخرج من المبیض و یتبعثر فی (تجویف البطن YTTIVAC LAENOTIREP)، و ما یصل منه إلی قناة فالوب یختلط بالماء الموجود فیها و بالسوائل الأخری التی تفرزها غدد رحمیة موجودة فی الرحم مثل (لین الرحم ۴» (KLIM ENIRETU»، و بالتالی ما یخرج من الرحم، فی حال خرج منه، لا یکون ممیزا عن غیره من السوائل، و هکذا فلا سبیل لمعرفة مقداره.

(_____ ۱) لسان العرب لابن منظور- مادة «مهن»- (ج ۱۳/ ص ۲۱۲). (۲) کتاب الآیات العجاب فی رحلة الإنجاب، د. محمد أحمد حامد، ص ۴۰. (۳) کتاب ولد طفل، د. لارس هامبرغر، ص ۳۱. (۴) کتاب علم الأجنة الإنسانی، بوید و موسمان، هاملتون، ص ۸۵. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۱۳ و لنتکلم الآن عن معنی کلمة «سلالة»، فهذه الکلمة مشتقة من کلمة «سلّ»، و کلمة «سلّ» لها عدة معان منها: ۱- الماء القلیل. ۲- السمکة الطویلة. ۳- انتزاع الشیء و إخراجه فی رفق «۱». ۴- الخروج من الرحام. ۵- الخروج من مضیق. ۶- السیر السریع و السباق. قال ابن فارس: «سل: السین و اللام أصل واحد، و هو مدّ الشیء فی رفق و خفاء ... و مما حمل علیه: السلسلة: سمیت بذلک لأنها ممتدة فی اتصال، و من ذلک: تسلسل الماء فی الحلق إذا جری ...» «۲». ورد فی لسان العرب «۳»: «سل: السّلّ: انتزاع الشیء و إخراجه فی رفق، سلّه یسلّه سلّا و استلّه فانسلّ و سللته أسلّه سلّا ... و السلالة ما انسلّ من الشیء ... و الانسلال: المضی و الخروج من مضیق أو زحام ... قال ابن بری: قوله سال السلیل بهم أی ساروا سیرا سریعا ... و سلّة الفرس: دفعته من بین الخیل، و فرس شدید السلة: و هی دفعته فی سباقه». جاء فی تاج العروس عن السلالة «۴»: «و أیضا السمکة الطویلة». و نقول: إن العرب سمّت السمکة الطویلة بالسلالة لأنها ممتدّة باتصال، و أنّ انتزاع الشیء من الشیء الآخر هو امتداد له، لذلک أطلق العرب اسم السلالة علی ما استخرج من الشیء، کذلک الخروج من الزحام هو امتداد للجماعة التی تشکل الزحام، و الخروج من المضیق هو اختفاء عن الأنظار من خلال الولوج فی هذا المضیق و الخروج من ناحیته الأخری، و السیر یشکّل حلقة متصلة من الخطوات،

(_____ ۱) القاموس المحیط لمجد الدین محمد- مادة «سلل»- ص ۱۳۱۲. تاج العروس لمحمد مرتضی- مادة «سلل»- (ج ۱۴/ ص ۳۴۹). (۲) معجم مقاییس اللغة لابن فارس، (ج ۳/ ص ۵۹- ۶۰). (۳) لسان العرب لابن منظور- مادة «سلل»- (ج ۶/ ص ۳۳۸- ۳۴۰). (۴) القاموس المحیط لمجد الدین محمد- مادة «سلل»- ص ۱۳۱۲. تاج العروس لمحمد مرتضی- مادة «سلل»- (ج ۱۴/ ص ۳۵۰). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۱۴ و السرعة فی السیر تضفی الخفاء علی الشیء لأنه یقطع مسافة معیّنة فی مدّة قصیرة فیغیب عن الأنظار ... و مما یجب التنویه به هنا هو أن حرف «من» له عدة وظائف فی اللغة، فهو قد یأتی لابتداء الغایة فی الأماکن و الأزمنة، أو للتبعیض، أو للجنس. جاء فی لسان العرب «۱»: «من: ... و من بالکسر حرف خافض لابتداء الغایة فی الأماکن، و ذلک قولک من مکان کذا و کذا إلی مکان کذا و کذا، و خرجت من بغداد إلی الکوفة، و تکون أیضا للتبعیض، تقول: هذا من الثوب و هذا الدّرهم من الدراهم و هذا منهم، کأنک قلت بعضه أو بعضهم، و تکون للجنس کقوله تعالی: فَإِنْ طِبْنَ لَکُمْ عَنْ شَیْءٍ مِنْهُ نَفْساً [النساء: ۴]، فإن قیل: کیف یجوز أن یقبل الرجل المهر کله و إنما قال منه؟، فالجواب فی ذلک أن «من» هنا للجنس، کما قال تعالی: فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ [الحج: ۳۰] و لم نؤمر باجتناب بعض الأوثان ...». فإن اعتبرنا حرف «من» لابتداء الغایة فی الأماکن، فإنه ینطبق علی السلالة معنی الخروج من مضیق، أو من الزحام، أو الخروج برفق، و کان المعنی علی هذا النحو: ثم جعل نسله من شیء ینسلّ برفق أو من مضیق أو من زحام إلی مکان کذا و کذا. و إن اعتبرنا حرف «من» للجنس انطبق علی السلالة معنی السیر السریع و السباق، و کان المعنی علی هذا النحو: ثم جعل نسله من ماء قلیل یسیر بسرعة. و إن اعتبرنا حرف «من» للتبعیض انطبق علی السلالة معنی السمکة الطویلة، و کان المعنی علی هذا النحو: ثم جعل نسله من بعض المنی یشبه السمکة الطویلة.

المعنی الأول و هو الماء القلیل:

المعنی الأول و هو الماء القلیل: کلمة سلالة تشیر إلی البویضة و إلی الحیوان المنوی لأنها تعنی القلیل من الماء، و ذلک حسب ما یشیر إلیه وزن الکلمة، جاء فی تفسیر زاد المسیر «۲»: «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِینٍ [المؤمنون: ۱۲]: قال الزجاج: و السلالة فعالة، و هی القلیل مما ینسل، و کل مبنیّ علی فعالة یراد به القلیل، من ذلک: القصافة، و النّخالة، و القلامة». فی هذه الحالة تکون وظیفة «من» للتبعیض و یکون المعنی علی النحو التالی: ثم جعل نسله من ماء قلیل (أی من نطفة) ینسل من ماء قلیل أیضا (و هو الماء الدافق (_____ ۱) لسان العرب لابن منظور- مادة «منن»- (ج ۱۳/ ص ۲۰۱). (۲) زاد المسیر لابن الجوزی- (ج ۵/ ص ۴۶۲). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۱۵ و بالفعل فإن حجم الحیوان المنوی ۱۰۰/ ۱ من الملم، و حجم البویضة عند ما تنسل من الجریب ۱۳۰ ، ۰ ملم، و هی أرقام صغیرة نسبیا. و نفهم من هذا الکلام أن الذی أوحی القرآن لسیدنا محمد صلّی اللّه علیه و سلّم أراد أن یشیر الجذر «سلّ» إلی معنی الشیء القلیل، فتکلّم به علی وزن «فعالة» لیرینا أنه یعلم أن الحیوانات المنویة و البویضة التی تنسل من الماء صغیرة الحجم.

المعنی الثانی و هو السمکة الطویلة:

المعنی الثانی و هو السمکة الطویلة: توجد الحیوانات المنویة فی المنی، و المنی هو السائل الذی یتدفق من العضو التناسلی للرجل، و بالتالی فإن الحیوانات المنویة توجد فی وسط مائی کما توجد الأسماک فی میاه البحار و الأنهار. إلی ذلک فإن الحیوان المنوی مؤلف من ثلاثة أجزاء: رأس، و قطعة متوسطة، و ذیل. یسبح و یتنقّل الحیوان المنوی فی هذا السائل بواسطة ذیله الذی یدفع به إلی الأمام، و هکذا فإن الحیوان المنوی یشبه السمکة من حیث الحرکة. یتخذ رأس الحیوان المنوی شکلا کمثریا- أی مثل شکل الإجاصة- و هو ضخم بالنسبة للقطعة المتوسطة و الذیل مما یجعله یشبه السمکة ذات الرأس الکبیر من حیث الشکل. و هکذا نری تشابه الحیوان المنوی بالسمکة من حیث المحیط و الحرکة و المظهر. إنّ الحیوان المنوی طویل جدا بالنسبة لعرضه؛ یبلغ طول الحیوان المنوی ستة فی المائة من الملیمتر و یحتل رأسه الضخم خمسة میکرونات فقط (و المیکرون هو واحد علی الألف من الملیمتر) «۱»، أما باقی أجزاء الحیوان المنوی- القطعة المتوسطة و الذیل- فهی تتخذ شکلا مستطیلا طویلا و تحتل معظم طول النطفة؛ و بالتالی فإن الحیوان المنوی یظهر للرائی لیس کسمکة فحسب بل کسمکة طویلة کما تنص علیه کلمة «سلالة» التی وردت فی القرآن الکریم. (انظر الصورة رقم: ۲۵).

المعنی الثالث و هو انتزاع الشیء و إخراجه فی رفق:

المعنی الثالث و هو انتزاع الشیء و إخراجه فی رفق: بعد تدفق المنی من عضو الرجل فی مهبل المرأة تبدأ الحیوانات المنویة رحلتها إلی البویضة فتسبح فی بادئ الأمر فی منی الرجل و من ثمّ تصعد إلی قناة عنق الرحم سابحة فی منی الرجل.

(_____ ۱) کتاب خلق الإنسان بین الطب و القرآن، د. محمد علی البار، ص ۱۶۰. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۱۶ (۲۵) (SC)- تری فی الصورة الحیوان المنوی یتحرک فی الرحم و کأنه سمکة طویلة تسبح فی قاع البحر وفقا لمعنی کلمة «سلالة» و تجدر الإشارة هنا إلی أن (عنق الرحم XIVREC) یمتلئ فی هذه الفترة بمادة مخاطیة و لکن تصبح طبیعتها أکثر لزاجة فتسهّل عبور الحیوانات المنویة إلی الرحم و تمدها

بالأوکسیجین. کما أن جدار الرحم یمد الحیوانات المنویة بالطاقة لمواصلة سیرها إلی هدفها مما یساعدها علی الانسلال برفق من المنی إلی الرحم فقناة فالوب تماما کما تعنیه کلمة «سلالة». أما بالنسبة للبویضة فإن حرکة (أهداب بوق فالوب EAIRBMIF) تسهّل انسلالها؛ فهذه تکون قد تلقّت من الجریب مواد کیمیائیة ترشدها إلی المکان الذی ستتفجر منه الحویصلة، و بذلک تتخذ مواقع لها تمکّنها من التقاط البویضة بحیث لا تضیع فی جوف البطن، کما أن جریب البویضة یفرز مادة تجعل أهداب بوق فالوب إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۱۷ تسحب ماء البویضة إلی داخل البوق، إلی ذلک فإن حرکة شعیرات قناة فالوب و تقلّص عضلات قناة الرحم یحدثان ضغطا سلبیا مما یساعد علی التقاط البویضة و المحافظة علیها. و الأهم من ذلک کله هو أن البویضة تحاط بکمیة کبیرة من الغذاء تخوّلها مواصلة نشاطها، و لو لا هذا التسهیل لواجهت النطف- سواء أ کانت الحیوانات المنویة أو البویضة- الموت المحتّم. و هکذا یتبین لنا کیف أن التعبیر بکلمة «سلالة» متوافق تماما لما توصّل إلیه العلم من أن هناک عوامل تسهّل رحلة الحیوانات المنویة من محیطها الأول إلی محیطها الثانی، و أن هناک عوامل أخری تسهّل انسلال البویضة من المبیض إلی مکان تلقیحها.

المعنی الرابع و هو الخروج من زحام:

المعنی الرابع و هو الخروج من زحام: کما أسلفنا القول: فإن حجم ما یتدفق من المنی عند استمناء الرجل یبلغ حوالی ثلاثة و نصف من المیلیلتر، و یوجد فی هذا الحیّز من المکان حوالی ثلاث مائة و خمسون ملیون حیوان منوی!!! و بذلک فإن المنی مزدحم بتلک النطف. إلی ذلک تجتمع الحیوانات المنویة فی مرحلة أولی حول عنق الرحم الذی لا یسمح بمروره إلا للقلیل منها فتتزاحم الحیوانات المنویة لتعبره و من ثم تخرج منه بدفعات قلیلة و تصعد إلی قناة فالوب فینقص عددها إلی حوالی خمسمائة حیوان و لا یلقح البویضة إلا نطفة واحدة. (انظر الصورة رقم: ۲۶). و هکذا یخرج هذا الحیوان المنوی من وسط هذا الزحام لیلقح البویضة التی تنتظره. أما بالنسبة للبویضة فإن المبیض یحتوی علی أربع مائة ألف بویضة أولیة عند بلوغ الأنثی، و بشکل دوری- یتکرر مرة کل شهر- یتم انتخاب واحدة منها لتنزل إلی قناة فالوب و حتی یلقحها الحیوان المنوی. و هکذا تخرج البویضة من ازدحام المبیض بالبویضات لکی تحقق المعنی الدقیق لکلمة «سلالة» التی وردت فی القرآن الکریم. مفهوم الخروج من الزحام یستوجب أن یکون هناک زحام، و الزحام بدوره یستوجب کثرة الأفراد و إلا لما حصل هناک زحام، و انتقاء کلمة «سلالة» یدل علی أنّ من جعل تلک الکلمة فی مکانها ذلک یعلم تمام العلم أن هناک کثرة من الحیوانات المنویة و البویضات و أنه یحصل ازدحام من جراء ذلک.

المعنی الخامس و هو الخروج من مضیق:

المعنی الخامس و هو الخروج من مضیق: تحدثنا أعلاه أن الحیوانات المنویة تزدحم عند فتحة عنق الرحم و من ثمّ تحاول عبور هذا العنق. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۱۸ و عنق الرحم هو الواصل بین المهبل و الرحم- و هو جزء لا یتجزّأ من الرحم-. و هذا العنق له فوهتان تنفتح الظاهرة منهما علی جوف المهبل أما الباطنة فتنفتح علی جوف الرحم. إن منطقة الفوهة الباطنة تسمی (المضیق- أو البرزخ- SUMHTSI ENIRETU). و مسافة هذا المضیق هی اثنان إلی خمسة ملم «۱». و تحت تأثیر (الأستروجین «۲» (NEGORTSE یمتلئ عنق الرحم بالمادة المخاطیة و لکن تصبح طبیعتها أکثر لزاجة مما یسمح للحیوانات المنویة بالعبور عبر قنیوات ضیّقة تتخلل المخاط. (انظر الصورة رقم: ۲۷- ۲۸). إن عرض القنیوات الضیقة یعادل عرض شعرة الرأس «۳». و هکذا یتجلی لنا کیف أن الحیوانات المنویة تعبر عنق الرحم- الذی یشکل مضیقا بصورة عامة-، عبر قنیوات ضیقة- التی تشکّل کل واحدة منها مضیقا بصورة خاصة- لتدخل إلی الرحم. أما بالنسبة للبویضة؛ فإن عملیة الانسلال من مضیق تحصل لها بعد أن تلقح، فهذه النطفة بعد أن تهاجر من (الثلث الوحشی لقناة فالوب EBUT ENIRETU EHT FO ALLUPMA)، تواجه عند دخولها الرحم، مضیقا لا یسمح- لصغر قطره- للبویضة بعبوره لو لا اتساعه فی ذلک الحین. فهذا المضیق لا یزید قطره عن ۰٫۷ ملم فی الأیام العادیة و ۱ ملم عند خروج النطفة منه. و نورد فی هذا المضمار ما قاله الدکتور لارس هامبرغر «۴»: «إن أضیق مکان من قناة فالوب یتسع و من ثمّ تخرج البویضة الملقحة عبر الممر المحدود إلی الرحم». ذکر کلمة «سلالة» فی القرآن الکریم یدل علی أن من جعلها فی مکانها یعلم تمام العلم شکل رحم المرأة و هو یبدأ بمضیق عند قناة عنق الرحم و عند مدخل قناة فالوب و ذلک لما تعنیه کلمة «سلالة» من: الخروج من مضیق (_____ ۱) کتاب القرار المکین، د. مأمون الشقفة، ص ۴۰. (۲) و الأستروجین هو هرمون المرأة و یفرز المبیض هذه المادة فی بدایة الدورة الشهریة. (۳) کتاب ولد طفل، د. لارس هامبرغر، ص ۴۱. (۴) کتاب ولد طفل، د. لارس هامبرغر، ص ۳۹. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۱۹ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۲۰

المعنی السادس و هو السیر السریع و السباق:

المعنی السادس و هو السیر السریع و السباق: تصل المسافة التی یقطعها الحیوان المنوی إلی حوالی خمسة عشر إلی ثمانیة عشر ستیمترا، و تستغرق رحلة الحیوانات المنویة من فتحة عنق الرحم إلی قناة فالوب فی العادة عدة ساعات و لکن بعض الحیوانات المنویة تصل إلی أنابیب الرحم بعد ثلاثین دقیقة!!! و بالتالی فإن سرعة الحیوان المنوی قد تصل إلی ۳ ملمتر فی الدقیقة و هو بذلک یقطع مسافة تعادل طوله خمسین مرة فی الدقیقة الواحدة. أما بالنسبة للبویضة؛ فهی أکبر و أثقل بکثیر من الحیوانات المنویة، و بالتالی فهی أبطأ من النطف الذکریة و لا مجال للمقارنة بینهما. و بما أن السرعة معیار نسبی فسنحلل سرعتها من زاویة أخری: إن رحلة البویضة من المبیض إلی بوق قناة فالوب تستغرق من خمس عشرة إلی عشرین ثانیة!!! و من المبیض إلی الثلث الوحشی من قناة فالوب تستغرق خمسا و عشرین دقیقة. و بعد أن تلقح البویضة تستغرق رحلتها من الثلث الوحشی لقناة فالوب إلی الرحم من ثلاثة إلی أربعة أیام. و بالتالی فإن مرحلة السلالة، أی مرحلة انسلال البویضة من المبیض إلی حین تلقیها من الحیوانات المنویة هی أسرع بکثیر من مرحلة هجرتها من قناة فالوب إلی داخل الرحم؛ فهی تقطع ثلث المسافة المقدرة لها فی خمس و عشرین دقیقة خلال فترة السلالة مقارنة بالمرحلة التی تلیها حیث تقطع ثلثی المسافة بثلاثة إلی أربعة أیام. و تعزی سرعة البویضة فی مرحلة السلالة إلی الضغط المتولد فی جریب المبیض- خمسة عشر ملیمترا زئبقیا- و الذی یدفع بها إلی الأمام و إلی حرکة أهداب بوق قناة فالوب و التی تسحب بدورها البویضة إلی داخل البوق، کما أن حرکة الشعیرات و انقباض عضلات قناة الرحم تساعد علی إحداث ضغط سلبی یتم به سحب البویضة إلی الداخل. و هکذا یتجلی لنا الإعجاز العلمی فی استعمال کلمة «سلالة»: و هو السیر السریع للحیوانات المنویة و البویضة لمصیرها المقدّر إلا و هو التلقیح. باختصار شدید: فإن النطفة تسمّی سلالة، لأنها جزء صغیر من السائل الذی یحتویه «ماء التخلق» (أی المنی)، و شکل هذا الجزء شکل سمکة طویلة، و هو یخرج برفق من «ماء التخلق» بواسطة السباحة، و یزدحم عند مضیق هو مضیق عنق الرحم، فیخرج من الزحام و من المضیق و یسیر بسرعة بغیة التلقیح. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۲۱

ج- الوصف الداخلی للنطف:

ج- الوصف الداخلی للنطف: ٭ عن ابن عباس رضی اللّه عنهما، قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «نطفة الرجل بیضاء غلیظة و نطفة المرأة صفراء رقیقة فأیهما غلبت فالشبه له» [ذکره ابن هشام ح ۶۹]. ما سبق هو الوصف الظاهری الخارجی للنطفة. فما الوصف الداخلی لها؟ یحدثنا الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم عن تلک الصفات قائلا إن نطفة الرجل غلیظة و نطفة المرأة رقیقة. جاء فی صحیح مسلم بشرح النووی «۱»: «قال العلماء: منی الرجل فی حال الصحة أبیض ثخین ...» «۲». و جاء فی لسان العرب «۳»: «ثخن: ثخن الشیء ثخونة و ثخانة و ثخنا، فهو ثخین: کثف ...». و ورد فی لسان العرب «۴»: «رقق: الرقیق نقیض الغلیظ و الثخین ...». إذا المنی کثیف و ماء المرأة علی العکس من ذلک. و الکثافة معیار نسبی، و لکی نستطیع أن نصف شیئا بالکثافة، فلا بد أن نقارنه مع شیء آخر لذلک سوف نقارن النطفتین: إن نطفة الرجل مؤلفة من ثلاثة أجزاء: الرأس، و الجزء المتوسط، و الذیل. إن أهم مکون فی هذه النطفة هو الرأس نظرا لأنه یحمل أهم مادة ألا و هی المادة الوراثیة. إن المادة الوراثیة فی رأس هذه النطفة مرکّزة بصفة عالیة- أی إنها شدیدة الکثافة و غلیظة-؛ یقول الدکتور کیث مور «۵»: «إن الکروماتین (المادة الموجودة فی رأس الحیوان المنوی) شدید الکثافة». أما المادة الوراثیة الموجودة فی البویضة فهی قلیلة الکثافة إذا قارناها مع نظیرتها الموجودة فی رأس الحیوان المنوی؛ الدلیل علی ذلک هو أن رأس الحیوان المنوی ینتفخ جدا فیما بعد لیصبح بنفس حجم نواة (_____ ۱) صحیح مسلم بشرح النووی- کتاب الحیض- باب وجوب الغسل علی المرأة- رقم الحدیث ۳۰- (ج ۲/ ص ۲۲۸). (۲) جاء فی تفسیر السمرقندی- (ج ۳/ ص ۵۲۵): «ثم قال: إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ نَبْتَلِیهِ [الإنسان: ۲] یعنی: مختلطا ماء الرجل و ماء المرأة، لا یکون الولد إلا منهما جمیعا. ماء الرجل أبیض ثخین، و ماء المرأة أصفر رقیق». (۳) لسان العرب لابن منظور- مادة «ثخن»- (ج ۲/ ص ۸۷). (۴) لسان العرب لابن منظور- مادة «رقق»- (ج ۵/ ص ۲۸۶). (۵) کتاب (الإنسان النامی مع زیادات إسلامیة، د. کیث مور snoitidda cimalsi htiw NAMUH GNIPOLEVED EHT)، ص ۱۵. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۲۲ البویضة. و هذا یعنی أن المادة الوراثیة فی البویضة تأخذ حیزا من المکان أکبر من ذلک الذی تأخذه المادة الوراثیة فی رأس الحیوان المنوی، و بذلک تکون أقل کثافة منها (انظر إلی الصورة التالیة حیث یظهر کیف ینتفخ رأس الحیوان المنوی). و هکذا نری أن نطفة المرأة أرق من نظیرتها لدی الرجل و إن کانت أکبر منها و أثقل، و ذلک لأن محتواها هو أقل کثافة من محتوی نطفة الرجل فیتحقق قول الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم: «نطفة الرجل بیضاء غلیظة و نطفة المرأة صفراء رقیقة» [ذکره ابن هشام ح ۶۹]. (انظر الصورة رقم: ۲۹). و علی العموم فإن نطفة المرأة یحیط بها غلاف یسمی (التاج المشع ATAIDAR ANOROC) شبیه بالمادة الجیلاتینیة «۱» و هی محاطة بسائل شبیه بمادة الجیلاتین یسمی: (السائل الحویصلی «۲» DIULF RALLUCILOF) مما یضفی علیها مظهر الرقة الذی تکلم عنه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم. (انظر الصورة رقم: ۲۹). و هکذا یتبین لنا الإعجاز فی دقة المعانی المستعملة و الحقائق العلمیة التی تنطوی علیها الآیات التی نزلت علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم منذ أکثر من ۱۴۰۰ سنة، علی أن لا ننسی أن العالم بأسره کان یأخذ بمعلومات خاطئة حتی عام ۱۶۷۷ م، و شهادة ذلک أن الطبیب البریطانی هارفی کتب فی عام ۱۶۵۱ م أن الجنین یفرزه الرحم،

إلی أن أتی العالمان هام و هوک لیوین و اکتشفا أنه یوجد فی الماء المتدفق من عضو الرجل حیوان منوی، کل ذلک یؤکد شهادة اللّـــه عز و جـــل لـــذاته أ لا یَعْلَـــمُ مَـــنْ خَلَـــقَ وَ هُـــوَ اللَّطِیـــفُ الْخَـــبِیرُ [الملـــک: ۱۴].

(_____ ۱) کتاب الإنسان الناممی مع زیادات إسلامیة، د. کیث مور، ص ۲۴. (۲) کتاب الإنسان الناممی مع زیادات إسلامیة، د. کیث مور، ص ۲۶. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۲۳ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۲۴

مستودع النطف

مستودع النطف * قال العلیم الحکیم: هَلْ أَتی عَلَی الْإِنْسانِ حِینٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ یَکُنْ شَیْئاً مَذْکُوراً [الإنسان: ۱]. * و قال العلیم الحکیم: وَ هُوَ الَّذِی أَنْشَأَکُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَ مُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآیاتِ لِقَوْمٍ یَفْقَهُونَ [الأنعام: ۹۸]. جاء فی لسان العرب: «المستودع: المکان الذی تجعل فیه الودیعة، یقال استودعته ودیعة إذا استحفظته إیاها» «۱». و من هذا الکلام نفهم أن المستودع هو المکان الذی تحفظ فیه الودیعة لفترة من الوقت ریثما تؤخذ منه فی المستقبل. ترى ما هی الودیعة؟. الآیة هَلْ أَتی عَلَی الْإِنْسانِ حِینٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ یَکُنْ شَیْئاً مَذْکُوراً تجیب علی السؤال: فهذه الآیة تشیر إلی أن الإنسان کان نطفة لفترة من الوقت قبل أن یخلقها اللّه إنسانا. و کلمة «هل» تأتی بمعنی «قد» و لها وظیفة التقدیر و التقریب، جاء فی تفسیر الکشاف «۲»: «هل بمعنی «قد» فی الاستفهام خاصة، و الأصل: أهل، بدلیل قولک: أهل رأونا بسفح القاع ذی الأکم، فالمعنی: أ قد أتی؟ علی التقدیر و التقریب جمیعا، أی: أتی علی الإنسان قبل زمان قریب» «۳». و الآیة تصف حالة الجنس البشری علی العموم، جاء فی تفسیر القرطبی «۴»: «و قد قیل «الإنسان» فی قوله تعالی هَلْ أَتی عَلَی الْإِنْسانِ حِینٌ یعنی بـــه الجنس مـــن ذریـــة آدم» «۵».

(_____ ۱) لسان العرب لابن منظور- مادة «ودع»- (ج ۱۵/ ص ۲۵۴). (۲) الکشاف للزمخشری- (ج ۴/ ص ۱۶۶). (۳) تفسیر القرطبی- (ج ۱۹/ ص ۱۱۸): «هل: بمعنی قد؛ قاله الکسائی و الفراء و أبو عبیدة. و قد حکی عن سیبویه «هل» بمعنی قد». تفسیر الألوسی- (ج ۲۹/ ص ۱۵۰): «و عن ابن عباس و قتادة هل هنا بمعنی قد». (۴) تفسیر القرطبی- (ج ۱۹/ ص ۱۲۰). (۵) تفسیر الألوسی- (ج ۲۹/ ص ۱۵۱): «المراد بالإنسان الجنس علی ما أخرجه ابن المنذر عن ابن عباس». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۲۵ و الحین یشیر إلی فترة زمنیة غیر محدودة، جاء فی تفسیر الألوسی «۱»: «و الحین طائفة محدودة من الزمان شاملة للکثیر و القلیل و الدهر» الزمان الممتد غیر المحدود ...». و بالتالی فالآیة تعنی: لقد مرّ علی کل إنسان فترة زمنیة قریبة لم یکن فیها شیئا مذکورا. و لما ذکر فی الآیة لَمْ یَکُنْ شَیْئاً مَذْکُوراً، نسأل: هل کان الإنسان شیئا قبل أن یصبح علی الصورة التی هو علیها؟ و الجواب- و باللّه التوفیق- هو: أن الإنسان کان نطفة قبل أن یخلقه اللّه تعالی کما تعلمنا الآیة: أَ لَمْ یَکُ نُطْفَةً مِنْ مَنِیٍّ یُمْنی (۳۷) ثُمَّ کانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّی (۳۸) [القیامة: ۳۷- ۳۸]. جاء فی تفسیر القرطبی «۲»: «و حکی محمد بن الجهم عن الفراء: «لم یکن شیئا» قال: کان شیئا و لم یکن مذکورا». و جاء فی تفسیر الکشاف «۳»: «أی کان شیئا منسیا غیر مذکور، نطفة فی الأصلاب» «۴». فالإنسان کان شیئا- أی نطفة- و لکن لم یکن مذکورا، لأن النطفة هی شیء صغیر جدا، لا تذکر لصغر حجمها، و لقلّة قدرها عند الناس. جاء فی تفسیر ابن کثیر «۵»: «یقول تعالی مخبرا عن الإنسان أنه أوجده بعد أن لم یکن شیئا یذکر لحقارته و ضعفه». و جاء فی تفسیر القرطبی أیضا «۶»: «أی قد أتی علی الإنسان حین لم یکن له قدر عند الخلیقة».

(_____ ۱) تفسیر الألوسی- (ج ۲۹/ ص ۱۵۱). (۲) تفسیر القرطبی- (ج ۱۹/ ص ۱۱۹). (۳) الکشاف للزمخشری- (ج ۴/ ص ۱۶۶). (۴) و فی الحقیقة أن النطفة لیست فی الأصلاب أی صلب الرجل و المرأة- و لکن فی المستودع أی الخصیة و المبیض- و هذا لا یقدح فی التفسیر، لأننا نأخذ منه منهاج التفکیر و لیس العلم الجنینی، حیث إن الحقیقة العلمیة لم تکن مستقرة فی مجتمع المؤلف. (۵) تفسیر ابن کثیر- (ج ۴/ ص ۴۵۳). (۶) تفسیر القرطبی- (ج ۱۹/ ص ۱۱۹). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۲۶ و هذا المعنی تشهد له الآیة: ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ ماءٍ مَهِینٍ [السجدة: ۸] فهی تشیر إلی أن سلالة الإنسان- أی النطفة- شیء مهین، أی حقیر، ضعیف، قلیل. جاء فی لسان العرب «۱»: «مهین: قال أبو إسحاق: هو فعیل من المهانة و هی القلة، ... و قوله عزّ و جلّ: خلق من ماء مهین، أی من ماء قلیل ضعیف». کذلک فإن سیاق النص القرآنی لسورة الإنسان المذکور أعلاه، یشیر إلی أن الإنسان کان نطفة لفترة من الوقت قبل أن یصبح إنسانا، لأن الآیة التی تلی الآیة المذکورة، و هی: إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ نَبْتَلِیهِ فَجَعَلْناهُ سَمِیعاً بَصِیراً [الإنسان: ۲]، تذکر أیضا أن الإنسان خلق من نطفة. فالنص القرآنی یتکلم علی العموم عن النطف، و بالتالی علینا أن نفسر الآیة حسب ما یملیه السیاق. فإذا أیقنّا بأن الإنسان کان لفترة من الوقت نطفة قبل أن یتخلق، فهمنا عند ذلک أنه وضع ودیعة تحفظ فی مکان ما، لحین من الدهر، قبل أن یخلقها اللّه تعالی إنسانا، و هذا لا یکون إلا فی المستودع قبل أن یخرج. فإذا جمعنا معنی الآیتین السابقتین: هَلْ أَتی عَلَی الْإِنْسانِ حِینٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ یَکُنْ شَیْئاً مَذْکُوراً [الإنسان: ۱] و وَ هُوَ الَّذِی أَنْشَأَکُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَ مُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآیاتِ لِقَوْمٍ یَفْقَهُونَ [الأنعام: ۹۸]، یصبح المعنی هکذا: لقد مرّ علی کل إنسان فترة من الوقت قریبة کان شیئا لا یذکر لحقارته و مهانته محفوظا فی مســـتودع قبـــل أن یخلقـــه اللّـــه تعـــالی إنســـانا «۲».

(_____ ۱) لسان العرب لابن منظور- مادة «مهن»- (ج ۱۳/ ص ۲۱۲). (۲) قد یتساءل بعض القراء: کیف یصح أن نقول إن الآیة وَ هُوَ الَّذِی أَنْشَأَکُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَ مُسْتَوْدَعٌ [الأنعام: ۹۸] تشیر إلی أن الإنسان وضع فی مستودع و الحال أنه لم یتکوّن بعد و ذلک لعدم اختلاط النطفتین؟، کذلک فإن الخصیة و المبیض عضوان یحمل کل منهما جزءا من الإنسان (أی نطفة الرجل و نطفة المرأة) فکیف یصح أن تطلق اسم «المستودع» علی الإنسان، و الإبداع هو للنطف و لیس للإنسان؟. نقول- و باللّه التوفیق-: إن نطفة الرجل و نطفة المرأة هما بمثابة «مشروع» لإنسان، و بالتالی فإن الخصیة و المبیض مستودعان للأجزاء التی ستؤدی مآلا إلی خلق إنسان، و هذا ضرب من المجاز باعتبار ما سیکون، کما فی الآیة: إِنِّی أَرانِی أَعْصِرُ خَمْراً [یوسف: ۳۶]، فالرجل کما تعلمنا الآیة یری أنه یعصر عنبا سیتحول إلی خمر فیما بعد، و قد أطلق علی العنب اسم الخمر مجازا باعتبار ما یؤول إلیه (أصول الفقه الإسلامی، د. إبراهیم السلقینی، الفصل الأول، التقسیم الأول للفظ باعتبار الاستعمال، ص ۲۳۹)، و بالتالی یصح عندئذ أن نطلق علی الخصیة أو المبیض اسم «المستودع». و علی کلّ حال فإن الآیة رقم ۹۸ من سورة الأنعام جاءت بصیغة النکرة: فهناک مستودع، و لم تحدد الآیة أن المستودع هو للإنسان ککائن مکتمل، أو للأجزاء التی ستکوّن إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۲۷ و من السیاق نفسه نستنتج أن اللّه تعالی یخلق النطف قبل أن یحین موعد خروجها و تلقیحها بقلیل (أو بکثیر)، و إلا لما حفظت فی مستودع. جاء فی تفسیر الألوسی «۱»: ... و المعنی هنا: قد أتی، أو هل أتی علی جنس الإنسان قبل زمان قریب طائفة محدودة مقدرة کائنة من الزمان الممتد لم یکن شیئا مذکورا بل کان شیئا غیر مذکور بالإنسانیة أصلا، أی غیر معروف بها علی أن النفی راجع إلی القید، و المراد أنه معدوم لم یوجد بنفسه، بل کان الموجود أصله مما لا یسمی إنسانا، و لا یعرف بعنوان الإنسانیة، و هو مادته البعیدة أعنی العناصر، أو المتوسطة و هی الأغذیة، أو القریبة و هی النطفة المتولدة من الأغذیة المخلوقة». و نود الإشارة هنا إلی أن تلک المفاهیم المنطویة فی الآیات الکریمة التی أشرنا إلیها فی مبحثنا هذا، لیس من السهل أن یعلمها أحد و لو کان متمرّسا فی مجال «تخلّق الجنین»، فإذا کان هناک نطف فهذا لا یستلزم أنها تخلّقت قبل أن تخرج من الجسد بکثیر، و إذا کان هناک نطف فهذا لا یستلزم أیضا أن تحفظ بمستودع لها «۲». فهناک احتمال کبیر أن یستطرد العالم فی اتجاه مختلف عن الذی أشار إلیه المولی عزّ و جلّ؛ فعلی سبیل المثال قد یظن العالم أن النطف قد تتخلق عند خروج المنی من جسم الإنسان. و الإشارة إلی وجود مستودع لهذه النطف هی بحد ذاتها عجیبة، لأن هذا

- _____ إنسانا، و بالتالی فلیس شرطا أن نعید کلمة «مستودع» إلی الإنسان، فقد تکون الآیة تشیر إلی أیّ من هذین المعنیین: وَ هُوَ الَّذِی أَنْشَأَکُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ [الأنعام: ۹۸] لهذه النفس [فی بادئ الخلق] [فی الرحم] و مستودع لها [فی المبیض و الخصیة]، أو: وَ هُوَ الَّذِی أَنْشَأَکُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ لنطفة هذه النفس [فی الرحم] و مستودع لنطفها [فی الخصیة و المبیض]. (۱) تفسیر الألوسی- (ج ۲۹/ ص ۱۵۱). (۲) لقد اتفق کثیر من علماء تفسیر القرآن علی أن النطف تحفظ فی مستودع، و لکن أخطأ هؤلاء العلماء فی تحدید موقع هذا المستودع: فقد جاء فی تفسیر ابن کثیر (ج ۲/ ص ۱۵۹)- تعلیقا علی الآیة ۹۸ من سورة الأنعام-: «فعن ابن مسعود أو ابن عباس و أبی عبد الرحمن السلمی و قیس بن أبی حزم و مجاهد و عطاء و إبراهیم النّخعی و الضحّاک و قتادة و السّدّی و عطاء الخراسانی و غیرهم «فمستقر» أی: فی الأرحام قال أکثرهم و مستودع أی: فی الأصلاب»، و لعل فهمهم أن المستودع هو الأصلاب مستمد من الآیة فَلْیَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ (۵) خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ (۶) یَخْرُجُ مِنْ بَیْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ (۷) [الطارق: ۵- ۷]، و لقد ألقی العلم الحدیث النور علی معنی هذه الآیة الکریمة، فأشار إلی أن الماء الدافق یخرج من بین الصلب و الترائب و لیس من الصلب و الترائب. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۲۸ المستودع غیر ظاهر، فهو مختبئ داخل الجسم، و علینا أن نشرح الجسم لنکتشف وجوده. و لمعرفة موقع هذا المستودع یجب أن نتابع خط سیر تخلق النطفة، و نفهم المسار الذی تتخذه لکی تخرج من الجسم. و هکذا نستطیع التوقف عند المحطة حیث تجتو هذه النطف قبل الخروج، و أن نقول إنه المستودع الذی نتکلم عنه الآیة الکریمة. و أما مواقع هذه المستودعات فهی کالتالی: ۱- عند الرجل: تتکون خصیة الرجل بمختصر مبتسط من حبال تسمی «قنیوات منویة» موجودة داخل فصوص، و عند مرحلة بلوغ الذکر تتخلق الحیوانات المنویة من الطبقات التی تبطن تلک القنیوات «۱». و بعد أن تتخلق تذهب إلی (البربخ SIMYDIDIPE) الواقع علی أعلی الخصیة حیث تستودع هناک إلی أن یحین وقت الخروج. و هکذا فإن الخصیة هی مستودع النطف علی وجه العموم، و البربخ هو المستودع علی وجه الخصوص الذی تنص علیه الآیة الکریمة السابقة «۲». (انظر الصورة رقم: ۳۰). ۲- عند المرأة: یوجد فی مبیض الجنین الأنثی فی الأسبوع الخامس من تخلّق الجنین حوالی خمسة ملایین نطفة، و لکن فی فترة نمو المرأة یضمر أکثر هذه النطف و یموت، حتی إذا بلغت الأنثی عشر سنوات یکون تعداد النطف قد أصبح ۴۰۰، ۰۰۰ نطفة تقریبا یتمّ انتخاب ۴۰۰ إلی ۵۰۰ منها للإخصاب. هذه البویضات تکون داخل ما یسمی حویصلات، و هذه الحویصلات تکون داخل مبیض. و تظل هذه البویضات فی هذه الحویصلات إلی حین نضوجها، ثم تخرج منها لیلتقطها البوق داخل رحم المرأة. و هکذا یتبین لنا أن مستودع نطف الأنثی الذی تتکلم عنه الآیة الکریمة السابقة هو المبیض علی وجه العموم، و هو الجریب داخل المبیض المسمی بالحویصلة «۳» علی وجه الخصوص. (انظر الصورة رقم: ۳۱_____).

(۱) الآیات العجاب فی رحلة الإنجاب، د. حامد أحمد حامد، ص ۵۱، بتصرف. (۲) کتاب ولد طفل، د. لارس هامیرغر، ص ۲۶. (۳) کتاب ولد طفل، د. لارس هامیرغر، ص ۲۰. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۲۹ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۳۰ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۳۱ و یفهم من کلامنا أن اختیار کلمة «مستودع» یشیر إلی إعجاز علمی یتجلی فی معرفة الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم أن النطف تتخلّق قبل أن تخرج بکثیر، و أنها توضع فی مخابئ تحفظها من التلف مع السائل المنوی (أو الماء الدافق) إلی أن یحین وقت خروجها «۱». و تعلیقا علی تسمیة «المستودع»، نشیر إلی أن هذه التسمیة جامعة؛ فهی تشیر علی حدّ سواء إلی الخصیة أو إلی المبیض، کما أنها تشیر إلی أن النطف تحفظ فی مکان آمن لفترة من الوقت لا یستهان بها، و أن هذه النطف تخرج من هذا المکان فی (_____ ۱) فائدة: قد یفهم البعض أن «المستودع» المذکور فی الآیة: وَ هُوَ الَّذِی أَنْشَأَکُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَ مُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآیاتِ لِقَوْمٍ یَفْقَهُونَ (۹۸) [الأنعام: ۹۸] یشیر إلی الرحم و لیس إلی الخصیة أو المبیض، و ذلک لأن النطف تحفظ لفترة مؤقتة فی الرحم کما تحفظ لفترة ما فی الخصیة أو المبیض. و الحق یقال: إن هذا غیر صحیح، فالنطفة عند ما تستقر فی الرحم تصبح شیئا یذکر لأن الأم و الأب یعطیانها عندئذ العنایة الفکریة الفائقة، أضف إلی ذلک أن حجم النطفة یتضخم فتصبح فیما بعد شیئا محسوسا لا یمکن تجاهله، و الودیعة التی توضع فی المستودع لا تتغیر طبیعتها. أما فی حالتنا هذه فالنطفة سرعان ما تخرج عن طبیعتها فی الرحم، و لذلک لا یمکن أن نطلق تسمیة «المستودع» علی الرحم، و ما قاله ابن عباس و الألوسی و ابن تیمیة- رحمة اللّه علیهم- یستدل به لمعرفة ما ترمی إلیه الآیة، فقد جاء فی تفسیر الألوسی- (ج ۷/ ص ۲۳۵): (و أخرج جماعة منهم الحاکم و صححه من طرق عن ابن عباس- رضی اللّه تعالی عنهما- أن المستقر الرحم، و المستودع الأصلاب [و لا یشترط الأخذ باجتهاد ابن عباس رضی اللّه عنهما لأنه اجتهاد، و یتعلّق بالقضایا الکونیة، و هی تحتاج إلی وسائل تقنیة للوصول إلی معرفتها، و هذا لم یکن موجودا فی عصر الصحابة- رضوان اللّه تعالی علیهم-، و هذا لیس أمرا توقیفیا بمعنی التوقف فیه]. و جاء فی روایة أن حبر مدینة تیماء کتب إلیه یسأله رضی اللّه تعالی عنه عن ذلک فأجابه بما ذکر. و یؤید تفسیر المستقر بالرحم قوله تعالی: وَ نُقِرُّ فِی الْأَرْحامِ ما نَشاءُ [الحج: ۵] و أما تفسیر المستودع بالأصلاب فقد قال شیخ الإسلام: إنه لیس بواضح. و لیس کما قال، فقد ذکر الإمام بعد أن فرق بین المستقر و المستودع «بأن المستقر أقرب إلی الثبات من المستودع، و مما یدل علی قوة هذا القول- یعنی العروی عن ابن عباس رضی اللّه تعالی عنهما- أن النطفة الواحدة لا تبقی فی صلب الأب زمانا طویلا- و الجنین یبقی زمانا طویلا، و لما کان المکث فی الرحم أکثر مما فی صلب الأب کان حمل الاستقرار علی المکث فی الرحم أولی». و یلزم ذلک أن حمل الاستیداع علی المکث فی الصلب أولی). (أی فی المبیض أو الخصیة أولی)، و إذا قسنا ذلک علی العلم فإن النطفة تمکث فی الرحم ۲۶۶ یوما، و أما الحیوان المنوی فیحتاج إلی ۷۲ یوما تقریبا لکی یتخلق، و إلی ۱۲- ۲۱ یوما لیرتحل عبر قنوات البربخ إلی أعلی الخصیة (الآیات العجاب فی رحلة الإنجاب، د. حامد أحمد حامد، ص ۵۱، بتصرف)، أی ما مجموعه ۸۸ یوما، و إذا أضفنا إلی ذلک مدة مکوثه فی أعلی الخصیة (شهر علی أبعد تقدیر، ریثما یقذف الرجل النطف بالاتصال أو الاحتلام) فیصبح مجموع مکوثه فی الخصیة ابتداء من أول یوم یبدأ تخلق الحیوان المنوی ۱۲۰ یوما تقریبا، و هذا أقل بکثیر من ۲۶۶ یوما- مدة مکوث النطفة فی الرحم-. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۳۲ نهایة المطاف، أما تسمیة (المبیض YRAVO) و تسمیة (الخصیة ELCITSET) فهاتان تشیران فقط إلی أن تلک الأعضاء تحتوی علی النطف، فسبحان من علّم الإنسان البیان! قال عزّ و جلّ: الرَّحْمنُ (۱) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (۲) خَلَقَ الْإِنْسانَ (۳) عَلَّمَهُ الْبَیانَ (۴) [الرحمن: ۱- ۴]. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۳۳

نطفة الأمشاج

نطفة الأمشاج * قال اللّه تعالی: إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ نَبْتَلِیهِ فَجَعَلْناهُ سَمِیعاً بَصِیراً (الإنسان: ۲]. * سأل یهودی الرسول الکریم- علیه أفضل الصلاة و التسلیم- قائلا: یا محمد مِمّ خلق الإنسان؟، قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «یا یهودی من کلّ یخلق: من نطفة الرجل و نطفة المرأة» [أخرجه أحمد ح ۲۰]. إن اللّه سبحانه و تعالی لم یترک الأمر بدون توضیح تام باهر للعقول؛ و ذلک لکی یتبین للناس عامة و للعلماء خاصة أنه الحق، أی أنه دلیل واضح علی أن القرآن لیس من کلام البشر بل هو من کلام اللّه تعالی الذی أوحاه إلی عبده خاتم الرسل و الأنبیاء سیدنا محمد صلّی اللّه علیه و سلّم و جعله المعجزة الخالدة الدالة علی صدقه و علی أن هذا الدین الذی بعث به هو الحق. و لذا نری أن القرآن الکریم أشار إلی أن خلق الإنسان کان من نطفة أمشاج. و قد رأینا فی المبحث السابق ما یشیر إلیه معنی النطفة (القطرة)، و مما یضاف إلی التفسیر الأول هو أن النطفة المذکورة هی «قطرة مختلطة» (أمشاج)، أی قطرة تتشکل من خلط أجزاء متفرقة تختلط فیما بینها- و هی نطفة الرجل و نطفة المرأة- «۱». جاء فی مختار الصحاح «۲»: م ش ج: مشجت بینهما مشجا: خلطت، و الشیء مشیج، و الجمع أمشاج». و جاء فی تفسیر القرطبی عن کلمة الأمشاج «۳»: «أخلاط ... و یقال مشجت هذا بهذا أی خلطته ... و قال الفرّاء: أمشاج: أخلاط ماء الرجل و المرأة. (_____ ۱) انظر حاشیة الصاوی علی تفسیر الجلالین لأحمد صاوی- (ج ۴/ ص ۲۷۳). و فتح القدیر للشوکانی- (ج ۵/ ص ۳۴۴). (۲) الصحاح للجوهری- (ج ۱/ ص ۲۴۱). (۳) تفسیر القرطبی- (ج ۱۹/ ص ۱۲۰). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۳۴ و جاء فی الدر المنثور للسیوطی «۱»: (أخرج عبد بن حمید و ابن أبی حاتم عن ابن عباس فی قوله «من نطفة أمشاج» «قال من ماء الرجل و ماء المرأة حین یختلطان». و بالفعل فإن الحیوان المنوی یندفع نحو البویضة و یرتطم بجدارها و یثق لنفسه طریقا داخل هذا الجدار و من ثم یلج إلی داخل النطفة الأنثویة. (انظر الصورة رقم: ۳۲). و مما یثبت ما قلناه أن نبی اللّه، صلّی اللّه علیه و سلّم، أشار إلی أن کلّا من الحیوان المنوی و البویضة یساهم فی تخلیق جسم واحد (أی الجنین) عند ما قال «من کلّ یخلق: من نطفة الرجل و نطفة المرأة» [أخرجه أحمد ح ۲۰] و هذا یقتضی اتحادهما. (۳۲) (SC)- نری فی الصورة کیف أن الحیوانات المنویة تحفر لنفسها ممرا لتدخل البویضة و تختلط بها فتصبح هی و البویضة «نطفة أمشاج» کما وصفها اللّه تعالی: إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ [الإنسان: ۲]. (_____ ۱) الدر المنثور للسیوطی، (ج ۶/ ص ۲۹۷). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۳۵ و بذلک تصبح النطفتان نطفة واحدة، و یؤید هذا المفهوم صیاغة الآیة الکریمة التی وصفت حادثة الاختلاط: إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ، فکلمة «نطفة» اسم مفرد، و أما کلمة «أمشاج» فهی صفة فی صیغة الجمع، و قواعد اللغة تجعل الصفة تابعة للموصوف فی الإفراد و التثنیة و الجمع، و بالتالی فإن کلمة «أمشاج» هی صفة جمع تصف کلمة «نطفة» المفردة، قال القرطبی: «و قال أهل المعانی: الأمشاج ما جمع و هو فی معنی الواحد لأنه نعت للنطفة کما یقال: برمة أعشار و ثوب أخلاق» «۱ (_____». ۱) تفسیر القرطبی، (ج ۱۹/ ص ۱۲۱). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۳۶

اختلاط عروق النطفة

اختلاط عروق النطفة * قال اللّه تعالی: إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ نَبْتَلِیهِ فَجَعَلْناهُ سَمِیعاً بَصِیراً (الإنسان: ۲]. * قال اللّه عزّ و جلّ: وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ مِنَ الْماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً وَ کانَ رَبُّکَ قَدِیراً (الفرقان: ۵۴]. * قال سبحانه و تعالی: قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَکْفَرَهُ (۱۷) مِنْ أَیِّ شَیْءٍ خَلَقَهُ (۱۸) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (۱۹) [عبس: ۱۷- ۱۹]. * عن مالک بن الحویرث رضی اللّه عنه أن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «إن اللّه تعالی إذا أراد خلق النّسمة فجامع الرجل المرأة طار ماؤه فی کل عرق و عصب منها، فإذا کان یوم السابع جمعه اللّه تعالی ثم أحضره له کل عرق له بینه و بین آدم، ثم قرأ: فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ [الانفطار: ۸]» [أخرجه الطبرانی ح ۲۱]. رأینا فی مبحث «نطفة الأمشاج» أن النطفة الذکریة تلج إلی داخل النطفة الأنثویة. فیا تری هل تختلط النطف بکل أجزائها أم هناک أجزاء منها تختلط فیما بینها؟. إن کلمة «أمشاج» تعبّر عن حالة عامة ألا و هی حالة الاختلاط. هذه الحالة تحصل علی نطاق واسع من خلال دخول نطفة الرجل نطفة المرأة و علی نطاق ضیق من خلال انصهار نواة النطفتین. و لقد أشار المولی عزّ و جلّ إلی عملیة الانصهار بقوله تعالی: فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً. إن المعنی الشائع لکلمتی نسب و صهر لدی عامة الناس هو معنی القرابة (سواء أ کانت بالتوالد أم بالتزاوج)، أما المعنی الجلی الذی یظهر من خلال الآیة السابقة فإنه أعم من ذلک و یشمل معنی آخر له صلة بالتخلّق الإنسانی. ف «صهرا»: مصدر من صهر، و یعنی الاندماج. و الدلیل علی ذلک: ما قاله القرطبی فی شرحه للآیة: «و اشتقاق الصهر من صهرت الشیء إذا خلطته» «۱ (_____». ۱) تفسیر القرطبی، (ج ۱۳/ ص ۶۰). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۳۷ استعمال هذه الصفة هنا- صفة الانصهار- إلی جانب کلمة ماء له مدلوله الخاص، فهو یشیر إلی عملیة انصهار تحصل للماء أی للنطف لتؤلف نطفة لها صفات جدیدة. الماء المذکور هنا هو النطفة (قطرة الماء) التی جاء تعریفها فی الحدیث «ما من کلّ الماء یکون الولد ...» [أخرجه مسلم ح ۱۷] و کما أشار إلیه القرطبی فی تفسیره للآیة وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ مِنَ الْماءِ بَشَراً ... عند ما أعاد صیاغتها مستبدلا کلمة ماء بکلمة نطفة «أی خلق من النطفة إنسانا ...» «۱». الهاء التابعة لفعل «فجعله» فی هذه الآیة ضمیر قد یعود لاحدی الکلمتین: «الماء» أو «بشرا» و الدلیل علی ذلک ما جاء فی تفسیر القرطبی «۲»: «فجعله: جعل الإنسان نسبا و صهرا. و قیل: من الماء ...» «۳» «۴». فی کلتا الحالتین ینطبق المعنی بدقة مصداقا لقوله صلّی اللّه علیه و سلّم: «بعثت بجوامع الکلم» [أخرجه البخاری ح ۱۳]. فإذا أرجع الضمیر لأول کلمة، أی إذا أرجعت الهاء إلی الماء فقد تعنی: فجعل الماء (ماء الرجل و ماء المرأة أو نطفهما کما جاء فی تفسیر (_____ ۱) تفسیر القرطبی، (ج ۱۳/ ص ۵۹). (۲) تفسیر القرطبی، (ج ۱۳/ ص ۵۹). (۳) نشیر هنا إلی أن القاعدة العامة هی إرجاع الضمیر إلی أقرب مذکور له فی الکلام، و بالتالی فعلینا إرجاع الضمیر- هاء- إلی «بشرا»، و هذا ما فعله معظم السلف الصالح لأنه لم تتح إلیهم الوسائل التی تطلعهم جیدا علی العلم الکونی و الإلمام به، و هذا لا یمنع إرجاع الضمیر- هاء- إلی ما هو أبعد له، بقرینة دالة علی جواز ذلک، کما أشار إلیه القرطبی بقوله: «و قیل من الماء»، و أمثال ذلک کثیرة فی القرآن کقوله تعالی: آمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ أَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَکُمْ مُسْتَخْلَفِینَ فِیهِ فَالَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَ أَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ کَبِیرٌ [الحدید: ۷]، حیث إن الضمیر المستتر فی جعلکم عائد إلی اللّه، لا إلی رسوله صلّی اللّه علیه و سلّم، لاستقرار المعنی علی هذا النحو. و القرینة الدالة علی جواز إرجاع الضمیر إلی ما هو أبعد له فی مجال الإعجاز العلمی فی القرآن و

السنة هو استقرار معنی الآیة أو الحدیث کما یشیر إلیه السیاق القرآنی و الصیاغة (انظر إلی تعلیقنا الذی یلی). و فی هذه الحالة فإن العلم الکونی یوافق معنی الآیة إذا أرجعنا الضمیر- هاء- إلی «الماء» (انظر إلی تفسیر الآیة کما أوردناه أعلاه). (۴) و لا یضرّ أن یفسّر القرطبی الآیة المعتبرة علی هذا النحو بقوله: «و قیل»، أی بصیغة التضعیف، و ذلک أنه ضعّف هذا التفسیر لعدم إحاطته بالعلم الکونی المرتبط بصهر الماء إحاطة کاملة من جراء عدم تقدم العلم الکونی فی عصره، غیر أنه أشار إلی أن هذا الاحتمال وارد وفق الدلالات اللغویة. و الفصل فی النهایة هو للعلم الکونی فی تفسیر الآیات التی تتکلم عن ظواهر کونیة لأن القرآن الکریم و العلم الکونی توأمان لا یفترقان علی مدی الدهور. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۳۸ القرطبی) صهرا، أی ینصهر بعضه مع بعض، و إذا أرجع الضمیر إلی کلمة «بشرا» فقد تعنی فجعل البشر یتصاهرون فیما بینهم «۱».

(_____) قد یظنّ بعض القارئین أننا نغلو فی تفسیر الآیة: وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ مِنَ الْماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً وَ کانَ رَبُّکَ قَدِیراً [الفرقان: ۵۴]، و أن معنی کلمة «صهرا» الذی نشیر إلیه (اختلاط نطفتی الرجل و المرأة) لیس هو المراد، إنما المراد هو المعنی المتداول بین الناس، ألا و هو معنی القرابة، ذلک أن معنی الاختلاط بعید عن متناول أذهان عامّة الناس، إلا إذا ألقی علیه العلماء الضوء، و لکننا نقول: إن هذه الآیة جاءت بعد آیة أخری تشیر إلی إعجاز علمی، و هی: وَ هُوَ الَّذِی مَرَجَ الْبَحْرَیْنِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ وَ هذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَ جَعَلَ بَیْنَهُما بَرْزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً [الفرقان: ۵۳]. فهذه الآیة تشیر إلی أن هناک حاجزا مائیا بین البحر العذب و البحر المالح عند ملتقاهما، و أن هذا الحاجز یحول- إلی حد ما- دون أن تلجّ میاه أحدهما فی الآخر، کذلک فإن اختلاف نسبة الملوحة تمنع أسماک البحر العذب من أن تدخل فی البحر المالح (و العکس صحیح)، فیصبح هذا الحاجز حجرا محجورا، و هذا یعنی أن النص القرآنی یشیر مثلا إلی إعجاز علمی لأن السیاق یقتضی ذلک، و خصوصا أن صیغة الآیتین واحدة، و جاءت باستعمال صیغة «و هو الذی ...»، حتی تربط بین ما ترمی إلیه الآیتان، ألا و هو موضوع الإعجاز العلمی فی القرآن. و لعلّ ذکر وَ کانَ رَبُّکَ قَدِیراً فی نهایة الآیة وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ مِنَ الْماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً وَ کانَ رَبُّکَ قَدِیراً [الفرقان: ۵۴] هو للدلالة علی أن هناک إعجازا علمیا مرموزا إلیه، و هو عملیة انصهار معقّدة للماء، تحدث علی مستوی دقیق جدا، لا یقدر علی إحداثها و ضبط نسبها إلا الذی مرج البحرین و خلق من الماء بشرا، و بالتالی فإن السیاق و الصیاغة- إضافة إلی المعنی- یحملنا إلی أن ننسب هذه الآیة إلی الإعجاز العلمی فی القرآن الکریم. و قد تکرّر مثل هذا الأسلوب فی القرآن الکریم فی الکلام عن الإعجاز فی خلق العنصر الحیوانی من الماء مثل قوله عزّ و جلّ: وَ اللَّهُ خَلَقَ کُلَّ دابَّةٍ مِنْ ماءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ یَمْشِی عَلی بَطْنِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ یَمْشِی عَلی رِجْلَیْنِ وَ مِنْهُمْ مَنْ یَمْشِی عَلی أَرْبَعٍ یَخْلُقُ اللَّهُ ما یَشاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ [النور: ۴۵] (انظر مبحث «معجزة الرؤیة الإسلامیة فی علم الوراثة/ السبب الوراثی لتنوع خلق الحیوانات»)، فظهور القدرة فی کلا الأمرین (تنوع الخلق من الماء- انصهار ماءین مختلفین ماء واحدا) أوضح و أجلی و أمکن فی الإعجاز من کونه خلق من الماء، نوعا جعل منه النسب و الصهورة. و کذلک فإن الآیتین- آیة رقم ۵۳ و ۵۴ من سورة الفرقان- علی هذا التفسیر ستکونان من قبیل المقابلة التی تزید المعنی الإعجازی وضوحا، و ذلک أنه عزّ و جلّ مرج ماءین (مالحا و عذبا) دون أن یختلط أحدهما بالآخر، مع توافر دواعی الاختلاط و الامتزاج فی رأی العین، و فی الآیة الأخری مرج ماءین (ماء الرجل و ماء المرأة) مع اختلاف صفاتهما، و توافر دواعی عدم امتزاجهما کما کان یتصوّر لدی الناس حتی عهد قریب (أی حتی سنة ۱۷۷۵ م، حیث اکتشف العالم (سبالانزانی INAZNALLAPS) تلقیح الحیوان المنوی للبویضة)، و مع ذلک صهرهما تماما حتی صارا شیئا واحدا، بعکس الماءین الآخرین (المالح و العذب)، و الخلاصة: أنه ذکر ماءین (ملح، عذب) و عدم اختلاطهما مهما امتزجا فی رأی العین، و ذکر ماءین (ماء الرجل، ماء المرأة) و انصهارهما معا مع عدم عقلان ذلک فی الذهن، و هذا تماما هو المعنی البدیع للإعجاز العلمی، و کما قیل «الضّدّ یظهر حسنه الضّدّ»، و هذا فی رأیی هو الأنسب لتلاحم السیاق و اتصال أوله بآخره لأن المقابلة تعدّ من ضروب الصلات بین الکلامین- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۳۹ - _____ المختلفیـــن، و هـــذا الأسلوب قد تکرّر مرارا فی القرآن الکریم کقوله تعالی: إِنَّ الْأَبْرارَ لَفِی نَعِیمٍ (۱۳) وَ إِنَّ الْفُجَّارَ لَفِی جَحِیمٍ (۱۴) [الانفطار: ۱۳- ۱۴]، مما یرشّح لدینا الاعتقاد أن اللّه تعالی أراد فی القرآن الکریم الدلالة علی عملیتی الانصهار و النسب علی النحو الذی أشرنا إلیه، فسبحان اللّه! و اللّه تعالی أعلم. و قد یعترض البعض أن کلمة «ماء» هنا عرّفت بأل التعریف، و بالتالی فإن کلمة «الماء» التی جاءت فی الآیة السالفة الذکر تشیر إلی الجنس، أی إلی الماهیة (أی إلی مفهوم الماء العام) (أصول الفقه الإسلامی، د. إبراهیم السلقینی، تقسیم اللفظ باعتبار ظهور الدلالة علی معناه و خفائها، ص ۲۸۰). نقول- و باللّه التوفیق-: إن اللّه تعالی أراد أن تفهم الآیة علی وجهین: علی المعنی الشائع للتصاهر و الانتساب بین الناس، و علی معنی التصاهر و الانتساب علی مستوی التطف وفقا لقوله صلّی اللّه علیه و سلّم: «بعثت بجوامع الکلم» [أخرجه البخاری ح ۱۳]، فإذا فهم من الآیة المعنی الأول اقتضی تعریف کلمة ماء بأل التعریف حتی نفهم أن الآیة تشیر إلی جنس الماء، و إذا فهم من الآیة المعنی الثانی و جاءت کلمة ماء معرفة بأل التعریف لم ینف ذلک أن تشیر الآیة إلی ماء التطف لأن هذا النوع من الماء یندرج تحت الماء العام و اللّه تعالی أعلم. و الشاهد علی کلامنا قوله صلّی اللّه علیه و سلّم «ما من کل الماء یکون الولد» [أخرجه مسلم ح ۱۷] فهو یشیر بدون أی التباس إلی ماء التطف و لکن جاءت صیاغته بأل التعریف. و إذا سلمنا جدلا أن الماء بأل التعریف لم یرد فی القرآن الکریم إلا لجنس الماء، فلا یضرّ فی النتیجة التی توصلت إلیها أن کلمة «الماء» عبّر عنها فی: وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ مِنَ الْماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً وَ کانَ رَبُّکَ قَدِیراً [الفرقان: ۵۴] بالمعنی الدارج المعروف، و المقصود به جنس الماء، و عبّر بضمیرها فی فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً وَ کانَ رَبُّکَ قَدِیراً عن الماء الذی یتوالد منه الإنسان (ماء الرجل و ماء المرأة) و الذی ینطوی تحت جنس الماء، و هذا سائغ معروف فی اللغة و یسمّی «الاستخدام»، و لا مجال لإنکاره. و قد سبق تعریفه فی مبحث «الماء و المنی/ تفسیر النقطة الأولی» فانظره هناک. و مثل هذا تماما ما جاء فی قوله عزّ و جلّ: وَ ما یُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَ لا یُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِی کِتابٍ إِنَّ ذلِکَ عَلَی اللَّهِ یَسِیرٌ [فاطر: ۱۱]، فالضمیر فی «عمره» یعود إلی «معمّر» کما هو الظاهر، غیر أن التعمیر و نقصان التعمیر فی واحد لا- یجتمعان، فلزم أن یعود الضمیر إلی جنس المعمّرین، أیّ: إلی أیّ معمّر، بمعنی: أنّه لا یعمّر من معمّر و لا ینقص من عمر معمّر آخر إلا فی کتاب، و قد تساءل الزمخشری عن هذا الأسلوب؛ تماما کما وقع لی فی آیة سورة الفرقان السالفة الذکر، و کلامه مهم للغایة سأنقله بتمامه، قال: «فإن قلت: ما معنی قوله: وَ ما یُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ؟ قلت: معناه: و ما یعمّر من أحد، و إنما سمّاه معمّرا بما هو سائر إلیه. فإن قلت: الإنسان إما معمّر، أی: طویل العمر، أو منقوص العمر، أی: قصیره، فإما أن یتعاقب علیه التعمیر و خلافه فمحال، فکیف صحّ قوله: وَ ما یُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَ لا یُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ؟ قلت: هذا من الکلام المتسامح فیه ثقة فی تأویله بأفهام السامعین، و اتکالا- علی تسدیدهم معناه بعقولهم، و أنه لا یلتبس علیهم إحالة الطول و القصر فی عمر واحد. و علیه کلام الناس المستفیض، یقولون: لا- یثیب اللّه عبدا و لا- یعاقبه إلا- بحق، و ما تنعّمت بلدا و لا اجتویته إلا قلّ فیه ثوائی» (الکشاف، ج ۳، ص ۳۰۳)، فالکلام السابق للزمخشری یشیر إلی أن الاستخدام فی آیة سورة فاطر ساغ لأنه یعتبر أن فهم النص القرآنی و تأویله علی نحو سلیم من الأمور المسلّمة بها، و یتّکل علی تسدید- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۴۰ کیف تتم عملیة الانصهار؟. و الحاصل أن نواة نطفة الرجل و نواة نطفة المرأة تقتربان من بعضهما بعد أن یلج الحیوان المنوی فی البویضة، و عند التقاء النواتین یتفکّک غشاؤهما النووی و تنصهر النواتان. یقول الدکتور لارس هامبرغر فی هذا المضمار: «إن النواتین (نواة البویضة و نواة الحیوان المنوی) تجذبان بقوة فیما بینهما و بعد قلیل تنصهر» «۱». و مما یعزز معنی الانصهار قوله تعالی: مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ [عبس: ۱۹]، هذه الآیة تشیر إلی البدایة الإنسانیة. فباختلاط الحیوان المنوی بالبویضة یتحقق خلق إنسان جدید لأن جمیع الخطوات التالیة ترتکز علی هذه الخطوة و تنبثق منها، فهذه الخطوة الأولی لوجود مخلوق جدید. یتبع دخول الحیوان المنوی فی البویضة انصهار نواة النطفتین، و فی هذه العملیة تتحدد الصفات التی ستظهر فی الجنین فی المستقبل، کما أنه یتقدر فیها جنس الجنین، لذلک قال تعالی: فَقَدَّرَهُ بعد ما قال: مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ: فالخلق أولا، و التقدیر ثانیا. تجدر الإشارة هنا إلی أن وضع حرف «الفاء» بین الفعلین «خلقه» و «قدره» هو للإشارة إلی سرعة العملیة (هذه العملیة تستغرق أقل من ۳۰ ساعة). إن حرف «الفاء» یفید الترتیب مع التعقیب کما سنری فی المراحل الآتیة (انظر إلی مبحث «الأسلوب القرآنی فی استخدام حرفی «ثم» و «الفاء» فی آیات علم الأجنّة») و ذلک للدلالة علی سرعة العملیات التی ستحصل بعکس حرف العطـــف «ثـــم» -_____».

السامعین معنی الآیة بعقولهم، و ذلک بأن یشیر ضمیر الفاعل- أو المفعول به، أو نحوهما- فی الآیة المعتبرة إلی فاعل- أو مفعول به، أو نحوهما- آخر من جنسه حتی تصبح الآیة مفهومة، و هذا هو المراد أیضا فی سورة الفرقان و اللّه تعالی أعلم. حیث إن الاستخدام فی هذه الآیة، مع إفادته الإیجاز (و ذلک بأن لا یصرّح بذکر المنطوی تحت المذکور، و إنما یکتفی بضمیره)، فإنه یقدّم لکل عصر، و طبقة من المجتمع، إمکانیة فهم الآیة حسب إمکانیاتهم الفکریة، و ما آلت إلیه علومهم لفقدان التصریح بالمنطوی عنه، فیفتح بذلک المجال للتأویل المحدود؛ فهو فی هذه الحالة یجمع ثقة السامعین بتصوّرهم إیّاه علی ما یعرفونه من النسب و الصهر (و ذلک بصرف ضمیر «فجعله» إلی «البشر»)، کما أنه یجمع إلی ذلک فهم علماء الإعجاز العلمی لمعناه علی ما قدّمته آنفا (و ذلک بصرف ضمیر «فجعله» الذی یشیر إلی نوع معین من الماء- ماء الرجل و ماء المرأة- إلی جنس الماء العام الذی ینطوی تحته). (۱) کتاب ولد طفل، د. لارس هامبرغر، ص ۵۶. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۴۱ و هکذا تنصهر النواتان فیما بینهما لتؤلّفا ما یسمی باللغة العلمیة: (البویضة المخصّبة ETOGYZ). و هنا یظهر الإعجاز؛ إذ لیس ثمة کلمة أدق و أوجز من تلک التی وردت فی کلام اللّه سبحانه و تعالی لتبیان حقیقة الانصهار. أما بالنسبة لمعنی کلمة «نسب» التی وردت فی الآیة المذکورة أعلاه فإن الحدیث الذی سنورده إن شاء اللّه و الذی سنعلق علیه فی مبحث «معجزة الرؤیة الإسلامیة فی علم الوراثة» سیلقی الضوء علی الوجه الثانی لمعنی النسب و الحدیث هو: «إن النطفة إذا استقرت فی الرحم أحضرها اللّه تعالی کلّ نسب بینها و بین آدم» [رواه الطبرانی ح ۶۳]، فانظره هناک. لنتظر الآن إلی الحدیث الذی رواه مالک بن الحویرث و إلی روایة زید بن أسلم رضی اللّه عنهما لنری تفاصیل هذا الانصهار: «إن اللّه تعالی إذا أراد خلق النّسمة فجامع الرجل المرأة طار ماؤه فی کل عرق و عصب منها، فإذا کان یوم السابع جمعه اللّه تعالی ثم أحضر له کل عرق بینه و بین آدم، ثم قرأ: فی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ» [أخرجه الطبرانی ح ۲۱]. سبحان اللّه! إن صیاغة هذا الحدیث بسیطة جدا و لکنها فی غایة الإعجاز. فهو یحمل فی طیاته أکثر من إعجاز إخباری و لا یستنبط أسراره إلا الراسخون فی العلم الدینی و الدنیوی. و سوف نتعرض لکل من هذه الإعجازات فی مواضعها المناسبة من النصوص المتعلقة بها- إن شاء اللّه تعالی-. الماء المذکور هنا هو النطفة فی المفهوم النبوی، کما قال صلّی اللّه علیه و سلّم: «ما من کلّ الماء یکون الولد ...» [أخرجه مسلم ح ۱۷] و کما جاء فی تعریف النطفة (قطرة من ماء). یعلم الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم تمام العلم أن النطفة لا- تطیر (حسب مفهومنا العامی) «۱»،

(_____ ۱) نشیر هنا إلی التفسیر العلمی الخاطئ للحدیث رقم ۶۵۹۴ فی فتح الباری بشرح صحیح البخاری: «إن أحدکم یجمع فی بطن أمّه أربعین یوما ...» (و سوف نشرح هذا الحدیث فی مبحث لاحق بعنوان «اجتهاد غیر مصیب»)، و نحن نورده هنا حتی لا تختلط المفاهیم علی القارئ فیذهب بعیدا عن الصواب؛ فقد «روی عن ابن مسعود رضی اللّه عنه أنّه قد فتّر الحدیث السابق ذکره: بأن النطفة إذا وقعت فی الرحم و أراد اللّه أن یخلق منها بشرا طارت فی جسد المرأة تحت کل ظفر و شعر، ثم تمکث أربعین یوما، ثم تنزل دما فی الرحم، فذلک جمعها» (کتاب القدر- رقم الحدیث ۶۵۹۴ ج ۱۱/ ص ۴۸۰)/ و هو بذلک قد استعان لشرح الحدیث السابق بالحدیث «طار ماؤه فی کل عرق و عصب منها، فإذا کان الیوم السابع، جمعه اللّه» [رواه الطبرانی ح ۲۱]، و اللّه تعالی أعلم.- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۴۲ و أنها تسبح بدلا من أن تطیر (کما تعنی کلمة سلالة: راجع مبحث «نطفة»)، و أن وظیفة النطفة الذکریة هی تلقیح النطفة الأنثویة: فهو الذی أکد أن الماء یختلط بدلا من أن یطیر (وفقا لما جاء فی الحدیث الشریف: «یا یهودی من کلّ یخلق من نطفة الرجل و نطفة المرأة» [أخرجه أحمد ح ۲۰] أو کما أوحی اللّه سبحانه و تعالی علی لسانه إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ ... (الإنسان: ۲)؛ لذا وجب تفسیر الحدیث علی الوجه الصحیح. و لا بد إذا أردنا أن نصیب فی التفسیر، أن نلاحظ النقاط التالیة: ۱- أن الطیران حاصل فی العروق (و هذا مستحیل علمیا حسب مفهومنا العامی للطیران)، لأن العروق- أی العروق التی یجری فیها الدم- منتشرة فی جسم الإنسان. و إذا أخذنا الحدیث الشریف بالمعنی العامی أی بمعنی الطیران، فهذا یعنی أن النطفة تجری فی کافة أعضاء الإنسان و هذا أمر یرفضه العلم. ۲- أن الحدیث یتکلم عن التخلق کما یشیر إلیه قوله صلّی اللّه علیه و سلّم: «إن اللّه تعالی إذا أراد خلق النّسمة ...» [أخرجه الطبرانی ح ۲۱]. و عملیة التخلق هذه تستوجب اختلاط النطف، و مفهوم الطیران وجب علیه من هذا المنطلق أن یکون ضمن هذا الإطار، بحیث یتوافق مع السیاق، و هذا یستوجب معنی الانتشار کما سنراه. ۳- لو جاء معنی العروق بالمعنی المتعارف علیه فی أیامنا هذه (أی عروق الدم) لأصبح المعنی عبثیا مستحیلا و ذلک لأن إحضار العروق من سیدنا آدم علیه السلام متعذر. ۴- أن العرق الذی ذکر فی الحدیث الشریف هو (الصیغات SEMOSOMORHC) فی المصطلح العلمی، و الدلیل علی ذلک: ۞ ورود کلمة عرق فی عدّة أحادیث بمعنی الصیغات کما فی «تزوّجوا فی الحجر الصالح فإن العرق دساس» [ذکره السخاوی ح ۷۱]، و «هذا لعله یکون نَزَعه عرق له ...» [أخرجه مسلم ح ۶۵] (انظر إلی مبحث «معجزة الرؤیة الإسلامیة فی علم الوراثة» و مبحث «الانحراف التخلّقی و مضاعفاته کما یراه القرآن الکریم و السنّة النبویة الشریفة»).

- _____هذا التفسیر ذکره الخطّابی و أخرجه ابن أبی حاتم فی التفسیر من روایة الأعمش أیضا عن خیثمة بن عبد الرحمن عن ابن مسعود، و قوله: «فذلک جمعها» «کلام الخطابی أو تفسیر بعض رواة الباب، و أظنه الأعمش، فظن ابن الأثیر أنه تتمة کلام ابن مسعود» (کتاب القدر- رقم الحدیث ۶۵۹۴ ج ۱۱/ ص ۴۸۰). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۴۳ ۞ إذا أردنا أن نعید معنی کلمة «العرق» للجنین فإن إحضار العرق حسب مفهومنا العامی مستحیل و ذلک لأن الجنین فی مراحله الأولی کتلة خلایا و لیس هناک أیّ عرق دم فیه. و إذا أردنا أن نعید کلمة «العرق» إلی المرأة فإن إحضار عروق المرأة مستحیل أیضا لأن تلک العروق تبقی فی محلها. أما عن معنی کلمة «عصب» فسنتعرض له فی مبحث «معجزة الرؤیة الإسلامیة فی علم الوراثة»، فانظره هناک. إن المفهوم النبوی للتخلّق و لحرکة النطفة (حرکة التخصیب NOITAZILITREF)، بالإضافة إلی النقاط المذکورة أعلاه یرسم لنا الإطار الذی یجب أن نفکر فیه للوصول إلی التفسیر الصحیح و الحقیقة. إن المعنی الذی ینطبق علی فعل «طار» فی هذه الحالة هو انتشر، و یستعمل للدلالة علی شدة الانتشار و سرعته (انظر حاشیة «الملحق» المرفق فی آخر الکتاب). و الدلیل علی ذلک هو ما قاله ابن فارس: «طیر: الطاء و الیاء و الراء، أصل واحد یدل علی خفّة الشیء فی الهواء، ثم یستعار ذلک فی غیره و فی کلّ سرعة ... یقال لکل من خف: قد طار» «۱». فإذا خفّ الشیء فی الهواء أخذه الهواء فی کلّ ناحیة، و تفرّق. قال ابن فارس: «و یقال من هذا: تطایر الشیء: تفرّق، و استطار الفجر: انتشر، و کذلک کل منتشر» «۲». و ورد فی لسان العرب «۳»: «و التطایر و الاستطارة: التفرق. و استطار الغبار إذا انتشر فی الهواء. و غبار مِطْیار و مستطیر: منتشر .... و فی حدیث بنی قریظة: و هان علی سراة بنی لؤیّ حریق، بالبویرة، مستطیر أی منتشر متفرّق کأنه طار فی نواحیها. لذلک فإن کلمة «طار» فی الحدیث هی من قبیل الاستعارة «۴».

(_____ ۱) معجم مقاییس اللغة لابن فارس، ج ۳/ ص ۴۳۵. (۲) معجم مقاییس اللغة لابن فارس، ج ۳/ ص ۴۳۶. (۳) لسان العرب لابن منظور- مادة «طیر»- ج ۸/ ص ۲۳۸- ۲۴۰. (۴) قد کثر استعمال کلمة «طار» فی هذا المعنی کما یفهم من ابن فارس سابقا، حتی صار مستعملا فی کلّ سرعة، أو فی کلّ منتشر، و بهذا أصبح قرینا لحقیقة الانتشار و السرعة، إن لم یکن أشهر منها، و هو بالتالی من المجاز الصریح المنضبط، بل کاد أن یکون أشهر من الحقیقة، حتی أصبحت دلالته للانتشار قطعیة فی الحدیث إذا ما أخذنا بالاعتبار الحقیقة العلمیة، و بالتالی یصحّ الاستدلال به لما سیمرّ معنا فی الحاشیة رقم ۱، ص ۵۸۱ من مبحث «الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة و الأسس التی یرتکز علیها/ باب معان ... صریحة فی دلالاتها». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۴۴ قال اللّه تعالی فی القرآن الکریم: یُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَ یَخافُونَ یَوْماً کانَ شَرُّهُ مُسْتَطِیراً (الإنسان: ۷). جاء فی ابن کثیر تعلیقا علی هذه الآیة «۱»: «و یترکون المحرمات التی نهاهم عنها خیفة من سوء حساب یوم المعاد و هو الیوم الذی شره مستطیر أی منتشر عامّ علی الناس إلا من رحم اللّه ... قال قتادة: استطار- و اللّه- شرّ ذلک الیوم حتی ملأ السموات و الأرض ...». و لقد ورد معنی الانتشار فی التعلیق علی الحدیث الذی رواه مالک بن الحویرث فی کتاب «فتح الباری بشرح صحیح البخاری» «۲»: «و کل ذلک لا یدفع الزیادة التی فی حدیث مالک بن الحویرث فی إحضار الشبه فی الیوم السابع و أن فیه یبتدئ الجمع بعد الانتشار». و کما أسلفنا القول فإن النطفة الذکریة (أی الحیوان المنوی) تدخل فی النطفة الأنثویة و من ثم یقترب رأسها المحتوی علی کتلة الصیغات (أو العروق) من نواة النطفة الأنثویة (البویضة) التی تحتوی علی کتلة عروق مماثلة فتطیر و تنتشر عروق هذا الحیوان المنوی بین عروق البویضة «۳». یقول الدکتور کیث مور «۴»: «إن صیغات الأم و صیغات الأب تختلط فی (الطور الاسوتانی ESAHPATEM) (لأول عملیة انقسام میتوزیة NOISIVID CITOTIM TSRIF) للبویضة المخصبة». فإذا أردنا أن یستقر معنی الحدیث «طار ماؤه فی کل عرق و عصب منها» [أخرجه الطبرانی ح ۲۱] علی ضوء المعطیات العلمیة التی ذکرناها سابقا وجب علینا أن

(_____ ۱) تفسیر ابن کثیر- ج ۴/ ص ۴۵۴.

(۲) فتح الباری شرح صحیح البخاری- کتاب القدر- رقم الحدیث ۶۵۹۴- ج ۱۱/ ص ۴۸۱. (۳) قد یظن بعض الناس أن الحدیث یشیر إلی انتشار کامل منیّ الرجل داخل عروق (أی شرایین) رحم المرأة؛ نقول- و باللّه التوفیق-: إن هذا التفسیر للحدیث یستحیل أن یستقر؛ و ذلک لأن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم أکّد أن المعنی هو جزء من الماء و لیس الماء کله فی الحدیث «ما من کل الماء یکون الولد ...» [أخرجه مسلم ح ۱۷]، و لأن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم تکلم عن الماء الذی سیترکب منه الجنین کما یشیر إلیه الحدیث النبوی «ثم قرأ فی أیّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ [الانفطار: ۸]»، و بالتالی فهو یتکلم عن الجزء الذی سیتکوّن منه الجنین، أی النطفة لزوما. و إذا سلمنا أن النطفة هی المعنیة فی الحدیث، فهمنا من ذلک أنه لا بد أن تکون عروق النطفة هی التی تنتشر، و لیس «کل الماء». انتهی. (۴) کتاب الإنسان النامی مع زیادات إسلامیة، د. کیث مور، ص ۳۲. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۴۵ نعید الضمیر فی کلمة «منها» إلی بویضة المرأة «۱»، فإذا فعلنا ذلک تکشّفت لنا إعجازات علمیة عدیدة هی التالیة: ۱- إن النطفة الذکریة أصغر من النطفة الأنثویة و إلا لما طارت فی ... (أی انتشرت فی ...). فالانتشار فی مکان ما یستوجب من المنتشر أن یکون أصغر من مکان الانتشار، و هذا یعنی أن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم کان یعلم تمام العلم أن الحیوان المنوی أصغر من البویضة. (انظر الصورة رقم: ۳۴ فی الصفحات التالیة). ۲- إن الحیوان المنوی یدخل البویضة لأنه ینتشر فیها. و مما یؤکد استدلالنا هو صیاغة الحدیث الشریف حیث ورد: «طار ماؤه فی کل عرق و عصب منها» [أخرجه الطبرانی ح ۲۱]. فالرسول صلّی اللّه علیه و سلّم أدرج ماء الرجل بأکمله و عروق المرأة فقط فی عملیة الانتشار. و من المعلوم أن عملیة الانتشار تستوجب إدراج عروق الحیوان المنوی و عروق البویضة فقط فی عملیة الانتشار. فلو أن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم قال: طارت عروق ماء الرجل فی عروق ماء المرأة لاستثنی بذلک ذیل الحیوان المنوی من دخول البویضة و لقیّد عملیة الدخول بعروق نطفة الرجل فقط، و لکن الواقع یشیر إلی أن الحیوان المنوی یدخل بأکمله البویضة (باستثناء غشائه الذی یلصق بغشاء البویضة أثناء الدخول)، و لذلک کان لا بد من أن یتکلّم الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم عن الماء بأکمله و لیس عن العروق فقط. (انظر الصورة رقم: ۳۴ فی الصفحات التالیة). غیر أن إدراج الماء بأکمله فی عملیة الانتشار لا یستوجب أن ینتشر الذیل أیضا؛ فالذیل یتحلل فور دخول الحیوان المنوی البویضة «۲»، و تبقی العروق لعملیة

(_____ ۱) هذا الضرب من الکلام یسمّی الاستخدام، و قد سبق تعریفه فی مبحث «الماء و المنی/ تفسیر النقطة الأولی»، فانظره هناک، و بیانه هنا: أنه صلّی اللّه علیه و سلّم عبّر بالضمیر فی قوله «منها» عن أحد المعانی التی تحتملها کلمة المرأة، أو لها منها سبب، و یرید بالضمیر هنا «البویضة»، و هذا له اتصال و سبب بالمرأة، فمن هنا ساغ «الاستخدام»، و هذا یثبتنا عن عظیم القدرة البیانیة التی یتمتع بها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، حیث یستطیع الأعرابی البسیط أن یفهم الحدیث علی أن الضمیر یعود للمرأة نفسها، فلا ینکر ذلک لأنه المتناسب مع مفهوم زمانه حینذاک، و فی الوقت نفسه، یفهم عالم الإعجاز العلمی المعنی الحقیقی للحدیث، و أن عود الضمیر إلی المرأة بمعنی إلی بویضتها، التی هی منها، أو لها سبب بها. (۲) کتاب الإنسان النامی، د. مور و بارسو، ص ۳۶، کتاب (علم الأجنّة الطبی، سادلر RELDAS, YGOLOYRBME LACIDEM)، ص ۳۰. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۴۶ الانتشار فقط، و تصبح العروق الممثّل الوحید للماء، و لذلک أطلق اللفظ الذی یشیر إلی الکل (أی إلی الماء) فی صیاغة الحدیث الشریف و أرید به الجزء (أی عروق النطفة). (انظر الصورة رقم: ۳۵). و هذا الأسلوب معروف فی اللغة العربیة و یندرج فی باب المجاز المرسل؛ مثال علی ذلک قوله تعالی: یَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فِی آذانِهِمْ [البقرة: ۱۹]، فالمقصود من الآیة أن أطراف الأصابع تجعل فی الآذان و لیس الأصابع کلها «۱». و الدلالة علی أن عملیة الاختلاط تقتصر علی عروق الرجل فقط دون الذیل (و علی عروق المرأة أیضا) حسب المعطیات الشرعیة هو الحدیث الذی سیلی تفسیره فی المباحث اللاحقة و هو «إذا کان حین الولد، اضطربت العروق کلها ...» [أخرجه الحکیم الترمذی ح ۲۲] حیث إنه أتی علی ذکر العروق فقط لعملیة تسبق عملیة الانتشار بدقائق معدودة، و هذه العروق هی عروق الرجل و المرأة فقط کما سنراه لاحقا. و من کلامنا السابق نفهم أن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم یعلم أن الحیوان المنوی یدخل بأکمله البویضة و أن ذیله

لا. ینتشر فیها، و بذلک یکون النبی صلّی اللّه علیه و سلّم تکلم عن دخول الحیوان المنوی البویضة قبل العالم (هیرتویج GIWTREH) الذی تمکن من ملاحظة کیف یلقّح الحیوان المنوی البویضة عام (۱۸۷۵ م) أی بعد ۱۲۰۰ سنة تقریبا!!! ۳- إن النطفة الأنثویة تحتوی علی عروق و إلا لما ذکر الرسول- علیه الصلاة و السلام- أن الماء یطیر (أی ینتشر) فی عروق المرأة- أی فی العروق التی تفرزها المرأة ألا و هی عروق نطفتها-. و هذا یشیر إلی معرفة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم أن النطفة تحتوی علی صبغیات. فلو أن العروق لم تکن موجودة فی بویضة المرأة- حسب المفهوم الإسلامی- فلما ذا تفرز المرأة نطفة تعطی الجنین صفات، إن کان العرق غیر موجود فیها و هو المسئول عن إعطاء الصفات؟، و لهذا تشهد الأحادیث التالیة: «و هذا لعله یکون نزعه عرق له» [أخرجه مسلم ح ۶۵]، «و انظر فی أیّ نصاب تضع ولدک فإن العرق دسّاس» [ذکره العجلونی ح ۷۱]، «الناس معادن و العرق دساس» [ذکره ابن الجوزی ح ۷۱]، «تزوّجوا فی الحجر الصالح فإن العرق دسّاس» [ذکره السخاوی ح ۷۱]، «نطفة الرجل بیضاء غلیظة و نطفة المرأة صفراء رقیقة فأیّهما غلبت صاحبتها فالشبه له» [ذکره ابن هشام ح ۶۹] «۲».

(_____ ۱) کتاب أصول الفقه الإسلامی، د. إبراهیم محمد سلقینی، ص ۲۴۰. (۲) انظر مبحث «معجزة الرؤیة الإسلامیة فی علم الوراثة». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۴۷ کذلک فهم بعض فقهاء الصحابة رضی اللّه عنهم ما أشرنا إلیه؛ فلقد أشار الصحابی الجلیل عبد اللّه بن مسعود رضی اللّه عنه إلی أن النطفة تحتوی علی عروق، کما فی الروایتین التالیتین: - جاء فی الدر المنثور: أخرج عبد بن حمید و ابن المنذر عن عبد اللّه بن مسعود قال: إذا جئتاکم بحدیث أتیناکم بتصدیقه من کتاب اللّه إن النطفة تکون فی الرحم أربعین ثم تکون علقة أربعین ثم تکون مضغة أربعین، فإذا أراد اللّه أن یخلق الخلق نزل الملک فیقول له: اکتب، فیقول: ما ذا أکتب؟ فیقول: اکتب شقیا أو سعیدا، ذکرا أو أنثی، و ما رزقه، و أثره و أجله، فیوحی اللّه بما یشاء و یکتب الملک، ثم قرأ عبد اللّه: إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ نَبْتَلِیهِ ثم قال عبد اللّه: أمشاجها عروقها. - و ورد فیه أیضا «۱»: أخرج سعید بن منصور و ابن أبی حاتم عن ابن مسعود فی قوله أمشاج، قال: العروق. قال ابن رجب الحنبلی «۲»- بعد أن أورد الآیة إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ- قال: «و فتیر طائفة من السلف أمشاج النطفة بالعروق التی فیها» «۳». و الخلاصة: قوله: إن النطفة لها أمشاج، و هذه الأمشاج هی العروق (أی الصبغیات)، هو دلالة علی أن فی النطفة صبغیات. و هکذا فإن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم تحدث عن دور الصبغیات فی عملیة الإخصاب قبل العالم (فلیمینج ۱۸۷۸) (GNIMMELF م). ۴- إن النطفة الأنثویة (أی البویضة) لا تحتوی علی عروق فحسب، بل علی مکوّنات أخری و ذلک لأن ماء الرجل یطیر فی عروق من نطفة المرأة لا فی النطفة بأکملها؛ فالانتشار ثابت بین أعضاء محددة من البویضة (أی الصبغیات) کما تشیر إلیه کلمة «منها». و بالفعل فإلی جانب العروق التی توجد فی نواة النطفة هناک (الهلام الخلیوی MSALPOTYC) الذی یحیط بالنواة و الذی یحتوی علی (مولدات الطاقة AIRDNOHCOTIM) فی النطفة و مصانع تصنیع البروتینات (الریبوسومات

(_____ ۱) الدر المنثور للسیوطی- (ج ۶/ ص ۲۹۷- ۲۹۸). (۲) جامع العلوم و الحکم لابن رجب الحنبلی، ص ۱۵۸. (۳) اللافت للنظر جدا أن یستنتج أسلافنا فی عصر یملؤه الجهل العلمی أن هناک عروقا للنطفة، و قد استنبط ذلک الصحابة- رضوان اللّه علیهم- معتمدین علی النصوص القرآنیة و الأحادیث الشریفة، و لا عجب، فهؤلاء لهم مدد نورانی من اللّه عزّ و جلّ، و یشهد لذلک الحدیث الشریف التالی: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ینظر بنور اللّه» [أخرجه الترمذی ح ۷۴]. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۴۸ (۳۳) (SC) نری فی الرسم مقطعا للخلیة (و بالتالی البویضة) حیث یتبین لنا أنها تتألف من أعضاء کثیرة غیر الصبغیات کما أشرنا إلیه فی النقطة رقم ۴ لتفسیر الحدیث «طار ماؤه فی کل عرق و عصب منها» [أخرجه الطبرانی ح ۲۱]. SEMOSOBIR) و (جهاز جولجی SUTARAPPA IGLOG) المختص بتخزین عملیات البناء فی الخلیة، و عناصر أخری. (انظر الصورة رقم: ۳۳). و هذا ما أکده زید بن أسلم حیث قال فی تفسیره للآیة: إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ: الأمشاج العروق التی فی النطفة «۱»، فلقد حدد أن العروق موجودة داخل النطفة و بالتالی حدد أن العروق لا تؤلف کل النطفة بل هناک أعضاء أخری. و من کلامنا السابق نفهم أن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم یعلم أن الصبغیات لا تکوّن کلّ البویضة. ۵- إن الأجزاء التی اختلطت هی عروق موجودة فی النطفة و لیس سواها، و ذلک لأن الماء یطیر فی (أی ینتشر بین) عروق و أعصاب نطفة المرأة (أی صبغیاتها) و لم ینتشر فی أعضاء أخری.

(_____ ۱) الدر المنثور للسیوطی- (ج ۶/ ص ۲۹۸). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۴۹ و هذا تلمیح واضح إلی أن العناصر الأخری لا تشارک فی عملیة الاختلاط. (انظر الصورة رقم: ۳۸). و قد أقرّ الصحابی عبد اللّه بن مسعود و التابعی زید بن أسلم رضی اللّه عنهما هذا المفهوم فی قولهما: «أمشاجها عروقها» و «الأمشاج العروق التی فی النطفة»؛ أی أن الأجزاء التی تخلط هی العروق المتواجدة داخل النطفة. و مما یقوّی هذا التفسیر هو أنه إذا اختلط شیئان نقول عنهما: «مشیج» فی الغالب و لیس «أمشاج»، ذلک أن کلمة «أمشاج» تشیر إلی أن عدة أشیاء اختلطت فیما بینها؛ ألا و هی العروق، جاء فی لسان العرب «۱»: «مشج: المشج و المشج و المشج و المشیج: کل لونین اختلطا ... و قیل: هو کل شیئین مختلطین، و الجمع أمشاج». و جاء فی مختار الصحاح «۲»: «م ش ج: مشجت بینهما مشجا: خلطت، و الشیء مشیج، و الجمع أمشاج» «۳ (_____ ۱. ۱) لسان العرب لابن منظور- مادة «مشج»- (ج ۱۳/ ص ۱۱۱). (۲) الصحاح للجوهری- (ج ۱/ ص ۲۴۱). (۳) هناک بعض الباحثین ممن یفتقر نطفة الأمشاج علی أنها نطفة الرجل، أو نطفة المرأة، أو النطفة المختصة، و ذلک أن نطفة الرجل (أو نطفة المرأة) تحتوی علی أخلاط من الصبغیات اتحدرت من کلّ من الجدّ و الجدّة علی حدّ سواء، و أن الصبغیات تحتوی علی مزیج من المورّثات جاءت منهم أیضا من خلال عملیة (التصالب و العبور REVO SSORC) التی حدثت (للنطفة الجنسیة الأولیة LLEC XES YRAMIRP) التی انقسمت مرّتین خلال نضوجها (الانقسام المیوزی الأول و الثانی NOISIVID CITOIEM DNOCES DNA TSRIF) و التی أدّت إلی نشوء نطفة الرجل (أو المرأة) (انظر مبحث «انفلاق النطفة و الازدواجیة فی الترکیب»)، فکل من نطفة المرأة و نطفة الرجل نطفة مشیج، و النطفة المختصة نطفة أمشاج، حصلت من جمع مشیجین حسب مفهومهم، فجعلوا کلمة «أمشاج» جمع «مشیج»، و ذلک خطأ من الناحیة اللغویة، لأن کلمة «أمشاج» صفة للنطفة التی هی مفردة، و بالتالی فإن صفتها (أی کلمة أمشاج) لفظ مفرد و لیس بجمع، جاء فی تفسیر الرازی- (ج ۳۰/ ص ۷۴۰): «قال صاحب «الکشاف»: الأمشاج لفظ مفرد، و لیس بجمع، بدلیل أنه صفة للمفرد، و هو قوله: نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ [الإنسان: ۲]، و یقال أیضا: نطفة مشیج، و لا یصح أن یکون أمشاجا جمعا للمشیج، بل هما مثلان فی الإفراد، و نظیره برمة أعشار، أی قطع مکسرة، و ثوب أخلاق، و أرض سباسب ...». و الإشارة إلی أن لفظ نطفة الأمشاج قد یشیر إلی نطفة الرجل أو نطفة المرأة جائز، ذلک أن کلًا منهما یحتوی علی أخلاط، و کذلک الإشارة إلی أنه قد یشیر إلی النطفة المختصة جائز أیضا، لأن النطفة المختصة مزیج من نطفة الرجل و نطفة المرأة، أو لأنها تحتوی علی أخلاط من الصبغیات و المورّثات، و لکن القول بأن القرآن أشار إلی أن هناک مزجا علی مزج غیر صحیح، للسبب الذی سقناه سابقا، و نکون بذلک قد حمّلنا القرآن الکریم ما لم یشر إلیه، و اللّه تعالی أعلم. و لقد استحسنا أن نعتمد التفسیر القائل بأن نطفة الأمشاج هی النطفة المکونة من نطفة الرجل و نطفة المرأة، لأن عموم الأحادیث تتکلم عن تفاعل- إن لم یکن اختلاط- نطفة الرجل بنطفة المرأة، و لأن أکثر السلف الصالح فسروا نطفة الأمشاج علی أنها اختلاط نطفة الرجل بنطفة المرأة، و لأن التوجه العام للبحث یشیر عقلا إلی هذه الظاهرة. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۵۰ و هذا یفید أن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم یعلم بوحی ربّانی أن هناک عناصر أخری لا تختلط مع عروق الحیوان المنوی. ۶- إن عروق نطفة الرجل تقترب من عروق نطفة المرأة «۱»، فالانتشار بین عروق المرأة یستوجب الاقتراب منها، و إلا لما استطاعت العروق الاختلاط. (انظر الصورتین رقم: ۳۷- ۳۸). و مما یثبت صحة کلامنا هذا، هو قوله تعالی: وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ مِنَ الْماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً وَ کانَ رَبُّکَ قَدِیراً [الفرقان: ۵۴]، فهذه الآیة- کما سبق و تکلمنا- تشیر إلی انصهار نواتی الماءین، و الانصهار یتوقف علی الاقتراب. و نفهم من هذا الحدیث أن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم یعلم أن نواتی الحیوان المنوی و البویضة تنجذب إحداهما إلی الأخری. ۷- إن عملیة التقدیر المذکورة فی الآیة: مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ تکون من خلال مشیج (أی اختلاط) العروق فیما بینها، و ذلک یوافق ما جاء فی الآیة: وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ مِنَ الْماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً ... من أن النسب یعقب الخلق و ذلک بانصهار النواتین، کما أنه یوافق المعنی الذی أتی فی الحدیث: «إذا کان حین الولد اضطربت العروق کلها لیس منها عرق إلا یسأل اللّه أن یجعل الشّبه له» [أخرجه الحکیم الترمذی ح ۲۲] و المفید بأن إحضار الشبه یکون عند ما یحین الخلق و ذلک بسبب العروق. ۸- إن رأس الحیوان المنوی یتسع و یتضخم، فالانتشار یقضی تمدّد و تبعثر أعضاء المادة المنتشرة. و الحیوان المنوی فی بادئ الأمر یکون غلیظا کثیفا بالنسبة لنطفة المرأة (فعروقه أکثر تراصا و تراکما من عروق المرأة) کما یشیر إلیه الحدیث النبوی الشریف «نطفة الرجل بیضاء غلیظة ...» [ذکره ابن هشام ح ۶۹] و من ثم تضطرب عروقه و تتسع (أی تتحرک و تتمدد) کما یعنیه الحدیث «إذا کان حین الولد اضطربت العروق کلها» [أخرجه الحکیم الترمذی ح ۲۲] «۲» (انظر الصورة رقم: ۳۶)، و من ثمّ تنتشر و تختلط عروق النطفتین وفق الحدیث «طار ماؤه فی کل عرق و عصب منها» [أخرجه الطبرانی ح ۲۱] (انظر الصورة رقم: ۳۹)، بعکس حالة البویضة، فهی فی بادئ الأمر رقیقة، قلیلة الکثافة بالنسبة للحیوان المنوی کما وصفها الحدیث «نطفة المرأة صفراء رقیقة ...» [ذکره ابن هشام ح ۶۹]، غیر أن تلک العروق تستکمل امتدادها فور دخول الحیوان المنوی لأن الحدیث شمل کلّ العروق فی عملیة الاضطراب کما أتی فی لفظ «اضطربت العروق کلها» [أخرجه الحکیم الترمذی ح ۲۲] و لم یشر إلی بعضها دون البعض الآخر.

(_____ ۱) و بالتحدید إن عروق نطفة المرأة و عروق نطفة الرجل تقترب بعضها من بعض. (۲) انظر مبحثی «اضطراب عروق النطفة» و «النطفة». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۵۱ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۵۲ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۵۳ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۵۴ و نود الإشارة هنا إلی أن: - عملیة الانتشار تتصف باختلاط أجزاء متفرقة. - و أن الأجزاء المتفرقة هی عروق. - و أن هذه العروق هی عروق موجودة فی النطفة. بما أن ذلک کله متحقق، فنفهم عندها أن إطلاق تسمیة «نطفة الأمشاج» علی البویضة المخصبة یعنی «نطفة العروق المختلطة». و هکذا یتجلی لنا الإعجاز البلاغی للقرآن لأنه اختصر عدة معان فی کلمتین فقط. و فی النهایة نود التعلیق علی التسمیة التی أطلقها القرآن الکریم علی البویضة المخصبة و نقارنها بالمصطلحات التی وضعها الأطباء لنری أیهما مناسب أکثر من حیث الدلالة: أطلق العلماء علی البویضة التی یلقحها الحیوان المنوی اسم (البویضة المخصبة MUVO DEZILITREF)، و علی البویضة المخصبة بعد أن تتحد فیها نواتا الحیوان المنوی و البویضة

اسم: (الخلیة الموحدة ETOGYZ)، و بالتالی فإن تسمیة «البویضة المخصبة» تشیر إلی تلقیح الحیوان المنوی للبویضة، کما أنها تشیر إلی أن شکل البویضة مستدیر نسبیا، و هذه التسمیة غیر مناسبة بتاتا؛ ذلک أنها توحی إلی القارئ أن بویضة المرأة هی الأصل، و أن الحیوان المنوی لا یلعب إلا دورا هامشیا، أی دورا محفزا فی تکوین الجنین. أما بالنسبة لتسمیة الخلیة الموحدة فهی لا تعکس ما یجری داخل البویضة المخصبة، و لا تشیر إلی شکل البویضة ... إلخ. أما تسمیة «لقطة أمشاج» فهی تشیر إلی الشکل الخارجی للبویضة المخصبة، و تدل علی حجمها، و تعکس العملیات التی تجری داخلها، ناهیک عن أنها تشیر إلی حرکة البویضة المخصبة؛ فاللقطة تعنی، کما أشرنا إلیه فی مبحث «اللقفة»، القطرة من الماء، و بالتالی فإن هذه التسمیة تشیر إلی أن البویضة المخصبة صغیرة کقطرة الماء، و أنها مستدیرة نسبا کقطرة الماء، و أنها تنساب علی سطح ما یسمی «بقناة فالوب» خلال هجرتها من المبیض إلی الرحم کما تنساب القطرة من الماء علی السطح المائل. و وصفها بأنها «أمشاج» یشیر إلی أنها مکونة من أعضاء کثیرة (الصبغیات)، و یعکس العملیات الداخلیة التی تجری داخل البویضة من اختلاط الصبغیات فیما بینها، ناهیک أنه یعطی للحیوان المنوی نفس الأهمیة التی یعطیها لبویضة المرأة، فی إشارة إلی شراکة متساویة للذکر و الأنثی فی تکوین الجنین. فتأمل أیها القارئ الکریم!!!. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۵۵

اضطراب عروق النطفة

اضطراب عروق النطفة ◊ عن عبد اللّه بن بریدة: أن رجلا من الأنصار ولدت له امرأته غلاما أسود، فأخذ بید امرأته، فأتی بها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، فقالت: و الذی بعثک بالحق، لقد تزوّجنی بکرا و ما أفعدت مقعده أحدا، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «صدقت! ... إذا کان حین الولد، اضطربت العروق کلها، لیس منها عرق إلا یسأل اللّه أن یجعل الشّبه له» [أخرجه الحکیم الترمذی ح ۲۲]. ◊ عن ابن عباس مرفوعا: «النطفة التی یخلق منها الولد ترعد لها ... العروق کلّها إذا خرجت وقعت فی الرحم» [أخرجه الدیلمی ح ۲۳]. هذه المرحلة تبدأ زمنیا قبل مرحلة «اختلاط عروق النطفة» و تنتهی عندها، و لکن وضعناها بعدها لکی تتضح الأمور للقارئ، و لأن مبحث «اضطراب عروق النطفة» مرتبط بمبحث «اختلاط عروق النطفة». إن الحدیث الذی رواه عبد اللّه بن بریدة رضی اللّه عنه جاء فی توضیح ما حصل لامرأة ولدت غلاما أسود لا یشبه أحدا من أبویه، فشکّ زوجها فی عفّتها و لکن برّأها الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم من شکّ زوجها. العرق فی الحدیث هنا و فی سائر الأحادیث الشریفة التی ذکرناها فی هذا الکتاب یعنی الصبغیات فی المصطلح العلمی «۱». یکشف لنا الحدیث الشریف الذی رواه عبد اللّه بن بریدة النقاب عن حادثة «اضطراب». هذا الاضطراب یحصل للعروق کلها و ذلک «إذا کان حین الولد» [أخرجه الدیلمی ح ۲۳] أی إذا حان وقت خلق الجنین. نقطة الصفر فی ولادة الجنین تحصل عند دخول الحیوان المنوی البویضة أی عند مشج و اختلاط النطفتین و ذلک لأن أجزاءه المتفرقة تتوحد تحت جسم واحد. و ما روی عن ابن عباس: «النطفة التی یخلق منها الولد ترعد لها ... العروق»

(_____ ۱) لمزید من التفاصیل الرجاء إلقاء النظر علی مبحث «اختلاط عروق النطفة» و مبحث «معجزة الرؤیة الإسلامیة فی علم الوراثة». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۵۶ [أخرجه الدیلمی ح ۲۳] یوافق هذ المعنی؛ فالنطفة التی یخلق منها الولد تشیر إلی البویضة المخصبة و ذلک لأن النطف التی لم تخصّب لا تؤدی إلی تخلّق الولد. لکل من النطفتین - النطفة الذکریة و النطفة الأنثویة - عروق أی صبغیات «۱». هذه العروق تضطرب أی تتحرک لحظة دخول الحیوان المنوی البویضة. جاء فی لسان العرب «۲»: «و تضرّب الشیء و اضطرب: تحرک و ماج، و الاضطراب: تضرّب». و جاء أیضا «۳»: «رعد ... و الارتعاد الاضطراب، و فی حدیث زید بن أسود: فجیء بهما ترعد فرائصهما أی: ترجف و تضطرب من الخوف» [أخرجه الترمذی ح ۲۴] .. کل من العروق - عروق الحیوان المنوی و عروق البویضة - ترتجف وفقا لما جاء «اضطربت العروق کلها» [أخرجه الحکیم الترمذی ح ۲۲] و «ترعد لها ... العروق کلها» [أخرجه الدیلمی ح ۲۳]. و نود الإشارة هنا إلی أن عملیة الاضطراب و الارتجاف هی عملیة ذات طابع ارتدادی، أی أن أعضاء هذه العملیة تتحرک و من ثم تعود أدراجها. و بالتالی فإن عملیة الاضطراب لیست مجرد عملیة تحرک، کما أن أعضاء عملیة الارتجاف تتحرک تحرکا محدودا فهی تموج و تتحرک قلیلا فی مکانها و لا تتحرک کثیرا کالانتقال من مکان إلی آخر. کیف تتم عملیة الاضطراب؟. بعد أن یدخل الحیوان المنوی البویضة تنقسم العروق الموجودة داخل نواة البویضة إلی جزءین محدثة (الانقسام المیوزی الثانی NOISIVID CITOIEM «۴» (DNOCES، حیث یتزوی قسم من العروق فی أحد جوانب البویضة بینما یواجه القسم الثانی عروق الحیوان المنوی التی دخلت البویضة. و من ثمّ تمتد عروق نواة البویضة داخل النواة من خلال عملیة تسمی: عملیة (تخفف التکثف (NOITASNEDNOCED

(_____ ۱) «اختلاط عروق النطفة». (۲) لسان العرب لابن منظور - مادة «ضرب» - (ج ۸/ ص ۳۵). (۳) لسان العرب لابن منظور - مادة «رعد» - (ج ۵/ ص ۲۴۲). (۴) کتاب الإنسان النامی مع زیادات إسلامیة، د. کیث مور، ص ۳۲. (۵) کتاب الإنسان النامی، د. کیث مور ود. بارسو، ص ۳۷. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۵۷ إلی ذلک، فإن رأس الحیوان المنوی الذی یحتوی هو أیضا علی صبغیات (أی عروق) بشکل متراص و متراکم یتضخم رأسه و تتسع و تمتد عروقه بداخله «۱». یعقب ذلک تضاعف صبغیات کل من النواتین «۲». و تقارب النواتان. و عند التقاء النواتین یتفککّ غشاؤهما النووی کما رأینا فی مبحث «اختلاط عروق النطفة» و تنصهر النواتان. یعقب ذلک تکثّف صبغیات کل من النواتین «۳». خلال عملیة التکثف تغلظ الصبغیات و یقصر طولها «۴». إن عملیة امتداد العروق و انقباضها علی نفسها ما هی إلا عملیة تموّج أی عملیة تحرّک ارتدادی تماما کما تعنیه کلمة «اضطراب». إلی ذلک فإن تحرک العروق فی عملیة الامتداد و الانقباض محدودة جدا؛ فالامتداد و الانقباض له مقدار لا تستطیع العروق أن تزید علیه فی الامتداد و لا أن تنقص منه فی الانقباض. و هکذا ترتجف العروق لتحقق معنی الاضطراب و الارتعاد الذی ورد فی الأحادیث الشریفة. و من الجدیر بالذکر هنا أن عملیة الاضطراب تأتی زمنیا بعد عملیة التخلق (أی بعد عملیة التخصیب) و قبل (أو عند) عملیة تقدیر شبه الجنین، و ذلک لأن العروق تستعد لعملیة التقدیر بسؤال اللّه عزّ و جلّ أن یجعل الشبه لها. الاستعداد لعملیة التقدیر یکون بامتداد العروق - و اللّه أعلم - (و ذلک لیتاح لها أن تضاعف صبغیاتها فتکون مؤهلة لعملیة التقدیر)، و بانقباض العروق علی نفسها [(و ذلک لکی یتاح لمادة (الدی أن آی ۵» (AND، التی یبلغ طولها حوالی مترین أن تعیا داخل نواة خلیة واحدة لا یزید قطرها عن ستة میکرون «۶» (و المیکرون هو واحد علی الألف من الملیمتر)].

(_____ ۱) کتاب الإنسان النامی مع زیادات إسلامیة، د. کیث مور، ص ۳۲/ کتاب ولد طفل، د. لارس هامبرغر، ص ۵۵. (۲) کتاب الإنسان النامی، د. کیث مور ود. بارسو، ص ۳۷. (۳) کتاب الإنسان النامی، د. کیث مور ود. بارسو، ص ۳۷. (۴) کتاب الآیات العجاب، د. حامد أحمد حامد، ص ۱۲ - ۱۳. (۵) والدنا هو الحمض النووی الریبسی منقوص الأکسجین. (۶) کتاب الآیات العجاب، د. حامد أحمد حامد، ص ۱۳. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۵۸ إن المتتبع و المستقرئ للنصوص القرآنیة و الحدیثیة یدرک مدی عظمة الإعجاز الإسلامی فی الإخبار عن الأمور العلمیة فی مجال «تخلّق الجنین». فالآیات الکریمة و الأحادیث الشریفة توضح لنا الصورة التی تکون علیها العروق و المسار الذی تتبعه، و هو علی النحو التالی: - کثافة الحیوان المنوی بالنسبة للبویضة - دخول الحیوان المنوی البویضة - تمدد الحیوان المنوی - اقتراب نواتی النطفتین - انصهار نواتی النطفتین - اختلاط العروق - إحضار الشبه. التکلم عن أشیاء موجودة داخل مکان مغلق و مظلم (أی داخل الرحم) یلفت النظر ... و التکلم عن أشیاء صغیرة جدا (أی عن البویضة و الحیوان المنوی) موجودة داخل ذلک المکان یسترعی الانتباه ... و التکلم عن عملیات لتلک الأشیاء الصغیرة (کاختلاط النطفتین) إعجاز إخباری مبین ... و التکلم عن أعضاء متخفیة داخل تلک الأجزاء الصغیرة (أی عن العروق) یزید من قوة الإعجاز ... و التکلم عن تحرک تلک الأعضاء الصغیرة المتخفیة أمر مدهش ...! و أما تحدید طبیعة التحرک لأعضاء تلک الأشیاء الصغیرة المتخفیة فهو أمر یبهر العقول ...! إلی ذلک فإن توقیت التحرک المحدود للأعضاء الصغیرة المتخفیة بدقة متناهیة أمر لا یصدقه عقل إلا إذا کان: ۱- وحیا ربانیا، ۲- أو کشوفا علمیة لمجمع علمی منعقد لسنین مستمرة، و مزود بتقنیات عالیة. و الاحتمال الثانی تکشّف فی عصرنا هذا، و الاحتمال الأول قد أشیر إلیه قبل ۱۴۰۰ سنة فی ظل من الأمیة مسیطر، فاعتبروا یا أولی الأبصار!!!. و انظر لهذا الغرض تعلیقنا فی الملحق المرفق فی آخر هذا الکتاب. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۵۹

انفلاق النطفة و الازدواجیة فی الترکیب

انفلاق النطفة و الازدواجیة فی الترکیب ◊ قال العلیم الحکیم: إِنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوی یُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَیِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَیِّتِ مِنَ الْحَیِّ ذلِکُمُ اللَّهُ فَأَنَّی تُؤْفَکُونَ [الأنعام: ۹۵]. ◊ قال اللّه سبحانه و تعالی: وَ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ خَلَقْنا زَوْجَیْنِ لَعَلَّکُمْ تَذَکَّرُونَ [الذاریات: ۴۹]. ◊ قال اللّه عزّ و جلّ: سُبْحانَ الَّذِی خَلَقَ الْأَزْواجَ کُلَّها مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ مِمَّا لا یَعْلَمُونَ [یس: ۳۶]. نود فی البدایة التعلیق علی الآیة: إِنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوی یُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَیِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَیِّتِ مِنَ الْحَیِّ ذلِکُمُ اللَّهُ فَأَنَّی تُؤْفَکُونَ [الأنعام: ۹۵]. ورد فی لسان العرب «۱»: «و الحبة من الشیء: القطعة منه». و جاء فی تفسیر ابن کثیر «۲»: «... و قد عبّروا عن هذا و هذا بعبارات کلها متقاربة مؤدیة للمعنی، فمن قائل یخرج الدجاجة من البیضة و عکسه ...». و جاء فی القرطبی «۳»: «یخرج البشر الحی من النطفة المیتة، و النطفة المیتة من البشر الحی ... و فی صحیح مسلم عن علیّ رضی اللّه عنه: و الذی فلق الحبة و برأ النسمة إنه لعهد النبی الأمّی صلّی اللّه علیه و سلّم ...» [أخرجه الترمذی ح ۲۵]. و جاء نفس الکلام فی مراجع عدیدة «۴».

(_____ ۱) لسان العرب لابن منظور - مادة «حبب» - (ج ۳/ ص ۱۰). القاموس المحیط - باب الباء/ فصل الحاء -. الصحاح للجواهری - باب الباء/ فصل الحاء -. (۲) تفسیر ابن کثیر، ج ۲/ ص ۱۵۸. (۳) تفسیر القرطبی، ج ۷/ ص ۴۴. (۴) الدر المنثور فی التفسیر بالمأثور للسیوطی - (ج ۳/ ص ۳۳). و نقل نفس الکلام فی فتح الباری - باب سورة آل عمران عن مجاهد - کتاب التفسیر - سورة آل عمران - (ج ۸/ ص ۲۰۹). و فی جامع البیان فی تفسیر القرآن للطبری - (ج ۷/ ص ۱۸۷) - عن السّدی و عن أبی مالک و عن ابن عباس. و فی الجامع لأحکام القرآن للقرطبی ورد عن ابن عباس - (ج ۷/ ص ۴۴). و فی تفسیر الألوسی - (ج ۷/ ص ۲۲۶، و ۱۱/ ۱۱۰، و ۲۱/ ۳۰). و فی تفسیر السمرقندی - (ج ۱/ ص ۴۶۹). و فی زاد المسیر لابن الجوزی - (ج ۳/ ص ۹۰). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۶۰ إذا أخذنا بمجموع التفاسیر

المذکورة السابقة أصبحت الآیة تعنی: إن اللّه فالق القطع الصغیرة من جسم الإنسان و نواتها (و هی الحبّ أی النطف) «۱» یخرج البشر الحی من النطفة المیتة، و مخرج النطفة المیتة من البشر الحی. هنا الدهشة تمتلک من یتدبر الآیات القرآنیة: إن الآیة: إِنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوی یُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَیِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَیِّتِ مِنَ الْحَیِّ ذلِکُمُ اللَّهُ فَأَنَّی تُؤْفَکُونَ [الأنعام: ۹۵] تعبر عن سمة کونیة عامة یمتاز بها عالم النبات و الحیوان و الإنسان، فالفلق سمة عامة لکلّ خلایاهم (الجنسیة أو الجسدیة) کما یشیر إلیه العلم الکونی، و کما تدل علیه صیاغة الآیة الکریمة، فاللفظ: إِنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوی جاء علی إطلاقه و لا یقید سمة الفلق لجنس من الأجناس. إن البویضة بعد تخصیبها من الحیوان المنوی تنفلق- أی تنقسم- إلی جزءین مصداقا لقول اللّه تعالی: إِنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ ...، هذا الانفلاق یحصل أیضا لنواة البویضة کما جاء فی الآیة الکریمة: إِنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوی. و التفصیل کالآتی: لقد رأینا فی مبحث «اضطراب عروق النطفة» أن صبغیات النطفة المخصبة تمتد و من ثمّ تتضاعف صبغیاتها و من ثمّ تنقبض علی نفسها. و یعقب ذلک أن تصطفّ العروق و هی مؤلّفة من زوج من الحبال تسمی: (کروماتید SDITAMORHC) بشکل منتظم عند خط استواء النطفة، و یتصل کل زوج من حبال الکروماتید بقسیمة مرکزیة تسمی: (سترومر EREMORTNEC). إلی ذلک یتألف القسم المرکزی للنطفة من زوج یسمی: (سترتیول SELOIRTNEC) یتباعدان بحیث یتجه کل سترتیول فی اتجاه أحد قطبی النطفة. و خلال اصطفاف العروق عند خط استواء النطفة تمتد خیوط شعاعیة من (قسیمات النطفة المرکزیة SELOIRTNEC) إلی کل (القسیمات المرکزیة للصبغیات SEREMORTNEC) و تؤلف ما یسمی بخیوط المغزل. و یعقب ذلک أن ینقسم کل (سترومر EREMORTNEC) إلی اثنین بحیث تنفصل الحبال الشقیقة (الکروماتید) إلی حبال مستقلة. و من ثمّ تتکمش خیوط المغزل نحو قطبی النطفة فتجذب الحبال المنفصلة (_____ ۱) للمزید من التعلیق علی أن کلمة الحب تشیر أیضا إلی النطف راجع مبحث «الحرث». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۶۱ معها بحیث یجتمع فی النهایة عند کل قطب من النطفة عدد متساو من الحبال، و بذلک تنفصل نواة النطفة إلی نواتین مستقلتین. و یعقب ذلک أن ینقسم (الهلام الخلوی للبویضة MSALPOTYC) إلی جزءین مستقلین «۱» یحتوی کل منها علی نواة، و بذلک تنفلق النطفة إلی خلیتین محدثة ما یسمی باللغة العلمیة: (الانفلاق القتیلی NOISIVID CITOTIM)، و یتحقق الانفلاق للنطفة علی وجه عام و لنواتها علی وجه خاص کما أشارت إلیه الآیة الکریمة: إِنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوی .... (انظر الصورة رقم: ۴۰). إلی ذلک فإن عملیة الانفلاق التی تحدّثنا عنها و التی تحدث للنطفة و لنواتها هی التی سوف تؤدی إلی خلق شیء حی، کما جاء فی الآیة الکریمة: یُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَیِّتِ، و هذا المعنی یؤیده تفسیر ابن کثیر و القرطبی (یخرج البشر الحی من النطفة المیتة) کما ذکرناه فی بدایة هذا البحث. فلو لا هذه العملیة لما نشأ فیما بعد (کما سنراه فی مبحث «جمع خلایا الجنین») کتلة الخلایا التی ستؤلف الجنین. و بذلک فإن الوحی السماوی قد سبق العالمین (بریفوست و دوماس ۱۸۲۴) (SAMUD DNA TSOVERP م) إلی وصف ظاهرة (انشقاق البویضة EGAVAELC)، و العالم (و ولف ۱۷۵۹) (FFLOW م) إلی أن الکرویات تنفلق لتؤلف طبقات من الخلایا یتخلق منها الجنین، و العالم (فون بندن ۱۸۸۳) (NEDENEB NOV م) الذی وصف ظاهرة الانقسام الاختزالی (أی انقسام نواة البویضة). و تعلیقا علی الآیتین: وَ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ خَلَقْنا زَوْجَیْنِ لَعَلَّکُمْ تَذَکَّرُونَ [الذاریات: ۴۹] و سُبْحانَ الَّذِی خَلَقَ الْأَزْواجَ کُلَّها مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ مِمَّا لا یَعْلَمُونَ [یس: ۳۶] نورد ما یلی: إذا تأملنا تطور النطفة یمکننا تسجیل هذه النقاط: * إن نطفة الرجل- و خلال هجرتها من الجهة الظاهرة من الخصیة إلی الجهة الباطنة- تنفلق إلی جزءین، و کل جزء من هذین الجزءین ینفلق إلی جزءین آخرین. * إن خلایا نطفة المرأة قبیل تلقیحها من قبل الحیوان المنوی، تنقسم إلی جزءین بعد أن تسقط من المبیض داخل قناة فالوب. و الحاصل أن نصف خلایا النطفة تتزوی فی جسم صغیر معلّق بالنطفة یسمی: (الجسم القطبی YDOB RALOP)، و یبقی النصف الثانی فی النطفة. (انظر الصورة رقم: ۴۱ (_____). ۱) کتاب علم الأجنّة الطبی، سادلر، ص ۸۵. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۶۲ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۶۳ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۶۴ * بعد أن ینصهر النصف الثانی من نواة نطفة المرأة مع رأس الحیوان المنوی، یبدأ انفلاق (نطفة الأمشاج ETOGYZ)؛ فالنطفة الحاصلة تنفلق إلی جزءین، و هذان الجزآن ینقسم کل واحد منهما إلی جزءین آخرین، و یتم هذا الانفلاق فی کل من الأجزاء اللاحقة، فتسمی النطفة عند ما تصبح مکونة من ثمانیة خلایا باللغة العلمیة (بالتوتة ALUROM) و من ثمّ (بالکرة الجرثومیة TYCOTSALB). (انظر الصورتین رقم: ۴۳- ۴۴) (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۶۵ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۶۶ * عند ما تدخل نطفة الأمشاج فی الرحم، تنقسم الخلایا الناتجة من الانفلاق إلی جزءین: أحدهما سوف یؤدی إلی تخلّق الجنین (و یسمی کتلة الخلایا الداخلیة)، و الثانی سوف یؤدی إلی تخلّق (المشیمة ATNECALP) (و یسمی کتلة الخلایا الخارجیة). (انظر الصورة رقم: ۴۵). (SC) فالنقاط الخمس التی ذکرناها أعلاه تؤکد إخبار اللّه- سبحانه و تعالی- قبل أربعة عشر قرنا بأنه یفلق النواة إلی جزءین. و هذا التصریح تؤکده الآیة الکریمة الثانیة: وَ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ خَلَقْنا زَوْجَیْنِ لَعَلَّکُمْ تَذَکَّرُونَ [الذاریات: ۴۹]. علی أن الآیة الأخیرة عامة فی معناها أکثر و تشمل و تظهر حقائق أکثر؛ فکل شیء مکوّن من زوجین سواء انفلق أم لم ینفلق: * فالإنسان مؤلّف من رجل و امرأة. * و النطفة من نطفة ذکریة (حیوان منوی) و نطفة أنثویة (بویضة). * و نطفة الرجل تنقسم إلی جزءین، و نطفة المرأة تنقسم إلی جزءین و نطفة الأمشاج تنقسم إلی جزءین و کل جزء منها ینقسم إلی جزءین، و مجموعة السلالات التی تؤلف النطفة بعد أن تقع فی رحم المرأة تنقسم إلی جزءین. * و نواة الخلیة العادیة سواء عند المرأة أو عند الرجل مؤلفة من ثلاثة و عشرین زوجا من الکروموزومات (أی الصبغیات: و هی التی تحدد فیما بعد شکل الإنسان) و کل اثنتین من هذه الصبغیات متعلقة بعضها ببعض. (انظر الصورة رقم: ۴۶). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۶۷ (SC) یحتوی الصبغ علی حلزون (الحمض النووی الرئیسی D N A. هذا الحلزون مزدوج الترکیب أی أنه مؤلف من سلسلتین من الحبیبات. (انظر الصورة رقم: ۴۷). (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۶۸ * و کل من السلسلتین مصنوع من مجموعة من الجزئیات، و کل مجموعة من السلسلة الأولی تتحد مع مجموعة أخری من السلسلة الثانیة علی شکل زوج: سُبْحانَ الَّذِی خَلَقَ الْأَزْواجَ کُلَّها مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ مِمَّا لا یَعْلَمُونَ [یس: ۳۶]. لاحظوا التعبیر الدقیق: الْأَزْواجَ و وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ: لقد جاء هذان التعبیران للدلالة علی أن الأزواج موجودة فی جسم الإنسان، و أضاف علیها: وَ مِمَّا لا یَعْلَمُونَ للتلمیح إلی أن الکثیر من الأزواج لم تکتشف بعد: ذلک أن المعاصرین للرسول- علیه الصلاة و السلام- لم یکتشفوا تلک الأزواج التی توصّل إلیها العلم الآن، و لا ندری ما ذا سیکتشف العلم مستقبلا. ناهیک عن أن الآیتین: وَ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ ... و سُبْحانَ الَّذِی خَلَقَ الْأَزْواجَ ... لم تحصرا الأزواج فی الإنسان فقط، و هذا ما یرهنه العلم أیضا فالحیوان من زوجین، و النبات و (نطفها NELLOP) أزواج ... إلخ. * کما أن هذه السلاسل تتکون من أربع قواعد نیتروجینیة و هی: (آدنین، غوانین، سایتوزین، و ثایمین، ENIMYHT, ENISOTYC, ENINAUG, ENINEDA)، و هذه القواعد جاءت أزواجا. فالآدنین دائما یتزاوج مع الثامین، و الغوانین دائما یتزاوج مع السایتوزین. و لا یمکن أبدا أن یتزاوج الآدنین مع الغوانین، و لا الغوانین مع الثامین، و لا السایتوزین مع الآدنین، و لا الثامین مع السایتوزین. * کما أن کل واحد من هذه القواعد الأربعة یتصل بأحد (السکریات الناقصة الأوکسیجین- ESOBIR YXOED)، و هذا السکر یتصل بجزئی من الفوسفات لیکون أیضا زوجا، لا یبتعد عنه، و لا ینفصل منه «۱». و الرسم (صورة رقم: ۴۸) علی الیسار یوضح هذا الکلام. ((SC ۱) _____) کتاب الإعجاز العلمی فی القرآن: المعجزة القرآنیة، د. محمد حسن هیتو، ص ۲۶۹- ۲۷۰، بتصرف. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۶۹

وقوع النطفة فی الرّحم

وقوع النطفة فی الرّحم * قال- صلی اللّه علیه و علی آله و سلم-: «إذا وقعت النطفة فی الرحم بعث اللّه ملکا ...» [رواه الطبری ح ۳۲]. هذا الحدیث یخبرنا بأن النطفة تقع فی الرحم، و قد یعتقد البعض أن الإشارة الظاهرة من قبل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم لا تحتوی إعجازا إخباریا و لکنه اعتقاد مجانب للصواب، فوقوع النطفة فی الرحم کما جاء فی الحدیث الشریف «إذا وقعت النطفة فی الرحم ...» [رواه الطبری ح ۳۲] یدل علی إعجاز علمی لأن وقوع النطفة- یحصل خلال دقائق معدودة- أو ثوان معدودة علی وجه أصح- و حجم الکرة الجرثومیة (أو نطفة الأمشاج) لا یبلغ حینها أکثر من ۰/۷ ملم. (انظر الصورة رقم: ۴۹). إن وقوع النطفة فی الرحم ظاهرة یصعب التنبؤ بها إلا إذا وجد شخص یترقّب الأحداث داخل الرحم بواسطة مجاهر إلکترونیة. أیضا قد یظنّ عالم الأجنة أن النطفة تتدحرج بدلا من أن تقع فی الرحم، أو أنّ الرحم یقزفها (أی أن بطانة الرحم تلفظها بعد أن کانت موجودة کاملة فی داخلها) حیث تبقی علی سطحه و تتخلّق بدلا من أن تهاجر من مکان آخر إلی الرحم، لذلک کان حدیث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم بمثابة إعجاز إخباری. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۷۰ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۷۱

القرار المکین

اشارة

القرار المکین * قال اللّه تعالی: ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِی قَرارٍ مَکِینٍ [المؤمنون: ۱۳]. لقد رأینا فی النص السابق أن النطفة تقع فی الرحم، تری ما صفة هذا الرحم؟ و کیف سیستقبلها؟ إن النص التالی سوف یجیب علی هذه الأسئلة. هذه الآیة تتضمن وصفا لعلاقتین: علاقة الرحم بالجنین و علاقة الرحم بجسم الأم.

أ- بالنسبة لعلاقة الرحم بالجنین:

أ- بالنسبة لعلاقة الرحم بالجنین: فقد قال اللّه سبحانه و تعالی: ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِی قَرارٍ و لم یقل ثم جعلناه فی مکان، لما ذا؟ لأن کلمة قرار لا تشیر إلی مجرد مکان فحسب و لکن تشیر إلی أکثر من ذلک: فهی تعنی أن الرحم بمثابة مکان آمن لاستقرار الجنین «۱» و راحته، فهو بمثابة مکان سکن للنطفة، جاء فی لسان العرب «۲»: «قرر: و القرار و القرارة من الأرض: المطمئن المستقر. و لیس مطمئنا فحسب، و لکن فی غایة الاطمئنان، جاء فی تفسیر الألوسی «۳»: «فی قَرارٍ أی مستقر و هو فی الأصل مصدر من قرّ یقرّ قرارا بمعنی ثبت ثبوتا، و أطلق علی ذلک مبالغة». و مکین فی اللغة العربیة بمعنی ثابت، راسخ فی مکانه. جاء فی لسان العرب: «مکن ... المکنة إنما

هی بمعنی التّمکن مثل الطّلبة بمعنی التّطلّب و التّبعة بمعنی التّتبع. یقال: إنّ فلانا لذو مکنة من السلطان، فسمی موضع الطیر مکنة لتمکّنه فیه؛ و تمکّن کمکن ...» «۴»

(۱) جاء فی القاموس المحیط لمجد الدین محمد- مادة «قرر»- ص ۵۹۲: «و بالمکان یقرّ، بالکسر و الفتح، قرارا و قرورا و قرا و تقرّة: ثبت، و سکن، کاستقرّ و تقارّ ... و القرار و القرارة: ما قرّ فیه، و المطمئنّ من الأرض». (۲) لسان العرب لابن منظور- مادة «قرر»- (ج ۱۱/ ص ۱۰۰). (۳) تفسیر الألوسی- (ج ۱۸/ ص ۱۳). (۴) لسان العرب لابن منظور- مادة «مکن»- (ج ۱۳/ ص ۱۶۳). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۷۲ و الدلیل من القرآن أن کلمة مکین معناها: ثابت، متمکن بقوة هو معنی الآیة فَلَمّا کَلَّمَهُ قالَ إِنَّکَ الْیَوْمَ لَدَیْنا مَکِینٌ أَمِینٌ [یوسف: ۵۴] و مکین علی وزن فعیل، و هذه الصیغة للمبالغة کخلیق من خلق، جاء فی تهذیب اللغة: «و قال اللیث: و امرأة خلیقة ذات جسم و خلق ... و قال غیره یقال: رجل خلیق إذا تم خلقه» «۱». و من الکلام السابق نفهم أن مکین فی هذا المقام یعنی: فی غایة التمکّن، و الرساخة و الثبوت. و الثبوت هو للنطفة فی الرّحم. جاء فی تفسیر الألوسی «۲»: «مَکِینٌ أی متمکن مع أن التمکن وصف ذی المکان و هو النطفة هنا علی سبیل المجاز کما یقال طریق سائر» «۳». و هذا یعنی أن النطفة متمکنة و ثابتة بقوة فی الرحم. کما نعلم جمیعا أنّ من طبیعة الجسم أن یطرد أیّ جسم خارجی، و لکن ما یحصل هو أن الرحم یتهیّأ لاستقبال النطفة من جراء الهورمونات التی یفرزها المبیض. کما أن النطفة تحوی موادّ توثر علی جهاز المناعة عند المرأة فتضعفه، و بذلک یصبح الرحم بمثابة قرار لها «۴». (انظر الصورة رقم: ۵۰). إلی ذلک فإن من وظائف الرحم أن یمکّن الجنین من مواصلة نموّه، فالرحم یستطیع أن یکبر آلاف المرات (من ۲- ۳ سم ۳ إلی ۵۰۰۰ سم ۳ أی بازدیاد مقداره حوالی ۲۵۰۰ ضعف) و هو بذلک یتکیف مع حجم الجنین فی مختلف مراحله، و نتیجة هرمون البروجسترون «۵» تکون تقلّصاته متئدة وقورة بحیث لا تؤذی الجنین. (انظر الصورة رقم: ۵۱). و أیّ مکـــــــــان أکـــــــــثر ســـــــــکونا مـــــــــن هـــــــــذا المکـــــــــان؟.

(_____ ۱) تهذیب اللغة- (ج ۷/ ص ۱۶).

(۲) تفسیر الألوسی- (ج ۱۸/ ص ۱۳). (۳) و جاء فی الکشاف للزمخشری- (ج ۳/ ص ۴۴): «القرار: المستقرّ، و المراد الرحم. وصفت بالمکانة التی هی صفة المستقرّ فیها، کقولک: طریق سائر». (۴) کتاب ولد طفل، د. لارس هامبرغر، ص ۶۴، بتصرف. (۵) و هو هرمون یفرزه المبیض إلی الأسبوع السابع من الحمل و من ثم یفرزه الغشاء المشیمی (المؤتمر الطبی الإسلامی الدولی، الإعجاز الطبی فی القرآن، ۲۵/ ۹/ ۱۹۸۵ م: د. جولی سمبسمون). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۷۳ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۷۴ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۷۵

ب- و أما بالنسبة لعلاقة الرحم بجسم المرأة:

ب- و أما بالنسبة لعلاقة الرحم بجسم المرأة: فالآیة تفید بأن النطفة- أی نطفة الأمشاج التی انقسمت إلی عدة خلایا و التی تسمّی باللغة العلمیة: (الکرة الجرثومیة TSYCOTSALB)- تستقر فی مکان راسخ. جاء فی تفسیر السمرقندی «۱» عند قوله تعالی: ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِی قَرارٍ مَکِینٍ [المؤمنون: ۱۳]: «یعنی فی مکان حریز حصین» و فی تفسیر أبی السعود «۲»: «فی قَرارٍ أی مستقر و هو الرحم». و جاء أیضا فی تفسیر الألوسی «۳»: «و جوّز أن یقال: إن الرحم نفسها متمکنة، و معنی تمکنها أنها لا تنفصل لثقل حملها أولا تمیّ ما فیها». فهو کنایة عن جعل النطفة محرزة مصونة و هو وجه وجیه. إذا تأملنا الصورة التشریحیة لهذه المنطقة یتبین لنا مدی صدق هذه الحقیقة من خلال ملحوظات عدة: ۱- یمکن اعتبار الرحم من الوجهة الفراغیة فی منتصف الجسم تماما طولا و عرضا و عمقا. و هکذا یصعب الوصول إلیه و یعتبر محمیا بما فیه الکفایة. (انظر الصورة رقم: ۵۲). ۲- یحیط بالرحم تصفیح عظمی من جمیع الجهات. و تجدر الإشارة هنا إلی أن حوض المرأة أوسع و أقصر من حوض الرجل، و بذلک یکون له دور أکمل فی الدفاع عن الجنین. (انظر الصورة رقم: ۵۳). ۳- یثبت الرحم کثیر من الأربطة و العضلات و هی علی نوعین: أربطة کاذبة، و أربطة حقیقیة. و الأربطة الکاذبة سمیت کذلک لأنها مکوّنة من انعطافات بروتینیة، و لیس لها صفاقات و لا عضلات، غیر أنها تساهم مساهمة فعّالة فی حفظ الرحم فی محله، و هذه الأربطة هی (انظر الصورة رقم: ۵۴): ٭ الرباط الرحمی العریض: المکوّن من انعطاف بریتونی بالحوض، و یتصل بجسم الرحم من الأمام و الجزء الأکبر من السطح الخلفی للرحم. ٭ الرباط المبیضی الرحمی: الذی یربط بین المبیض و الرحم و یثبّت کلّا منهمـــا بالآخـــر. ٭ الربـــاط الرحمی المثـــانی: الـــذی یثبـــت الرحـــم بالمثانـــة مـــن الأمـــام.

(_____ ۱) تفسیر السمرقندی- (ج ۲/ ص ۴۹۶). (۲) تفسیر أبی السعود- (ج ۶/ ص ۱۲۶). (۳) تفسیر الألوسی- (ج ۸/ ص ۱۳). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۷۶ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۷۷ (SC) ٭ الرباط الرحمی المستقیمی: الذی یثبت الرحم من الخلف بالمستقیم. و الأربطة الحقیقیة مکوّنة من صفاقات و عضلات، و هذه الأربطة هی: ٭ الرباط الرحمی المیروم: الذی یتصل من جهة بقرن الرحم من کل جانب، و من جهة ثانیة بحبل الزهرة الواقع علی عظم العانة، و یثبت الرحم من الجهة الأمامیة «۱». ٭ الرباط الرحمی العجزی: الذی یثبت الرحم بعظام العجز من الخلف. ٭ الرباط الحامل للمبیض و الرباط المبیضی: اللذان یثبتان الرحم من جانبیه الأیمن و الأیسر.

(_____ ۱) کتاب خلق الإنسان بین الطب و القرآن، د. محمد علی البار، ص ۶۵- ۶۶ بتصرف. و کتاب الآیات العجاب فی رحلة الإنجاب، د. حامد أحمد حامد، ص ۱۱۰. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۷۸ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۷۹ ٭ الرباط العانی الرحمی المثانی: الذی یثبت الرحم و المثانة و عظم العانة من الأمام. ٭ الرباط الوحشی لعنق الرحم: الذی یثبت الرحم من جانبیه الأیمن و الأیسر. ۴- إن هناک توازنا ثابتا بین الضغوطات المتولدة نتیجة عضلات الحجاب الحاجز و عضلات جدار البطن التی تدفع بالرحم إلی الأسفل و بین تقلّص عضلات العجّان التی تدفع بالرحم إلی الأعلی. ۵- إن الرحم هو عضو عضلی أجوف ذو جدار ثخین و متین، سمکه ستیمتران و نصف، مکوّن من ثلاث طبقات، أولها من الخارج: (الطبقة البروتینیة MUIRTEMIREP) التی تغطی الرحم، و ثانیها: (الطبقة العضلیة MUIRTEMOYM)، و ثالثها: (الطبقة المخاطیة MUIRTEMODNE) و هی الغشاء المبطن للرحم. (انظر الصورة رقم: ۵۵). (SC) و هکذا نفهم أبعاد کلمة «قرار مکین» التی تشیر إلی کثیر من الصفات الغیبیة الدقیقة للرحم و للنطفة علی وجه سواء. و یتبیّن لنا الإعجاز العلمی الکامن وراء استعمال هذه الکلمة. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۸۰

ازدیاد الأرحام و غیضها

اشارة

ازدیاد الأرحام و غیضها ٭ قال العلیم الحکیم: اللَّهُ یَعْلَمُ ما تَحْمِلُ کُلُّ أُنْثی وَ ما تَغِیضُ الْأَرْحامُ وَ ما تَزْدادُ وَ کُلُّ شَیْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ [الرعد: ۸]. ٭ قال صلی اللّه علیه و علی آله و سلم: «إذا کان دم الحیض فإنه أسود یعرف، فإذا کان ذلک فأمسکی عن الصلاة» [أخرجه أبو داود ح ۲۶۶]. ٭ قال صلی اللّه علیه و علی آله و سلم: «لیس ذلک بالحیض إنما هو عرق، لتقعد أیام أقرائها، ثم لتغتسل، ثم لتستثفر بثوب، و لتصلّ» [أخرجه أحمد ح ۲۷]. ٭ قال اللّه سبحانه و تعالی: وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْمَحِیضِ قُلْ هُوَ أَذیً فَاعْتَزِلُوا النِّساءَ فِی الْمَحِیضِ وَ لا تَقْرَبُوهُنَّ حَتّی یَطْهُرْنَ فَإِذا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَیْثُ أَمَرَکُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ یُحِبُّ التَّوّابِینَ وَ یُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِینَ [البقرة: ۲۲۲]. ٭ قال صلّی اللّه علیه و سلّم: «مری فاطمة بنت أبی حبیش فلتمسک کل شهر عدد أیام أقرائها ثم تغتسل و تحتشی و تستثفر و تتّقی ثم تطهّر عند کل صلاة و تصلی، فإنما ذلک رکضة من الشیطان، أو عرق انقطع، أو داء عرض لها» [أخرجه أحمد ح ۳۱]. الکلمتان الأساسیتان فی الآیة: اللَّهُ یَعْلَمُ ما تَحْمِلُ کُلُّ أُنْثی وَ ما تَغِیضُ الْأَرْحامُ وَ ما تَزْدادُ وَ کُلُّ شَیْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ هی: «تغیض» و «تزداد». لیس من الصعب فهم کلمة «تزداد»، فهی الزیادة فی الحجم أو الوزن أو ما شابه ذلک. أما بالنسبة لکلمة «تغیض» فنورد ما جاء فی لسان العرب «۱»: «غیض: غاض الماء یغیض غیضا و مغیضا و مغاضا، و انغاض: نقص أو غار فذهب. و فی التّنزیل: قلّ فنضب. و فی حدیث سطیح: و غاضت بحیرة ساوة أی غار ماؤها و ذهب. و فی حدیث خزیمة فی ذکر السنة: و غاضت لها الذّرة أی نقص اللّبن. و فی حدیث عائشة تصف أباها، رضی اللّه عنهما: و غاض نبع الرّدة أی أذهب ما نبع منها و ظهر ...». و جاء فی المعجم الوسیط «۲»: «غـاض المـاء غیضـا و مغاضـا: قـلّ و نقص. أو غـار فـذهب. أو قـل و نضـب. أو نزل فی الأرض و غـاب فیهـا».

(_____ ۱) لسان العرب لابن منظور- مادة «غیض»- (ج ۱۰/ ص ۱۵۷). (۲) المعجم الوسیط- (ج ۱/ ص ۶۶۸). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۸۱ و جاء فی مفردات ألفاظ القرآن «۱»: «و الغیضة المکان الذی یقف فیه الماء فیتلعه». و جاء فی معجم البلدان «۲»: «الغیض: بالفتح و السّکون، یقال: غاض الماء یغیض غیضا، إذا نقص و غار فی أرض أو غیرها». إذا فعل «غاض» قد یعنی: - نقص من. - دخل فی (أی غار فی). جاء فی تفسیر القرطبی بخصوص هذه الآیة «۳»: «الغیض: ما تنقصه الأرحام من الدم و الزیادة ما تزداد منه. و قیل: الغیض و الزیادة یرجعان إلی الولد». و من الجدیر هنا أن ننوّه إلی أن الزیادة و النقصان لا یقتصران علی الدم فقط لأن لفظ الآیة وَ ما تَغِیضُ الْأَرْحامُ وَ ما تَزْدادُ [الرعد: ۸] جاء علی إطلاقه و بالتالی فقد یشمل أشیاء أخری فی الرّحم مثل: ازدیاد حجم و أعداد الغدد الرّحمیة و نقصانها أو ما شابه ذلک. فإذا کان الغیض یشیر إلی ما یحدث للأرحام نفسها انطبق علیها المعنی الأول «نقص من» و أصبحت الآیة تعنی: اللّه یعلم ما تحمل کل أنثی و ما تنقص الأرحام من دم و ما تزداد منه. و إذا کان الغیض یشیر إلی ما یحدث للحمل انطبق علیها المعنی الثانی «دخل فی» (أو غار فی)، و أصبحت الآیة تعنی: اللّه یعلم ما تحمل کل أنثی و ما یغور فی الأرحام من حمل و ما یزداد منه. و فی هذا النص سوف نتحدث عن المعنی الأول، أما المعنی الثانی فسنتناوله فی مبحث «غیض النطفة فی الرحم». تحدثنا فی المبحث السابق- مبحث «القرار المکین»- أن الرحم یتهیأ لاستقبال النطفة، و لکننا لم نحدد کیف تستقر فیه، و ما هی العملیات التی تحصل للرحم فتخـــوّله أن یحتویهـــا بـــدلا مـــن أن یطردهـــا کمـــا هـــو الحـــال مـــع أیّ جســـم خـــارجی.

(_____ ۱) مفردات ألفاظ القرآن- ص ۶۱۹.

(۲) معجم البلدان للحموی باب الغین و الیاء و ما یلیهما- (ج ۴/ ص ۲۲۱). (۳) تفسیر القرطبی- (ج ۹/ ص ۲۸۹). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۸۲ و بعد: فإن دورة الرحم تتکوّن من ثلاث مراحل أساسیة: و هی مرحلة النمو، و مرحلة الإفراز، و مرحلة الغیض. تولف مرحلتا النمو و الإفراز مرحلة الازدیاد، و فیها ینتهیأ الرحم لاستقبال النطفة.

أ- (مرحلة النمو ESAHP EVITAREFILORP):

أ- (مرحلة النمو ESAHP EVITAREFILORP): تبدأ (الدورة الحيضية ELCYC LAURTSNEM) عند ما تصنّع (خلايا عصبية مفرزة SLLEC YROTERCESORUEN) (الهرمون المطلق للجونادوتروبين -ENOMROH GNISAELER NIPORTODANOG) في (الهيبوتالاموس SUMALATOHPYH) (أي ما تحت المهاد، و هو جزء من المخ)، و هذا بدوره ينبه (الغدة النخامية DNALG YRATIUTIP) (التي تقع عند قاعدة المخ) لتفرز (الهرمون المحفز للحويصلات المبيضية H. S. F: ENOMROH GNITALUMITS ELCILLOF) الذي يحفّز نمو الحويصلات البويضية في المبيض، بالإضافة إلى إنتاج هورمون الإستروجين من المبيض، و ينتقل الإستروجين في الدم حتى يصل إلى الرحم و يسبّب زيادة في حجم بطانة الرحم. فينمو غشاء الرحم من نصف مليمتر إلى خمسة مليمترات و تنمو الأوعية الدموية نموا كبيرا حتى تصير لولبية الشكل من فرط طولها و يزداد عدد الغدد الرحمية و تصبح على شكل أنابيب طويلة. (انظر الصورة رقم: ۵۶).

ب- (مرحلة الإفراز ESAHP YROTERCES):

ب- (مرحلة الإفراز ESAHP YROTERCES): و مستويات الإستروجين المتزايدة تجعل الغدة النخامية تنتج سيلا من (هورمون اللوتنة H. L: ENOMROH GNIZINIETUL)، و ارتفاع مستويات هورمون اللوتنة تسبّب انطلاق بويضة ناضجة من إحدى الحويصلات المبيضية الموجودة في المبيض، و الحويصلة التي صارت فارغة الآن تنتج المزيد من الإستروجين، بالإضافة إلى البروجسترون، و كلاهما يعمل على بناء بطانة الرحم كاستعداد لاستقبال البويضة المخصبة فيما بعد. فينمو الغشاء المبطن للرحم من خمسة مليمترات إلى ثمانية مليمترات، و تكثر الغدد الرحمية كثرة بالغة، و يمتلئ تجويفها بالإفرازات كما تنمو الشرايين المغذّية للرحم. (انظر الصورة رقم: ۵۶). و هكذا يتبين لنا إعجاز الآية في تصوير نموّ الرحم. فمرحلة الازدياد هي مرحلة نمو الرحم لأنه يزداد فيها الرحم حجما و تزداد أعداد الأوعية و الغدد و أحجامها خلال هذه الفترة. و التهيؤ لاستقبال النطفة يكون بازدياد ثخانة الرحم و بازدياد مخزونه من الجليكوجين و المخاطين الذي يوفر بدوره الغذاء للنطفة. إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، ص: ۱۸۳ كل هذا يكون قبل الحمل، فإذا حملت المرأة ازداد الرحم نموا، و اندرج ذلك تحت مرحلة الازدياد مرة أخرى.

ج- (مرحلة الفيض NWODKAERB LAIRTEMODNE FO ESAHP):

ج- (مرحلة الفيض NWODKAERB LAIRTEMODNE FO ESAHP): و إذا لم يحدث إخصاب للبويضة، فحمل، فإن الحويصلة الفارغة تتوقف عن صنع الإستروجين و البروجسترون. و عند ما تنخفض مستويات هذه الهرمونات جدا إلى الحد الذي لا تتمكن عنده من المحافظة على بطانة الرحم المتخّثة فإن الحيض يحدث و تبدأ مرحلة الفيض. و الحيض هو دم يسيل من رحم المرأة بعد بلوغها في أوقات معتادة. فالحاصل أن أوعية بطانة الرحم تنقبض، فيقل جريان الدم، و تتسع الشرايين من جراء ذلك، و من ثم (تنقبض الشرايين و تتسع بشكل متكرر NOITATALID DNA NOITCIRTSNOCOSAV CIMHTYR)، و يزداد ضيق الشرايين، فينقص دوران الدم و (ينحسر عن الرحم SISATS DNA AIMEHCSI LAIRTEMODNE)، و (تموت الأنسجة في بطانة الرحم SEUSSIT LAICIFREPUS EHT NI SISORCEN)، مما يعطي (للرّحم مظهرا مائلا- للبياض GNIHCNALB LAIRTEMODNE)، و تتشقق فيما بعد الشرايين، و ينفذ الدم في بطانة الرحم مؤلفة (جزرا معلقة EANUCAL SUONEV)، و يتفتّت و يسقط غشاء الرحم، و يسيل الدم منه «۱». و من جراء سيلان الدم ينقص وزن الرحم و يغيض. و هكذا يكون الحيض وسيلة لغيض الأرحام الذي تكلمت عنه الآية التي سبق ذكرها. فإذا حملت المرأة و أتى وقت الطلق و وضعت المرأة مولودها، فإن الرحم ينقبض و يعود إلى ما كان عليه و يدخل مرحلة الغيض التي تكلمت عنه الآية التي سبق ذكرها. فإذا حملت المرأة و أتى وقت الطلق و وضعت المرأة مولودها، فإن الرحم ينقبض و يعود إلى ما كان عليه و يدخل مرحلة الغيض التي تكلمت عنه الآية التي سبق ذكرها. و قد أوضح الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم وقت الغيض و الازدياد في الحديث «فتحيّضي ستة أيام أو سبعة أيام في علم اللّه ثم اغتسلي، فإذا رأيت أنّك قد طهرت و استنقأت فصلّي أربعا و عشرين ليلة أو ثلاثا و عشرين ليلة و أيامها ...» [أخرجه الترمذي ح ۸۹]، ففي الحديث هناك حيض و نقاء، و الحيض علامة على الغيض- كما رأينا سابقا- و النقاء علامة على الازدياد. و بالتالي فإن الحديث يشير إلى أن فترة الغيض المتوسطة لدى النساء أقصاها سبعة أيام، و فترة الازدياد ثلاثة و عشرون يوما.

(_____ ۱) كتاب YGOLONIRCODNE DNA CIGOLOCENYG LACINILC, FFOREPS NOEL، ص ۲۶۹- ۲۷۰. إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، ص: ۱۸۴ (SC) إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، ص: ۱۸۵ و اللفظ الدال على أن هذه الفترة هي الفترة المتوسطة لدى النساء على العموم: «فتحيّضي ستة أيام أو سبعة أيام في علم اللّه»، أي كما أقرّه اللّه تعالى في علمه للنساء عامة. و فترة الحيض المتوسطة لدى النساء هي خمسة أيام، و قد تزيد أو تنقص يومين (مع العلم أن فترة الحيض الطبيعية لدى النساء قد تزيد أو تنقص أكثر من ذلك، كما تشير إليه المعطيات العلمية، و كما هو معروف لدى الفقهاء المسلمين. غير أن الفترة التي تزيد أو تنقص عن الحد المذكور آنفا لا تعتبر متوسطة). جاء في كتاب «علم التوليد و علم الأرحام»: «إن الفترة العادية للجريان [جريان الدم] هي خمسة [أيام] مع زيادة أو نقصان يومين» «۱». و بالتالي فإن فترة الحيض المتوسطة القصوى هي: ۵+ ۲ ۷ أيام، و فترة الحيض المتوسطة الدنيا هي ۵- ۲ ۳ أيام. و بما أن الصحابية التي كانت تستفتي الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم كانت تعاني من حيضة قوية قائلة: «يا رسول اللّه إني أستحاض حيضة كثيرة شديدة فما تأمرني فيها؟» [أخرجه الترمذي ح ۸۹]، فلزم اختيار الفترة المتوسطة القصوى لكي تحتاط المرأة من النجاسة و تتأكد من نقائها. و أما وقت الدورة الشهرية المتوسطة حسبما جاء في الحديث فهو: ۶+ ۲۴ ۳۰ يوما، أو ۷+ ۲۳ ۳۰ يوما. و من المعلوم في الطب النسائي أن متوسط الدورة الشهرية «۲» لدى النساء هي ثمانية و عشرون يوما، مع فترة متوسطة للحيض قدرها خمسة أيام، فإذا اعتبرنا الفترة الاعتيادية القصوى للحيض- سبعة أيام (أي بازدياد مقداره يومين)- أصبحت فترة الدورة الشهرية المتوسطة القصوى ۲۸+ ۲ ۳۰ يوما. جاء في كتاب «خلق الإنسان بين الطب و القرآن»: «و تعتبر الدورة الشهرية بما فيها الحيض و الطهر ۲۸ يوما قد تزيد أو تنقص يوما أو يومين» «۳».

(_____ ۱) كتاب (علم التوليد و علم الأرحام YGOLOCENYG DNA SCIRTETSBO)، لويلسون كارينغتون، ص ۸۳. (۲) يقصد بالدورة الشهرية المدّة الواقعة بين بدايتي حيضتين. (۳) كتاب «خلق الإنسان بين الطب و القرآن»، د. محمد علي البار، ص ۹۴. إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، ص: ۱۸۶ و بالتالي فإن العلم يوافق قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم تماما في هذا المجال. و بعد: فنفهم من الشرح السابق و من أحاديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم عدة أمور: إذا نظرنا إلى الحديثين «ليس ذلك بالحيضة إنما هو عرق ...» [أخرجه أحمد ح ۲۷] و «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم» [أخرجه البخاري ح ۲۸] استنتجنا أن العروق الموجودة في جسم الإنسان تحتوي على الدم و تكوّن مجاري لها. و هذا ما يؤكده الحديث حيث قال النبي صلّى اللّه عليه و سلّم: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في العرق» إذكره السيوطي ح ۹۴]. و الرحم يحتوي على عروق كما يشير إليه الحديث الشريف- بطريقة غير مباشرة- «ليس ذلك بالحيض إنما هو عرق ...» [أخرجه أحمد ح ۲۷]، فالمكان الذي يتكلم عنه صلّى اللّه عليه و سلّم هو الرحم، بدليل أن الموضوع هو عن الحيض، و لقد عزا نبي اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم النزيف الحاصل في الرحم إلى العروق، و هذا يعني أن الرحم يحتوي على العروق. و للمقابلة فلقد رأينا في المقاطع السابقة أن الرحم يمتلئ بالعروق في مرحلتي النمو و الإفراز. و بما أن العروق تكوّن مجاري للدم، فهذا يعني أن أيّ نزيف للرحم يحصل من جزاء تشقق لتلك العروق، و هذا ما يؤكده الحديث التالي «فإنما ذلك ... عرق انقطع» [أخرجه أحمد ح ۳۱]. و بما أن الحيض يتألف من الدم وفقا لما جاء في الحديث الشريف «إذا كان دم الحيض فإنه أسود ...» [أخرجه أبو داود ح ۲۶]، فبالتالي تشقّق العروق و خروج الدم منها يحصل خلال الحيض، و هذا يكون في الحالة الطبيعية في مرحلة الغيض، أما باقي المراحل فهي مراحل ازدياد كما ألمحت إليه الآية الكريمة: اللَّهُ يَعْلَمُ ما تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثى وَ ما تَغِيضُ الْأَرْحامُ وَ ما تَزْدادُ [الرعد: ۸]. و للمقابلة فلقد رأينا أن العروق تتشقّق في مرحلة الغيض و يحصل نزيف داخلي في بطانة الرحم و من ثمّ يسيل الدم من الرحم حاملا معه أغشية بطانة الرحم. و خروج الدم يكون أيضا في حالة الاستحاضة، و الاستحاضة: سيلان الدم من الرحم في الأوقات غير الاعتيادية. فالحديث «ليس ذلك بالحيض إنما هو عرق ...» [أخرجه أحمد ح ۲۷] جاء في إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، ص: ۱۸۷ معرض الجواب عن استفسار حول مشكلة استحاضة صحابية «۱» بشكل شبه متواصل لفترات طويلة من الزمن كما جاء في الرواية: «قالت عائشة: فكانت تغتسل لكل صلاة و تصلي، و كانت تغتسل أحيانا في مركن في حجرة أختها زينب و هي عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم حتى إن حمرة الدم لتعلو الماء» [أخرجه النسائي ح ۲۹]. و بعد أن تمر مرحلة الحيض يتهدم البناء السطحي لبطانة الرحم و يتخثّر الدم و يتوقف. و في حالة الصحابية التي كانت تنزف لفترات طويلة، فإن العرق هو السبب المباشر في النزيف كما يشير إليه الحديث «إنما هو عرق» [أخرجه أحمد ح ۲۷]، و بالتالي فإن الدم يخرج مباشرة من العروق إلى خارج سطح الرحم لعدم وجود الطبقة المبطنة بعد انهيارها «۲» و لعدم تخثر بعض العروق. و الواقع فإن توقف النزيف في الرحم له عدة أسباب من أهمها: انقباض العروق لفترات طويلة، و انهيار الأنسجة، و توقف الدم عن الجريان و إفراز هرمون الاستروجين الذي يؤدي إلى تخثر الدم «۳». و بالتالي فإن التخثر يلعب دورا مهما في توقف نزيف الدم، فإذا لم يتغلّب هذا العامل على نزيف بعض العروق ظلّ الرحم يسيل دما. و هذا ما أشار إليه قول الصحابة في الحديث الشريف: «أن امرأة مستحاضة على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قيل لها إنه عرق عانده» [أخرجه النسائي ح ۳۰] أي عرق لم ينسد رغم وجود عامل التخثر و ظل يعاند التخثر و ينزف دما. و الاستحاضة لا تعزى فقط إلى تشقق الشرايين في الرحم و لعدم انسدادها، و إنما لأمراض شتى، و هذا ما أكده رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم بقوله: «فإنما هو داء عرض» [أخرجه أحمد ح ۳۱]. و نذكر هنا للمقابلة بعض الأمراض التي تسبب استحاضة المرأة:

(_____ ۱) و لا يضر إن استشهدنا سابقا بالحديث لتفسير ظاهرة الحيض و إن كان جاء في مجال الاستحاضة، لأن علّة سيلان الدم من الرّحم واحدة للحيض و الاستحاضة، فالدم ينزف في كل من الحالتين، و لا بد أن يكون النزيف ناتجا عن تشقق العروق الموجودة في الرّحم لأنها تكوّن مجاري لها، غير أنه في حالة الاستحاضة يتشقق عرق أو عرقان عامة، و في حالة الحيض تنقطع كل العروق و يسقط الغشاء المبطن للرحم بأكمله، و

یصحب الدم أشیاء أخری. (۲) نشیر هنا إلی أن هناک حالات مرضیة أخری یحصل فیها استحاضة للمرأة، و لکنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم سکت عنها لأن حالة الصحابیة لم تکن تندرج تحت تلک الحالات. (۳) کتاب YGOLONIRCODNE DNA CIGOLOCENYG LACINILC, FFOREPS NOEL، ص ۲۷۰. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۸۸ – فمن ذلک الأمراض التی یسببها الخلل الهرمونی؛ مثل: (انخفاض نسبة هرمون الأستروجین و البروجسترون؛ GNIDEELB HGUORHTKAERB ENOTETSEGORP GNIDEELB HGUORHTKAERB NEGORTSE ,GNIDEELB LAWARDHTIW ENORETSEGORP GNIDEELB LAWARDHTIW NEGORTSE).-و منهـــا أمراض السرطانات، مثل: سرطان الرحم، أو سرطان عنق الرحم، أو المبیض، و بعضها یعزی لأسباب أخری مثل: وجود تثیف فی جدار الرحم ... إلخ و هکذا یتبین لنا مفهوم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم- و اللّه أعلم- لسائر العملیات التی یخضع لها الرحم و تتجلّی لنا المعانی الدقیقة التی تحتویها أحادیثه الشریفة. و من کلامنا السابق یفهم أن الدم یخرج من العروق فی کلتا الحالتین: الاستحاضة، و الحیض. و بالتالی فإن دم الحیض (عند خروجه من العروق) و دم الاستحاضة لا یختلفان. و ما یجعل دم الحیض یختلف عن دم الاستحاضة هو أن دم الحیض یحتوی زیادة علی دم العروق علی: مـاء، و (أیونـات SNOI)، و ذرات (الأمینو أسید DICA ONIMA) التی أضیفت فی مرحلة الازدیاد «۱». کما أنه یحتوی علی أنسجة بطانة الرحم التی قد تشققت فی مرحلة الغیض. و هذا الاختلاف نص علیه الحدیث الشریف بقوله صلّی اللّه علیه و سلّم: «لیس ذلک بالحیض إنما هو عرق ...» [أخرجه أحمد ح ۲۷]. و بالتالی فإن لدم الحیض مییزات خاصة تجعله مختلفا عن الدم العادی. هذه المییزات یفسرها لنا الدکتور ج. س. جورنجر «۲»؛ فأبحاثه المعملیة أثبتت أن هناک فرقا بین نسب الترکیز فی المکوّنات الخاصة بکل نوع من أنواع الدم، و علی سبیل المثال: دم الحیض لا یحتوی علی البروتین المسمی (بالفیبرینوجین ENEGONIRBIF) لأنه یتحلل بسرعة، و یمکن قیاس المواد المتحللة بکثرة فی دم الحیض و التی هی شبه متعدمة فی الدم العرقی، کما أن المواد المسماة (بالهیموغلوبین NIBOLGOMEH) و (الألبومین NIMUBLA) تنقص فی دم الحیض إذا ما قارنّاها بالدم العادی. و هناک أیضا فرق واضح بین نسب (الصودیوم MUIDOS) و (النحاس REPPOC)، أما مستوی (البروستاغلاندین NIDNALGATSORP) فهو عال جدا فی دم الحیض. و هکذا تتحقق نبوءة الرسـول صـلّی اللّـه علیـه و سـلّم بـأن دم الحیض یختلـف عـن الـدم العـادی.

(_____ ۱) کتـاب YGOLONIRCODNE DNA CIGOLOCENYG LACINILC, FFOREPS NOEL، ص ۲۶۷. (۲) المؤتمر الطبی الإسلامی الدولی: الإعجاز الطبی فی الإسلام، ۲۵/ ۹/ ۱۹۸۵ م. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۸۹ أما بالنسبة لصفات هذا الدم فإن الحدیث: «إذا کان دم الحیض فإنه أسود یعرف، فإذا کان ذلک فأمسکی عن الصلاة» [أخرجه أبو داود ح ۲۶] یلقی الضوء علیها. جاء فی عون المعبود شرح سنن أبی داود «۱»: « [یعرف]: فیه احتمالان: الأول: إنه علی صیغة المجهول من المعرفة؛ قال ابن رسلان: أی تعرفه النساء، قال الطّیبی: أی تعرفه النساء باعتبار لونه و نخانته. و الثانی: أنه علی صیغة المعروف من الأعراف أی له عرف و رائحة». و لم یکتف الرسول- صلوات اللّه و سلامه علیه- بأن یشیر إلی أن دم الحیض یختلف عن الدم العادی بل أوضح صفة هذا الدم أیضا، و ذکر أنه أسود و أن له رائحة و أنه یعرف. فما ذا یقول العلم؟. إن لدم الحیض رائحة. لسنا بحاجة إلی أن نتوسع فی هذا الباب فکل النساء تعرف أن دم الحیض له رائحة و هذه الرائحة حادّة متمیزة. إن دم الحیض معروف أیضا. فالعلماء یعرفون دم الحیض من خلال مییزاته التی سبق و ذکرناها، أما النساء فهن یعرفنه من خلال مدته و مقداره. یقول الدکتور دوغادلیرد فی هذا الصدد: «و ما بین البلوغ و سنّ الیأس تکون العادة فی أغلب النساء منتظمة .. و هنّ یعرفن موعد حیضهن و مدّته و مقداره .. فإذا اختلف عرفته بسرعة .. و تستطیع معرفة ذلک أغلب النساء دون صعوبة». أما بالنسبة لسواد دم الحیض فلنستمع إلی الدکتور دوغادلیرد «۲» و هو یبدی رأیه فی هذا الموضوع: «إن لون دم الحیض هو أسود ... أما الدم الأحمر المشرق فإنه دم غیر طبیعی ... و دم الحیض لا یتجلط «۳». و یمکن إبقاؤه سنین طویلة علی تلک الحالة دون أن یتجلّط ... فإذا ظهر دم یتجلط أثناء الحیض فإن الحائض سرعان ما تعرف ذلک، و یعتبر غیر طبیعی». و السبب فی عدم تجلّط الدم فی الرحم هو أن الرحم یفرز أنزیمات تحلل مادة الفایبرینوجین التی تسبب تخـثّر الـدم و تـدعی: (مـذیب الفیـبرین NIMSALP). و لـذلک لا یـتجلـط دم الحیض و لـو بقی سـنین طوالا

(_____ ۱) عون المعبود شرح سنن أبی داود لأبی الطیب- کتاب الطهارة- باب إذا أقبلت الحیضة تدع الصلاة- رقم الحدیث ۲۸۳- (ج ۱/ ص ۴۷۱). (۲) المرجع فی أمراض النساء و الولادة، د. دوغادلیرد (انظر کتاب خلق الإنسان بین الطب و القرآن، د. محمد علی البار، ص ۸۹- ۹۰). (۳) أی غالبا. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۹۰

د- علاقة الزمان و المکان بدم الحیض:

اشارة

د- علاقة الزمان و المکان بدم الحیض: و لم یقتصر الأمر فی الإسلام علی وصف الدورة الرّحمیة و صفات دم الحیض، بل تعداه إلی وصف علاقة الزمان و المکان بدم الحیض، و أثره علی العلاقة الزوجیة.

۱- معتقدات الشعوب عن الحیض:

۱- معتقدات الشعوب عن الحیض: و لا بد أن نلقی نظرة علی معتقدات الشعوب عن المحیض حتی یتبین لنا مدی الجهل العلمی الذی کان سائدا عبر التاریخ، و لکی ندرک مدی الإعجاز العلمی الذی جاء به الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم. معتقدات قدماء المصریین: لقد عزا المصریون القدماء منذ ما یقرب من سبعة آلاف سنة، حدوث الحیض إلی قوی شریرة تصیب المرأة، تجعل کل جسدها خبثا و دنسا وقت الحیض، و من ثم قام طبیبهم الکاهن باستنبات مجموعة من بذور البقل، سقاها بماء مخلوط بدماء الحیض، و مجموعة أخری سقاها بالماء العذب، و لما تأخر نمو المجموعة الأولی ثم ذبلت، و ماتت، خلص إلی وجود السم فی دماء الحیض، و رسخ لدیه ذلک الاعتقاد، و بما أن تلک السموم قد خرجت من بدنها، فهذا یعنی أن جمیع جسدها خبث و سمّ، و من ثمّ کان المصریون یعتزلون المرأة الحائض تماما إلی حد نبذها وقت الحیض. معتقدات الیهود: و المعروف عن الیهود أنهم یتشددون فی مسائل الحیض، و الدم بصفة عامة، و لا یفرقون فی نظرتهم و لا فی أحکامهم بین الحیض و الاستحاضة، و ذلک حسب ما ورد فی العهد القدیم «۱»، فالحائض عندهم تعزل تماما خلال فترة الدم- و هی فترة سبعة أیام- و خلال هذه الفترة کلها، یتجنبون ملامساتها و الجلوس معها علی فراش، و حتی ملامسة فراشها «۲»، و إن ضاجعها رجل بحیث یصیر طمثها علیه یکون نجسا سبعة أیام و کل مضجع یضجع علیه یکون نجسا «۳»، و عند ما ینقطع منها السیلان تغتسل، و فی الیوم الثامن تقدّم للحاخام أمام الرب، فی خیمة الاجتماع بمامتین، أو فرخی حمام، واحدة منهما ذبیحة خطیة، و الأخری محرقة، و یکفّر عنها الکاهن سیلان نجاستها أمام الرب «۴». معتقدات المجوس: و کذلک اعتقـد المجوس (_____ ۱) سفر اللاویین (سفر الأحبار)/ الإصحاح الخامس عشر، ۲۶ – ۲۹. (۲) سفر اللاویین (سفر الأحبار)/ الإصحاح الخامس عشر، ۲۰ – ۲۲. (۳) سفر اللاویین (سفر الأحبار)/ الإصحاح الخامس عشر، ۲۵. (۴) سفر اللاویین (سفر الأحبار)/ الإصحاح الخامس عشر، ۳۰- ۳۱. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۹۱ معتقدات النصاری: لم یرد فی الإنجیل ذکر عن الحیض، من قریب أو من بعید، و بالتالی فإن النصاری لا یعیرون هذا الأمر أهمیة، و یجامعون نساءهم غیر عابئین بهذه الظاهرة. معتقدات العرب قبل الإسلام: أما العرب فی عهد الجاهلیة، فقد کان اعتقادهم المتوارث عن هذا الأمر، لا یختلف فی کثیر أو قلیل، عن اعتقاد المجوس و الیهود و معاصریهم؛ فکانوا یعتزلون المرأة إذا حاضت اعتزالا تاما، لا یؤاکلونها، و لا یجالسونها علی فراش، و لا حتی یساکنونها. جاء فی تفسیر القرطبی «۱»: «و سبب السؤال فیما قال قتادة و غیره: أن العرب فی المدینة و ما والاها کانوا قد استنّوا بسنة بنی إسرائیل فی تجنب مؤاکلة الحائض و مساکنتها، فنزلت هذه الآیة». تلک العقیدة لم تکن ثمرة العقل، و لا کانت نتاجا للفکر، بقدر ما کانت تراثا متوارثا خلّفه الخیال و رسخ فی الوجدان علی مرّ السنین. و کانت المرأة تتصف عندهم إذا حاضت بعدة أوصاف: فالمرأة الحائض حسب اعتقادهم هی «عارک»، و «فارک»، و «کایر»، و «دارس»، و «طامث»، و «ضاحک»، و «حائض». قال ابن العربی کما جاء فی تفسیر القرطبی «۲»: «... و لها ثمانیة أسماء: الأول: حائض، الثانی: عارک، الثالث: فارک، الرابع: طامس، الخامس: دارس، السادس: کایر، السابع: ضاحک، الثـامن: طـامث». و لأغـلب هـذه التسـمیات «۳»- فیمـا خلا لفـظ «الحـائض»- دلالات

(_____ ۱) تفسیر القرطبی- الآیة رقم ۲۲۲- سورة البقرة- (ج ۳/ ص ۸۱). (۲) تفسیر القرطبی- الآیة رقم ۲۲۲- سورة البقرة (ج ۳/ ص ۸۲). و جاء فی لسان العرب لابن منظور- مادة «حیض»- (ج ۳/ ص ۴۱۹): (قال ابن خالویه: «یقال: حاضت و نفست و نفست و درست و ضحکت و کادت و أکبرت و یقال: حاضت المرأة و تحیّضت و درست و عرکت تحیض حیضا و محاضا و محیضا ...»). (۳) و نقول أغلب هذه التسمیات للاحتیاط، و إلا فجمیعها غیر صحیح، و ذلک أن بعض العلماء اللغویین و إن کانوا قلّة- یقولون أن لفظ «المرأة الضاحک» الذی ورد فی الآیة: وَ امْرَأَتُهُ قائِمَةٌ فَضَحِکَتْ فَبَشَّرْناها بِإِسْحاقَ وَ مِنْ وَراءِ إِسْحاقَ یَعْقُوبَ [هود: ۷۱] یعنی المرأة الحائض، و هو قول ضعیف، جاء فی تفسیر القرطبی- (ج ۹/ ص ۶۶): «قال مجاهد و عکرمة: حاضت، و کانت آیسة؛ تحقیقا للبشارة؛ و أنشد علی ذلک اللغویون: و إنی لآتی العرس عند ظهورها و أهجرها یوما إذا تک ضاحکا و قال آخر: و ضحکت الأرانب فوق الصفا کمثل دم الجوف یوم اللقا و العرب تقول: ضحکت الأرنب إذا حاضت ... و قد أنکر بعض اللغویین أن یکون فی کلام العرب ضحکت بمعنی حاضت. و قال الجمهور: هو الضحک المعروف ... و قال مقاتل: ... و لیس الضحک الحیض فی اللغة بمستقیم. و أنکر أبو عبید و الفراء ذلک؛ قال الفراء: لم أسمعه من ثقة؛ و إنما هو کنایة». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۹۲ فی اللسان العربی غیر صحیحة من الناحیة العلمیة، إذ یستدل منها أنهم کانوا یعتقدون أن هذا الأمر الذی یعتری المرأة مرة کل شهر، و بصفة دوریة، هو بمثابة «فرک» لمواد ضارة و سامة فی بدنها «طمست» علیه و ألقت به فعطّته، و لو أنها بقیت فیه لأضرت به و أهلکته، و هی امرأة «ضاحک» أی منفرجة الأسنجة، متفتحة المسام، کی تتخلص من تلک السموم، و هی «عارک» و «دارس»، و فیهما معنی المغالبة لهذه المواد، و هی أیضا «کایر»، لأنها تکبر هذا الأمر لما فیه من خلاصها من السموم و الإضرار، و هی کذلک «طامث» و الطمث من الدنس و المس و الفساد «۱». تلک کانت

نظرة العرب فی جاهلیتهم لهذا الأمر، و ذلک کان اعتقادهم، و لقد کان اعتقادهم ذلک راسخا فی نفوسهم، مستقرا فی وجدانهم، شبیها بنهج الیهود و المجوس، و ربما اقتبسوه من المجوس و الیهود. معتقدات علماء الغرب: و لم یختلف اعتقاد أبو قراط و جالینوس «۲» و من تبعهما، ممن مارسوا صناعة الطب فی القرون الوسطی عن المعتقدات الأخری الخاطئة فی أن المرأة تحمل سمومها فی دم الحیض. و قد تلمّس کثیر من العلماء، أمثال (جوتیه ۳، (REITUAG» و (یورسبه ۴، (TECRUOB» عام ۱۹۰۰ م سموم الزرنیخ و الیود، و هی من أشد السموم فتکا، فی إفرازات جسم الحائض، من عرق و لعاب و ما إلی ذلک. و قد أعلن (ماخت ۵، (THCAM» عام ۱۹۴۳ م أنه وجد فی لعاب و عرق الحائض، و کذلک فی دورتها الدمویة، مواد سامة، توقف نموّ النبات المستزرع، کما أعلن أن ملامسة الحائض للخضراوات و الزهور تسبّب فی عطبها و ذبولها، و تحول دون حفظها. و قد أعلن (جورج فان سمیث V. G. HTIMS.) و (أولیف واتکن سمیث

(_____ ۱) القاموس المحیط لمجد الدین محمد- مادة «فرک» ص ۱۲۲۷- مادة «طمس» ص ۷۱۵- مادة «ضحک» ص ۱۲۲۲- مادة «عرک» ص ۱۲۲۴- مادة «درس» ص ۷۰۱- مادة «کیر» ص ۶۰۱- مادة «طمث» ص ۲۲۰. (۲) (۳۴۹۱ ,.R. oC srednuoS B .W ,kooB txeT ygolocenyG .W .ECNERUAL yb detauQ . (۳) ۳۶۲: p, siraP,. cS. d. dacA. dner. tpmoC, (۱۹۹۰) REITUAG. (۴) ۴۹۳: p, siraP,. cS. d. dacA dner. tpmoC, (۱۹۹۰) TECRUOB. (۵)، (۱۹۴۳). ۱. D, THCAM" nixoT إعجاز laurtsneM no seiduts latnemirepxE dna lacirotsiH rehtruF ". ۲۸۱: ۲۰۶,. cS. deM. J remA القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۹۳ .W .O .HTIMS) فی العقد الخامس من القرن العشرین (۱۹۴۰- ۱۹۵۰ م) «۱» أن حیوانات الاختبار، تتوفّی من جرّاء حقنها بکمیات ضئیلة من دماء الحیض، بعد تخفیفها بالماء المقطّر، و قد أطلقوا علیها اسم السموم الحیضیة. لکن (رینولدز ۲، (SDLONYER»، لم یستطع أن یداری ارتیابه عام ۱۹۴۷ م فیما خلص إلیه فان و أولیف سمیث من نتائج، حیث أعلن عن عدم اقتناعه بأن حدثا وظیفیا کالحیض، یناط به أو یرتبط بوجود سموم، و هو ما ینافی الفطرة التی جبل علیها الإنسان، و قد حذا حذوه الکثیر من العلماء آنذاک. و قد عقد مؤتمر طبی فی مدینة نیویورک عام ۱۹۴۹ م، شارک فی أعماله مائة و سبعة عشر طبیبا من أساطین الطب و أساتذته فی العالم آنذاک، و قد ناقش المؤتمرون فی ذلک المؤتمر موضوع الحیض، و أنه یحوی سمومها فتاکة. أما المؤلفان الإنجلیزیان (کرتس و هوفمان ۳، (NAMFFOH dna E. STRUC»، فقد أعلنا عام ۱۹۵۰ م أن الاعتقاد الراسخ فی خطورة المباشرة فی الحیض تملی علیهم ممارسته.

(_____ ۱)، (۰۴۹۱ V. G HTIMS . dna. W. O HTIMS" loiB .rep -xE star ni yticixot stI .I namoW fo egrahcsiD laurtsneM Med .۴۴ :۰۰۱ . , (۱۹۴۰). V. G HTIMS dna. W. O HTIMS" staR erutaM ni tceffE gnitalum -itS enoretsegorp stI .II namoW fo egrahcsiD laurtsneM " loiB. repxE. ۱۰۴: ۴۴ deM , (۱۹۴۴). V. G HTIMS dna. W. O HTIMS" nemoW fo egrahcsiD laurtsneM eht no seidutS rehtruF". . loiB. rexE. ۲۸۵: ۵۶,. deM , (۱۹۴۵). V. G HTIMS dna. W. O HTIMS" lacitnedI era nisor -ceN eninaC dna nixoT laurtsneM taht ecnedivE ". loiB. repxE,. ۱۱۶: ۵۹. deM , (۱۹۴۵). V. G HTIMS dna. W. O HTIMS" aimexoT ycnangerp etaL dna noitaurtsneM ni emyznE cityloirbif A ". ۲۳۵: ۱۰۲, ecneicS. , (۱۹۴۶). V. G. HTIMS" ycnangerP etaL fo aimexoT dna noitaurtsneM gnirud nixot laurtsneM eht no seiduts rehtruF " loiB. repxE ۲۲۷: ۶۲. deM , (۱۹۵۰). W. O. HTIMS" sredrosiD stI dna noitaurtsneM ni seiduts latnemirepxe nixoT laurtsneM "., III, dleif gnirpS, samohT. C seirahC elgnE , (۱۹۵۰). V. G HTIMS" sredrosiD nixoT laurtsneM" III dleifgnirpS, samohT. C seirahC. elgnE T. E. dE. (۲)، (۱۹۴۷). M. R. S SDLONYER" noitaurtsneM fo sisaB cigoloisyhp ehT". ۵۵۲- ۱۳۵,. ssA. deM. remA. J,. (۳)، (۱۹۵۰). J namffoH dna. E struC" noitaurtsneM fo emit .eht ta eneigyH". IV. dE. oC srednuoS. ygolocenyG إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۹۴ و قد عزا (برنارد زوندک ۱، (B. KEDNOZ» عام ۱۹۵۳ م وفاة الحیوانات خلال تجارب فان و أولیف سمیث إلی احتمال وجود جراثیم فی دماء الحیض، و لیس لوجود سموم فیها. علی أن الغالبیة العظمی من مؤلفی کتب أمراض النساء من الأوروبیین و الأمیرکیین یوردون فی کتبهم ما أورده المؤلف الإنجلیزی (جافکوت ۲، (ETAOCFFEJ» عام ۱۹۶۷ م فی کتابه «أسس أمراض النساء»، و الذی یعتبر المرجع الأول لجمیع المشتغلین بصناعة الطب فی هذا الفرع. حیث اعتبر أن الغسل المهلی بعد الحیض، أو فی أی وقت آخر یشکل بصفة عامة خطورة بالغة، لأنه یزیل معه الوسائل الوقائیة الطبیعیة، و أن الزوجین یستطیعان ممارسة المباشرة الجنسیة فی المحیض فی حال کانا خالیین من الأمراض، و لا خوف علی أیّ منهما من أی ضرر، غیر أنه لا یستحب الجماع زمن الحیض لوجود الدم فقط، و ینصح بالغسل المهلی، و یوضع حاجز یحجب سیل الدم مؤقتا.

۲- مسألة المحیض فی الفقه الإسلامی:

۲- مسألة المحیض فی الفقه الإسلامی: کلمة «حیض» تعنی سیل، جاء فی لسان العرب «۳»: «حیض: ... و قال المبرّد: سمی الحیض حیضا من قولهم حاض السیل إذا فاض ... (و قال) الأزهری: یقال: حاض السیل و فاض إذا سال یحیض و یفیض ...». و الدم الذی یخرج من رحم المرأة خلال دورتها الشهریة سمی حیضا لأنه یسیل من فرجها و یفیض. و سیلان الدم من رحم المرأة ظاهرة طبیعیة کما نفهم من الحدیث التالی: (عن عائشة رضی اللّه عنها أنها تقول: خرجنا لا نری إلا الحج فلما کنا بسرف، حضت، فدخل علیّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و أنا أبکی، قال: «ما لکِ؟ أنفست؟»، قلت: نعم، قال: «إن هذا أمر کتبه اللّه علی بنات آدم فاقضی ما یقضی الحاجّ غیر أن لا- تطوفی بالبیت») [أخرجه البخاری ح ۸۲]». فالحیض أمر کتبه اللّه تعالی علی بنات آدم، أی أن اللّه تعالی جبلهن علیه، و لیس سببه قوی سحریة کما اعتقده قدماء المصریین. و نفهم من قوله تعالی: فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِی الْمَحِیضِ وَ لا تَقْرَبُوهُنَّ الَّذی ورد فی الآیة الکریمة وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْمَحِیضِ قُلْ هُوَ أَذیً فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِی الْمَحِیضِ وَ لا- تَقْرَبُوهُنَّ

(_____ ۱)، (۱۹۵۳ B. KEDNOZ"? . nixot cificeps a niatnoc doolB laurtsneM seoD" tsbO. J remA. nyG ۵۶: ۸۶۰۱. (۲)، (۱۹۶۷) A, N. T, (ETAOCFFEJ" ygolocenyG fo selpicnirP". III. dE. nodnoL- htrowrettuB. (۳ لسان العرب لابن منظور- مادة «حیض»- ج ۳/ ص ۴۱۹. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۹۵ حَتَّی یَطْهُرْنَ فَإِذا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَیْثُ أَمَرَکُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ یُحِبُّ التَّوَّابِینَ وَ یُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِینَ [البقرة: ۲۲۲] نفهم أنه یتعین علی الرجال اعتزال النساء اللاتی یسیل الدم من فروجهن و عدم الاقتراب منهن، و هذا الاعتزال هو اعتزال مجامعتهن و لیس عدم الاقتراب منهن کلیا کما یبّنته السنة النبویة الشریفة، فلقد وردت أحادیث کثیرة یعتدّ بها، تشیر إلی أن الرجل یستطیع أن یمارس الجنس مع امرأته من دون أن یجامعها، کما فی الحدیث: أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «اصنعوا کل شیء إلا النکاح» [أخرجه مسلم ح ۸۰]- من باب الجواز-. و فی الحدیث: «عن حزام بن حکیم عن عمه أنه سأل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: ما یحل لی من امرأتی و هی حائض؟ قال: «لک ما فوق الإزار» [أخرجه أبو داود ح ۸۱]»- من باب الإباحة-. و کلمة «المحیض» التی جاءت فی الآیة الکریمة مصدر من حاض، علی وزن کلمة «المجیء» و «المبیت» و «المغیب» و تطلق علی مکان الحیض، بالإضافة إلی الدم، جاء فی لسان العرب «۱»: «حیض: الحیض: ... و المحیض یکون اسما و یکون مصدرا ... قال عزّ و جلّ: وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْمَحِیضِ قُلْ هُوَ أَذیً فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِی الْمَحِیضِ، قیل إن المحیض فی هذه الآیة المأتی من المرأة، لأنه موضع الحیض، فکأنه قال: اعتزلوا النساء فی موضع الحیض و لا تجامعوهن فی ذلک المکان ...». و هکذا فإن الآیة تحرم مباشرة النساء فی مکان الفرج فقط. و نفهم من التفسیر السابق أن الإسلام یخالف الیهود و العرب و المجوس و المصریین فی اعتزال النساء؛ فهو لا یأمر باعتزال النساء کلیا و لکن باعتزال جماعهن زمن المحیض، و لا یری مجامعتهن مجامعة کلیة کما یری النصاری، فهو بهذا دین وسط وَ کَذلِکَ جَعَلْناکُمْ أُمَّةً وَسَطاً [البقرة: ۱۴۳]. کذلک یخالف الإسلام الیهود بأنه یسمح للرجال بإتیان نسائهم فور انقطاع دم الحیض شرط أن یغسلن فروجهن بالماء «۲»، فقوله تعالی: حَتَّی یَطْهُرْنَ ...، یشیر فیما یشیر «۳» إلی انقطاع دم الحیض کما جاء فی حدیث للسیدة عائشة رضی اللّه عنها: «و کن نساء یبعثن إلی عائشة بالدّرجة فیها الکرسف، فیه الصفرة، فتقول: لا- تعجلن حتی ترین القصة البیضاء، تریدُ بذلک الطهر من الحیضة» [أخرجه البخاری ح ۸۳]. و قوله

(_____ ۱) لسان العرب لابن منظور- مادة «حیض»- ج ۳/ ص ۴۱۹. (۲) و کذلک شرط أن یغتسل کلیا عند الجمهور، غیر أن الاغتسال الکلی أمر تعبدی فقط، انظر کلامنا فی الحاشیة رقم ۳، ص ۱۹۶- ۱۹۸. (۳) فقد یشیر إلی أن یغسلن النساء فروجهن بالماء، فتبرأ من الحیض (انظر الحاشیة رقم ۳، ص ۱۹۶- ۱۹۸). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۹۶ تعالی: فَإِذا تَطَهَّرْنَ ... یشیر إلی شرط غسل الفرج بالماء للمجامعة، کما روی عن السیدة عائشة رضی اللّه عنها: «عن عائشة أن امرأة من الأنصار قالت للنبی صلّی اللّه علیه و سلّم کیف أغتسل من المحیض؟، قال: «خذی فرصة ممسّکة فتوضّئی ثلاثا»، أو قال توضئی بها، ثم إن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم استحیا فأعرض بوجهه، فأخذتها فجذبتها فأخبرتها بما یرید النبی صلّی اللّه علیه و سلّم» [أخرجه البخاری ح ۸۴]. و کما نعلم فإن الوضوء هو الغسل بالماء، و ما یرید النبی صلّی اللّه علیه و سلّم هو أن تزیل الدم من فرجها بالغسل کما جاء فی روایة أخری «عن عائشة أن امرأة سألت النبی صلّی اللّه علیه و سلّم عن غسلها من المحیض، فأمرها کیف تغتسل، قال: «خذی فرصة من مسک فتطهری بها»، قالت: کیف أتطهر؟ قال: «تطهّری بها»، قالت کیف؟ قال: «سبحان اللّه تطهری»، فاجتذبتها إلیّ، فقلت: تتبعی بها أثر الدم» [أخرجه البخاری ح ۸۵]. و قد جاء فی هذا الصدد، فی تفسیر ابن کثیر «۱»: «و قد اتفق العلماء علی أن المرأة إذا انقطع حیضها لا تحل حتی تغتسل بالماء ... و قال ابن عباس: حَتَّی یَطْهُرْنَ ...؛ أی من الدم، فَإِذا تَطَهَّرْنَ ...؛ أی بالماء، و کذا قال مجاهد و عکرمة، و الحسن و مقاتل و ابن حیان و اللیث بن سعد و غیرهم». و جاء فی تفسیر القرطبی «۲»: «فإذا تطهّرن، یعنی بالماء، و إلیه ذهب مالک و جمهور العلماء، و أن الطّهر الذی یحل به جماع الحائض الذی یذهب عنها الدم، هو تطهّرها بالماء کطهر الجنب» «۳».

(۱) تفسیر ابن کثیر- ج ۱/ ص ۲۶۰.

(۲) تفسیر القرطبی- ج ۳/ ص ۸۸ (۳) الرجاء قراءة نص «الحقائق العلمیة» (ص ۲۰۱) قبل قراءة هذه الحاشیة. لقد اختلف الفقهاء فی وطء المرأة التی انتهت من فترة الحیض، فی طهرها و قبل الاغتسال، «فذهب مالک و الشافعی و الجمهور إلی أن ذلک لا یجوز حتی تغتسل، و ذهب أبو حنیفة و أصحابه إلی أن ذلک جائز إذا طهرت لأکثر مدّة الحیض، و هو عنده عشرة أیام، و ذهب الأوزاعی إلی أنها إن غسلت فرجها بالماء جاز وطؤها (أعنی: کل حائض طهرت متی طهرت)، و به قال أبو محمد بن حزم. و سبب اختلافهم: الاحتمال الذی فی قوله تعالی: فَإِذا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَیْثُ أَمَرَکُمُ اللَّهُ [البقرة: ۲۲۲]، هل المراد به الطهر الذی هو انقطاع دم الحیض أم الطهر بالماء؟ ثم إن کان الطهر بالماء؛ فهل المراد طهر جمیع الجسد أم طهر الفرج؟ فإن الطهر فی کلام العرب و عرف الشرع اسم مشترک یقال علی هذه الثلاثة المعانی. و قد رجح الجمهور مذهبهم بأن صیغة التفعل إنما تطلق علی ما یکون من فعل المکلفین، لا علی ما یکون من فعل غیرهم، فیکون قوله تعالی: فَإِذا تَطَهَّرْنَ أظهر فی معنی الغسل بالماء منه فی الطهر الذی هو انقطاع الدم، و الأظهر یجب المصیر إلیه حتی یدلّ الدلیل علی خلافه.- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۹۷

- و رجّح أبو حنیفة مذهبه بأن لفظ یفعلن فی قوله تعالی: حَتَّی یَطْهُرْنَ هو أظهر فی الطهر الذی هو انقطاع دم الحیض منه فی التطهر بالماء. و المسألة کما تری محتملة». (بدایة المجتهد و نهایة المقتصد لابن رشد، الباب الثالث، المسألة الثانیة [وطء الحائض فی طهرها قبل الاغتسال]، ص ۵۲- ۵۳). و فی کلام العرب فإنه من المعسر أن یجمع المتکلم فی الکلام بین معنیین، فإنه لیس من عادة العرب أن یقولوا: لا تعط فلانا درهما حتی یدخل الدار، فإذا دخل المسجد فأعطه درهما قیاسا علی وَ لا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّی یَطْهُرْنَ فَإِذا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَیْثُ أَمَرَکُمُ اللَّهُ [البقرة: ۲۲۲]، و بالتالی فإن علینا إما: ۱- صرف أیّا من اللفظین: یَطْهُرْنَ و تَطَهَّرْنَ إلی الآخر، و العمل علی أنهما یدلّان فی الآیة علی معنی واحد (أی إما علی معنی الطهر أی انقطاع الدم، و إما علی معنی الاغتسال بالماء). ۲- و إما أن نقول: إن هناک کلاما محذوفا تقدیره: و لا- تقربوهن حتی یطهرن و یتطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حیث أمرکم اللّه، و الدلیل علیه یکون ظهور لفظ التطهر فی معنی الاغتسال، لکن هذا یعارضه ظهور عدم الحذف فی الآیة، إلا فی حال وجود قرینة خارجیة تشیر إلی ظهور لفظ التطهر. و إذا انتهی بنا الأمر إلی مثل هذا الموضع، فإن التحکیم یکون للحقائق العلمیة فی مجال الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة. و نقول- و باللّه التوفیق-: إن علّة مباشرة الحائض کما جاءت فی الآیة الکریمة: وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْمَحِیضِ قُلْ هُوَ أَذیً فَاعْتَزِلُوا النِّساءَ فِی الْمَحِیضِ [البقرة: ۲۲۲] هو وجود الأذی، فإذا انتفی الأذی، انتفت العلّة و صحّ مباشرة الحائض التی انتهت من عدّتها. و الأذی یتلخّص بأن هناک جراثیم فی الحیض تسبب الأذی للرجل أو المرأة عند الجماع. و وجود الجراثیم یرتکز علی عاملین: وجود الدم، و وجود المطهّر لهذا الدم من الجراثیم. و علیه، فإننا نمیّز أربع حالات، لا- خامس لها، لمهبل المرأة: ۱- وجود مطهّر مع عدم وجود دم فی مهبل المرأة: فی هذه الحالة، فإن المهبل نظیف جدا، و لا وجود للأذی المذکور فی الآیة الکریمة: وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْمَحِیضِ قُلْ هُوَ أَذیً [البقرة: ۲۲۲]، و بالتالی یصح الجماع شرعا و علمیّا. ۲- عدم وجود مطهّر مع وجود دم فی مهبل المرأة: فی هذه الحالة یکون الدم ملوّثا لانتفاء المطهّر و لوجود الدم الذی هو بمثابة البیئة المناسبة لتکاثر الجراثیم، و بالتالی فهناک احتمال لأن یصاب الرجل أو المرأة بمرض من الأمراض. و مثال هذه الحالة: الحیض، و الفترة التی تأتی مباشرة بعد انقطاع الحیض- کما سنراه لاحقا- و تبعا لذلک و منعا لحصول ضرر لأحد من الزوجین، فإن وطء المرأة لا یجوز. ۳- عدم وجود مطهّر مع عدم وجود دم فی مهبل المرأة: فی هذه الحالة لا وجود للجراثیم لأن الدم غیر موجود مع أن المطهّر غیر موجود. و مثال هذه الحالة: المرأة التی علی وشک الحیض، و لم تحض بعد. فی هذه الحالة لم یسل الدم بعد، و تأثیر و أعداد عصویات دودرلین یکون ضعیفا للغایة و فی أدنی مستویاته (فعصویات دودرلین- کما سنشیر إلیه فی البحث اللاحق- تظهر تدریجیّا إلی أن تصل إلی أوجها فی نصف الدورة، و من ثمّ تقل إلی أن تصبح فی أقل نسبة لها قبل فترة الحیض مباشرة)، و بالتالی لا بأس من الجماع تیسیرا فی الشرع وفقا للآیة: ما یُرِیدُ اللَّهُ لِیَجْعَلَ عَلَیْکُمْ مِنْ حَرَجٍ [المائدة: ۶]. ۴- وجود مطهّر مع وجود دم فی مهبل المرأة: فی هذه الحالة تکون المرأة فی حالة الاستحاضة- أی أن هناک حالة نزیف مرضی مستمر للمرأة مع وجود عصویات دودرلین المطهّرة- و هذا یعنی أن إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۹۸ و من الجدیر بالذکر أن الإسلام یخالف النصاری لأنه ینهی عن مجامعة النساء وقت المحیض، بینما هم یحلّونه. و لم یحرم الإسلام مباشرة النساء لوجود الدم فی موضع الإتیان فقط، بل لورود زمن الحیض. فکلمة «المحیض» التی جاءت فی الآیة وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْمَحِیضِ قُلْ هُوَ أَذیً... [البقرة: ۲۲۲] لا تشیر إلی سیلان الدم و إلی موضع النکاح فحسب، بل إلی ورود زمن الحیض أیضا. جاء فی لسان العرب «۱»: «حیض: ... و قیل المحایض جمع المحیض و هو مصدر حاض، فلما سمّی به جمعه، و یقع المحیض علی المصدر و الزمان و الدم». و من التفسیر السابق نفهم أن الآیة تعنی: اعتزلوا موضع جماع النساء، لوجود الدم، خلال الفترة المعلومة للحیض. و للدلالة علی أهمیة عامل زمن المحیض، و أنه یعتدّ به، جوّزت الشریعة الإسلامیة مجامعة الرجل لامرأته حال کونها مستحاضة. و المستحاضة هی المرأة التی یسیل الدم من فرجها لمرض ما علی غیر عادة، فی غیر وقت الحیض و النفاس. فإن لم تستطع أن تمیّز بین دم الحیض و دم الاستحاضة فإنها تمتنع عن زوجها فی الفترة التی یغلب علی ظنها أنها فترة المحیض، بینما تحل نفسها له فی الفترة المتبقیة و تعتبرها استحاضة. و إحلال فرجها لزوجها یصح لأنه لم یرد دلیل بتحریم جماعها

- هناک دما غیر ملوّث فی مهبلها، و بالتالی یجوز شرعا الوطء للمعطیات الشرعیة و کما تشیر إلیه المعطیات العلمیة (انظر الحاشیة رقم ۱، ص ۱۹۹- ۲۰۰). و من الکلام السابق یضعّف مذهب الحنفیة فی هذا الأمر، لأنهم لم یشترطوا غسل المهبل، و بالتالی إزالة الدم الملوث من مهبل المرأة. و مذهب الأوزاعی یحمل علی الجواز لأن شرطهم من طهارة و غسل الفرج یزیل الأذی. و مذهب الجمهور یحمل علی الندب، لأنهم یشترطون إضافة إلی إزالة الأذی، غسل المرأة جمیع بدنها، و ذلک لأن اللّه تعالی یحبّ المتطهرین کما جاء فی تکملة الآیة: فَإِذا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَیْثُ أَمَرَکُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ یُحِبُّ التَّوَّابِینَ وَ یُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِینَ [البقرة: ۲۲۲]. و یظهر من هذا الکلام أن الصواب- و باللّه التوفیق- ظهور لفظ فَإِذا تَطَهَّرْنَ فی الاغتسال (لأن الاغتسال یقتضی أن تطهر المرأة من حیضها إضافة إلی الاغتسال، و إلا لم ینفع المرأة أن تغسل فرجها فقط، و دم الحیض یسیل)، أو أن یکون هناک کلام محذوف فی الآیة: وَ لا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّی یَطْهُرْنَ فَإِذا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَیْثُ أَمَرَکُمُ اللَّهُ [البقرة: ۲۲۲] و تقدیره: و لا- تقربوهن حتی یطهرن و یتطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حیث أمرکم اللّه. و اللّه تعالی أعلم. (۱) لسان العرب لابن منظور- مادة «حیض»- (ج ۳/ ص ۴۲۰). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱۹۹ خلال فترة الاستحاضة، و ذلک عند جمهور العلماء. قال ابن عباس رضی اللّه عنهما: «تغتسل و تصلی و لو ساعة، و یأتیها زوجها إذا صلت، الصلاة أعظم» [أخرجه البخاری ح ۸۶]. یعنی إذا جاز لها أن تصلی و دمها جار، جاز جماعها، لأن الصلاة أعظم من المواقعة فی شروط الجواز. و «عن عکرمة عن حمنة بنت جحش أنها کانت مستحاضة و کان زوجها یجامعها» [أخرجه أبو داود ح ۸۷]. و قد جاء فی أکثر من حدیث ما یدل علی أن عامل الوقت مهم. فعن (أم سلمة رضی اللّه عنها قالت: سألت امرأة النبی صلّی اللّه علیه و سلّم، قالت: إنی أستحاض فلا أطهر، أ فأدع الصلاة؟، قال: «لا، و لکن دعی قدر الأیام و اللیالی التی کنت تحیضین- قال أبو بکر فی حدیثه: و قدرهن من الشهر- ثم اغتسلی و استثفری بثوب و صلی») [أخرجه ابن ماجة ح ۸۸]. و عن (حمنة بنت جحش، قالت: کنت أستحاض حیضة کثیرة شدیدة، فأتیت النبی صلّی اللّه علیه و سلّم أستفتیه و أخبره، فوجدته فی بیت أختی زینب بنت جحش، فقلت: یا رسول اللّه إنی أستحاض حیضة کثیرة شدیدة فما تأمرنی فیها؟، قد منعتنی الصیام و الصلاة، قال: «أنعت لک الکرسف فإنه یذهب الدم». قالت: هو أکثر من ذلک. قال: «فتلجّمی». قالت: هو أکثر من ذلک. قال: «فاتخذی ثوبا». قالت: هو أکثر من ذلک، إنما أثجّ ثجا. فقال النبی صلّی اللّه علیه و سلّم: «سآمرک بأمرین أیهما صنعت أجزأ عنک فإن قویت علیهما فأنت أعلم». فقال: «إنما هی رکضة من الشیطان، فتحیضی ستة أیام أو سبعة أیام فی علم اللّه ثم اغتسلی، فإذا رأیت أنک قد طهرت و استنقأت فصلّی أربعا و عشرین لیلة أو ثلاثا و عشرین لیلة و أیامها، و صومی و صلّی، فإن ذلک یجزئک، و کذلک فافعلی کما تحیض النساء، و کما یطهرن لمیقات حیضهن و طهرهن، فإن قویت علی أن تؤخری الظهر و تعجّلی العصر ثم تغتسلین حین تطهرین، و تصلین الظهر و العصر جمیعا ثم تؤخرین المغرب و تعجّلین العشاء ثم تغتسلین، و تجمعین بین الصلاتین فافعلی، و تغتسلین مع الصبح و تصلین و کذلک فافعلی، و صومی إن قویت علی ذلک»، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «و هو أعجب الأمرین إلی») [أخرجه الترمذی ح ۸۹]. و قوله صلّی اللّه علیه و سلّم: «فتحیضی ستة أیام أو سبعة أیام فی علم اللّه» یعنی اعتبری نفسک فی المحیض خلال فترة ستة أو سبعة أیام، کما علمک اللّه تعالی و اللّه أعلم «۱».

(۱) «اختلف العلماء فی جواز وطء المستحاضة علی ثلاثة أقوال: فقال قوم: یجوز وطؤها، و هو الذی علیه فقهاء الأمصار، و هو مروی عن ابن عباس و سعید بن المسیب و جماعة من التابعین. و قال قوم: لیس یجوز وطؤها، و هو مروی عن عائشة، و به قال النخعی و الحکم. و قال قوم: لا یأتیها زوجها إلا أن یطول ذلک بها، و بهذا القول قال أحمد بن حنبل.- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۰۰ و للمستحاضة حکم الطاهرات، فتصلی و تصوم و تعتکف و تقرأ القرآن و تمس المصحف و تحمله و تفعل کل العبادات و هذا مجمع علیه من جمهور العلماء. و الإسلام یخالف الیهود بأنه یفرق بین دم الحیض و دم الاستحاضة، بینما نجد أن نظرة التحریم فی الیهودیة قائمة علی أساس وجود الدم و لا تفرق بین الحیض و الاستحاضة. فالسلوک الیهودی تعبّدی فقط، بینما نجد أن السلوک الإسلامی یعتمد علی الأساس العلمی إلی جانب الشق التعبّدی، فتحریم نکاح النساء فی الإسلام قد وضع للضرر الذی قد ینشأ، و لذلک قدّم اللّه تعالی العلة علی الحکم فی قوله تعالی: قُلْ هُوَ أَذیً فَاعْتَزِلُوا النِّساءَ .... و قد هیمن الظلام الدامس علی العالم الغربی إلی أن تقدم الطب و العلم. و قد اعتقد العلماء أن دم الحیض یحمل سموما و أن هذا السم منتشر فی جسد المرأة من لعاب و عرق ... إلخ و ظل هذا الاعتقاد سائدا بأوجه مختلفة إلی العقد الخامس من القرن التاسع عشر و اللّه أعلم. و من ثمّ اختلف العلماء إلی أقسام شتی، فبینما أبدی علماء کثیرون شکهم من النظرة المعاصرة، ظل علماء آخرون یقیمون الندوات و الدراسات التی تؤید النظرة القدیمة، و سلک علماء آخرون مسلکا جدیدا و هو أن مکان الجماع آمن، و ذهبوا إلی حد التحذیر من أن غسل الفرج یشکل مخاطر جدیة!!!، و الإسلام قد أشار إلی الحقیقة منذ زمن بعید: و هو أن دم الحیض لیس فی طبیعته سامّا، غیر أن ظروف الوقت و الزمان تجعل منه ضارا لأسباب علمیة سنلقی علیها الضوء فی النص التالی -

- و سبب اختلافهم: هل إباحة الصلاة لها هی رخصة لمکان تأکید وجوب الصلاة، أم إنما أبیحت لها الصلاة لأن حکمها حکم الطاهر؟ فمن رأی أن ذلک

رخصة لم يجز لزوجها أن يطأها، و من رأى أن ذلك لأن حكمها حكم الطاهر أباح لها ذلك، و هى بالجملة مسألة مسكوت عنها. و أما التفريق بين الطول و لا طول، فاستحسان. (بداية المجتهد و نهاية المقتصد لابن رشد، الباب الثالث، المسألة الخامسة [وطء الحائض المستحاضة]، ص ۵۶- ۵۷). و كما أشرنا إليه سابقا فإن العلم الكونى يعتبر أداة ترجيح للمسائل الفقهية المختلف فيها فى مجال الإعجاز العلمى فى القرآن و السنة، و من هذا الباب نقول- و باللّه التوفيق-: إن مذهب الجمهور فى وطء المستحاضة، ما خلا فى الوقت الذى تظن أنه وقت حيض، هو الصواب، و الله تعالى أعلم. و ذلك أن دم المستحاضة فى مهبلها غير ملوّث بالكتيريا، و عصويات دودرلين التى هى بمثابة المطهّر موجودة و فعّالة، و بالتالى يجوز شرعا الوطء لانتفاء علة الأذى (كما تشير إليه المعطيات العلمية) إضافة إلى المعطيات الشرعية الأخرى (من قياس كما أشار إليه ابن عباس رضى اللّه عنه، و لأن من الصحابة من وطء زوجته حال الاستحاضة و لم يزل من الوحى ما يمنعه، فدلّ ذلك على إجازة الوطء حال الاستحاضة) (انظر تعليقنا على الحديث رقم ۸۷ فى «قسم تخريج الأحاديث وصلتها بالإعجاز»). إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۲۰۱ و من الجدير بالذكر أن الأذى الذى قد ينشأ لا يقتصر على المرأة فقط، فاللفظ قُلْ هُوَ أَذىً ... على إطلاقه، و هذا يعنى أن الضرر قد يلحق بالمرأة و الرجل على حد سواء.

۳- الحقائق العلمية:

۳- الحقائق العلمية: قام طبيب مسلم يدعى محمد عبد اللطيف سعد «۱» عام ۱۹۷۶ م بدراسة تغيرات مجهريات المهبل و درجة التأين الحمضى خلال دورة الحيض؛ قسم انتقاء خمسين من السيدات الخاليات من الأمراض الباطنية و النسائية لتكون مادة للدراسة. و ترددت النساء فرادى على العيادة فى أربع زيارات؛ قبل الحيض و أثناءه و بعده، ثم فى منتصف الدورة الشهرية. و عند كل زيارة أخذت من كل واحدة منهن مسحة من أسفل المهبل، و أعلاه، و خزعة من البطانة الرحمية، ثم عينة من البول، و قيست درجة التأين الحمضى للمهبل. و ثم فحص العينات بعد زرعها فى مزارع مختلفة، و عمل التحليلات المتباينة لبيان جميع أنواع المجهريات فى أسفل و أعلى المهبل، و فى البول، و درست علاقة ذلك بوقت الدورة الشهرية، و درجة التأين الحمضى فى المهبل، و كذلك فى البول. و تبين عند الفحص أن هناك وجود دورة لمجهريات المهبل ليست منفصلة عن دورة هرمونات المبيض، فوجود الجراثيم الضارة من ناحية، و (عصويات دودرلين (ILLICAB NIELREDOD) من ناحية أخرى، يسيران فى خطين متضادين. فعند ما يكثر الواحد يقل الآخر؛ ففى خلال فترة الحيض وجدت الجراثيم الضارة بأعداد رهيبة فى حين اختفت عصويات دودرلين تماما. كذلك تبين أنه أثناء فترة الحيض، وجدت الجراثيم الضارة فى أسفل المهبل فى حين بدا الجزء العلوى منه خاليا منها تماما. أضف إلى ذلك، أن هناك أنواعا أخرى من الجراثيم الضارة وجدت أثناء فترة الحيض، بخلاف تلك الموجودة أصلا، و هذه هى جراثيم مجرى البول و الشرج.

(_____ «۱» ، (۱۹۷۶ ,A.,IMAS ,G .E ,SALBAH F .O ,lidnaK A .A NAMILOS .F .ywanfeH ,.M ,fitaL -lE dbA " eneigyh laurtsnem gninrecnoc weiv cimalsI yfiralc ot hcaorppA nA ,elcyc laurtsnem eht gnirud arolf lanigaV " .ygolocenyG dna scirtetsbO ni eerged .D .M eht rof .ytisrevinU rahzA -lA ,enicidem fo ytlucaf eht ot dettimbus sisehT ,

غير ضارة بطبيعتها، اكتسبت خاصية الضرر وقت الحيض و فى بعض الحالات. كذلك ازدهر طفيل الترايكومونس وقت الحيض، و تكاثر إلى أربعة أضعاف ما كان عليه. و من العجب أنه بدلا من أن يبقى فى أسفل المهبل، مكانه الأثير، فإنه تسلق إلى الجيوب المهبلية فى أعلى المهبل. و وضح من هذه الدراسة أن عصويات دودرلين، توجد بصفة طبيعية فى المهبل، و هى تعتبر الحارس عليه ضد الجراثيم الضارة؛ ذلك أن المهبل حرم من الوسائل الدفاعية الأخرى ضد الجراثيم، إذ تبطّن جدره الداخلية طبقة كثة من النسيج الطلائى الذى لا يحتوى على خلايا إفرازية و لا على أهداب تطرد الجراثيم من القنوات الهضمية و البولية و التنفسية. كذلك حرم المهبل من ميزة الانقباضات و التقلصات التموّجية كما هو الحال فى الأمعاء. و بالتالى فإن عصويات الدودرلين تعتبر وسيلة الدفاع الوحيدة للمهبل ضد الجراثيم الضارة؛ فهى تخلص المهبل من الجراثيم الضارة و تطردها إلى الخارج و تمنع دخولها إلى الرحم، و من ثم إلى القنوات، و بالتالى إلى فراغ البطن الداخلى، و تلك العصويات تعيش على السكر المخزن فى خلايا جدار المهبل. و هذه الخلايا تقع تحت تأثير هرمونات المبيض من ناحيتين: الناحية الأولى: هى نسبة تخزين و تركيز السكر بها؛ حيث وجد أن أعلى نسبة تركيز للسكر داخل تلك الخلايا تكون فى منتصف الدورة الشهرية، و تقل تدريجا مع انخفاض نسبة هرمونات المبيض، حتى تتلاشى تماما قبل الحيض بساعات و أثناءه. الناحية الثانية: هى انفصال هذه الخلايا من جدار المهبل؛ حيث تنفصل هذه الخلايا كجزء من عملية التجديد الدائم، و قد وجد أن أعلى نسبة لانفصال هذه الخلايا تحدث فى منتصف الدورة الشهرية، و من ثم تقل تدريجيا حتى تصل إلى الدرجة الدنيا قبل الحيض بساعات، و من ثم أثناءه. و على ذلك، فإن أعلى نسبة لتركيز السكر فى المهبل تحدث فى منتصف الدورة، و أقل نسبة تحدث قبل الحيض مباشرة، حتى أنها تكون معدومة أثناء الحيض، و بالتالى فإن عصويات دودرلين تصل إلى قمة تكاثرها و نشاطها فى منتصف الدورة، حيث وصل معدلها فى تلك الدراسة إلى (SC) مم ۳، و من ثم تقل و تضعف قبل الحيض مباشرة، و عند حدوث الحيض و نزول الدم، فإن درجة التأين الحمضى للمهبل تتغير من الحامضية إلى القلوية، فتموت تلك العصويات، و يأخذها إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۲۰۳ تيار الدم معه إلى خارج المهبل. و قد وجد أن العصويات توجد فى أسفل المهبل فقط، و أن أعدادها لا تزيد على (۰ .۱ SC) مم ۳ فى الأيام الأولى للحيض، أما فى الأيام التالية، فقد وجد أن المهبل يكون خاليا منها تماما، ذلك لأن تيار الدم قد جرفها إلى الخارج بعد موتها. و فى هذا الوقت بالذات، أى فى وقت الحيض، تكون الفرص كلها سانحة و الظروف كلها مهيأة لنمو و تكاثر و نشاط الجراثيم الضارة، و ذلك لأن عصويات دودرلين تحول السكر إلى حمض اللبنيك، الذى يقتل الجراثيم الضارة، و لأن وجود تلك العصويات يكبل نمو الجراثيم الضارة، و يقف دون نشاطها، و يحول دون تكاثرها، بطريقة ما زال يكتنفها شىء من الغموض. و فى غياب تلك العصويات، و تبدل درجة التأين الحمضى إلى القلوية، تجد الجراثيم فى الدم المرتع الخصب للنمو و التكاثر، ليس هذا فحسب، و إنما تنضم إليها جراثيم الشرج و مجرى البول، و ليس أشد غدرا من جرثومة ضارة. و قد وجد أن هذه الجراثيم الضارة تزداد فى أعدادها و أنواعها وقت الحيض، حيث يصل عددها إلى (SC) مم ۳، و ليس من سبيل يمنع دخولها إلى جدار الرحم المتهتك فى هذا الوقت الحرج، أو نفاذها إلى داخل فراغ البطن، أو اقتحامها للأنسجة الرخوة و البالغة الطراوة، سوى شىء واحد؛ ذلك هو تيار الدم المضاد الآتى من الأعلى إلى الأسفل. و أما بعد انقطاع الحيض، فقد وضح من نتائج الدراسة أن الوسائل الدفاعية الطبيعية غير موجودة بتاتا فى هذه الفترة، ليس هذا فحسب، بل إن مقومات وجودها أيضا من السكر و (درجة التأين الحمضى HP) غير متوافرة، هذا فضلا عن وجود أعداد رهيبة من الجراثيم الضارة فى أسفل المهبل، حيث توقف سيل الدم عنها، و بالتالى توقف جرفها إلى الخارج. ليس من الحكمة إذن فى شىء، و لا من المنطق، فى كثير أو قليل، معاندة الطبيعة باقتحام حاجز الدفاع الوحيد و الباقى للمحيض، ألا و هو عصويات دودرلين، و ذلك بالإيلاج حيث إن القضيب يحمل معه جراثيم ضارة من قبل الرجل، غير الجراثيم التى تتكاثر لدى المرأة فى هذا الوقت، و أنسجة المهبل ضعيفة. و مما يزيد الأمور تعقيدا هو أن جدار الرحم الذى يكون مكونا من عدة طبقات من الخلايا يضعف أثناء الحيض و يصبح جداره رقيقا و مكونا من طبقة رقيقة من الخلايا بدلا من إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۲۰۴ الطبقات العديدة التى نراها فى أوقات الطهر. و بالتالى فإن استعداد الرحم لمقاومة الميكروبات الغازية تقل نتيجة لذلك. و من الجدير بالذكر هنا أن الرحم يتقزّح عند ما يقذف غشاءه المبطن أثناء الحيض، و لذلك، فإن فرص انتقال الميكروبات تزيد. و لا يقتصر الأذى على ما ذكرناه من نمو الميكروبات فى المهبل، مما يسبب التهاب الرحم و المهبل الذى كثيرا ما تطول فترة التهابهما و يصعب علاجهما، و لكن يتعداه إلى أشياء أخرى. فقد تمتد الالتهابات إلى قناتى الرحم فتسدّهما، أو تؤثر على شعيراتهما الداخلية التى لها دور كبير فى دفع البويضة من المبيض إلى الرحم، و ذلك يؤدى إلى العقم أو إلى الحمل خارج الرحم. و قد يمتد الالتهاب إلى قناة مجرى البول، فالمثانة، فالحالبين، فالكلى. و لا يقتصر الأذى على الحائض فى وطئها، و إنما ينتقل الأذى إلى الرجل الذى يطؤها أيضا، فقد وجد أيضا أن طفيل الترايكومونس فى وقت الحيض يتضاعف إلى أربعة أضعاف، و هذا الطفيل وجد فى أعلى المهبل أثناء الحيض متحينا فرصته و مترقبا صيده. و من المعروف أنه يسبب التهابات فى الجهاز البولى و التناسلى للذكر. و من المعروف أيضا أن انتقاله إليه لا يكون إلا عن طريق المباشرة الزوجية، و احتمال الإصابة به قائم فى ذلك الوقت إذا ما حدثت المباشرة. و تنتقل الميكروبات السبحية و العنقودية من قناة مجرى البول إلى البروستاتا و المثانة. و التهاب البروستاتا سرعان ما تطول فترته لكثرة قنواتها الضيقة الملتفة و التى نادرا ما يصلها الدواء بكمية كافية لقتل الميكروبات المختفية فى تلافيفها. فإذا ما طالت فترة التهاب البروستاتا، فإن الميكروبات سرعان ما تغزو بقية الجهاز البولى و التناسلى فتنتقل إلى الحالبين و منه إلى الكلى. و قد ينتقل الميكروب من البروستاتا إلى الحويصلات المنوية فالحبل المنوى فالربخ فالخصيتين، و قد يتسبب ذلك بإحداث عقم نتيجة انسداد قناة المنى أو التهاب الخصيتين. كما أن الآلام المبرّحة التى يعانيها المريض فى العقم تفوق ما قد ينتج عن ذلك الالتهاب «۱». إن عدم وجود الجراثيم فى أعلى المهبل، هو الدليل القاطع على أن دم الحيض لا يحمل سمومـــــا، و كمـــا وضـــح مـــن الدراســـة فـــإن عـــاملى الـــوقت و المكـــان تجعل (_____ «۱») كتاب خلق الإنسان بين الطب و القرآن، د. محمد على البار، ص ۱۰۰- ۱۰۴، بتصرف. إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۲۰۵ من الدم مؤذيا كما نص عليه القرآن الكريم و السنة الشريفة. و الطريقة المثلى للتعامل مع هذا الوضع هى انتظار انقطاع الدم، أى انتظار الطّهر، و من ثم التطهّر بالماء. و قد وضح سابقا أن ذلك يزيل الجراثيم الضارة فى الوقت الذى لا يوجد فيه تيار سائل جار لغسلها طبيعيا، و يهيئ أيضا الظروف الطبيعية لوجود عصويات دودرلين مرة أخرى. و هكذا يتبين لنا الإعجاز العلمى فى انتقاء كلمة «المحيض» من بين المفردات الأخرى و كيف أن التعاليم الإسلامية هى الطريقة المثلى، لخلاص البشرية من همومها و ظلامها.

۴- مجموع الإعجازات (أو الإشارات) العلمية فى مجال الحيض:

۴- مجموع الإعجازات (أو الإشارات) العلمية فى مجال الحيض: و ختاما يمكننا أن نلخّص مجموع النقاط التى تتضمّنها الآيات الكريمة و الأحاديث الشريفة، حتى يتضح لنا حجم الإعجاز العلمى فى ذلك: ۱- ازدياد مكونات الرحم. ۲- غيض الرحم من جراء الحيض. ۳- احتواء الرحم على عروق. ۴- خروج الدم من العروق فى حالة الحيض فقط، و ليس من سواها خلال الدورة الرّحمية (ما

عدا حالة الاستحاضة- و هی حالة مرضیة-). ۵- خروج الدم من خلال تشققات فی العروق. ۶- اختلاف دم الحیض و دم الاستحاضة (عند خروجهما من المهبل، و لیس عند خروجهما من العروق). ۷- سواد دم الحیض. ۸- رائحة دم الحیض المتمیزة. ۹- معرفة دم الحیض (من قبل النساء و الأطباء من خلال مقداره، و مکوّناته ... إلخ). ۱۰- علاقة الزمان و المکان بالأذی الذی قد ینجلّی فی المحیض. ۱۱- التصرف المثالی للزوجین لتجنب الأذی المتولد فی المحیض. و مجدّدا تتوالی النبوءات علی لسان هذا النبی الأمّی صلّی اللّه علیه و سلّم لترفع رایة العلم و لتعزّز معرفة الأطباء. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۰۶

الإجهاض المبکّر

الإجهاض المبکّر ◄ قال صلی اللّه علیه و علی آله و سلم: «إذا وقعت النطفة فی الرحم بعث اللّه ملکا فقال: یا رب: مخلّقة أو غیر مخلّقة؟ فإن قال: غیر مخلقة مجّتها الأرحام دما، و إن قال: مخلقة، قال: یا رب: فما صفة هذه النطفة؟». [رواه الطبری ح ۳۲]. ◄ قال صلی اللّه علیه و علی آله و سلم: «النطفة إذا استقرت فی الرحم جاءها ملک فأخذها بکفّه، فقال: أی ربّ: مخلّقة أم غیر مخلّقة؟ فإن قیل غیر مخلقة لم تکن نسمة و قذفتها الأرحام دما» [أخرجه ابن أبی حاتم ح ۳۳]. یعرف الإجهاض أو السقط فی الطب بأنه خروج محتویات الحمل قبل مرور ۲۰ أسبوعا تحسب من آخر حیضة حاضتها المرأة. قبل أن نسترسل فی تفسیر الحدیثین نفید بأنهما یختصان بنطفة الأمشاج إذ إن النطفة غیر الملقحة غیر قابلة للتخلیق: فلا معنی لأن یرسل اللّه سبحانه و تعالی ملکا لیسأله هل ستتخلق النطفة أو لا- انتهینا فی المقطع السابق إلی أن البویضة الملقحة ترحل من فم الأنبوب إلی داخل الرحم حیث تقع هناک: ترى ما ذا یحصل آنذاک؟. فالواقع أن هناک احتمالا کبیرا بأن تجهض المرأة بویضتها بعد أن تقع علی سطحها. فهنا لکل ۴۵٪ من الحالات تجهض الأم فیها نطفة الأمشاج- التی انقسمت عدّة مرات و أصبحت تسمی باللغة العلمیة: (الکرة الجرثومیة TYCOTSALB)- فی الأسبوع الأول من الحمل بعد أن تقع علی سطحها و ذلک لأسباب عدة، منها: کما یؤکده لنا الدکتور لارس هامبرغر «۱»، قائلا: «إن هناک کثرة من المورثات غیر سلیمة (فی البویضة) أو أنّ هناک مورثات أکثر أو أقل من اللازم» (و ذلک من جراء دخول أکثر من حیوان منوی إلی البویضة) «و بما أن کثیرا من المادة الوراثیة قد دخلت البویضة فبالتالی یتم التطور بطریقة غیر سلیمة. هذا واحد من أسباب الإجهاض المبکر (_____ ۱) کتاب ولد طفل، د. لارس هامبرغر، ص ۶۹. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۰۷ هناک سبب آخر للإجهاض المبکر و هو أمر لیس بالخصوص غیر اعتیادی، و هو (وجود) خطأ فی الترکیبة الوراثیة للحیوان المنوی». کذلک فإن نقصا فی إفراز هرمون (البروجسترون ENORETSEGORP) و هرمون (الأستروجین NEGORTSE) من قبل (جریب البویضة الذی قذف بالبویضة فیما قبل MUETUL SUPROC) هو أحد أسباب الإجهاض التلقائی «۱». إن هذه الظاهرة- ظاهرة الإجهاض للنطفة- التی تحدث عنها الرسول الکریم- علیه الصلاة و السلام- بإعجاز لم تعرف فی الأوساط العلمیة إلا فی الآونة الأخیرة، فالصعوبات من التحقق من أنّ المرأة حامل فی الفترات الأولی من الحمل حالت دون معرفة العلماء أمر الإجهاض المبکّر و ذلک لأن الرحم یقذف البویضة بعد تلقیحها أو بعد انغرازها فیه مباشرة (أی فی فترة «الحرث» التی تلی) ... و یکون ذلک فی موعد الحیض فلا- تفطن المرأة إلی أنها حملت أصلا ... و قد تتأخر حیضتها بضعة أیام ثم تأتی العادة الشهریة فتظن المرأة أن حیضتها قد تأخرت لأیام فقط و لا تفطن إلی وجود حمل «۲»، فمن حالات الإجهاض ال ۴۵٪ التی أسلفنا ذکرها، ۳۰٪ لا- تفطن فیها المرأة إلی أنها حامل و ۱۵٪ تعلم بحملها. (_____ ۱) کتاب الإنسان النامی، د. مور و بارسو، ص ۴۲. (۲) کتاب خلق الإنسان بین الطب و القرآن، د. محمد علی البارّ، ص ۴۰۰. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۰۸

مکان مستودع النطف و موقع الإخصاب

مکان مستودع النطف و موقع الإخصاب ◄ قال العلیم الحکیم: ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِی قَرارٍ مَکِینٍ [المؤمنون: ۱۳]. ◄ قال اللّه عزّ و جلّ: أَ لَمْ نَخْلُقْکُمْ مِنْ ماءٍ مَهِینٍ (۲۰) فَجَعَلْناهُ فِی قَرارٍ مَکِینٍ (۲۱) [المرسلات: ۲۰- ۲۱]. ◄ قال اللّه تعالی: یَخْلُقُکُمْ فِی بُطُونِ أُمَّهاتِکُمْ ... [الزمر: ۶]. ◄ قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «إذا وقعت النطفة فی الرحم بعث اللّه ملکا فقال: یا ربّ: مخلّقة أو غیر مخلّقة؟ فإن قال: غیر مخلّقة مجّتها الأرحام دما، و إن قال: مخلّقة قال: یا ربّ: فما صفة هذه النطفة؟». [رواه الطبری ح ۳۲]. ◄ عن عبد اللّه بن بریدة: أن رجلا من الأنصار ولدت له امرأته غلاما أسود، فأخذ بید امرأته، فأتی بها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، فقالت: و الذی بعثک بالحق، لقد تزوّجنی بکرا و ما أفعدت مقعده أحدا، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «صدقت، ... إذا کان حین الولد، اضطربت العروق کلها، لیس منها عرق إلا یسأل اللّه أن یجعل الشّبه له» [أخرجه الحکیم الترمذی ح ۲۲]. ◄ عن ابن عباس مرفوعا: «النطفة التی یخلق منها الولد ترعد لها ... العروق کلّها إذا خرجت وقعت فی الرحم» [أخرجه الدیلمی ح ۲۳]. لقد بیّنا فی مبحث «مستودع النطف» أن مستودع النطف عند الرجل هو البربخ الواقع أعلی الخصیة، و هو عند المرأة المبیض. إن تبیان مکان المستودع إعجاز بحد ذاته و خاصة إن کان یخص الأنثی: فتضاریس مستودع الرجل ظاهرة للعیان و إن کان هذا المستودع واقعا تحت البشرة، أما بالنسبة للمرأة فالرحم منغلق علی نفسه، داخل الجسد و تضاریسه غیر ظاهرة. و إذا افتقدنا الوسائل العلمیة التی تتیح لنا معرفة دقائق الأمور فمن الطبیعی أن نظن أن النطفة تأتی من الرحم نفسه أو أن الرحم یفرزها (أی: أن بطانة الرحم تلفظها بعد أن کانت موجودة کاملة فی داخلها، و بذلک یکون الرحم هو المستودع الذی تتکلم عنه الآیة)- هذا إن علمنا أن هناک نطفة تفرزها المرأة- ذلک أن الرحم یظهر إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۰۹ للعیان مغلقا، و لا سبیل إلی أن یفقه أحد کیف یمکن للنطفة أن تأتی من خارجه إلا إذا تفحص عالم بواسطة مجهر ترکیب الرحم، فعلی سبیل المثال: ظن العالم (هارفی ۱۶۵۱ YEVRAH) م أن الرحم یفرز الجنین و ذلک لعدم تمکنه من مشاهدة تطور الجنین فی المراحل الأولی من تخلقه. نتوقف هنا عند الآیة: أَ لَمْ نَخْلُقْکُمْ مِنْ ماءٍ مَهِینٍ (۲۰) فَجَعَلْناهُ فِی قَرارٍ مَکِینٍ (۲۱) [المرسلات: ۲۰- ۲۱]. فهی تشیر إلی أن الماء المهین، أی المنی یجعل، أی یوضع، فی القرار المکین، أی الرحم، إذ فعل «جعل» یأتی بمعنی «وضع». جاء فی لسان العرب: «جعل: جعل الشیء یجعله جعلا و مجعلا و اجتعله، وضعه ...» «۱». و ما یوضع فی الرحم هو الماء بعد أن یلقح، و الدلیل علی ذلک أن اللّه سبحانه و تعالی قال فی سورة المؤمنون: ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِی قَرارٍ مَکِینٍ. و هذه الآیة تخص النطفة المخصبة لأن سیاق الآیات التی تأتی من بعدها تتکلم عن التخلق البشری، فلو أن النطفة لم تخصب، لم تزد إلی تخلق الإنسان، و لما تکلم اللّه تعالی فی الآیات اللاحقة فی سورة المؤمنون عن تخلق العلقة من النطفة کما جاء فی قوله عزّ و جلّ: ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِی قَرارٍ مَکِینٍ (۱۳) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً [المؤمنون: ۱۳- ۱۴]». و لقد أکّد المولی عزّ و جلّ فی موضع آخر من القرآن الکریم أن النطفة التی یتخلق منها الجنین هی النطفة المخصبة فی قوله سبحانه و تعالی: إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ. و کما أسلفنا القول فإن الآیة رقم ۱۳ من سورة المؤمنون تشیر إلی أن النطفة المخصبة تدخل الرحم الموصوف بالقرار المکین باستعمال لفظ (ثم جعلناه ... فی قرار ...)، فلو أن النطفة کانت فی القرار لم تکن لتجعل فیه، و هذا یدل علی أن النطفة المخصبة تأتی من خارج الرحم. و الحدیث رقم ۳۲ یؤکد هذا بواسطة مصطلح آخر إلا و هو: «إذا وقعت النطفة فی الرحم ...» [رواه الطبری ح ۳۲]. فلو أن النطفة کانت فی الرحم لما وقعت فیه. و هذا یدل علی معجزة معرفة الرسول- علیه الصلاة و السلام- بترکیب الرحم، حیث إن الرحم متصل بقناة فالوب التی تتلقی البویضة من المبیض- مستودع النطفة-، فالوقوع فی الرحم یلزم الخروج من مکانین ثنین؛ ألا و هو «قناة فالوب». (_____ ۱) لسان العرب لابن منظور- مادة «جعل»- (ج ۲/ ص ۳۰۰). (۲) للمزید من التعلیق الرجاء قراءة مبحث «العلقة». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۱۰ و تفید هذه الروایة أیضا بأن الرسول- علیه الصلاة و السلام- یعلم تمام العلم بأن مکان تخصیب البویضة- و بالتالی بدایة التخلق- هو خارج الرحم، و داخل القناة التی تعرف الیوم بقناة فالوب، لأن الآیة و الحدیث یعنیان البویضة المخصبة. فالنطفة عند ما تقع فی الرحم تکون ملقحة، أی جاهزة لأن تتخلق، و إلا لما سأل الملک اللّه سبحانه و تعالی هل یرید أن یخلق البویضة أم لا، وفقا لما جاء فی الحدیث رقم ۳۲ و الذی علقنا علیه فی مبحث «الإجهاض المبکّر». و الحدیث «النطفة التی یخلق منها الولد ترعد لها ... العروق کلّها إذا خرجت وقعت فی الرحم» [أخرجه الدیلمی ح ۲۳]، أوضح دلالة من الحدیث رقم ۳۲ فی أن مکان التخصیب یقع خارج الرّحم، حیث إنه یشیر إلی أن النطفة التی یخلق منها الولد (أی النطفة المخصبة) إذا خرجت (أی إذا خرجت من مکان ما یقع خارج الرّحم و هو قناة فالوب) وقعت فی الرّحم. إلی ذلک فإن القرآن الکریم یشیر بطریقة غیر مباشرة إلی أن الخلق یبدأ من خارج الرحم من خلال قول اللّه تعالی: یَخْلُقُکُمْ فِی بُطُونِ أُمَّهاتِکُمْ ... [الزمر: ۶]. فلو کان الخلق فی الأرحام فقط لقال اللّه- سبحانه و تعالی- نخلقکم فی أرحام أمهاتکم و اللّه تعالی أعلم. و هذه إشارة إلی أن بدء الخلق الذی یتلخص باجتماع الحیوان المنوی مع البویضة و بانصهاره معها یبدأ فی مکان ما خارج الرحم ألا- و هو قناة فالوب. و هذه الحقائق التی أشار إلیها الرسول الکریم صلّی اللّه علیه و سلّم بحق إعجاز علمی، لأن قطر البویضة الملقحة حین تدخل الرحم لا یزید عن ۰٫۷ ملم، و هذا لا یبیح حتی لعالم بیولوجی متمرس أن یفقه من أین تأتی البویضة إلا إذا زوّد بمجهر إلکترونی، و إذا أمضی وقته فی البحث عن المکان الذی تدخل منه النطفة- هذا إن خطر علی باله أن هناک مدخلا للنطفة من خارج الرحم إلی داخله- لأن الرحم یظهر للعین المجردة مغلقا تماما من کل الجهات، و ذلک لصغر مدخل النطفة من قناة فالوب إلی الرحم، حیث إنه لا- یزید قطره عن ۰٫۷ ملم فی الأیام العادیة، و لا عن ۱ ملم عند خروج النطفة منه. فالحاصل أن هذا المدخل یتسع لکی تتمکن النطفة الملقحة من عبوره. نشیر هنا إلی أنّ حدود الرحم لا تشمل قناة فالوب، و ذلک لأن قناة فالوب هی دار ممر و لیست بدار مقر. و الواقع أن النطفة بعد أن تخرج من مستودعها تقع فی قناة فالوب و تهاجر منه إلی الرحم الذی وصفته الآیة الکریمة بدار مقرّ فی قوله تعالی: ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِی قَرارٍ مَکِینٍ. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۱۱ إضافة إلی ذلک فإنّ فعل «جعل» یأتی بمعنی «خلق»، جاء فی لسان العرب «۱»: «جعل: ... و جعل خلق ... و قوله تعالی: وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ کُلَّ شَیْءٍ حَیٍّ [الأنبیاء: ۳۰] أی خلقناه. فإذا أبدلنا فعل جعل بفعل خلق أصبح معنی الآیة: ثم خلقناه نطفة فی قرار مکین، و بالتالی فإن الآیة السابقة تشیر إلی أن الإنسان یخلق ابتداء نطفة و یوضع- و هو یتخلّق- فی الرحم، فالخلق لم یتوقف منذ أن ابتدأ فی قناة فالوب (کما أشرنا إلیه سابقا فی مبحث «انغلاق النطفة و الازدواجیة فی الترکیب») عند تخصیب الحیوان المنوی للبویضة إلی أن یصبح فیما بعد علقة فی الرّحم (أی فی القرار المکین). و من المهم أن ننوّه إلی أنّ اختیار فعل «جعل» له دلالته، فلو صغنا الآیة بفعل «وضع» أو فعل «خلق» لما

استطعنا أن نجمع بين المعانى المختلفة و أن نوصل إلى القارئ المعنى المزدوج، و هذا من الإعجاز البلاغى للقرآن الكريم الذى جاء على لسان الرسول الكريم صلّى اللّه عليه و سلّم حيث قال: «بعثت بجوامع الكلم» [أخرجه البخارى ح ۱۳]. و من المعجزات الإخبارية أيضا: إشارة الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم بطريقة غير مباشرة إلى أن مخرج قناة فالوب الذى يتصل بالرحم يقع عند هاوية و إلا لما وقعت النطفة فى الرحم بل لدخلته. و بعد هذا كله، نستنتج من الحديثين: «... إذا كان حين الولد اضطربت العروق كلها ...» [أخرجه الحكيم الترمذى ح ۲۲] و «إذا وقعت النطفة فى الرحم ...» [رواه الطبرى ح ۳۲] أن عملية اضطراب العروق و بالتالى عملية التقدير تقع خارج الرحم، لأن فى الحديث رقم ۲۲ إشارة إلى أن عملية الاضطراب تقع «إذا كان حين الولد» أى عند تخصيب البويضة، و التخصيب كما أشرنا إليه سابقا فى هذا البحث يقع خارج الرحم فى قناة فالوب وفقا للحديث رقم ۳۲ «إذا وقعت النطفة فى الرحم ...». و الحديث رقم ۲۳ يشير إلى نفس الحقائق التى تحدّث عنها الحديثان رقم ۲۲ و ۳۲ مجتمعين من اضطراب العروق خارج الرّحم و لكن بلفظ أكثر وضوحا: - فالنطفة التى يخلق منها الولد: [دلالة على أن عملية التخصيب قد حصلت]. (_____ ۱) لسان العرب لابن منظور- مادة «جعل»- (ج ۲/ ص ۳۰۱). إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۲۱۲ - ترعد لها العروق كلها: [دلالة على أن عملية اضطراب العروق، و بالتالى عملية التقدير حصلت بعد أن تمت عملية التخصيب]. - إذا خرجت: [دلالة على أن خروج البويضة من مكان ما يقع خارج الرحم (قناة فالوب) حصل بعد أن تمت عملية التخصيب و عملية التقدير و عملية الاضطراب]. - وقعت فى الرّحم: [دلالة على أن وقوع البويضة المخصبة حصل بعد أن تمت العمليات التالية: التخصيب و التقدير و الاضطراب و الخروج من مكان التخصيب]. و من التعليق السابق نرتب مجموع المعلومات عن الرحم و عن العمليات التى تحصل خارج الرحم كالتالى: ۱- مكان مستودع النطف يقع خارج الرحم. ۲- عملية تلقيح البويضة تقع خارج الرحم. ۳- عملية اضطراب العروق تقع خارج الرحم. ۴- عملية التقدير تقع خارج الرحم. ۵- مدخل قناة الرحم الذى يتصل بالرحم يقع عند هاوية. إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۲۱۳

هجرة النطفة من المستودع إلى الرحم

هجرة النطفة من المستودع إلى الرحم * قال سبحانه و تعالى: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ (۵) خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ (۶) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ (۷) [الطارق: ۵- ۷]. * قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «إذا وقعت النطفة فى الرحم بعث اللّه ملكا فقال يا رب: مخلّقة أو غير مخلّقة؟ فإن قال: غير مخلّقة مجّتها الأرحام دما، و إن قال: مخلّقة قال: فما صفة هذه النطفة؟» [رواه الطبرى ح ۳۲]. * قال عزّ و جلّ: وَ هُوَ الَّذِى أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَ مُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ [الأنعام: ۹۸]. هذه المرحلة تقع زمنيا قبل مرحلة «نطفة الأمشاج» و لكن وضعناها بعد مبحث «الإجهاض المبكر» و مبحث «مكان مستودع النطف و موقع الإخصاب» لكى يستطيع القارئ أن يؤلف صورة إجمالية عن الأحداث التى تقع فى بطن المرأة الحامل قبل استقرار النطفة فى الرحم، فيستنتج من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية الدلائل التى تشير إلى هجرة النطفة من المستودع إلى الرحم. نفهم من الآيات الكريمة: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ (۵) خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ (۶) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ (۷) أن الماء المذكور يدفق، و بالتالى فهذا الماء ينتقل من مكان إلى آخر. هذا الماء الذى يدفق يحتوى على البويضة غير المخصّبة و ذلك: ۱- لأن مكونات الماء الدافق مستقاة مباشرة من الأوردة التى تتفرع من المنطقة الواقعة بين الصلب و الترائب «۱»، و أما النطفة المخصبة فهى تتكون من الحيوان المنوى و البويضة «۲». ۲- لأن البويضة المخصبة التى أشار إليها الملك بقوله: «مخلّقة أو غير مخلّقة» فى الحديث «إذا وقعت النطفة فى الرحم بعث اللّه ملكا فقال: يا رب: مخلّقة (_____ ۱) لمزيد من التفاصيل انظر مبحث «الماء و المنى». (۲) لمزيد من التفاصيل انظر مبحث «نطفة الأمشاج». إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۲۱۴ أو غير مخلّقة؟ فإن قال: غير مخلّقة مجّتها الأرحام دما» [رواه الطبرى ح ۳۲] تقع «۱» و لا تدفق. و كما أشرنا إليه سابقا فالبويضة تخرج من المستودع الذى تتكلم عنه الآية الكريمة: وَ هُوَ الَّذِى أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَ مُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآياتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ و تصب فى قناة فالوب «۲». و دفق الماء مهم و ذلك لكى تستطيع النطفة أن تقفز من المبيض إلى قناة فالوب بدون أن تضيع داخل جسم المرأة. و بعد أن تدفق البويضة من المستودع إلى قناة فالوب تخف سرعتها و تجرى ببطء «۳» و يلقحها الحيوان المنوى عملا بالآية الكريمة: إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْناهُ سَمِيعاً بَصِيراً [الإنسان: ۲]، و بالحديث الشريف: يا محمد: مِمّ خلق الإنسان؟ قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «يا يهودى من كلّ يخلق: من نطفة الرجل و نطفة المرأة» [أخرجه أحمد ح ۲۰]، و من ثمّ تعاود النطفة رحلتها إلى الرحم. فالبويضة فى بادئ الأمر تدفق، أى: أنها تخرج بقوة و بسرعة مع ضغط من المستودع إلى قناة فالوب، و من ثمّ تخرج من قناة فالوب و تقع فى الرحم كما جاء فى الحديث الشريف: «إذا وقعت النطفة فى الرحم» [رواه الطبرى ح ۳۲]. فالوقوع فى الرحم يستلزم الخروج من مكان آخر؛ ألا و هو قناة فالوب، و هذا هو ما يشير إليه الحديث: «النطفة التى يخلق منها الولد ترعد لها ... العروق كلها إذا خرجت وقعت فى الرحم» [أخرجه الديلمى ح ۲۳]. و لقد أضاف اللّه- سبحانه و تعالى- الشدة فى وصف خروج الماء (من المبيض)، أما الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم فلم يستعمل الوصف الشديد عند ما حدّثنا عن خروج النطفة (من قناة فالوب) و وقوعها فى الرحم، و هذا يعنى أن سرعة البويضة تخف حسب المعطيات القرآنية و الحديثية. (_____ ۱) فالنطفة غير المخصبة لا- يتخلق منها الولد. و لمزيد من التفاصيل عن أنّ النطفة المشار إليها هى النطفة المخصبة انظر مبحث «مكان مستودع النطف و عملية الإخصاب». و لمزيد من التفاصيل عن عملية وقوع النطفة فى الرحم انظر مبحث «وقوع النطفة فى الرحم». (۲) لمزيد من التفاصيل انظر مبحث «مستودع النطف». (۳) يقول د. لارس هامبرغر فى كتابه ولد طفل، ص ۳۶: «تندحرج البويضة ببطء على سطح طيات الغشاء منتظرة نظيرها الذكرى». إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۲۱۵ و قد ورد فى أكثر من حديث أن النطفة تقع فى الرحم بدون الإشارة إلى أى شدّة فى وقوع النطفة فى الرحم و ذلك للتأكيد على نفى الشدة أثناء وقوعها و اللّه تعالى أعلم. و هذه الأحاديث هى: ۱- «إذا وقعت النطفة فى الرحم بعث اللّه ملكا فقال يا رب: مخلّقة أو غير مخلّقة؟ فإن قال: غير مخلّقة مجتها الأرحام دما، و إن قال: مخلّقة قال: يا ربّ فما صفة هذه النطفة؟ ..» [رواه الطبرى ح ۳۲]. ۲- عن حذيفة بن أسيد رضى اللّه عنه قال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يأذن هاتين يقول: «إن النطفة تقع فى الرحم أربعين ليلة ثم يتصوّر ...» [أخرجه مسلم ح ۴۸]. ۳- عن ابن عباس مرفوعا: «النطفة التى يخلق منها الولد ترعد لها ... العروق كلها إذا خرجت وقعت فى الرحم». [أخرجه الديلمى ح ۲۳]. فإذا خفت سرعة البويضة لزم منها أن تمكث فى موقع الإخصاب مدة من الزمن لا يستهان بها. و مما يدعّم هذا المفهوم لفظ «إذا» الذى ورد فى الحديث الشريف: «إذا وقعت النطفة فى الرحم» [رواه الطبرى ح ۳۲]، و «إذا: اسم يدل على زمان مستقبل» «۱»، و هذا يشير إلى ثلاثة احتمالات: ۱- أن النطفة غير المخصبة تمكث فى المستودع حقبة من الزمن، فيستلزم استعمال اسم «إذا» فى صياغة الحديث الشريف للدلالة على مكوث الهيكل الأساسى للنطفة المخصبة خارج الرحم (أى فى المبيض- أو المستودع ...) زمنا طويلا، و هذا يوافق المعنى الذى تشير إليه كلمة «مستودع» أن النطف تمكث فى هذا المكان فترة طويلة «۲». ۲- أن النطفة المخصبة (أو النطفة التى سوف تتخلق) تمكث مدة من الزمن غير يسيرة فى موقع الإخصاب، فيستوجب استعمال اسم «إذا» فى صياغة الحديث الشريف للإشارة إلى بقاء النطفة خارج الرحم فترة طويلة. و مما يدلّ على أن البويضة المخصبة تمكث فى موقع الإخصاب زمنا طويلا هو استعمال حرف العطف «ثم (_____ ۱) لسان العرب لابن منظور- مادة «إذا»- (ج ۱/ ص ۳۰۱). (۲) لمزيد من التفاصيل انظر مبحث «المستودع». إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۲۱۶ الذى يفيد الترتيب و التراخى «۱» فى النص القرآنى: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ (۱۲) ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِى قَرارٍ مَكِينٍ (۱۳) [المؤمنون: ۱۲- ۱۳]. ففى هذا النص ترى أن اللّه تعالى ذكر ابتداء مرحلة السلالة، و هو بذلك استثنى مرحلة مكوث النطفة غير المخصبة فى مستودعها لأنه تكلم عن السلالة (أى النطفة التى انسلت- أى خرجت- من مستودعها)، و من ثمّ فصل بين مرحلة السلالة و مرحلة نطفة الأمشاج فى القرار المكين- أى فى الرّحم-، بحرف العطف «ثم»، مما يشير إلى أن النطفة غير المخصبة تحتاج إلى زمان غير يسير لتخصّب و من ثمّ لتنتقل من موقع الإخصاب إلى الرّحم. ۳- أن النطفة تمكث فى المستودع مدة طويلة، كذلك فى موقع الإخصاب مما يدعو إلى استعمال اسم «إذا» فى الحديث الشريف لنفس السبب الذى ذكرناه آنفا. و من كلامنا السابق نفهم أن الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم أثبت الحركة الديناميكية للنطفة؛ فهى تدفق (فى موقع التخصيب)، و من ثمّ تقع فى الرحم، و من ثمّ تستقر و تغيض فى الرحم «۲»، و بالتالى أثبت هجرة النطفة من المستودع إلى الرحم. و مفهوم تحرك النطفة بعيد عن متناول الأذهان؛ فلو اتضح للعالم أن هناك نطفة يتخلق منها الجنين فهذا لا يلزم أن تنتقل من مكان إلى آخر، و هذا يدل على إعجاز معرفة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم للأمور غير المرئية فى مجال علم الأرحام فى زمانه. و الواقع أن النطفة تمكث فى قناة فالوب حوالى ثلاثة إلى أربعة أيام تنفق على التوالى كما تشير إليه المعطيات العلمية «۳». إلى ذلك فإن الدفق يستوجب أن يكون المكان الذى يدفق فيه الماء طويلا- و إلا لما سال فيه. و مثال على ذلك: جريان مياه العين، فلو لا طول مجرى العين لما تدفقت و سالت المياه فيه. و مما قلناه نستنتج أن موقع الإخصاب (أى قناة فالوب) طويل بالنسبة إلى البويضة بحيث يستطيع ماء المستودع أن يدفق فيه و بالتالى أن تسير النطفة فيه. و كما (_____ ۱) لمزيد من التفاصيل الرجاء مراجعة مبحث «الأسلوب القرآنى فى استخدام حرفى «ثم» و «الفاء» فى آيات علم الأجنة». (۲) لمزيد من التفاصيل انظر مبحث «غيض النطفة فى الرحم». (۳) كتاب علم الأجنّة الطبى، سادلر، ص ۳۶، انظر أيضا مبحث «انفلاق النطفة و الازدواجية فى التركيب». إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۲۱۷ تعلم يبلغ طول قناة فالوب خمسة عشر سنتيمترا، و أما قطر البويضة فيبلغ ۰۵۵، ۰ ملم «۱» عند خروجها من المبيض، و ۰،۷ ملم عند خروجها من قناة فالوب. إن اختيار الألفاظ (مستودع- دفق- نطفة مخلّقة أم غير مخلّقة- وقوع- رحم) و اختلاف دلالاتها لشدة الحركة أو رخائها (دفق- وقوع) يحدد لنا الصورة الإجمالية التى ترتبط بالنطفة خلال وجودها خارج الرحم؛ فهناك مكان تخصيب (كما تشير إليه عبارتا نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ [الإنسان: ۲] و مُخَلَّقَةٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ [الحج: ۵] و له مدخلان: أحدهما يطلّ على المبيض (أى على المستودع) و الثانى على الرحم، و عبر كل من المدخلين هناك حركة انتقالية للنطفة (دفق- وقوع) مما يشير إلى أن النطفة فى حركة انتقالية مستمرة و إن اختلفت ديناميكية تلك النطفة (كما تشير إليه دلالات كلمات «دافق» و «خرجت» و «وقعت»). و تفصيلا: يتزايد ضغط الجريب الذى يحتوى على البويضة إلى درجة من الضغط تساوى ۱۵ ميليمترا زئبقيا تنفجر عندها حويصلة البويضة و قشرة المبيض فى أضعف نقطة منهما، فتقذف بالبويضة و الخلايا الحامية لها و المحيطة بها و

قلیل من ماء الحویصلة إلی (تلافیف بوق أنبوب الرحم EBUT NAIPOLLAF FO EAIRBMIF) و من ثمّ إلی (قمع قناة فالوب EBUT NAIPOLLAF FO MULUBIDNUFNI) ... إلخ فیتدفق الماء من جراء الضغط المتولد. کذلک مما یحفز الماء علی التدفق هو أن جریب البویضة یفرز مادة تجعل أهداب بوق فالوب تسحب ماء البویضة إلی داخل البوق إلی جانب تقلص عضلات قناة الرحم الذی یحدث هو أیضا ضغطا سلبیا تجاه قناة فالوب، و من ثم تخف سرعة البویضة. و لکن ما یساعدها علی مواصلة مسیرها هو أنه یوجد فی قناة فالوب غابة من الشعیرات الصغیرة تموج موجا، تدفع بالبویضة إلی الأمام «۲». (انظر الصورة رقم: ۵۷). إضافة إلی ذلک تتجمّع الحیوانات المنویة التی نجت من الوسط الحامضی للمرأة و من سائر المعوقات حول البویضة، و یکون عددها حینئذ حوالی الخمسمائة. هذه الحیوانات تحاول- جاهدة- دخول البویضة، فتتسابق فیما بینها و تتزاحم حول حائط البویضة، فترتطم به لکی تشق لنفسها طریقا داخل الجدار، و من ثمّ بنفذ واحد فقط إلی داخل البویضة.

(_____ ۱) کتاب علم الأجنة فی ضوء القرآن و السنة، هیئة الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، ص ۲۳۶. (۲) کتاب ولد طفل، د. لارس هامبرغر، ص ۳۵. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۱۸ (SC) و من الجدیر بالذکر أن ارتطام الحیوانات بجدار البویضة یؤدی إلی دوران النطفة «۱»، فتدور النطفة حول نفسها خلال سیرها فی قناة فالوب إلی الرحم «۲»، (_____ ۱) کتاب ولد طفل، د لارس هامبرغر، ص ۴۶ و ۵۷. (۲) و من الملفت للنظر أن البویضة المخصبة تتبع حرکة دائریة حول محورها خلال هجرتها من المستودع إلی الرحم. فحرکة الدوران هی سنة کونیة أقرها اللّه- سبحانه و تعالی- لسائر المخلوقات. و لعلها تسبّح به الخالق. و قد سنها اللّه تعالی لعباده المسلمین فی دینه الحنیف؛ الإسلام- کما فی الطواف حول الکعبة-. فالآیة لَا الشَّمْسُ یَنْبَغِی لَها أَنْ تُدْرِکَ الْقَمَرَ وَ لَا اللَّیْلُ سابِقُ النَّهارِ وَ کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ [یس: ۴۰] تتحدث عن حرکة الشمس و القمر، و هی تشیر إلی أن کلا منهما یدور فی فلک. و الفلک خط وهمی شبه دائری تسلکه الأجرام السماویة فی حرکتها الدائمة فی السماء. جاء فی تفسیر القرطبی- (ج ۱۵/ ص ۳۳): «و «کل» یعنی من الشمس و القمر و النجوم. «فی فلک یسبحون» أی یجرون. و قیل یدورون». فکلمة «کل» فی الآیة هی للإشارة إلی أن هذه الظاهرة- ظاهرة الدوران فی فلک- مطلقة، أی أنها سمة عامة لیس للشمس و القمر فحسب، بل لسائر الأجرام السماویة و للمخلوقات عامة. و الدلیل علی ذلک ما جاء فی سورة التکویر- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۱۹ و کذلک تدور الحیوانات المنویة حول محور النطفة متبعة حرکة دائریة من جراء دوران النطفة «۱». (انظر الصورة رقم: ۵۸). و عند ما تصل البویضة المخصبة إلی نهایة قناة فالوب من جهة الرحم تنسل عبر مضیق یتوسع تلقائیا لیسمح لها أن تعبره، و بعد أن تعبر البویضة المضیق تقع داخل الرحم. (SC) و من شرحنا السابق فإن الصورة الإجمالیة لمکان التخصیب و لما - _____ فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (۱۵) الْجَوارِ الْکُنَّسِ (۱۶) [التکویر: ۱۵- ۱۶]. جاء فی تفسیر القرطبی- (ج ۱۹/ ص ۲۳۷) فی تفسیر الآیة: «و فی الصحاح: «الخنس: الکواکب کلها»، و جاء فی تفسیر ابن کثیر- (ج ۴/ ص ۴۷۸- ۴۷۹): «و قال ابن جریر: حدثنا ابن المثنی حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماک بن حرب سمعت خالد بن عرعرة سمعت علیا و سئل عن فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (۱۵) الْجَوارِ الْکُنَّسِ (۱۶) [التکویر: ۱۵- ۱۶]؟ فقال: هی النجوم تخنس/ أی تختفی/ بالنهار و تکنس باللیل ... و قال بعض الأئمة: إنما قیل للنجوم الخنس أی فی حال طلوعها ثم هی جوار فی فلکها و فی حال غیوبتها ...». فتلک المخلوقات تدور فی أفلاک لتسبّح اللّه- سبحانه و تعالی- فی خلقه وفقا للآیة: وَ إِنْ مِنْ شَیْءٍ إِلَّا یُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لکِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِیحَهُمْ [الإسراء: ۴۴]. و من الجدیر بالذکر أنها تدور بعکس عقارب الساعة و کأن الدوران عکس عقارب الساعة رکن من أرکان التسبیح. فعلی سبیل المثال: تدور الأرض حول نفسها و حول الشمس عکس عقارب الساعة و الذرات التی تؤلف کل شیء فی الکون لها (نواة SUELCUN)، و تدور حول هذه النواة (جزیئات SNORTCELE) صغیرة عکس عقارب الساعة أیضا. فکل الکواکب و الجزیئات تدور عکس عقارب الساعة و النطفة تدور حول نفسها عکس عقارب الساعة (کتاب ولد طفل، د. لارس هامبرغر، ص ۵۷/ کتاب خلق الإنسان بین الطب و القرآن، د. محمد علی البار، ص ۱۶۴)، و الحیوانات المنویة تدور حول محور النطفة عکس عقارب الساعة، و المسلمون أیضا یطوفون خلال أداء مناسک الحج حول الکعبة فی الحج عکس عقارب الساعة. فبهذا المثل: مثل الدوران عکس عقارب الساعة حول نواة أثناء التسبیح- کطواف المسلمین حول الکعبة، و دوران الحیوانات المنویة حول محور النطفة، و دوران الأرض حول الشمس و دوران المجموعة الشمسیة حول الثقب الأسود- یتجلی لنا تطابق النصوص الدینیة الإسلامیة مع نظام الکون، مما یدل علی أن خالق الکون هو الذی أنزل الدین الحق الذی یتجلی فیه ناموس الکون ألا- و هو الإسلام. (۱) نشیر هنا إلی أن دوران النطفة لم ینتج فقط من جراء ارتطام الحیوانات المنویة بالبویضة، و إنما لوجود شعیرات تبطن مجری قناة فالوب و التی تدفع بالبویضة إلی الأمام (کتاب ولد طفل، د. لارس هامبرغر، ص ۳۵). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۲۰ یحصل «۱» للنطفة خارج الرحم، التی نستطیع أن نجمعها من الدلائل المستقاة من الآیات و الأحادیث، و التی تشیر إلیها المعطیات العلمیة، هی علی الوجه التالی: ۱- انتقال النطفة غیر المخصبة بسرعة من مکان تحفظ فیه النطف (أی من المستودع) إلی مکان طویل (بالنسبة إلی حجم البویضة) هو موضع التخصیب (أی إلی قناة فالوب). ۲- تباطؤ سرعة البویضة. ۳- تخصیب البویضة. ۴- هجرة البویضة إلی عنق قناة الرحم (الذی یتصف بالضیق «۲» کما تشیر إلیه کلمة «سلالة» «۳»). ۵- مکوث النطفة المخصبة حقبة من الزمن فی موضع التخصیب. ۶- خروجها من مکان التخصیب إلی مکان آخر (کما تشیر إلیه عملیة الوقوع). ۷- وقوعها فی الرحم. و هذا یشیر إلی إعجاز معرفة الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم بوحی من اللّه تعالی إلی دقائق ترکیبة الجهاز التناسلی للمرأة، و إلی أحداث تخصیب البویضة، و رحلتها عبر قناة فالوب کما أشرنا إلیه سابقا. و قبل أن ننهی هذا المبحث نود الإشارة إلی أن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم یعلم تمام العلم أن هناک العدید من الحیوانات المنویة، و أن واحدا منها فقط یلقّح البویضة فی نهایة المطاف. و الدلیل علی ذلک قول رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «یا یهودی من کلّ یخلق: من نطفة الرجل و نطفة المرأة» [أخرجه أحمد ح ۲۰] و قوله صلّی اللّه علیه و سلّم: «نطفة الرجل بیضاء غلیظة و نطفة المرأة صفراء رقیقة فأیهما غلبت فالشبه له» [ذکره ابن هشام ح ۶۹]. فکل منهما یشیر إلی أن نطفة واحدة لا غیر تشارک فی تلقیح البویضة مما یعنی إحدی الفرضیتین: إما أن هناک نطفة واحدة فی منیّ الرجل تلقّح البویضة، و إما أن هناک العدید من النطف فی منیّ الرجل، غیر أن واحدة منها فقط تنتخب لتلقیح البویضة. و الفاصل فی هذا الأمر (_____ ۱) لم نتعرض فی هذا البحث للأحداث التی تجری داخل النطفة خلال هجرتها إلی الرحم. لمزید من التفاصیل حول هذا الموضوع الرجاء قراءة مبحث «توقیت أحداث التخلقات فی القرآن و السنة». (۲) لمزید من التفاصیل عن مضیق قناة فالوب انظر مبحث «السلالة». (۳) راجع مبحث «النطفة». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۲۱ نصوص أخری من القرآن و السنّة توضّح هذا الأمر. فإذا أخذنا بمعنی السلالة التی وردت فی الآیة ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ ماءٍ مَهِینٍ [السجدة: ۸]- الخروج من الرحام «۱» (کما رأینا فی مبحث «النطفة»)-، فهمنا أن الآیة تشیر إلی أن هناک العدید من النطف، و إلا لما خرج الحیوان المنوی من الرحام (و بالتالی فإن الفریضة الثانیة هی الصحیحة). و بما أن نطفة واحدة فقط تشارک فی تخلّق البویضة المخصّبة فهذا یعنی أن حیواناً منویا واحدا- فقط لا غیر- یفوز فی هذا السباق، و یهرب من سائر المعوّقات، و ینسل من العدد الهائل للحیوانات المنویة لیلقّح البویضة، تماما کما تشیر إلیه النصوص الشرعیة التی أنزلت من عند من یعلم السرّ فی السماء و الأرض: قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِی یَعْلَمُ السِّرَّ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ کانَ غَفُوراً رَحِیماً [الفرقان: ۶]. (_____ ۱) لسان العرب لابن منظور- مادة «سلل»- ج ۶/ ص ۳۳۸- ۳۴۰. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۲۲

الحرث

الحرث * قال جلّ و علا: نِساؤُکُمْ حَرْثٌ لَکُمْ ... [البقرة: ۲۲۳]. * قال عزّ و جلّ: وَ الْمُطَلَّقاتُ یَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ ... [البقرة: ۲۲۸]. جاء فی لسان العرب «۱»: « (قال) الأزهری: الحرث قذفک الحب فی الأرض لازدراع ...». و فی صحیح مسلم بشرح النووی «۲» فی تفسیر الآیة عن صفة الرحم: «أی موضع الزرع من المرأة و هو قبلها ...». إذا عملیة الحرث المذکورة فی نص القرآن الکریم تشیر إلی زرع الحیة أی النطفة فی قبل المرأة أی رحمها (لمزید من التعلیق علی أن کلمة الحبّ تشیر إلی النطفة راجع مبحث «انفلاق النطفة و الازدواجیة فی الترکیب»). هذه العملیة تحصل فی الیوم السادس. إن النطفة إذا وقعت فی الرحم، إما أن یتقبلها الرحم أو یرفضها. فإذا رفضها حصل حیض و غاض الرحم من جزاء فقدان دمائه، و إذا لم یرفضها علقت بظاهر بطانته و ابتدأ طور جدید یعرف بطور الحرث. تبدأ عملیة الانغراس للنطفة فی بطانة الرحم بما یشبه انغراس البذرة فی التربة بواسطة خلایا تخرج منها تتعلق من خلالها فی ظاهر جدار الرحم. فالحاصل أن الخلایا التی تأتت من الانقسامات المتوالیة (کما رأینا فی مبحث «انفلاق النطفة») تمایز فی بادئ الأمر إلی کتلتین من الخلایا: (کتلة خلایا خارجیة TSALBOHPORHT RO SSAM LLEC RETUO) و (کتلة خلایا داخلیة RENNI LLEC SSAM). (انظر الصورة رقم: ۵۹). (_____ ۱) لسان العرب لابن منظور- مادة «حرث»- ج ۳/ ص ۱۰۴. (۲) صحیح مسلم بشرح النووی- کتاب النکاح- باب جواز جماعه امرأته فی قبلها من قدامها و من ورائها من غیر التعرض للدبر- رقم الحدیث ۱۱۷- ج ۵/ ص ۲۶۲. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۲۳ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۲۴ و من ثم تمایز کتلة الخلایا الخارجیة إلی طبقتین: (کتلة مخلاویة آکلة تواجه ظاهر بطانة الرحم TSALBOHPORTOITYC NYS) و (کتلة مخلاویة موجودة تحت الأولی TSALBOHPORTOTYC). هذه الخلایا الآکلة تخرج من النطفة أو (الکرة الجرثومیة TYCOTSALB) و تعلق بظاهر بطانة الرحم عند القطب الجنینی [أی عند مجموعة الخلایا التی ستؤلف الجنین و التی تسمی: (کتلة الخلایا الداخلیة SSAM LLEC RENNI)]، و من ثم تخترق هذه الأرومة السخدیة ظاهر بطانة الرحم و تبدأ فی الانتشار فی بطانته و یکون هذا (الانغراس NOITATNALPMI) انغراسا جزئیا و هو یشبه کثیرا فی معناه معنی کلمة الحرث. (انظر الصورة رقم: ۶۰). هناک حدث یجب أن لا ننساه و هو: أنه خلال عملیة الحفر یحصل فی بعض الحالات تریف دموی من جراء خروج الدم من الشرایین التی تنقطع حول مکان الحرث. و قد تظن المرأة أن الحیضة قد أتتها، و لکن الواقع أن

هذه الظاهرة تأکید لحملها. و بما أن هذا الأمر (أی نزیف الدم) قد یحصل فی بعض الحالات، و قد تشک المرأة من جرائه بأنها حامل أزال اللّه سبحانه و تعالی هذا الشک بأن أمرها بأن تنتظر ثلاث حیضات بعد طلاق زوجها لها بقوله تعالی: وَ الْمُطَلَّقاتُ یَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ ... [البقرة: ۲۲۸]. و ستتطرق لهذا الموضوع مرة أخری عند کلامنا عن نهایة الأسبوع الثامن (أی بعد مرحلة تخلق اللّحم) لتوضیح بقیة إعجاز الآیات، لأن هذه الآیات تغطی مرحلة تمتد إلی ما بعد مرحلة عملیة الحرث. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۲۵ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۲۶

غیض النطفة فی الرحم و استقرارها

غیض النطفة فی الرحم و استقرارها * قال العلیم الحکیم: اللَّهُ یَعْلَمُ ما تَحْمِلُ کُلُّ أُنْثی وَ ما تَغِیضُ الْأَرْحامُ وَ ما تَزْدادُ [الرعد: ۸]. * عن ابن عمر رضی اللّه عنهما أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «مفاتح الغیب خمس لا یعلمها إلا اللّه: لا یعلم ما فی غد إلا اللّه، و لا یعلم ما تغیض الأرحام إلا اللّه، و لا یعلم متی یأتی المطر أحد إلا اللّه، و لا تدری نفس بأی أرض تموت، و لا یعلم متی تقوم الساعة إلا اللّه» [أخرجه البخاری ح ۳۴]. * قال صلی اللّه علیه و علی آله و سلم: «إن النطفة إذا استقرت فی الرحم أحضرها اللّه تعالی کلّ نسب بینها و بین آدم. أما قرأت هذه الآیة فی کتاب اللّه تعالی: فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ (۸) [الانفطار: ۸]؟» قال: شکّلک» [أخرجه الطبرانی ح ۶۳]. عن مالک بن الحویرث رضی اللّه عنه أن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «إن اللّه تعالی إذا أراد خلق النسمة، فجامع الرجل المرأة، طار ماؤه فی کل عرق و عصب منها، فإذا کان یوم السابع، جمعه اللّه تعالی، ثمّ أحضر له کل عرق له بینه و بین آدم، ثم قرأ: فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ» [رواه الطبرانی ح ۲۱]. إن الآیة: اللَّهُ یَعْلَمُ ما تَحْمِلُ کُلُّ أُنْثی وَ ما تَغِیضُ الْأَرْحامُ وَ ما تَزْدادُ وَ کُلُّ شَیْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ [الرعد: ۸] أتت بعد الآیة: وَ یَقُولُ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَیْهِ آیَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِکُلِّ قَوْمٍ هادٍ [الرعد: ۷]، و کأنها استجابة للکفار بأن یظهر لهم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم آیة تبرهن علی صدق رسالته، فجاء الإخبار مباشرة عن إعجاز علمی خفی، یتحدّث عن ظاهرة غیض النطفة فی ظاهر بطانة الرحم. تمتد هذه المرحلة ما بین الیوم السابع و الیوم الرابع عشر. کما رأینا فی مبحث «ازدیاد الأرحام و غیضها» فإنّ فعل غاض قد یعنی: ۱- نقص من. ۲- دخل فی. فعل غاض بمعنی غار ذکر فی سورة هود وفقا للآیة: وَ قِیلَ یا أَرْضُ ابْلَعِی ماءَکِ وَ یا سَماءُ أَقْلِعِی وَ غِیضَ الْماءُ ... [هود: ۴۴]. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۲۷ فإذا انطبق هذا المعنی علی فعل غاض أصبحت الآیة تعنی: اللّه یعلم ما تحمل کل أنثی و ما تبلغ الأرحام من حمل و ما تزداد منه. هذا المفهوم لفعل غاض یشیر إلی أن شیئا ما یدخل و یغور فی الرحم، و هذا ما یحدث بالفعل، فالنطفة بعد أن تقع علی سطح الرحم و تتعلق به (کما رأینا فی مرحلة الحرث)، یزداد انغرازها عمقا داخل باطن الرحم إلی أن تغمد فیه کلیا «۱» فی الیومین الحادی و الثانی عشر، و من ثم نری انغلاق مکان دخول الکرة الجرثومیة إلی باطن الرحم بالسدادة النسیجیة. (انظر الصورة رقم: ۶۱). و تعرف هذه العملیة بعملیة الانغراس الخلالی. (SC) یتساءل الناس لما ذا یصرح الرسول- علیه الصلاة و السلام- بأنه «لا یعلم ما تغیض الأرحام إلا اللّه» [أخرجه البخاری ح ۳۴] و قد توصّل العلماء فی عصرنا هذا إلی معرفة ما یحدث فی الأرحام؟، الجواب: أن هؤلاء الناس غفلوا عن أن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم استعمل کلمة «تغیض». هذه الکلمة تدل علی حدوث الانحطار أو الانغراس فی سطح الأرحام. فالحاصل أن معرفة الناس ستقتصر علی معرفة تفاصیل مراحل تخلق الجنین ما بعد مرحلة الغیض لا قبلها، و إلا لم یکن اللّه لیعلن أن الناس سیکتشفون ما سیحدث فی الأرحام وفقا للآیة التی ذکرناها آنفا فی مبحث «التحدی»: سَنُرِیهِمْ آیاتِنا فِی الْآفاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ [فصلت: ۵۳]. و هذا یعنی أن علمهم سیکون محدودا وفقا لما حدده الحدیث الذی أوردناه سابقا.

(_____ ۱) کتاب الآیات العجاب فی رحلة الإنجاب، د. حامد أحمد حامد، ص ۱۰۰. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۲۸ مرحلة الغیض تأتی بعد مرحلة تلقیح النطفة و انقسامها و مرحلة الحرث، و بالتالی فإن الناس لن یعلموا تفاصیل تلقیح النطفة و إلی ما ذا سیؤدی. فلو علم العلماء مواصفات النطفة الملقحة بعد التلقیح لعلموا ما ذا یدخل فی بطانة الرحم. أما ما یجری من عملیات لتخصیب النطفة خارج الرحم، لإجراء التجارب علیها و معرفة تکوینها، فهذه العملیات لا تندرج تحت القاعدة التی أرساها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم (ألا و هی قاعدة الانحطار و الاختفاء عن الأنظار) ذلک لأنهم کسروا هذه القاعدة بإخراج النطفة من مکانها، فمتی أخرجوها استحضروها، و متی استحضروها، فهی حاضرة لا غیب فیها. و کذلک، و للسبب نفسه، لا تندرج النطفة التی تلقّح داخل الرحم تحت عملیة الغیض و تلک التی تستخرج من الرحم لإجراء التجارب علیها و إعادتها ثانیة إلی الرحم. إن النطفة الملقحة التی انقسمت إلی عدة خلایا و التی تغور فی الرحم لا یزید حجمها حینئذ. (أی فی الیوم الثامن) عن ۰٫۷ ملم. هذه النطفة تفقد شکلها تدریجیا و تخرج عن کونها نطفة عند انغرازها فی بطانة الرّحم. فالحاصل أن مجموعة الخلایا التی تتألف منها و التی نجمت عن الانشطارات و الانقسامات المتوالیة التی حدثت بداخلها تتمایز فی بادئ الأمر إلی مجموعتین: کتلة خلایا داخلیة، و کتلة خلایا خارجیة، حیث إن کتلة الخلایا الخارجیة تحیط بکتلة الخلایا الداخلیة من کل جانب، و هی بذلک ما زالت تحتفظ بمظهر القطرة. و لکن ما تلبث أن تتحد کتلة الخلایا الخارجیة ببطانة الرّحم و تفقد النطفة عندئذ هیکلها الخارجی بالکامل، فتخرج عن کونها نطفة، و تبقی الکتلة الداخلیة هی الجزء الأساسی الذی سیتألف منه الجنین. و إذا علمنا أن کتلة الخلایا الداخلیة هی مجموعة هائلة من الخلایا (یقدر عددها بألفین فی الیوم الثانی عشر) توجد فی حیّز من المکان لا یزید طوله فی آخر یوم من مرحلة الغیض «۱» عن ۰٫۸ ملم «۲» داخل بطانة الرحم، فکیف نتصور أن یکتشف ما بداخلها إذا کانت تستخرج من الرحم؟ «۳».

(_____ ۱) أی فی الیوم الرابع عشر و هو الیوم الذی یأتی قبل بدایة مرحلة الازدیاد أو قبل طور الذنب مباشرة (مرحلة رقم ۷ عند اختصاصیی علم الأجنة) حیث یبدأ حجم الجنین بالتطاول و الظهور بشکل ملحوظ. (۲) و هو أکبر طول سیبلغه الجنین فی مرحلة الغیض. (۳) نشیر هنا إلی أن هناک عدة وسائل لتشخیص الحمل فی رحم الأم و لمعرفة حدوث تشوهات خلقیة للجنین، مثل الوسائل: GNILPMAS DOOLB, YHPARGOTEF DNA YHPARGOINMA, YASSA NIETORPOTEF AHPLA, SISETNECOINMA, CITSONGAID, YPOCSOTEF, DROC LACILIBMU SUOENATUCREP ... إلخ، غیر أن هذه الوسائل لا تتیح معرفة خصائص الجنین کاملة، و قد ینتج- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۲۹ من الأمثلة التی تدل علی أن مراحل النطفة قبل أن تغور فی الرحم هی أسرار إلهیة الأمر التالی: تنقسم النطفة الأنثویة کما أسلفنا القول إلی عدة خلایا بعد أن تلقح من قبل الحیوان المنوی، هذه الخلایا تکون متشابهة تماما إلی أن یصبح عددها ثمانی خلایا، أی إلی أن تصبح البویضة الملقحة فی مرحلة ما یسمی (بالتوتة ALUROM)، و من ثم تتمایز الخلایا شیئا فشیئا و تستمر بالانفلاق إلی أن یقارب عددها الخمسین، عندئذ تنقسم مجموعة الخلایا (و هی مستمرة بالانفلاق) إلی جزءین: واحد سوف یؤدی إلی تخلق الجنین (و یسمی: کتلة الخلایا الداخلیة)، و الثانی إلی تخلق (المشیمة ATNECALP) (و یسمی: کتلة الخلایا الخارجیة). و من ثم تتمایز کتلة الخلایا الداخلیة (التی ستؤلف الجنین فیما بعد) إلی ثلاث طبقات من الخلایا: أ- الطبقة الخارجیة و تدعی: الأکتودرم، ب- الطبقة المتوسطة و تدعی: المیزودرم، ج- الطبقة الداخلیة و تدعی: الأنتودرم. أما کیف تعلم کل خلیة إلی أی فریق تنضم إلی کتلة الخلایا الداخلیة أم إلی کتلة الخلایا الخارجیة؟ إلی طبقة الأکتودرم أم إلی طبقة المیز و درم أم إلی طبقة الأنتودرم؟ و أی عضو ستساهم فی تخلیقه؟، فهذا الأمر ما زال مبهما إلی الآن. یقول الدکتور لارس هامبرغر شاهدا علی هذه المسائل: «إن هذا هو أحد أسرار الحیاة الذی ما زال یحیّرنا، و هو محط أبحاث علمیة واسعة» «۱» ۲۰ - _____ ۱. عنها بعض المضاعفات المؤذیة للجنین. کما أن الأطباء لا یستطیعون إجراءها إلا بعد مرحلة متأخرة عن مرحلة التلقیح. و من أفضل الوسائل لتشخیص الحمل ما یسمی بوسیلة (أخذ عینة من خملات المشیمة GNILPMAS SULLIV CINOIROHC) (کتاب الإنسان النامی، د. مور و بارسو، ص ۱۲۰- ۱۲۳) حیث یأخذ عینة من (خملات المشیمة YLLIV CINOIROHC) التی لها نفس الترکیة الوراثیة للجنین، و تتم دراستها. و مع ذلک فهناک احتمال أن تکون ترکیبة الخلیة الوراثیة للعینة المأخوذة مختلفة عن ترکیبة الجنین الوراثیة (کتاب ولد طفل، د. لارس هامبرغر، ص ۱۸۸). و بالتالی فقد تعطی هذه الوسیلة معلومات خاطئة، إضافة إلی أنها تعتمد علی إخراج عینة من مشیمة الجنین من الرحم، و هذا یعنی أن قاعدة الغیض التی تحدثنا عنها فی هذا المبحث قد اخترقت، و کذلک فهی لا تجری إلا بعد مضی سبعة أسابیع علی الحمل، أی بعد تسعة و أربعین یوما، و هذه الفترة تتخطی فترة الغیض التی یعملها الحدیث الشریف: «و لا یعلم ما تغیض الأرحام إلا اللّه» [أخرجه البخاری ح ۳۴]، و هی فترة الأیام الأربعة عشر الأولی من الحمل. و علی کل حال، حتی و لو تطور الطب و استطاع الأطباء أن یأخذوا عینة من خملات المشیمة فی وقت باکر من الحمل، فلن یستطیعوا أن یأخذوها قبل مضی ثلاثة إلی أربعة عشر یوما من مرحلة التلقیح، أی فی فترة الغیض، و ذلک لأن خملات المشیمة لا تتخلق قبل هذا الوقت (لمزید من التفاصیل: کتاب الإنسان النامی، د. مور و بارسو، ص ۵۰- ۵۲). (۱) کتاب ولد طفل، د. لارس هامبرغر، ص ۶۶. و انظر کتاب علم الأجنة الإنسانی، ص ۱۹۶. (۲) نتوقف هنا عند النصوص الشرعیة الثلاثة، لکی نستنبط أبعاد دلالاتها وفق القواعد اللغویة و النصوص- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۳۰ - _____ الثلاث هی: - ۱- قال اللّه تعالی: إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ یُنَزِّلُ الْغَیْثَ وَ یَعْلَمُ ما فِی الْأَرْحامِ وَ ما تَدْرِی نَفْسٌ ما ذا تَکْسِبُ غَداً وَ ما تَدْرِی نَفْسٌ بِأَیِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِیمٌ خَبِیرٌ [لقمان: ۳۴]. ۲- قال عزّ و جلّ: اللَّهُ یَعْلَمُ ما تَحْمِلُ کُلُّ أُنْثی وَ ما تَغِیضُ الْأَرْحامُ وَ ما تَزْدادُ وَ کُلُّ شَیْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ [الرعد: ۸]. ۳- الحدیث الشریف: «مفاتح الغیب خمس لا یعلمها إلا اللّه: لا یعلم ما فی غد إلا اللّه، و لا یعلم ما تغیض الأرحام إلا اللّه، و لا یعلم متی یأتی المطر أحد إلا اللّه، و لا تدری نفس بأی أرض تموت، و لا یعلم متی تقوم الساعة إلا اللّه» [أخرجه البخاری ح ۳۴]. و إذا أردنا أن نفهم إلی ما ترمی إلیه النصوص الشرعیة من غیض و ازدیاد و حمل، فعلینا أن نلقی الضوء إلی وظائف «ما» و تتقید بوظائفها، و بصیاغة النصوص، و معانی الکلمات التی وردت فیها. فمن وظائف کلمة «ما» أن تکون اسما موصولا- أو أن تکون مصدریة. فإذا کانت مصدریة: فهی تصیّر الفعل الذی بعدها فی تأویل المصدر (رصف المبانی فی شرح حروف المعانی، للمالقی، تحقیق أحمد خراط، ط ۲، دار القلم، دمشق، ۱۴۰۵ هجریة، ص ۲۶۵). کما أن دلالتها لا تخلو من إبهام (انظر «نتائج الفکر» للسهیلی، تحقیق محمد إبراهیم البنّا، طبعة الریاض، ص ۱۴۱). أما إذا کانت اسما موصولا: فمن استعمالاتها أنها ترد لغیر العاقل أو لصفات (العالم أو العاقل)، و للمبهم أمره، أی المجهول ماهیته و حقیقته (و لهذا یقال لحقیقة الشیء ماهیته، و هی منسوبة إلی «ما» و علی هذا

معنی ماهیة الشیء نسبة إلی «ما» (انظر «شرح الراوی» للرضی- القسم ۲- المجلد ۱- ص ۲۵۹- ۲۶۰). و قد ذکر بعض العلماء أنها اسم مبهم فی غایة الإبهام (البرهان فی علوم القرآن للزرکشی، ج ۴/ ص ۳۹۸). و تفید «ما» العموم إذا کانت معرفة نحو: هات ما رأیت (البحر المحیط فی أصول الفقه، لبدر الدین محمد بن بهادر الزرکشی الشافعی، ج ۳/ ص ۶۲)، (و هی هاهنا معرفة بکونها تدل علی ما فی الأرحام)، و قد ذکرها الزرکشی أیضا فی «صیغ العموم» (طبعة مصر، تحقیق د. عمر سلیمان الأشقر، ص ۸۳)، و أنها من الأسماء المبهمة التی تقتضی العموم. و هی اسم للواحد و الجمع و المؤنث علی حدّ واحد («مفردات ألفاظ القرآن» للراغب، ص ۷۸۴، و انظر «البرهان فی علوم القرآن» للزرکشی، ج ۴/ ص ۳۹۸). فإذا ارتکزنا علی تلک الوظائف انضبط تفسیرنا للنصوص الشرعیة، و تبیّن لنا المراد من الدلالات. فإذا اعتبرنا أنها اسم موصول: فمعنا أن الآیة: إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ یُنَزِّلُ الْغَیْثَ وَ یَعْلَمُ ما فِی الْأَرْحامِ وَ ما تَدْرِی نَفْسٌ ما ذا تَکْسِبُ غَداً وَ ما تَدْرِی نَفْسٌ بِأَیِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِیمٌ خَبِیرٌ [لقمان: ۳۴] تشیر إلی عموم الحمل: من ذکر أو أنثی، من سوی أو غیر سوی، من حمل لجنین واحد، أو اثنین، أو أکثر. کذلک فهمنا أنها تشیر إلی الحمل غیر العاقل (کما أشرنا إلیه سابقا)، أو العاقل و غیر العاقل سواء، و لکن لیس للعاقل فقط.- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۳۱

- _____ و الدلیل أنها تشیر إلی غیر العاقل

أقوال علماء اللغة کما رأینا سابقا. أما الدلیل علی أنها تشیر إلی العاقل و غیر العاقل فهو الآیات القرآنیة نفسها کما فی: لِکَیْ لا یَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ یَعْلَمُ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ [المائدة: ۹۷]. ف «ما» فی السموات و الأرض عاقل و غیر عاقل. و أما الدلیل أنها لا تستعمل للعاقل فهو أن کلمة «من» تستعمل فی هذه الحالة بدلا عنها. و بالفعل فإن الحمل یکون فی البدایة غیر عاقل، و ذلک قبل نفخ الروح فیه. و من ثم یصبح عاقلا بعد نفخ الروح فیه، فیناسب بذلک أن تأتی «ما» فی الآیة: إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ یُنَزِّلُ الْغَیْثَ وَ یَعْلَمُ ما فِی الْأَرْحامِ وَ ما تَدْرِی نَفْسٌ ما ذا تَکْسِبُ غَداً وَ ما تَدْرِی نَفْسٌ بِأَیِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِیمٌ خَبِیرٌ [لقمان: ۳۴]. أما بالنسبة للآیة: اللَّهُ یَعْلَمُ ما تَحْمِلُ کُلُّ أُنْثی وَ ما تَغِیضُ الْأَرْحامُ وَ ما تَزْدادُ وَ کُلُّ شَیْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ [الرعد: ۸]، ففی حالة کون «ما» اسما موصولا أصبح معناها: اللّه یعلم ما تحمل کل أنثی، و ما یغیض فی الأرحام من حمل، و ما یزداد منه. فی هذه الحالة نفهم أن الحمل فی مرحلة الغیض یکون غیر عاقل، لأن الروح لم تنفخ فیه، أما فی مرحلة الازدیاد فیکون فی بدایة الأمر غیر عاقل، و من ثمّ یصبح عاقلا، و ذلک أن مرحلة الازدیاد تبدأ من الیوم الثالث أو الرابع عشر، و الجنین لم ینفخ فیه الروح بعد، و لا ینفخ فیه الروح إلا بعد الیوم الأربعین. و طیلة هذه الفترة- التی تمتد من الیوم الثالث عشر إلی الیوم الأربعین- لا ینفخ فی الجنین روح، و بالتالی فإن هذه الفترة لا- تحتوی علی جنین عاقل. علی خلاف مرحلة الغیض التی لا- یمکن أن تحتوی إلا- الحمل «غیر العاقل»، لذلک غلّبت هذه الصیغة علی صیغة العاقل، حیث إن دلالة «غیر العاقل» بصیغة «ما» تستعمل للدلالة علی العاقل و غیر العاقل فی آن واحد، حتی تشمل المرحلتین. أضف إلی ذلک أن «ما» تشیر إلی الحمل المجهول ماهیته و حقیقته. و الذی یفصّل أمر الآیة: إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ یُنَزِّلُ الْغَیْثَ وَ یَعْلَمُ ما فِی الْأَرْحامِ وَ ما تَدْرِی نَفْسٌ ما ذا تَکْسِبُ غَداً وَ ما تَدْرِی نَفْسٌ بِأَیِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِیمٌ خَبِیرٌ [لقمان: ۳۴] هو الآیة: اللَّهُ یَعْلَمُ ما تَحْمِلُ کُلُّ أُنْثی وَ ما تَغِیضُ الْأَرْحامُ وَ ما تَزْدادُ وَ کُلُّ شَیْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ [الرعد: ۸]. فصیاغة هذه الآیة تلقی الضوء علی أحوال الحمل فی مختلف مراحله المتعدّدة و ذلک من خلال الأفعال التی جاء ذکرها فیها. فالحمل یکون مجهول الماهیة فی بادئ الأمر جد الجهل وفقا لمعنی کلمة «غاض»: اختفی، نقص ... التی وردت فی الآیة. و هذا الجهل فی الماهیة یکون مطلقا بالنسبة للبشر باعتبار الحدیث الشریف: «مفاتح الغیب خمس لا یعلمها إلا اللّه: لا یعلم ما فی غد إلا اللّه، و لا یعلم ما تغیض الأرحام إلا اللّه، و لا یعلم متی یأتی المطر أحد إلا اللّه، و لا تدری نفس بأی أرض تموت، و لا یعلم متی تقوم الساعة إلا اللّه» [أخرجه البخاری ج ۳۴]. فالکلمة الاستثنائیة «إلا» قطعت کل معرفة و قصرتها علی اللّه تعالی. ففی هذه النصوص الشرعیة جاء استعمال «ما» التی تدل علی المبهم، و جاء فعل «غاض» الذی یشیر إلی الاختفاء، و وردت الکلمة الاستثنائیة «إلا» لکی یصبح الأمر واضحا أن ماهیة الحمل لا یعلمها إلا اللّه تعالی. و بالفعل فالحمل یکون فی بدایته عبارة عن نطفة جد صغیرة لا تلبث أن تنقسم إلی عدّة خلایا لا یعلم أحد من العلماء إلی الآن إلی ما ستتمایز، و ما ذا ستخلّق من أعضاء. و هذه الوظیفة فی أداء معنی غایة الإبهام لا تعبّر عنه إلا «ما».- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۳۲

- _____ و تماشیا مع وظیفة «ما» فالحمل

یکون مجهولا لغالب الناس فی مرحلة الازدیاد، إلا المختصین و العلماء فی هذا المجال. و لا یصح أن یستدل أن الجهل مطلق لعدم مجیء حرف الاستثناء «إلا» فی مرحلة الازدیاد، و لأن معنی کلمة «ازداد» لا یحتمل الجهل. و هکذا قصر اللّه تعالی اختصاصه بالعلم لما فی الأرحام لمرحلة الغیض دون مرحلة الازدیاد، عبر استعمال اسم الوصل «ما»- الذی یدل علی المبهم-، و استثنی أن یکون العلم بالازدیاد لاختصاصه فقط، و لم ینفه عن عباده. فیفضل هذه الصیاغة شملت النصوص الشرعیة الحمل فی مختلف صوره من ذکر أو أنثی، من فرد أو جمع، و ألفت الضوء علی الإبهام الذی یحیط به، و أحواله من عاقل و غیر عاقل. و قد تکون «ما» استفهامیة، لأنها إذا وقعت بین فعلین، سابقهما علم أو درایة أو نظر، جاز فیها الخبر بکونها اسما موصولا کما تقدّم، و جاز فیها الاستفهام (انظر البرهان فی علوم القرآن للزرکشی، ج ۱/ ص ۱۷۷). و نلحظ فی آیة سورة الرعد، و فی الحدیث الشریف أنها وقعت کذلک. و الأمر فی معناها لا یختلف کثیرا عن معنی «ما» الموصولة، فهی تدل علی العموم، و علی ماهیة الشیء و حقیقته. قال الزرکشی: «و یسأل بها أعیان ما لا یعقل و أجناسه و صفاته، و عن أجناس العقلاء و أنواعهم و صفاتهم» (البرهان فی علوم القرآن للزرکشی، ج ۴، ص ۴۰۲). أما إذا کانت «ما» مصدریة فیصبح المعنی: اللّه یعلم غیض الأرحام و ازدیادها، فی إشارة إلی محتوی الرحم من مختلف الأعضاء من دم، و غشاء، و غدد رحمیة ... إلخ. و کما تملیه علینا وظیفتها، فهی لا تخلو من إبهام. و یتمثّل الإبهام فی الغیض: أنه یکون لمختلف أعضاء الرحم بدون تحدید من غشاء و دماء و غیر ذلک. کما أن الإبهام یکون فی أن الغیض و الازدیاد یکونان فی صورة دینامیکیة. فالغیض لا یحصل دفعة واحدة، و لا یبرز بجلاء فی بدایة الأمر، و إنما یکون تدریجیا، و تنزف الدماء بکمیات مختلفة، و تتقطع أعضاء الرحم علی مراحل، و یکتمل معنی الغیض فی المآل. کذلک فالازدیاد یتم تدریجیا، و یظهر فیه جهاز معقّد من الأوردة ... (انظر کتاب «الإنسان النامی» للدکتور کیث مور، ص ۳۱). و بفضل استعمال «ما» نستطیع أن نصرف الغیض إلی وجهین: إلی النطفة فی الرحم، أو إلی غیض الرحم بالدماء و الغدد الرحمیة ... إلخ. و لو استعمل حرف «من» بدلا من حرف «ما» لما استطعنا أن نصرف معنی الآیة للرحم نفسه و لمکوّناته، لأن حرف «من» لا یدل علی غیر العاقل، و لا یکون للمصدر، و لما کانت الآیة تشیر إلی الکثیر و القلیل، و المعتبر و الممتهن. فلو جاءت الصیغة بحرف «من» لما شملت الحمل فی أی صورة کان، و ذلک أن الحرف «من» لا- یستعمل للممتهن. فالجنین یکون نطفة ممتهنة صغیرة، غیر معتبرة فی بادئ الأمر، لا یکترث إلیها الوالدین کما تشیر إلیه الآیتان: هَلْ أَتی عَلَی الْإِنْسانِ حِینٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ یَکُنْ شَیْئاً مَذْکُوراً [الإنسان: ۱] و أَ لَمْ نَخْلُقْکُمْ مِنْ ماءٍ مَهِینٍ [المرسلات: ۲۰]. و من ثمّ یکبر و یصبح معتبرا، و یعطیه الوالدان کامل الاهتمام کما فی الآیة: فَلَمَّا تَغَشَّاها حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِیفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُما لَئِنْ آتَیْتَنا صالِحاً لَنَکُونَنَّ مِنَ الشَّاکِرِینَ [الأعراف: ۱۸۹].- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۳۳ غیض النطفة فی الرحم یرافقه انتشار واسع (للخلایا الآکلة TSALBOHPORTOITYC NYS) (للکتلة الخارجیة TSALBOHPORHT) فی ظاهر بطانة الرحم، مما یساعدها علی الاستقرار فیه: فهی من جهة محاطة من کل الجهات بجدار الرحم، و من جهة أخری تداخلت خلایاها بالأوعیة الدمویة التابعة لهذا الرحم. لذلک کانت مرحلة الغیض مرحلة استقرار للنطفة. و قد أشیر إلی هذا الاستقرار فی الحدیث الشریف: «إن النطفة إذا استقرت فی الرّحم أحضرها اللّه تعالی فلا یخرج منها شیء إلا بإذنی فیما یریده منها، و لا یموت منها میت إلا بقضائی، و لا یحیا منها حی إلا برزقی» [أخرجه الطبرانی ح ۶۳]. (انظر الصورة رقم: ۶۲). خلال هذه المرحلة تتمیز مجموعة (الکتلة الداخلیة SSAM LLEC RENNI) إلی طبقتین: (طبقة خلایا داخلیة، و طبقة خلایا خارجیة TSALBOPYH TSALBIPE). کما أن الأرومة الغازیة تتصل فی هذه الفترة بأوعیة بطانة الرحم. أما عن معنی الازدیاد الوارد فی الآیة اللَّهُ یَعْلَمُ ما تَحْمِلُ کُلُّ أُنْثی وَ ما تَغِیضُ الْأَرْحامُ وَ ما تَزْدادُ ... [الرعد: ۸]، و الذی یأتی بعد مرحلة الغیض، فهو الزیادة الواضحة فی حجم النطفة بعد أن تغیض فی بطانة الرحم، و الزیادة فی حجم و وزن الجنین بعد ما تتحول النطفة إلی أنبوب عصبی (فعلقة، فمضغة ... إلخ) کما سنری فی النصوص التی سنأتی فی المباحث اللاحقة. و حدیث «إن النطفة إذا استقرت فی الرحم أحضرها اللّه تعالی کلّ نسب بینها و بین آدم» [أخرجه الطبرانی ح ۶۳] یتکلم عن النطفة المخصبة، لأن النطفة غیر المخصبة لا سبیل لها أن تتخلق (حیث إن عدد أعضائها غیر مکتمل لعدم تخصیبها من قبل

- _____ و لذلک وجب أن تأتی الآیة

باستعمال حرف «ما»، و لعدمنا معنی الإبهام الذی تدل علیه «ما» دون «من». و من الجدیر بالذکر أن فعل الغیض، کما تشیر إلیه «ما» بمعنییها (مصدریة و موصولة)، لم یکن معروفا قبل عهد الوحی، حیث إن الإنسان آنذاک لم یکن علی درایة أن النطفة تغور فی ظاهر بطانة الرحم، و جاء الوحی لیکشف اللثام عن فعل الغیض، لا عن صفة الغائض، فیبرز ما سیکتشف فی المستقبل، و یخفی ما لم یستطع البشر أن یحیطوا به توافقا مع وظیفة «ما». و هذا إذا ما دلّ علی شیء، فهو یدل علی إعجاز بیانی یضاف إلی الإعجاز العلمی، و هو کذلک إعجاز إخباری، فتأمّل أیها القارئ! و فی النهایة نقول إن الحکمة من استعمال «ما» فی النصوص الشرعیة تتلخص بأنها: ۱- تعدّد دلالات النصوص الشرعیة (من عاقل و غیر عاقل، و کثیر و قلیل ...)، و تتوافق مع أبعاد النصوص الشرعیة فی کل الأحوال. ۲- تصرف معنی الغیض فی أکثر من اتجاه (إما للحمل، و إما للرحم). ۳- تغلّب بعض الدلالات مثل دلالة غیر العاقل عند ما یحتاج إلیه الموقف. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۳۴ (SC) الحیوان المنوی)، و لا أن تستقر فی الرّحم (حیث أن الاستقرار یتطلب تخلّق کتلة مخلاویة آکلة تمکّن النطفة من التعلّق بظاهر بطانة الرحم)، و لا أن یحضر اللّه لها نسبها (کما سنراه فی طور «الذنب»). فإذا قارنّا بین الحدیثین: الحدیث السابق رقم ۶۳، و الحدیث «إن اللّه تعالی إذا أراد خلق النسمة، فجامع الرجل المرأة، طار ماؤه فی کل عرق و عصب منها، فإذا کان یوم السابع، جمعه اللّه تعالی، ثمّ أحضر له کل عرق له بینه و بین آدم» [أخرجه الطبرانی ح ۲۱] استنتجنا أن الحدیث الثانی یتحدث هو أیضا عن النطفة المخصبة، إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۳۵ و ذلک أن کلا الحدیثین یتکلم عن نفس العملیة- عملیة الإحضار- و قد ورد فی الحدیث الأول لفظ النطفة. کذلک فإن الحدیث الثانی تدور وقائعه فی مرحلة الاستقرار؛ و ذلک أن کلّا من الحدیثین یتکلم عن نفس العملیة- عملیة الإحضار- و قد جاء ذکر الاستقرار فی الحدیث الأول. و جمعا بین التفاسیر السابقة نفهم أن وقائع کل من الحدیثین: رقم ۶۳، و رقم ۲۱، تدور حول استقرار النطفة المخصبة فی الرّحم. و استقرار النطفة المخصبة یحدث عند- أو قبل بقلیل من- عملیة الإحضار وفقا للحدیث الأول «إذا استقرت فی الرحم أحضرها اللّه ...» لأن معنی الحدیث هو کالتالی: عند ما یحین استقرار النطفة یحضرها اللّه ...، و عملیة جمع الجنین أیضا تحدث مباشرة قبل عملیة الإحضار

حسبما جاء فی الحدیث الثانی «فإذا کان یوم السابع، جمعه اللّه تعالی، ثمّ أحضر له کل عرق»، و بالتالی فإن عملیة الاستقرار تحصل فی نفس الفترة الزمنیة التی تحصل فیها عملیة الجمع (و سوف نتحدث عن عملیة الجمع فی مبحث «جمع خلایا الجنین»). و بما أن عملیة الجمع تبدأ بعد الیوم السابع فهذا یعنی أن عملیة الاستقرار تبدأ هی أیضا فی حوالی الیوم السابع من خلال غیض النطفة فی الرّحم حسب المعطیات الشرعیة، و کما أقره العلم تماما. و إنه لمن الإعجاز حقا أن یبیّن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم بدقة وقت استقرار النطفة فی الرحم «۱»! نظرا إلی المدة الطویلة التی یستغرقها الحمل (تسعة أشهر)، و نظرا لکثرة

(_____ ۱) و الحدیث رقم ۶۳ ضعیف جدّا

(راجع «قسم تخریج الأحادیث وصلتها بالإعجاز العلمی»)، فلا یجب نسبته للرسول صلّی اللّه علیه و سلّم (راجع مبحث «تعریف الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة و الأسس التی یرتکز علیها»)، و إن أوردناه هنا فذلک بغیة التفسیر لأنه واضح الدلالة، و یستعاض عنه بالحدیث رقم ۳۳. فلفظ الاستقرار وارد فیه، و معنی التخلّق (أی الترکیب) (الذی یستوجب معنی الإحضار) کذلک، و هو «النطفة إذا استقرّت فی الرّحم جاءها ملک، فأخذها بکفّه فقال: أی ربّ: مخلّقة أم غیر مخلّقة؟، فإن قیل: غیر مخلّقة، لم تکن نسمة، و قذفتها الأرحام دما» [أخرجه ابن أبی حاتم ح ۳۳]. و قد نحتاج أحیانا للاستئناس بالأحادیث الضعیفة جدا لتفسیر أحادیث أخری، و لبیان بعض أبعادها المتخفیة، و لکن ضمن شروط مثل: أن تتعدد الأحادیث حول الموضوع الواحد، و أن نجد بینها أحادیث مقبولة الإسناد تشیر إلی نفس المعنی، بحیث تؤلف مجموعة- لا ریب- صحیحة. فی هذه الحالة یذکر الحدیث الضعیف مع بیان ضعفه (حتی لا ینسب للنبی صلّی اللّه علیه و سلّم)، خصوصا إذا تناول حقائق علمیة غیبیة فی غایة الدقة غیر مألوفة لدی العلماء إبان التنزیل و قبله، و لا مجال لإدراکها من قبل العلماء إلا بوسائل ذات تقنیة عالیة. و هذا الکلام یطبّق علی کل الأحادیث الضعیفة جدّا التی أوردناها فی هذا البحث و التی تنضبط بهذه الشروط. و قد أشرنا فی «قسم تخریج الأحادیث وصلتها بالإعجاز العلمی» إلی الأحادیث التی لها نفس المعانی حتی یتسنّی للقارئ أن یقابل بعضها ببعض. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۳۶ الأحداث المختلفة التی تلاحق فی هذه الفترة. و إنه لمن المدهش أن یشیر إلی أنه ابتداء من هذا التاریخ تحدث عملیتان فی نفس الوقت: «استقرار النطفة»، و «جمع الجنین»! و هذا یدلّ علی أن علمه محیط بکل جوانب و تفاصیل الأحداث التی تحصل للنطفة سواء أ کانت تفاصیل خارجیة (کاستقرار النطفة)، أو داخلیة (کجمع الجنین)، و أنه یعلم تماما التاریخ الذی تحصل فیه هذه الأحداث، و هذا لا یکون إلا بمدد من الذی لا یعزب عنه مثقال ذرة من علم فی السموات أو فی الأرض تأکیدا لما جاء فی الآیة: وَ ما یَعْزُبُ عَنْ رَبِّکَ مِنْ مِثْقالِ ذَرَّةٍ فِی الْأَرْضِ وَ لا فِی السَّماءِ وَ لا أَصْغَرَ مِنْ ذلِکَ وَ لا أَکْبَرَ إِلَّا فِی کِتابٍ مُبِینٍ [یونس: ۶۱]. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۳۷

ملخص المعلومات عن النطف

اشارة

ملخص المعلومات عن النطف بعد أن اطلعنا علی معظم الآیات و الأحادیث التی تتکلم عن النطف، لا بد من مراجعة مجمل المعلومات التی وردت فی هذا المضمار لکی نتیقّن أنه من المستحیل أن یتکلم القرآن الکریم و الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم عن هذه الکمیة من المعلومات الدقیقة بطریق الصدفة، و لا یمکن إلا أن تکون وحیا من الذی خلق الإنسان، و أنار رحلة الإنجاب. إن مجموع الصفات و المعلومات التی نصت علیها الآیات الکریمة، و الأحادیث الشریفة هی:

بخصوص البویضة:

بخصوص البویضة: ۱- تخلق النطف فی مرحلة مبکرة جدا. ۲- اختزان البویضة فی مستودع. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «مستودع النطف»). ۳- صغر حجم البویضة کالقطرة من الماء الذاتیة. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «النطفة»). ۴- تدفق ماء البویضة و قوة الدفع الذاتیة لها. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «الماء»). ۵- انتزاع البویضة من الجرب و إخراجها منه فی رفق. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «النطفة»). ۶- المظهر الرقیق و قلة الکثافة. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «النطفة»). ۷- اللون الأصفر. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «الماء و المنی»). ۸- الانجذاب. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «نطفة الأمشاج»). ۹- السیر السریع أو الدفق. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «النطفة»). ۱۰- الخروج من الرحام. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «النطفة»). ۱۱- البویضة أکبر من الحیوان المنوی. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «اختلاط عروق النطفة»). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۳۸ ۱۲- احتواء البویضة علی صبغیات. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «اختلاط عروق النطفة» و مبحث «معجزة الرؤیة الإسلامیة فی علم الوراثة»). ۱۳- تقدیر النطفة لبنیة الإنسان. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «معجزة الرؤیة الإسلامیة فی علم الوراثة»).

و بخصوص الحیوان المنوی:

و بخصوص الحیوان المنوی: ۱- تخلق النطف فی مرحلة مبکرة جدا. ۲- اختزان الحیوان المنوی فی مستودع. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «مستودع النطف»). ۴- تدفق المنی و قوة الدفع الذاتیة للحیوان المنوی. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «الماء و المنی»). ۵- انتزاع الحیوان المنوی من المنی، و إخراجه منه فی رفق. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «النطفة»). ۶- شدة کثافة الحیوان المنوی. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «النطفة»). ۷- اللون الأبیض للمنی (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «الماء و المنی»). ۸- مظهر و وظیفة السمکة الطویلة. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «النطفة»). ۹- الخروج من زحام و کثرة عدد الحیوانات المنویة. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «النطفة»). ۱۰- عبور مضیق الرحم. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «النطفة»). ۱۱- السیر السریع. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «النطفة»). ۱۲- وظیفة التلقیح. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «نطفة الأمشاج»). ۱۳- احتواء الحیوان المنوی علی صبغیات. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «اختلاط عروق النطفة» و مبحث «معجزة الرؤیة الإسلامیة فی علم الوراثة»). ۱۴- تقدیر النطفة لبنیة الإنسان. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «معجزة الرؤیة الإسلامیة فی علم الوراثة»). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۳۹ ۱۵- الحیوان المنوی أصغر من البویضة. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «اختلاط عروق النطفة»). ۱۶- سبب إذکار و إیناث الجنین. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «معجزة الرؤیة الإسلامیة فی علم الوراثة»).

و بخصوص البویضة الملقحة:

و بخصوص البویضة الملقحة: ۱- خلق البویضة الملقحة من النطفة الأنثویة و الذکریة. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «نطفة الأمشاج»). ۲- تلقیح البویضة خارج مکان الرحم. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «مکان مستودع النطف و موقع الإخصاب»). ۳- اضطراب صبغیات النطفة الملقحة. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «اضطراب عروق النطفة»). ۴- تداخل صبغیات البویضة الملقحة. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «اختلاط عروق النطفة»). ۵- إحضار الشبه و النسب من البویضة الملقحة. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «اضطراب عروق النطفة» و مبحث «معجزة الرؤیة الإسلامیة فی علم الوراثة»). ۶- انفلاق البویضة الملقحة. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «انفلاق النطفة و الازدواجیة فی الترکیب» و مبحث «جمع خلایا الجنین»). ۷- خاصیة الانسیاب. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «اختلاط عروق النطفة»). ۸- خروج البویضة الملقحة من مضیق. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «النطفة»). ۹- وقوع البویضة الملقحة فی الرحم. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «وقوع النطفة فی الرحم»). ۱۰- استضافة البویضة الملقحة، و حمایة نموّها. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «القرار المکین»). ۱۱- انغراس البویضة الملقحة فی الرحم. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «الحرث»). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۴۰ ۱۲- إجهاض البویضة الملقحة. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «الإجهاض المبکر»). ۱۳- غیض البویضة الملقحة فی الرحم. (لمزید من التفاصیل راجع مبحث «غیض النطفة فی الرحم»). من المدهش حقا أن تحتوی الآیات الکریمة، و الأحادیث الشریفة علی معان کثیرة تصف لنا نطف المرأة و الرجل بشکل دقیق و کأننا نظر إلیها!!! إن هذه الآیات لا بد أن تکون أنزلت من لدن رب العالمین، و لا یمکن أن یکون المخبر بها و هو الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم إلا نبیا صادقا یوحی إلیه من اللّه تعالی. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۴۱

جمع خلایا الجنین

جمع خلایا الجنین * عن مالک بن الحویرث أن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «إن اللّه تعالی إذا أراد خلق النسمة، فجامع الرجل المرأة، طار ماؤه فی کل عرق و عصب منها، فإذا کان یوم السابع، جمعه اللّه تعالی، ثم أحضر له کل عرق بینه و بین آدم، ثم قرأ: فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ (۸) [الانفطار: ۸]» [رواه الطبرانی ح ۲۱]. * قال صلی اللّه علیه و آله و سلم: «إن النطفة إذا استقرت فی الرحم أحضرها اللّه تعالی کلّ نسب بینها و بین آدم. أما قرأت هذه الآیة فی کتاب اللّه تعالی: فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ؟ قال: شَکْلَکَ» [أخرجه الطبرانی ح ۶۳]. تقع فترة جمع خلایا الجنین فی فترة مرحلة الغیض، و لکننا وضعنا شرحها فی نص منفصل نظرا لأهمیة الحدث و قوة الإعجاز. تحدثنا فی النص السابق عن المرحلة التی یتکلم عنها هذا الحدیث، و بینا أنها مرحلة غیض النطفة فی ظاهر بطانة الرحم، و بینا أیضا أن عملیة الاستقرار التی ترافق هذه المرحلة تخص نطفة الأمشاج أو ما یسمی (بالکرة الجرثومیة TYCOTSALB). و کما ینص الحدیث رقم ۲۱ هناک عملیة جمع تحصل خلال هذه المرحلة. جاء فی مقاییس اللغة: «جمع: الجیم و المیم و العین أصل واحد، یدلّ علی تضامّ الشّیء» «۱». فإذا کانت النطفة هی المعنیة- کما نلاحظ من خلال الحدیث رقم ۶۳- و قد أتت فی صیغة المفرد، فکیف یحصل لها عملیة جمع إذا؟ و الحاصل أن عملیة الجمع تستوجب عدة أفراد لیحصل فعل الانضمام. فالحاصل أن هذه النطفة- نطفة الأمشاج- انقسمت إلی عدة أجزاء من جراء الانفلاقات التی توالت علیها (کما رأینا سابقا فی مبحث «انفلاق النطفة و الازدواجیة فی الترکیب») و أصبحت فی نهایة الأمر- عند وقوعها و استقرارها فی الرحم- کتلة من الخلایا: کتلة خلایا خارجیة، و کتلة خلایا داخلیة. (انظر الصورة رقم: ۶۳).

(_____ ۱) مقاییس اللغة لابن فارس- (ج ۱/

ص ۴۷۹). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۴۲ (SC) تلک الکتل تکون متصلة بعضها ببعض عند قطب من الأقطاب یسمی: القطب الجنینی (انظر الصورة رقم: ۶۴) و لکن ما تلبث أن تمایز، فتنفصل کتلة الخلایا الداخلیة عن کتلة الخلایا الخارجیة فی الجزء الوسط منها، و ینشأ فیما بینها فراغ یسمی (بالفراغ الأمنیونی YTIVAC CITOINMA) (انظر الصورة رقم: ۶۵)، بید أن أطراف تلک الکتل تظل متصلة بعضها مع بعض. (انظر الصورة رقم: ۶۶). عندئذ یطرأ علی الخلایا الداخلیة تغیرات تؤدی إلی تشکلها علی هیئة قرص مسطح دائری یسمی: (القرص الجنینی CSID CINOIRBME)، حیث إن هذا القرص یظل متصلا بالخلایا الخارجیة عند أطرافه، و من ثم تنفصل تلک الأطراف عن کتلة الخلایا الخارجیة فتنضم خلایا الجنین بعضها علی بعض ضمن هذا القرص المحدد فی الیوم الثالث عشر، و من ثم یبدو مستقلا تماما فی الیوم الرابع عشر. (انظر الصورة رقم: ۶۷). و هکذا یبتدئ جمع الجنین فی الیوم السابع کما یشیر إلیه الحدیث الشریف: «... فإذا کان یوم السابع جمعه الله تعالی ...» [رواه الطبرانی ح ۲۱]، و ینتهی فی الیوم الثالث إلی الرابع عشر. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۴۳ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۴۴ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۴۵ (SC) قبل أن ننتقل إلی النص الآتی نود الإشارة إلی الإعجاز العلمی المستتر فی هذا الحدیث، و مضمونه: أن عملیة الجمع تستوجب أن تکون أفراد العملیة هذه متفرقة وفقا لما جاء فی الحدیث «... فإذا کان یوم السابع جمعه الله ...»، و هذا یشیر بالتالی إلی الانفلاقات التی تحصل للنطفة قبل هذه المرحلة، و إلا لما حصل جمع للخلایا!!! و هکذا یکون الحدیث إشارة إلی أن جسم الإنسان تکون من الخلایا. و هذا مفهوم فی بالغ الأهمیة، یعتبر من أساس العلم الحیوی الحدیث، و قد اکتشفه العالمان شیلدن و شوان عام ۱۸۳۹ م کما سبق أن ذکرنا فی مبحث «ثقافة العالم القدیم و الحدیث فی علم الأجنة»، أی بعد حوالی ألف و مائتی سنة تقریبا!!! إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۴۶

تذکیر بالمراحل الماضیة للنطفة

تذکیر بالمراحل الماضیة للنطفة بعد أن عرفنا أن النطف تأتی من الرجل و المرأة علی حدّ سواء، و أنها تتصهر فتؤلف ما یسمی بنطفة الأمشاج، ننتقل إلی مراحل تخلّق الجنین فی الرحم. نشیر هنا إلی أن الله سبحانه و تعالی وصف لنا تلک المراحل بآیة- آیة رقم ۱۴ من سورة المؤمنون- و قد احتاج العلم لمدة ۲۴۰۰ سنة لیکتشفها (ابتداء من عهد الیونانیین- عهد استعمال المنطق-) إلی عهد قریب، و سنتناول کل مرحلة علی حدها، مؤیدة بکلام الله- سبحانه و تعالی- المتعلق بهذه المرحلة و بأحادیث أخری. قال الله العلیم الحکیم: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِینٍ (۱۲) ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِی قَرارٍ مَکِینٍ (۱۳) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَکَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِینَ (۱۴) [المؤمنون: ۱۲- ۱۴]. و قبل أن ننتقل إلی مرحلة «العلقة»- التی تلی مرحلة «غیض النطفة و استقرارها» السابقة- نود أن نشیر إلی أننا استکملنا التعلیق علی المراحل التی سبقت مرحلة «العلقة» و التی وردت فی الآیة التی سبق ذکرها، و سنستعرضها الآن بشکل سریع حرصا منّا علی أن لا نترک أی جزء من المقطع القرآنی غیر واضح أو مبهم. ◄ قال سبحانه و تعالی: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِینٍ [المؤمنون: ۱۲]. راجع مبحث «بدء الخلق» للتعلیق. ما یضاف إلی التفسیر السابق هو أن النطفة تتخلق فی جسم الإنسان، و بما أن أصل الإنسان من طین بالتالی فإن النطفة طینیة الأصل. ◄ قال العلیم الحکیم: ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِی قَرارٍ مَکِینٍ [المؤمنون: ۱۳]. راجع مبحث «القرار المکین» للتعلیق علی هذه الآیة. ما یشار إلیه هنا هو أن النطفة المعنیة فی هذه الآیة هی نطفة الأمشاج التی سبق أن تحدثنا عنها فی مبحث «نطفة الأمشاج». و أن المراحل التی تأتی بعد مرحلة «نطفة الأمشاج» هی التالیة: انغلاق النطفة، وقوع النطفة فی الرحم، الحرث، غیض النطفة فی الرحم و استقرارها، جمع خلایا الجنین. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۴۷

الذّنب

الذّنب ◄ قال رسول الله- علیه أزکی الصلوات و أطیب التحیات-: «کل ابن آدم یأکله التراب إلا عجب الذّنب، منه خلق و فیه یرکّب» [أخرجه مسلم ح ۳۵]. ◄ و قال رسول الله- صلوات الله و سلامه علیه-: «یأکل التراب کل شیء من الإنسان إلا عجب ذنبه. قیل: و ما هو یا رسول الله؟ قال: مثل حبّة الخردل منه تنبتون» [أخرجه أحمد ح ۳۶]. ◄ و قال رسول الله- علیه أفضل الصلاة و التسلیم-: «لیس من الإنسان شیء إلا یبلی إلا عظما واحدا و هو عجب الذنب، و منه یرکب الخلق یوم القیامة» [أخرجه البخاری ح ۳۷]. ◄ عن مالک بن الحویرث أن النبی صلّی الله علیه و سلّم قال: «إن الله تعالی إذا أراد خلق النسمة، فجامع الرجل المرأة، طار ماؤه فی کل عرق و عصب منها، فإذا کان یوم السابع، جمعه الله تعالی ثم أحضر له کل عرق بینه و بین آدم، ثم قرأ: فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ» [أخرجه الطبرانی ح ۲۱]. هذه الفترة تمتد من الیوم الخامس عشر إلی الیوم التاسع عشر. هذا الطور هو جزء من مرحلة العلقة لأن الجنین یتعلق فی هذه الفترة بجدار الرحم بواسطة ساق، و لکن وضعناه فی نص منفصل نظرا للتطورات المهمة التی یتمیز بها. انتهینا فی مبحث «جمع خلایا الجنین» إلی القول بأن خلایا الجنین تجمع ضمن قرص جنینی محدد وفقا لما جاء فی الحدیث النبوی الشریف: «... فإذا کان یوم السابع جمعه الله تعالی ...»، أما الآن فسوف نتابع شرح الحدیث و نفسر ما تبقی منه و هو: «ثم أحضر له کل عرق بینه و بین آدم، ثم قرأ: فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ» [أخرجه الطبرانی ح ۲۱]. فإذا جمع الجنین أحضره الله تعالی. عند ما تحضر شیئا ما فلا بد أن یکون غائبا. و هذا یعنی أن الجنین کان قبل هذا الوقت فی عالم الغیب. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۴۸ کیف یکون هذا الإحضار؟ و من أین؟. العرق فی المصطلح النبوی الشریف هو: الصبغیات فی المصطلح العلمی کما أسلفنا ذکره، فی مبحث «نطفة الأمشاج». (انظر أیضا مبحث «معجزة الرؤیة الإسلامیة فی علم الوراثة»). و هذا یعنی أن مصدر و منبع الإحضار هو المورثات. و کما نعلم فإن الصبغیات تحتوی علی الشیفرة الجینیة التی تقدر الجنین بإذن الله تعالی. و علی هذا یکون الإحضار من العرق هو الترجمة لهذه الشیفرة من العالم الغیبی الجنینی إلی العالم العملی حیث تطبق خطة العمل علی الأرض و یبتدئ العمل بها من خلال ترکیب الإنسان فعلیا. و من الجدیر بالذکر أن کل الصبغیات تشارک فی عملیة الترکیب وفقا للفظ الحدیث: «ثم أحضر له کل عرق بینه و بین آدم ثم قرأ فی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ» [أخرجه الطبرانی ح ۲۱]. و کما تعنی کلمة «عرق» (انظر مبحث «معجزة الرؤیة الإسلامیة فی علم الوراثة»)، و کما یشیر إلیه الحدیث السابق ذکره فإن الصبغیات هی مصدر للتخلّق بإذن الله. فکتلة الخلایا الداخلیة التی جمعت ضمن قرص جنینی تتمیز خلایاها ابتداء من الیوم الخامس عشر إلی ثلاثة أنواع من الخلایا، و تسمی هذه العملیة: (بدایة تکوّن و تشکّل الجنین: غاسترولیشون NOITALURTSAG). هذه الخلایا هی الخلایا التی سوف تنقسم فتتکاثر و تهاجر لتؤلف جمیع أعضاء الجنین. و هذه بدایة ترکیب الإنسان. لذلک ذکر الرسول- علیه الصلاة و السلام- الآیة فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ [الانفطار: ۸] فی کلامه عن عملیة الإحضار. و فعلا فإن شکل القرص یبدأ بالتغیر ابتداء من هذا الوقت فصاعدا و یتشکل لیأخذ فی نهایة الأمر صورة جنین إنسانی متمیز. و اللافت للنظر أن علماء طب الأجنة یعتبرون عملیة الغاسترولیشون بدایة تکوّن و تشکّل الجسد «۱» موافقین ما ردّده رسول الله صلّی الله علیه و سلّم عن المولی عزّ و جلّ: فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ. و من الجدیر بالذکر أن کلا- الطرفین؛ رسول الله صلّی الله علیه و سلّم، و علماء طب الأجنة، یتفقان علی أن عملیة الغاسترولیشون هی بدایة تخصص خلایا الجسد. ففی هذه العملیة تتمیّز خلایا الجنین إلی ثلاث طبقات «۲» و کما سنفصله فیما بعد- إن شاء اللّه-،

(_____ ۱) کتاب الإنسان النامی، د. مور و بارسو، ص ۶۴. (۲) کتاب الإنسان النامی، د. مور و بارسو، ص ۶۴. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۴۹ و تستحضر خطة العمل من عالم الشیفرة الموجودة فی العروق إلی عالم الترکیب من خلال بناء خلایا تعکس محتوی هذه الشیفرة. و نبدأ بحثنا الآن لروایة خلق الإنسان من عجب الذنب و التی تحمل فی طیاتها معان عجیبة؛ فنشیر إلی معنی «عجب الذنب» و إلی الحقائق العلمیة التی تکشفها هذه الأحادیث الشریفة. عجب الذنب له عدة معان منها: ۱- أصل الذنب. ۲- العظم الذی فی أسفل الذنب. ۳- ما استدق من الذنب. جاء فی لسان العرب «۱»: «عجب ... و العجب من کل دابة ... و قیل هو أصل الذنب کله ... العجب بالسکون: العظم الذی فی أسفل الصلب عند العجز ... و العجباء أیضا: التی دقّ أعلی مؤخّرها». و یشهد لتلک المعانی الحدیث: «مرّ علی رسول الله صلّی الله علیه و سلّم بعیر قد وسم فی وجهه فقال: «لو أن أهل هذا البعیر عزلوا النار عن هذه الدابة» فقلت: لأسمنّ فی أبعد مکان من وجهها، قال: فوسمت فی عجب الذّنب». [أخرجه أبو یعلی ح ۹۱]. فأبعد نقطة عن وجه البعیر هو مؤخرة ذنب البعیر، حیث وسمه صاحبه. إلی ذلک فإن الحدیثین النبویین الشریفین التالیین یؤکدان المعانی التی أشرنا إلیها أعلاه. هذان الحدیثان هما: ◄ قال رسول الله- علیه أزکی الصلوات و أطیب التحیات-: «یأکل التراب کل شیء من الإنسان إلا عجب ذنبه. قیل: و ما هو یا رسول الله؟ قال: مثل حبة الخردل منه تنبتون» [أخرجه أحمد ح ۳۶]. ◄ قال رسول الله صلّی الله علیه و سلّم: «لیس من الإنسان شیء إلا یبلی إلا عظما واحدا، و هو عجب الذنب، و منه یرکب الخلق یوم القیامة» [أخرجه البخاری ح ۳۷]. هذان الحدیثان یکشفان لنا الآتی: أولا: أن الإنسان له ذنب. (انظر إلی کلمة «ذنبه» فی الحدیث رقم ۳۶).

(_____ ۱) لسان العرب لابن منظور- مادة «عجب»- (ج ۹/ ص ۵۲- ۵۳). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۵۰ ثانیا: أن الإنسان خلق من هذا الذنب. (انظر إلی عبارة «منه یرکب» فی الحدیث رقم ۳۷)، و هذا یتوافق مع معنی عجب الذنب- أصل الذنب-. ثالثا: أن موضع تخلق الجنین موجود فی مؤخرة هذا الذنب. (انظر إلی عبارة «عجب ذنبه» فی الحدیث رقم ۳۶). و هذا أیضا یتوافق مع معنی عجب الذنب- العظم الذی یأسفل الصلب-. رابعا: أن هذا الموضع عظم. (انظر إلی عبارة «إلا عظما واحدا» فی الحدیث رقم ۳۷). خامسا: أن مؤخرة هذا الذنب صغیرة جدا. (انظر إلی عبارة «حبة الخردل» فی الحدیث رقم ۳۶). و هذا أیضا یتوافق مع معنی عجب الذنب- ما استدق من الذنب-. سادسا: إن أول ما یخلق فی الإنسان هو مؤخرة هذا الذنب، و بعد ذلک یتکون الإنسان منه، و جمیع أعضائه و أنسجته. (انظر إلی عبارة «منه خلق» فی الحدیث رقم ۳۵). و تفصیلا: تتمایز فی الیوم السابع طبقة من خلایا (الکتلة الداخلیة للکرة الجرثومیة SSAM LLEC RENNI) مواجهة (لتجویف الکرة الجرثومیة YTIVAC TYCOTSALB) عن الکتلة الداخلیة للکرة الجرثومیة، و تسمی: (الهایبوبلاست ۱ (TSALBOPYH). و بعد هذا الحدث مباشرة یظهر تجویف یفصل الکتلة الداخلیة عن الکتلة الخارجیة للکرة الجرثومیة فی الوسط. عندئذ تطرأ تغیرات علی الکتلة الداخلیة للکرة الجرثومیة، فتصبح عبارة عن قرص جنینی مؤلّف من طبقتین: - طبقة خارجیة: تسمی: (طبقة الإیبیلاست TSALBIPE) مواجهة للتجویف الذی یفصل الکتلة الداخلیة عن الکتلة الخارجیة للکرة الجرثومیة. - طبقة داخلیة: تسمی: (طبقة الهایبوبلاست TSALBOPYH) مواجهة لتجویف الکرة الجرثومیة. و فی بدایة الأسبوع

الثالث (أی فی الیوم الخامس أو السادس عشر) یظهر الشریط الأولی کتخانة من الخلایا المنجلیة (أو الهلالیة) فی مؤخرة الطبقة الخارجیة (_____ ۱) کتاب الإنسان النامی، د. مور و بارسو، ص ۴۲. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۵۱ للقرص الجنینی، و تسمی عندئذ: (منطقة کولر ELKCIS S'RELLOK)، و هی بمثابة الجسم البدائی للشریط الأولی («عجب الذنب» کما سنأتی علی ذکره لاحقا). و تستطیل هذه المنطقة من جراء تکاثر و هجرة خلایا الطبقة الخارجیة للقرص الجنینی إلیها، فتؤلف خطا مستقیما، جانباه الیمین و الیسار مدیّنان فی وسط الطبقة الخارجیة للقرص الجنینی، و یسمی هذا الخط: (الشریط الأولی KAERTS EVITIMIRP)، و تکون نهایته مدبّبة أیضا، و تسمی: (العقدة الأولیة EDON EVITTIMIRP). و أثناء استطالة الشریط الأولی ینشأ فیه میزاب مستطیل یسمی: (المیزاب الأولی EVOORG EVITTIMIRP) من جراء دخول خلایا الشریط الأولی إلی داخل القرص الجنینی، و ینتهی هذا المیزاب بفجوة تطل علی الداخل تسمی: (الفجوة الأولیة TIP EVITTIMIRP) تقع داخل العقدة الأولیة. فیتکون بذلک الشریط الأولی («عجب الذنب» کما سنأتی علی ذکره لاحقا) فی (الجزء الخارجی المؤخری للقرص الجنینی KSID CINOIRBME FO DNE LADUAC). و عند ما یظهر الشریط الأولی یصبح من الممکن معرفة المحور الأمامی الخلفی للجنین، و نهایته الأمامیة و الخلفیة، و سطحه البطنی و الظهری، و یمینه من یساره. و تبدأ بعد نشأة الشریط الأولی بوقت قصیر هجرة الخلایا من الخارج إلی الداخل «۲»، و یتمایز القرص الجنینی إلی طبقات ثلاثة ستؤلّف جمیع أعضاء الجنین. و هکذا فإن تمایز الشریط الأولی یسبق تمایز القرص الجنینی إلی جنین، و فی إیجاده لطبقات الجنین الثلاثة، أی بمعنی آخر یسبق تخلّق «عجب الذنب» تخلّق الجنین کما أشرنا إلیه فی النقطة السادسة السالفة الذکر (_____ ۱) ۴/ ۲۰۰۴ ETAD .lmth ۱. tcurtsni: /۱۹ sisponyS /sisponys ۳۸۵ dgoib /sesruoC /ude .llenroc .tic ۱. ۲- ۲۳. ptth//: ZMP: ENOZ LANIGRAM جاء فی موقع الأنترنت لجامعة کورنال ((السالف ذکره)): «إن (المنطقة الخلفیة الطرفیة ROIRETSOP) [عند الطیور] هی منطقة تکثف لخلایا تلعب دورا مهمّا فی الأحداث التی ستتلاحق ... فی المنطقة الخلفیة الطرفیة تزداد ثخانة خلایا تسمّی: (خلایا کولر المنجلیة ELKCIS S'RELLOK) ... إن الاختبارات الرئیسیة أظهرت أن زراعة هذا العضو یؤدی فی [جنین الطیر] إلی نشأة شریط أولی». و انظر: کتاب الإنسان النامی، د. مور و بارسو، ص ۶۴، الرسم: ۴- ۲ ۲) .b. کتاب الإنسان النامی، د. مور و بارسو، ص ۶۶. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۵۲ و من جراء هجرة هذه الخلایا إلی الداخل تنمو طبقة ثالثة هی الطبقة المتوسطة تدعی: (طبقة المیزودرم MREDOSEM) التی سرعان ما تؤدی إلی نشوء (الطبقة الداخلیة ۱، MREDODNE) (أو معظمها) (للکتلة الداخلیة ۲، SSAM LLEC RENNI). بحیث تحل محل (طبقة الهایبوبلاست TSALBOPYH) السالفة الذکر من خلال (عملیة إزاحة TNEMECALPSID). (انظر الصورتین رقم: ۶۸ - ۶۹). ((SC ۱) _____) انظر کتاب الإنسان النامی مع زیادات إسلامیة، د. کیث مور، ص ۵۴. (۲) للمراجعة کتاب الإنسان النامی، د. مور و بارسو، ص ۶۷. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۵۳ (SC) و تهاجر الخلایا من الخارج إلی الداخل عبر الفجوة الأولیة، و من ثم إلی عمق الطبقة المتوسطة من خلال ما یسمی (بالعملیات الظهریة SESSECORP LADROHCOTON)، فینشأ نفق یمتد طولا فی الطبقة المتوسطة یسمی: (النفق الظهری LANAC LADROHCOTON)، فتطاول الکتلة الداخلیة للکرة الجرثومیة علی أثرها، و یکبر حجمها بحیث تأخذ شکلا کمثریا- أی شکلا إجاصیا-. و بعد عملیات اندماج و انطواء یتحول هذا النفق إلی ما یسمی (بالحبل الظهری DROHCOTON)، الذی سیعطی فیما بعد الصلب. (انظر الصورة رقم: ۷۰). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۵۴ (SC) و باختصار شدید فإن الشریط الأولی هو المصدر الأساسی لتطاول الکتلة الداخلیة للکرة الجرثومیة و لإیجاد طبقاتها الثلاث «۱» و لتمیّز خلایاها. (_____ ۱) و إذا قصدنا الدقة فإن الشریط الأولی هو المسئول بإذن الله عن نشأة- أی تخلّق- معظم (الطبقة الداخلیة MREDODNE) و کامل (الطبقة المتوسطة MREDOSEM) للقرص الجنینی إذا اعتبرنا معنی الخلق: أحدثه بعد أن لم یکن (انظر مبحث: المضغة/ الشکل الداخلی)، حیث إنه رافق ظهور تلک الطبقتین بعد أن لم تکونا موجودتین، و شارک فی هذا الظهور من خلال استقبال الخلایا من الطبقة الخارجیة و توزیعها فی تلک الطبقتین، و لکنه لم یکن مسئولا عن نشأة (الطبقة الخارجیة MREDOTCE) لهذا القرص، لأن تلک کانت موجودة من قبل کطبقة خارجیة تسمی: (الإبیبلاست TSALBIPE) قبل نشأة الشریط الأولی، غیر أن الشریط الأولی مسئول عن تخلّق (الحبل الظهری DROCOHTON) الذی یلعب دور (الممیّز الأولی ROTCUDNI YRAMIRP) لخلایا الجنین علی وجه العموم، و لخلایا (الطبقة الخارجیة MREDOTCE) للقرص الجنینی علی وجه الخصوص، حیث إنه یحث الطبقة الخارجیة علی أن تزید ثخانتها، و علی أن تکوّن (الصفیحة العصبیة ETALP LARUEN) التی هی طلیعة (الجهاز العصبی المرکزی SNC: METSYS SUOVREN LARTNEC) (کتاب الإنسان النامی، د. مور وبارسو، ص ۷۰)، و إلی تمایز الأعضاء القابلة الأخری التی تنشأ من الطبقة الخارجیة مثل: (الغطاء الخارجی لطبقة الجلد: الإیبدرمیس SIMREDIPE)، و (طلاء الأسنان HTEET FO LEMANE)، و (بؤبؤ العین EYE FO SNEL)، و (الجزء المؤخری للغدة النخامیة TRAP ROIRETNA- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۵۵ -_____ DNALG YRATIUTIP FO)، و (الأذن الداخلیة RAE LANRETNI) (کتاب الإنسان النامی، د. مور وبارسو، ص ۸۸). و تلک الأعضاء تؤلف کمیة قلیلة بالنسبة لکمیة مجمل أعضاء الجنین. و بما أن العرب تطلق الغالب علی الکل، فإن الحبل الظهری مسئول عن خلق الإنسان. فالعرب تخرج الغالب مخرج الکل لعدم الاعتداد بالقلیل لأنه جاء تحت حکم الکثیر، فیخرج مخرج الکل، و الدلیل علی ذلک الآیات القرآنیة التالیة- علی سبیل المثال لا الحصر-: إِنِّی وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِکُهُمْ وَ أُوتِیَتْ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ وَ لَها عَرْشٌ عَظِیمٌ (۲۳) [النمل: ۲۳]، و الآیة: فَلَمّا رَآوْهُ عارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِیَتِهِمْ قالُوا هذا عارِضٌ مُمْطِرُنا بَلْ هُوَ ما اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِیحٌ فِیها عَذابٌ أَلِیمٌ (۲۴) تُدَمِّرُ کُلَّ شَیْءٍ بِأَمْرِ رَبِّها فَأَصْبَحُوا لا یُرى إِلاّ مَساکِنُهُمْ کَذلِکَ نَجْزِی الْقَوْمَ الْمُجْرِمِینَ (۲۵) [الأحقاف: ۲۴- ۲۵]. قال القرطبی فی تفسیر آیة سورة النمل: «أی مما تحتاجه المملکة»، و جاء فی الکشاف: «تهلک من نفوس عاد و أموالهم الجمّ الکثیر، فعبّر عن الکثرة بالکلیة». هذا إن لم نعتبر أن التمایز نوع من الخلق، و لکن ما نذهب إلیه هو أن التمایز نوع من أنواع الخلق، و الشریط الأولی مسئول غیر مباشرة عن تمایز خلایا الطبقة الخارجیة للقرص الجنینی لأنه یؤدی إلی تخلق الحبل الظهری الذی یؤدی بدوره إلی تمایز تلک الطبقة. و فی عملیة التمایز یوجّه الحبل الظهری (و بالتالی الشریط الأولی، و علی وجه الخصوص العقدة الأولیة) الخلایا إلی ما ذا ستصبح بالمستقبل، و هذا یؤدی إلی خلق و إحداث صورة جدیدة لها من حیث أن شکلها یتغیر و وظیفتها تتغیر مع مرور الوقت، فینشأ منها خلایا مستقلّة لها خصائص غیر التی کانت موجودة فی الخلایا الأم، و مختلفة عن جاراتها. و هکذا یتبیّن لنا أن التمایز نوع من أنواع الخلق. أضف إلی ذلک أن التمایز خلق یضاف علی الخلق الأول، و هو بالتالی زیادة فیه، و الزیادة فی الخلق؛ خلق، و الدلیل علی ذلک الآیة: الْحَمْدُ لِلّهِ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ جاعِلِ الْمَلائِکَةِ رُسُلًا أُولِی أَجْنِحَةٍ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ یَزِیدُ فِی الْخَلْقِ ما یَشاءُ إِنَّ اللّهَ عَلى کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۱) [فاطر: ۱]، حیث أخبر الله تعالی أن الزیادة تقع فی الخلق، فأقرّ أنها من جنسه. و من هذا الکلام نفهم أن الشریط الأولی هو مسئول عن خلق جمیع خلایا الجنین. و الحق یقال: إن الشریط الأولی- و خاصة العقدة الأولیة- یلعب دور (المنظم الأولی REZINAGRO YRAMIRP) و (الممیز الأولی ROTCUDNI YRAMIRP) لجمیع خلایا الجنین، حیث إنه یوجّه الخلایا التی تمر فیه إلی مصیرها، و یعطیها التعلیمات حتی تخلق طبقات الجنین الأولیة. و من أبرز العلماء الذین تحدّثوا عن الشریط الأولی («عجب الذنب»: العالمان الألمانیان الشهیران (هانس سیمان NAMEPS SNAH) و (هایلد مانغولد DLOGNAM EDLIH) حیث قاما بدراسات و تجارب علی الخیط الأولی و العقدة الأولیة، و اکتشفا أن الخیط الأولی و العقدة الأولیة هما اللذان ینظمان خلق الجنین، و أطلقا علیهما اسم: (المنظم الأولی REZINAGRO YRAMIRP)، و قد بدأ سیمان و مانغولد أبحاثهما علی البرمائیات حیث قاما بقطع هذا الجزء [الخیط الأولی و العقدة الأولیة]، و هی (الشفة الظهریة لفتحة المعیّ الخلفی فی البرمائیات EROPOTSALB: PIL LASROD)، و زرعه فی جنین آخر فی نفس العمر، فی المراحل الجنینیة المبکرة: فی الأسبوع الثالث و الرابع، تحت طبقة- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۵۶ -_____ الإبیبلاست، فأدی ذلک إلی نمو جنین ثانوی من هذه القطعة المزروعة فی الجنین المضیف، حیث قامت هذه القطعة المزروعة بالتأثیر علی البیئة التی حولها، و المکونة من خلایا الجنین المضیف، فنظمتها، و تخلق بذلک منها جنین ثانوی حال کونه مغروسا فی جسد الجنین المضیف (و لمزید من المعلومات مراجعة کتاب (علم الأجنة الإنسانی YGOLOIRBME NAMUH)، ص ۱۹۶). جاء فی کتاب «علم الأجنة الإنسانی»، ص ۱۹۶: «فی بعض التجارب زراعة الشفة الظهریة لفتحة المعی الخلفی فی مکان آخر غریب فی الجنین المضیف یمکن أن ینتج عنه نمو جنین ثانوی کامل. یطلق علی هذا الجزء المزروع اسم: «المنظم الأولی». هذا عند البرمائیات. أما عند الطیور، فالأمر مماثل، حیث إن زراعة (العقدة الأولیة EDON S'NOSNEH) التی تنشأ من المنطقة الخلفیة الطرفیة فی مکان آخر من الجنین تؤدی إلی نشأة محور جنینی ثان (مثل اختبار سیمان و مانغولد [للبرمائیات])». انظر: ۲۰۰۴ /۴ /۱۹ :sisponyS ۲- ۲۳. ETAD .lmth /sisponys ۳۸۵ dgoib /sesruoC /ude .llenroc .tic .ltcurtsni ptth//: و ظاهرة تنظیم الخلایا تماثل کثیرا عند الطیور و الثدییات. انظر: ۲۰۰۴ /۴ /۱۹ :ptth //www. odaroloc. ude/ BDCM/ BDCM. ۴۶۲۰. ۰۴/ و ETAD. fdp.

کما نعلم فإن الإنسان من فصیلة الثدییات، و بالتالی فإن هذه الاختبارات تنطبق علیه. و من هذا الکلام نفهم أن الشریط الأولی هو السبب فی تخلّق خلایا القرص الجنینی کما أشارت إلیه الأحادیث الشریفة السالفة الذکر. و فی عام ۱۹۳۵ م نال العالم الألمانی سیمان جائزة نوبل علی اکتشافه المنظم الأولی و زراعته له، بینما أخبر عنه و عن وظائفه رسول الله محمد صلّی اللّه علیه و سلّم بمصطلحات مختلفة: «عجب الذنب»، «منه خلق» قبل أربعة عشر قرنا من الزمن. (انظر الصورة رقم: ۷۱). و من الجدیر بالذکر أن مصطلح «عجب الذنب» الذی ذکره رسول الله صلّی اللّه علیه و سلّم أفضل من مصطلح «الشریط الأولی»، أو من مصطلح «المنظّم الأولی» الذی ذکرهما العلماء الکونیین، لأن مصطلح «عجب الذنب» یشیر إلی وجود ذنب عند الإنسان فی مرحلة الخلق (من خلال لفظ «الذنب» الذی ورد فی المصطلح)، و یشیر تحدیدا إلی الموقع الذی یتخلّق منه الإنسان (من خلال معنی کلمة «عجب»: مؤخرة الذنب)، و یشیر إلی حجم الشیء الذی یخلق منه الإنسان (من خلال معنی کلمة «عجب»: ما استدق من مؤخرته)، و إلی المرحلة التی

یکون فیها: المرحلة البدائیة (و ذلک لأنه بدایة الذنب)، بینما یشیر مصطلح «الشریط الأولی» إلی الشکل الذی یکون علیه عجب الذنب (کشریط)، و إلی المرحلة التی یکون فیها (من خلال اسم «الأولی» الذی ورد فی مصطلح «الشریط الأولی»). أما مصطلح «المنظّم الأولی»، فهو یشیر إلی الدور الذی یلعبه عجب الذنب من تنظیم لخلایا الجنین، إضافة إلی المرحلة التی یکون فیها (من خلال اسم «الأولی» الذی ورد فی مصطلح «المنظّم الأولی»). و هذا التفوّق فی التعبیر هو من الإعجاز البیانی للرسول صلّی اللّه علیه و سلّم. و لمزید من المعلومات فلیراجع البحث الذی قدّمه د. عثمان جیلان علی معجمی فی المؤتمر العالمی السابع للإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، ۲۲- ۲۴ مارس ۲۰۰۴، دبی الإمارات العربیة المتحدة. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۵۷ (SC) و بما أن «الطبقات الثلاث لهذه الخلایا- طبقة الأکتودرم «۱»، طبقة المیزودرم، و طبقة الأندودرم- تؤدی إلی تخلق جمیع الأعضاء و أعضاء الجنین» «۲» فإن الشریط الأولی یکون بذلک السبب لتخلّق الجنین، و لذلک اعتبرته لجنة (وارنکت KCONRAW) فی البرلمان البریطانی بدایة الحیاة الإنسانیة، و منعت بالتالی إجراء التجارب و تنمیة الأجنة فی المختبرات بعد الیوم الرابع عشر، أی: قبل ظهوره. یقول الدکتور کیث مور بهذا الصدد: «إن القسم الأکبر من نمو و استطالة الکرة الجرثومیة هو من جراء هجرة الخلایا من خلال الشریط الأولی» «۳»، و بما أن الشریط الأولی یقع فی الجزء المؤخّری من الکرة الجرثومیة یکون بذلک هذا الجزء- أی الجزء المؤخری- أساسا لتخلق الإنسان. السؤال الذی نطرحه الآن هو: هل هذا الجزء المؤخری الذی تخلق منه الإنسان هو ذنب أم لا؟. إن الصورة التی تلی (انظر الصورة رقم: ۷۲) و التی تمثل تطور الجنین تجیب عن تساؤلاتنا، فهذه الأخیرة تظهر لنا کیف أن الجزء المؤخّری ینطوی لیؤلف ذنبا.

(_____ ۱) طبقة الأکتودرم: و قد بقیت من طبقة (الإیبیلاست TSALBIPE) التی سبق أن تحدثنا عنها بعد أن هاجرت الخلایا منها. (۲) کتاب الإنسان النامی مع زیادات إسلامیة، د. کیث مور، ص ۷۵. (۳) کتاب الإنسان النامی مع زیادات إسلامیة، د. کیث مور، ص ۷۵. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۵۸ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۵۹ أما الصورة التی تلیها فهی صورة طبیعیة لهذا الذنب. (انظر الصورة رقم: ۷۳). (SC) أخیرا بقی علینا أن نحدد الموضع من هذا الذنب الذی تخلق منه الجنین: یقول لنا الدکتور کیث مور عن هذا الموضوع «۱»: «إن الشریط الأولی سرعان ما یتقلص حجما و یصبح عضوا لا یذکر فی المنطقة العجزیة (أی فی مؤخرة الحبل الظهری)». و کثیر من المراجع الطبیّة تقول إن الشریط الأولی یختفی. و بما أن الشریط الأولی- کما رأینا- هو السبب لتخلّق الإنسان فإن مؤخرة الحبل الظهری تکون بذلک الجزء المؤخری من الذنب الذی کنا نبحث عنه و الذی یتخلق منه الإنسان. إضافة إلی تقلص عجب الذنب فإن الذنب نفسه یتقلص بدوره فی الأسبوع السابع أو الثامن. و عن عملیة التقلص هذه یقول لنا الدکتور لارس هامیرغر «۲»: «و لکن یبقی لنا عدة فقرات ذنب مقلصة حتی بعد ولادتنا». و المنطقة العجزیة هی منطقة عظمیة. و بما أن الشریط الأولی جزء من المنطقة العجزیة فبالتالی هو عظم کما یشیر إلیه الحدیث الشریف «لیس من الإنسان شیء إلا

(_____ ۱) کتاب الإنسان النامی مع زیادات إسلامیة، د. کیث مور، ص ۵۷. (۲) کتاب ولد طفل، د. لارس هامیرغر، ص ۱۱۸. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۶۰ یبلی إلا عظما واحدا و هو عجب الذنب، و منه یرکب الخلق یوم القیامة» [أخرجه البخاری ح ۳۷]. أما بالنسبة إلی جزء الحدیث: «لیس من الإنسان شیء إلا یبلی إلا ... عجب الذنب ...» [أخرجه البخاری ح ۳۷] فهو یشیر إلی أن جمیع جسم الإنسان یتحلّل إلّا عجب الذنب، أی باستثناء الشریط الأولی الذی تکلمنا عنه، فهو یقاوم جمیع عوامل التحلّل إلی یوم القیامة لیعاد ترکیب الإنسان منه. و لا عجب: أ لیس اللّه تعالی أعلم بما تأکل الأرض منّا؟، یقول اللّه تعالی: قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَ عِنْدَنا کِتابٌ حَفِیظٌ [ق: ۴]. جاء فی تفسیر ابن کثیر: «أی ما تأکل من أجسادهم فی البلی نعلم ذلک، و لا یخفی علینا أین تفرقت الأبدان و أین ذهبت و إلی أین صارت»، «و عندنا کتاب حفیظ» أی حافظ لذلک، فالعلم شامل و الکتاب أیضا فیه کل الأشیاء مضبوطة. قال العوفی عن ابن عباس رضی اللّه عنهما فی قوله تعالی: قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ: أی ما تأکل من لحومهم و أبشارهم و عظامهم و أشعارهم. کذا قال مجاهد و قتادة و الضحاک و غیرهم ...»«۱». فإذا کان اللّه سبحانه و تعالی یعلم ما تأکل الأرض منّا، فهو یعلم أیضا ما لا تأکل الأرض منّا. و لقد قام العالم الألمانی (سیمان) عام ۱۹۳۱ م بسحق (المنظم الأولی PIL LASROD: REZINAGRO YRAMIRP) و زرعه فی جنین، فلم یؤثر السحق علیه، حیث نما الشریط الأولی مرة أخری، و کوّن صفیحة عصبیة رغم سحقه، و لم تتأثر خلایاه بالسحق. و فی عام ۱۹۳۳ م قام هذا العالم- و علماء آخرون- بغلی المنظم الأولی، و زرعه بعد غلیه، فشاهدوا أن عملیة (الحثّ NOITCUDNI) لدی المنظّم الأولی ما زالت تعمل بعد غلیه، و لم تتأثر خلایاه بالغلیان (و لمزید من التفاصیل فلیراجع کتاب علم الأجنة الإنسانی، ص ۱۹۷). و أخیرا فی رمضان ۱۴۲۴ ه- قام د. عثمان جیلان علی معجمی من جامعة الإیمان فی صنعاء- الیمن- بالتعاون مع الشیخ عبد المجید الزندانی- رئیس جامعة الإیمان- بتجربة علی العصعص فی منزل الشیخ عبد المجید الزندانی فی صنعاء تحت تصویر تلفزیونی، حیث قام بأخذ إحدی فقرتین لخمسة عصاعص للأغنام،

(_____ ۱) تفسیر ابن کثیر- (ج ۴/ ص ۲۲۲).

إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۶۱ و قام بإحراقها بمسدس غاز فوق أحجار و لمدة عشر دقائق، و تأکد من إحراقها التام بحیث أصبحت حمراء، و بعد ذلک سوداء متفحمة، فوضع القطع فی علب معقمة و أعطاها لأشهر مختبر فی صنعاء (مختبر العولقی)، و قام الدکتور صالح العولقی- أستاذ علم الأنسجة و الأمراض فی جامعة صنعاء- بفحصها نسیجیا، و کانت النتیجة مبهرة؛ حیث وجد خلایا عظمة العصعص لم تتأثر، و ما زالت حیّة و کأنها لم تحرق (فقط احترقت العضلات و الأنسجة الدهنیة و خلایا نخاع العظم المصنعة للدم، أما خلایا عظمة العصعص فلم تتأثر)!!! فجزی اللّه هذا الأخ الکریم خیر الجزاء علی سعیه وراء الحقیقة، و إثباتها من مصادر مختلفة، و من خلال إجراء تجربة علمیة رصینة، غیر أن رأی المؤلف فی هذا الموضوع أن هذه المجموعة من الأدلة جیدة و لا بأس بها، و لکنها لیست قاطعة لأنها محدودة فی کمیّتها و نوعیتها و نتائجها، و لا بد من مزید من التدقیق و الأبحاث و الاختبارات المضبوطة لکی نجزم من الناحیة العلمیة بهذا الأمر، سواء أکتب اللّه تعالی لنا القطع فی هذه المسألة أم لا. فهو یضرب لنا الأمثال لکی تستوعبها الأذهان البشریة کما فی قوله تعالی: وَ یَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ یَتَذَکَّرُونَ [إبراهیم: ۲۵]. و لمزید من المعلومات فلیراجع البحث الذی قدّمه د. عثمان جیلان علی معجمی فی المؤتمر العالمی السابع للإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، ۲۲- ۲۴ مارس ۲۰۰۴، دبی الإمارات العربیة المتحدة. و تعلیقا علی جزء الحدیث: «عجب الذنب، و منه یرکب الخلق یوم القیامة» [أخرجه البخاری ح ۳۷] نقول: إن کثیرا من الناس یستبعدون إعادة ترکیب جسم الإنسان بعد ما یتحلّل و یتفکک یوم القیامة، لذلک أنزل اللّه تعالی الآیة: بَلْ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقالَ الْکافِرُونَ هذا شَیْءٌ عَجِیبٌ (۲) أَ إِذا مِتْنا وَ کُنَّا تُراباً ذلِکَ رَجْعٌ بَعِیدٌ (۳) [ق: ۲- ۳] بید أن اللّه تعالی أکّد فی محکم آیاته أن إعادة الخلق أهون علیه من الخلق الأول حسبما جاء فی الآیة: وَ هُوَ الَّذِی یَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ یُعِیدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَیْهِ وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلی فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ [الروم: ۲۷]. ورد فی تفسیر ابن کثیر: «قوله: وَ هُوَ الَّذِی یَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ یُعِیدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَیْهِ قال ابن أبی طلحة عن ابن عباس: یعنی أیسر علیه، و قال مجاهد: الإعادة أهون علیه من البداءة، و البداءة علیه هینة، و کذا قال عکرمة و غیره. و روی البخاری: حدثنا أبو الیمان، أخبرنا شعیب، أخبرنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبی هریرة رضی اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «یقول اللّه تعالی: کذبنی ابن آدم و لم یکن له ذلک، و شتمنی و لم یکن له ذلک، فأما تکذیبه إیای فقوله: لن یعیدنی کما بدأنی، و لیس أول الخلق إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۶۲ بأهون علی من إعادته، و أما شتمه إیای فقوله: اتخذ اللّه ولدا، و أنا الأحد الصمد الذی لم یلد و لم یولد و لم یکن له کفوا أحد» [أخرجه البخاری ح ۱۰۶]»«۱». و مع العلم أن اللّه تعالی علی کلّ شیء قدیر، فسوف نحاول أن نوضّح للقارئ أن إعادة الخلق ممکنة علمیّا، فاللّه تعالی یضرب لنا الأمثال فی الحیاة الدنیا کما فی قوله تعالی: کَذلِکَ یَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ [الرعد: ۱۷]. و لذلک نستطیع أن نقرّب لذهن القارئ أن إعادة الخلق ممکنة علمیا علی سبیل الاستئناس لا الحزم، و ذلک أن معاییر یوم القیامة تختلف عن معاییر الحیاة الدنیا، و بالتالی لا مجال للقطع فی البراهین. - أولا: أثبت العلم الکونی فی هذا العصر أن من الشریط الأولی- أی من عجب الذنب- تخرج (الخلایا الجذعیة الأم SLLEC METS). و الخلایا الأم هی خلایا (متعددة الفعالیة TNETOPIRULP)، أی أنها تستطیع أن تکوّن جمیع أنواع الخلایا الموجودة داخل الجسم ما عدا خلایا المشیمة و الأنسجة الدعامیة الأخری، فمن هذه الخلایا تنشأ خلایا (الطبقات الرئیسیة الثلاثة: الخارجیة و الوسطی و الداخلیة MREDODNE, MREDOSEM, MREDOTCE) التی یتخلق منها الإنسان. و عند ما یضمر الشریط الأولی و یصبح عضوا لا یذکر فی (المنطقة العجزیة NOIGER LAEGYCCOCORCAS) یبقی علی بقایا للخلایا الأم فی هذه المنطقة. و الدلیل علی ذلک هو أنه فی بعض الحالات یحدث للقلیل من الأجنة ورم فی المنطقة العجزیة (العصعصیة) یسمی: (الورم المتعدد الأنسجة AMOTARET) الذی یحتوی علی أنسجة مختلفة (عضلات، جلد، غضروف، عظم، و أحیانا أسنان) بالرغم من أنه ینشأ فی منطقة عظمیة لدی الجنین (أسفل الحوض)، و هذا بخلاف الأورام التی تنشأ فی أی نسیج آخر، فهذه تنشأ من خلایا هذا النسیج، و تحمل نفس الطابع. فعلی سبیل المثال: یتکون فی العضلات ورم عضلی، و فی العظام ورم عظمی، و فی الغدد اللیمفاویة ورم الغدد اللیمفاویة. و لیس ذلک فقط، فإن الورم الذی ینشأ یوجد فیه خلایا متجذرة من الطبقات الثلاثة التی تولّف الجنین «۲»: الأکتودرم و المیزودرم و الأندودرم، و بالتالی فإن هذا الورم یشبه الجنین من حیث أنه یحتوی علی الطبقات الخلویة الثلاثة. و فی حالات کثیرة یشاهد عضو کامل یبرز من هذا الورم، مثل ید بأظافرها

(_____ ۱) تفسیر ابن کثیر، سورة الروم، آیة رقم ۲۷. (۲) کتاب الإنسان النامی، د. مور و بارسو، ص ۶۸. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۶۳ و أصابعها، أو رجل بقدمها و أصابعها و أظافرها، و هذا الورم یکون جنینا ممسوخا، و ذلک لأن الشریط الأولی أدی إلی تخلّق الطبقات الجنینیة الثلاثة، التی أدت بدورها إلی بروز بعض الأعضاء کالقدم و الید، و بقیت الأعضاء الباقیة قابعة داخل الورم بصور مختلفة، بحیث لو فتح جراح الورم بعد استئصاله فسیجد الأعضاء الباقیة: مثل الأسنان و الأمعاء و العظام و الشعر و الغدد ... (انظر الصورة رقم: ۷۴). (SC) جاء فی کتاب «ملخص ممارسة الجراحة» «۱»: «من الأنواع غیر المعتادة [من الأورام] الورم العجزی العصعصی، و الذی من الممکن أن نعتبره جنینا داخل جنین». و بما أن عجب الذنب لا یبلی و أنه یحتوی علی البعض من الخلایا الجذعیة الأم، فبالتالی یعتبر الحافظ للمادة التی لهذه القابلیة- بإذن اللّه- أن تکون إنسانا.

(_____ ۱) کتاب (ملخص ممارسة الجراحة، yregruS fo esitcarP trohS)، ص ۱۰۲. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۶۴ - ثانیا: أظهر علم الوراثة أن (الخلایا

الجسدیة SLLEC CITAMOS) تحتوی علی الخطة الجینیة التی یترکب منها الإنسان «۱»، و إذا علمنا أن عجب الذنب یحفظ هذه الخلایا من الزوال فهمنا أنه بمثابة الصندوق الأسود للطائرات الذی یحفظ الخطة الجینیة للإنسان من الفناء. و نفهم أن خلایا الذنب تقاوم الزوال إذا أدرکنا أن: «منطقة العصعص هی مکان استقرار العقدة الأولیة، و هی مجموعة من الخلایا ذات المقدرة الشاملة الکلیة، و التی تحتفظ بمقدرتها الکلیة أطول من أی خلایا فی الجسم، و هی بذلک تحفظ البدأة البشریة أو الجنس البشری» «۲». - ثالثا: أثبت علم الوراثة فی تجارب الاستنساخ أن البویضة التی تنتزع منها نواتها، و یبدل مکانها نواة خلیة جسدیة تستجیب للانقسام، فالتکاثر بواسطة تیار کهربائی. أی أنها تستجیب للانقسام تحت تأثیر أسباب خارجیة (بغض النظر عن طبیعتها) «۳». و من هنا نفهم منطقیا و علمیا أنه من الممکن أن یتخلق الإنسان من عجب الذنب علی سبیل الاستئناس للأسباب الثلاثة السالفة الذکر، و هی مرّة أخری: ۱- أن الخلایا التی فی عجب الذنب محفوظة إلی یوم القیامة و لها القابلیة علی خلق جمیع أنواع خلایا الجسم الإنسانی، و بالتالی جسد إنسانی کامل آنذاک. ۲- أن الخطة الجینیة التی توجّه الخلایا علی التخلّق نحو الجنس الإنسانی و التی تعطی لکل إنسان صفاته الفردیة محفوظة إلی یوم القیامة و متوفّرة آنذاک. ۳- أن الخلایا تستجیب للمحفّزات الخارجیة، بحیث لو حدث برق یوم القیامة علی سبیل المثال (أو أی محفّز آخر) یحتوی علی تیار کهربائی محدد (أو أی شیء آخر ینشّط الخلایا علی التقاسم) لتکاثرت. إن عجب الذنب یصبح کالبذرة فی التراب بعد تحلّل الجسد. و حتی لو کان فی قاع البحر، أو تحت طبقة أرضیة ضخمة، أو تحت أی ظرف و مکان یخرجه اللّه تعالی إلی الطبقة الخارجیة من الأرض بعد زلزال یحدثه عزّ و جلّ وفقا للآیة: إِذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزالَها (۱) وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقالَها (۲) [الزلزلة: ۱ - ۲].

(۱) راجع مبحث «معجزة الرؤیة الإسلامیة فی علم الوراثة/ الفساد العلمی». (۲) ملخص ممارسة الجراحة، ص ۱۱۳۸. (۳) راجع مبحث «معجزة الرؤیة الإسلامیة فی علم الوراثة/ الفساد العلمی». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۶۵ إن خلایا هذا العجب التی فیها الخریطة الهندسیة الخاصة بکل إنسان، و التی لها القابلیة بإذن اللّه تعالی لخلق جمیع أنواع خلایا الجسد الإنسانی تقاوم العوامل الخارجیة، کالبذرة فی التراب التی تحفظ الخریطة الجینیة للنبات من الاندثار و التی تؤدی إلی نشوء نبات جدید إذا أصابها الماء وفقا للآیة: وَ تَرَی الْأَرْضَ هامِدَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَیْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ وَ أَنْبَتَتْ مِنْ کُلِّ زَوْجٍ بَهِیجٍ [الحج: ۵]. لذا ینزل اللّه تعالی مطرا یوم القیامة یکون بمثابة محفّز و مغذ للخلایا التی فی عجب الذّنب حتی تتکاثر «۱» کما جاء فی الحدیث الشریف: «ثمّ ینزل اللّه من السّماء ماء فینبتون کما ینبت البقل» [أخرجه البخاری ح ۳۷]، فتخرج جمیع خلایا الإنسان الحیّة من عجب الذنب المیّت «۲» مصداقا للآیة: یُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَیِّتِ وَ یُخْرِجُ الْمَیِّتَ مِنَ الْحَیِّ وَ یُحْیِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ کَذلِکَ تُخْرَجُونَ [الروم: ۱۹]، فینبت الإنسان و ینمو نموا نباتیا و ذلک کما فی قوله تعالی: وَ اللَّهُ أَنْبَتَکُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً [نوح: ۱۷]، فیتخلق الناس من الأرض بعد أن یکونوا قد مکثوا فیها إلی یوم البعث للنص القرآنی: مِنْها خَلَقْناکُمْ وَ فِیها نُعِیدُکُمْ وَ مِنْها نُخْرِجُکُمْ تارَةً أُخْری [طه: ۵۵] «۳». فإذا نبت الأجساد أطلقت الأرواح، فجاءت و سکنت فی هذه الأجساد و ذلک کما قال اللّه- جلّ و علا-: وَ إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ [التکویر: ۷]. و یقول الکافر یوم ذاک: یا وَیْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا هذا ما وَعَدَ الرَّحْمنُ وَ صَدَقَ الْمُرْسَلُونَ [یس: ۵۲]. و لما ذا یا تری ذکر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم المطر لإحیاء «عجب الذنب» و لم یذکر غیره؟ لا بد أن یکون من مسوّغ علمی لذکره- و إن جهلناه إلی الآن-، و سنحاول فی النص التالی طرح نظریة علمیة قد تکون أصوب من غیرها تلقی الضوء علی هذا الجانب. فالآیة: وَ الَّذِی نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنا بِهِ بَلْدَةً مَیْتاً کَذلِکَ تُخْرَجُونَ [الزخرف: ۱۱] و الحدیث الشریف: «ثمّ ینزل اللّه من النّیماء ماء فینبتون کما ینبت البقل» [أخرجه البخاری ح ۳۷] یصرّحان أن عملیة إعادة الحیاة للإنسان یوم القیامة تتبع نفس الطریقة التی تتبع لإعادة الحیاة لبذور النبات من خلال ذکر کلمة: کَذلِکَ تُخْرَجُونَ و کلمة: «فینبتون کما ینبت البقل»، أی بمعنی آخر: إن العملیات

(۱) و لیس من الضروری أن یکون مطر یوم القیامة کمطرنا فی الحیاة الدنیا، بل قد یکون فیه من المواد ما ینشّط الخلایا و یحفزها علی التکاثر. (۲) و المیت هو الذی ذهبت قواه العاملة، أی الذی توقّف عن العمل. لمزید من الإیضاح انظر مبحث «دور النطفة فی التقدیر/ خلق الموت». (۳) أو کما جاء فی النص القرآنی: وَ اللَّهُ أَنْبَتَکُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً (۱۷) ثُمَّ یُعِیدُکُمْ فِیها وَ یُخْرِجُکُمْ إِخْراجاً (۱۸) [نوح: ۱۷- ۱۸]. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۶۶ الکیمیائیة و البیولوجیة التی تتبع لإعادة الحیاة «العجب الذنب» هی نفسها التی تتبع لإعادة الحیاة لبذور النبات. و بما أن (الحمض النووی الرئیسی A. N. D) یشکّل أغلب المادة فی تلک الأعضاء الصغیرة، و أهمها، و هو القاسم المشترک بین الصنفین، فهذا یعنی أن التفاعلات التی تجری فی تلک الأعضاء الصغیرة تخصّه، و هی نفسها فی الغالب أینما وجدت. أضف إلی ذلک أن کلا من النصین الشرعیین ذکر «الماء»، مما یعنی أن تلک العملیات تستمد أعضاء تفاعلها من الماء، فهل هناک من تفسیر علمی للظروف التی اعتبرها الشرع ضروریة لنشأة الإنسان مرة أخری، و هی توفر الماء «العجب الذنب»؟. من الکلام الذی سبق نفهم أن الموضوع یدور حول إعادة الفعالیة «العجب الذنب»، بحیث تعود الحرکة لحمضه النووی الرئیسی الموجود فی التربة، و ذلک بأمر إلهی. و باختصار شدید إن الحمض النووی الرئیسی یحتوی علی ذرات عدیدة، و من بین هذه الذرات توجد ذرات معینة هی التی تساعد علی تواصل الحیاة و إدامتها، و هی ذرات (وصلة الهیدروجین SDNOB NEGORDYH)، و ذرات الهیدروجین هذه تشکّل باستمرار ارتباطات و اتحادات جدیدة بین القواعد النایتروجینیة الأربعة للصبغیات: (آدنین، غوانین، سایتوزین، و ثایمین، ENIMYHT, ENISOTYC, ENINAUG, ENINEDA)، فتساعد بذلک علی نقل الحیاة و إدامتها عند انقسام (حبلی الحمض النووی الرئیسی SDNARTS ELBUOD A. N. D)، و إنتاجها لحبلین جدیدین خلال عملیة تکاثر الخلایا و اتحاد الحبال الجدیدة مع الحبال القدیمة، و ذرات الهیدروجین هذه لا یمکن أن تقوم بالتبادل إلا مع ذرات الهیدروجین التی تظهر عند تأیّن الماء و تحلّله إلی ذرات الأوکسیجین و الهیدروجین. و جاء فی موسوعة الإعجاز العلمی أن هذه القاعدة تسری علی الأحیاء جمیعا بدون استثناء. فإذا بقی أی حی من الأحیاء دون ماء فإنه یحتفظ بالحمض النووی الرئیسی و بشیفراته الرئیسیة، و لکن هذه الجزیئات و هذه الشیفرات تکون بشکل متجرّد و متصلّب، فلا تستطیع أن تنمو و لا تستطیع أن تتحرّک. فإذا توفر الماء، و أعطی الماء ذرات الهیدروجین عندئذ تتأین، بدأت الشیفرة الحیّة بالحرکة «۱».

(۱) موسوعة الإعجاز العلمی، یوسف الحاج أحمد، ص ۲۶۷- ۲۶۸، عن أورخان محمد علی/ استانبول بتصرف. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۶۷ و یلاحظ سریان هذا القانون علی الجراثیم خاصة بکل سهولة. أما فی الأحیاء النامیة و المعقّدة الترکیب، فإن فقدان الماء لمدّة طویلة یسبّب ضمورا فی الأنسجة و خرابا فیها. لذا فإن توفّر الماء بعد ذلک لا یمکّن عودة الحیاة إلی تلک الأعضاء، فیستمر موتها. أما بالنسبة «لعجب الذنب» فالأمر مختلف، حیث إن «عجب الذنب» یحتفظ «بالخلایا الجذعیة الأم» سلیمة لوقت جدّ طویل، فإذا هطل علیه المطر عاد النشاط إلیه بإحیاء الروابط الهیدروجینیة التی تمکّنه من الانقسام، و التکاثر، و ترکیب جسد الإنسان، و کل ذلک بقدرة و إذن اللّه، و یحتاج الموضوع إلی مزید من التدقیق و البحث. و إذا کان الإنسان یتحدّث أنه بإمکانه أن یستنسخ إنسانا یوما ما، أ یعجز اللّه تعالی عن إعادة الخلق، و هو فوق الجمیع؟، سبحانه و تعالی عمّا یصفون. و من الشرح السابق تتضح لنا هذه الحقائق العلمیة الباهرة و التی لم یکن لیعرفها رجل أمیّ نشأ فی بیئة أمیّة- صلوات اللّه و سلامه علیه- إلا بوحی من الذی وضع أسس تخلق الجنین من عجب ذنبه، فسبحان من أحاط علمه بکل شیء و إلیه ترجع الأمور!!!. و فی النهایة نشیر إلی أنه من جراء انطمار النطفة داخل بطانة الرحم، و اتحاد کتلتها الداخلیة ببطانة الرّحم، و نمو الکتلة الداخلیة و الحبل الظهری فی الیوم الخامس عشر إلی السادس عشر، تخرج النطفة بشکلها و ترکیبها عن کونها نطفة، و تصبح کتلتها الداخلیة هی الجزء الرئیسی الذی سیتألف منه الجنین. هذه الکتلة تکتسب شکلا مستطیلا، و تلتصق بالمشیمة البدائیة بواسطة ساق موصلة (تصبح فیما بعد الحبل السری)، مهیئة نفسها لأن تصبح علقة (أی شیء یعلق) کما تنص علیه الآیة التی سنأتی علی شرحها فی النص المقبل- إن شاء اللّه-. و رغم أن عملیة تخلق و تقلص الذّنب هذه تقع خارج نطاق مرحلة تشکّل الذنب فقد وضعنا شرحها هنا لکی تتضح الأمور للقارئ. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۶۸

مرحلة ازدیاد الأرحام بالأجنة

مرحلة ازدیاد الأرحام بالأجنة * قال العلیم الحکیم: اللَّهُ یَعْلَمُ ما تَحْمِلُ کُلُّ أُنْثی وَ ما تَغِیضُ الْأَرْحامُ وَ ما تَزْدادُ وَ کُلُّ شَیْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ [الرعد: ۸]. * قال رسول اللّه- علیه أزکی الصلوات و أطیب التحیات-: «کل ابن آدم یأکله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق و فیه یرکب» [أخرجه مسلم ح ۳۵]. * عن مالک بن الحویرث أن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «إن اللّه تعالی إذا أراد خلق النسمة فجامع الرجل المرأة طار ماؤه فی کل عرق و عصب منها، فإذا کان یوم السابع جمعه اللّه تعالی ثم أحضر له کل عرق بینه و بین آدم ثم قرأ: فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ» [أخرجه الطبرانی ح ۲۱]. لقد تحدثنا فی مبحث «ازدیاد الأرحام و غیضها» أن الغیض و الازدیاد قد یعود للأرحام أو للحمل، فإذا عادا للحمل انطبق المعنی الثانی لفعل «غاض»: «دخل فی»، و أصبح معنی الآیة علی هذا النحو: اللّه یعلم ما تحمل کل أنثی و ما تبلغ الأرحام من حمل و ما ترداد منه. و بعد: تتکلم الآیة: اللَّهُ یَعْلَمُ ما تَحْمِلُ کُلُّ أُنْثی وَ ما تَغِیضُ الْأَرْحامُ وَ ما تَزْدادُ وَ کُلُّ شَیْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ (۸) [الرعد: ۸] عن الحمل علی وجه العموم؛ فاللّه سبحانه و تعالی: یَعْلَمُ ما تَحْمِلُ کُلُّ أُنْثی ...، و من ثمّ تصف لنا الآیة الصورة التی یمرّ بها الحمل و هو فی الرحم، فهی صورة دینامیکیة؛ یکون الحمل فیها فی مرحلة غیض فی بادئ أمره، حیث ینغرس الجنین فی بطانة الرحم و یختفی کلیا، و من ثمّ یصبح فی مرحلة ازدیاد. و مرحلة الازدیاد هذه تتحقق عند ما یزداد الجنین حجما، و وزنا، و مادة. و هذا الازدیاد یبدأ عند ما تنتهی مرحلة جمع خلایا الجنین، و عند ما یبدأ تطبیق خطة البناء علی الواقع، کما یحدثنا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم قائلا: (... ثم قرأ: فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ). و کلمة «رکبک» لها دلالتها فی هذا الوقت حیث إنها تشیر إلی أن عملیة ترکیب جسد الجنین قد بدأ، و هذه زیادة مادیة. و الحاصل أن (عجب الذنب KAERTS EVITIMIRP) ینشط فی هذه المرحلة، کما یشیر إلیه الحدیث «کل ابن آدم یأکله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق و فیه إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۶۹ یرکب» [أخرجه مسلم ح ۳۵] بحیث تهاجر الخلایا من الطبقة الخارجیة للقرص الجنینی إلی داخله و تتکاثر، و یکون ذلک فی مرحلة «العلقة» کما سنراه فی المباحث الآتیة بعد، فتنشأ (طبقة الخلایا الوسطی MREDOSEM LARETAL)، و یتطاول القرص الجنینی. و من ثمّ تبدأ أعضاء الجنین بالتخلق و الظهور و لو علی صورة براعم، و لذلک أورد الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم فی الحدیث الشریف: «کل ابن آدم یأکله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق و فیه یرکب» لفظ «خلق»، و

لـذلک جاء فی الآیـة: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِینٍ (۱۲) ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِی قَرارٍ مَکِینٍ (۱۳) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً (۱۴) [المؤمنون: ۱۲- ۱۴] فعل «خلقنا» فی مرحلة العلقة، بعد فعل «جعلناه» فی مرحلة النطفة. فهذه المرحلة- مع مرحلة «المضغة»- معروفة فی طب الأجنة بأنها مرحلة (تخلق الأعضاء SISENEGONAGRO)، و من ثمّ یلیهما مرحلة النشأة حیث یزداد الجنین وزنا زیادة ملحوظة و تتراکم فیه المواد الدهنیة بکثرة إلی أن یخرج من رحم أمه. و هذا ما تشیر إلیه الآیة الکریمة: ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَکَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِینَ [المؤمنون: ۱۴]. و وجه الإعجاز لا یتمثل بالإشارة إلی أن هنـاک مرحلة ازدیـاد، فکلنـا یعلم أن رحم المرأة الحامل یزداد یوما بعـد یوم و ذلک ظاهر للعیان، و لکن الإعجاز یتمثل بتحدیـد أن مرحلـة الازدیاد تأتی مباشـرة بعد مرحلة غیض النطفة فی الرحم، و هذا من أنباء الغیب فی عهد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، لأن الجنین یکون داخل بطانة الرحم و لا یزید حجمه عند انتهاء مرحلة الغیض عن ۰،۸ ملم، فاعتبروا یا أولی الأبصار!!!. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۷۰

العلقة

اشارة

العلقة « قال العلیم الحکیم: ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ... [المؤمنون: ۱۴]. تمتد هذه المرحلة من الیوم الرابع عشر إلی الیوم الرابع و العشرین «۱». لیس هنـاک لفظ أنسب من لفظ العلقـة لوصف هـذه المرحلـة و هـذا یعـدّ إعجازا من إعجـازات القرآن الکریم، فالمعانی التی تحویها کلمة علقة تنطبق کلها بإعجاز علی مظهر الجنین و وظیفته و ما یطرأ علیه من تغییرات خلال هذه المرحلة. هل هذا الذی تتکلم عنه صحیح؟ لنتابع معا معانی کلمة «علقة» و نری مدی صحة هذا الادعاء من خلال استعراض الحقائق العلمیة و ملاحظة مطابقتها علی تلک المعانی. و قد ورد عدة معان لکلمة «علقة» فی اللغة العربیة منها: ۱- لفظ «علقة» مشتق من علق و هو الالتصاق و التعلق بشیء. ۲- العلقـــــة هی دودة تعیش فی الـــبرک و تتغـــذی علی دمـــــاء الحیوانـــات الـــتی تلتصـــق بهـــا.

(_____ ۱) لقـد أخطأ- و اللّه أعلـم- بعض الباحثین الأفاضل فی مجال تخلق الجنین فی تقـدیر بدایـة فترة العلقـة، فاعتبروا أن فترة العلقـة تبـدأ من الیوم الـذی تعلق فیه النطفة فی الرحم، و هـذا الحـدث یتم فی حوالی الیوم السابع، فتبدأ فترة العلقة- بحسب اعتقادهم- من الیوم السابع و صاعدا. و لکن ما نشیر إلیه هنا، هو أن اللّه تعالی یخلق النطفـة علقـة، أی أن اللّه تعالی یحوّل طبیعـة النطفـة إلی علقة و یصوّرها علی هذا الشـکل بعد أن لم تکن (انظر إلی معنی کلمة «الخلق» فی مبحث «المضغة» الذی یلی)، و لهذا فعلی النطفة أن تخرج عن کونها نطفة لتصبح شیئا جدیدا، ألا و هو العلقـة. أما إذا اعتبرنا أن العلقـة هی النطفـة التی تعلق فی جدار الرحم، فإن النطفة فی هذه الحالة لا تخرج عن کونها نطفة، و لیس فی الأمر إلا أن التعلق زیادة فی صفة النطفـة و لیس خلق طبیعة جدیدة، کما یقول تعالی: ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً [المؤمنون: ۱۴]. و قد أشار إلی هذا المفهوم- أن علی طبیعة النطفة أن تتغیر- العلامة الحافظ أحمد بن حجر العسـقلانی فی کتابه فتح الباری، کتاب القدر- رقم الحدیث ۶۵۹۴- (ج ۱۱/ ص ۴۸۹) عند ما قال فی حـدیثه عن السـقط: «و توسع المالکیة فی ذلک فأداروا الحکم فی ذلک علی کل سـقط و منهم من قیـده بالتخطیط و لو کان خفیا و فی ذلک روایة عن أحمـد و حجتهم ما تقـدم فی بعض طرقه أن النطفة إذا لم یقدّر تخلیقها لا تصیر علقة و إذا قدّر أنها تتخلق تصیر علقة ثم مضغة إلخ؛ فمتی وضعت علقة عرف أن النطفة خرجت عن کونها نطفة و استحالت إلی أول أحوال الولـد». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۷۱ ۳- العلق: هو الـدم الغلیظ الجامـد «۱». ۴- کلمة العلقة: تستعمل أیضا للإشارة إلی الدم الرطب «۲». ۵- کلمة علقة تشیر إلی الحمرة الشدیدة «۳». جاء فی لسان العرب «۴»: «علق: علق بالشـیء علقا و علقه: نشب فیه. قیل هو الـدم الجامـد الغلیظ، و قیل الجامد قبل أن ییبس، و قیل هو ما اشتدت حمرته ... و العلقة دودة تعیش فی الماء تمتص الدم».

المعنی الأول و هو معنی الالتصاق و التعلق بشیء:

المعنی الأول و هو معنی الالتصاق و التعلق بشیء: تحدثنا فی مبحث «جمع خلایا الجنین» عن أن کتلة الخلایا التی تتولد من انقسامات النطفـة تتمـایز إلی کتلـتین: (کتلـة خلایـا داخلیـة SSAM LLEC RENNI) سـتؤلف الجنیـن، و (کتلـة خلایـا خـارجیة TSALBOHPORT) سـتؤلف المشیمة. تلـک الکتل تکون متصلة بعضـها ببعض عنـد قطب من الأقطاب یسـمی: (القطب الجنینی ELOP CINOYRBME) بینما یفصل بینها من سائر الجهات ما عدا القطب الجنینی فراغ ممتلئ بسائل یـدعی: (کیس الممح الأولی CAS KLOY EVITIMIRP RO YTIVAC CIMOLEOCOXE). و لکن تلـک الکتـل ما تلبث أن تتمایز، فتنفصـل کتلة الخلایا الداخلیـة عن کتلـة الخلایـا الخارجیـة فی الجزء الوسط منها عنـد القطب الجنینی لتؤلف قرصا مسطحا دائریا یسمی: (القرص الجنینی CSID CINOIRBME)، و ینشأ بین هـذا القرص و کتلـة الخلایـا الخارجیـة من جراء هـذا الانفصال فراغ یسـمی: (الفراغ الأمنیونی YTIVAC CITOINMA). فیفصل عندئذ الفراغ الأمنیونی القرص الجنینی عن کتلـة الخلایا الخارجیـة من جهـة القطب الجنینی، بینما یفصل کیس الممح الأولی القرص الجنینی عن کتلة الخلایا الخارجیة من الجهة المعاکسـة، و یظل القرص الجنینی متصلا بکتلـة الخلایا الخارجیـة عند أطرافه (انظر الصورة رقم: ۷۵)، و یتولـد فی نفس الوقت (طبقـة رخوة من النسـیج من خلایـا کیس الممح CITAMOS CINOIRBMEARTXE

۱) _____ الصحاح للجوهری- (ج ۴/ ص ۱۵۲۹). مقاییس اللغة لابن فارس- (ج ۴/ ص ۱۲۵). المعجم الوسـیط- (ج ۲/ ص ۶۲۲). القاموس المحیط لمجـد الدین محمد ص ۱۱۷۵. المفردات للأصـفهانی ص ۵۷۹. نظم الـدرر للبقـاعی- (ج ۱۳/ ص ۱۱۵). (۲) زاد المسـیر لابن الجوزی- (ج ۵/ ص ۴۰۶). صفوة التفاسیر- (ج ۹/ ص ۵۳). روح المعانی للآلوسی (ج ۳۰/ ص ۱۸۰). فتـح القدیر للشوکانی- (ج ۳/ ص ۴۳۶). الجامع لأحکام القرآن للقرطبی- (ج ۱۲/ ص ۶). (۳) نظم الـدرر للبقاعی- (ج ۱۳/ ص ۱۱۵). (۴) لسـان العرب لابن منظور- مادة «علق»- ج ۹/ ص ۳۵۶- ۳۶۱. إعجاز القرآن فی مـا تخفیه الأرحام، ص: ۲۷۲ (SC MREDOSEM)، سـرعان مـا تحیط بالقراغ الأمنیونی و بکیس الممح و بالقرص الجنینی عند أطرافه (انظر الصورة رقم: ۷۶)، و من ثم ینشأ فی هـذا النسـیج عدة فراغات تتحد فیما بینها فتؤلف (فراغا کبیرا ممتلئا بسائل MOLEOC CINOIRBMEARTXE) یحیط بکیس الممح و القرص و الفراغ الأمنیونی (انظر الصـورة رقم: ۷۷)، فیفصل الفراغ عندئذ القرص الجنینی من کل الجهات عن الکتلة الخارجیة إلا فی موضع واحد حیث یظل القرص متصـلا بالطبقة الخارجیـة الـتی تصـبح جزءا مـن الرحـم بواسـطة (الطبقـة الرخـوة مـن النسـیج MREDOSEM CITAMOS ۱ (CINOIRBMEARTXE)، (انظر الصورة رقم: ۷۸). هـذه الطبقة تکون بمثابة ساق للقرص الجنینی تسـمی: (المعلاق KLATS GNITCENNOC) و تصبح فیما بعد الحبل السری للجنین (انظر الصور رقم: ۷۹- ۸۰- ۸۱). و هکـذا نری کیف أن الجنین یتعلق بـــــالرحم بواســـــطة ســـــاق لیصـــــبح کمـــــا تشـــــیر إلیـــــه الآیـــــة «علقـــــة».

(_____ ۱) للمراجعة کتاب علم الأجنّة الطبی، سادلر، ص ۴۴- ۴۷. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۷۳ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۷۴ (SC) إعجاز القرآن فی مـا تخفیه الأرحام، ص: ۲۷۵ (SC) إعجاز القرآن فی مـا تخفیه الأرحـام، ص: ۲۷۶ (SC) إعجاز القرآن فی مـا تخفیه الأرحام، ص: ۲۷۷ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۷۸

المعنی الثانی و هو معنی الدودة التی تعیش فی البرک:

المعنی الثانی و هو معنی الـدودة التی تعیش فی البرک: بعـد أن تتمایز النطفـة إلی کتلتین، کتلـة داخلیـة و کتلـة خارجیة، تتحد الکتلة الخارجیة بطانة الرحم و تخرج النطفة عن شـکلها و طبیعتها، و تتهیأ لأخذ شـکل جدید: هو شـکل القرص الجنینی. هذا القرص یتخذ تدریجیا شکل علقة. و الحاصل أن (الحیل الظهری DROCOHTON) ینمو فی الأسبوع الثالث فیستطیل الجنین و یتخذ نسبیا شکلا کمثریا، و فی نفس الوقت تنمو (الطبقة المتوسطة MREDOSEM) فیتصلب الجنین، و یتضخم جزء (الطبقة الخارجیة للجنین الممتد علی جانبی محور الجنین ETALP LARUEN) بینما ینخفض الجزء المحوری ابتداء من الیوم الثامن عشر، فیظهر خط طولی فی وسط الجنین، و من ثم تلتحم أطراف الطبقـة الخارجیة الواقعة علی جانبی المحور فی الیومین الثانی و الثالث و العشرین مکونة (میزابا عصبیا ۱ (EVOORG LARUEN)، و تمایز (الطبقة المتوسطة التی تلامس هذا المیزاب MREDOSEM LAIXARAP) ابتداء من الیوم الواحد و العشرین، أی فی حوالی نهایة مرحلة العلقة، فتظهر بعض الشـقوق فیها علی أثر ذلک، و تنقسم إلی قطاعات مکوّنة علی جانبی المیزاب العصبی بعض ما یسمی (بالفلقات البدئیة SETIMOS)، فنجد فی نهایة الأمر أن الجنین قد اتخذ شکلا مستطیلا نسبیا و أن رأسه قد تضخم، و وسطه قد نحف، و ظهر خط طولی فی وسطه، و بدأ شکله یتلثم قلیلا مع اعوجاج صغیر فی شکله الکلی حتی إن مظهره الخارجی أصبح یشبه مظهر العلقـة أی الـدودة. (انظر الصورة رقم: ۸۲). جاء فی تفسـیر ابن کثیر «۲» فی تفسیر الآیة: «فصارت علقـة حمراء علی شکل العلقـة مستطیلة». فی هـذه المرحلة یبدأ الجنین بالتغذی من دماء الأم مثلما تفعل الدودة العالقة إذ تتغـذی من دمـاء الکائنـات الأخری و یحاط الجنین بمائع مخاطی (السائل الأمنیوسی) تماما مثلما تحاط الـدودة بالماء. (انظر الصورة رقـم: ۸۳). و هکـــذا یتشـــابه الجنیـــن مـــع دودة العلقـــة مـــن حیـــث المحیـــط و الوظیفـــة.

(_____ ۱) للمراجعة کتاب الإنسان النامی، د. مور وبارسو، ص ۷۲- ۷۳- ۹۲. (۲) تفسیر ابن کثیر- (ج ۳/ ص ۲۴۰). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۷۹ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۸۰ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۸۱

المعنی الثالث و هو الدم الجامد:

المعنی الثالث و هو الـدم الجامـد: نفیـد فی هـذا المضـمار أنه یتخلق فی هـذه الفترة لـدی الجنین قلب بدائی مملوء بالدماء و مجموعة أوردة دمویة ضیقة علی شکل جزر مغلقة تجعل الدم جامدا غیر متحرک. (انظر الصورة رقم: ۸۴).

المعنی الرابع و هو معنی الدم الرطب:

المعنی الرابع و هو معنی الدم الرطب: قد تکلمنا آنفا أن الدم یکون جامدا غیر متحرک و هذا من حیث المظهر الخارجی، أما فی الحقیقة فهو دم سائل (أی رطب) و لا یبدأ هذا الدم بالدوران حتی الیوم الثانی و العشرین (أی حین یصبح القلب البدائی قادرا علی الضخ). (انظر الصورة رقم: ۸۴).

المعنی الخامس و هو شدید الحمرة:

المعنی الخامس و هو شدید الحمرة: من جراء کثرة الأوردة یظهر الجنین شدید الحمرة. (انظر الصورة رقم: ۸۴). و هکذا نری أن المعانی الخمسة تنطبق بشکل رائع علی وصف الجنین فی هذه المرحلة مظهرة روائع الإعجاز البیانی للقرآن الکریم. و فی مجمل القول فإن اسم «العلقة» یعتبر وصفا دقیقا متکاملا لهذا الطور، فهذا الاسم یشتمل علی وصف الهیئة العامة للجنین کدودة عالقة: لونها، شکلها، وظیفتها، محیطها، کما یشتمل علی الأحداث الداخلیة کتکوّن الدماء و الأوعیة مقفلة، و هذا من إعجاز القرآن الکریم. و من الجدیر بالذکر فی هذا المقام أنه لا یلزم أن یکون معنی الدم الجامد أو الرطب ینطبق بدقائقه علی الجنین حتی یسمی هذا الأخیر بالعلقة، فیکفی أن یغلب علی الجنین الدم، و تظهر علیه أعراض الدم حتی یسمی: علقة، و هذا ما أشار إلیه الألوسی «۱» فی قوله: «ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً أی دما جامدا و ذلک بإفاضة أعراض الدم علیها فتصیرها دما بحسب الوصف»، و الطبری فی کتابه جامع البیان فی تفسیر القرآن عند قوله تعالی: وَ قَدْ خَلَقَکُمْ أَطْواراً [نوح: ۱۴] «۲»: «حدثنی یونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زید، فی قوله: و قد خلقکم أطوارا قال: ... ثم یغلب الدم علی النطفة، فتکون علقة».

(_____ ۱) تفسیر الألوسی- (ج ۱۸/ ص ۱۳).

(۲) جامع البیان فی تفسیر القرآن للطبری- (ج ۲۹/ ص ۶۰). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۸۲ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۸۳

الظلمات الثلاث

الظلمات الثلاث * قال عزّ و جلّ: یَخْلُقُکُمْ فی بُطُونِ أُمَّهاتِکُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فی ظُلُماتٍ ثَلاثٍ ذلِکُمُ اللَّهُ رَبُّکُمْ لَهُ الْمُلْکُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّی تُصْرَفُونَ [الزمر: ۶]. تتحدث الآیة أعلاه عن موضوعین أساسیین هنا: الظلمات و التخلقات المتتالیة. الآیة خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ تشیر إلی أن الجنین یمر فی أطوار کما تحدثنا فی مبحث «تعریف الأطوار»، و لکن ما یضاف إلی هذا التفسیر الآن هو أن هذه الأطوار یجب أن یکون لها طابع خاص ألا- و هو: التخلق. فالطور هو الهیئة التی تظهر علی الجنین و التی تمیز بعض التغیرات التی تحصل فیها. و هذه التغیرات قد تکون تخلقات و قد تکون أشیاء أخری: کزیادة وزن الجنین أو عملیة تمیز للخلایا ... إلخ. و لکن ذکر الأطوار فی هذه الآیة بصیغة التخلق (بقول الله تعالی: خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ بدلا من طور بعد طور) یشیر إلی أن الظلمات المذکورة هی ضروریة لهذه التخلقات. ترى ما هذه الظلمات؟ و ما خصائصها؟ و لما ذا ذکرت هنا؟. لا بد أن نستأنس بآیات أخری وردت فی القرآن الکریم تتحدث عن الظلمات لکی تتضح لنا الصورة کلیا. قال تعالی: أَوْ کَظُلُماتٍ فی بَحْرٍ لُجِّیٍّ یَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ یَدَهُ لَمْ یَکَدْ یَراها وَ مَنْ لَمْ یَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ [النور: ۴۰]. إذا تأملنا الآیة أعلاه نستنتج أن هذه الظلمات یجب أن تکون واحدة فوق الأخری (کما فی لفظ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ)، بالإضافة إلی ذلک فإن هذه الظلمات لا تنفی إمکانیة وجود ضوء و ذلک لأن الله تعالی قال: إِذا أَخْرَجَ یَدَهُ لَمْ یَکَدْ یَراها و لم یقل إذا أخرج یده لم یرها. إلی ذلک فإن آیة سورة الزمر تحدد عدد الظلمات بثلاث ظلمات. هذه الظلمات ما هی إلا أغطیة تحیط بالجنین فی أطواره التکوینیة. فالغطاء بمثابة حجاب و الحجاب یؤدی إلی ظلمة، و ثلاثة أغطیة تؤدی إلی ثلاث ظلمات. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۸۴ تفصیلا: یبدأ الخلق عند ما تدخل النطفة الذکریة (الحیوان المنوی) النطفة الأنثویة (البویضة)، و کما رأینا، فإن خلایا تلک النطفة- نطفة الأمشاج- تنشطر إلی العدید من الخلایا، هذه الخلایا موجودة داخل غشاء یحیطها من کل الجهات (ألا و هو غشاء البویضة)، و هذه البویضة موجودة داخل قناة ترتبط بالرحم- قناة فالوب-، و هذه القناة موجودة داخل البطن. (انظر الصورة رقم: ۸۵). و هکذا نری أن هناک ثلاث ظلمات تحیط بالخلق: ظلمة البطن، و ظلمة القناة (قناة فالوب)، و ظلمة غشاء البویضة. و من ثم تقع البویضة فی الرحم، و أثناء وقوعها تتخلی البویضة عن هذا الغشاء و تدخل بطانة الرحم لتستبدل به فیما بعد الغشاء المشیمی. و هنا تتطابق المعطیات العلمیة مرة أخری مع المعطیات القرآنیة و تصبح الظلمات الثلاث: ظلمة البطن، و ظلمة غشاء الرحم، و ظلمة الغشاء المشیمی. و تلک الظلمات کلها بعضها فوق بعض. (انظر الصورة رقم: ۸۶). هذا علی نطاق واسع، أما إذا أردنا أن ننظر بدقة أکثر، فسنری أنّ الغشاء المشیمی مؤلف من ثلاث طبقات بعضها فوق بعض هی من الخارج إلی الداخل: أ- (الغشاء الساقط AUDICED). ب- (الغشاء الکوریونی NOIROHC). ج- (الغشاء الأمنیوسی NOINMA). کما أن الرحم و قناته مؤلفان من ثلاث طبقات هی من الخارج إلی الداخل: أولاها طبقة البریتون التی تغطی جسم الرحم، و ثانیها الطبقة العضلیة للرحم، و ثالثها الطبقة المخاطیة؛ و هی الغشاء المبطن للرحم. (انظر الصورة رقم: ۸۶). نشیر هنا إلی أن الله سبحانه و تعالی قال: یَخْلُقُکُمْ فی بُطُونِ أُمَّهاتِکُمْ، و لم یقل یخلقکم فی أرحام أمهاتکم، دلالة علی أن الظلمات غیر محصورة فی الرحم فقط، و لکن هی فی الرحم و خارجه. أما عن أهمیة الظلمة للجنین: فإن الظلمة ضروریة لتخلق الجنین و ذلک لأن الضوء عامة یؤذیه. فقد یتسبب الضوء فی إتلاف شبکیة العین قبل اکتمال نموها، کما أن الضوء قد یؤذی خلایا الجنین و قد یکون فتاکا بالنسبة إلی البویضة. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۸۵ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۸۶ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۸۷ فقد أظهرت الأبحاث «۱» أن الضوء الفوق البنفسجی (۳۲ إلی ۴۰۰ نم) و أن الأشعة الکتیفة و القریبة من (الطول الموجی HTGNELEVAW) القریب إلی الأحمر (أکبر من ۷۵۰ نم) تؤذی الجنین. کما أن الضوء الهالوجینی (المستعمل عادة) أیضا یؤذی البویضة «۲».

(_____ ۱) (المؤتمر العالمی السادس عشر للعقم و الخصوبة EHT ۱۶ hT DLROW NO SSERGNOC DNA YTILITREF YTILIRETS) الخامس من أکتوبر ۱۹۹۸ م، رسالة أورمون، سیسنیک، بایوکو وجاتا (کلیة الطب- أنقرة- ترکیا)، ص ۱۶ ۲) S. لثر علی سبیل المثال تأثیر الضوء فوق البنفسجی عامة علی (الحمض النووی الرئیسی AND) و المضاعفات الناتجة عن هذا التأثیر. حلزون الدنی أن آی مؤلف من سلسلتین من الذرات. کل من هاتین السلسلتین مؤلفة من سلسلة من (التوکلیوتیدات SEDITOELCUN) مصفوفة واحدة تلو الأخری. التوکلیوتیدات مجموعة من ذرات (الفوسفات ETAHPSOHP) و (السکر المتروع الأوکسیجین ESOBIRYXOED) و (و النیتروجین NEGORTIN). ترتبط هاتان السلسلتان بقواعد مؤلفة من ذرات النیتروجین بروابط هیدروجینیة. «تؤدی طاقة الضوء فوق البنفسجی الذی یمتصّها الدی أن آی إلی إنشاء روابط کیمیائیة جدیدة بین القواعد المتجاورة علی نفس السلسلة. تحدث هذه الحالة تغیرات فی تراوح القواعد خلال الاستنساخ (استنساخ الدی أن آی و بالتالی استنساخ الخلایا) و تؤدی إلی إنشاء طفرات». «الطفرات هی تغیرات فی تسلسل القواعد فی الدی أن آی». «هذه الطفرات تؤدی إلی تغیرات متوارثة (من قبل الخلایا) فی تصنیع البروتین» DICA CIELCUN /YDOB NAMUH /ERUTAN :AIDEPOLCYCNE AIDEMITLUM REILLORG). و ذلک أن التغییرات فی تسلسل قواعد الحمض النووی الرئیسی (الدی أن آی) تجعل (أتریم بلمرة الآر إن آی .A. N ESAREMYLOP R) یقرأ الشفرة الجینیة لحلزون الدی أن آی قراءة مختلفة و یصنع وفق تلک القراءة مرکبا آخر یسمی: (الآر إن آی الرسول .A. N R m). هذا المرکب یخرج من نواة الخلیة و ینقل الأوامر من الدی أن آی کالشفرة إلی مصنع البروتینات بالخلیة: الریبوزوم، و هذا الأخیر یتکون من البروتین و (الآر إن آی الریبوزی .A. N. R r). و هناک تترجم مجموعة أخری من هذه المرکبات الحیویة تسمی: أحماض (الآر إن آی الناقلة .A. N. R t) هذه الشفرة المنقولة و یبدأ تجمیع سلسلة البیتیة حسب هذه المعلومات ... و بما أن الشفرة مختلفة فتصنع بروتینات مختلفة. «هذه التغییرات تؤدی إلی إنشاء تشوهات أو تغییرات فی (نظام الأیض MSILOBATEM)». و لکن تجدر الإشارة إلی أن هناک إتریمات تصلح تلک العیوب تسمی: (إتریمات الدی أن آی الإصلاحیة EMYZNE RIAPER A. N. D). و سوف نتکلم عنها أکثر فی مبحث «معجزة الرؤیة الإسلامیة فی علم الوراثة». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۸۸ إن الضوء الوحید الذی لا یؤذی الجنین هو الضوء الأخضر (ذات الطول الموجی ما بین ۵۷۵- ۵۲۵ نم). و کما نعلم فإن تخلق الجنین یعتمد علی استنساخ الخلایا، فإذا تأذّت الخلایا الأولی تولدت الخلایا المنسوخة مع الأذی الذی لحق بالأولی. نود الإشارة إلی أنه بما أن الضوء یؤذی الخلایا، فإذا خف استنساخ الخلایا المعطوبة من جراء الضوء (و التی ستولف الجنین) خف الضرر الذی یتولد من تأثیر الضوء و الله تعالی أعلم. و هذا یعنی أنه کلما تقدم الجنین فی السن و تخطی مرحلة (تخلق الأعضاء SISENEGONAGRO) خفّ تأثیر الضوء علی الجنین. أضف إلی ذلک أن نشوء الجلد و تغطیته للجسم و الحجاب الذی یفرضه یخفف من أذی الضوء للجنین و هکذا یتجلی لنا لما ذا ربط الله تعالی الأطوار ذات الطابع التخلقی بالظلمة. و کما أشرنا إلیه فی مبحث «ثقافة العالم القدیم و الحدیث فی علم الأجنة» فإن أول من نشر رسومات دقیقة عن الأغشیة المحیطة بالجنین هو العالم (لیوناردو دافانشی ICNIV AD ODRANOEL) فی القرن الخامس عشر المیلادی، أی بعد حوالی ۱۰۰۰ سنة من نزول القرآن الکریم علی رسول الله صلّی الله علیه و سلّم!!!. فمن أوحی إلی رسول الله- علیه الصلاة و السلام- هذا الوصف الدقیق للأغشیة التی تحیط بالجنین؟!، و من أوحی إلیه أن الظلمة مهمّة جدّا لتخلق الجنین؟! الجواب: الله رب العالمین. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۸۹

المضغة

اشارة

المضغة * قال العلیم الحکیم: فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ... [المؤمنون: ۱۴]. * قال العلیم الحکیم: یا أَیُّهَا النَّاسُ إِنْ کُنْتُمْ فی رَیْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاکُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَیْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَیِّنَ لَکُمْ ... [الحج: ۵]. * عن عبد الله بن مسعود رضی الله عنه قال: قال رسول الله صلّی الله علیه و سلّم و هو الصادق المصدوق: «إن أحدکم یجمع خلقه فی بطن أمه أربعین یوما ...» [أخرجه مسلم ح ۴۳]. * من دعاء الرسول الکریم- علیه و علی آله أفضل الصلاة و التسلیم- فی سجوده: «سجد وجهی للذی فطره و

صوّره و شقّ سمعه و بصره» [أخرجه مسلم ح ۳۸]. تمتد مرحلة المضغة من اليوم الخامس و العشرين إلى اليوم الأربعين.

أ- الشكل الخارجي للمضغة:

اشارة

أ- الشكل الخارجي للمضغة: لقد وردت عدة معان لكلمة «مضغة» في اللغة العربية منها: ۱- المادة التي لاكتها الأسنان و مضغتها «۱». ۲- صغار الأمور «۲». جاء في لسان العرب «۳»: «مضغ: مضغ يمضغ و يمضغ مضغا: لاک ... و المضغ من الجراح: صغارها ... و المضغ جمع مضغة: و هي القطعة من اللحم قدر ما يمضغ و مضغ الأمور: صغارها».

(_____ ۱) تاج العروس لمحمد مرتضى- (ج ۱۲/ ص ۱۶۰). لسان العرب لابن منظور- مادة «مضغ»- (ج ۱۳/ ص ۱۲۹). (۲) نظم الدرر للبقاعي- (ج ۱۳/ ص ۱۱۶). لسان العرب لابن منظور- مادة «مضغ»- (ج ۱۳/ ص ۱۳۰). (۳) لسان العرب لابن منظور- مادة «مضغ»- (ج ۱۳/ ص ۱۲۹- ۱۳۰). إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، ص: ۲۹۰ و معنى الشيء الصغير نستطيع أن نستنبطه من وزن الكلمة. جاء في تفسير زاد المسير «۱»: «و المضغة: لحمة صغيرة، قال ابن قتيبة: و سميت بذلك، لأنه يقدر ما يمضغ، كما قيل: غرفة لقدر ما يغرف».

المعنى الأول و هو المادة التي لاكتها الأسنان:

المعنى الأول و هو المادة التي لاكتها الأسنان: رأينا في مرحلة العلقة بأن الجنين أصبح يشبه العلقة في مظهره من جراء تطاوله، و تثلمه، و ظهور بعض الفلقات فيه، و خط طولي في وسطه، و لكن سرعان ما يفقد هذا المظهر بعد أن ينحني رأسه و ذيله اتجاه بطنه في اليومين الرابع و الخامس و العشرين، و بعد أن ينطوي جانبا الجنين على نفسيهما، فيفقد الجنين مظهر العلقة. و مما يساهم في ذلك أيضا، هو أن (الساق الموصلة KLATS GNITCENNOC) التي كانت تميز الجنين على أنه علقة تتحول إلى حبل سرى «۲»؛ فهذه الساق التي كانت تلتصق بالجنين و كيس المح عند ذيل الجنين، ما تلبث أن تهاجر و تلتحق بالمعى الأوسط الذي تخلق من جهة بطن الجنين، فتنتفي صورة الساق الموصلة، و يفقد الجنين بذلك آخر عامل يربطه بصورة «العلقة». و تفصيلا: من جراء انطواء جانبي الجنين على نفسيهما ما بين اليوم الثاني و العشرين إلى السادس و العشرين، يتزوى جزء من (كيس المح CAS KLOY) إلى داخل الجنين مؤلّفا (المعى الأوسط TUGDIM)، و في نفس الوقت تلتحق الساق الموصلة بالمعى الأوسط عند انحناء ذيل الجنين، و ما يلبث ما تبقى من كيس المح أن يلتحم بالساق الموصلة، و يلتف حولهما (غشاء السلى NOINMA) مكونا ما يعرف بالحبل السرى. و بعد: تكاثر الفلقات التي ذكرناها في مرحلة العلقة حتى يبلغ عددها في نهاية الأمر اثنتين إلى أربع و أربعين فلقة، يظهر بينها فراغات و أخاديد، و تكون بذلك أبرز علامات هذه الفترة. و تظهر أولى هذه الكتل من جهة الرأس، ثم يتوالى ظهورها تباعا من الرأس إلى مؤخرة الجنين وفق جدول زمني دقيق للغاية، حتى إنه يمكن معرفة عمر الجنين بمعرفة عدد الكتل البدنية كالتالي:

(_____ ۱) زاد المسير لابن الجوزي- (ج ۵/ ص ۴۰۶). (۲) كتاب الإنسان، د. تاج الدين محمود الجاعوني، ص ۱۳۲. إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، ص: ۲۹۱ العمر بالأيام/ عدد الكتل البدنية ۲۰- ۲۱/ ۱- ۳ ۲۲- ۲۳/ ۴- ۱۲ ۲۴- ۲۵/ ۱۳- ۲۰ ۲۶- ۲۷/ ۲۱- ۲۹ ۲۸- ۳۰/ ۳۰- ۳۵ ۳۱- ۳۵/ ۳۶- ۴۲ (أو ۴۴) أضف إلى ذلك، يظهر في الوقت نفسه، تحت قمة الرأس مباشرة، شقوق و ميازيب في طبقة الأكتودرم الخارجية، يقابلها نتوءات مماثلة من طبقة الأندودرم الداخلية، هذه الشقوق تولف (الأقواس البلعومية SEHCRA LAEGNYRAHP) لدى الإنسان، و تظهر للعيان و كأنها خمس فلقات بينها أخاديد «۱». و من جراء انحناءات الذيل و الرأس اتجاه البطن، و بروز مقدمة الرأس، و تكاثر الانتفاخات و الانحناءات التي تصاحب ظهور الكتل البدنية (انظر الصورة رقم: ۸۷)، و وجود الأقواس البلعومية (انظر الصورة رقم: ۸۸) يكسب الجنين مظهر قطعة ممزقة لا شكل لها شبيهة بالمادة التي لاكتها الأسنان. جاء في تفسير ابن كثير «۲» بصدد هذه الآية: «و هي قطعة كالبضعة من اللحم لا شكل فيها و لا تخطيط»، أي لا شكل لها و لا تخطيط يدل على أنه جنين إنساني.

(_____ ۱) كتاب خلق الإنسان بين الطب و القرآن، د. محمد علي البار، ص ۳۶۳/ كتاب التارات السبع، د. محمد علي البار، ص ۳۳. (۲) تفسير ابن كثير- (ج ۳/ ص ۲۴۰). إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، ص: ۲۹۲ و قال الألوسي «۱»: «قطعة لحم بقدر ما يمضغ، لا استبانة و لا تمايز فيها، أي لا تمايز للملامح الإنسانية، و لا استبانة فيها لأي عضو من أعضاء الجسم الإنساني. (SC) و ليست (الكتل البدنية SETIMOS) وحدها السبب في تسمية هذه المرحلة بالمضغة، فهناك تفاصيل أخرى، و إن كانت دقيقة، تجعل تسمية المضغة ملائمة للجنين. فبالإضافة إلى الكتل الخارجية الظاهرة للعين، هناك أيضا كتل داخلية تعرف باسم: (القطع البدنية SEREMATEM)، يتكون بداخلها (أنابيب بدائية للكلى SORHPENORP)، تظهر مع ظهور الكتل البدنية في جهة الرأس و العنق، و تمتد إلى (مؤخرة الجنين NOITROP LADUAC)، في خط مواز للكتل الخارجية (انظر الصورة رقم: ۸۹)، و كأن هذه الكتل تولدت تحت وطأة مضغ الأسنان للجهة الخارجية، فأصبح لدينا إلى جانب آثار الطبع الخارجية آثار طبع داخلية مرادفة لها، هذه الكتل، إلى جانب التفاصيل الأخرى التي ذكرناها سابقا، تجعل وصف المضغة دقيقا كل الدقة، بارعا كل البراعة في وصف تلك المرحلة «۲».

(_____ ۱) تفسير الألوسي- (ج ۱۸/ ص ۱۴).

(۲) كتاب التارات السبع، د. محمد علي البار، ص ۳۳. إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، ص: ۲۹۳ (SC) و من الجدير بالذكر أن وصف الله- سبحانه و تعالى- للجنين بأنه مضغة في هذه الفترة يشير إلى أن الجنين في بالغ الطراوة. فالقطعة التي يلوكها الفم طريّة، و خصوصا بعد مضغها. و إذا ألقينا نظرة إلى المادة التي يتألف منها الجنين في فترة المضغة، نرى أنها مؤلفة من أنسجة تسمى: (أنسجة ميزانكيمية SEUSSIT LAMYHCNESEM)، و هي كما يصفها لنا العلماء «أنسجة منتظمة برخاوة» «۱»، و هذه الطراوة مهمة حتى ينطوي الجنين على نفسه في مختلف النواحي، كما رأينا سابقا في هذا المبحث، و هذا يشير إلى معرفة الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم إلى أن هذه الفترة تتطلب رخاوة لدى أنسجة الجنين حتى يستطيع أن يتشكل، و خصوصا أن التصين القرآنيين: أَ لَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى (۳۷) ثُمَّ كانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (۳۸) [القيامة: ۳۷- ۳۸] و ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ (۱۳) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً [المؤمنون: ۱۳- ۱۴] يشيران إلى أن الجنين يستقيم في المرحلة التي تلي مرحلة المضغة من جراء تصلبه (مما يدل على أنه كان رخوا قبل ذلك) «۲».

(_____ ۱) كتاب الإنسان النامي مع زيادات إسلامية، د. كيث مور، ص ۳۴۴. (۲) لمزيد من التفسير حول تصلب الجنين و استقامة جسده انظر مبحث «التسوية» إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، ص: ۲۹۴

المعنى الثاني و هو معنى الشيء الصغير:

المعنى الثاني و هو معنى الشيء الصغير: يكون طول الجنين حوالي ۱ سم في نهاية هذه المرحلة، و هو حجم صغير جدا كما يشير إليه معنى كلمة «مضغة». (انظر الصورة رقم: ۹۰). (SC ezis lautcA ۱۱. ۰ m m) و من الجدير بالذكر أن وزن كلمة «مضغة» يشير إلى شيء صغير كما يشير إليه وزن كلمة «سلالة» (التي تحدثنا عنها في مبحث «النطفة»)، غير أن وزن كلمة «مضغة» يقصد شيئا أكبر في حجمه مما يقصده وزن كلمة «سلالة». «فغرفة» من المياه التي هي على وزن كلمة «مضغة» أكبر من «النخالة» و «النشارة» التي هي على وزن «سلالة»، و بالفعل فإن حجم السلالة- سواء أ كانت السلالة الأنثوية أم السلالة الذكرية «۱»- أصغر بكثير من المضغة. و من العوارض التي تظهر عند الجنين في هذه الفترة و التي تجعل تسمية «المضغة» تنطبق عليه: ۱- تبدو فلقات الجنين و كأنها تتغير باستمرار مثلما تتغير آثار طبع الأسنان في شكل مادة تمضغ حين لوكها- و ذلك للتغير السريع في شكل الجنين- و لكن آثار الطبع أو المضغ تستمر ملازمة. فالجنين يتغير شكله الكلي، و لكن التركيبات المتكونة من الفلقات تبقى ... و كما أن المادة التي تلوكها الأسنان يحدث فيها تفضن و انتفاخات و تثنيات فإن ذلك يحدث للجنين تماما. ۲- تتغير أوضاع الجنين نتيجة تحولات في مركز ثقله مع تكون أنسجة جديدة، و يشبه ذلك تغير وضع و شكل المادة حينما تلوكها الأسنان، فيدور الجنين و يتقلب في جوف الرحم كما تدور القطعة الممضوغة في جوف الفم (_____ ۱)

راجع مبحث «النطفة». إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، ص: ۲۹۵ و نشير هنا إلى أن معنى كلمة المضغة: صغار الأمور، بالإضافة إلى معنى كلمة النطفة: القطرة، و ما ورد عن النبي صلّى اللّه عليه و سلّم أن عجب الذنب هو مثل «حبة الخردل»، يدل قطعا على أن الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم يعلم تمام العلم أن مجريات الأمور من تخلق الجنين و ما لحقه من انتشار العروق و انفلاق النطفة، و جمع الخلايا، و تخلق العلقة، و تخلق المضغة تتخذ حيزا من المكان لا يزيد حجمه عن واحد سنتيمتر في نهاية الأسبوع السادس من وقت التخصيب (أي في الأيام الأربعين الأولى من تخلق الجنين كما يشير إليه الحديث الشريف: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ...» [أخرجه مسلم ح ۴۳])، و أنه صلّى اللّه عليه و سلّم يعلم تمام العلم أن الجنين يكبر حجمه قليلا و إن ظل صغيرا كما يشير إليه اختلاف وزن كلمة «سلالة» و وزن كلمة «مضغة»، و هذا مما يزيد الإعجاز دقة!!! كما أشرنا إليه في مبحث «ثقافة العالم القديم و الحديث في علم الأجنة»، فإن أول من تخيّل أن جسم الجنين له مظهر الفلقات هو العالم مارسيلو ماليجي عام ۱۶۷۲ م عند ما نشر رسومات لجنين دجاجة تظهر الفلقات بوضوح تام، بيد أن القرآن الكريم أشار إلى ذلك قبل حوالي ۱۰۰۰ سنة. فمن أوحى إلى رسول اللّه- عليه الصلاة و السلام- هذا الوصف الدقيق الذي يشير إلى شكل المضغة؟!، و من أوحى إليه أيضا أن مظهر الجنين يتغير باستمرار كما يتغير مظهر المادة التي تلوكها الأسنان علما بأن هذه الظاهرة لم تكتشف و لم تصور إلا في القرن العشرين؟!. الجواب: اللّه رب العالمين.

ب- الشكل الداخلي:

ب- الشكل الداخلي: هذا على صعيد الشكل الخارجي للجنين، فما ذا على الصعيد الداخلي؟. إن الآيات التاليات: أَ لَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى (۳۷) ثُمَّ كانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (۳۸) [القيامة: ۳۷- ۳۸] و ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ (۱۳) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا

الْعَلَقَةَ مُضْغَةً [المؤمنون: ۱۳- ۱۴] تلقی الأضواء علی هذا الأمر. فإذا قابلنا بین هذه الآیات لاحظنا النتائج التالیة: إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۹۶ (SC) فمرحلة المضغة هی مرحلة تخلّق. قال ابن عاشور: «... و إذ قد جعلت المضغة من مبادئ الخلق ...» «۱». و الخلق فی اللغة العربیة یعنی أن یحدث اللّه شیئا لم یکن موجودا من قبل، جاء فی لسان العرب «۲»: «خلق: ... (قال) ابن سیده: خلق اللّه الشیء یخلقه خلقا أحدثه بعد أن لم یکن ...»، و تبعا لما سبقناه فإن مرحلة المضغة تشهد ظهور أعضاء جدیدة لم تکن موجودة من قبل، و الآیة: فَإِنَّا خَلَقْنَاکُم مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَیْرِ مُخَلَّقَةٍ ... [الحج: ۵] تصف تلک الأعضاء. ففی هذه الآیة صفتان لازمتان للمضغة: التخلق و عدم التخلق «۳»،

(_____ ۱) التحریر و التنویر- للطاهر بن عاشور- (ج ۸/ ص ۱۹۸). (۲) لسان العرب لابن منظور- مادة «خلق»- ج ۴/ ص: ۱۹۳. (۳) لقد أخطأ بعض علماء تفسیر القرآن، و بعض الباحثین فی مجال الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، فی تفسیر ظاهرة التخلّق و عدم التخلّق للمضغة التی جاء ذکرها فی الآیة: فَإِنَّا خَلَقْنَاکُم مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَیْرِ مُخَلَّقَةٍ [الحج: ۵]. فذهب البعض منهم إلی أن المضغة المخلّقة و غیر المخلّقة تشیر إلی أن الحمل یولد تام الخلق أو ناقص الخلق، أو أنه یولد قبل تشکیله، أو بعده. جاء فی تفسیر ابن کثیر للآیة رقم ۵ من سورة الحج: «... فتارة تسقطها المرأة قبل التشکیل و التخطیط، و تارة تلقیها و قد صارت ذات شکل و تخطیط، و لهذا قال تعالی: ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَیْرِ مُخَلَّقَةٍ ... و روی ابن أبی حاتم و ابن جریر من حدیث داود بن أبی هند عن الشعبی عن علقمة عن عبد اللّه قال: النطفة إذا استقرت فی الرحم جاءها ملک یکفه فقال: یا رب مخلّقة أو غیر مخلّقة؟ فإن قیل غیر مخلّقة، لم تکن نسمة، و قذفتها الأرحام دما، و إن قیل مخلّقة، قال: أی رب ذکرا أو أنثی؟ شقی أو سعید؟ ما الأجل؟ و ما الأثر؟ و بأی أرض یموت؟ ... ثم تلا عامر الشعبی: یا أَیُّهَا النَّاسُ إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاکُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَیْرِ مُخَلَّقَةٍ [الحج: ۵]، فإذا بلغت مضغة نکست فی الخلق الرابع فکانت نسمة، و إن کانت غیر مخلّقة، قذفتها الأرحام دما، و إن کانت مخلّقة نکست نسمة».- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۹۷

- _____ و جاء فی تفسیر القرطبی فی تفسیر الآیة السالفة الذکر: «... قال الفراء: «مخلّقة» تامة الخلق، «و غیر مخلّقة» السقط ... (قال) ابن زید: المخلّقة التی خلق اللّه فیها الرأس و الیدین و الرجلین، و غیر مخلّقة التی لم یخلق فیها شیئا ... و قد قیل: إن قوله: مُخَلَّقَةٍ وَ غَیْرِ مُخَلَّقَةٍ یرجع إلی الولد بعینه لا إلی السقط أی منهم من یتم الرب سبحانه مضغته فیخلق له الأعضاء أجمع، و منهم من یکون خدیجا ناقصا غیر تمام ... (قال) ابن عباس: المخلّقة ما کان حیا، و غیر المخلّقة السقط». و التفسیر السابق مجانب للصواب لعدة أسباب: أولا: لم یرکّز هؤلاء العلماء علی وظیفة حرف العطف «الواو» الذی ورد فی الآیة ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَیْرِ مُخَلَّقَةٍ. فوظیفته العطف، و تقتضی بأن صفتی التخلق و عدم التخلق تطبقان کلاهما علی المضغة فی آن واحد، فالمضغة مخلّقة و غیر مخلّقة، و لیست مخلّقة أو غیر مخلّقة، و بالتالی فإن المضغة تتصف بالصفتین، و لیس بإحداهما. ثانیا: لقد اعتمد هؤلاء العلماء علی الحدیث: «إذا وقعت النطفة فی الرحم بعث اللّه ملکا فقال: یا رب: مخلّقة أم غیر مخلّقة؟ فإن قال: غیر مخلقة مجّتها الأرحام دما، و إن قال: مخلّقة قال: یا رب: فما صفة هذه النطفة؟» [رواه الطبری ح ۳۲] أو الذی أخرجه ابن أبی حاتم بلفظ: «النطفة إذا استقرت فی الرحم ...» [ح ۳۳] لفهم الآیة السالفة الذکر، کما قرأنا من قول عامر الشعبی رضی اللّه عنه. و فی الحقیقة یتحدّث کلّ من الحدیثین- رقم ۳۲ و ۳۳- عن ظاهرة مختلفة عن تلک التی تتکلم عنها الآیة السالفة الذکر، لعدة أسباب: أولا: تتکلّم الآیة عن المضغة، و یتکلّم کلّ من الحدیثین عن النطفة. ثانیا: تتکلم الآیة عن ذکر استقرار الجنین بنسبة کبیرة کما جاء فی: ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَیْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَیِّنَ لَکُمْ وَ نُقِرُّ فِی الْأَرْحامِ ما نَشاءُ إِلی أَجَلٍ [الحج: ۵]، بینما یتکلّم کلّ من الحدیثین عن سقط الجنین بنسبة کبیرة، کما فی «فإن قال: غیر مخلّقة مجّتها الأرحام دما» [رواه الطبری ح ۳۲]. ثالثا: لقد جاءت صیغة الاستفهام فی الحدیثین، بینما لم ترد هذه الصیغة فی الآیة السالفة الذکر، و هذا له دلالته؛ فالتخلّق و عدم التخلّق لیسا صفتین لازمتین فی الحال للنطفة التی تقع أو التی استقرّت فی الرّحم، و إنما صفتان ستئول إلی إحداهما النطفة کما تقرّره هذه الصیغة؛ فالملک یسأل اللّه عزّ و جلّ هل یرید أن یخلق النطفة أم لا؟ و هذا یعنی أن النطفة لیست مخلّقة بعد، و إنما ستتخلق فیما بعد، علی خلاف صیغة التقریر التی جاءت فی الآیة السالفة الذکر، و التی تنص علی أن التخلیق و عدم التخلیق صفتان لازمتان فی الحال للمضغة من خلال وظیفة العطف التی وردت فی آیة سورة الحج. رابعا: إن المراد من الحدیثین رقم ۳۲ و ۳۳ هو أن النطفة فور استقرارها تبدأ بالتخلق لتصبح فیما بعد مخلّقة، فتنبثق منها العلقة، فالمضغة ... أو یتوقف تخلّقها فی هذه الفترة، لتقذف عندئذ من الرحم، و بالتالی فلا یجب أن نستشهد بالحدیث رقم ۳۳ علی أنه یفسّر الآیة رقم ۵ من سورة الحج، لأنه یشیر إلی طور یقع قبل وقوع طور تخلّق المضغة، و یؤدی إلیها، و بالتالی فإن ظاهرة التخلّق أو عدم التخلّق التی جاء ذکرها فی کل من المرحلتین لیست بالضرورة نفسها- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۹۸ قال ابن عاشور: «قوله تعالی: مُخَلَّقَةٍ وَ غَیْرِ مُخَلَّقَةٍ صفة مُضْغَةٍ، و ذلک تطور من تطورات المضغة ... و إذ قد جعلت المضغة من مبادئ الخلق، تعیّن أن کلا الوصفین لازمان للمضغة» «۱»، و هذه الصفات صفات خلق، و إذا أردنا أن نفهم معنی هذه الآیة فلا بدّ لنا أن نشیر إلی المعنی الثانی لکلمة «مخلّقة». جاء فی لسان العرب «۲»: «خلق: ... و رجل خلیق بیّن الخلق تامّ الخلق معتدل»، و ورد فی تفسیر القرطبی: «قال ابن الأعرابی: مخلّقة قد بدأ خلقها و غیر مخلّقة التی لم تصوّر بعد». إذا کلمة «خلق» تأتی بمعنیین: الأول بمعنی إحداث الشیء من العدم، و الثانی بمعنی إتمام خلق الشیء (و بالتالی بإتمام صورة الشیء). و هذا یعنی أن المضغة المخلّقة و غیر المخلّقة تعنی مضغة تخلقت جزئیا، و لکن لم یکتمل تخلقها أو صورتها بعد. فالمضغة تظهر للعیان کما قلنا علی شکل فلقات، و لا تمایز الفلقات فی البدایة، و لکنها سرعان ما تمایز إلی خلایا تتطور إلی أعضاء مختلفة، و بعض هذه الأعضاء تتکون فی مرحلة المضغة، و البعض الآخر فی مراحل لاحقة. أما الأعضاء التی تتکون فی هذه المرحلة فهی تظهر علی شکل براعم و هی غیر مکتملة بعد: فعلی سبیل المثال: یوجد القلب و الدماغ البدائی و الکبد، و لکن لا یکتمل نموها أثناء هذه الفترة، کما تظهر بدایة الأیدی و الأرجل فی الأسبوع الثالث أو الرابع، و تتطور تلک إلی أن تظهر و کأنها مبتورة، و من ثم تظهر الأصابع علی شکل إشعاعات فی الکف فی نهایة مرحلة المضغة، إلی ذلک فإن الهیکل البدائی للعینین (الکأس البصری الناشئ من الحویصلة العینیة) و الأذنین (الأذن الداخلیة الناشئة من الحویصلة الأذنیة) یتکوّن قبل نهایة الأسبوع السادس، و لکنّ کلا من العینین و الأذنین لا یتشکّل إلّا لاحقا، فتلک الأعضاء تکون فی صورة أولیة من مراحل تخلقها و هی لا تعمل و لا تشبه أعضاء الإنسان فی مرحلة المضغة. (انظر الصورة رقم: ۹۱).

- _____ و مما یدعم موقفنا هو الحقائق العلمیة التی تتلاءم مع المعانی التی رجحناها، و هی أن النطفة قد تتعرض للسقط عند سقوطها أو فور استقرارها فی الرّحم، أی أنها ستوقف عن التخلق فی حال تعرّضت للسقط، أو ستتشکل فی حال استمرار الحمل، و أن أعضاء المضغة ستتخلّق جزئیا فی طور المضغة، و لکن لن یکتمل نموها فیه. (۱) التحریر و التنویر- للطاهر بن عاشور- (ج ۸/ ص ۱۹۸). (۲) لسان العرب لابن منظور- مادة «خلق»- (ج ۴/ ص ۱۹۳). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۲۹۹ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۰۰ أما بالنسبة إلی الأعضاء التناسلیة، فإن الجزء الأولی لها یتخلق، بید أن الأعضاء نفسها فی صورة أولیة من مراحل تطورها. هذا بالنسبة للأعضاء التی تکونت، أما بالنسبة للأعضاء التی لم تتکون فتتمایز خلایاها و إن لم تتشکل بعد. یقول الدکتور کیث مور فی هذا المجال واصفا حال العضلات «۱»: (إن طلائع العضلات کانت موجودة مع مکونات العظام و الأنسجة الأخری فی هیکل جماعی بدائی. کل هذا یتخلق خلال الأیام الأربعین الأولی و هی موجودة فی فترة المضغة. و لکن مکونات العضلات البدائیة فی هذه الفترة لا تکون قد تمیزت إلی عضلات «نهائیة»). و قد فهم علماؤنا هذه الحقائق العلمیة من خلال دلالات الألفاظ التی جاءت فی الآیات القرآنیة. قال ابن کثیر «۲»: «قطعة من لحم لا شکل فیها و لا تخطیط، ثم یشرع فی التشکیل و التخطیط؛ فیصور منها رأس و یدان و صدر و بطن و فخذان و رجلان و سائر الأعضاء ...». و قال الألوسی «۳»: «و المشهور المتبادر أن المخلّقة المستبینة الخلق، أی: مضغة مستبینة الخلق مصورة، و مضغة لم یستبن خلقها و صورتها بعد، و المراد تفصیل حال المضغة و کونها أوّلا قطعة لم یظهر فیها شیء من الأعضاء ثم ظهرت بعد ذلک شیئا فشیئا». و نود الإشارة إلی أن کل الأعضاء التی ذکرناها سابقا تبقی إلی نهایة مرحلة «المضغة» علی صورة براعم، فیحتفظ الجنین عندئذ بالشکل الخارجی المشابه لمادة ممضوغة، و إن ظهرت فیه أعضاء جدیدة، و ذلک لعدم وجود تخطیط واضح له، فیصدق عندئذ وصفه بأنه مخلّق و غیر مخلّق. و هکذا نفهم کیف أن الصفتین «مخلّقة» و «غیر المخلّقة» لازمتان للمضغة، و کیف أنها تصف حالة أعضاء الجنین. و من الجدیر بالذکر أن تسمیة هذه المرحلة بالمضغة المخلّقة و غیر المخلّقة هی إعجاز علمی رائع. فإلی جانب أنها تشیر إلی أن المضغة تخلقت جزئیا بصورة غیر تامة، فإنها توحی إلینا أن المضغة تتطور تدریجیا، فالأعضاء تتخلق و لکن تحتاج إلی وقت أکثر لیکتمل تخلقها، فهی علی مرحلة من التدرج فی النمو.

(_____ ۱) کتاب الإنسان النامی مع زیادات إسلامیة، د. کیث مور، ص ۳۶۴. (۲) تفسیر ابن کثیر- تفسیر سورة الحج، آیة رقم ۵- (ج ۳/ ص ۲۰۶). (۳) تفسیر الألوسی- (ج ۱۷/ ص ۱۱۶). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۰۱ أضف إلی ذلک، فإن ذکر کلمة «مضغة» إلی جانب کلمة «مخلّقة» فی الآیة ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَیْرِ مُخَلَّقَةٍ ... [الحج: ۵]، یشیر إلی حدوث أشیاء فی النمو کانت هی السبب فی تغیر الشکل الخارجی للجنین، فنمو الکتل البدنیة سبّب تغیرات فی شکل الجنین. و قبل أن نختتم حدیثنا عن المضغة، نسوق دلیلا آخر علی أن المراد من النصوص الشرعیة التی ذکرناها آنفا، هو تخلق جمیع أعضاء الجنین قبل نهایة فترة المضغة؛ أی: فی الأیام الأربعین الأولی من تخصیب البویضة. إن الحدیث: «إن أحدکم یجمع خلقه فی بطن أمه أربعین یوما ...» [أخرجه مسلم ح ۴۳] یشیر إلی حادثة «جمع الخلق». و الجمع کما مرّ معنا فی مبحث «جمع خلایا الجنین» یشیر إلی تضام الشیء بعضه إلی بعض. جاء فی مقاییس اللغة: «جمع: الجیم و المیم و العین أصل واحد، یدلّ علی تضامّ الشّیء» «۱». و حرف الهاء لفعل «جمعه»، الذی ورد فی الحدیث: «إن اللّه تعالی إذا أراد خلق النسمة، فجامع الرجل المرأة، طار ماؤه فی کل عرق و عصب منها، فإذا کان یوم السابع، جمعه اللّه تعالی، ثم أحضر له کل عرق بینه و بین آدم، ثم قرأ: فی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ» [أخرجه الطبرانی ح ۲۱]، یعود للماء. و الجنین فی هذه المرحلة ما یزال یشار إلیه بالماء لأنه لم یتخلّق بعد، و هذا یعنی أن الجنین یجمع بعد الیوم السابع. و کما نعلم، فإن خلایا الجنین و خلایا المشیمة تولّف قبل هذا الوقت مجموعة واحدة، و من ثمّ ما تلبث أن تنفصل مجموعة الخلایا التی ستولف الجنین، عن مجموعة الخلایا التی ستولف المشیمة، و تجتمع ضمن قرص جنینی، فتنضم بعضها إلی بعض، و هذا هو «جمع الجنین». و أما هنا فالذی یجمع هو «خلق أحدکم»، أی «خلق

الجنین»، و لیس الجنین نفسه، و «خلق الجنین» هو سائر أعضاء الجنین التی ستخلق کما تشیر إلیه الآیات: أ لَمْ یَکُ نُطْفَةً مِنْ مَنِیٍّ یُمْنی (۳۷) ثُمَّ کانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّی (۳۸) [القیامة: ۳۷- ۳۸]، و ... فَإِنَّا خَلَقْناکُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَیْرِ مُخَلَّقَةٍ ... [الحج: ۵ (_____ ۱) مقاییس اللغة، لابن فارس- (ج ۱/ ص ۴۷۹). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۰۲ و من الجدیر بالذکر أن لفظ «خلق» هو لفظ عام وضع وضعا واحدا، و هو دال علی کثیرین، یستغرق کل ما خلق الله «۱»، و الدلیل علی ذلک ما ورد فی کتاب اللّه: خَلَقَ السَّماواتِ بِغَیْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها وَ أَلْقی فِی الْأَرْضِ رَواسِیَ أَنْ تَمِیدَ بِکُمْ وَ بَثَّ فِیها مِنْ کُلِّ دابَّةٍ وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا فِیها مِنْ کُلِّ زَوْجٍ کَرِیمٍ (۱۰) هذا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِی ما ذا خَلَقَ الَّذِینَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِی ضَلالٍ مُبِینٍ (۱۱) [لقمان: ۱۰- ۱۱]، فلفظ «خلق» شمل کل المخلوقات التی خلقها اللّه عزّ و جلّ من سماوات و أرض و دواب و نباتات، غیر أن کلمة «هذا» قصرت العام إلی ما ذکرته الآیة. قال ابن کثیر «۲» فی تفسیره للآیة: «أی هذا الذی ذکره تعالی من خلق السموات و الأرض و ما بینهما صادر عن فعل اللّه و خلقه و تقدیره ...». و قیاسا علی الآیة، فإن کلمة «خلق» التی جاءت فی الحدیث «إن أحدکم یجمع خلقه فی بطن أمه أربعین یوما ...» [أخرجه مسلم ح ۴۳] تشمل کل ما خلقه اللّه تعالی مقرونا بالجنین، فهی تدل علی جمیع الأعضاء التی سوف تتخلق لدی الجنین. و فعل «جمع» یعنی: جمع الشیء عن تفرقة «۳»، جاء فی مختار الصحاح: باب الجیم: ج م ع: جمع الشیء المتفرق فاجتمع «۴». و قال ابن حجر «۵»: «و المراد بالجمع ضم [الشیء] بعضه إلی بعض بعد الانتشار». و من الحدیث الذی سبق و من معنی کلمة «جمع» نفهم أن «جمع خلق الجنین» یشیر إلی أن أعضاء الجنین فی مراحلها الأولی کانت مفرّقة، و بالفعل، فبعد مرحلة «جمع خلایا الجنین» تشهد خلایا القرص الجنینی تکاثرا هائلا- و سریعا فی اتجاهات متفرقة کما رأینا فی مبحث «الـذَنَب»، و من ثم تجتمع و تتمایز تلک الخلایا خلال فترة «العلقة» و من ثمّ تهاجر و تجتمع ضمن أعضاء مختلفة فی فترة «المضغة» و ما بعدها «۶». فکما أن الحدیث: «... فإذا کان یوم السابع، جمعه اللّه تعالی ...» یشیر إلی (_____ ۱) د. إبراهیم السلقینی، أصول الفقه الإسلامی، الفصل الخامس: التقسیم الرابع باعتبار وضع اللفظ للمعنی، المبحث الثانی: العام، ص ۲۷۹- ۲۸۰، (انظر مبحث «الماء و المنی»). (۲) تفسیر ابن کثیر- (ج ۳/ ص ۴۴۳). (۳) لسان العرب لابن منظور مادة «جمع»- (ج ۲/ ص ۳۵۵). (۴) مختار الصحاح، باب الجیم، ص ۱۱۰. (۵) فتح الباری شرح صحیح البخاری- کتاب القدر- رقم الحدیث ۶۵۹۴- (ج ۱۱/ ص ۴۷۹). (۶) انظر مبحث «التسویة» قسم «خلق العظام و الکساء باللحم». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۰۳ زمن «جمع الجنین»- سبعة أیام و ما فوقها-، فإن الحدیث: «إن أحدکم یجمع خلقه فی بطن أمه أربعین یوما ...» یشیر إلی زمن «جمع أعضاء الجنین»- أربعین یوما و ما قبلها-. و من الجدیر بالذکر أن لفظ «یجمع» دلیل آخر، یضاف إلی الدلیل الأول- لفظ «جمعه»-، علی أن خلایا الجنین تنفق، و لیس هذا فحسب، بل هو دلیل علی أن الانفلاق الذی ابتدأ قبل فترة «جمع الجنین»، یستمر بعدها، لتعود خلایا الجنین لتنتظم وفق أعضاء محددة. و کما رأینا سابقا فإن قالب الجنین یصب فی مرحلة المضغة: فالأعضاء توجد و تترکب فی هذه الفترة و إن لم یکتمل نموها بعد، مما حمل العلماء الکونیین أن یسموا تلک المرحلة بمرحلة (تکوین- أو خلق- الأعضاء SISENEGONAGRO) و هذا موافق لما أعلنه رسولنا الکریم صلّی اللّه علیه و سلّم: «إن أحدکم یجمع خلقه ...» منذ أربعة عشر قرنا، فاعتبروا یا أولی الأبصار!!!. و تؤکد الأحادیث النبویة الشریفة مرة أخری علی أن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم أوتی جوامع الکلم [أخرجه البخاری ح ۱۳]؛ ذلک أن تسمیة هذه الفترة «بمرحلة جمع الخلق» أفضل من تسمیة هذه الفترة «بمرحلة تکوین الأعضاء»؛ حیث إن کلام الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم فی هذا المقام یشیر لیس فقط إلی تکوین الأعضاء، بل إلی العملیة التی یتم فیها تکوین الأعضاء من خلال جمع الخلایا. إذا ما قارنا بین التسمیتین: «مضغة مخلّقة و غیر مخلّقة» و «تکوین الأعضاء»، نجد أیضا أن التسمیة القرآنیة تتفوق علی تسمیة العلماء لهذه المرحلة تفوقا کبیرا: فالتسمیة العلمیة لا تشیر سوی إلی العملیات الداخلیة و الخارجیة للجنین، حیث إن «تکوین الأعضاء» یشیر إلی تخلّق أعضاء للجنین مع ما یصحبه من تشکل خارجی، أما التسمیة القرآنیة فهی تشیر إلی حجم الجنین (صغیر)، و مادته (أنسجة طریة)، و مظهره الخارجی (شکل قطعة لحم ممضوغة)، کما أنها تشیر إلی تخلّق الأعضاء علی صورة براعم أولیة (مخلّقة و غیر مخلّقة) علی شیء من التدرج (حیث إن التخلّق یلی عدم التخلّق). فسبحان من یبین لنا الآیات علی ألسنة الناس و لو بعد حین! أ لیس هو القائل: یا أَیُّهَا النَّاسُ إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْناکُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَیْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَیِّنَ لَکُمْ ... [الحج: ۵]؟. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۰۴

ج- شق السمع و البصر:

ج- شق السمع و البصر: من المشاهد التی تبهر العقول: تخلّق السمع و البصر، فهما ینشآن بطریقة غیر مألوفة للبشر، و لا یمکن لأحد أن یتصور نشأتهما إلا إذا شاهدهما. و لذلک کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم یدعو و یقول فی سجوده: «سجد وجهی للذی فطره و صوّره و شقّ سمعه و بصره» [أخرجه مسلم ح ۳۸] فکان ذلک بمثابة إعجاز إخباری. فهناک ثلاث عملیات أساسیة فی تاریخ تخلّق الأذنین و الأذان: ۰ عملیة تخلّق من خلال انفصال عضو عن عضو آخر و استخراجه منه. ۰ عملیة تخلّق من خلال ظهور أخدود. ۰ عملیة انفطار و انشقاق أغشیة. الفعل الجامع لتلک الأنواع المختلفة من التخلّق هو فعل «شقّ». و المعنی الأول هو: أخذ الشیء من الشیء الآخر. ورد فی لسان العرب «۱»: «و اشتقاق الشیء بنیانه من المرتجل، و اشتقاق الکلام الأخذ فیه یمینا و شمالا، و اشتقاق الحرف من الحرف أخذه منه». و یؤید هذا المعنی الحدیث التالی: «قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: قال اللّه- تبارک و تعالی-: أنا اللّه و أنا الرحمن، خلقت الرّحم و شققت لها من اسمی فمن وصلها وصلته و من قطعها قطعته» [أخرجه الترمذی ح ۳۹]. جاء فی تحفة الأحوذی بشرح جامع الترمذی «۲»: « (و شققت): أی أخرجت و أخذت اسما، (لها): أی للرحم، (من اسمی): أی الرحمن». و جاء أیضا فی تفسیر القرطبی «۳» للآیة: إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ [الانشقاق: ۱] «أن سیدنا علیا- کرم اللّه وجهه- قال: تشق عن المجرة، أی تنفصل عنها بعد أن کانتا جزءا واحدا. و هذا المعنی الأول لفعل «شق». أما المعنی الثانی فهو: الصدع. (_____ ۱) لسان العرب لابن منظور- مادة «شقق»- (ج ۷/ ص ۱۶۷). (۲) تحفة الأحوذی بشرح جامع الترمذی للمبارکفوری- کتاب البر و الصلة- باب ما جاء فی قطیعة الرحم- رقم الحدیث ۱۹۰۷- (ج ۶/ ص ۱۴). (۳) تفسیر القرطبی- (ج ۱۹/ ص ۲۶۹). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۰۵ قال ابن فارس: «شق: الشین و القاف أصل واحد صحیح، یدل علی انصداع فی الشیء» «۱». جاء فی لسان العرب «۲»: «الشق مصدر قولک شققت العود شقا» و الشّق الصّدع البائن، و قیل: غیر البائن، و قیل: هو الصدع عامة». و ورد أیضا فی تفسیر القرطبی «۳» للآیة: قُتِلَ أَصْحابُ الْأُخْدُودِ [البروج: ۴] الأخدود هو: «الشق العظیم المستطیل فی الأرض کالخندق». أما المعنی الثالث فهو: تمزیق الأغشیة. قال ابن فارس: «و قد انشق عصا القوم بعد التئامها: إذا تفرق أمرهم، ثم یقال لنصف الشیء: الشیء» «۴». جاء فی لسان العرب: «مزق: شقّ الثیاب و نحوها. مزقه یمزقه مزقا و مزّقه فانمزق تمزیقا و تمزّق: خرقه» «۵». و یؤید هذا المعنی الحدیث التالی: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «لیس منا من شق الجیوب و ضرب الخدود و دعا بدعوة الجاهلیة» [أخرجه الترمذی ح ۴۰]. جاء فی تحفة الأحوذی بشرح جامع الترمذی «۶»: «الجیوب جمع جیب بالجیم الموحدة و هو ما یفتح من الثوب لیدخل فیه الرأس، و المراد بشقه إکمال فتحه إلی آخره» أی تمزیق القمیص. و الذی یحدث فی مجال تخلق الأذنین و العینین و ینطبق علی تلک المعانی فهو کالتالی: فی مجال تخلق العینین: یظهر أخدود صغیر فی بادئ الأمر یسمی: (الفجوة البصریة SUCLUS CITPO) فی الجزء الأمامی لکل من (طرفی الأنبوب العصبی SDLOF LARUEN) فی الیوم الثانی و العشرین (أی فی حوالی نهایة مرحلة العلقة و بدایة مرحلة المضغة). (_____ ۱) معجم مقاییس اللغة لابن فارس، (ج ۳/ ص ۱۷۰). (۲) لسان العرب لابن منظور- مادة «شقق»- (ج ۷/ ص ۱۶۴). (۳) تفسیر القرطبی- (ج ۱۹/ ص ۲۸۶). (۴) معجم مقاییس اللغة لابن فارس، (ج ۳/ ص ۱۷۱). (۵) لسان العرب لابن منظور- مادة «مزق»- (ج ۱۳/ ص ۱۵). (۶) تحفة الأحوذی بشرح جامع الترمذی للمبارکفوری- کتاب الجنائز- باب ما جاء فی النهی عن ضرب الخدود و شق الجیوب عند المصیبة- رقم الحدیث ۹۹۹- (ج ۴/ ص ۴۰). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۰۶ و من ثمّ یتحد طرفا الأنبوب العصبی و یؤلفان (المخ الأمامی NIARBEROF) للجنین. فی هذه الأثناء ینضخم الأخدودان الموجودان داخل هذین الطرفین و یؤلف کل منهما (ساقا بصریة مجوفة KLATS CITPO) تقترب کل منهما من سطح الجلد علی جانبی مخ الجنین و من ثمّ تأخذ شکل حویصلة الإبصار علی سطح الجلد، و حینئذ یتحدّب طرف هذه الساق المجوفة إلی الداخل فیتحول شکلها الحویصلی إلی تجویف یشبه تجویف الکوب یسمی: (الکأس البصریة ۱» (PUC CITPO». فی الوقت نفسه یتم تحدّب طرف الساق إلی الداخل انطواء الجلد علی نفسه لیؤلف (عدسة العین ELCISEV SNEL) التی تظل ملتصقة (بالجلد MREDOTCE ECAFRUS) و من ثمّ تنفصل و تشق تلک القفاعة (العدسة) الناشئة من الجلد عنه و تغور داخل تجویف الکأس البصری. (انظر الصورة رقم: ۹۲). بالإضافة إلی ذلک فإن طبقة من المیزودرم تغطی هذه العدسة و تسمی: (المحفظة العدسیة الوعائیة ENARBNEM YRALLIPUP). هذه المحفظة تنفطر و تشق مکونة فرجة تعرف باسم حدقة العین أو «الیؤبؤ» «۲». (انظر الصورة رقم: ۹۳). کما أن الجفون التی تلتصق فی الأسبوع العاشر تنفتق و تنشق فی الأسبوع السادس و العشرین. فی مجال تخلّق الأذنین: الأذن مؤلفة من ثلاثة أجزاء: - الأذن الداخلیة. - الأذن الوسطی. - الأذن الخارجیة (_____ ۱) کتاب الإنسان النامی مع زیادات إسلامیة، د. کیث مور، ص ۴۱۳- ۴۱۴. (۲) کتاب خلق الإنسان بین الطب و القرآن، د. محمد علی البار، ص ۳۳۰، و کتاب علم الأجنة الطبی، سادلر، ص ۳۶۲. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۰۷ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۰۸ (SC) الأذن الداخلیة تتخلق بنفس الطریقة التی تتکون فیها عدسة العین، و لکن من (الجهة الخلفیة للمخ NIARBDNIH)، فیظهر أخدود صغیر یسمی: (الفجوة السمعیة TIP CITO) فی (الطبقة الخارجیة الأکتودرم MREDOTCE)، و من ثم تنثنی هذه الطبقة علی نفسها و تشق قفاعة من الجلد عنها و تهاجر إلی الداخل مؤلفة (الحویصلة السمعیة ELCISEV CITO). هذه الحویصلة تتطور لتؤلف فیما بعد ما یعرف (بالدهلیز الغشائی HTNIRYBAL SUONARBMEM) و (الدهلیز العظمی HTNIRYBAL YNOB). (انظر الصورة رقم: ۹۴). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۰۹ (SC) أما عظام الأذن الوسطی فهی تنشق و تنبثق من (غضروف القوس الأول «۱» (EGALITRAC HCRA TSRIF) (الذی یؤلف فیما بعد عظام الحنک) و (غضروف القوس الثانی EGALITRAC HCRA DNOCES)، و تتکوّن بطریقة معقّدة. (انظر الصورة رقم: ۹۵). أما

الأذن الخارجية فتنشأ من جراء تكاثر خلايا طبقة الأكتودرم إلى الجهة الداخلية. فهذه الكتلة تؤلف طبقة صلبة تسمى: سدّادة الصماخ، و من ثمّ تتفتّت هذه السدّادة لتؤلف تجويفا شبيها بالنفق يسمى: (قناة السمع الخارجية SUTAEM CITSUOCCA ۲، (LANRETXE. (انظر الصورة رقم: ۹۶). و هكذا نرى كيف تتطبق معانى فعل شقّ على عمليات تخلق العين و الأذن: فتارة تتطبق من خلال ظهور أخدود، و تارة من خلال شق عضو عن عضو آخر، و تارة من خلال تمزّق أغشية و فتقها ليتحقق فى النهاية الإعجاز الغيبى للرسول الكريم- صلوات اللّه و سلامه عليه-.

(۱) كتاب الإنسان النامى مع زيادات إسلامية، د. كيث مور، ص ۱۸۳ و ۴۲۳- ۴۲۴- ۴۲۷. (۲) كتاب الإنسان النامى مع زيادات إسلامية، د. كيث مور، ص ۴۲۶. إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۳۱۰ (SC) إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۳۱۱ (SC) إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۳۱۲

الإقرار

الإقرار * قال سبحانه و تعالى: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَ نُقِرُّ فِي الْأَرْحامِ ما نَشاءُ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً [الحج: ۵]. جاء فى مختار الصحاح: «و القرار فى المكان الاستقرار فيه تقول: قررت بالمكان بالكسر، أقرّ قرارا، و قررت أيضا بالفتح، أقرّ قرارا ... و أقرّه فى مكانه فاستقرّ» «۱». و ورد فى لسان العرب: «قرر ... و صار الأمر إلى قراره و مستقرّه: تناهى و ثبت و أقرّت الناقة: ثبت حملها» «۲». إذن فمعنى وَ نُقِرُّ فِي الْأَرْحامِ ما نَشاءُ هو: و نثبت فى الأرحام ما نشاء. و نجد فى قوله تعالى وَ نُقِرُّ فِي الْأَرْحامِ ... إعجازا علميا واضحا و هو أن اللّه سبحانه و تعالى ذكر مرحلة الإقرار بعد ذكر طور المضغة، مما يعنى أن الإقرار يبدأ من نهاية فترة المضغة. و قد يعترض بعض القرّاء على أن وظيفة الحرف «و» التى جاءت مع فعل «نقرّ» هى للعطف و ليست للترتيب «۳»، و بالتالى فذكر الإقرار هنا لا يعنى بالضرورة أن الإقرار يأتى بعد طور المضغة، و لكن ما يلاحظ هنا أن اللّه تعالى ذكر الإقرار بعد ذكر أطوار النطفة و العلقة و المضغة، و قبل ذكر مراحل الطفولة و الشيخوخة. و بالتالى وضع الإقرار فى هذا المكان من الآية و ليس فى سواه يدل على أن الإقرار يبدأ من هاهنا.

(۱) مختار الصحاح، باب القاف، ص ۵۲۸- ۵۲۹. (۲) لسان العرب لابن منظور- مادة «قرر»- (ج ۱۱/ ص ۱۰۰- ۱۰۲). (۳) جاء فى كتاب «قطر الندى و بل الصدى»، ص ۲۸۲: «أجمع النحويون و اللغويون من البصريين و الكوفيين على أن الواو للجمع من غير ترتيب». إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۳۱۳ كذلك عدم ذكر ما تبقى من الأطوار الجنينية بعد طور المضغة (على عكس ما جاء فى الآية: ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ [المؤمنون: ۱۴] هو دليل آخر على أن المقصود هو إظهار أن نهاية مآل الأطوار الجنينية السابقة هو الإقرار (بدءا من هذه النقطة فصاعدا) لأن تعديد الأطوار الجنينية انتهى عنده. و مما يؤكد هذا الكلام هو أن اللّه تعالى ذكر فى الآية رقم ۵ من سورة الحج أنه يقرّ الحمل إلى أجل مسمى، و الأجل المسمى هو: القدر المعلوم الذى جاء فى النص القرآنى: أَ لَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ (۲۰) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرارٍ مَكِينٍ (۲۱) إِلى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (۲۲) [المرسلات: ۲۰- ۲۲]، و هو الوقت الذى قدّره اللّه تعالى لنهاية الحمل- تسعة أشهر- و بالتالى فهو يشمل ما تبقى من المراحل الجنينية. و قد علّق اللّه سبحانه و تعالى الإقرار بمشيته فمن شاء أن يثبته فى الرحم ثبته و أقرّه، و من لم يشأ أن يثبته لم يثبت. و من المعلوم أن فترة المضغة تبدأ فى الأسبوع الرابع من الحمل و تنتهى فى الأسبوع السادس، أى بعد حوالى أربعين يوما من وقت إخصاب البويضة. و هكذا نستنتج أن فترة تثبيت الحمل تبدأ من الأسبوع السادس فصاعدا. و قد تبين أن العلم الحديث فى هذا المجال قد وافق الآية الكريمة، و قد أوضح الدكتور ت- ف- ن- يرسو أن النطفة خلال تخلّقها تمر بفترة تسمى: فترة (تخلّق الأعضاء SISENEGONAGRO»، و فى هذه الفترة يكون الجنين حساسا للغاية لأن أى شىء يطرأ على الجنين قد يؤدى إلى تشوهات خلقية قد تكون مميتة للجنين، و نسبة الخطر هذه تكون فى أعلى درجاتها خلال فترة تخلق العلقة إلى مضغة. فالعضو- كما قال- أكثر عرضة للتلف فى وقت خروجه فى فترة تخلق الأعضاء «۱». فإذا مرت هذه الفترة- فترة جمع الخلق و هى أربعون يوما- فهناك استقرار بالغالب، و النسبة العالية للسقط يكون قد تم تجاوزها و قد قدرت هذه النسبة ب ۲، ۳٪ فى نهاية فترة المضغة، أى بعد حوالى أربعين يوما من الحمل «۲» (المؤتمر

(۱) الطبى الإسلامى الدولى، الإعجاز الطبى فى القرآن، ۲۵ / ۹ / ۸۵ م. (۲) كتاب (علم التوليد، من ويليام SCIRTETSBO S'MAILLIW»، ص ۴۸۹. إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۳۱۴ و تفصيل ما قلناه: علم (التيراتولوجى YGOLOTARET) يهتم بدراسة التشوهات و الأسباب التى تؤدى إلى هذه التشوهات، و هو بالتالى يرصد الفترات الخطيرة التى يمر بها الجنين. و (التيراتوجن NEGOTARET) هو العامل الذى يسبب التشوهات الجنينية أو يزيد احتمال حدوث التشوهات فى الخلقة على العموم. و الخطر يكمن هنا من حساسية الجنين لهذه العوامل المؤذية التى قد تتلفه أو قد تؤدى إلى إسقاطه. نود الإشارة إلى أن العوامل التيراتوجينية تنقسم إلى فئتين: أ- فئة العوامل المؤذية الناشئة من البيئة. ب- فئة العوامل المؤذية الناشئة من الاختلال الجينى. و بحثنا يتعلق بالفئة الثانية، لأن الأولى قد تأتى فى أى وقت من الأوقات و لا يملك الجنين المقدرة على ردّها. إن حساسية الجنين لهذه العوامل تكون قليلة جدا فى أول أسبوعين من التخلق (أى فى فترة النطفة)، و لكن إذا تأثرت النطفة بهذه العوامل فهى تؤدى إلى إسقاطها فى معظم الأوقات و نادرا ما تؤدى إلى تشوهات. أما فى فترة المضغة، فالحساسية تكون بأوجها و تأثير العوامل التيراتوجينية عالية جدا. فهذه الحساسية مرتبطة بمعدل انقسامات خلايا الأعضاء التى تتكوّن. و لهذا فإن فترة المضغة- و هى فترة تخلق الأعضاء- فترة حرجة جدا، و قد يتعرض الجنين فيها لتشوهات خطيرة فى كثير من الأوقات أو للإسقاط. و أما فى فترة التسوية «۱» (و هى الفترة التى تلى فترة تخلق المضغة)، فحساسيته تظل عالية و غالبا ما تؤدى العوامل التيراتوجينية إلى تشوهات خطيرة لدى الجنين و فى قليل من الأحوال إلى إسقاطه. من الملاحظ أن السقط مرتبط فى الغالب بكثرة بالاختلال الجينى، و قد قدّر (بوى ۱۹۷۵ TEUOB) نسبة السقط من جراء الاختلال الجينى ب- ۶۱٪ بينما قدّرها (كار و جدعون ۱۹۷۷ RRAC NOEDEG) ب ۵۰٪. فالاختلال الجينى الشديد لا يسمح للجنين أن يتخلق و يعيق نموه، لذلك يحدث السقط فى مرحلة المضغة و ليس فى سواها.

(۱) انظر مبحث «التسوية». إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۳۱۵ و من اللافت للنظر أن الاختلال الجينى كان معروفا لدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فقد ذكر فى دعاء له و هو يستعيذ باللّه من الأمراض و الأوجاع. و هذا الدعاء هو: «بسم اللّه الكبير، أعوذ باللّه العظيم، من شر كل عرق نعار، و من شرّ حر النار» [أخرجه الترمذى ح ۷۰]. و «العرق» فى المصطلح النبوى الشريف هو: الصفى فى المصطلح العلمى الجديد. و كلمة «نعر» لها عدّة معان فى اللغة العربية منها: - الأذى. جاء فى لسان العرب «۱»: «و نعر الفرس و الحمار ينعر نعرا، فهو نعر دخلت النعرة فى أنفه». «و قال الأحمر: النعرة ذبابة تسقط على الدواب فتؤذيها». - المخالفة. جاء فى لسان العرب «۲»: «و النعار أيضا: العاصى». «نعر الرجل: خالف و أبى». و هذا يعنى أن الرسول الكريم صلّى اللّه عليه و سلّم كان يستعيذ باللّه من الأمراض التى سببها الاختلال الجينى «۳». و بالرغم أن موضوع الحديث لا يتناول الاختلال الجينى لدى الجنين، إلّا أنه يشير إلى أن هذه الظاهرة لم تكن غريبة عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم؛ فإذا كان الاختلال الجينى معلوما لدى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فهذا يشير إلى معرفته صلّى اللّه عليه و سلّم عن النشاط الخليوى و الصبغوى العام سواء أ كان للجنين أم للبالغ. و من الشرح السابق نفهم ما ترمى إليه الآية: فلفظ وَ نُقِرُّ فِي الْأَرْحامِ ... يشير إلى إرادة الخالق سبحانه و تعالى فى التمكين و الاستقرار للمضغة كما أنه يلمح إلى أن الفترة التى سبقت هى فترة هشّة، غير متينة بالنسبة لتخلق الأعضاء، و إلا فما فائدة الإقرار؟.

(۱) لسان العرب لابن منظور- مادة «نعر»- (ج ۱۴/ ص ۲۰۰). (۲) لسان العرب لابن منظور- مادة «نعر»- (ج ۱۴/ ص ۲۰۱). (۳) انظر مبحث «معجزة الرؤية الإسلامية فى علم الوراثة». إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۳۱۶

التسوية

اشارة

التسوية * قال سبحانه و تعالى: أَ لَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى (۳۷) ثُمَّ كانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (۳۸) [القيامة: ۳۷- ۳۸]. * قال عزّ و جلّ: ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ (۱۳) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً [المؤمنون: ۱۳- ۱۴]. * قال العليم الحكيم: سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (۱) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (۲) [الأعلى: ۱- ۲]. * قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ...» [أخرجه مسلم ح ۴۳]. * قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «إذا مر بالنطفة ثنتان و أربعون ليلة بعث اللّه إليها ملكا، فصورها و خلق سمعها و بصرها و جلدها و لحمها و عظامها، ثم قال: يا رب: أذكر أم أنثى؟» [أخرجه مسلم ح ۴۵]. هذه المرحلة تضم تصوير الأذنين و العينين، و خلق العظام، و كسو العظام باللحم، و نفخ الروح.

أ- التسوية و التصوير:

أ- التسوية و التصوير: جذر سوى «۱»: السين و الواو و الياء أصل يدل على استقامة و اعتدال بين شيئين. و له عدة معان فى اللغة العربية منها: ۱- هو أن يكون الشىء مستقيما (و الدليل على ذلك الآية القرآنية التالية: أَ فَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلى وَجْهِهِ أَهْدى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ [الملك: ۲۲]- سوّيا: أى مستقيما-).

(۱) مقاييس اللغة العربية لابن فارس- (ج ۳/ ص ۱۱۳). إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۳۱۷ ۲- هو أن يكون الشىء مستويا بدون ارتفاع و انخفاض (كما نستخلصه من الحديث التالى: «فى الرجل يسوّى التراب حيث يسجد، قال صلّى اللّه عليه و سلّم: إن كنت فاعلا فواحدة» [أخرجه البخارى ح ۴۱]). ۳- هو أن يجعل الشىء سويا، أى على ما اقتضته الحكمة «۱»، بمعنى جعله على تمام و كمال الصورة الإنسانية «۲»

(و الدلیل علی ذلک الآیتان التالیتان: فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجاباً فَأَرْسَلْنا إِلَیْها رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِیًّا [مریم: ۱۷] و قالَ لَهُ صاحِبُهُ وَ هُوَ یُحاوِرُهُ أَ کَفَرْتَ بِالَّذِی خَلَقَکَ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاکَ رَجُلًا [الکهف: ۳۷]- سوّاک رجلا: أی جعلک رجلا-). و قد حدد النص الشریف «إن أحدکم یجمع خلقه فی بطن أمه أربعین یوما ...» [أخرجه مسلم ح ۴۳] بأن مرحلة التخلق تنتهی فی أربعین یوما، و من ثمّ تبدأ مرحلة جدیدة و هی مرحلة التسویة لقوله تعالی: ثُمَّ کانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّی [القیامة: ۳۸]. کیف یمکن لنا أن نستنتج أن مرحلة التسویة بدأت بعد أربعین یوما؟. الجواب: کل النصوص القرآنیة و الحدیثیة و الأدلة العلمیة تتفق بعضها مع بعض، و هی تدل علی أن مرحلة التخلّق انتهت و بدأت مرحلة التسویة. فالحدیث المذکور آنفا ینص علی أن مرحلة التخلّق تنتهی بعد أربعین یوما، و المعطیات العلمیة تدل علی أن مرحلة المضغة التی تتخلّق فیها معظم أجهزة الجنین تنتهی فی الأسبوع السادس، أی بعد فترة اثنتین و أربعین لیلة، کما أننا إذا قابلنا بین النصین القرآنیین: أَ لَمْ یَکُ نُطْفَةً مِنْ مَنِیٍّ یُمْنی (۳۷) ثُمَّ کانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّی (۳۸) [القیامة: ۳۷- ۳۸] و ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِی قَرارٍ مَکِینٍ (۱۳) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً [المؤمنون: ۱۳ - ۱۴] نلاحظ التالی:

(_____ ۱) تاج العروس لمحمد مرتضی- مادة «سوا»- (ج ۱۹/ ص ۵۵۱). (۲) جاء فی تفسیر ابن کثیر- (ج ۳/ ص ۱۱۵): فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجاباً فَأَرْسَلْنا إِلَیْها رُوحَنا فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِیًّا [مریم: ۱۷]: أی علی صورة إنسان تام کامل. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۱۸ (SC) فمرحلة الخلق هی مرحلة المضغة لأن جمیع الأعضاء تتخلق فیها، و هذا ما أشار إلیه مفسّر القرآن الکریم العلامة أبو السعود «۱» قائلا: ثُمَّ کانَ عَلَقَةً أی: بقدرة اللّه تعالی لقوله تعالی: ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً، فَخَلَقَ أی: فقدر بأن جعلها مضغة مخلّقة، و مرحلة التسویة تتضمن مرحلتی خلق المضغة عظاما و کسو العظام لحما، لأن تلک الظواهر هی من باب تصویر الخلق، أو بمعنی آخر تقویم الأعضاء، و هی لا تخلو من تخلّق، و لکن هذا التخلّق لیس تخلّق أعضاء من بدایتها بقدر ما هو تکمیل خلق، فهو نوع من الخلق المحدّد (انظر الحاشیة رقم (۲)، ص ۳۲۵- ۳۲۹) فی مبحث «التسویة/ خلق العظام»، فالأذنان و العینان یبتدأ تخلقها فی الأسبوع الرابع «۲»، فی فترة تکوین الأعضاء، و لکن لا تتصور إلّا فی الأسبوع الثامن (أی فی نهایة فترة التسویة).

(_____ ۱) تفسیر أبی السعود- (ج ۹/ ص ۶۹). (۲) کتاب الإنسان النامی، د. مور وبارسو، ص ۴۹۲ و ۵۰۵. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۱۹ و الدلیل علی ذلک هو قول رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «إذا مر بالنطفة ثنتان و أربعون لیلة بعث اللّه إلیها ملکا فصورها، و خلق سمعها و جلدها و لحمها و عظامها» [أخرجه مسلم ح ۴۵]، فهذه المرحلة هی مرحلة تصویر الجنین، فنری تصور العین و الأذن فی الأسبوع الثامن و قد ابتدأ تخلقها فی الیوم الثانی و العشرین «۱». یقول عالم الأجنة لارس هامبرغر: «تتخذ الأذن الخارجیة شکلا لها مع بدایة الأسبوع الثامن ...» «۲». و تنتهی مرحلة التسویة عند بدایة مرحلة التعدیل وفق الآیة: یا أَیُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّکَ بِرَبِّکَ الْکَرِیمِ (۶) الَّذِی خَلَقَکَ فَسَوَّاکَ فَعَدَلَکَ (۷) فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ (۸) [الانفطار: ۶- ۸]. و یکون ذلک فی نهایة الأسبوع الثامن تقریبا «۳». أما تفاصیل معانی فعل «سوّی» فهی کالتالی: - المعنی الأول: و هو أن یکون الشیء مستقیما: استعمال فعل «سوّی» فی الآیة الکریمة له دلالة خاصة هنا؛ لأنه کان یدل علی أن الجنین کان غیر مستقیم أی مقوسا فی المرحلة السابقة و من ثم استقام فی هذه المرحلة و هذا إعجاز إخباری. و هذه المرحلة تحتوی ظاهرتی تخلق العظام و الکساء باللحم. و مع تخلق العظام یشتد الجسم لیستقیم و یتخلی عن شکله المنحنی (علی شکل حرف C بالإنکلیزیة الذی کان اتخذه خلال فترة المضغة). (انظر الصورة رقم: ۹۷). قال أبو السعود «۴»: «عِظاماً [المؤمنون: ۱۴] بأن صلبناها و جعلناها عمودا للبدن ...»، و قال الألوسی «۵»: «و ذلک التصییر بالتصلیب لما یراد جعله عظاما من المضغة؛ و کذا المضغة و العظام متحدان فی الحقیقة، و إنما الاختلاف بنحو الرخاوة و الصلابة».

(_____ ۱) کتاب الإنسان النامی، د. مور وبارسو، ص ۴۹۳ و ۵۰۴. (۲) کتاب ولد طفل، د. لارس هامبرغر، ص ۱۱۴. (۳) انظر مرحلة «النشأة». (۴) تفسیر أبی السعود- (ج ۶/ ص ۱۲۶). (۵) تفسیر الألوسی- (ج ۱۸/ ص ۱۴). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۲۰ (SC) - المعنی الثانی: و هو أن یکون الشیء مستویا دون ارتفاع و انخفاض: فی هذه المرحلة تختفی الانخفاضات و الانتفاخات بتصلب الأعضاء و بالکساء باللحم، فیصبح سطح الجنین أکثر استواء. - المعنی الثالث: و هو أن یجعل الشیء سویّا أی علی ما اقتضته الحکمة: فی نهایة مرحلة التسویة (أی فی نهایة الأسبوع الثامن) یصبح الجنین کتلة بشریة متکاملة. یقول الدکتور لارس هامبرغر: «بعد ثمانیة أسابیع یکون حجم الجنین أربعة سنتیمترات و لکن داخل جسمه الصغیر کل الأعضاء فی مکانها، و کل شیء واجب وجوده فی إنسان مکتمل النمو قد تخلّق» «۱ (_____ ۱) کتاب ولد طفل، د. لارس هامبرغر، ص ۹۱. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۲۱ فی هذه المرحلة یختفی ذنب الجنین و ترتسم الأذن الخارجیة من جراء تکامل لفات قوقعة الأذن، و تتکون الأذن الداخلیة، و ترتسم العینان بظهور الجفون فی الوجه (انظر الصورة رقم: ۹۸) و تظهر أصابع الیدین و الرجلین بشکل واضح و یرتسم الأنف «۱». فتقترب صورة الجنین من الصورة الإنسانیة و تسوی (أو تعدل) فی هیئتها النهائیة من جراء تمیز أعضائه، و یکتمل بذلک المعنی الثالث لفعل سوی الذی ورد فی الآیة القرآنیة التی أشرنا إلیها، و لفعل صور الذی أشار إلیه الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم فی حدیثه الشریف. (انظر الصورة رقم: ۹۹). و هکذا فإن مرحلة التسویة تتسم بسمة خاصة ألا و هی إعطاء الجنین صورة إنسانیة. و الجدیر بالذکر أن التسویة هی حالة لعوارض خارجیة تظهر للجسم (استقامة، تهیئة أعضاء، ...)، أما تخلّق العظام و الکساء باللحم فهی عملیات داخلیة تجری فی الجسم تؤدی إلی بروز الظواهر الخارجیة للتسویة. ((SC ۱) _____) کتاب علم الأجنة فی ضوء القرآن و السنة، هیئة الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، ص ۱۶۳ و ۱۶۷/ کتاب الإنسان النامی مع زیادات إسلامیة، د. کیث مور، ص ۷۸ و ۱۹۹/ کتاب ولد طفل، د. لارس هامبرغر، ص ۱۱۲، ۱۱۴، ۱۱۸، بتصرف. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۲۲ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۲۳

ب- خلق العظام و الکساء باللحم:

اشارة

ب- خلق العظام و الکساء باللحم: و قد تقسم مرحلة التسویة إلی قسمین رئیسیین متوالیین: ۱- طور خلق العظام ۲- طور الکساء باللحم.

۱- خلق العظام:

I- خلق المضغة عظاما:

I- خلق المضغة عظاما: * قال تعالی: فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً ... [المؤمنون: ۱۴]. * عن السیدة عائشة رضی اللّه عنها: «إنه خلق کل إنسان من بنی آدم علی ستین و ثلاثمائة مفصل، فمن کبر اللّه، و حمد اللّه، و هلل اللّه، و سبّح اللّه، و استغفر و عزل حجرا عن طریق الناس أو شوکة أو عظما عن طریق الناس، و أمر بمعروف أو نهی عن منکر، عدد تلک الستین و الثلاثمائة السلامی، یمشی یومئذ و قد زحزح نفسه عن النار» [أخرجه مسلم ح ۴۲]. یکون طور «خلق العظام» فی الأسبوع السابع، أی فی المرحلة الأولی من مرحلة التسویة. من الأمور المهمة التی یجب ذکرها: هو أن العظام لا تتطور فی آن واحد، و أن العظام لا تتکون علی نحو موحد فی الجسم کله. فالأنسجة العظیمة تظهر بالتعاقب، و تتنقل فی أطوار، و لا ینتهی نموها إلّا فی مرحلة متأخرة جدا، و لذلک لا یمکننا الجزم بأن العظام- حسب مفهومنا العامی- تظهر کاملة و هی فی هیئتها النهائیة فی الأسبوع السابع، و لکن ما یحصل هو أن أنموذجا غضروفیا لهذه العظام یتخلّق تدریجیا فی الجسم کله ابتداء من الأسبوع السادس، و ینتشر علی هیئة هیکل عظمی فی الجنین فی الأسبوع السابع، و یکوّن بذلک العظم الأولی للجنین. و بهذا ینتقل شکل الجنین من مرحلة المضغة التی لا تحمل فی أنسجتها عظاما إلی مرحلة یغلب علیها شکل الهیکل العظمی المتمیز للإنسان فی الأسبوع السابع، أی فی المرحلة المشار إلیها فی القرآن الکریم و الحدیث الشریف. و تفصیلا: لقد رأینا فی مرحلة المضغة أن (الطبقة النسیجیة الوسطی التی تلامس المیزاب العصبی (MREDOSEM LAIXARAP تتمایز، و تجتمع تباعا ضمن (کتل بدئیة (SETIMOS ابتداء من الیوم العشرین. تلک الکتل هی عبارة عن نسیج رخو یسمی: إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۲۴ (النسیج المیزانکیمی «۱» (EMYHCNESEM». و من ثم یتفککت تدریجیا (القسمان البطنی و الأوسط لتلک الکتل و یغیر ان أمکنتهما فی بدایة الأسبوع الخامس «۲»، و یطوقان (الحبل الظهری DROHCOTON) و (المیزاب العصبی EVOORG (LARUEN)، و یشار عندئذ إلی تلک الأقسام بما یسمی: (القسم الهیکلی الصلب EMOTORELCS). و یتکشف النسیج المیزانکیمی خلال الأسبوع الخامس مسجلا مواقع العظم الأولی، و تصبح خلایاه مدورة، و تنشأ فیه (مراکز تغضرف SRETNEC (NOITACIFIRDNOHC»، و من ثم تفرز تلک المراکز حولها منبتا عضویا «۳» فی الأسبوع السادس، فیتخلق تدریجیا أنموذج غضروفی لعظم العمود الفقری. (انظر الصورة رقم: ۱۰۰). ((SC ۱) _____) لمزید من التفاصیل انظر کتاب علم الأجنّة الطبی، سادلر، ص ۷۶. (۲) و تحدیدا فی الیوم الثامن و العشرین: للمراجعة کتاب الإنسان النامی مع زیادات إسلامیة، د. کیث مور، ص ۳۴۵. (۳) لمزید من التفاصیل انظر کتاب الإنسان النامی، د. مور وبارسو، ص ۴۰۸. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۲۵ و العظام مشتقة من عظم، و کلمة «عظم» تشیر فی اللغة العربیة إلی ما هو قوی و شدید. قال ابن فارس: «العین و الظاء و المیم أصل واحد یدل علی کبر و قوة، فالعظم مصدر الشیء العظیم، و عظمة الذراع مستغلظها ... و من الباب: العظم معروف، و سمی بذلک لقوته و شدته» «۱». و الشدّة نسبیة، فإذا قارنا نسیج المضغة المیزانکیمی مع الغضروف، استنتجنا أن الغضروف أشد من النسیج المیزانکیمی، و ذلک لأنه فی نهایة المطاف نسیج متکثف، و التکثف أشد و أغلظ و أثقل من النسیج المیزانکیمی اللین، و هو أصلب منه، و بالتالی فالغضروف من الناحیة اللغویة نوع من العظام. و هکذا فإن الحقائق العلمیة تتفق مع معانی و دلالات النص

)، و تصبح خلایاهما (متعددة الأشکال (SUOHPOMYLOP،

القرآنی: فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً [المؤمنون: ۱۴] بأن هیکلا صلبا یتولّد فی المرحلة التی تقع بعد مرحلة المضغة داخل النسیج اللین الذی یتألف منه الجنین. و قد یتسادل البعض أن العظام لم یکتمل تطوّرها بعد، و لم تظهر فی صورتها النهائیة، فهل لنا أن نقول إن العظام ظهرت قبل اللحم کما تشیر إلیه الآیة: فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً [المؤمنون: ۱۴]، و الحال أن تمامها یتأخر إلی ما بعد طور العظام؟ و ذلک أن نموذجا غضروفیا یتکوّن، و من ثمّ یتخلّق اللحم، و أثناء کسو اللحم، و بعده، یتعظّم النموذج الغضروفی تدریجیا، نقول- و بالله التوفیق-: إن ذکر خلق المضغة عظاما جاء مقرونا بفاء «الترتیب و التعقیب»، و هذه الفاء توجّه الأنظار إلی ابتداء الخلق و لیس إلی صیرورته، فهی تقارن بین الطور الذی تتکلم عنه بالنسبة للطور الذی قبله، و بالتالی فإن خلق الغضروف هو بمثابة خلق عظام بالنسبة لطور المضغة، لا بالنسبة إلی الأطوار المتأخرة، حیث یکتمل تخلّق العظام. انظر تعلیقنا فی الحاشیة عن تأخر تمام خلق العظام. یقول الرضی عن وظیفة الفاء التی جاءت فی الآیة رقم ۱۴ من سورة المؤمنون: «فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً [المؤمنون: ۱۴]، نظرا إلی ابتداء کل طور»؛ «۲».

(_____ ۱) معجم مقاییس اللغة لابن فارس، (ج ۴/ ص ۳۵۵). (۲) لقد رأینا أعلاه کیف أن الآیة رقم ۱۴ من سورة المؤمنون تشیر إلی أن هیکلا صلبا فی الجنین یتخلّق، و یکوّن عظما بالنسبة للطور الذی سبقه، و لکن ما الدلیل علی أن الآیة تشیر إلی أن تخلّق العظام یستمر إلی أن یکتمل تخلّقه فی مرحلة متأخّرة؟ و بذلک نؤکّد أن الذی أنزل القرآن یعلم تمام العلم أن العظام تتطور علی النحو المذکور؛ أی أنها تتخلّق بصورة بدائیة، و من ثمّ یکتمل تخلّقها بعد حین، فیتبیّن لنا بذلک أن الآیة- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۲۶ (SC)

- _____ المذکورة أنزلت أساسا علی هذا النحو لتبیان أن تخلّق العظام تدریجی، و بأنها تحیط بجمیع جوانب تطوّرها، فیزداد الإعجاز إعجازا. و الأدلة هی کالتالی: أولا: إن الآیة لا تنفی من الناحیة البلاغیة، أن العظام تتطور أثناء و بعد الکسوة باللحم، للسبب التالی: إن حرف «الفاء» جاء «للتفصیل بعد الإجمال» (انظر شرح الرضی لکافیة ابن الحاجب، ق ۲، م ۲، ص ۱۳۰۹، للتعریف عن وظیفة «التفصیل بعد الإجمال» لحرف «الفاء») فی قوله تعالی: فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً [المؤمنون: ۱۴]، و هذه الوظیفة لا تنفی أن تمام العظام یکون بعد زمان طویل، إن لم تشر ضمنیا إلی استمراریة تخلّقها، و تأخر تمامها إلی ما بعد مرحلة کسو اللحم العظام. و التفصیل کالآتی: قبل الاسترسال فی الکلام یتعین علینا أن نعلم أن «الفاء» تکون للترتیب، سواء أ کانت حرف عطف أم لا، کما قرّر الرضی فی شرح الکافیة (ق ۲، م ۲، ص ۱۳۰۸)، و کما سنشیر إلیه فی مبحث «الأسلوب القرآنی فی استخدام حرفی «ثم» و «الفاء» فی آیات علم الأجنة». و کما لا یخفی علینا، فإن وظیفة حرف «الفاء» فی قوله تعالی: فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً [المؤمنون: ۱۴] هی للعطف، و کأن الآیة تفید: فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً، و کسونا العظام لحما، و هکذا نفهم أن هناک مرحلتین تحدثان للجنین: ۱- خلق المضغة عظاما. ۲- کسو العظام لحما. کذلک فهی تفید الترتیب و التعقیب (انظر مبحث «الأسلوب القرآنی فی استخدام حرفی «ثم» و «الفاء» فی آیات علم الأجنة»)، و بالتالی فهی تفید أن مرحلة کسو العظام لحما تأتی مباشرة بعد مرحلة المضغة عظاما، و کأن الآیة تفید: فخلقنا المضغة عظاما، و من ثمّ کسونا العظام لحما. أضف إلی ذلک أن وظیفة «الفاء» المشار إلیها فی قوله تعالی: فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً [المؤمنون: ۱۴] تفید «التفصیل بعد الإجمال»؛ أی: أن الله تعالی أعلمنا إجمالا أن العظام تتخلّق من المضغة، و من ثمّ فصّل لنا ما ذا یحدث للعظام التی تخلّقت. و للعلم فإننا نری أن هناک نوعین للتفصیل بعد الإجمال فی مجال «الإعجاز العلمی فی تخلق الجنین فی القرآن و السنة»: ۱- تفصیل لمرحلة ذکرت بالإجمال، من خلال سرد أحداثها فیما بعد، عبر کلام یدخل علیه حرف «الفاء». ۲- تفصیل لمرحلة ثانیة تلی مرحلة أولی ذکرت بالإجمال، و تعتبر امتدادا للمرحلة الأولی، عبر إدخال حرف «الفاء» علی الکلام الذی یفصّل المرحلة الثانیة. و مثال النوع الأول الآیة: وَ نادی نُوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِی مِنْ أَهْلِی وَ إِنَّ وَعْدَکَ الْحَقُّ وَ أَنْتَ أَحْکَمُ الْحاکِمِینَ [هود: ۴۵] و قوله تعالی: وَ کَمْ مِنْ قَرْیَةٍ أَهْلَکْناها فَجاءَها بَأْسُنا بَیاتاً أَوْ هُمْ قائِلُونَ [الأعراف: ۴]- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۲۷

- _____ فقول نوح علیه السّلام: إِنَّ ابْنِی مِنْ أَهْلِی وَ إِنَّ وَعْدَکَ الْحَقُّ وَ أَنْتَ أَحْکَمُ الْحاکِمِینَ [هود: ۴۵] هو تفصیل لندائه المجمل لربّه عزّ و جلّ، و تبیت الیأس هو تفصیل للإهلاک المجمل (شرح الکافیة، ق ۲، م ۲، ص ۱۳۰۹، بتصرّف). و مثال النوع الثانی الآیة التی نحن بصدد تفسیرها، أی الآیة رقم ۱۴ من سورة المؤمنون، و ذلک أن الکسوة التی وردت فی الآیة: فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً [المؤمنون: ۱۴] أخص من الخلق فی المعنی، حیث إنه خلق مقید بخطیئة شیء فوق شیء، و بالتالی هو خلق مفصّل و مشروح بالنسبة للخلق المجمل الذی سبقه، فاختلاف فعل «کسا» فی فَکَسَوْنَا عن فعل «خلق» فی فَخَلَقْنَا، المتکرر مرّتین قبل فعل «کسا»، یفید التفصیل فی هذه المرحلة خاصة. و من الأمثال أیضا النص القرآنی: یا أَیُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّکَ بِرَبِّکَ الْکَرِیمِ (۶) الَّذِی خَلَقَکَ فَسَوَّاکَ فَعَدَلَکَ (۷) [الانفطار: ۶- ۷]؛ فالتسویة هی تفصیل للمرحلة التی تلی مرحلة الخلق المجمل، حیث أن فعل «سوّی» هو نوع محدد من الخلق، و بالتالی فهو یشیر إلی أن أغلب عملیات التخلّق فی مرحلة التسویة مقیّدة بما یرمی إلیه معنی فعل «سوّی»، و التعدیل هو تفصیل للمرحلة التی تلی مرحلة التسویة، المجملة نسبیا لما بعدها، حیث أن فعل «عدل» هو نوع محدد من التسویة، و بالتالی فهو یشیر إلی أن أغلب عملیات التخلق فی مرحلة التعدیل مقیّدة بما یرمی إلیه معنی فعل «عدل». و لعلّ التخصیص، و التدرّج من العام إلی الأخص، دلیل قوی من الأدلة، علی أن المراد من الآیة الثانیة- التی تلی آیة أولی، و التی یدخل علیها حرف «الفاء»- هو: «التفصیل بعد الإجمال»، و ذلک لأن التخصیص هو نوع من التفصیل فی نهایة الأمر. و من الکلام السابق نفهم أن معنی التعقیب، إذا دخل علی فاء «التفصیل بعد الإجمال»، یشیر إلی أن التفصیل هو للمرحلة التی تلی مرحلة أولی ذکرت بالإجمال. کذلک نفهم من هذا الکلام أن النوع الثانی من «التفصیل بعد الإجمال» لا ینفی عملیات المرحلة الأولی، بل یؤکد استمراریتها و لکن فی مجال أضیق من المجال الأول. و من هذا المنطلق فإن فاء «التفصیل بعد الإجمال» التی أتت فی الآیة فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً [المؤمنون: ۱۴] لا تنفی استمراریة تخلق العظام الذی جاء ذکره فی الطور الأول، بل ترمی إلیه، و ذلک أنها تشیر إلی استمراریة تطور العظام من خلال ذکر ما یحصل له علی وجه الخصوص- أی علی الصعید الخارجی- ککسو العظام باللحم، لغلبة هذه السمة علی هذا الطور. و هذا التوجه تدعمه القرینة الخارجیة التی تلخص بآیات سورة الانفطار السالفة الذکر، حیث إن فعل «سوّی» و فعل «عدل» یؤکدان أن هناک عملیات واسعة النطاق، محدودة فی فعلها، تحصل للجنین، و تشمل کل أعضائه، بما فیها العظام، کظهور مراکز التعظّم فیه. و بالتالی فإن الحکمة فی إضفاء وظیفة «التفصیل بعد الإجمال» علی حرف «الفاء» فی الآیة فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً [المؤمنون: ۱۴] هی أنها توحی فی لغة العرب إلی استمراریة تخلق العظام، و تأخر تمامه إلی زمن بقع- أو یتأخر- عن مرحلة طور الکساء باللحم، و ذلک إلی أجل غیر محدد. و لعلّ وظیفة حرف «الفاء»؛ «الترتیب و التعقیب»- إذا اقترنت بوظیفة «التفصیل بعد الإجمال»- هی- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۲۸

- _____ نفسها تلقی التفصیل علی ما یحصل للعظام. فالتعقیب یشیر ضمنیا إلی أن مرحلة ثانیة لتطور العظام ابتدأت عند کسو اللحم العظام، و أعقبت خلق العظام البدائیة، أی أن مرحلة أخری لها مییّزات خاصة تنفرد بها، سواء أ کانت رئیسیة ککسو العظام لحما أم ثانویة کظهور مراکز (تعظم NOITACIFISSO) فی الجنین، أعقبت المرحلة الأولی لتخلق العظام علی صورة غضروف، و بالفعل فإن مراکز التعظّم فی الجنین تبدأ بالظهور فی الأسبوع الثامن- أی فی مرحلة کسو اللحم العظام (انظر مبحث «التسویة/ کسو العظام لحما»- یقول الدکتور مور: «یبدأ التعظّم فی العظام الطویلة فی الأسبوع الثامن من التخلق الجنینی، و یبدأ فی (المراکز الوسطی من العظام SENOB EHT FO SESYHPAID) کمراکز أولیة للتعظم» (کتاب الإنسان النامی، د. مور وبارسو، ص ۴۲۰). و من المهم أن ننوه أن وظیفة «التفصیل بعد الإجمال» لا تتعارض مع السیاق القرآنی، من أن تمام خلق العظام یتأخر إلی ما بعد طور الکساء باللحم، لأن السیاق یتکلّم عن خلق متعاقب، و تکملة خلق للوصول به إلی درجة الکمال. کذلک فإن هذه الوظیفة تکلّم عنها علماء اللغة حیث أشار إلیها الرضی فی شرح الکافیة (ق ۲، م ۲، ص ۱۳۰۹). و هذه الوظیفة- أی وظیفة التفصیل بعد الإجمال- تتفق مع المعنی الظاهر للآیة من خلال التخصیص الذی یشیر إلیه فعل «کسا»، و الذی أشرنا إلیه فی شرحنا السابق. و هی تنسجم أیضا مع العلم الکونی، کما فصلناه فی مبحث «التسویة»، من أن العظام تتأخّر فی تمام تخلّقها. ثانیا: إن الآیة لا تنفی من الناحیة المعنویة أن تخلّق العظام یتم بعد زمان طویل، بعد أن ابتدأ تخلقه قبل الکساء باللحم، إن لم تشر إلی استمراریّته، للأسباب التالیة: ۱- إن الله تعالی لم یحدد نهایة تخلق العظام بعد ذکر تخلّقها، کما فعل عند ذکر تخلق العلقة، و تخلق المضغة، حیث أشار فی قوله تعالی: ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً [المؤمنون: ۱۴] إلی انتهاء صورة العلقة بابتداء صورة المضغة، و انتهاء صورة المضغة بابتداء صورة العظام، کما یشیر إلیه معنی فعل «خلق» فی اللغة العربیة: «أحدثه بعد أن لم یکن» (انظر مبحث «المضغة/ الشکل الداخلی»). و ذلک أن الآیة تفید أن صورة جدیدة حلّت محلّ صورة قدیمة فی حال العلقة و المضغة، و کأن النص القرآنی یقول: ثمّ حوّلنا طبیعة (أو صورة) العلقة إلی مضغة، و من ثمّ حوّلنا طبیعة (أو صورة) المضغة إلی عظام- باقیة فی التطور-، یکسوها اللحم- أثناء تطوّرها-. ۲- إن الأنموذج الغضروفی یعتبر هیکلا عظما لصلابته بالنسبة للمضغة اللینة التی سبقت ظهوره، کما یشیر إلیه معنی کلمة «عظم» الذی أشرنا إلیه سابقا فی المبحث، فهذه حقیقة لغویة، أما بالنسبة لاکتمال تخلّقه فی المراحل المتأخّرة، أی بالنسبة لتعظّمه فیما بعد فهو لین، و بالتالی فلا یشیر معنی الآیة من هذا المنظار إلی حقیقة علمیة. غیر أنه من المهم أن ننوّه أنه من الأولی أن ننظر إلی تخلّق العظام بالنسبة للطور الذی سبقه، لا إلی الذی سیصیر إلیه، نظرا لوظیفة حرف «الفاء»: «الترتیب و التعقیب» کما أشرنا إلیه سابقا فی المبحث. و مع ذلک فإن معنی الآیة لا یتعارض مع الحقائق العلمیة إذا نظرنا- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۲۹

- _____ إلیه بالنسبة إلی ما سیصیر إلیه من صلابة من جراء تعظّمه. فالأنموذج الغضروفی فی هذه الحالة یعتبر مشروع هیکل صلب، و هو بالتالی سیصبح فی المستقبل هیکلا عظیما. فنستطیع أن نطلق علی الغضروف اسم «العظام» باعتبار ما یؤول إلیه من تکامله حیث بدأ أوله و لم ینته آخره بعد (انظر مبحث: «التسویة/ کسو العظام لحما»)، و هذا الأسلوب من الکلام هو نوع من المجاز باعتبار ما سیکون، و تعرفه العرب تماما (للمزید من التفصیل الرجاء مراجعة حاشیة مبحث «المستودع» حیث أوضحنا هذا الضرب من الکلام). و فی الختام نشیر إلی أن دلالات آیة رقم ۱۴ من سورة المؤمنون تتفق مع ضوابط مجال الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، و هی: ۱- أن تلتزم تلک الدلالات بسیاق النص القرآنی. ۲- أن تراعی القواعد البلاغیة. ۳- أن تتفق مع المعنی اللغوی. ۴- أن تنسجم مع العلم الکونی. و بالتالی یحق لنا أن نستشهد بها، و ذلک: - أن هذه الدلالات تنسجم مع العلم الکونی من أن العظام تتأخر فی تطوّرها. - و أنها لا تعارض القواعد البلاغیة من

نحو، و بلاغة، لأنها تنطوی تحت «المجاز باعتبار ما سیکون»، و تحت «الترتیب و التعقیب»، و تحت «التفصیل بعد الإجمال». - و أنها لا تعارض المعانی اللغویة لکلمة «عظم». - و أنها تتفق مع سیاق النص القرآنی من أن اللّه تعالی لم یحدد نهایة لطور العظام، و مع الآیات الأخری التی تتکلم عن تخلّق الجنین، حیث إن التسویة و التعدیل یشیران إلی أن الخلق لم ینته، و أن هناک عملیات تخلق محدودة تجری لسائر أعضاء الجنین، بما فیها العظام، من تعظّم و غیره. و خلاصة القول: أن استعمال حرف «الفاء» فی هذا الموضع للدلالة علی «الترتیب و التعقیب»، الذی یسوقنا إلی أن ننظر إلی تخلق العظام بالنسبة للطور الذی سبقه، و تغیر الفعل من العام- خلق- إلی الخاص- کسا- للدلالة علی «التفصیل بعد الإجمال»، و استعمال «الترتیب و التعقیب» مع «التفصیل بعد الإجمال» لعدم نفی تطوّر العظام، و الإشارة إلی أن طورا ثانیا للعظام له ممیزات خاصة یعقب طور تخلّق العظام البدائی، و عدم ذکر نهایة تخلق العظام علی خلاف الأطوار التی سبقته، و وضع کلمة «عظام» فی الآیة فی مکان یؤکد ابتداء تخلّقها و لا ینفی مآلها من خلال «المجاز باعتبار ما سیکون»، یدل علی براعة مطلقة تبلغ الغایة فی البلاغة، حیث جاء الکلام مطابقا للحقائق العلمیة الغیبیة فی الخلق، و التکلم عنها بهذا الشکل یحتاج إلی مشاهدة، و فطنة عالیة، و حضور ثاقب، و تمکن باللغة العربیة إلی أقصی درجاته. و لا شک أنه، إذا أردنا الاختصار فی الکلام، و عدم التفریط فی دلالات لغویة تحیط بأغلب الحقائق العلمیة الغیبیة التی تتکلم عن ظاهرة تخلق العظام و اللحم، أن نتکلم عن العظام علی نحو ما أتت به الآیة. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۳۰ و نری من التفسیر السابق أن العامود الفقری ینشأ من الفلقات التی تضفی علی الجنین مظهر المضغة، و تحدیدا من قسم معین من تلک الفلقات و لیس من کل المضغة. و لذا نری أن الألوسی رحمه اللّه قال موضحا أبعاد النص القرآنی «۱»: «فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ: أی غالبها و معظمها أو کلّها، عِظاماً [المؤمنون: ۱۴]: صغارا و عظاما حسبما تقتضیه الحکمة و ذلک التصییر بالتصلیب لما یراد جعله عظاما من المضغة» «۲». و بما أن الجنین یخلق من عجب الذنب، أی: من الجزء المؤخری للعامود الفقری فمن الطبیعی أن نفهم أن العظم الذی یتخلق هو عظم العامود الفقری حسبما تملیه حقائق النصوص الشرعیة. و قد فهم ابن عباس رضی اللّه عنهما هذه الحقیقة بنظرته الثاقبة بأن العظم الذی یتخلق هو عظم الصلب أی عظم العامود الفقری. جاء فی تفسیر القرآن العظیم «۳»: فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً [المؤمنون: ۱۴] قال ابن عباس: و هو عظم

(_____ ۱) تفسیر الألوسی- (ج ۱۸/ ص ۱۴).

(۲) لقد ذکر بعض الباحثین فی مجال الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة أن الآیة: أَوْ کَالَّذِی مَرَّ عَلی قَرْیَةٍ وَ هِیَ خاوِیَةٌ عَلی عُرُوشِها قالَ أَنَّی یُحْیِی هذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها فَأَماتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قالَ کَمْ لَبِثْتَ قالَ لَبِثْتُ یَوْماً أَوْ بَعْضَ یَوْمٍ قالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عامٍ فَانْظُرْ إِلی طَعامِکَ وَ شَرابِکَ لَمْ یَتَسَنَّهْ وَ انْظُرْ إِلی حِمارِکَ وَ لِنَجْعَلَکَ آیَةً لِلنَّاسِ وَ انْظُرْ إِلَی الْعِظامِ کَیْفَ نُنْشِزُها ثُمَّ نَکْسُوها لَحْماً فَلَمَّا تَبَیَّنَ لَهُ قالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ [البقرة: ۲۵۹] تشیر إلی إعجاز علمی فی مجال تخلق الجنین فی رحم الأم. و استعانوا بها لتفسیر آیة خلق عظام الأجنة الموجودة فی الأرحام. و فی رأینا هذا کلام غیر دقیق لعدة أسباب: أولا: إن الآیة الکریمة تشیر إلی خلق عظام حمار قد بلیت منذ مائة سنة، و خلق عظام هذا الحمار یتم أمام أعین سیدنا عزیر علیه السلام فی بیت المقدس، و بالتالی فإن خلق عظام الحمار لا یتم ابتداء من نطفة فعلقة فمضغة فعظام، و لکن یتم بسرعة کبیرة ابتداء من عظام قد بلیت و تناثرت فی الأرض یمینا و شمالا، فأعاد اللّه تعالی جمعها من أماکنها من الأرض فی هذا الوقت القصیر کما ذکره أغلب المفسرین. و بالتالی فإن آلیة الخلق تختلف، و لا یجب أن نعتبر هذه القصة أنموذجا لخلق عظام الجنین. ثانیا: إن خلق العظام یتم فی الهواء الطلق، و لیس فی بیئة محددة شبیهة ببیئة رحم الأم، مما یعنی أن المصادر المادیة التی تستقی منها المواد الأساسیة لخلق عظام الجنین ابتداء غیر متوفّرة، کذلک هو الحال لسائر العوامل اللازمة لإتمام عملیة خلق عظام الجنین. و للأسباب التی ذکرناها سابقا لا یجوز لنا أن نستشهد بهذه الآیة فی مجال الإعجاز العلمی فی خلق الجنین لأن السیاق لا یسمح لذلک، غیر أننا نستطیع أن نستأنس بها فقط لا غیر فی حال وافقت دلالاتها المعطیات العلمیة، مع الإشارة إلی الفارق فی البیئة و فی العوامل الفیزیائیة و البیولوجیة بین حالة خلق عظام الجنین فی الرّحم، و حالة خلق عظام حمار فی الهواء الطلق بسرعة کبیرة ابتداء من عظام قد بلیت. (۳) تفسیر ابن کثیر- (ج ۳/ ص ۲۴۰). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۳۱ الصلب. و فی الصحیح من حدیث أبی الزّناد عن الأعرج عن أبی هریرة قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «کل جسد ابن آدم یبلی إلا عجب الذنب منه خلق و منه یرکب» [أخرجه مسلم ح ۳۵]. و من الجدیر بالذکر أن اللّه تعالی قال: فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً و لم یقل: و خلقنا فی المضغة عظاما، مما یشیر إلی دقة الإعجاز العلمی فی الإخبار أن الفلقات البدئیة التی تظهر علی شکل مادة ممضوغة تتحول إلی عظام. و فی الوقت الذی تتکشف فیه الخلایا المیزانکیمیة حول العامود الفقری، تنشأ الأضلاع الصدریة منها فتکوّن القفص الصدری «۱». أما عظام الرجلین و الیدین فتنشأ من النسیج الأوسط الوحشی (أی البعید عن المحور) «۲»، و یکتمل تغضرفها فی نهایة الأسبوع السادس «۳». و هکذا یتخلق شیئا فشیئا أنموذج غضروفی للهیکل العظمی، و تکتمل صورته فی نهایة الأسبوع السادس و بدایة الأسبوع السابع، بینما تضمحل فی نفس الوقت صورة الکتل البدئیة، فتعطی سمة العظام علی سمة المادة الممضوغة فی تمام أربعین یوما، و یحق عندئذ أن نسمی ما کان مضغة عظاما، و یتحقق بذلک قول اللّه تعالی: فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً .... و هذا مطابق لما یرویه الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم عن أن نهایة فترة المضغة تکون فی أربعین یوما کما جاء فی حدیثه الشریف: «إن أحدکم یجمع خلقه فی بطن أمه أربعین یوما، ثم یکون فی ذلک علقة مثل ذلک، ثم یکون فی ذلک مضغة مثل ...» [أخرجه مسلم ح ۴۳]. و عن أن صورة العظام تظهر و تتضح بعد اثنین و أربعین یوما لحدیثه الشریف صلّی اللّه علیه و سلّم: «إذا مر بالنطفة ثنتان و أربعون لیلة، بعث اللّه إلیها ملکا، فصورها و خلق سمعها و بصرها و جلدها و لحمها و عظامها، ثم قال: یا ربّ: أذکر أم أنثی؟» [أخرجه مسلم ح ۴۵]. و تبقی هذه صورة العظام ملازمة للجنین إلی أن تطغی صورة اللحم علیه بعد حوالی أسبوع. هذا و قد فهم العلامة الألوسی «۴» حقیقة أن تصییر المضغة عظاما یحصل تدریجیا بما أوتی من علم فی اللغة العربیة، و بما یتوافق مع مضمون النص القرآنی قائلا: «و هذا التصییر علی ما قیل بحسب الذات کتصییر الماء حجرا و بالعکس،

(_____ ۱) للمراجعة کتاب الإنسان النامی، د. مور وبارسو، ص ۴۱۴. (۲) للمراجعة کتاب علم الأجنة الطبی، سادلر، ص ۱۵۴. (۳) للمراجعة کتاب الإنسان النامی، د. مور وبارسو، ص ۴۲۰. (۴) تفسیر الألوسی- (ج ۱۸/ ص ۱۴). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۳۲ و حقیقته إزالة الصورة الأولی عن المادة و إفاضة صورة أخری علیها، و هو من باب الکون و الفساد، و لا یخلو ذلک من الحرکة فی الکیفیة الاستعدادیة فإن استعداد الماء مثلا للصورة الأولی الفاسدة یأخذ فی الانتقاص، و استعداده للصورة الثانیة الکائنة یأخذ فی الاشتداد، و لا یزال الأول ینقص و الثانی یشتد إلی أن تنتهی المادة إلی حیث تزول عنها الصورة الأولی فتحدث فیها الثانیة دفعة». غیر أن حجم خلایا الأنموذج الغضروفی یکبر «۱»، و تتکلس مادة الأنموذج، و تموت خلایاه، و فی الوقت نفسه تتمرکز طبقة رقیقة من العظام تحت النسیج الذی یحیط بالغضروف، و تشکل قلادة عظیمة حول ساق الأنموذج الغضروفی. و بعقب ذلک انتشار (العناصر الوعائیة EUSSIT EVITCENNOC RALUCSAV) من النسیج المجاور فی الغضروف، و تجتمع بعض هذه الخلایا المنتشرة علی شکل (جذعة عظیمة TSALBOETSO)، و تحیط نفسها بمنبت عضوی عظمی حدیث الإفراز، و بذلک تتکوّن فی مرحلة متأخرة الخلایا العظمیة للعظم النهائی بعد أن کان من الغضروف «۲». (انظر الصورة رقم: ۱۰۱).

II- عدد العظام:

II- عدد العظام: و بعد أن تحدثنا عن ظهور العظام، نتناول هنا قضیة أخری هی فی الإعجاز أقوی من التی تحدثنا عنها من قبل و ذلک لأنها تتضمن دقة أکثر من الإعجاز الإخباری السابق ذکره. تری ما عدد العظام التی ستتخلق عند الجنین؟.

(_____ ۱) نشیر هنا إلی أن تعظم الجنین لا یتبع أسلوبا واحدا فقط، فهناک طریقتان لتعظم الجنین: الأولی: هی التی ینتشر فیها أنموذج غضروفی و من ثم یحل محل هذا الأنموذج العظام، و تسمی هذه الطریقة: (التعظم فی باطن الغضروف NOITACIFISSO LARDNOHCODNE). و الثانیة: هی التی تتکون فیها الجذعات العظمیة مباشرة بین الأغشیة و تفرز حولها منبتا عضویا سرعان ما یتعظم بترسب الکالسیوم، بدون أن یمر النسیج بمرحلة التغضرف، و تسمی هذه الطریقة: (التعظم ما بین الأغشیة NOITACIFISSO SUONARBNEMARTNI). غیر أن ما ذکرناه فی النص أعلاه ینطبق علیه الطریقة الأولی لأنه من خلالها یتألف غالبیة عظام الجسم. و أما الطریقة الثانیة فمحصورة فی (الفکین السفلی و العلوی ECNENIMORP YRALLIXAM) و علی (جانبی المخ و أعلاه TLUAV LAINARC). (کتاب الإنسان النامی، د. مور وبارسو، ص ۴۰۹، ۴۱۵ و ۴۱۷). (۲) کتاب الإنسان النامی، د. مور وبارسو، ص ۴۰۹/ کتاب علم الأجنة فی ضوء القرآن و السنة، هیئة الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، ص ۹۰ و ۹۲. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۳۳ (SC) إن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم یجیبنا عن هذا السؤال فی حدیثه التالی: «إنه خلق کل إنسان من بنی آدم علی ستین و ثلاثمائة مفصل ...» [أخرجه مسلم ح ۴۲]. فی الحدیث المذکور إشارة إلی أن لدی الجنین ۳۶۰ مفصلا أو عظما، و لکن إذا نظرنا إلی العظام لدی الإنسان البالغ رأینا أن لدیه ۲۰۶ عظام، باستثناء العظمات الوتریة فی کل إبهام و فی کل إصبع من الأصابع الکبیرة (و مع إضافة هذه العظام یصبح العدد ۲۱۶ عظمة). فلما ذا هذا الاختلاف؟. نلحظ أن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم تکلم عن عدد العظام بصیغة الماضی بقوله «خلق الإنسان»، و هذا یدل علی أنه فی بادئ الأمر، عند ما خلق الإنسان (أی عند ما کان جنینا)، تکوّن لدیه ۳۶۰ مفصلا. فما ذا یقول العلم؟ لنر هذا عن کتب من الناحیة العلمیة: «إن لکل عظم من عظام الأطراف بما فیها السلامیات الطرفیة متعلقة مرکزیة یتم تعظمها بعد تحوّل النسیج الغضروفی بها إلی عظم أثناء تطور الجنین ...، و أیضا تنتهی أطراف کل عظمة بنسیج غضروفی قابل للتعظم فیما بعد، أی بعد أن یولد الجنین ولدیه توقعات بالنمو الطولی ..! إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۳۴ و سوف نسمی هذه الأنسجة الغضروفیة علی أطراف العظام مراکز التعظم الثانویة، و یبلغ عددها عند ظهور العظام ۱۴۴ مرکزا، و یتم تعظّم هذه المراکز وفق نظام صارم محدد یتمشّی زمنیا مع متطلبات النمو حتی سن العشرین، و عند ما تتعظم هذه المراکز العظمیة تتحول إلی نسیج عظمی و تلتحم مع بقیة العظم المتاخم لها لتصبح عظما واحدا حتی تتحول کل عظام الجسم التی یخلق علیها الجنین و التی تبلغ ۳۶۰ عظمة إلی ۲۰۶ عظمات (بعد تعظم کل ما فیها من مراکز التعظم الثانویة) عند اکتمال النمو فی سن العشرین ... یمکننا حصر عظام الجسم بعد تمام النمو فی (۲۰۶) عظمات هی کما یلی: ۲۸ الرأس، ۷ فقرات عنقیة، ۱۲ فقرة ظهریة، ۵ فقرات قطنیة، ۵ فقرات عجزیة، ۴ عصعص، ۲۴ ضلعا، ۳ قص، ۲ لوحی الکتف، ۲ ترقوة، ۲ عضد، ۴ زند، ۴ کعبرة، ۱۶ رسغا، ۱۰ کف الیدین، ۲۸ السلامیات، ۶ الحوض، ۲ الفخذ، ۴ قصبة و شظیة بالساق، ۱۴ عظاما صغیرة بالقدم، ۲۸ السلامیات. و مع إضافة العظمات الوتریة یکل إبهام ۲ (۵ (۲)

و إصبع کبیر ۳ (× ۲)، یکون لدینا مجموع ۱۰ (×۲ ۲+ ×۳ ۲ ۱۰) عظمات وتریة، فإذا أضفنا عدد عظام الجسم مع العظام الوتریة مع المراکز التعظمیة الأولیة التی خلق علیها الجنین یکون مجموع عظام الجسم: ۲۰۶+ ۱۰+ ۱۴۴ ۳۶۰ عظمة. أما عن مفاصل الجسم فنحددها کما یلی: ۱۴۷ العمود الفقری (۲۵ غضاریف بین الفقرات+ ۷۲ بین الضلوع و الفقرات+ ۵۰ بین الفقرات عن طریق القبیمات الجانبیة). ۲۴ الصدر (۲ عظمة القص+ ۱۸ بین القص و الضلوع+ ۲ بین الترقوة و لوحی الکتف+ ۲ بین لوحی الکتف و الصدر). ۴۳ الطرف العلوی (× ۲) (مفصل کتف+ ۳ کوع+ ۴ رسغ+ ۳۵ عظام الید). ۴۴ الطرف السفلی (× ۲) (مفصل فخذ+ ۳ رکبة+ ۳ کاحل+ ۳۷ عظام القدم). ۱۳ الحوض (۲ عظام الورک+ ۴ فقرات العصعص+ ۶ عظمیات الحق+ الارتفاق العانی). ۲ الفک. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۳۵ فیکون المجموع الکلی ۱۴۶+ ۲۴+ ×۴۳ ۲+ ×۴۴ ۲+ ۱۳+ ۲ ۳۶۰ مفصلا» «۱». إن تحدید عدد العظام هو إعجاز بحد ذاته، و ذلک لأنه لو أطلقنا العنان لخیالنا لکان هناک احتمال صغیر جدا لذکر العدد الصحیح للمفاصل. فهنالک مئات بل الآلاف من الأرقام المحتملة. إضافة إلی ذلک، فإن معرفة عدد العظام لدی الجنین أصعب من معرفة عدد العظام لدی الإنسان البالغ، و ذلک لأن تعداد عظام صغیرة فی جسم صغیر أصعب من تعداد عظام کبیرة فی جسم کبیر، کما أن عملیة التعداد تستلزم الحصول علی عدد من الأجنة، و تشریحها، و استعمال آلات خاصة لفصل اللحم عن العظم، و هذا لم یکن متوفرا فی زمن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم. فالجزیرة العربیة کانت ترزح تحت وطأة الجهل العلمی و خاصة فی مجال تخلق الجنین فی الرحم. و الإعجاز الأبلغ هو تحدید النبی صلّی اللّه علیه و سلّم للفترة الزمنیة، و هی الفترة الجنینیة التی فیها عدد المفاصل. و لو تغیر الرقم إلی أکثر أو أقل من العدد الذی ذکره النبی صلّی اللّه علیه و سلّم لتبین عدم إعجازه و العکس هو الثابت.

۲- کسو العظام لحما:

۲- کسو العظام لحما: قال تعالی: فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً ... [المؤمنون: ۱۴]. یتحقق طور «الکساء باللحم» فی الأسبوع الثامن، أی فی المرحلة الثانیة من مرحلة التسویة. نفهم من الآیة الکریمة أن اللحم یکسو العظام، و هذا یعنی: - أن اللحم یعلو العظام. - أن اللحم یتخلق بعد تخلق العظام «۲» (_____ «۱» تفسیر الألوسی- (ج ۱۸/ ص ۱۲۶). (۲) تفسیر الألوسی- (ج ۱۸/ ص ۱۴). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۳۹ و تتطاول أجسام تلک الخلایا و نواتها، و تدعی آنذاک: (الخلایا العضلیة TSALBOYM)، و تندمج تلک الخلایا بعضها ببعض، و تکوّن مرکبات متعددة النویات تتخذ شکل (أنابیب عضلیة SEBUTOYM)، و یستمر النمو باندماج کل من الخلایا العضلیة و الأنابیب العضلیة «۱»، و فی الأسبوع السابع تبدأ کتل اللحم و العضلات بالظهور «۲». و یظهر ترتیب الألیاف العضلیة غیر منتظم فی البدایة و لکنها تنتظم تدریجیا فی حزم من الألیاف العضلیة التی یتصف بها التنظیم النسیجی لعضلات الهیکل العظمی. هذه الألیاف تتصل بدورها فی وقت آخر بغشاء العظام التی تکونت فی هذا الموضع، مؤلفة حول هذه العظام النسیج العضلی الذی یکسو تلک العظام «۳». و هکذا یتحقق البند الأول بکامله أن اللحم یکسو- أی یعلو و یغطی- العضلات، و یتحقق البند الثانی بکامله أن اللحم یتخلق بعد تخلق العظام و ذلک أن التمیز علی شکل روابط عضلیة هیکلیة تکسو العظام یحدث بعد عملیة التغضرف فی نهایات العظام و السیقان. (انظر صورة رقم: ۱۰۴). ((SC _____ «۱») کتاب الإنسان النامی، د. مور وبارسو، ص ۴۲۷. (۲) لمزید من التفاصیل کتاب علم الأجنة الطبی، سادلر، ص ۱۶۹/ کتاب الإنسان النامی، د. مور و بارسو، ص ۴۲۶. (۳) کتاب علم الأجنة فی ضوء القرآن و السنة، هیئة الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، ص ۱۰۰- ۱۰۲. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۴۰ و فی نهایة الأسبوع الثامن، أی فی المرحلة التی تأتی بعد مرحلة العظام، یمکن ملاحظة تمیز واضح لعضلات الجذع و الأطراف و الرأس، و یغلب علی الجنین وقتئذ مظهر العضلات، بعد أن کان یغلب علیه مظهر العظام، و صدق رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم حیث یشیر- فی الحدیث الشریف: «إذا مر بالنطفة ثنتان و أربعون لیلة بعث اللّه إلیها ملکا، فصورها، و خلق سمعها و بصرها و جلدها و لحمها و عظامها، ثم قال: یا ربّ: أذکر أم أنثی؟» [أخرجه مسلم ح ۴۵]- إلی أن صورة اللحم تظهر بعد أربعین یوما، و لا سیما بعد فترة العظام وفقا لقوله عزّ و جلّ: ... فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً .... و فی هذا یقول الألوسی «۱»: «... فَکَسَوْنَا الْعِظامَ ... المعهودة لَحْماً أی جعلناه ساترا لکل منها کاللباس». و بعد تمام تکوین العضلات یمکن للجنین أن یبدأ بالتحرک. هذه الحقیقة (حقیقة کسو اللحم للعظام) لم تکن لتعرف لو لا تطور الآلات الحدیثة التی أتاحت للاختصاصیین مراقبة هذه الأحداث (فی النصف الثانی من القرن العشرین)، بید أنها أعلنت منذ حوالی ۱۴۰۰ سنة علی لسان نبیّ أمیّ- صلوات اللّه و سلامه علیه- فأنّی جاء بهذه المعلومات الدقیقة!!!؟. و فی الختام نشیر إلی الحقیقة التی أشار إلیها الألوسی «۲» و التی یتضمنها النص القرآنی الذی یصف تخلق الجنین، و هی أن الصور المختلفة- المضغة و العلقة و اللحم و العظام- تنبع کلها من جسم واحد، حسبما تملیه التغیرات الداخلیة فی جسم الجنین، و لیست مجرد إضافات خارجیة تنصب علی جسم الجنین فتضفی علیه تلک المظاهر المختلفة: «و کذا المضغة و العظام متحدان فی الحقیقة. و إنما الاختلاف بنحو الرخاوة و الصلابة، و أن العلقة و المضغة مختلفان فی الحقیقة کما أنهما مختلفان بالأعراض. و الظاهر أنه تعاقب فی جمیع هذه الأطوار علی مادة واحدة صور حسب تعاقب الاستعدادات إلی أن تنتهی إلی الصورة الإنسانیة (_____ «۱» تفسیر الألوسی- (ج ۱۸/ ص ۱۴). (۲) تفسیر الألوسی- (ج ۱۸/ ص ۱۴). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۴۱

ج- نفخ الروح:

ج- نفخ الروح: * قال سبحانه و تعالی: ثُمَّ سَوّاهُ وَ نَفَخَ فِیهِ مِنْ رُوحِهِ وَ جَعَلَ لَکُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ الْأَفْئِدَةَ قَلِیلًا ما تَشْکُرُونَ [السجدة: ۹]. * قال عزّ و جلّ: أَ لَمْ یَکُ نُطْفَةً مِنْ مَنِیٍّ یُمْنی (۳۷) ثُمَّ کانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوّی (۳۸) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَیْنِ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثی (۳۹) [القیامة: ۳۷- ۳۹]. * قال صلّی اللّه علیه و سلّم: «إن أحدکم یجمع خلقه فی بطن أمه أربعین یوما، ثم یکون فی ذلک علقة مثل ذلک، ثم یکون فی ذلک مضغة مثل ذلک، ثم یرسل إلیه الملک، فینفخ فیه الروح، و یؤمر بأربع کلمات ...» [أخرجه مسلم ح ۴۳]. * قال صلّی اللّه علیه و سلّم: «إن أحدکم یجمع خلقه فی بطن أمه أربعین یوما، ثم یکون علقة مثل ذلک، ثم یکون مضغة مثل ذلک، ثم یبعث اللّه ملکا فیؤمر بأربع کلمات و یقال له: اکتب عمله و رزقه و أجله و شقی أو سعید، ثم ینفخ فیه الروح» [أخرجه البخاری ح ۴۶]. البحث عن حقیقة الروح أمر فی غایة الغموض، و النظر العلمی یحتّم عدم الدخول فی تفاصیل ماهیة الروح لأن المفردات الأولیة و المعطیات الأساسیة غیر متوفرة للباحث. لذا یقول اللّه عزّ و جلّ: وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی وَ ما أُوتِیتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِیلًا [الإسراء: ۸۵]. أما معرفة وقت نفخ الروح فی الجنین فمن الممکن معرفته من خلال النصوص الشرعیة. فنجد أن نفخ الروح یکون فی مرحلة التسویة، أما قبلها فلا یکون هناک نفخ و ذلک لأن اللّه تعالی عطف نفخ الروح علی التسویة فی قوله تعالی: ثُمَّ سَوّاهُ وَ نَفَخَ فِیهِ مِنْ رُوحِهِ [السجدة: ۹]. و أما الإذکار أو الإیناث فإنه یکون بعد التسویة، أی بعد نفخ الروح و ذلک أن اللّه تعالی ذکر إذکار أو إیناث الجنین بعد ذکر التسویة و قرنه بحرف «ف» الذی یفید الترتیب و التعقیب «۱» فی الآیة: فَخَلَقَ فَسَوّی فَجَعَلَ مِنْهُ

الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى ... [القيامة: ۳۹].

(۱) انظر مبحث «الأسلوب القرآنی فی استخدام حرفی العطف «ثم» و «الفاء» فی آیات علم الأجنة». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۴۲ و نستطیع أن نجمع الآیتین السابقتین و نفهم من خلال الجمع أن نفخ الروح یحصل قبل الإذکار أو الإیناث فیکون معنی الآیة: خلقه فسواه و نفخ فیه من روحه فجعل منه الزوجین الذکر و الأنثی. فیتبیّن أن توقیت نفخ الروح ممتد من بدایة التسویة إلی بدایة مرحلة الإذکار أو الإیناث. و إذا أخذنا بالاعتبار وظیفة حرف العطف «ثم» -الترتیب و التراخی-، و حرف العطف «ف» -الترتیب و التعقیب-، نفهم أنه قد یکون هناک تراخ فی إرسال الملک و فی نفخ الروح بعد انتهاء طور المضغة دون تحدید یوم معین، کما جاء فی الحدیث الذی رواه البخاری: «إن أحدکم یجمع خلقه فی بطن أمه أربعین یوما، ثم یکون علقة مثل ذلک، ثم یکون مضغة مثل ذلک، ثم یبعث الله ملکا فیؤمر بأربع کلمات و یقال له: اکتب عمله و رزقه و أجله و شقی أو سعید، ثم ینفخ فیه الروح» [أخرجه البخاری ح ۴۶]، و قد یکون هناک تراخ فی إرسال الملک دون أن یکون هناک تراخ فی نفخ الروح کما جاء فی الحدیث الّذی رواه مسلم: «إن أحدکم یجمع خلقه فی بطن أمه أربعین یوما ثم یکون فی ذلک علقة مثل ذلک ثم یکون فی ذلک مضغة مثل ذلک ثم یرسل إلیه الملک فینفخ فیه الروح و یؤمر بأربع کلمات ...» [أخرجه مسلم ح ۴۳]. و هذا یعنی أن الحد الأدنی الممکن لنفخ الروح أربعون یوما، لقول رسول الله صلّی الله علیه و سلّم: «إن أحدکم یجمع خلقه فی بطن أمه أربعین یوما ... ثم یرسل إلیه الملک فینفخ فیه الروح ...»، و قد یکون فی أی یوم بعده. أما الحد الأقصی الممکن فهو نهایة الأسبوع الثامن «۱»، و ذلک لانتهاء مرحلة التسویة فی نهایة الأسبوع الثامن. أما حکم إسقاط الجنین فیؤخذ بالأدنی عند الضرورة (انظر مبحث «اجتهاد غیر مصیب»).

(۱) و هذا بالغالب و قد تزید المدة أسبوعا و ذلک لاختلاف الأجنة. انظر مبحث «اجتهاد غیر مصیب». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۴۳

إتمام الخلق

إتمام الخلق * عن أنس بن مالک رضی الله عنه، عن النبی صلّی الله علیه و سلّم، قال: «و کل الله بالرحم ملکا فیقول: أیْ ربِّ: نطفة؟ أیْ ربِّ: علقة؟ أیْ ربِّ: مضغة؟ فإذا أراد الله أن یقضی خلقها قال: أیْ ربِّ: أذکر أم أنثی؟ أ شقی أم سعید؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فیکتب کذلک فی بطن أمه». [أخرجه البخاری ح ۹۸]. لقد تحدثنا فیما قبل عن فترة (الإجهاض المبکّر NOITPROBA SUOENATNOPS)، و بینا أن الرحم فی هذه الفترة قد یرفض النطفة عند وقوعها فی الرحم، و من ثم تحدثنا عن فترة «الإقرار» و بیّنا أن الفترة التی تلی فترة المضغة هی فترة یثبت فیها الحمل فی الغالب. و أما الآن فسنتحدث عن فترة «إتمام الخلق» التی تشیر إلی أن الفترة الحرجة لتخلق الجنین قد انتهت، و ابتدأت مرحلة لإنهاء و إتمام و إحکام الخلق، بمعنی آخر: فإن المرحلة التالیة لا یحدث فیها ما یعیق النمو و التخلق بإذن الله. فتخلّق النطفة لتصبح جنینا مقرون بوقوعها فی الرحم کما یشیر إلیه الحدیث الشریف: «إذا وقعت النطفة فی الرحم بعث الله ملکا، فقال: یا ربِّ: مخلّقة أو غیر مخلّقة؟». [أخرجه الطبری ح ۳۲]، و إقرار الجنین فی الرحم مقرون بانتهاء تخلّق المضغة کما تشیر إلیه الآیة الکریمة: فَإِنَّا خَلَقْنَاکُم مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَیْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَیِّنَ لَکُمْ وَ نُقِرُّ فِی الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَی أَجَلٍ مُسَمًّی [الحج: ۵]، و قضاء الخلق- أی إتمامه- مقرون بتمیز الشکل الخارجی للأعضاء الجنسیة للجنین «۱»، کما یشیر إلیه الحدیث الشریف: «فإذا أراد الله أن یقضی خلقها، قال: أی ربِّ: أذکر أم أنثی؟ ...» [أخرجه البخاری ح ۹۸]. و کلمة «یقضی» التی وردت فی الجملة «... فإذا أراد الله أن یقضی خلقه ...» تعنی «یتم»، و هی بالتالی لا تشیر إلی ابتداء الخلق بل إلی إتمامه للوصول (۱) انظر مبحث «النشأة». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۴۴ به إلی درجة الکمال بالنسبة لما قبله «۱»، و ذلک لأن التخلق قد بدأ فیما قبل و خصوصا فی فترة المضغة کما تحدثنا الآیة: فَإِنَّا خَلَقْنَاکُم ... مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَیْرِ مُخَلَّقَةٍ [الحج: ۵] «۲». جاء فی لسان العرب «۳»: «قضی: القضاء: ... و قال الأزهری: القضاء فی اللغة علی وجوه مرجعها إلی انقطاع الشیء و تمامه. و کل من أحکم عمله أو أتمّ أو ختم ... اللیث فی قوله: فَلَمَّا قَضَیْنَا عَلَیْهِ الْمَوْتَ [سبأ: ۱۴]: أی أتممنا علیه الموت. و قضی فلان صلاته أی فرغ منها. و قضی عبره أی أخرج کل ما فی رأسه. و قوله تعالی: وَ لَوْ أَنَّزَلْنَا مَلَکاً لَقُضِیَ الْأَمْرُ ثُمَّ لا یُنْظَرُونَ [الأنعام: ۸]، قال أبو إسحاق: فمعنی قضی الأمر أتم إهلاکهم. قال: و قضی فی اللغة علی ضروب کلها ترجع إلی معنی انقطاع الشیء و تمامه ...». و یشهد لهذا المعنی ما جاء فی عمدة القاری «۴»: (قوله: «فإذا أراد أن یقضی») و یشهد لمعنی الإتمام لفعل «قضی» عدّة آیات منها: * قال الله تعالی: فَإِذا قَضَیْتُمْ مَناسِکَکُمْ فَاذْکُرُوا اللَّهَ کَذِکْرِکُمْ آباءَکُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِکْراً فَمِنَ النَّاسِ مَنْ یَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِی الدُّنْیا وَ ما لَهُ فِی الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ [البقرة: ۲۰۰]. جاء فی تفسیر القرطبی للآیة: «و قضیتم هنا بمعنی: أدیتم و فرغتم». * قال عزّ و جلّ: فَإِذا قَضَیْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْکُرُوا اللَّهَ قِیاماً وَ قُعُوداً وَ عَلی جُنُوبِکُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِیمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ کانَتْ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ کِتاباً مَوْقُوتاً [النساء: ۱۰۳]. ورد فی تفسیر القرطبی للآیة المذکورة آنفا: («فقضیتم» معناه فرغتم من صلاة الخوف). * قال عزّ من قائل: فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِی یَوْمَیْنِ وَ أَوْحی فِی کُلِّ سَماءٍ أَمْرَها وَ زَیَّنَّا السَّماءَ الدُّنْیا بِمَصابِیحَ وَ حِفْظاً ذلِکَ تَقْدِیرُ الْعَزِیزِ الْعَلِیمِ [فصلت: ۱۲]. قال ابن کثیر فی تفسیر الآیة رقم ۱۲ من سورة فصّلت: «فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِی یَوْمَیْنِ»، أی: ففرغ من تسویتهن سبع سماوات فی یومین». و قال القرطبی فی تفسیر آیة سورة فصّلت: «أی أکملهن و فرغ منهن». * قال جلّ و علا: فَإِذا قُضِیَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِی الْأَرْضِ وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَ اذْکُرُوا اللَّهَ کَثِیراً لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ [الجمعة: ۱۰]. جاء فی تفسیر القرطبی للآیة السابقة: «یقول: إذا فرغتم من الصلاة فانتشروا فی الأرض للتجارة و التصرف فی حوائجکم». (۲) راجع مبحث «المضغة». (۳) لسان العرب لابن منظور- مادة «قضی»- (ج ۱۱/ ص ۲۰۹- ۲۱۰). (۴) عمدة القاری للعینی- کتاب الحیض- باب مخلّقة و غیر مخلّقة- رقم الحدیث ۲۳- (ج ۳/ ص ۲۹۴). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۴۵ أی: فإذا أراد الله أن یقضی، أی: أن یتم خلقه»، و الروایة التی نقلها الطیالسی فی مسنده «۱»: «إن الله عزّ و جلّ یوکل بالرحم ملکا فیقول: یا رب: نطفة، یا رب: علقة، یا رب: مضغة، فإذا أراد الله عزّ و جلّ أن یتم خلقها قال: یا رب: ذکرا أم أنثی؟ شقی أم سعید؟ فیکتب ذلک فی بطن أمه». و «إذا» اسم یدل علی زمان مستقبل «۲»، فإذا أخذنا بعین الاعتبار معنی کلمة «یقضی» و وظیفة «إذا» أصبح معنی الحدیث الشریف: فعند ما یحین وقت إتمام خلق الجنین یبدأ تمیز الشکل الجنسی الخارجی للجنین بإذن الله. و من الجدیر بالذکر أن «قضاء الخلق» ذکر بعد ذکر طور المضغة فی الحدیث السابق، و قد یحمل ذلک البعض إلی الاعتقاد إلی أن قضاء الخلق علیه أن یحدث مباشرة بعد طور المضغة، و هذا ینافی الترتیب الذی نشیر إلیه: «المضغة، الإقرار، التسویة، قضاء الخلق». و لکن ما نشیر إلیه هو أنه لا یلزم من مرحلة «قضاء الخلق» أن تأتی بعد طور «المضغة» مباشرة إذا ذکرت بعدها بدون أن نفصل بینهما بمرحلة. و هذا الأسلوب أسلوب إیجاز رائع متبع فی أکثر من حدیث من الأحادیث الشریفة یوجه فیه الرسول صلّی الله علیه و سلّم انتباه القارئ إلی الحدث البارز، و حسبک أن نشیر إلی الحدیث التالی: «إذا مر بالنطفة ثنتان و أربعون لیلة بعث الله إلیها ملکا فصورها و خلق سمعها و بصرها و جلدها و لحمها و عظامها ثم قال: یا رب: أذکر أم أنثی؟» [أخرجه مسلم ح ۴۵]. فالنطفة فی الحقیقة لا تبقی نطفة ثنتین و أربعین لیلة، و حدث التصویر لا یقع بعد مرحلة النطفة، غیر أن الرسول الکریم صلّی الله علیه و سلّم امتنع عن ذکر أحداث ما بعد مرحلة النطفة و استعاض عن ذلک بذکر مرحلة الأصل- مرحلة النطفة- حتی یوجه انتباه السامع إلی حدث التصویر الذی یحصل للأذن و العین «۳» ... إلخ. و کذلک الحدث

(۱) رقم ۲۰۷۳، و السند هو: حدثنا یونس قال: حدثنا أبو داود قال: حدثنا حماد بن زید، عن عبید الله بن أبی بکر بن أنس، عن أنس. (۲) لسان العرب لابن منظور- مادة «إذا»- (ج ۱/ ص ۱۰۳). (۳) و هذا الأسلوب فی الإیجاز له فوائد أخری- غیر توجیه السامع إلی الحدث المراد توضیحه-، منها: ۱- الامتناع عن ذکر المراحل التی بین المرحلة الأولی و المراحل المذکورة، لفت أنظار المخاطبین، و إیقاظ حس المبادرة لدی الباحثین علی ملء الفراغ المتعمّد فی الأحادیث، و ربط جمیع مراحل التخلق فیما بینها، و دراسة الأحادیث بشکل معمّق، حتی نعطی کل حدث حقّه الکامل فی الدراسة، فنتوضّح لنا معان نحن غافلون عنها (لمزید من التفاصیل الرجاء مطالعة مبحث «توقیت أحادیث التخلّقات فی القرآن و السنّة»).- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۴۶ البارز فی الحدیث «... إذا أراد الله أن یقضی خلقها ...» [أخرجه البخاری ح ۹۸] هو قضاء الخلق و الغایة هی الترکیز علیه، و الله تعالی أعلم. و ما جاء فی عمدة القاری «۱»، یوضح ذلک: «و قوله فی حدیث أنس: «و إذا أراد الله أن یقضی خلقا، قال: یا رب: أذکر أم أنثی؟» لا- یخالف ما قدمناه، و لا یلزم منه أن یقول ذلک بعد المضغة، بل هو ابتداء کلام و إخبار عن حالة أخری». و هکذا فإن عملیة إتمام الخلق تتحقق مع تحقق مرحلة تمیز الشکل الخارجی للأعضاء الجنسیة للجنین. و لقد رأینا فی مبحث «الإقرار» أن حساسیة الجنین للعوامل التیراتوجینیة أو المؤذیة تکون عالیة جدا فی فترة المضغة مما یؤدی إلی إحداث تشوهات خطیرة لدی الجنین فی کثیر من الأوقات أو لإسقاطه.

۲- بیان معجزة الخلق بشکل أوضح؛ حیث أن ذکر النطفة وجها لوجه مع مراحل خلق السمع و البصر و العظام و اللحم و الجلد ... یبرز التفاوت الکبیر بین ترکیبة و مادة و حجم نطفة- بسیطة فی مظهرها- و أعضاء معقّدة الترکیب، مثل السمع و البصر و العظام و اللحم، و هذا الأسلوب فی الإیجاز له وقع علی السامع- أو القارئ- أکثر مما لو فصّل صلّی الله علیه و سلّم الأمر، و واصل بین مراحل تخلّق متعاقبة لها أوجه شبه فیما بینها، کما فعله- علیه الصلاة و السلام- فی أحادیث أخری. ۳- الاختصار لغرض تسهیل و تبسیط روایة خلق الإنسان للسامع، و تسهیل فهمها لجمیع المجتمعات و فئاتها، سواء أ کانت أمیة أم متعلّمة، متقدّمة فی السن أم شابة. فمن میزات هذا الدین العظیم أنه «عالمی» أی أنه یتوجه إلی کل الناس علی مختلف طبقاتهم کما فی قوله تعالی: وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلَّا کَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِیراً وَ نَذِیراً وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَعْلَمُونَ [سبأ: ۲۸]. و هذا الأسلوب یتّکل علی تسدید المعنی من قبل السامع، ثقة به، و هو دال علی منتهی البلاغة، حیث إنه صلّی الله علیه و سلّم حذف مراحل ما بعد النطفة، التی بینها و بین مرحلة خلق العظام؛ کمرحلة جمع خلایا الجنین، و مرحلة العلقة، و مرحلة المضغة، و أخرج- علیه الصلاة و السلام- ذلک فی صورة المجاز المرسل، فعبّر عن الشیء باعتبار ما کان (و هو أسلوب معتمد لدی الرسول صلّی الله علیه و سلّم، و قد مرّ معنا فی مبحث «التسویة/ خلق العظام» بصورة المجاز، باعتبار ما سیکون، فانظر تعریفه هناک)، و ذلک لسببین: أ- أن النطفة یمکن تصوّرها أکثر من أی مرحلة أخری، لأنها تنبئ من شیء مشاهد للعیان، مألوف لدیهم؛ ألا و هو

المنی. ب- إن مرحلة النطفة هی ألصق بالأذهان من غیرها، لأنها أول مرحلة تذکر، و لأنها مرحلة أصل الإنسان، التی تذکر أکثر من غیرها، و الإنسان فی عادته یتذکّر دائما أول الشیء و آخره، و ینسی التفاصیل التی تقع بینهما، و هکذا فإن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم یسوق السامعین بأسلوب سهل، سائغ لدیهم، لیس بغریب إلی الحدث البارز المراد تفصیله. و اللّه تعالی أعلم. (۱) عمدة القاری للعینی- کتاب الحیض- باب مخلّقة و غیر مخلّقة- رقم الحدیث ۲۲- (ج ۳/ ص ۲۹۴). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۴۷

أما فی فترة التسویة «۱» (و هی الفترة التی تلی فترة تخلق المضغة)، فحساسیته تظل عالیة و غالبا ما تؤدی العوامل التیراتوجینیة إلی تشوهات خطیرة لدی الجنین و فی قلیل من الأحوال إلی إسقاطه. أما فیما بعد، أی فی فترة النشأة «۲»- و هی الفترة التی تلی مرحلة التسویة، و التی فیها یمیّز جنس الجنین الخارجی أذکر أم أنثی- فحساسیته تخف و تأثیر العوامل أیضا، و عند ابتداء تمیز الشکل الخارجی للأعضاء الجنسیة للجنین «۳»، لا یبقی عضو یذکر حساس للعوامل المؤذیة إلا الجهاز العصبی، و بالتالی فلیس هناک فی الغالب ما یعیق نمو الجنین و یؤدی إلی إحداث تشوهات خطیرة لدیه أو لإسقاطه. و کما نری من الجدول التالی (انظر الصورة رقم: ۱۰۵) فإن فترة التشوهات الرئیسیة تنتهی فی حوالی بدایة الأسبوع التاسع، أی بعد نهایة مرحلة التسویة بأیام قلیلة و بدایة مرحلة النشأة.

و کما نعلم فإن تمیز الشکل الخارجی للأعضاء التناسلیة الخارجیة للجنین یبدأ بعد انتهاء مرحلة التسویة بأیام قلیلة «۴» وفقا لقوله تعالی: أَ لَمْ یَکُ نُطْفَةً مِنْ مَنِیٍّ یُمْنی (۳۷) ثُمَّ کانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّی (۳۸) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَیْنِ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثی (۳۹) [القیامة: ۳۷- ۳۹]، و هذا یعنی أنه مع ابتداء مرحلة الإذکار أو الإیناث الخارجیة للجنین هناک احتمال ضئیل لحدوث تشوهات خطیرة، و إذا ما حلّت العوامل المؤذیة فإنها تؤدی إلی خلل وظیفی أو إلی تشوهات خلقیة ضعیفة، غیر أن هذه الأخیرة لا تعیق النمو و لا تحول دون إتمام تخلق الجنین کما یشیر إلیه الحدیث الشریف: «... فإذا أراد اللّه أن یقضی خلقها، قال: أی رب: أذکر أم أنثی؟» [أخرجه البخاری ح ۹۸]. فسبحان من یعلم خفایا التخلق آ لا یَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ اللَّطِیفُ الْخَبِیرُ [الملک: ۱۴]!.

(۱) انظر مبحث «التسویة». (۲) انظر مبحث «النشأة». (۳) انظر مبحث «النشأة». (۴) للمزید من التفصیل حول موضوع الإذکار أو الإیناث الرجاء مطالعة مبحث «النشأة/ مرحلة القابلیة للحیاة/ التعدیل/ التمیز الجنسی». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۴۸ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۴۹

النشأة

اشارة

النشأة ◊ قال الحلیم الکریم: فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَکَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِینَ [المؤمنون: ۱۴]. ◊ قال سبحانه و تعالی: أَ لَمْ یَکُ نُطْفَةً مِنْ مَنِیٍّ یُمْنی (۳۷) ثُمَّ کانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّی (۳۸) [القیامة: ۳۷- ۳۸]. ◊ قال عزّ و جلّ: یا أَیُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّکَ بِرَبِّکَ الْکَرِیمِ (۶) الَّذِی خَلَقَکَ فَسَوَّاکَ فَعَدَلَکَ (۷) فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ (۸) [الانفطار: ۶- ۸]. ◊ قال العلیم الحکیم: وَ حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً [الأحقاف: ۱۵]. ◊ قال العلیم الحکیم: وَ فِصالُهُ فِی عامَیْنِ ... [لقمان: ۱۴]. ◊ قال رسول اللّه- صلی اللّه علیه و علی آله و سلم-: «إذا أراد اللّه أن یخلق نسمة قال ملک الأرحام معرضا: أی ربّ: أذکر أم أنثی؟، فیقضی اللّه، فیقول: أیّ ربّ: أ شقی أم سعید؟ فیقضی اللّه أمره، ثم یکتب بین عینیه، حتی النکبة ینکبها» [أخرجه أبو یعلی ح ۴۴]. ◊ قال صلی اللّه علیه و علی آله و سلم: «إذا مر بالنطفة ثنتان و أربعون لیلة بعث اللّه إلیها ملکا فصورها و خلق سمعها و بصرها و جلدها و لحمها و عظامها ثم قال: یا رب: أذکر أم أنثی؟ فیقضی ربک ما شاء و یکتب الملک ثم یقول: یا ربّ: أجله؟ فیقول ربک ما شاء و یکتب الملک ثم یقول: یا ربّ: رزقه؟ فیقضی ربک ما شاء و یکتب الملک ثم یخرج الملک بالصحیفة فی یده فلا یزید و لا ینقص» [أخرجه مسلم ح ۴۵]. هذه المرحلة تأتی بعد مرحلة التسویة لأنها تأتی بعد مرحلة کساء العظم باللحم و قد سمیناها مرحلة النشأة لأن اللّه تبارک و تعالی قال: ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ ... [المؤمنون: ۱۴]. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۵۰

أ- تعریف النشأة:

اشارة

أ- تعریف النشأة: کلمة «نشأة» مشتقة من فعل «نشأ» و لها عدة معان منها: ۱- بدأ، مثل أنشأ اللّه الخلق أی ابتدأ خلقهم «۱». ۲- نما، مثل نشأ الصبی: أی شبّ و نما «۲». ۳- ارتفع و ربا، مثل نشأ السحاب: ارتفع «۳». هذه المعانی تعبر عن حقیقة واقع الجنین فی هذه المرحلة و تصف بشکل مکثف التطورات و التغییرات الخارجیة و الداخلیة و العملیات الهامة التی تطرأ علی الجنین ألا- و هی- باختصار شدید-: بدایة عمل الأعضاء، نمو الجنین و ارتفاع قامته.

۱- المعنی الأول (بدأ):

۱- المعنی الأول (بدأ): فالمعنی الأول لکلمة نشأ: «بدأ» یصف لنا بدایة عمل الأعضاء و الأجهزة المختلفة و بدایة حرکة الجنین (فالجنین یبدأ بالتحرک فی نهایة الأسبوع الثامن أو بدایة الأسبوع التاسع) «۴» و حیث نجد أن الکلیة قد بدأت فی تکوین البول، و بدأ الکبد فی تکوین خلایا الدم الحمراء (فی بدایة مرحلة النشأة) و من ثمّ تبدأ الطحال فی الأسبوع الثانی عشر فی تکوینها «۵»، و ما إلی ذلک ...

۲- المعنی الثانی (نما):

۲- المعنی الثانی (نما): و أما معنی «نما» فإنه یبیّن النمو السریع للجنین علی وجه العموم، و التطور الشامل لأعضاء و أجهزة جسمه التی تحصل خلال هذه الفترة علی وجه الخصوص. فعلی سبیل المثال: یصبح وزن الجنین ۳۴۰۰ غرام فی نهایة الحمل بعد أن کان ۸ غرامات فی الأسبوع التاسع من الحمل (أی بازدیاد مدهش مقداره ۴۰۰ ضعف)، کذلک فإن سائر أعضاء الجنین تنمو؛ فنری أن الجهاز التناسلی للجنین یتمیّز ذکرا أو أنثی، و تبرز الأذنان الخارجیتان من الرأس، و تتضح الرقبة، و یتطوّر الطرفان السفلیان بصورة جیدة ... إلخ (انظر الصورة رقم: ۱۰۶).

(۱) لسان العرب لابن منظور- مادة «نشأ»- (ج ۱۴/ ص ۱۳۴). (۲) المعجم الوسیط- (ج ۲/ ص ۹۲۰). (۳) لسان العرب لابن منظور- مادة «نشأ»- (ج ۱۴/ ص ۱۳۴- ۱۳۵). تاج العروس لمحمد مرتضی- (ج ۱/ ص ۲۶۵). (۴) کتاب الإنسان النامی، د. مور وبارسو، ص ۱۱۲. (۵) کتاب الإنسان النامی، د. مور وبارسو، ص ۱۱۲. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۵۱ (SC)

۳- المعنی الثالث (ارتفع و ربا):

۳- المعنی الثالث (ارتفع و ربا): و أما معنی «ارتفع، ربا»، فإنه یصف تلک الزیادة الواضحة و السریعة جدا فی طول الجنین و التی تبدأ من الأسبوع التاسع فصاعدا. فبالأمس کان حملا صغیرا- أی فی مرحلة النطفة و العلقة و المضغة و مرحلة خلق العظام و مرحلة کسو العظام لحما-، و الآن أصبح هذا الحمل ینمو و یرتفع و یربو، و هذا ما تشیر إلیه الآیة الکریمة: هُوَ الَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها لِیَسْکُنَ إِلَیْها فَلَمَّا تَغَشَّاها حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِیفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُما لَئِنْ آتَیْتَنا صالِحاً لَنَکُونَنَّ مِنَ الشَّاکِرِینَ [الأعراف: ۱۸۹]، و هذا ما أوضحه العلامة ابن کثیر فی کتابه تفسیر القرآن العظیم «۱»: «حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِیفاً و ذلک أول الحمل لا تجد (۱) تفسیر ابن کثیر- (ج ۲/ ص ۲۷۴). تفسیر الألوسی- (ج ۹/ ص ۱۳۸). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۵۲

المرأة له ألما، إنما هی النطفة ثم العلقة ثم المضغة». غیر أنه من الصواب أن نضیف إلی المراحل المذکورة سابقا مرحلتی «خلق المضغة عظاما» و کسو العظام لحما لأنها تأتی أیضا قبل مرحلة «النشأة» التی یتحققها ینتقل الحمل من الحمل الخفیف إلی الحمل الثقیل «۱». و بالفعل فإن (طول الجنین RC) یکون فی الأسبوع التاسع ۵۰ ملم، و من ثمّ یزداد إلی أکثر من سبعة أضعافه لیصل فی نهایة الحمل إلی ۳۶۰ ملم «۲». (انظر الصورة رقم: ۱۰۷). لقد وضع القرآن الکریم حدّا فاصلا بین مرحلة التخلق التی سبقت و هی فی قوله تعالی: فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً [المؤمنون: ۱۴] و المرحلة المقبلة- مرحلة النشأة- بقوله تعالی: ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ ... [المؤمنون: ۱۴]. و نتساءل لما ذا قال اللّه تعالی: ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ [المؤمنون: ۱۴]؟. الجواب: إن الآیة الکریمة عند ما ذکرت: ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ [المؤمنون: ۱۴] دلّت علی وجود مرحلة جدیدة للجنین بصفات ممیزة و مختلفة عن المراحل السابقة.

(۱) إن الضمیر «هاء» لکلمة «به» التی جاءت فی الآیة: هُوَ الَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها لِیَسْکُنَ إِلَیْها فَلَمَّا تَغَشَّاها حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِیفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُما لَئِنْ آتَیْتَنا صالِحاً لَنَکُونَنَّ مِنَ الشَّاکِرِینَ [الأعراف: ۱۸۹] یعود للحمل الخفیف؛ فالمرأة تمرّ بالحمل الخفیف. و فعل مرّ یعنی استمرّ. جاء فی ابن کثیر- (ج ۲/ ص ۲۷۴): «قال مجاهد: استمرت بحمله. و روی عن الحسن و إبراهیم النخعی و السدی نحوه». و هذا یعنی أن المرأة تمکث فترة من الزمن بالحمل الخفیف. و هذا الأمر کان غیر واضح للناس من قبل، و ذلک أن معرفة حدوث الحمل فی الأسابیع الأولی لم تکن متحقّقة علمیّا حتی عهد قریب. فالناس کانوا فی الغالب یعتقدون أن المرأة ما تلبث أن تحمل حتی ینتفخ بطنها و یثقل، و لذلک لا ینصرعون لربهم إلا بعد أن تثقل المرأة و یستبین حملها کما جاء فی الآیة فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُما لَئِنْ آتَیْتَنا صالِحاً لَنَکُونَنَّ مِنَ الشَّاکِرِینَ [الأعراف: ۱۸۹]. و الشاهد علی هذا النمط من التفکیر نظریة «الخلق الجاهز» التی تنص علی أن الإنسان موجود بصورة مصغّرة فی رأس الحیوان المنوی و التی کانت رائجة فی القرن الثامن عشر بعد المیلاد (للمراجعة انظر مبحث «الوحی یمحو الأمیة»). فهذه النظریة لا- تقتضی مرور فترة زمنیة- لا یستهان بها- ضروریة لکی تتخلق فیها أعضاء الجنین قبل أن یبدأ بالنمو، فما تلبث أن تحمل المرأة حتی یستطیع الإنسان الموجود بصورة مصغرة فی رأس الحیوان المنوی من الانتفاخ. و بالتالی فإن الآیة تؤکد ظاهرة الحمل الخفیف فی الأسابیع الأولی، فی حین لم یکن الناس علی بصیرة منها. (۲) کتاب

الإنسان النامی، د. مور وبارسو، ص ۱۰۹. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۵۳ (SC) و ذلک لعدة أسباب: أولا: یصعب تمیز الجنین عن أجنة کثیر من الحیوانات الأخری فی المراحل التی سبقت، مع کونه ممیّزا بوضوح فی مظهره، و من جراء عملیة التصویر التی یجریها له الملک یتمیز الجنین عن أجنة الحیوانات و یتضح مظهره الآدمی. (انظر صورة رقم: ۱۰۸). ثانیا: إن الجنین فی هذه الفترة یصبح حیویا بعد ما کان کتلة جامدة فیما قبل. ففی هذه المرحلة تبدأ أعضاء الجنین الداخلیة بالعمل (کما أسلفنا ذکره فی تعلیقنا علی المعنی الأول لکلمة نشأ- بدأ-) و یبدأ هو بالحرکة الذاتیة. ثالثا: إن هذه المرحلة تتمیز بظاهرة جدیدة، ألا و هی: ظاهرة نمو الأعضاء و تهیئتها للقیام بوظائفها، بعد أن کانت قد تخلقت فی المرحلة السابقة. (راجع المعنی الثانی لکلمة نشأ- نما-). فالمرحلة المقبلة هی مرحلة نمو، بینما کانت المرحلة السابقة مرحلة تخلیق، و هی بذلک تختلف عن بعضها. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۵۴ (SC) کل هذه التغییرات تجعل من (الحمیل OYRBME) (جنینا SUTEF) کما یشیر إلیه العلماء الیوم (و إن أشرنا إلی الحمیل بالجنین فی الفترات السابقة، و ذلک لشیوع کلمة الجنین). هذا الانتقال فی انتقاء المصطلحات ما هو إلا نهج ثان للتعبیر عن الخلق الآخر الذی أشار إلیه العلیم الخبیر بقوله تعالی: ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ [المؤمنون: ۱۴]. تأتی مرحلة النشأة بعد طوری خلق المضغة عظاما و کسو العظام لحما لقوله تعالی: فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ... [المؤمنون: ۱۴]. و کما أسلفنا القول فإن مرحلة التسویة تشمل طوری خلق المضغة عظاما و کسو العظام لحما، لذا فإن مرحلة النشأة تأتی بعد مرحلة التسویة. و القرآن الکریم یعقب بعد مرحلة التسویة بمرحلة التعدیل (تعدیل الجنین)، لقوله تعالی: الَّذِی خَلَقَکَ فَسَوَّاکَ فَعَدَلَکَ (۷) فی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ (۸) [الانفطار: ۷- ۸]، و بالتالی فإن مرحلة التعدیل تأتی ضمن مرحلة النشأة. و من جهة أخری تأتی عملیة الإذکار أو الإیناث بعد عملیة التسویة لقوله تعالی: أَ لَمْ یَکُ نُطْفَةً مِنْ مَنِیٍّ یُمْنی (۳۷) ثُمَّ کانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّی (۳۸) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَیْنِ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثی (۳۹) [القیامة: ۳۷- ۳۹]. و کما أشرنا إلیه سابقا فإن مرحلة التعدیل تأتی بعد مرحلة التسویة، لذا فإن مرحلة التعدیل و بالتالی مرحلة النشأة تتضمن عملیة الإذکار أو الإیناث. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۵۵ و الهاء التی وردت فی کلمة «منه» قد ترجع إلی الإنسان، فکأن الآیة تعنی: فخلق فسوی فجعل من الإنسان الذکر و الأنثی. جاء فی الجامع لأحکام القرآن «۱»: «ثم قال: فَجَعَلَ مِنْهُ أی من الإنسان». و فعل «جعل» الذی ذکر فی قوله تعالی: أَ لَمْ یَکُ نُطْفَةً مِنْ مَنِیٍّ یُمْنی (۳۷) ثُمَّ کانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّی (۳۸) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَیْنِ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثی (۳۹) [القیامة: ۳۷- ۳۹]، یأتی بمعنی «خلق»، جاء فی لسان العرب «۲»: «جعل: و جعل خلق ... و قوله تعالی: وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ کُلَّ شَیْءٍ حَیٍّ أَ فَلا یُؤْمِنُونَ [الأنبیاء: ۳۰] أی خلقنا. فإذا أبدلنا فعل «جعل» بفعل «خلق» فی الآیة: فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَیْنِ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثی [القیامة: ۳۹] أصبح معنی الآیة: فخلق منه الزوجین الذکر و الأنثی، و بالتالی فإن الآیة السابقة تشیر إلی أن الأعضاء التناسلیة للجنین تتخلق بعد مرحلة التسویة، و سوف نوضح کیف یتم تخلق الأعضاء التناسلیة للجنین. کذلک فإن فعل «جعل» یأتی بمعنی «صیّر»، أی أصبح فی المستقبل، و هذا یعنی أن نتائج عملیة إذکار أو إیناث الجنین تأتی بعد مضی حین من الزمان علی مرحلة التسویة، فیصبح الجنین بعدها ذکرا أو أنثی. و بالفعل فإن عملیة التمیز الجنسی الخارجیة للجنین تحتاج لوقت یقدر بثلاثة أسابیع بعد انتهاء مرحلة التسویة، أی منذ ابتداء مرحلة النشأة، حتی تثمر و تتضح عن نتائج جلیة. جاء فی لسان العرب «۳»: «جعل: و جعل الطین خزفا و القبیح حسنا: صیره إیاه ... و یقال جعلته أحذق الناس بعمله، أی صیرته ...». و ورد فی لسان العرب «۴» فی شرح کلمة «صیر»: «صیر: صار الأمر إلی کذا ... و فی کلام عملیة الفزاری لعمه و هو ابن عنقاء الفزاری: ما الذی أصارک إلی ما أری یا عمّ؟ قال: بخلک بمالک ... و صیرته أنا کذا أی جعلته. و المصیر الموضع الذی تصیر إلیه المیاه، و صیر الأمر: منتهاه و مصیره و عاقبته و ما یصیر إلیه، و صیّر الشیء: آخره و منتهاه، و ما یؤول إلیه کصیره و منتهاه (_____ «۱) الجامع لأحکام القرآن للقرطبی- (ج ۱۹/ ص ۱۱۷). تفسیر أبی السعود- (ج ۹/ ص ۶۹). (۲) لسان العرب لابن منظور- مادة «جعل»- (ج ۲/ ص ۳۰۱). (۳) لسان العرب لابن منظور- مادة «جعل»- (ج ۲/ ص ۳۰۰- ۳۰۱). (۴) لسان العرب لابن منظور- مادة «صیر»- (ج ۷/ ص ۴۵۲- ۴۵۳). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۵۶ و من المهم أن نوّه إلی أن اختیار فعل «جعل» له دلالته: فلو صغنا الآیة بفعل «صار» أو فعل «خلق» لما استطعنا أن نجمع بین المعانی المختلفة، و أن نوصل إلی القارئ المعنی المزدوج، و هذا من الإعجاز البیانی للرسول صلّی اللّه علیه و سلّم حیث قال: «بعثت بجوامع الکلم» [أخرجه البخاری ح ۱۳]. و تشمل مرحلة النشأة مرحلة تخلق الجلد، و ذلک لأن القرآن الکریم سکت عن ذکر تخلق الجلد بعد ذکر کسو العظام باللحم فی الآیة: فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَکَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِینَ [المؤمنون: ۱۴]، مع أن الحدیث الشریف: «إذا مر بالنطفة ثنتان و أربعون لیلة بعث اللّه إلیها ملکا فصورها و خلق سمعها و بصرها و جلدها و لحمها و عظامها ثم قال: یا رب: أذکر أم أنثی؟» [أخرجه مسلم ح ۴۵] ذکر تخلق الجلد، و هذا دلیل علی أن تخلق الجلد یتأخر عن تخلق اللحم، ذلک لأنه لو کان تخلق الجلد یقع زمنیا بین المراحل السابقة التی ذکرت فی الآیة السالفة الذکر لذکر، و اللّه أعلم. و ورود کلمة «ثم» فی سؤال الملک عن الإذکار أو الإیناث بعد ذکر تخلّق الجلد و سائر الأعضاء هی للإشارة إلی أنّ تمیز الشکل الخارجی للأعضاء الجنسیة للجنین یأتی بعد ابتداء تخلّق الجلد، و بالفعل یبدأ تمیز الجلد فی الأسبوع السابع و إن لم یظهر جلیا، و من ثم یبدأ تمیز الشکل الخارجی للأعضاء الجنسیة فی نهایة الأسبوع التاسع، أی فی مرحلة متقدمة لتخلّق الجلد. و بینما یتم إجراء العملیات اللازمة لإذکار أو إیناث الجنین یتم تخلق الهیکل الرئیسی للجلد، فیسبق تمیز الجلد التمیز الجنسی کما جاء فی الحدیث الشریف: «إذا مر بالنطفة ثنتان و أربعون لیلة بعث اللّه إلیها ملکا فصورها و خلق سمعها و بصرها و جلدها و لحمها و عظامها ثم قال: یا ربّ: أذکر أم أنثی؟» [أخرجه مسلم ح ۴۵]. و هکذا فإن ترتیب تخلق الأعضاء فی مرحلة التسویة و مرحلة النشأة یصبح وفق ما جاء فی القرآن الکریم و السنة الشریفة: تخلق العظام- تخلق اللحم- تخلق الجلد- التمیز الجنسی، و علیه فإن ترتیب عملیات مرحلة التسویة و مرحلة التعدیل تظهر کما فی الجدول التالی: إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۵۷ (SC) هذا و تنقسم مرحلة النشأة إلی مرحلتین: مرحلة القابلیة للحیاة، و مرحلة الحضانة الرحمیة. و تتضمن مرحلة القابلیة للحیاة عدة أمور منها: مرحلة التعدیل (و هی مرحلة التقوم و التوازن و التمیز الجنسی) و نمو الحجم، و هی أقل مدة الحمل. أما مرحلة الحضانة فتتمیز بنمو حجم الجنین و إعداده للحیاة خارج بطن الأم.

ب- مرحلة القابلیة للحیاة:

اشارة

ب- مرحلة القابلیة للحیاة: هی الجزء الأول من مرحلة النشأة و تمتد من الأسبوع التاسع إلی الأسبوع الرابع و العشرین.

۱- التعدیل:

اشارة

۱- التعدیل: تبدأ هذه المرحلة فی الأسبوع التاسع و تنتهی بانتهاء مرحلة النشأة.

I- الصورة الشخصیة:

I- الصورة الشخصیة: التسویة هی عملیة أقوی بفعلها من التعدیل، لذا سبقت التسویة التعدیل، و من الطبیعی أنه بعد أن تتخلق الأعضاء الأساسیة للجنین، تجری علیه تعدیلات لإتمام إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۵۸ صورته النهائیة. فالتسویة هی إعطاء الجنین صورة إنسانیة «۱». و أما التعدیل فهو إعطاء الجنین صورته الشخصیة. لذلک نجد أن الآیة الکریمة ذکرت بعد التعدیل ترکیب الإنسان فی صورته النهائیة الَّذِی خَلَقَکَ فَسَوَّاکَ فَعَدَلَکَ (۷) فی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ (۸) [الانفطار: ۷- ۸]. فی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ [الانفطار: ۸] جاءت لبیان التعدیل المذکور فی القرآن. و فی اللغة العربیة إذا جاءت جملة بعد جملة أخری و لم یفصل بینهما بحرف عطف، فالأخیرة قد تعنی البیان علی سبیل التفسیر أو الوصف أو التأکید أو غیر ذلک «۲». و هذا مندرج فی علوم البلاغة؛ ضمن علم المعانی، فی مبحث «الوصل و الفصل»، و سقوط «الواو» هو الفصل، و محله فی هذه الآیة أن جملة فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ [الانفطار: ۸] فصلت عن جملة فَعَدَلَکَ، و سقطت الواو، لأن الثانیة فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ [الانفطار: ۸] واقعة من الأولی موقع البدل أو عطف البیان، إذ هی بیان للأولی فَعَدَلَکَ، فبینهما کمال اتصال، لأن الثانیة بینت الأولی، و أفادت فی إیضاحها، و من هنا سقطت الواو «۳». و بما أن کلمة «صورة» تعنی: هیئة أو شکل «۴»، و فعل «صوّر»: کوّن له صورة و شکلا «۵»، و قد ورد هذا المعنی کبیان لفعل «عدلک»، فذلک یعنی أن فعل عدّل یعنی: أعطاه الشکل و الهیئة. و هکذا فإن تعدیل الجنین یکون بإجراء تعدیلات أو تغییرات طفیفة علیه تعطیه اللمسة الأخیرة؛ لتقویم أعضائه التی کانت قد تخلقت من قبل. (_____ «۱) راجع لهذا الغرض مبحث «التسویة». (۲) انظر تفسیر التحریر و التنویر لمحمد الطاهر بن عاشور- (ج ۳۰/ ص ۱۷۷). (۳) انظر «بغیة الإیضاح لتلخیص المفتاح فی علوم البلاغة» لعبد المتعال الصعیدی، (ج ۲/ ص ۷۱- ۷۷). (۴) جاء فی لسان العرب لابن منظور- مادة «صور»- (ج ۷/ ص ۴۳۸): «قال ابن الأثیر ... یقال صورة الفعل کذا و کذا أی هیئته». (۵) جاء فی المعجم الوسیط- مادة «صور»- (ج ۱/ ص ۵۲۸): «صوّره جعل له صورة مجتمة ... و تصوّر: تکونت له صورة و شکل». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۵۹ و نجد فی مرحلة التعدیل أن الأذنین ترتفعان من أسفل الرأس علی الجانبین إلی المکان الطبیعی، و یهبط الأنف من مستوی العینین إلی مکانه الطبیعی، و ینفصل الأنف عن الفم، فتظهر الشفة العلیا للفم واضحة، و تتحرک العینان إلی مقدمة الوجه، کما أن الأعماء تدخل إلی تجویف البطن بعد أن کانت فی الحبل السری، و تظهر أطراف الیدین البدائیة، و تظهر مراکز التعظم فی غالب العظام ... إلخ. و هکذا ینطبق المعنی الثانی لکلمة «عدل» علی هذه المرحلة ألا و هو ترسیم الشکل من خلال إجراء تعدیلات بسیطة علی الجنین. (انظر الصورة رقم: ۱۰۹). (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۶۰

II- التوازن:

II- التوازن: و كلمة العدل تعنى التقوّم و التناسب و التوازن بين الأشياء «۱». و هكذا فإن مرحلة التعديل هى حالة تقويمية و توازنية للأعضاء بحيث يكون كل عضو متناسقا مع بقيّة الأعضاء. و تغدو عملية التعديل مشاهدة بدقة بعد مرحلة التسوية التى تكون الأعضاء فيها غير متناسقة، فيكون حجم الرأس كبيرا بالنسبة إلى حجم الجسد. ففى مرحلة التعديل تتغير مقاييس الجسم بحيث يصبح الطرفان السفليان أكثر طولا- مقارنة بالجسم، و يتباطأ نمو الرأس «۲»، فتتوازن أحجام الرأس و الأطراف (انظر الصورة رقم: ۱۱۰)، و تصبح مقاييسه متناسقة بحسب الصورة الآدمية «۳»، و بـذلك يتحقق معنى التوازن و التناسب الـذى تشـير إليه كلمـة «عـدل». ((SC

۱) _____) جاء فى لسان العرب لابن منظور- مادة «عدل»- (ج ۹/ ص ۸۴- ۸۵): «و عدل الشيء يعدله عدلا: وازنه ... و كل ما تناسب فقد اعتدل»، و ورد فى تفسير النسفى- (ج ۴/ ص ۳۳۸): («عدلك» فصيّرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه، فلم يجعل إحدى اليدين أطول، و لا إحدى العينين أوسع»). (۲) كتاب الإنسان النامى مع زيادات إسلامية، د. كيث مور، ص ۹۵. (۳) كتاب ولد طفل، د. لارس هامبرغر، ص ۱۱۰. إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۳۶۱

III- تخلّق الجلد:

III- تخلّق الجلد: و نجد فى مرحلة التعديل أن الجلد يتخلق، و تفصيله: أننا رأينا فى مبحث اللحم السابق أن (طبقة العضلات EMOTOYM) تنفصل عن القسم (الظهرى الجانبى LARETALOSROD) للكتل البدنية المسمى (بالقسم الجلدى اللحمى EMOTOYMOMRED)، و بعد أن تنفصل طبقة العضلات عن القسم الظهرى الجانبى يتفكك القسم المتبقى المعروف (بالقسم الجلدى EMOTAMRED) و ينتشر تحت (طبقة الخلايا الخارجية التى تغطى الجنين MREDOTCE ECAFRUS) و يؤلف مع (الطبقة النسيجية الوسطى MREDOSEM LARETAL) الطبقة الميزانكيمية الباطنية للجلد، و هكذا تتأسس (طلائع الجلد الخارجية و الباطنية MREDOSEM DNA MREDOTCE ECAFRUS) بعد أن تتألف طبقة اللحم كما تحدثنا آنفا فى هذا المبحث، و كما تشير إليه النصوص القرآنية و الحديثية. و خلال الأسبوع السابع، أى بعد الأيام الاثنين و الأربعين الأولى التى ذكرها الحديث الشريف: «إذا مر بالنطفة ثنتان و أربعون ليلة، بعث اللّه إليها ملكا، فصورها، و خلق سمعها و بصرها و جلدها و لحمها و عظامها ثم قال: يا رب: أذكر أم أنثى؟» [أخرجه مسلم ح ۴۵]، تفرز (الطبقة الخارجية MREDOTCE ECAFRUS) (طبقة مسطحة من الخلايا MREDIREP) و تبدأ حينئذ عملية تخلق و تصور الجلد، و يتوالى إفراز خلايا الطبقة الخارجية، و تظهر ما بين اليوم الأربعين و اليوم الخمسين «۱»، أى فى الأسبوع السابع إلى الثامن، (الخلايا الملونة SETYCONALEM) فى الطبقة الخارجية. و فى الأسبوع العاشر تتشكل (أقواس فى الطبقة الخارجية للجلد «۲» (SEGDIR LAMREDIPE. و فى الأسبوع الحادى عشر- أى قبل أسبوع من انتهاء تميز الجنين تميزا جنسيا واضحا- تتخلق طبقة كثة من الخلايا الخارجية «۳» تسمى: (طبقة الخلايا المتوسطة REYAL ETAIDEMRETNI) بينما تفرز فى نفس الوقت (الخلايا الميزانكيمية SLLEC LAMYHCNESEM) للطبقة الباطنية (نسيج مطاطى «۴» (SREBIF EUSSIT EVITCENNOC CITSALE DNA SUONEGALLOC. (انظر الصورة رقم: ۱۱۱).

(_____) كتاب الإنسان النامى، د. مور وبارسو، ص ۵۱۴. (۳) كتاب الإنسان النامى، د. مور وبارسو، ص ۵۱۴. (۴) كتاب الإنسان النامى، د. مور وبارسو، ص ۵۱۵. (۲) كتاب الإنسان النامى، د. مور وبارسو، ص ۵۱۴. (۳) كتاب الإنسان النامى، د. مور وبارسو، ص ۵۱۴. إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۳۶۲ (SC) و مع تخلق الطبقة الكثة للجلد الخارجى التى تجعل للجلد هيكلا خارجيا، و مع ظهور الخلايا الملونة و الأقواس الجلدية للطبقة الخارجية التى تعطى للجنين خواصّ شخصية مميزة «۱»، و مع تخلق الخلايا المطاطية التى تضفى على الطبقة الداخلية للنسيج الميزانكيمى هيئة الجلد؛ نستطيع أن نجزم أن الهيكل الرئيسى للجلد قد تخلق، مع أن تخلقه و تصوره لا ينتهى بصورة تامة إلا فى حوالى الأسبوع العشرين.

(_____) فهذه الأقواس الجلدية تعتبر المادة الأساسية لمعرفة بصمات الشخص المعنى. إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۳۶۳

IV- التميز الجنسى:

IV- التميز الجنسى: و نجد أن التميز الجنسى الظاهرى يدخل فى مرحلة التعديل، فالأعضاء التناسلية الخارجية تكون متماثلة إلى نهاية الأسبوع التاسع مع أن الغدتين التناسليتين للجنين قد بدأتا فى التميز داخل بطن الجنين ابتداء من الأسبوع السابع تحت تأثير الصبغى (ص Y)، و من ثمّ يبدأ التميز البطيء التدريجى للذكورة أو الأنوثة الخارجية إلى أن يتحقق نهائيا فى الأسبوع الثانى عشر، و ذلك بعد أن تكتمل الصورة الآدمية للجنين و يتخلق العظم و اللحم، و يتكون الجلد. (انظر الصورة رقم: ۱۱۲). و تفصيل ذلك أن البدايات الأولية للأعضاء التناسلية الخارجية تكون متشابهة فى بادئ الأمر بين الذكور و الإناث، و تبدأ بالتطور قبل اليوم الثانى و الأربعين فى الأسبوع الرابع، إلا أن الحديبة التناسلية و الانتفاخ الشفرى العجزى، و الطيات البولية التناسلية المنشئة للخواص الجنسية المميزة، لا تظهر إلا فى الأسبوع التاسع و من ثمّ يبدأ التميز البطيء. (انظر الصورة رقم: ۱۱۳). و الدليل الإضافى على أن تميز الشكل الخارجى للأعضاء التناسلية للجنين يأتى زمنيا بعد تميز الجلد هو: أن الأعضاء التناسلية الخارجية تتكون من نتوءات فى الجلد. و بذلك تتحقق المعجزة العلمية التى قالها الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم فى حديثه حيث يستأذن الملك ربّه سبحانه و تعالى فى جعل الجنين ذكرا أو أنثى: «إذا مر بالنطفة ثنتان و أربعون ليلة بعث اللّه إليها ملكا فصورها و خلق سمعها و بصرها و جلدها و لحمها و عظامها ثم قال: يا رب: أذكر أم أنثى؟ فيقضى ربك ما شاء و يكتب الملك» [أخرجه مسلم ح ۴۵]. و هكذا تثبت نبوة سيدنا محمد صلّى اللّه عليه و سلّم من خلال النص القرآنى: فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى [القيامة: ۳۹] لأن عملية التميز الجنسى تحصل بعد عملية التسوية. و الجدير بالذكر أن مرحلة التعديل تغدو ظاهرة بوضوح فى بداية المرحلة لهيمنة عمليات توازن الأعضاء و عملية الإذكار أو الإيناث و من ثمّ تخف تدريجيا و لا سيما بعد الأسبوع الثانى عشر، و لكن عمليات التعديل تظل تلاحق بوتيرة أخف من السابق. إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۳۶۴ (SC) إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۳۶۵ (SC) إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۳۶۶ قد يتساءل القارئ: لما ذا يأتى الملك ليميّز جنس الجنين و قد تقدر جنسه فى فترة إخصاب البويضة وفقا للآية: مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ [عبس: ۱۹]؟: فالجواب أن هناك احتمالا- أن تتطور الأعضاء التناسلية الخارجية للجنين فى وضع مغاير لوضع جنس الجنين الوراثى الذى قدّر فى مرحلة النطفة، فقد يتحدد جنس الجنين الوراثى أنه ذكر، و تتطور أعضاؤه التناسلية الخارجية كأنثى، و قد يتحدد جنس الجنين الوراثى أنه أنثى، و تتطور أعضاؤه التناسلية الخارجية كذكر، و هذا الحديث يلقى الضوء على هذه الظاهرة، و هى أن (جنس الجنين الوراثى XES CITENEG) قد يختلف عن (جنس الجنين التشريحى XES CIPYTONEHP). و هناك عدة أسباب علمية لهذا الانحراف، و سنورد أهمها للقارئ الكريم، حتى يتبين له مدى الإعجاز العلمى الذى يشير إليه الحديث الشريف. و الحاصل أن التاريخ الجنسى للإنسان يتبع ثلاث مراحل: - المرحلة الأولى: هى المرحلة الخلوية، حيث تحدد صفات الخلايا الجنسية؛ هل هى ذكرية أم أنثوية؟ تبعا لطبيعة الحيوان المنوى الذى سيخصّب البويضة؛ هل هو حامل لإشارة الذكورة Y، أم حامل لإشارة الأنوثة X؟ فإذا كان حاملا لإشارة الذكورة Y أصبحت الخلايا الجنسية خلايا جنسية ذكرية، و إذا كان حاملا لإشارة الأنوثة X أصبحت الخلايا الجنسية خلايا جنسية أنثوية «۱». - المرحلة الثانية: و تبع المرحلة الأولى مرحلة التمايز الجنسى للأعضاء الداخلية. ففى البداية تتماثل أجنة الجنسين، و يكون الجنين واحد الهيئة فى الجنسين بمرحلة تعرف (بمرحلة عدم التمايز EGATS TNEREFFIDNI)، و توجد فى الجنين أعضاء أوّلية، بهيئة قناتين فى كل جانب من تجويف البطن فى مقدمة كتلة الظهر، ينشأ منها الأعضاء الجنسية للنوعين. ففى حال كان الجنين يحمل خلايا جنسية ذكرية تتطور أعضاء جنسية داخلية ذكرية تحت تأثير (مورّث ENEG) (ذات صفات سائدة TNANIMOD) يقع على طرف الذراع القصير للصبغية الجنسية المميزة للذكورة Y فى منطقة تسمى: (منطقة تحديد الجنس YRS: ENOSOMORHC Y FO NOIGER GNINIMRETED XES)، و يحتوى على توجيهات وراثية تحدّد ذكورة الأعضاء

(_____) لمزيد من التفاصيل انظر مبحث «معجزة الرؤية الإسلامية فى علم الوراثة/ النطفة فى الإسلام/ دور النطفة فى تحديد جنس الجنين». إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۳۶۷ التناسلية الداخلية؛ فتتكون عندئذ من (قناة ولف TCUD NAIFFLOW) الأعضاء الجنسية الداخلية فى الذكور، و تشمل: (الحويصلات المنوية SELCISEV LANIMES) و (البربخ SIMYDIDIPE) و (الوعاء الناقل ECNEREFED SAV)، و (الخصية SITSET)، و إذا كانت الخلايا الجنسية أنثوية تتكون من (قناة مولر TCUD NAIRELLUM) الأعضاء الجنسية الداخلية فى الإناث، و تشمل: الرحم و قناتيه و عنقه و منطقة أعلى المهبل. (انظر الصورة رقم: ۱۱۴). و لا تمايز الأعضاء الجنسية الداخلية إلا فى الأسبوع السابع. (SC) إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۳۶۸ - المرحلة الثالثة: و هى مرحلة تمايز الأعضاء التناسلية الخارجية إلى أعضاء تناسلية أنثوية أو أعضاء تناسلية ذكرية (كما أسلفنا تفصيله). و يبدأ هذا التمايز فى نهاية الأسبوع التاسع و ينتهى فى الأسبوع الثانى عشر. و الحديث رقم ۴۵ يتناول هذه المرحلة. و لعلّ ورود حرف العطف «ف» فى النص القرآنى: ثُمَّ كانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوّى (۳۸) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى (۳۹) [القيامة: ۳۸- ۳۹] الذى يشير إلى الترتيب مع التعقيب، و التفصيل بعد الإجمال، يشير إلى أن تمايز الأعضاء التناسلية قد ابتدأ قبل هذه المرحلة، و هو الآن فى طور التفصيل «۱»، أى أن التمايز الجنسى قد ابتدأ فى المرحلة الثانية كتطور تحضيرى خفى، لم تظهر تفصيلاته للناظر، و ها هو الآن يظهر بالتفصيل، و بهذا الأسلوب جمع الحديث رقم ۴۵ الكلام عن المرحلتين: الثانية و الثالثة، و لكنه أعطى كثيرا من التفاصيل عن المرحلة الثالثة. و فى الثدييات على وجه العموم، و عند الإنسان على وجه الخصوص إذا لم تنشأ خصية و تفرز هرمونات الذكورة (كهرمون التستسترون ENORETSOTSET) و (هرمون أندروستنديون ENOIDENETSORDNA) و (الهورمون المثبط لقناة مولر :HMA ITNA- ENOMROH NAIRELLUM)، تتكون أعضاء تناسلية خارجية أنثوية (تلقائيا YAWHTAP TLUAFED)، و تضمر قناة ولف، و ينتج المبيض (هورمون الأنوثة: الأستروجين NEGORTSE)، مهمته تكميل تطور قناة مولر، و الخصائص الأنثوية الثانوية؛ كنضوج الثدى عند البلوغ. و ليس ذلك السبب الوحيد لكى تتطور أعضاء تناسلية خارجية أنثوية، بل هناك أسباب أخرى تحول دون تمايز الأعضاء التناسلية الخارجية إلى أعضاء تناسلية ذكرية، مثل عدم تفاعل هرمون الذكورة (التستسترون

ENORETSOTSET) جیّدا فی الجسم، فیتخلّق لدی الجنین الذکر ورائیا أعضاء تناسلیة أنثویة. و من تلک الأسباب: عدم تأثر الأعضاء التناسلیة للجنین لوجود هرمون الذکورة و لدیها مناعة لمفعوله؛ و قد یکون ذلک لعیب فی (نظام الجنین الاستقبالی للهرمون

(_____ ۱) انظر الحاشیة (رقم ۲، ص ۳۲۵-۳۲۹) فی مبحث «التسویة/ الکساء باللحم». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۶۹ MSINAHCEM ROTPECER ۱» (NEGORDNA، الذی لا یسمح بالتعرف علی الهرمون الذکری و التفاعل معه حتی تسیر الأعضاء التناسلیة إلی شکل الذکورة، و قد یکون ذلک عائدا لنقص فی إنزیم (ریدوکتاز ۵ ۵ ESATCUDER) اللازم لتحویل هرمون (التستسترون ENORETSOTSET) إلی مادة (دی هایدرو تستسترون- ENORETSOTSET- ORDYH- YD)، المادة الأساسیة لتحویل الأعضاء التناسلیة الخارجیة من الأنوثة إلی الذکورة. و من تلک الأسباب أیضا نقص هرمون التستسترون لدی الجنین الذکر ورائیا، و ذلک لأن الأعضاء التناسلیة للجنین غیر قادرة علی إنتاج هرمون التستسترون، لعدم تجاوب الخصیة لدی الجنین مع هرمون (آل أنش HL) اللازم لوظیفة الخصیة الحیوی لتمکینها من إنتاج هرمون التستسترون الذکری، فتسیر الأعضاء التناسلیة فی خطها المرسوم عند عدم وجود التستسترون، و لذا تتجه إلی تکوین أعضاء تناسلیة أنثویة خارجیة کالمهبل، رغم وجود الخصیة مختبئة فی الشفرین أو فی (القناة الأربیة LANAC LANIUGNI). و قد ینقص الجنین الذکر ورائیا هرمون «۲» (الأم آی أس SIM: ECNATSBUS GNITIBIHNI NAIRELLUM) الذی یقمع تطور (الأنابیب التی سینشأ منها الرحم STCUD CIRHPENOSEMARAP) مما یؤدی إلی جنین یحمل علامات الذکورة خارجیا بالإضافة إلی رحم و قنوات فالوب. کما أن هناک احتمالا أن یحصل العکس، أی أن یکون الجنین أنثی ورائیا، حاملا صبغیات (س س XX)، و لکن تتخلق لدیه أعضاء ذکریة، و ذلک لأن (الغدة الکظریة DNALG LANERARPUS) (فوق الکلیة) تفرز فی بعض الحالات هرمون الذکورة، فتتراکم لدیه، و یتجه خط سیر الأعضاء نحو الذکورة، و ینمو البظر نموا کبیرا لدرجة أنه یصبح یشبه القضیب، و یلتحم الشفران الکبیران مما یجعلهما یشبهان کیس الصفن- أی الکیس الذی یحتوی الخصیتین «۳»-، و یحتفظ الجنین مع هذا بالرحم و المبیض. (انظر الصورة رقم: ۱۱۵).

(_____ ۱) کتاب الإنسان النامی، د. مور وبارسو، ص ۳۳۶. (۲) کتاب علم الأجنة الطبی، سادلر، ص ۳۰۴. (۳) کتاب خلق الإنسان بین الطب و القرآن، د. محمد علی البار، ص ۴۹۵، ۴۹۷، ۴۹۹، بتصرف. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۷۰ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۷۱ (SC) سؤال الملک فی ذلک الوقت بالذات عن الإذکار و الإیناث مع العلم بأن تقدیر جنس الجنین قد حصل فی وقت الإخصاب، یدل علی معرفة الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم بما یجری فی جسم الجنین من تأثیر الهرمون علی التخلق الخارجی للأعضاء. و هذا یحد ذاته معجزة لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، لأن مفهوم ظاهرة التوازن الهرمونی لم یکن لیعرف إلا بعد اکتشاف التأثیر الهرمونی المخالف عما یجری لما قدرته الصبغیات- بإذن اللّه-. و هذا لم یعرف أبدا فی العصور الغابرة إلا فی الآونة الأخیرة (فی القرن العشرین)، و ذلک بعد اکتشاف تقدیر جنس الجنین من قبل الصبغیات و بعد اکتشاف دور الهرمونات فی تکوین الأعضاء التناسلیة الخارجیة. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۷۲

۲- العدة:

۲- العدة: و الموضوع المهم الذی یجب أن یؤخذ بنظرة جدیّة و له علاقة جد وثیقة بتخلق الجنین فی رحم الأم، هو موضوع «العدّة» لأن تاریخه الزمنی یقع ضمن فترة القابلیة للحیاة. و قد ذکر القرآن الکریم عدّة المرأة فی موضوعات متعددة، نتناول ثلاث آیات لهذا الغرض. أما الآیات القرآنیة الثلاث فهی: « وَ الْمُطَلَّقاتُ یَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَ لا یَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ یَکْتُمْنَ ما خَلَقَ اللَّهُ فِی أَرْحامِهِنَّ إِنْ کُنَّ یُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ وَ بُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِی ذلِکَ إِنْ أَرادُوا إِصْلاحاً ... [البقرة: ۲۲۸]. « وَ الَّذِینَ یُتَوَفَّوْنَ مِنْکُمْ وَ یَذَرُونَ أَزْواجاً یَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْراً ... [البقرة: ۲۳۴]. « وَ أُولاتُ الْأَحْمالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ یَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ... [الطلاق: ۴]. جاء فی لسان العرب «۱»: «القرء: الوقت، ... و الأصل فی القرء الوقت المعلوم و لذلک وقع علی الضدّین/ أی علی الحیض و علی الطهر/. نفهم من التفسیر الذی ذکرناه آنفا أن «القرء» کلمة تشیر إلی وقت محدد؛ و لذلک فقد تطلق علی الحیض، و قد تطلق علی الطهر. «قال الشافعی رحمه اللّه: القرء اسم للوقت، فلما کان الحیض یجیء لوقت، و الطهر یجیء لوقت جاز أن یکون الأقراء حیضا أو أطهارا» «۲». و الفاصل فی هذا الأمر هو فی رأینا، سیاق النص الشرعی؛ فهو خیر دلیل علی المعنی المشار إلیه. و الغرض من فرض العدّة علی المرأة هو براءة الرحم، و اللّه أعلم ... لأن اللّه تعالی قال: وَ لا یَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ یَکْتُمْنَ ما خَلَقَ اللَّهُ فِی أَرْحامِهِنَّ [البقرة: ۲۲۸]. و الذی یدل علی براءة الرحم هو الحیض لا الطهر.

(_____ ۱) لسان العرب لابن منظور- مادة «قرأ- (ج ۱۱/ ص ۸۰- ۸۱). (۲) لسان العرب لابن منظور- مادة «قرأ- (ج ۱۱/ ص ۸۰). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۷۳ فالمرأة إذا مرّ علیها ثلاثة أطهار لم یدل ذلک علی أنها حامل أو لا، لأن الطهر یأتی علی المرأة الحامل و غیر الحامل، أما إذا جاءتها ثلاث حیضات فذلک یدلّ قطعا علی أنها غیر حامل، لأن الحیض لا یحصل خلال الحمل. و هکذا فإن الحیض هو الأساس فی الحکم علی براءة الرحم. و مما یدعّم مقولتنا هو الآیة: وَ اللَّائِی یَئِسْنَ مِنَ الْمَحِیضِ مِنْ نِسائِکُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَ اللَّائِی لَمْ یَحِضْنَ [الطلاق: ۴]. فهذه الآیة جعلت مناط الاعتداد بالأشهر عدم الحیض، فدلّ ذلک مرة أخری علی أن الأصل هو الاعتداد بالحیض. و لکن اللافت للنظر هنا هو تحدید عدد القروء علی أنه ثلاث من أجل تبرئة الرحم. فما الإعجاز فی ذلک التشریع؟. حاصل الکلام هو أنه من الممکن أن تحمل المرأة و أن تحیض مرة أولی (أی أن یسیل من رحمها دم لا أن تحیض بمعنی أن یسقط غشاء الرّحم بأکمله) ثم تحیض مرة ثانیة، و لکن لا تستطیع أن تحیض مرة ثالثة، و بعدم وجود الحیض فی المرة الثالثة یثبت الحمل بیقین. فالحیضتان (الأولی و الثانیة) لیستا بدلیل قاطع علی أن المرأة غیر حامل. قبل أن نورد تفسیر الدکتور جولی سمیسون لهذه الظاهرة نفید أن الرحم فی الأسبوع الثانی تزداد دمویته بشکل ملحوظ، و بالتالی فإن الرحم عرضة لأن یتزف نتیجة لزیادة الدورة الدمویة عند أی مداخلات خارجیة. أما ما یحصل عند المرأة مما یسبب حیضتها الأولی و الثانیة، فیفسره لنا الدکتور جولی سمیسون «۱» قائلا: ۱- عن فترة الجنین فی فترة العلقة: «لکی یحاط الجنین (بالأغشیة) فمن البدیهی أنه یجب علی الجنین أن یحفر لنفسه مکانا فی رحم الأم ... و هذه الظاهرة تحدث فی الحالة المثالیة ... بعد ستة أو سبعة أیام من یوم (الجماع) ... و هذا (الحدث) قد یکون واحدا من التفاسیر للنزیف فی الفترة المبکرة للحمل». فالحاصل أن العروق الدمویة تتقطع عند «قضمها» من الخلایا الآکلة للکرة الجرثومیة و یحدث تزیف حاد حول مکان الحفر (_____ ۱) المؤتمر الطبی الإسلامی الدولی، الإعجاز الطبی فی القرآن، ۲۵/ ۹/ ۸۵ م. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۷۴ ۲- عن الجنین فی الأسبوع الثامن: «یفرز هرمون (الیروجسترون ENORETSEGORP) (الذی یحافظ علی الحمل) من المبیض خلال فترة الحمل إلی الأسبوع السابع (أو الأسبوع الثامن) ... و من ثم یفرز من الغشاء المشیمی. و فی الوقت الذی ینتقل هذا الإفراز الهرمونی من المبیض إلی الغشاء المشیمی من الممکن أن یحصل انخفاض فی معدلات هرمون الیروجسترون، بالتالی فإن تفسیرا ثانیا ... لهذا النزیف خلال فترة الحمل ... هو انتقال الإفراز الهرمونی من (المبیض) إلی الغشاء المشیمی الذی یحصل خلال فترة الأشهر الثلاث». و مما ذکرناه یتبین لنا أن هناک أسبابا علمیة لکی تتربص المطلقة مدة ثلاث حیضات، ذلک أن خروج الدم من رحم المعتدّة فی هذه الفترة لا یعنی أبدا أنها غیر حامل، بید أن توقّفه فی نهایتها یدل علی العکس (أی أنها حامل). و هکذا عند ما یتیقن زوج هذه المرأة من حملها فمن الممکن أن یراجع نفسه و یسترجعها بغیة عدم تدمیر عائلة ناشئة، أو لکی ینعم الطفل الآتی برعایة الأمومة و الأبوة فی آن واحد، و إلی ذلک تشیر الآیة: وَ بُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِی ذلِکَ إِنْ أَرادُوا إِصْلاحاً [البقرة: ۲۲۸]. أما الآیة الثانیة فتحدد عدة المرأة التی توفی عنها زوجها أنها أربعة أشهر و عشرة أیام و ذلک للتأکد من براءة الرحم. فالحکمة فی عدّة المتوفّی عنها زوجها هو أن الأم الحامل فی نهایة الأسبوع التاسع عشر تحس بحرکات الجنین الإرادیة، و أما قبل ذلک فحرکات الجنین محدودة لا تشعر الأم بها و لا تحس بأن الجنین حی «۱ (_____». ۱) و الدلیل علی أن المراد من الآیة أن تعتد المرأة أربعة أشهر و عشرا للتیقن من أن الجنین حی هو: أن عدّة المرأة کانت حولا- أی سنة- لحکمة الوصایة و النفقة علیها کما نصت علیه الآیة: وَ الَّذِینَ یُتَوَفَّوْنَ مِنْکُمْ وَ یَذَرُونَ أَزْواجاً وَصِیَّةً لِأَزْواجِهِمْ مَتاعاً إِلَی الْحَوْلِ غَیْرَ إِخْراجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلا جُناحَ عَلَیْکُمْ فِی ما فَعَلْنَ فِی أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَ اللَّهُ عَزِیزٌ حَکِیمٌ [البقرة: ۲۴۰]، غیر أن آیة المیراث: وَ لَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَکْتُمْ إِنْ لَمْ یَکُنْ لَکُمْ وَلَدٌ فَإِنْ کانَ لَکُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَکْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِیَّةٍ تُوصُونَ بِها أَوْ دَیْنٍ ... [النساء: ۱۲] أنزلت، و أصبح البدیل عن نفقة أهل الزوج لها موجودا، فکان لا بد من تخفیف الحمل علی المرأة من مکوثها سنة فی بیت زوجها لرفع المشقة عنها، و قصر مدة العدة علی أقل ما أمکن و هی أربعة أشهر و عشر لغرض براءة الرحم و التأکد من سلامة الحمل، و إلا لو لم یکن هناک حکمة أخری- أی إن لم یکن هناک حکمة من التأکد من سلامة الحمل- فلما ذا لم تلغ العدة کلیا؟، و إن کانت هناک حکمة أخری- أی حکمة غیر حکمة التأکد من سلامة الحمل- فلما ذا لم تبق العدّة کما هی؟ و قد جاء فی هذا الصدد فی تفسیر ابن کثیر- (ج ۱/ ص ۲۹۶) ما یقوی ما ذهبنا إلیه من تفسیر، فقد ورد: «قال- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۷۵ و إذا مرّت الأشهر الأربعة و عشرة الأیام، و لم تشعر المرأة بحرکة الجنین، تیقّن ساعتئذ بأن الجنین مات فی أحشائها «۱»، فتباشر فی إزالته بالطرق الطبیة. و إذا شعرت الأم بالحرکة، فعدّتها وضع حملها لقوله تعالی: وَ أُولاتُ الْأَحْمالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ یَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ [الطلاق: ۴]. و فی بعض الحالات قد یطرأ علی المرأة حمل کاذب لسبب ما، و هذا معروف فی مجال الطب «۲»، فإن لم تشعر المرأة بحرکة الجنین عند انتهاء العدّة و هی أربعة أشهر و عشرة أیام تتیقّن أن حالتها غیر طبیعیة، فتسارع إلی الطبیب للکشف عن وضعها، فیظهر من خلال الوسائل الطبیة بأنها غیر حامل، فیثبت بذلک براءة رحمها بانتهاء عدة الوفاة. و إن لم تذهب إلی الطبیب یزعمها أنها حامل فتعتدّ المدة العادیة و قدرها تسعة أشهر، و هنا یتبین لها أنها غیر حامل بیقین «۳». - _____ الأکثرون: هذه الآیة [أی آیة الاعتداد حولا] منسوخة بالتی قبلها و هی قوله: یَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْراً [البقرة: ۲۳۴]. عن ابن عباس رضی اللّه عنهما قال: کان الرجل إذا مات و ترک امرأة اعتدت سنة فی بیته ینفق علیها من ماله ثم أنزل اللّه بعد: وَ الَّذِینَ یُتَوَفَّوْنَ مِنْکُمْ وَ یَذَرُونَ أَزْواجاً یَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْراً [البقرة: ۲۳۴]. فهذه عدة المتوفی عنها زوجها، إلا أن تکون حاملا فعدتها أن تضع ما فی بطنها، و

قال: وَ لَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِها أَوْ دَيْنٍ ... [النساء: ۱۲] فبين ميراث المرأة و تركت الوصية و النفقة». (۱) يقول د. محمد علی البار فی کتابه هل هناک طب نبوی، ص ۲۲۵: «و قد يموت الجنين فی بطن المرأة فيتكلس (أی تترسب فيه أملاح الكلسيوم) و يبقى بعد ذلك سنين و هو أمر معروف فی الطب، و يسمى بالإجهاض المتخفی». (۲) کتاب خلق الإنسان بين الطب و القرآن، د. محمد علی البار، ص ۴۴۷. (۳) و إن أحَبّت أن تعتدّ المرأة المدّة القصوى للحمل، فتنتظر حوالی اثنين و أربعين أسبوعا من تاريخ الإخصاب، أو أربعة و أربعين أسبوعا من تاريخ (آخر حيضة عادية PMNL: ESAHP LAURTSNEM LAMRON TSAL). و من المهم أن نشير إلى أنه لم يأت أیّ نص من قرآن أو سنّة يشير إلى مدّة أكثر الحمل، و لا سبيل لنا أيضا أن نستخرج هذا الأمر بطريقة واضحة و صريحة من النصوص الشرعية بواسطة دلالات النصوص على خلاف مدّة أقلّ الحمل (انظر مبحث «النشأة/ أقل مدّة الحمل»). فالكلام الذی ورد علی ألسنة السلف و الخلف هو مجرّد رأی، و لا يرتكز علی نصوص شرعية، و قد يخالف العلم الكونی فی كثير من الأحيان، و بالتالی لا نستطيع أن ننسب كلامهم إلى الدين الإسلامی (انظر مبحث «حكم التعارض بين التفسير العلمی و تفسير التَلِف»). و مختصر كلامهم هو كما أورده القرطبی (تفسير الآية رقم ۸ من سورة الرعد): «و اختلف العلماء فی أكثر الحمل؛ فروی ابن جريج عن جميلة بنت سعد عن عائشة قالت: يكون الحمل أكثر من سنتين- إعجاز القرآن فی ما تخفيه الأرحام، ص: ۳۷۶ – قدر ما يتحول ظل المغزل؛ ذكره الدارقطنی. و قالت جميلة بنت سعد- أخت عبيد بن سعد و عن الليث بن سعد-: إن أكثره ثلاث سنين. و عن الشافعی: أربع سنين. و روی عن مالك فی إحدى روايتيه؛ و المشهور عنه: خمس سنين. و روی عنه: لا حدّ له، و لو زاد علی العشرة الأعوام؛ و هی الرواية الثالثة عنه. و عن الزهری: ست و سبع. قال أبو عمر: و من الصحابة من يجعله إلى سبع. و الشافعی: مدة الغاية منها أربع سنين. و الكوفيون يقولون: سنتان لا غير. و محمد بن عبد الحكم يقول: سنة لا أكثر. و داود يقول: تسعة أشهر، لا يكون عنده حمل أكثر منها. و الحق هو ما أشار إليه أبو عمر رضی اللّه عنه (انظر المرجع السابق): «و هذه مسألة لا أصل لها إلا الاجتهاد، و الردّ إلى ما عرف من أمر النساء، و باللّه التوفيق». و يتلخّص موقف علم الأجنة فی هذا الأمر علی نحو ما جاء فی كتاب النمو الإنسانی، للدكتور كيث مور ويرسو، ص ۱۱۸ – ۱۱۹: «يولد حوالی اثنی عشر بالمائة من الأطفال بعد (تاريخ الوضع المحتمل ETAD YREVILED DETCEPXE) (أی بعد ۳۸ أسبوعا من تاريخ الإخصاب)، «إن زيادة الحمل لأكثر من ثلاثة أسابيع من تاريخ الوضع المحتمل [أی ما يوازی ۳۸+ ۳ ۴۱ أسبوعا] تحدث فی نسبة ۵ إلى ۶ بالمائة من الحوامل». و الحاصل هو أنه: «عند ما تتأخر الولادة لثلاثة أسابيع أو أكثر من التاريخ المحتمل، هناك زيادة كبيرة فی نسبة الوفيات [لدى الأطفال]» ۶۹۹۱, la te mahreB). و إذا علمنا أن تاريخ الوضع المحتمل من فترة التخصيب هو ۲۶۶ يوما (كتاب النمو الإنسانی، للدكتور كيث مور ويرسو، ص ۱۱۸)، و أضفنا إليه أربعة أسابيع على أبعد تقدير، يصبح مقدار مدّة أكثر الحمل (۲۶۶+ ۵*۴ ۷ ۲۹۴) يوما، و اللّه تعالى أعلم. و من هذا الكلام نفهم أن زعم بعض المتقدمين أنهم رأوا بعض الحمل يزيد عن الحد المذكور هو من قبيل التوهم. و لكن من المنصف أن لا نجزم أن كل المتقدمين وهموا، حيث يعدّ هذا تفريطا فی حقّهم فی حال كان فی أسانيد الروايات التی رويت عنهم ضعف، و لقد بيّن ابن حزم- رحمه اللّه تعالى- فی كتابه «المحلى بالآثار» (تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البندارى/ ج ۱۰- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ۱۹۸۸ م) فی سياقه لتلك الأخبار المحكيّة عن بعض السلف- رحمهم اللّه- أنها مكذوبة، سائقا أسانيدها، مبيّنا مواضع عدم القبول لها. و قد علّق المحقّق الدكتور عبد الغفار البندارى علی ذلك (ص ۱۳۳، المرجع السابق) قائلا: «لم أكد أصدّق و أنا أستعرض هذه الآراء فی مدّة الحمل أن يكون ذلك قد قيل بالفعل، غير أن المخرج من دهشتی هذه أننی واثق بأن هؤلاء الأئمة لم يقولوا شيئا مثل هذا قط فی مدد الحمل، و إنما هی أخبار مكذوبة فعلا نسبت زورا إليهم». و لهذا فلقد كان موقف الإمام الجليل ابن حزم- رحمه اللّه تعالى- هو الموقف الذی بان فی العلم الحديث، و كما تحتمله النصوص الشرعية ضمنا، و هو: أن مدّة الحمل هی تسعة أشهر و لا أقل من ستة أشهر، فلقد فهم هذا الإمام التمكّن فی التفسير و فی سائر العلوم الشرعية أن مدّة الحمل قد تكون تسعة أشهر من خلال الدلالات اللغوية، و إن لم يصرّح بهذا، إذ إن عبارته ملبسة فی ذلك، و ليست مفصّلة، مع أنه يريد ما ذكرته، حيث قال: «و لا يجوز حمل أكثر من تسعة أشهر و لا أقل من ستّة- إعجاز القرآن فی ما تخفيه الأرحام، ص: ۳۷۷ – أشهر لقول اللّه تعالى: وَ حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً [الأحقاف: ۱۵]. و قال تعالى: وَ الْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ لِمَنْ أَرادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضاعَةَ [البقرة: ۲۳۳]. فمن ادعی حملا و فصالا يكون فی أكثر من ثلاثين شهرا فقد قال الباطل و المحال، و ردّ كلام اللّه عزّ و جلّ جهارا» (ص ۱۳۱- ۱۳۲، المرجع السابق). فلو أنه- رحمه اللّه- لم ير أن آية سورة الأحقاف تحتمل مدّة التسعة أشهر لم يكن ليصرّح قبل التفوه بالآية- التی تشير إلى مدّة الثلاثين شهرا- أنه لا يجوز أن تكون مدّة الحمل أكثر من تسعة أشهر، و لم يكن ليقول- بعد الإشارة إلى مدّة تسعة الأشهر-: «فمن ادعی حملا و فصالا يكون فی أكثر من ثلاثين شهرا فقد قال الباطل و المحال» مع أنه يعتمد فی تحليله لهذا الموضوع علی طرح مدّة السنتين- أی مدّة الأربع و العشرين شهرا- من مدّة الثلاثين شهرا. و هذه العملية الحسابية تشير حتما إلى مدّة ستة الأشهر. فالنصوص القرآنية، و إن لم تصرّح بأن مدّة الحمل قد تكون تسعة أشهر، غير أنها لم تنف هذه المدّة قطعا، و إن تراءى للقارئ فی الظاهر أنها قد قطعت بمدّة ستة الأشهر (انظر مبحث «النشأة/ أقل مدّة حمل»). فالذی ترجّح عندی- بعد أن اطلعت علی مخطوطة «العد عند العرب» للشيخ عبد الرحمن محمد أسعد الحكمی الفيفی- يتلخص فی نقطتين: ۱- أن دلالة الآية وَ حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً [الأحقاف: ۱۵] علی مدّة الحمل- ستة أشهر- هی دلالة صريحة كما فهمها الصحابة رضی اللّه عنهم (انظر مبحث «النشأة/ أقل مدّة حمل»). ۲- أن ما تجاوز ستة أشهر من الحمل إلى تسعة أشهر موجود فی النص، و لكن عن طريق الدلالة الضمنية، و ذلك بأن العرب لا تعتبر فی العدّ ما يكون فوق العقد و دون نصفه، بل تلحقه بالعقد الأدنی، مستقطة فی العدّ تلك الآحاد (فإذا عدّت ۳۱ و ۳۲، و ۳۳ و ۳۴ فإنها تعدّ كل ذلك ۳۰)، فلو كان الحمل سبعة أشهر، و جمعنا عليه مدّة الفصال ۲۴ شهرا لأصبح لدينا مدّة الحمل و الفصال ۳۱ شهرا. و كذلك إذا اعتبرنا مدّتی الحمل: ثمانية أشهر و تسعة أشهر لأصبح لدينا ۳۲ و ۳۳ شهرا، و كلها دون النصف، فوق العقد، و لذلك فإن تلك المدد تدخل فی المدّة المذكورة: «ثلاثون شهرا». و حتی و إن تأخر الحمل عن حدّه المعتاد، فيدخل فی المدّة المذكورة، فالحاصل أن المدّة القصوى لتأخر الحمل هی شهر، و إن أضفنا المدّة القصوى للحمل- عشرة أشهر- لأصبح لدينا أربعة و ثلاثون شهرا، و هی أيضا ما دون النصف فوق العقد، مما يشير إلى أن الكلام عن مدّة قدرها ثلاثون شهرا قد اختير بعناية فائقة لكی يشمل مدّة الحمل من المدّة الدنيا إلى المدّة القصوى. و للعلم فهذا التفسير لا يعدّ تكلفا، و ذلك لأن الشارع قد اعتبر طريقة العرب هذه فی عدّهم، فعمل به فی فريضة الزكاة، و سمّی ذلك و قصا أو شنقا (و هو ما زاد علی خمس من الإبل إلى تسع، و ما زاد علی عشر إلى أربع عشرة، و كذلك ما فوق ذلك) (تهذيب اللغة للأزهری، ج ۹/ ص ۲۲۱، تحقيق عبد السلام هارون). و مثال آخر علی هذا: هو ما جاء فی عمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فقد جاء فی بعض الروايات فی صحيح البخاری و صحيح مسلم أنه صلّى اللّه عليه و سلّم عاش ستين سنة مع أن عمره صلّى اللّه عليه و سلّم ثلاث و ستون سنة، غير أن العلماء حملوا تلك الروايات علی إلغاء الكسر- أی إلغاء السنين فوق عقد الستين- جاء فی كتاب «البداية و النهاية» للحافظ ابن كثير (المجلد ۵- ۶. ج ۵/ ص ۲۲۶، تحت فصل «فی ذكر الوقت الذی توفی فيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم»): «و هذا لا ينافی ما تقدّم عن أنس لأن العرب كثيرا ما تحذف- إعجاز القرآن فی ما تخفيه الأرحام، ص: ۳۷۸ و مدّة عدّة الوفاة قدرها أربعة أشهر و عشرة أيام كما تعلمنا الآية: وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْواجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْراً ... [البقرة: ۲۳۴]. و المدة التی ذكرها القرآن تنبی عن إعجاز معرفی لمراحل تخلق الجنين، فهی تحدد أقل مدة تحس فيها المرأة بالغالب بحركات جنينها، فكيف لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أن يذكر هذه المدة الدقيقة و لا يستطيع أحد فی زمانه أن يأتی بمدة كلية عامة لكل نساء العالمين؟!. و بهذا يكون الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم قد سبق أهل زمانه و أهل الاختصاص فی عصرنا، و هذا يدل دلالة واضحة علی أن الذی أعطاه هذا العلم ليس فكرا بشريا و إنما هو وحی إلهی. و الأدلّ من ذلك علی نبوّته و رسالته: هو تحديد المدة برقم معين و هو أربعة أشهر و عشرة أيام، لأننا نستطيع أن نتفق نبوته و رسالته من خلال هذه المدّة إن كانت خطأ. – الكسر». و هذا ما رجّحه الحافظ ابن حجر فی فتح الباری بشرح صحيح البخاری (ج ۷/ ص ۷۵۷، طبعة دار ريان للتراث، باب وفاة النبی صلّى اللّه عليه و سلّم: «قوله (ليث بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن، و بالمدينة عشرا) هذا يخالف المروی عن عائشة عقبه أنه عاش ثلاثا و ستين، إلا أن يحمل على إلغاء الكسر كما قيل فی حديث أنس المتقدّم فی باب «صفة النبی صلّى اللّه عليه و سلّم»، و انظر فتح الباری، باب تفسير الحديث رقم ۳۵۶۸، قوله: (و هو ابن أربعين). و مختصر الكلام من هذا كلّه أن العرب تستعمل مثل هذا الأسلوب فی أغلب الأحيان، و لذلك يعمل به فی تفسير القرآن. و بالتالی فإن تفسير كون فترة الحمل و الفصال- ثلاثون شهرا- تحتمل المدّة القصوى للحمل منضبط بقواعد اللغة العربية، و ينسجم مع العلم الكونی، و هو أفضل ما قيل فی هذا المجال. أما الكلام حول الفائدة من النص علی أدنى مدّة الحمل فسيأتی تفصيله فی مبحث «النشأة/ أقل مدّة حمل». و لا يسعنا إلا أن نذكّر القراء الكرام إلى أن فترة الوضع المحتمل قدرها اللّه تعالى علی أحسن ما يجب أن تكون؛ فلو زاد وقت الوضع عن حدّه المعتاد لمات الحميل فی الغالب، و لو نقص عن حدّه المعتاد- و لو بقليل- لوضعت المرأة طفلا غير كامل التخلّق (فعلی سبيل المثال: لا يكتمل الجهاز التنفسی للحميل بحيث يستطيع الحياة بدون صعوبة إلا بعد مضی ۲۶۶ يوما، راجع مبحث «النشأة/ أقل مدّة حمل»)، لذلك أتى اللّه تعالى علی نفسه فی تقدير وقت الولادة قائلا: أَ لَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ (۲۰) فَجَعَلْناهُ فِی قَرارٍ مَكِينٍ (۲۱) إِلى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (۲۲) فَقَدَرْنا فَنِعْمَ الْقادِرُونَ (۲۳) [المرسلات: ۲۰- ۲۳]. جاء فی تفسير القرطبی فی تفسير الآية: «قلت: ... فأفادت الكلمتان معنيين متغايرين؛ أی قدرنا وقت الولادة و أحوال النطفة فی التنقيل من حالة إلى حالة ...». إعجاز القرآن فی ما تخفيه الأرحام، ص: ۳۷۹ و إمكان النقض ليس فی هذه المسألة فقط، بل هنا لكل مسائل أخرى أدق منها، مثل مسألة تخلق أعضاء الجنين فی أربعين يوما «۱». و انظر أيها القارئ الكريم إلى ما توصل إليه العلم اليوم من خلال الأبحاث الدقيقة التی تعتمد علی الاستقراء و التتبع و كشف الحقائق: فالعلماء حددوا مدة الحمل ب ۳۸ أسبوعا من بداية وقت تخصيب البويضة إلى الولادة، أی ۲۶۶ يوما «۲». و جنينا (متوسط NAEM) مدة مرحلة إحساس الأم بحركة جنينها إلى وقت الولادة ب ۱۴۷ يوما مع احتمال (انحراف قياسی ۱۵ NOITAIVED DRADNATS) يوما «۳». فمتوسط مدة المرحلة التی بين تخصيب البويضة و إحساس الأم بحركة الجنين تحسب باختزال متوسّط مدة مرحلة إحساس الأم بحركة الجنين إلى وقت الولادة (و هی ۱۴۷

یوما) من مدة الحمل (و هی ۲۶۶ یوما)، فیصبح متوسّط المدة التی بین التخصیب و إحساس الأم بحرکة الجنین ۱۱۹ یوما. و بما أن النساء یتفاوتن من ناحیة الإحساس بحرکة الجنین لعدة أسباب فهناک احتمالات بأن تحس المرأة بحرکة الجنین قبل أو بعد هذه المدة، و کلّما تباعدت الفترة عن الوقت المتوسط قلّت الاحتمالات بإحساس المرأة بجنینها، و کلّما اقتربت الفترة من الوقت المتوسط زاد هذا الاحتمال. و هکذا فإنّ احتمال إحساس المرأة بحرکات الجنین یتبع (نظاما حسابیا للتوزیع NOITUBIRTSID LAMRON)، مع (متوسط NAEM) مقداره ۱۱۹ یوما من بدایة تخصیب البویضة، و (انحراف قیاسی NOITAIVED DRADNATS) مقداره ۱۵ یوما. أما القرآن فیحدّد عدة الوفاة بأربعة أشهر و عشرة أیام، و أربعة أشهر توازی ۱۱۸ یوما و نصف یوم (۶، ۲۹ * ۴ ۴، ۱۱۸) «۴»، و هی نفس المدة تقریبا لمتوسط الوقت لإحساس المرأة بجنینها من وقت إخصاب البویضة و هو ۱۱۹ یوما (_____!!!. ۱) انظر مبحث «المضغة». (۲) کتاب الإنسان النامی، د. مور وبارسو، ص ۱۱۸. (۳) کتاب الإنسان النامی، د. مور وبارسو، ص ۱۱۳. (۴) و من الجدیر بالذکر أن التعداد بالأیام یجب أن یکون حسب التوقیت القمری، و لیس حسب التوقیت الشمسی الذی اعتدنا علیه عملا بالآیة: یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِیَ مَواقِیتُ لِلنَّاسِ ... [البقرة: ۱۸۹]، و بذلک فإن الشهر القمری یوازی ۲۹، ۲۹ من الشهر الشمسی تقریبا. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۸۰ و هذا التحدید لعدة المرأة (۴ أشهر و ۱۰ أیام) قد أطلقه القرآن الکریم احتیاطا، تمدیدا لمدة براءة الرحم و للتیقن من الحمل علی وجه التأکید، و بذلک فهو یعتبر أقل عدد لأغلب الحالات التی تحس بها المرأة بجنینها. و هذه الحقیقة أشیر إلیها فی البحر المحیط «۱»: «... و زاد اللّه العشر لأنها مظنة لظهور حرکة الجنین، أو مراعاة لنقص الشهور و کمالها، أو استظهارا لسرعة ظهور الحرکة أو بطئها فی الجنین». و جاء فی تفسیر الألوسی «۲»: «و زید علیه العشرة استظهارا إذ ربما تضعف حرکته فی المبادئ فلا یحس بها». و أقل عدد نستطیع أن نعتمده للإشارة إلی أغلب الحالات التی تشعر المرأة بجنینها هو ۷۵٪، فهذا العدد یمثل ثلاثة أرباع الحالات التی یمکن أن تحدث، و هو لیس بقریب من العدد المتوسط لإحساس المرأة بجنینها- ۵۰٪- بحیث لا نعتبره العدد الغالب. فإذا اعتبرنا أن الأیام العشرة هی انحراف عن المتوسط و هو ۱۱۹ یوما، أصبح احتمال إحساس المرأة بجنینها ۷۵٪!!! حسب النظام الذی ذکرناه آنفا (أی حسب النظام التوزیعی ذی متوسط مقداره ۱۱۹ یوما، و انحراف قیاسی مقداره ۱۵ یوما) «۳» (_____!) البحر المحیط- (ج ۲/ ص ۲۲۵). (۲) تفسیر الألوسی- (ج ۲/ ص ۱۴۹). (۳) إن من تتبع کلمات القرآن الکریم أیقن أن صیاغتها کانت بقدر، و أن کلّ حرف جاء فیها کان بحسبان، فلا زیادة و لا نقصان، و لا اختلاف و لا اعوجاج، ممّا یدل علی أن القرآن الکریم منزل من عند العلیم الحکیم، فلو کان فیه مقدار أنملة من الخطأ لتبدّد الإعجاز، و لانتزعت الصبغة الإلهیة من هذا الکتاب العزیز مصداقا لقوله تعالی: أَ فَلا یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ کانَ مِنْ عِنْدِ غَیْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِیهِ اخْتِلافاً کَثِیراً [النساء: ۸۲]. و من الأمثلة التی تدلّ علی أن القرآن الکریم محبوک بمیزان: أن بعض المدد الزمنیة (أو الأرقام العددیة) فی القرآن الکریم جاءت بصیغة معیّنة تشیر إلی قارئها أن الذی ذکر الوقت الزمنی (أو الرقم العددی) للمدّة المعتبرة مدرک تمام الإدراک لیس فقط أن هذه الصیغة تفصح عن الرقم العددی الدقیق للمدّة المعتبرة، و لکن تبرز أیضا تفاصیل أخری بغایة الأهمیة لهذه المدّة، فتعلمنا أنها تحمل فی طیّاتها عدّة معان محیطة بجوانب الموضوع المراد تفصیله، مما یجعل احتمال أن تکون هذه الصیغة أتت صدفة ضعیف جدّا، لأن إدخال التفاصیل علی شیء محدّد یتناسب عکسیا مع احتمال مجیئها صدفة، فیتیقن القارئ عندئذ أن الذی وضعها لا بد أن یکون الذی یعلم بجوانبها الغیبیة. و من الأمثلة لهذه الصیغة: الآیة التی نحن بصدد تفسیرها، و هی: وَ الَّذِینَ یُتَوَفَّوْنَ مِنْکُمْ وَ یَذَرُونَ أَزْواجاً یَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْراً [البقرة: ۲۳۴]. هذه الآیة ذکرت عددین متلاصقین (أربعة، عشر) ینطویان تحت عدد مجمل (مقداره أربعة أشهر و عشر)، لیس عبثا، و لکن لغرض إبراز تفاصیل دقیقة یتعذر التکلم عنها بطریقة موجزة فصیحة إلا بهذه الصیغة.- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۸۱ - _____و إذا لم یکن الحال کذلک، فلما ذا جاء إذا فی القرآن الکریم أو السنة الشریفة أرقام معیّنة بالصیغة العادیة المعهودة؟- أی بذکر الرقم العددی ذاته- تتکلم عن أوقات زمنیة (أو أعداد) معیّنة، مثل ما جاء فی کثیر من النصوص الشرعیة، کالذی أدناه: ۱- وَ الَّذِینَ یُظاهِرُونَ مِنْ نِسائِهِمْ ثُمَّ یَعُودُونَ لِما قالُوا فَتَحْرِیرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ یَتَماسَّا ذلِکُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِیرٌ (۳) فَمَنْ لَمْ یَجِدْ فَصِیامُ شَهْرَیْنِ مُتَتابِعَیْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یَتَماسَّا فَمَنْ لَمْ یَسْتَطِعْ فَإِطْعامُ سِتِّینَ مِسْکِیناً ... [المجادلة: ۳- ۴] ۲- وَ إِذِ اسْتَسْقی مُوسی لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصاکَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَیْناً ... [البقرة: ۶۰]. ۳- قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «إنه خلق کل إنسان من بنی آدم علی ستین و ثلاثمائة مفصل ...» [أخرجه مسلم ح ۴۲]. ۴- قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «صدقت، إن لک تسعة و تسعین عرقا، و له مثل ذلک، إذا کان حین الولد اضطربت العروق کلها، لیس منها عرق إلا یسأل اللّه أن یجعل الشبه له» [أخرجه الحکیم الترمذی ح ۲۲]. ۵- وَ وَصَّیْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَیْهِ إِحْساناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ کُرْهاً وَ وَضَعَتْهُ کُرْهاً وَ حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً [الأحقاف: ۱۵]. ۶- قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «إنّ أحدکم یجمع خلقه فی بطن أمّه أربعین یوما، ثم یکون فی ذلک علقة مثل ذلک، ثم یکون فی ذلک مضغة مثل ذلک، ثم یرسل الملک فینفخ فیه الروح و یؤمر بأربع کلمات» [أخرجه مسلم ح ۴۳]. فکان من الممکن أن تأتی الآیات أو النصوص الشریفة- علی سبیل المثال- علی هذا النحو: حمله و فصاله حولان و ستة أشهر، عوضا عن ثلاثین شهرا، و: إن أحدکم یجمع خلقه فی بطن أمّه ستة أسابیع إلا یومین، و: صدقت، إن لک مائة عرقا إلا واحدا، و له مثل ذلک ... إلخ. و مما یعضد کلامنا أن هذا الأسلوب اتّبعه العرب، فمن عادة العرب فی العدّ أنها حین تخیر بمجموعة عددیة ترید إعطاءها أحکاما ما، فإنها لا تخیر بجمیعها عددا معدودا، أو تلقی بالعدد الکامل فجأة، ثم توزّع علیه الأحکام، و لکنها تقتسمه إلی مجموعات، ثم تخیر عنه. و نحن نضرب لهذا الغرض ثلاثة أمثال: * المثل الأول: عن سیدنا حذیفة رضی اللّه عنه قال: «ضرب لنا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم أمثالا، واحدا، و ثلاثة، و خمسة، و سبعة، و تسعة، و أحد عشر، و فتیر لنا منها واحدا، و سکت عن سائرها، فقال: إن قوما کانوا أهل ضعف و مسکنة، فقاتلوا قوما أهل حیلة و عداء، فظهروا علیهم، و استعلوهم، و تسلّطوهم، فأسخطوا ربهم علیهم» [ذکره الهندی ح ۱۱۱]. هذا الحدیث یتکلّم عن فتن آخر الزمان، و جاء فیه ما مجموعه ستة و ثلاثون مثلا من الفتن، غیر أن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم أضرب عن ذکر العدد النهائی للفتن، و قتیمها ضمن مجموعات، لاختلاف کل مجموعة عن الأخری حکما، و حقیقة، و وقوعا، و زمانا، و مکانا، و هذا شاهد للتقیم المعهود عنـــــــــد العرب.- إعجـــــــــاز القرآن فی مـــــــــا تخفیـــــــــه الأرحـــــــــام، ص: ۳۸۲ -* _____المثـل الثـانی: قـال المسـتورد القرشی: سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم یقول: «تقوم الساعة و الروم أکثر النّاس»، فقال له عمرو: أبصر ما تقول، قال: أقول ما سمعت من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، قال: لئن قلت ذلک إنّ فیهم لخصالا أربعا: إنّهم لأحلم النّاس عند فتنة، و أسرعهم إفاقة بعد مصیبة، و أوشکهم کرّة بعد فرّة، و خیرهم لمسکین و یتیم و ضعیف، و خامسة حسنة جمیلة: و أمنعهم من ظلم الملوک. [أخرجه مسلم ۱۱۲]. فی هذا الحدیث لم یقل عمرو بن العاص من أول الأمر: إن فیهم لخصالا خمسا، بل جعل العدد مجموعتین، لاختلاف نوعیهما، فالمجموعة الأولی تنسجم مع بعضها، إذ هی فی الصفات الإیجابیة الوادعة، التی ینبغی أن تصنّف تحت بند واحد، بخلاف الخامسة التی هی ثوریة، و مخالفة للصفات الأربع فی الوداعة و السکون، فلهذا الاعتبار فرق عمرو بین الخمس، فجعلها أربعا و واحدة کما اعتاد العرب أن یفعلوا. المثل الثالث: عن ابن سیرین أن عمر بن الخطاب استعمل أبا هریرة علی البحرین ... (فقال عمر بن الخطاب لأبی هریرة رضی اللّه عنهما): أ تکره العمل، و قد طلب العمل من کان خیرا منک، یوسف؟، قال: إن یوسف نبی ابن نبی ابن نبی، و أنا أبو هریرة بن أمیمة، أخشی ثلاثا، و اثنتین، قال عمر: أ فلا قلت خمسا؟، قال: لا، أخشی أن أقول بغیر علم، و أقضی بغیر حکم، و یضرب ظهری، و ینتزع مالی، و یشتم عرضی. [أخرجه عبد الرزاق ح ۱۱۳]. نجد هنا أن الاثنتین اللتین یخشاهما أبو هریرة رضی اللّه عنه هما: القول بغیر علم، و القضاء بغیر حکم، و هما متعلقتان به هو، و بمنصب القضاء، و ما یلزم له من العلم و الحکم، و أما الثلاث التی یخشاها، و عبّر عنها بالشتم و الضرب و انتزاع المال، فتتعلّق بشدّة عمر رضی اللّه عنه فی محاسبة الولاة، و ما یؤول إلیه القاضی حین یحید عن الحق و یستحق العقوبة. و هذا الحدیث یختلف عن الأحادیث الأخری فی أن الدلالة فیه علی تقسیم العدد العام إلی عددین اثنین قطعیة، دون شک، من خلال رفض أبی هریرة لطلب عمر رضی اللّه عنهما عن الالتزام بالعدد العام، و لفصله المجموعة ککل إلی مجموعتین منفردتین للاعتبارین المختلفین. و لهذا سکت عمر رضی اللّه عنه، و فی السکوت إقرار من صحابی عربی جلیل، لصحابی عربی جلیل آخر، بهذا الإنکار، و بهذا الأسلوب المتّبع عند العرب. و بما أن القرآن الکریم أنزل بلغة العرب، فکان من الطبیعی أن ینهج القرآن أسلوبهم فی إبراز الأحکام و الصور المختلفة، حتّی یتمکنوا من استیعابها جیدا، فما کان إلا أن جاء فی القرآن الکریم عدّة أمثال لهذه الصیغة، کما فی الآیة: وَ لَبِثُوا فِی کَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِینَ وَ ازْدادُوا تِسْعاً [الکهف: ۲۵]، و الآیة: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلی قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِیهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِینَ عاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَ هُمْ ظالِمُونَ [العنکبوت: ۱۴]، و غیرهما، إلی جانب الآیة المعتبرة فی هذا المقام. و تفصیل موضوع الحمل هو أن الآیة رقم ۲۳۴ من سورة البقرة ذکرت مدّتین: أولاهما متوسّط مدّة إحساس الأم بحرکة جنینها بدء من وقت تخصیب البویضة، و هی أربعة أشهر (التی یشعر، عند وقائها، خمسون بالمائة من النساء الحوامل بحرکة جنینهن)، و ثانیها المدّة الزمنیة التی یجب أن تضاف- عشرة أیام- علی متوسط المدّة المذکورة آنفا لکی نحصل علی المـــدّة الغالبـــة لإحســـاس الأمـــم بحرکـــة- إعجـــاز القرآن فی مـــا تخفیـــه الأرحـــام، ص: ۳۸۳ - _____جنینهـا بـدء مـن وقـت تخصیب البویضة (و التی یشعر، عند وقائها، خمس و سبعون بالمائة من النساء الحوامل بحرکة جنینهن)، و قدرها أربعة أشهر و عشر. فأربعة أشهر تعطینا ۱۱۸ یوما، و إضافة عشرة علیها تعطینا ۱۲۸ یوما. و تقسیم هذا العدد إلی عددین مختلفین، أحدهما أساسی یتّفق مع متوسط مدّة إحساس المرأة الحامل بحرکة جنینها، و الآخر فرعی یتّفق مع المدّة الغالبة لإحساس المرأة الحامل بحرکة جنینها، هو الدلیل الساطع، علی أن القائل لهذه الآیة یعلم تمام العلم أن احتمال إحساس المرأة بحرکات الجنین یتّبع نظاما حسابیا للتوزیع مع متوسّط مقداره ۱۱۹ یوما و انحراف قیاسی مقداره ۱۵ یوما. و بفضل هذا الأسلوب المتّبع فی الآیة الکریمة- المعهود عند العرب عهد الاحتجاج- استطاع علماء تفسیر القرآن الکریم فهم أن الغرض من تقسیم العدد ۱۲۹ إلی عددین متلاصقین یتّبع أحدهما (العشرة أیام) الآخر (الأشهر الأربعة) هو لاحتیاط المرأة فی إحساس حرکة جنینها کما جاء فی البحر المحیط، ج ۲/ ص ۲۲۵: «... و زاد اللّه العشر لأنها مظنة لظهور حرکة الجنین، أو مراعاة لنقص الشهور و کمالها، أو استظهارا لسرعة ظهور الحرکة أو بطئها فی الجنین»، و کما جاء فی تفسیر الألوسی، ج ۲/ ص ۱۴۹: «و زید علیه العشرة استظهارا إذ ربما تضعف حرکته فی المبادئ فلا یحس بها». و مما

ساعد العلماء على فهم الآية على هذا النحو، هو أن عليهم أن يرتكزوا- إضافة إلى التقسيم المعهود لدى العرب- على قاعدة مراعاة النظير، أو ما يعرف بالتناسب، أو الائتلاف و التوفيق، و تعريفه: «أن يجمع فى الكلام بين أمر و ما يناسبه، لا بالتضاد» (بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، لعبد المتعال الصعيدى، ج ۴/ ص ۱۶، و انظر عروس الأفراح، للسبكى، ج ۴/ ص ۳۳۷). و العرب حريصون على أن يلتزموا بهذه القاعدة، فعلى سبيل المثال: «اجتمع الحكميت مع بعض الشعراء، و أنشدهم قصيدة منها: أم هل ظعائن بالعلياء نافعة و إن تكامل فيها الأنس و الشنب (و الشنب هو: عذوبة فى الأسنان، و نقاط بيض فيها). عقد نصيب واحدة (أى أحصى خطأ). فقال له الكميت: ما ذا تحصى؟ قال خطؤك، باعدت فى القول! ما الأنس من الشنب؟. فنصيب ينقد معنى فى بيت الكميت، لأنه قد جمع بين أمرين لا يجتمعان فى الخارج، و لا فى الذهن، أو لم يأت بما سماه المحدثون فيما بعد: مراعاة النظير». (تاريخ الأدب العربى عند العرب، للأستاذ طه أحمد إبراهيم، ص ۴۱). و قد حرص علماء تفسير القرآن الكريم أيضا على أن يلتزموا بهذه القاعدة، فترى الزمخشرى- رحمه اللّه- على سبيل المثال يحدثنا فى تفسيره للنص القرآنى: الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبانٍ (۵) وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدانِ (۶) [الرحمن: ۵- ۶] عن هذه القاعدة (ج ۴/ ص ۴۳- ۴۴)، فيقول: «النجم النبات الذى ينجم من الأرض، لا ساق له كالبقول، و الشجر الذى له ساق ...». ثم قال: «فإن قلت: أى تناسب بين هاتين الجملتين حتّى وسّط بينهما العاطف؟ قلت: إن الشمس و القمر سماويان، و النجم و الشجر أرضيان، فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل». فهذه القاعدة تملى عليهم أن يفتشروا العشرة أيام على ضوء الأشهر الأربعة المذكورة قبلها، و بالتالى- إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۳۸۴

- عليهم أن يحافظوا على إطار الأحكام و تسلسلها فى الآية رقم ۲۳۴ من سورة البقرة، فإذا كانت الآية تتحدّث عن العدّة و قد ذكر فيها عددين، أحدهما رئيسى، و الآخر فرعى، فعلى الرقم الرئيسى أن يستحوذ على الفقرة الرئيسية للعدّة، و بالتالى أن يشير إلى متوسّط مدّة إحساس المرأة الحامل بحركة جنينها، و على الرقم الفرعى أن يراعى الانحياز الثانوى عن الفقرة الرئيسية للعدّة، و بالتالى أن يشير إلى المدّة الغالبة لإحساس المرأة الحامل بحركة جنينها. و هكذا فإن انطباق مدد النظام الحسابى لاحتمال إحساس المرأة الحامل بحركة جنينها على المدد المذكورة فى آية سورة البقرة ليس من قبيل المصادفة، لا فى القرآن الكريم، و لا فى لغة العرب فى عصر الاحتجاج، حيث إنه منضبط بأساليب البيان البلاغى المعتمدة. و لقد جاء أسلوب تقسيم العدد العام إلى عددين منفصلين فى موضعين آخرين فى القرآن الكريم، أحدهما فى سورة الكهف، و الآخر فى سورة العنكبوت. و تفصيل المثال الذى جاء فى سورة الكهف كالآتى: الآية المعتبرة هى: وَ لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَ ازْدَادُوا تِسْعاً [الكهف: ۲۵]. هذه الآية عبّرت عن الحقبة الزمنية التى لبث فيها أصحاب الكهف فى كهفهم بحقبتين اثنتين، إحداهما أساسية، و هى ثلاثمائة سنين، و الثانية فرعية و هى تسع سنين (تضاف إلى الحقبة الأساسية)، و هذا للدلالة على أن الاختلاف بين التعداد الزمنى الشمسى و التعداد الزمنى القمرى هو الذى ظهر فى الرقم الفرعى فى الآية المعتبرة، فيسهل على القارئ عندئذ أن يحفظ المدّة التى لبث فيها أصحاب الكهف فى كهفهم لأنها وضعت فى وعاء سهل التركيب (۳۰۰ سنة)، و يتذكّر القارئ أيضا أن الاختلاف بين التعداد الشمسى و التعداد القمرى هو تسع سنين، و يتيقّن القارئ أن القرآن الكريم محبوك بميزان، و ملىء بالآيات الباهرات، و البراهين التى تذكرنا بأن مشرّع دين الاسلام هو اللّه جلّ و علا. فالحاصل أن السنة الشمسية مؤلفة من ۲۴۲۲ ، ۳۶۵ يوما و السنة القمرية من ۳۶ ، ۳۵۴ يوما. RADNELAC/ AIDEPOLCYCNE AIDEMYTLUM REILLORG). و ثلاثمائة سنة تعادل ۱۰۹۵۷۲ يوما فى التعداد الشمسى (۳۰۰، ۲۴۲۲، ۳۶۵ ۷، ۱۰۹۵۷۲)، و هذه تعادل ثلاثمائة و تسع سنين بالتعداد القمرى، مع زيادة طفيفة مقدارها ۲۱، ۰ سنة (۳۶، ۳۵۴/ ۷، ۱۰۹۵۷۲ ۲۱، ۳۰۰)، و لعلّ قوله تعالى: وَ ازْدَادُوا تِسْعاً هو إشارة أيضا إلى أن هناك زيادة بسيطة فى المدّة القمرية على المدّة الشمسية، حيث إن التعداد القمرى فى هذه الحالة يزيد ۴، ۷۴ يوما (أو ۲۱، ۰ سنة) عن التعداد الشمسى. و لقد فهم مفسّر القرآن الكريم البارز ابن كثير هذا المراد، من خلال معرفته باللغة العربية، فقال فى تفسيره للآية رقم ۲۵ من سورة الكهف: «هذا خبر من اللّه تعالى لرسوله صلى اللّه عليه و سلم بمقدار ما لبث أصحاب الكهف فى كهفهم، منذ أرقدهم إلى أن بعثهم، و أعثر عليهم أهل الزمان، و أنه كان مقدار ثلاثمائة سنة تزيد تسع سنين بالهلالية، و هى ثلاثمائة سنة بالشمسية ... فلهذا قال بعد الثلاثمائة: وَ ازْدَادُوا تِسْعاً». و نحن نعلم أن النظام القمرى هو الأسلوب المعتمد فى الشرع للعدّ السنوى لدلالة الآية: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَواقِيتُ لِلنَّاسِ [البقرة: ۱۸۹] عليه، فلما ذا أدخلت الآية رقم ۲۵ من سورة الكهف العدّ الشمسى فى هذا المقام؟ نقول، و باللّه التوفيق: إن السياق للنص القرآنى كان يتكلّم عن الشمس كما- إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۳۸۵

- جاء فى الآية: وَ تَرَى الشَّمْسَ إِذا طَلَعَتْ تَزاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذاتَ الْيَمِينِ وَ إِذا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذاتَ الشِّمالِ ... [الكهف: ۱۷]. و لغرض الانسجام، راعى الشرع المقام، و ضرب آخر الكلام بأوله، و عطفه عليه، و هو أسلوب متّبع فى غير موضع من القرآن الكريم (انظر الحاشية (رقم ۱، ص ۱۰۶- ۱۰۹) من مبحث «النطفة»). و أما الموضع الثانى الذى جاء فيه أسلوب التقسيم المعهود فتفصيله كالآتى: الآية المعتبرة هى: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَ هُمْ ظالِمُونَ [العنكبوت: ۱۴]. نلاحظ فى هذه الآية أن اللّه تعالى لم يقل تسعمائة و خمسين سنة، كما نعتاد أن نعد، و لكن قال: أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عاماً، فأظهر بهذه الكلمات فترتين: إحداهما أساسية (ألف سنة)، و الأخرى فرعية: و هى خمسون عاما، و دعّم هذا التمييز بذكر كلمتين مختلفتين: (سنة، عام) لهما دلالات مختلفة، تشير إلى حقبتين مختلفتين فى محتواهما. فكلتا الكلمتين تشير إلى الحول فى اللغة العربية (أى إلى السنة فى المفهوم العامى)، و لكن لهما دلالات إضافية غير دلالة الحول، فكلمة (سنة) تشير فى اللغة العربية فى كثير من الأحيان إلى فترة صعبة تمرّ على الإنسان، و كلمة (عام) تشير إلى فترة رخاء تمرّ على الإنسان. جاء فى لسان العرب (باب سنت): «أسنتوا، فهم مسنتون: أصابتهم سنة و قحط و أجدبوا ... و فى الحديث: و كان القوم مسنتين، أى مجدبين، أصابتهم السنة، و هى القحط و الجدب، أسنت فهو مسنت، إذا أجدب». أما عن الدليل القرآنى أن المراد من الكلمتين (سنة و عام) هو (الشدّة و الرخاء)، فلقد قال اللّه تعالى فى سورة يوسف، على لسان يوسف عليه السّلام، عن الحقبة الزمنية العصيبة التى أتت على أهل مصر بما فيها من قلّة المئونة: قالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَما حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (۴۷) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذلِكَ سَبْعٌ شِدادٌ يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (۴۸) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذلِكَ عامٌ فِيهِ يُغاثُ النَّاسُ وَ فِيهِ يَعْصِرُونَ (۴۹) [يوسف: ۴۷- ۴۹]. فأسند الشدّة للسنين الآتية لما سيأتى على القوم من قلّة المئونة، و أسند الرخاء للعام الآتى لما سيكثر فيه من الخصب. كذلك تكرّرت هذه الدلالات فى سورة الأعراف، و هى: وَ لَقَدْ أَخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَ نَقْصٍ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ [الأعراف: ۱۳۰]، حيث قرن فيها اللّه تعالى السنين بنقص الثمرات. أما عن دليل السنّة، فقد جاء حديث جلىّ الدلالة على أن السنة فى المفهوم النبوى هى الحول الذى قلّت خيراته، و هو: أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قال: «ليست السّنة بأن لا تمطروا، و لكن السّنة أن تمطروا و تمطروا، و لا تنبت الأرض شيئا» [أخرجه مسلم ح ۱۱۴]. و عودة إلى آية رقم ۱۴ من سورة العنكبوت، استنتج بعض العلماء من الألفاظ المذكورة، و من الصيغة التى نحن بصدد تفصيلها الآن أن هناك فترتين عاشهما نوح عليه السّلام: إحداهما تسعمائة و خمسون سنة، و هى فترة إيذاء و تحدّى للنبى نوح عليه السّلام لبعثه فيها، و أخرى عاشها برخاء و طمأنينة بعد البعثة، و قد اختلفوا فى مقدارها. جاء فى تفسير روح البيان للبروسوى فى صدد تفسير الآية المعتبرة: «[إلا خمسين عاما] العام- إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۳۸۶ و حسب الجداول الحسابية التى وضعها العلماء «۱»، و هو نفس العدد الذى اعتمدناه، و الذى يمثل أقل عدد لحدوث أغلب حالات إحساس المرأة بجنينها، و هو بذلك يطابق المعطيات الحسابية العلمية بدقة بالغة. و من هنا نجد أن القرآن الكريم قد سبق علماء الأجنة فى اكتشاف هذه المدة قبل ۱۴ قرنا. و للعلم أن القرآن ليس كتابا طبيا و لكن دستورا للعقيدة و العبادة و تعامل بنى الإنسان و علاقاتهم مع بعضهم، و هو إذ يسوق بعض الأمور العلمية فإنما يسوقها لإبراز التوافق و التوأمة بين القانون الطبى و النظام التشريعى، و للاعتبار و ازدياد اليقين و الإيمان، و ليظهر بأن واضع هذا القانون و ذاك النظام هو الإله الواحد الخالق البارئ الذى يعلم الظاهر و الباطن. و هنا نصل إلى تحقيق مهم هو: أن العلم التجريبى بما وصل إليه من تطور هو الكفيل بإثبات حقّية القرآن و صحة دين الإسلام، و هذه دعوة مفتوحة إلى كل غافل و شارد و كل متعلم و مثقف ليقف على هذا الأمر، و يتحقق بموضوعية حتى يصل إلى الحقيقة.

۳- أقل مدة للحمل:

۳- أقل مدة للحمل: إلى هنا تنتهى الفترة الأولى من النشأة بعد مضى ستة أشهر على الحمل و تسمى بفترة القابلية للحياة؛ لما ذا؟ لأن أقل مدّة للحمل هى ستة أشهر و تفصيلها ما يلى: * قال جلّ و علا: وَ حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً [الأحقاف: ۱۵] * قال اللّه تعالى: وَ فِصالُهُ فِي عامَيْنِ [لقمان: ۱۴ -

] كالسنة، لكن كثيرا ما تستعمل السنة فى الحول الذى فيه الشدّة و الجدب، و لهذا يعبّر عن الجدب بالسنة، و العام فيما فيه رخاء، و فى كون المستثنى منه بالسنة، و المستثنى بالعام لطيفة، و هى أن نوحا عاش بعد إغراق قومه ستين سنة فى طيب زمان و صفاء و راحة بال». و لكن ما نذهب إليه هنا أن فترة الرخاء كانت خمسين عاما و ليست ستين أو غيرها، لدلالة الآية عليها. و هكذا فإن النهج القرآنى، و أساليب البيان البلاغى، و الصيغة النبوية الشريفة، إضافة إلى المعانى اللغوية، كلّها تشير بوضوح إلى الإعجاز العلمى فى الآية رقم ۲۳۴ من سورة البقرة. (۱) انظر لهذا الغرض كتاب SNOISICED SSENISUB NREDOM ROF SCITSITATS ,NIPAL L ECNERWAL ص ۲۷۵ و ۱۱۷۷. إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۳۸۷ نستنتج من خلال الآيتين أن أقل مدة الحمل هو ستة أشهر، و ذلك أن الآية الأولى تنصّ على أن الحمل و الفصال (أى الفطام) يستغرقان ثلاثين شهرا، و الآية الثانية تنص على أن الفصال فى عامين، أى أربع و عشرون شهرا، فإذا اختزلنا فترة الفصال من فترة الحمل و الفصال، تكون فترة الحمل ستة أشهر و هى أقلها، لأن الحمل عادة يستغرق تسعة أشهر. و هذا ما استنبطه على و ابن عباس رضى اللّه عنهما و روى: «أن عثمان قد أتى بامرأة قد ولدت لستة أشهر فأراد أن يقضى عليها بالحدّ، فقال له على رضى اللّه عنه: ليس ذلك عليها، قال اللّه تعالى: وَ حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً، و قال تعالى: وَ الْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ [البقرة: ۲۳۳]، فالرضاع أربعة و عشرون شهرا و الحمل ستة أشهر، فرجع عثمان عن قوله و لم يحدّها» «۱». و العلم الحديث يثبت هذا الاستنباط الدقيق عن على و ابن عباس- رضوان اللّه عليهما- فالأطفال الذين يولدون بعد ستة أشهر و قبل استكمال تسعة أشهر، يوضعون فى (الحاضنات الاصطناعية ESUEVUOC) تحت العناية المشدّدة حتى يتمكنوا من العيش، إذ قبل مدة ستة أشهر لا يمكنهم الحياة. و يفسر لنا الدكتور شارل

رو «۲» هذه الحقيقة قائلا: «إنّ الجنين فى بطن أمه يعيش فى محيط مائى و يستخرج الأوكسيجين من هذا المحيط «۳»، و لكى يستطيع الحياة خارج بطن أمه يلزم عليه أن يتنفس الهواء بدلا من استخراجه من محيطه المائى، و ذلك يعتمد على نضج رئتيه، و نضج المراكز العصبية الموجودة فى النخاع الشوكى التى تتحكم بها. أما نضج الرئتين فلا يتم إلا بعد مضى ثمانية أشهر و لكنها تستطيع أن تبدأ التنفس قبل ذلك بكثير، ذلك أن نضجها يعتمد على عنصرين أساسيين، و هما: أ- (التخاريب ALOEVLA) (و هى أكياس صغيرة موجودة فى الرئتين يتم عبرها التبادل الغازى) ب- (الأوعية الشعرية SEIRALLIPAC RALUCSAV) (و هى تحمل الدم الذى ينقل الغازات (_____). ۱) تفسير القرطبى للآية ۱۵ من سورة الأحقاف- (ج ۱۶/ ص ۱۹۳). (۲) المؤتمر الطبى الإسلامى الدولى، الإعجاز الطبى فى القرآن، ۲۵/ ۹/ ۸۵ م. (۳) إن الجنين يستخرج الأوكسيجين على وجه التحديد من الأم من خلال الحبل السرى، و لكن المهم هو أن المحيط سائلى.

إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۳۸۸ إن خلق التخاريب يبدأ فى الشهر السادس من الحمل و ينتهى فى نهاية الحمل، و من الممكن أن يمتد بعد هذه الفترة إلى السنة الأولى (أى بعد ولادته). أما الأوعية الشعرية فترتبط بالتخاريب ارتباطا حميما خلال الشهر السادس. و بهذا يكون الجنين قادرا نظريا على الحياة خارج الرحم (إذ أنه يستطيع التنفس و ذلك لأن العناصر الأساسية للتنفس قد تخلقت). لذا يجب اعتبار الشهر السادس أقل مدة الحمل التى تتوقع من بعدها أن يعيش المولود الجديد. إن العنصر الأساسى للتنفس هو إفراز مادة (السور فاكتنت TNATCAFRUS) من قبل التخاريب. هذه المادة الدهنية تمكن التخاريب من التمدد بشكل ثابت و تمنعها من التحطم خلال الزفير». (انظر الصورة رقم: ۱۱۶). و «إفراز مادة السور فاكتنت يبدأ [تحديدا] من الأسبوع العشرين و لكن كميتها قليلة جدا فى الأطفال الذين يولدون قبل الموعد المحدد، و لا تبلغ معدّلا مقبولا إلا فى الفترة المتأخرة من المرحلة الجنينية ... فالعنصر الأهم الذى يخوّل الأطفال الذين يولدون فى فترة مبكرة من الحمل ليس هو وجود (أكياس طرفية رقيقة فى النهايات الرئوية SCAS LANIMRET NIHT)، أو (أغشية التخاريب البدائية MUILEHTIPE RALOEVLA LAIDROMIRP)، بقدر ما هو تطور مقبول للأوعية (SC) إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۳۸۹ الرئوية و وجود كمية كافية من مادة السور فاكتنت» «۱»، و بالتالى «فإن الأجنة التى تولد فيما بين أربعة و عشرين و ستة و عشرين أسبوعا من عملية التخصيب [و قبل الموعد المحدد] تستطيع أن تعيش إذا اختصت برعاية فائقة» «۲». غير أن هناك احتمالا- أن تموت الأجنة التى تولد ما بين ۲۲ إلى ۲۵ أسبوعا فى الطفولة المبكرة، لأن جهازهم التنفسى غير ناضج «۳»، أما الأجنة التى تولد بعد هذه الفترة فكثيرا ما تعيش لأن جهازها التنفسى يستطيع أن يتنفس الهواء. و كما نعلم فإن الشهر القمرى يتألف من ۶، ۲۹ يوما، و ستة أشهر قمرية تعادل (۶× ۶، ۲۹) ۶، ۱۷۷ يوما، أو (۷/ ۶، ۱۷۷) ۲۵ أسبوعا و يومين (إلى ثلاثة). و هكذا فإن الفترة التى حددها القرآن الكريم هى الفترة العملية العلمية الدنيا (۲۵ أسبوعا زائد+ ۲۵ SKEEW) التى يعيش من خلالها الأطفال الذين يولدون قبل الموعد المحدد «۴».

(_____) كتاب الإنسان النامى، د. مور

وبارسو، ص ۲۶۶. (۲) كتاب الإنسان النامى، د. مور وبارسو، ص ۲۶۴. (۳) كتاب الإنسان النامى، د. مور وبارسو، ص ۱۱۴. (۴) و من المهم بمكان هنا أن نشير إلى أن النصوص القرآنية: وَ حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً [الأحقاف: ۱۵]، و وَ فِصالُهُ فى عامَيْن [لقمان: ۱۴] لم تنف أن يعيش المولود الذى يولد قبل ستة أشهر قمرية فى بعض الحالات، و ذلك لأن الآيات لم تذكر أصالة دلالة أقل فترة حمل، و بالتالى لم تصرّح مباشرة أن أقل مدّة حمل على الإطلاق هى ستة أشهر، فهذه دلالة تبعية تستنبط عن طريق مقابلة نصين شرعيين، و عن طريق اختزال المدد التى وردت فى تلك النصوص. أضف إلى ذلك أنه إذا اعتبرنا ألفاظ الآيتين القرآنيتين السالفتى الذكر فهمنا أن لفظ «و حمله» فقط ورد فى النصوص الشرعية فى إشارة إلى فترة الحمل لستة أشهر قمرية، و ليس لفظ «أقل مدّة حمل»- كما سمّاها معظم المفسّرين و الباحثين فى هذا المجال-، و بالتالى فمن الأفضل أن نشير إلى تلك الفترة المستنبطة على أنها الفترة العملية العلمية الدنيا التى يعيش من خلالها الحمل الذى يولد قبل الوقت المعتاد، أى أنها الفترة التى يعيش فيها المولود بالغالب بدون أمراض خطيرة تذكر. يعضد هذا المذهب الأسباب التالية: ۱- لقد قدّرت بعض المصادر الطبية نسبة حياة الأطفال الذين يولدون قبل فترة ستة الأشهر القمرية، أو سبعة و عشرين أسبوعا من (أول يوم للدورة PMNL: DOIREP LAURTSNEM LAMRON TSAL) بحوالى ۷۲٪ بين عامى ۱۹۷۰- ۱۹۸۸« بناء على دراسة ارتكزت على عمر الجنين، و ب ۹۰٪ بين عامى ۱۹۹۵- ۱۹۹۶«« بناء على دراسة ارتكزت على وزن الجنين (حيث إن وزن الجنين الذى يقابل فترة السبعة و العشرين أسبوعا هو ۱۰۰۰ غرام حسب دراسة مصدر صدر عام ۱۹۹۶«««، و ب ۹۰٪ حسب دراسة أجريت عام ۲۰۰۱«««« ارتكزت على عمر الجنين، و بالتالى فإن الفترة المذكورة- كما تشير إليه الإحصائيات- هى الفترة التى يعيش الجنين بها بالغالب.- إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۳۹۰ - _____ و للعلم فإن فترة السبعة و العشرين أسبوعا من أول يوم للدورة هى الفترة التى أشارت إليها النصوص القرآنية (ستة أشهر قمرية أو حوالى خمسة و عشرين أسبوعا)، و هى مؤلفة من فترة أسبوعين، تحتسب من أول يوم للدورة إلى أن يحين موعد الإباضة، زائد فترة ۲۵ أسبوعا، تحتسب من بداية تلقيح البويضة إلى ولادة الطفل، و ذلك أن القرآن الكريم يعتمد أول يوم من الحمل بداية عمر الجنين لأن الآية القرآنية ذكرت كلمة حمل فى الآية: وَ حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً [الأحقاف: ۱۵] و لم تذكر كلمة «دورة» أو كلمة «حيض» أو ما شابه ذلك. و إذا اعتمدنا المنطق فإن احتساب عمر الجنين من بداية تلقيح البويضة- كما أشار إليه القرآن- منطقى أكثر لأن الجنين لم يخلق فى أول أسبوعين.

۲- إن النصوص القرآنية لا تشمل التدخلات الطبية مثل إعطاء عقارى الكورتيزون و السوفاكتنت للطفل الذى يولد قبل فترة ستة الأشهر قمرية، و التى تساهم فى تحسين معدل البقاء على الحياة، الذى قدر بحوالى ۲۰٪ للأطفال ذوى الوزن أقل من ۱۰۰۰ غرام«««، لأن النصوص القرآنية عالمية«««، أى أنها لكل الشعوب و لكل الأزمنة. فليس كل المجتمعات فى الكرة الأرضية لها العلم الكافى و الوسائل التقنية المتقدمة لكى تتدخّل طبيّا، و بالتالى تحتمل من فرص بقاء المولود على الحياة. كذلك ليس لكل المجتمعات عبر التاريخ الإمكانية الطبية المذكورة، و التقدم العلمى يعود لقرون، بل لسنوات قليلة مضت. ۳- لأن الأطفال الذين يولدون قبل ۲۵ أسبوعا من الحمل، أى ما دون ۱۰۰۰ غرام، تكثر لديهم أمراض شتى، مثل: أمراض الرئة المزمنة (كمتلازمة الضائقة النفسية SDR: EMORDNYS SSERTSID YROTARIPSER)، و (الالتهاب المعوى القولونى الناخر EGARROMEH RALUCIRTNEVARTNI)، و (نزيف دال المخ SITILOCORETNE GNIZITORCEN) من الدرجة الثالثة و الرابعة، و يعانى بعضهم- كما تشير إليه دراسات شتى- من شلل مخى أو ضعف حركى، أو من مشاكل فى الجهاز السمعى أو البصرى، و تأخر فى التطور و النمو، و تأخر فى النطق، و انخفاض معدّل الذكاء ... إن معدل المرضية (الإعاقات و التخلف) للخدّج (ذوى الوزن البالغ الانخفاض عند الولادة THGIEW HTRIB WOL YLEMERTXE) (دون ۱۰۰۰ غرام، المرادف لستة أشهر قمرية) تزيد عن النصف و هى أقرب إلى الثلثين .... ۴- إن الآية غير معنية بالحالات الخاصة، و الشاذة، أو النادرة التى تقع بين حين و آخر، حيث يولد أطفال ما بين ۲۰- ۲۵ أسبوعا من العمر (من أول يوم للدورة)، و لديهم نضوج شبه كامل للرئتين، فهذا يعود سببه- حسب اعتقاد العلماء- لتعرّض الأم الحامل، أو المشيمة، أو الجنين لضيق أو شدّة. و لمزيد من التفاصيل حول موضوع بقاء الخدّج على الحياة، أو نسب المرضية التى تحصل لهم الرجاء مراجعة البحث الذى قدّمه د. فواز صادق المزينى فى المؤتمر العالمى السابع للإعجاز العلمى فى القرآن و السنة، ۲۲- ۲۴ مارس ۲۰۰۴ م، دبى الإمارات العربية المتحدة. و بناء على ذلك فإن الفترة المنصوصة هى الفترة التى يعيش بها المولود بالغالب، و بدون أمراض تذكر. و فى النهاية نود أن نشير إلى أن جلّ الدراسات العلمية للأطفال الخدّج تعتمد على الوزن أكثر من اعتمادها على العمر الجنينى بالأسابيع، و احتساب معدّل البقاء على الحياة بحسب العمر الجنينى أدق من احتسابه بحسب وزن الجنين، لأن وزن الجنين غالبا ما ينقص (أو يزيد).- إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۳۹۱ و من المهم أن ننوّه إلى الفائدة التى تقف وراء تنصيص الآيات القرآنية على فترة ستة الأشهر دون تسعة الأشهر. فالحاصل أن فترة تسعة الأشهر معروفة لدى الجميع على عكس فترة ستة الأشهر التى هى أخفى مدد الحمل (۶، ۷، ۸، ۹ أشهر) و التى لم يعرفها العرب آنذاك. و الدليل على ذلك أن الصحابة تحيروا فى أمر المرأة المتهمة بالزنى، و استلزم الأمر استشارة بعضهم البعض، و لم يتبيّن الأمر إلا بعد الاعتماد على نصوص الوحى كى يعرفوا أدنى مدّة حمل، فالآيات القرآنية نصّت صراحة على الخفى من مدّة الحمل، و ضمنا على الجلى منها لوضوحه «۱»، و من خلال تلك الحوادث التى يحدثها البارئ عزّ و جلّ يظهر آيَةٌ مجتمع شبه الجزيرة العربية، و علو أحكام القرآن الكريم على الأفكار السائدة فى مجتمعهم، فيظهر الإعجاز العلمى الكامن من الآيات القرآنية وفقا للآية: سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِى الْآفاقِ وَ فِى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (۵۳) [فصلت: ۵۳]. كما أن هناك فائدة أخرى تستلزم تنصيص مدّة ستة الأشهر و هى: أن الآية القرآنية التى تكلّمت عن الحمل و الفصال جاءت فى معرض المنّة، و بيان مدى تعب الأم فى حملها و إرضاعها لولدها، حيث يستلزم ذلك البر بها، و الإحسان إليها، و الشكر لها، كما نراه فى الآية: حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَ وَضَعَتْهُ كُرْهاً [الأحقاف: ۱۵]، لهذا أتى الله تعالى على من يعرف فضل الوالدين عليه، و يدعو لهما قائلا: حَتَّى إِذا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَ عَلى والِدَيَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ وَ أَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِى إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَ إِنِّى مِنَ الْمُسْلِمِينَ (۱۵) [الأحقاف: ۱۵]. فترك مدة الحمل الأخرى مطوية ضمن العقد هو لظهور المنّة فيها من باب -«- _____ ۲۰۰۳

yluJ .۸ -۳۰ E :(۱ tP ۱)۱۱۲ scirtaideP .E ikswaroB .L relttuC .M namhaR .L ratraC .M rethculhcS .M KCAH «« ۲۰۰۱ scirtaideP krowteN hcraeseR latanoeN DHCN .۱۹۹۶ rebmeceD hguorht ۱۹۹۵ yraunaJ ,krowteN hcraeseR latanoeN tnempoleveD namuH dna htlaeH dlihC fo etutitsnI lanoitaN eht fo emoctuo thgiew htrib wol yreV .la te ,nomeL morf atad deifidoM «« .۱۹۹۶ ,۱۶۳ ,۸۷: locenyG tetsbO .htworg latef rof ecnerefer lanoitan setatS detinU A ,la te ,RG rednaxelA «« sa ecnerefer emaS«««««« .۲۸۱۷ ;۲۷ (۴): guA ۲۰۰۳ .lotanireP nimeS .CM hslaW ,M kcaH ,AA fforanaF morf deifidoM .sraey ۱۵ tsrif eht gnirud semoctuo dna «««««« ecitcarp ni segnahc :krowten hcraeser latanoen DHCIN ehT السنة، سعاد مير، طبعة أولى، ۱۹۸۷- ۱۹۸۸ م، ص ۷۹، بدون ذكر دار نشر. (۱) راجع مبحث «النشأة/ مرحلة القابلية للحياة/ العدّة» الحاشية (رقم ۳، ص ۳۷۵- ۳۷۸). إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۳۹۲ أولى. فإذا كان الشكر واجبا على فترة الحمل الدنيا عقيدة التوحيد من الكتاب و

للکره الذی یرافقها، فذلک یشیر إلی وجوب تأدیة المزید من الشکر للمرأة الحامل التی اعتادت مدّة الحمل الطبیعیة و التی یلحقها کره أکبر، و هذا یتناغم مع النهی عن أدنی العقوق فی قوله تعالی: وَ قَضی رَبُّکَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِیَّاهُ وَ بِالْوالِدَیْنِ إِحْساناً إِمَّا یَبْلُغَنَّ عِنْدَکَ الْکِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ کِلاهُما فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَ لا تَنْهَرْهُما وَ قُلْ لَهُما قَوْلاً کَرِیماً (۲۳) [الإسراء: ۲۳]، إذ یستلزم ذلک النهی عن ما هو أکبر من ذلک فی العقوق. و لا یجب أن ننسی أن اللّه تعالی ذکر مدّة ستة الأشهر لغرض التعمیم، أی تعمیم أحکام الآیة علی کل النساء الحوامل، فذکر المدّة الدنیا هو بمثابة ذکر القاسم المشترک الأصغر بین جمیع مدد الحمل، فالمدد الأخری کمدّة سبعة الأشهر، و مدّة ثمانیة الأشهر، و مدّة تسعة الأشهر، تتألف کلّها من مدّة ستة الأشهر مع زیادة المتبقی من الأشهر علی المدّة المعتبرة، و لو ذکرت الآیة مدّة الحمل القصوی لأسقطت باقی المدد، و لاقتصر واجب الشکر علی المرأة التی تلد فی المدّة الطبیعیة. و بهذا الأسلوب کانت الآیة عامة، شاملة، تتضمن إعجازا علمیا فریدا، یمتزج بحکمة الشکر بأبلغ تعبیر. و من الکلام السابق نری أن أقل مدة حمل هی ستة أشهر، و بذلک تنتهی فترة القابلیة للحیاة لتبدأ فترة الحضانة الرحمیة.

ج- مرحلة الحضانة الرحمیة:

ج- مرحلة الحضانة الرحمیة: مصطلح الحضانة الرحمیة وضع من قبل العلماء لأن الرحم یکون بمثابة حاضن للطفل و هو لیس عنصرا أساسیا للتخلق. تمتد هذه الفترة من الأسبوع الرابع و العشرین (أی من نهایة ستة أشهر من الحمل) إلی نهایة الحمل، أی إلی نهایة الأسبوع الثامن و الثلاثین من بعد إخصاب البویضة. یقول الدکتور کیث مور «۱»: «هذه المرحلة تدل علی المرحلة الأخیرة من الحمل، فی الوقت الذی یستطیع الجنین أن یعیش إذا ولد قبل أوانه، و لکنه یبقی فی الرّحم حیث تدعمه الأم و تغذیه.

(_____ ۱) المؤتمر العلمی الإسلامی الدولی، الإعجاز الطبی فی القرآن، ۲۵/ ۹/ ۸۵ م. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۹۳ فی أکثر الأحوال، إذا، یلعب الرحم دور حاضن للمولود قبل أوانه. إن الوزن الذی یکتسبه الجنین فی الأسابیع الأخیرة مدهش، إذ إن الجنین یکتسب مواد دهنیة و بهیأ تدریجیا للولادة». و من کلام الدکتور کیث مور نفهم أن دور الرحم فی هذه الفترة هو دور الحاضن. فی هذه الفترة ینمو الجنین بشکل ملحوظ من جراء التغذیة التی یتلقاها محققا المعنی الثانی لکلمة نشأة «نماء» و یتحقق المعنی الثالث من کلمة نشأة «ارتفع و ربا» حیث یزداد معدل طول الجنین بشکل ملحوظ و إن کان بطیئا. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۹۴

تیسیر سبل الولادة

تیسیر سبل الولادة * قال العلیم: قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَکْفَرَهُ (۱۷) مِنْ أَیِّ شَیْءٍ خَلَقَهُ (۱۸) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (۱۹) ثُمَّ السَّبِیلَ یَسَّرَهُ (۲۰) ثُمَّ أَماتَهُ فَأَقْبَرَهُ (۲۱) ثُمَّ إِذا شاءَ أَنْشَرَهُ (۲۲) [عبس: ۱۷- ۲۲]. قال ابن عباس رضی اللّه عنه، فی تفسیر الآیة ثُمَّ السَّبِیلَ یَسَّرَهُ: ثم یسّر علیه خروجه من بطن أمه، و کذا قال عکرمة و الضحاک و أبو صالح و قتادة و السدی و اختاره ابن جریر «۱». إذا أمعّنا النظر إلی الآیات الکریمات لوجدنا أنها فی مرحلة زمنیة یمرّ بها الإنسان ابتداء من خلقه کنطفة إلی أن یخرج من بطن أمه حتی یدرکه الموت «۲». إذا تتبعنا تاریخ الجنین بدء من وقت تلقیح الحیوان المنوی للنطفة إلی کماله و خروجه من رحم أمه لوجدنا أنه لو لا رحمة اللّه- سبحانه و تعالی- لم یکن لیخرج من هذا الرحم و ذلک لعدة أسباب: أولا: إن کمیة من المخاط تسد مدخل الرحم لکی تحفظه من البکتیریا الهاجمة من الخارج، إلا أنها تسقط عند ما یحین وقت خروج الطفل. ثانیا: إن هرمون (الرولاکسین NIXALER) الذی یفرزه المبیض و المشیمة یرخی مفاصل الحوض، کما أنه یرخی عنق الرحم.

(_____ ۱) تفسیر ابن کثیر للآیة ۲۰ من سورة عبس- (ج ۴/ ص ۴۷۲). (۲) و من المفسرین للقرآن الکریم من فسّر الآیة: ثُمَّ السَّبِیلَ یَسَّرَهُ (۲۰) [عبس: ۲۰] علی أنها تعنی: ثم یسّر له سبیل الهدی. و لکن نقول: أنه من الأولی أن تفسر الآیة علی أنها تشیر إلی تیسیر ولادة الطفل، و ذلک لأن النص القرآنی من سورة عبس یروی لنا مشهدا حسیّا لما یحصل لجسد الإنسان من تخلّق، و تحلل، و إعادة ترکیب، و لا یعتنی فی هذا المقام بالناحیة التکلیفیة المتعلقة بالاختیار للإنسان و بالتالی- التزاما بالسیاق القرآنی- تفسیر تیسیر السبیل علی أنه یشیر إلی تیسیر سبل ولادة الطفل أصوب و اللّه تعالی أعلم. کذلک فإن السیاق یتکلم عن الخروجات الأربعة التی یمرّ بها الإنسان فی حیاته، و هی أربعة لا غیر: ۱- خروجه من نطفة لقوله تعالی: مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ [عبس: ۱۹] عن طریق الولادة. ۲- خروجه جنینا مکتمل الخلق، و ذلک فی قوله عزّ و جلّ: ثُمَّ السَّبِیلَ یَسَّرَهُ [عبس: ۲۰] (و هذا التفسیر لا ینفی القول الثانی). ۳- خروجه من الدنیا و دار التکلیف و من الحیاة، و ذلک فی قوله: ثُمَّ أَماتَهُ فَأَقْبَرَهُ [عبس: ۲۱]. ۴- خروجه إلی دار البقاء و الحیاة الآخرة الأبدیة للجزاء و الحساب، و ذلک فی قوله: ثُمَّ إِذا شاءَ أَنْشَرَهُ [عبس: ۲۱]. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۹۵ ثالثا: إن الهرمونات التی تحفظ استقرار الجنین داخل الرحم تنقطع فترعزع وجود الجنین و تهیئه للخروج. رابعا: إن تقلصات الرحم تبدأ فی منطقة الرحم العلیا المؤلفة من عضلات التقلص کما أن التقلصات تکون منتظمة بحیث تکون خفیفة فی البدء ثم تشتد متقاربة، و هکذا تدفع بالجنین إلی خارج الرحم بسهولة و بطریقة آمنة. فلو أن الرحم انقبض دفعة واحدة لکان معناه الموت المحتم لعدم إمکانیة خروج المولود بالحال، و لنقص ورود الدم إلیه عبر المشیمة. خامسا: «إن غشاء المشیمة یتمدد فی وقت الحمل و یتسرب فی عنق الرحم مما یؤدی إلی توسع عنق الرحم. و بعد هذا ینفجر الغشاء المشیمی و یخرج ماؤه الذی یؤهل طریقا یساعد الجنین علی الانزلاق من عنق الرحم» «۱». و من المعلوم أن عنق الرحم عادة لا یتسع دخولا لأکثر من إصبع صغیر و أما فتحة المهبل فلا تتسع دخولا لأکثر من ثلاثة أصابع. سادسا: إن سلسلة من التغیرات تطرأ علی وضع المولود تسهل خروجه عبر تجویف الحوض؛ لأن قناة الولادة تشکل ممرا یصعب علی الجنین المرور فیه. تلک التغییرات هی: دوران داخلی، تمدد، إعادة و دوران خارجی، نزول، التواء «۲». (انظر الصورة رقم: ۱۱۷). سابعا: إن زوایا الحوض تنفرج لتجعل ما بین الرحم و قناة المهبل سبیلا واحدا لیس فیه اعوجاج مما یسهل علی الجنین المرور فیه، و یکون الرحم عادة مائلا إلی الأمام بزاویة قدرها تسعون درجة تقریبا بالنسبة إلی قناة المهبل. ثامنا: إن حجم الجنین أکبر بکثیر من حجم مخرج الرحم، و هذا یعنی أن عملیة خروج الطفل من الرحم صعبة للغایة. و ما یسهل علیه عملیة الخروج هو ارتفاع معدل بعض الهرمونات فی دم الجنین، و لولاها لما تحمل الجنین الضغط الهائل الناجم عن عملیة الخروج، و عبارة الدکتور لارس هامبرغر «۳» تصور لنا هذه الحالة جیدا: «لن تفرز أبدا فیما بعد، فی حیاة الطفل، هذه الکمیة من الهرمونات المضادة للألم، و هذا یفیدنا عن مدی ألم الولادة، و عن مدی تهیئة الطفل للألم.

(_____ ۱) المؤتمر الطبی الإسلامی الدولی، الإعجاز العلمی فی القرآن، ۲۵/ ۹/ ۸۵ م: د. کیث مور. (۲) کتاب الإنسان النامی مع زیادات إسلامیة، د. کیث مور، ص ۱۲۰ أ. (۳) کتاب ولد طفل، لارس هامبرغر، ص ۱۵۱. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۹۶ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۹۷

توقیت أحداث التخلّقات فی القرآن و السنة

توقیت أحداث التخلّقات فی القرآن و السنة إذا جمعنا نصوص الکتاب و السنة وجدنا أن بعضها یکتمل الآخر، مع أن هذه النصوص قد نزلت مفرقة فی الزمن و فی مواضعها من الکتاب الکریم، و الحکمة التی تقف وراء تفریق الآیات التی تتکلم عن تخلّق الجنین و بالتالی عن الآیات الکونیة فی مواضع مختلفة هی: ۱- إن الآیات الکونیة ذکرت فی مواضع مختلفة و محدّدة من القرآن الکریم لوجود مناسبة لذلک، فذکرت الآیات التی تتکلم عن الزلازل- علی سبیل المثال- فی المواضع التی تتکلم عن البعث. ۲- إن العلم التفصیلی للظواهر الکونیة لیس من مقاصد الوحی، فالآیات الکونیة هی سبیل للوصول إلی الهدایة، و القرآن الکریم إنما یتکلم عن الکائنات استطرادا للاستدلال علی صفات اللّه، و أسمائه الحسنی، و بالتالی لیس القصد هو البحث التفصیلی عن صفات الکائنات، و تبویب و ترتیب الآیات القرآنیة وفق هذا المنهج، و ذلک لأن ذلک البحث متروک للإنسان نظرا لاطراد السنن الکونیة، و الطبیعة التراکمیة للمعرفة العلمیة، و إنما تذکر الآیة الکونیة، و یذکر فیها دقیق صنع الظاهرة الکونیة، و الحکمة من وراء وجودها للتدبّر، و للوصول إلی الحقیقة المطلقة، و هی معرفة صفات اللّه عزّ و جلّ. ۳- إن الآیات الکونیة لو جمعت فی موضع واحد لتعذّر فهمها قبل تحصیل جمیع مستلزمات البحث العلمی. و لعل هذا التفریق هو سبب من الأسباب التی لا بد منها لکشف حقیقة تخلّق الجنین فی المستقبل، کما أنبأنا سبحانه و تعالی فی محکم آیاته: خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِیکُمْ آیاتِی فَلا تَسْتَعْجِلُونِ (۳۷) [الأنبیاء: ۳۷]، فلا بد من تفریق الآیات الکونیة حتی نعطی کل واحدة حقّها فی البحث، و لا نستعجل فی فهمها علی ظاهرها، بل نتعمق فی دلالاتها، و لا نفرط فیها. فقد قال اللّه تعالی: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِیلًا (۱۰۶) [الإسراء: ۱۰۶]، و لا بد من مرور حقبة من الزمن، إضافة إلی تقدم العلوم الکونیة حتی نجمع الآیات و الأحادیث بالتدریج کما أشار إلیه إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۳۹۸ المولی عزّ و جلّ: لِکُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (۶۷) [الأنعام: ۶۷]، ضمن سلسلة متناسقة، تصبح واضحة للقارئ. و وصف مراحل تخلق الجنین بالتفصیل فی القرآن الکریم و السنة المطهرة هو إعجاز بحد ذاته نظرا لدقة التطورات التی تطرأ علی الجنین، و لکن تحدید الزمان لتلک التخلقات یزید من قوة الإعجاز العلمی. لو نظرنا إلی النصوص القرآنیة و الحدیثیة التی تتعلق بموضوع مراحل تخلق الجنین- و إن کان هذا الموضوع لیس ضمن سورة أو آیة واحدة أو حدیث واحد- لوجدنا أن بعض النصوص تحدد أزمنة أساسیة لمراحل تخلق الجنین، مثل حدیث الیوم السابع: «... فإذا کان یوم السابع، جمعه اللّه تعالی، ثم أحضر له کل عرق بینه و بین آدم، ثم قرأ: فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ (۸) [الانفطار: ۸]» [أخرجه الطبرانی ح ۲۱]، و حدیث الیوم الأربعین «إن أحدکم یجمع خلقه فی بطن أمه أربعین یوما، ثم یکون فی ذلک علقة مثل ذلک ...» [أخرجه مسلم ح ۴۳]، بحیث لو جمعنا هذه النصوص ضمن وحدة موضوعیة لرأینا أن هذه المراحل تنتظم بطریقة مرتبة تلفت نظر الباحث. و نبدأ بمراحل تخلق الجنین بالترتیب ابتداء من أول مرحلة إلی آخر المراحل و نقسّمها فیما یلی: * ثنتا عشرة مرحلة قبل الیوم السابع. * ثلاث مراحل ما بین الیوم السابع و الیوم الأربعین. * أربع مراحل ما بین الیوم الأربعین و أربعة أشهر و عشرة أیام. * ثلاث مراحل ما بین أربعة أشهر و عشرة أیام إلی الولادة. ۱- المرحلة الأولی: خروج مکوّنات الماء. فالمرحلة الأولی نستنتجها من النص القرآنی: خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ (۶) یَخْرُجُ مِنْ بَیْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ (۷) [الطارق: ۶- ۷]. ۲- المرحلة الثانیة: تخلق النطف فی وقت مبکر، و انتزاع عروقها لبعض الصفات المنتجبة. کما یظهر لنا فی الآیة: وَ هُوَ الَّذِی أَنْشَأَکُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَ مُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآیاتِ لِقَوْمٍ یَفْقَهُونَ (۹۸) [الأنعام: ۹۸]. إعجاز القرآن فی ما تخفیه

الأرحام، ص: ۳۹۹ و کما جاء فی الحدیث الشریف: «أن أعرابیا أتی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، فقال: ولدت امرأتی غلاما أسود، و إنی أنکرته، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: هل لک من إبل؟ قال: نعم. قال: فما ألوانها؟ قال: حمر، قال: هل فیها من أورق؟، قال: نعم. قال: فأنی هو؟ قال: لعله یا رسول اللّه یکون نزعه عرق له. قال له النبی صلّی اللّه علیه و سلّم: و هذا لعله یکون نزعه عرق له» [أخرجه مسلم ح ۶۵]. و فی روایة: و لم یرخص له فی الانتفاء منه. ۳- المرحلة الثالثة: دفق الماء. کما أشیر إلیها فی النص القرآنی: خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ (۶) یَخْرُجُ مِنْ بَیْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ (۷) [الطارق: ۶- ۷]. ۴- المرحلة الرابعة: علوّ بعض النطف علی الأخری. لما ورد فی الحدیث الشریف: «ماء الرجل أبیض، و ماء المرأة أصفر؛ فإذا اجتمعا فعلا منیّ الرجل منیّ المرأة أذکرا بإذن اللّه، و إذا علا منیّ المرأة منّی الرجل آنثا بإذن اللّه» [أخرجه مسلم ح ۹]. ۵- المرحلة الخامسة: التقاء التطفین الناتج عنها الخلق، و الإذکار أو الإیناث. کما فی قوله تعالی: إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ [الإنسان: ۲]. و کما فی حدیث الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم: «ماء الرجل أبیض، و ماء المرأة أصفر؛ فإذا اجتمعا فعلا منیّ الرجل منیّ المرأة أذکرا بإذن اللّه، و إذا علا منیّ المرأة منیّ الرجل آنثا بإذن اللّه» [أخرجه مسلم ح ۹]. ۶- المرحلة السادسة: هجرة النطفة المخصبة إلی الرحم. لما ورد فی النص القرآنی: خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ (۶) یَخْرُجُ مِنْ بَیْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ (۷) [الطارق: ۶- ۷]. و الحدیث الشریف: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «إذا وقعت النطفة فی الرحم بعث اللّه ملکا فقال یا ربّ: مخلّقة أو غیر مخلّقة؟ فإن قال: غیر مخلّقة مجّتها الأرحام دما، و إن قال: مخلّقة قال یا رب: فما صفة هذه النطفة؟» [رواه الطبری ح ۳۲]. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۰۰ ۷- المرحلة السابعة: اضطراب عروق النطفة. کما فی الحدیث الشریف: «إذا کان حین الولد اضطربت العروق کلها، لیس منها عرق إلا یسأل اللّه أن یجعل الشبه له» [أخرجه الحکیم الترمذی ح ۲۲]. ۸- المرحلة الثامنة: انصهار نواتی البویضة و الجیوان المنوی. لقوله تعالی: وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ مِنَ الْماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً وَ کانَ رَبُّکَ قَدِیراً (الفرقان: ۵۴). ۹- المرحلة التاسعة: اختلاط عروق النطفة و التقدیر. کما فی الآیة الکریمة: مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ [عبس: ۱۹]. و کما فی الحدیث الشریف: «إن اللّه تعالی اذا أراد خلق النسمة فجامع الرجل المرأة طار ماؤه فی کل عرق و عصب منها» [أخرجه الطبرانی ح ۲۱]. و کما فی الحدیث الشریف: «إذا کان حین الولد، اضطربت العروق کلها، لیس منها عرق، إلا یسأل اللّه أن یجعل الشبه له» [أخرجه الحکیم الترمذی ح ۲۲]. ۱۰- المرحلة العاشرة: انفلاق النطفة. کما فی الآیة الکریمة: إِنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوی یُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَیِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَیِّتِ مِنَ الْحَیِّ ذلِکُمُ اللَّهُ فَأَنَّی تُؤْفَکُونَ [الأنعام: ۹۵]. ۱۱- المرحلة الحادیة عشرة: وقوع النطفة فی الرحم و الإجهاض المبکّر. لقوله صلّی اللّه علیه و سلّم: «النطفة التی یخلق منها الولد ترعد لها ... العروق کلها إذا خرجت وقعت فی الرحم» [أخرجه الدیلمی ح ۲۳]. ۱۲- المرحلة الثانیة عشرة: مرحلة الحرث کما فی الآیة الکریمة: نِساؤُکُمْ حَرْثٌ لَکُمْ ... [البقرة: ۲۲۳]. ۱۳- المرحلة الثالثة عشرة (من الیوم السابع): جمع خلایا الجنین و استقرار و غیض النطفة فی الرحم. کما فی الحدیث الشریف: «... فإذا کان یوم السابع، جمعه اللّه تعالی، ثم أحضر له کل عرق بینه و بین آدم، ثم قرأ: فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ (۸) [الانفطار: ۸]» [أخرجه الطبرانی ح ۲۱]. و کما فی الحدیث الشریف: «النطفة إذا استقرت فی الرحم جاءها ملک فأخذها بکفه فقال أی ربّ: مخلّقة أو غیر مخلّقة؟ فإن قیل غیر مخلّقة، لم تکن نسمة، و قذفتها الأرحام دما» [أخرجه ابن أبی حاتم ح ۳۳]. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۰۱ و کما فی الآیة الکریمة: اللَّهُ یَعْلَمُ ما تَحْمِلُ کُلُّ أُنْثی وَ ما تَغِیضُ الْأَرْحامُ وَ ما تَزْدادُ ... [الرعد: ۸]. ۱۴- المرحلة الرابعة عشرة: ترکیب العلقة من خلال عجب الذنب، و ازدیاد الأرحام بالأجنة. کما قال اللّه تعالی: ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً [المؤمنون: ۱۴]. و کما ورد فی الحدیث الشریف: «کل ابن آدم یأکله التراب، إلا عجب الذنب، منه خلق و فیه یرکب» [أخرجه مسلم ح ۳۵]. و کما قال صلّی اللّه علیه و سلّم: «... فإذا کان یوم السابع، جمعه اللّه تعالی، ثم أحضر له کل عرق بینه و بین آدم، ثم قرأ: فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ (الانفطار: ۸)» [أخرجه الطبرانی ح ۲۱]. و کما فی الآیة الکریمة: اللَّهُ یَعْلَمُ ما تَحْمِلُ کُلُّ أُنْثی وَ ما تَغِیضُ الْأَرْحامُ وَ ما تَزْدادُ وَ کُلُّ شَیْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ [الرعد: ۸]. ۱۵- المرحلة الخامسة عشرة: تخلقات المضغة. کما نصّت الآیة الکریمة: فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً [المؤمنون: ۱۴]. و الآیة الکریمة: ثُمَّ کانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّی [القیامة: ۳۸]. ۱۶- المرحلة السادسة عشرة (من الیوم الأربعین): خلق العظام و التسویة و التصویر و الإقرار. لما ورد فی الآیة الکریمة: فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً [المؤمنون: ۱۴]. و کذا فی الحدیث الشریف: «إذا مر بالنطفة ثنتان و أربعون لیلة، بعث اللّه إلیها ملکا، فصوّرها، و خلق سمعها و بصرها و جلدها و لحمها و عظامها ثم قال: یا رب: أذکر أم أنثی؟» [أخرجه مسلم ح ۴۵]. و کذا فی الآیة الکریمة: ثُمَّ کانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّی [القیامة: ۳۸]. و کذا فی الآیة الکریمة: ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَیْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَیِّنَ لَکُمْ وَ نُقِرُّ فِی الْأَرْحامِ ما نَشاءُ إِلی أَجَلٍ مُسَمًّی ... [الحج: ۵]. ۱۷- المرحلة السابعة عشرة: کسو العظام باللحم، و التسویة، و التصویر. کما ورد فی الآیة الکریمة: فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً [المؤمنون: ۱۴]. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۰۲ و فی الآیة الکریمة: ثُمَّ کانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّی (۳۸) [القیامة: ۳۸]. و فی الحدیث الشریف: «إذا مر بالنطفة ثنتان و أربعون لیلة، بعث اللّه إلیها ملکا، فصورها، و خلق سمعها و بصرها و جلدها و لحمها و عظامها ثم قال: یا رب: أذکر أم أنثی؟ ...» [أخرجه مسلم ح ۴۵]. و کما ورد فی النص القرآنی: فَسَوَّی (۳۸) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَیْنِ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثی (۳۹) [القیامة: ۳۸- ۳۹]. و کما جاء فی الحدیث الشریف: عن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم، قال: «و کل اللّه بالرحم ملکا فیقول: أی ربّ: نطفة؟ أی ربّ: علقة؟ أی ربّ: مضغة؟ فإذا أراد اللّه أن یقضی خلقها، قال: أی ربّ: أذکر أم أنثی؟ أ شقی أم سعید؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فیکتب کذلک فی بطن أمه» [أخرجه البخاری ح ۹۸]. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۰۳ ۲۰- المرحلة العشرون (من أربعة أشهر و عشرة أیام): إحساس المرأة بحرکات الجنین. کما فی الآیة الکریمة: وَ الَّذِینَ یُتَوَفَّوْنَ مِنْکُمْ وَ یَذَرُونَ أَزْواجاً یَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْراً ... [البقرة: ۲۳۴]. ۲۱- المرحلة الحادیة و العشرون: أقل مدّة الحمل: ستة أشهر. لقوله تعالی: وَ حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً ... [الأحقاف: ۱۵]. و لقوله تعالی: وَ فِصالُهُ فِی عامَیْنِ ... [لقمان: ۱۴]. ۲۲- المرحلة الثانیة و العشرون: تیسیر سبل الولادة لقوله تعالی: ثُمَّ السَّبِیلَ یَسَّرَهُ (۲۰) ثُمَّ أَماتَهُ فَأَقْبَرَهُ (۲۱) [عبس: ۲۰- ۲۱]. فی النهایة نضع المراحل التی تحدثنا عنها ضمن جدول لیکون للقارئ صورة مجملة واضحة عن مراحل تکوین الجنین. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۰۴ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۰۵

المراحل، و الأطوار، و الأحداث الجنینیة التی ذکرتها النصوص الشرعیة

المراحل، و الأطوار، و الأحداث الجنینیة التی ذکرتها النصوص الشرعیة المرحلة لغة «۱»: المسافة التی یقطعها المسافر بیوم أو نحوه، و المنزل بین المنزلین ... و ما بین کل منهلین یسمی: مرحلة. و جاء فی تهذیب اللغة «۲»: ما بین المنزلین مرحلة. و فی مصطلح الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة (فی علم الأجنّة) المرحلة هی: الفترة الزمنیة التی تفصل بین نقطتین: أی بین نقطة تحوّل و نقطة تحوّل أخری. و نقطة التحول هذه تکون فی اتخاذ آلیة تخلّق جدیدة بحیث تحدث تغییرات داخلیة و خارجیة للجنین، فینتقل من خلالها من طبیعة إلی طبیعة أخری. و الطور لغة: هو الحال أو الهیئة «۳». و فی مصطلحنا الطور هو: الهیئة (أو الصورة) التی تظهر علی الجنین خلال مدّة زمنیة معینة. إذن لکل من التعریفین - «مرحلة» و «طور» - دلالة محددة، و إن خلطنا فی استعمالها فی هذا البحث فذلک لشیوع کلمة «مرحلة» علی الألسنة، و لأنها تعنی مسافة زمنیة علی وجه عام. و أما الحدث - فکما هو معلوم -: عملیة تقع للجنین فی فترة زمنیة معینة. لذا نحن أمام ثلاث مراحل أساسیة لتخلق الجنین یفصل بینها النص القرآنی: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِینٍ (۱۲) ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِی قَرارٍ مَکِینٍ (۱۳) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَکَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِینَ (۱۴) [المؤمنون: ۱۲ - ۱۴] بحرف العطف «ثم» «۴»، و یحددها علی النحو التالی:

_____ (۱) معجم متن اللغة، لأحمد رضا، (ج ۲/ ص ۵۶۴). (۲) تهذیب اللغة، للأزهری، (ج ۵/ ص ۶). (۳) المعجم الوسیط- مادة «طار»- (ج ۲/ ص ۵۶۹). (۴) لمزید من التفصیل انظر مبحث «الأسلوب القرآنی فی استخدام حرفی «ثم» و «الفاء» فی آیات علم الأجنة». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۰۶

۱- مرحلة النطفة المخصبة. ۲- مرحلة التخلیق. ۳- مرحلة النشأة. - المرحلة الأولی: و هی مرحلة النطفة المخصبة تبدأ من وقت تخصیب البویضة من قبل الحیوان المنوی و تنتهی عند نهایة فترة الحرث، و بدایة فترة الغیض. - المرحلة الثانیة: و هی مرحلة التخلیق تبدأ من بدایة طور العلقة (حسبما جاء فی النص القرآنی السابق ذکره)، و تنتهی عند نهایة طور الکساء باللحم. - المرحلة الثالثة: و هی مرحلة النشأة تبدأ من بدایة مرحلة التعدیل (أی عند انتهاء طور الکساء باللحم) و تنتهی عند بدایة الطلق. سبب تسمیة المراحل الثلاثة السابقة: ۱- مرحلة النطفة: سمیت بذلک لأن عملیات التخلق التی تحصل فی هذه المرحلة- أی الانفلاقات- لا تؤدی إلی تخلّق أجهزة محددة لها شکل معین تضفی علی النطفة شکلا جدیدا، لا من حیث المظهر الداخلی (فهی تظلّ کتلة نطف- أی کتلة قطرات صغیرة-)، و لا من حیث المظهر الخارجی (فهی قطرة کبیرة نسبیا)، بل و لا تخرج النطفة عن طبیعة القطرة، و عملیات التخلق التی تحصل لها تدور کلها حول تخلّق نطف صغیرة داخل نطفة کبیرة. ۲- مرحلة التخلیق: سمیت بمرحلة التخلیق لأن عملیة الخلق سمة خاصة لهذه المرحلة، فالمرحلة تشهد تکاثرا کبیرا للخلایا و ینشط فیها تخلّق الأعضاء (الیدین، الرجلین، القلب، الکبد ...)، کما أنه فی هذه المرحلة تظهر العظام و یکسی الجنین باللحم. و سوف نسمیها بمرحلة «خلق جسم الجنین» لأن هیکل الجنین و أعضاءه سوف تتخلّق فی هذه المرحلة. ۳- مرحلة النشأة: سمیت بالنشأة لأن سمة النمو تطغی فی هذه الفترة علی الأعضاء. و تنقسم مرحلة «خلق جسم الجنین» إلی ثلاث مراحل ثانویة، و هی: ۱- مرحلة جمع الجنین (و هی مرحلة سکت عنها النص القرآنی السالف ذکره و لکن ذکرها الحدیث: «إن اللّه تعالی إذا أراد خلق النسمة فجامع الرجل المرأة طار ماؤه فی کل عرق و عصب منها، فإذا کان یوم السابع، جمعه اللّه تعالی، ثم أحضر له إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۰۷ کل عرق بینه و بین آدم، ثم قرأ: فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ (۸) [الانفطار: ۸]» [أخرجه الطبرانی ح ۲۱]). ۲- مرحلة جمع خلق الجنین. ۳- مرحلة الخلق التصویری. - مرحلة جمع الجنین: سمّیت

بذلک لأن هناک آلیة واحدة تظهر فی هذه الفترة، ألا و هی جمع خلایا الجنین لتؤلف الهیکل الأساسی لجسم الجنین. - مرحلة جمع خلق الجنین: سمیت بذلک لأن تجمع خلایا الجنین ضمن أعضاء هی السمة المسیطرة فی هذه المرحلة. - مرحلة الخلق التصویری: سمیت بذلک لأن آلیة التصویر هی البارزة فیها، فتخلق العظام و اللحم- و إن کان تخلق عضوین جدیدین- غیر أنه عملیة تصویر فی نهایة الأمر، لأن الجنین ینتقل من خلال هذا التخلق من مظهر جنین عام إلی مظهر جنین إنسانی، و أما بالنسبة للسمع و البصر فإن عملیات التخلق التی تحدث لهما تصویریة أکثر من أنها هیکلیة. و لعلّ من الحکمة أن نضیف إلی المراحل المذکورة آنفا مرحلة لیست هی بمرحلة تخلق مادیة، و إنما هی مرحلة تحضیریة لتخلق الجنین، ألا و هی: مرحلة السلالة (أی مرحلة الحیوان المنوی و البویضة الغیر مخصبة) التی ذکرها القرآن الکریم فی قوله تعالی: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِینٍ (۱۲) ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِی قَرارٍ مَکِینٍ (۱۳) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً [المؤمنون: ۱۲- ۱۴]. و الإشارة هنا إلی أنها «من طین»- یعنی أنها طینیة الأصل- (فتکون وظیفة «من» هنا للجنس، بحیث تعنی: و لقد خلقنا الإنسان من سلالة مؤلفة من مواد طینیة) لا ینفی بأنها تنسل من محیط آخر غیر الطین (کما سنراه فی التفسیر اللاحق)- إن شاء اللّه-، و خصوصا أن هناک آیة أخری تشیر إلی المحیط الذی تنسل منه، و هی: ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ ماءٍ مَهِینٍ (۸) [السجدة: ۸]. و بذلک یکون القرآن ذکر مرحلة البویضة غیر المخصبة، ثم مرحلة البویضة المخصبة، و من ثم المراحل الأخری، و هذا تسلسل منطقی. و سمّیت هذه المرحلة بمرحلة السلالة لأن هذه المرحلة تسهّل و تمهّد الطریق للتخصیب، أی: للخلق کما یشیر إلیه معنی کلمة «سلالة». ورد فی لسان العرب «۱»: «سلل: السّل: انتزاع الشیء و إخراجه فی رفق، سلّه یسلّه سلّا و استلّه فانسلّ و سللته أسلّه سلّا ... و السلالة ما انسلّ من

(۱) لسان العرب لابن منظور- مادة «سلل»- (ج ۶/ ص ۳۳۸- ۳۴۰). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۰۸ الشیء ... و الانسلال: المضی و الخروج من مضیق أو زحام ... قال ابن بری: قوله سال السلیل بهم أی ساروا سیرا سریعا ... و سلّة الفرس: دفعته من بین الخیل، و فرس شدید السلة: و هی دفعته فی سباقه». فلو لاء عملیات الانسلال برقق من وسط إلی وسط آخر (أی من منی الرجل إلی وسط المهبل و الرحم)، و الانسلال من مضیق (مضیق عنق الرّحم)، و من زحام (زحام الحیوانات المنویة عند عنق الرّحم)، و السیر سریعا لملاقاة البویضة المخصبة (إلی ما هنالک من عملیات تسهیل)، لما کان بالإمکان أن یخصّب الحیوان المنوی البویضة المخصبة «۱»، و أن یبدأ الخلق بإذن اللّه. فکل هذه الأحداث لها سمة مشترکة (و هی سمة التسهیل و التدبیر المسبق لعملیة الخلق) و بالتالی تلزم أن نجمعها تحت مرحلة واحدة- مرحلة السلالة-. أما بالنسبة للأطوار: فلاحظ أن لدینا سبعة أطوار تخلق ذکرها القرآن الکریم و السنة النبویة الشریفة، و طور تمهیدی آخر. و الطور التمهیدی هو طور السلالة (أی طور: الحیوان المنوی و النطفة غیر المخصبة) و یأتی ضمن مرحلة السلالة: و سمّی بذلک لأن النطفة فیها لها هیئة السلالة من حیث المظهر و الحرکة و المحیط. جاء فی تاج العروس عن السلالة «۲»: «و أیضا السمکة الطویلة» «۳». و أما بالنسبة لأطوار التخلق فهی کالتالی: - طور النطفة المخصبة: سمّی بذلک لأن شکل و حرکة القطرة من الماء یغلب علی طابع البویضة. فشکل البویضة المخصبة شکل القطرة من الماء، و هذه البویضة لها خاصیة الانسیاب کما تساب القطرة من الماء علی السطح المائل. و من الجدیر بالذکر أن الأحداث التی تمر علی البویضة من وقت تخصیبها إلی وقت انغراسها (أی الانفلاقات المتوالیة و الانغراس) لا تفقدها الشکل المستدیر الذی تتمیز به القطرة. فبالرغم من انقسام النطفة فی داخلها إلی خلایا متعددة، فإن مظهرها لا یتغیر عن مظهر القطرة، لأنها تملک غشاء سمیکا یحفظها و یحفظ مظهر النطفة فیها، و حتی بعد أن تتخلص النطفة من غشائها بفترة وجیزة، أی خلال الفترة الأولی من

(۱) لمزید من التفاصیل راجع مبحث «النطفة/ السلالة». (۲) القاموس المحیط لمجد الدین محمد- مادة «سلل»- ص: ۱۳۱۲. تاج العروس لمحمد مرتضی- مادة «سلل»- (ج ۱۴/ ص ۳۵۰). (۳) لمزید من التفاصیل راجع مبحث «النطفة/ السلالة». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۰۹ انغراسها، یظل مظهر القطرة غالبا علیها من جراء تماسک الخلایا بعضها ببعض: لذلک سمّی مظهر البویضة المخصبة فی هذه الفترة بطور النطفة. - طور العلقة: سمّی بذلک لأن شکل العلقة- أی شکل الدودة التی تعلق علی الدواب- یغلب علی الجنین. - طور المضغة: سمّی بذلک لأن الجنین یشبه فی هذه الفترة المادة التی لاکتها و مضغتها الأسنان. - طور العظام: سمّی بذلک لأن صورة العظام تظهر علی الجنین. - طور اللحم: سمّی بذلک لأن اللحم یکسو الجنین. - طور الجلد: سمّی بذلک لأن الجلد یکسو اللحم. - طور الإذکار أو الإناث: لأن جنس الجنین یظهر فی هذه الفترة: ذکرا أو أنثی. أما بالنسبة للأحداث الجنینیة، فهی العملیات التی تقع للجنین، و التی لا تؤدی إلی تغییر رئیسی لطبیعته و لا لشکله إذا اعتبرت منفصلة، غیر أن مجموعها قد یؤدی إلی إضفاء مظهر جدید للجنین و مثالها: انتشار عروق البویضة المخصبة، انفلاق البویضة المخصبة، انغراسها ... إلخ، و نحن نعددها فی الرسم التوضیحی الذی نورده فی الصفحة التالیة (انظر صورة رقم: ۱۱۸)، و الذی یعطینا فکرة عن المراحل و الأطوار و الأحداث الجنینیة التی جاء ذکرها فی النصوص الشرعیة: إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۱۰ ۱۱۸- المراحل، و الأطوار، و الأحداث الجنینیة (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۱۱

الأسلوب القرآنی فی استخدام حرفی «ثم» و «الفاء» فی آیات علم الأجنة

اشارة

الأسلوب القرآنی فی استخدام حرفی «ثم» و «الفاء» فی آیات علم الأجنة فی هذا المبحث سوف نتحدث عن مغزی استعمال حرفی العطف «ف» و «ثم». فتناول هنا بعض الآیات فی مجال «تخلق الجنین» و التی ورد فیها استعمال حرفی العطف «ف» و «ثم» و هی: * النص القرآنی الأول: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِینٍ (۱۲) ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِی قَرارٍ مَکِینٍ (۱۳) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَکَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِینَ (۱۴) [المؤمنون: ۱۲- ۱۴]. * النص القرآنی الثانی: قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَکْفَرَهُ (۱۷) مِنْ أَیِّ شَیْءٍ خَلَقَهُ (۱۸) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (۱۹) ثُمَّ السَّبِیلَ یَسَّرَهُ (۲۰) ثُمَّ أَماتَهُ فَأَقْبَرَهُ (۲۱) [عبس: ۱۷- ۲۱]. * النص القرآنی الثالث: یا أَیُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّکَ بِرَبِّکَ الْکَرِیمِ (۶) الَّذِی خَلَقَکَ فَسَوَّاکَ فَعَدَلَکَ (۷) فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ (۸) [الانفطار: ۶- ۸]. * النص القرآنی الرابع: أَ لَمْ یَکُ نُطْفَةً مِنْ مَنِیٍّ یُمْنی (۳۷) ثُمَّ کانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّی (۳۸) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَیْنِ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثی (۳۹) [القیامة: ۳۷- ۳۹]. إن «ثم» حرف عطف، و هی للترتیب و التراخی «۱». و حرف العطف «الفاء» یدل علی الترتیب و التعقیب «۲».

النص القرآنی الأول:

النص القرآنی الأول: النص القرآنی الأول یشیر إلی ثلاث مراحل تخلق أساسیة (تحدّثنا عنها بإطناب فی المبحث السابق «المراحل، و الأطوار، و الأحداث الجنینیة التی ذکرتها النصوص الشرعیة»):

(۱) کتاب معجم القواعد النحویة، عبد الغنی الدقر، ص ۱۷۹. (۲) معجم القواعد النحویة، عبد الغنی الدقر، ص ۳۳۶. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۱۲ ۱- مرحلة النطفة المخصبة. ۲- مرحلة التخلیق. ۳- مرحلة النشأة. و مرحلة تحضیریة هی مرحلة السلالة. استعمل حرف العطف «ثم» فی الآیة الأولی ثلاث مرّات: مرة للفصل بین مرحلة السلالة و النطفة، و مرة للفصل بین مرحلة النطفة و مرحلة التخلیق، و مرة للفصل بین مرحلة التخلیق و مرحلة النشأة. فی المرّة الأولی: استعمل هذا الحرف للدلالة علی أن هناک فترة غیر وجیزة نسبیا للانتقال من مرحلة السلالة، إلی مرحلة النطفة الأمشاج فی القرار المکین. فإذا اعتبرنا أن إنزال الرجل یحصل فی الوقت نفسه من خروج البویضة غیر المخصبة من المبیض فیکون بدایة مرحلة السلالة هو یوم إباضة المرأة «۱». و التلقیح یحتاج عندئذ إلی حوالی یوم، و من ثم فإن انتقال البویضة المخصبة من الثلث الوحشی لقناة فالوب إلی الرّحم فوقوعها فیه یستغرق ستة أیام. و بالتالی فإن مجموع الأیام التی تحتاجها السلالة لتصبح نطفة أمشاج- أی نطفة مخصبة- فی الرّحم هو سبعة أیام، و هی مدّة زمنیة طویلة نسبیا بالنسبة للفترات الزمنیة التی یحتاجها الجنین للانتقال من طور إلی آخر- کما سنری- تستوجب أن یستعمل حرف العطف «ثم» فی هذا الموضع من الآیة. فی المرة الثانیة: استعمل هذا الحرف للدلالة علی انقضاء فترة زمنیة معینة، و للدلالة علی التحول البطیء من مرحلة النطفة الأمشاج إلی مرحلة العلقة. و تفسیر ذلک: أن الانتقال من النطفة إلی العلقة یستلزم المرور بمرحلة الجمع (أی جمع خلایا الجنین). فی هذه المرحلة تحتاج الکتلة الداخلیة للکرة الجرثومیة أسبوعا علی الأقل لکی تتمیز و تتعلق بواسطة ساق موصلة (فینطبق علیها تسمیة العلقة لظهور الساق الموصلة، و إن لم یظهر علیها صورة العلقة بعد)، و یومین لتبدأ (العملیات الظهریة SESSECORP LADROHCOTON) فتطاول الکتلة الداخلیة، و تقرب صورتها من

(۱) قد یبدأ قبل ذلک بکثیر إذا اعتبرنا أن مرحلة السلالة تبدأ بإنزال الرجل منیه فی مهبل المرأة، لأن الحیوانات المنویة تستطیع أن تعیش خمسة أیام إلی ستة قبل أن تلقح البویضة، غیر أننا نفضل أن نعتبر خروج البویضة هو نقطة البدایة، لأنه لولاها لما حصل التلقیح، فالخلق. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۱۳ صورة العلقة (فیکون مجموع الأیام الذی یحتاجه الجنین لکی تظهر علیه صورة العلقة ۱۰ أیام: من الیوم ۷ إلی الیوم ۱۶)، و هذه المدة طویلة غیر مستهان بها فی الإطار الزمنی للانتقال من طور إلی آخر، لذلک استعمل حرف العطف «ثم»، و ذلک للدلالة علی التراخی. کذلک من وظائف حرف العطف «ثم»- کما سنراه لاحقا فی هذا المبحث- هو أن هذا الحرف یصرف الأنظار إلی صیرورة الشیء، و هنا إلی صیرورة النطفة، أی أن النطفة لا تصبح تشبه العلقة إلا فی نهایة المطاف. یقول الرضی: ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً [المؤمنون: ۱۴] نظرا إلی تمام صیرورتها علقة «۱». و بالفعل فإن الساق التی تصل الکتلة الداخلیة للنطفة بطانة الرّحم لا تبدأ بالظهور إلا فی حوالی الیوم الثالث و العشرین، أی بعد حوالی مرور أسبوع من تعلّق النطفة بظاهر بطانة الرّحم. و لا تبدأ العملیات الظهریة التی تؤدی إلی تطاول الکتلة الداخلیة إلا فی الیوم السادس إلی السابع عشر لتظهر بعدها علی شکل علقة فی الیوم الثامن إلی التاسع عشر، أی فی نهایة مدّة التحویل «۲». فی المرة الثالثة: استعمل حرف العطف «ثم» لیفید أن مرحلة النشأة تأتی بعد طور الکساء باللحم علی التراخی فی الزمن فی صورة تدریجیة. فالنشأة تستغرق وقتا طویلا لکی ینمو الجنین (۲۸ أسبوعا) و هذا ینطبق علی وظیفة حرف العطف «ثم». إلی ذلک فإن معانی کلمة «نشأ» لا تبدأ فی الوضوح إلا فیما بعد، کما أن نمو بعض الأعضاء یظهر بعد فترة، مثل نمو الشعر و الأظافر، و تهاجر الأمعاء إلی داخل البطن فی الأسبوع الحادی عشر «۳»، و تبدأ

الحرکات الإرادیة (مثل حرکات العین) فی الأسبوع الرابع عشر «۴». و لذلک فإن التحوّل إلی «الخلق الآخر» من خلایا تنشئه، تدریجی، متفرّق، و لا یتحقق بأکمله إلّا بعد مرور فترة من الوقت.

(_____ ۱) شرح الرضی لکافیة ابن الحاجب، ق ۲، م ۲، ص ۱۳۱۴. (۲) و من هنا نفهم أیضا أن إشارة بعض الباحثین الکرام أن طور العلقة یبدأ عند تعلّق النطفة بظاهر بطانة الرّحم- أی عند وقوعها علی سطح الرّحم و عند ما تبدأ عملیة الحرث- غیر مستحب، لأنه لا ینسجم مع وظیفة حرف العطف «ثم»، ذلک لأن بدایة عملیة الحرث تقع فی بدایة مدّة التحویل و لیس فی آخرها. (۳) کتاب الإنسان النامی، د. مور و بارسو، ص ۱۱۲. (۴) کشف (بیرنهولز ZLOHNRIB) عام ۱۹۸۱ م بواسطة (التخطیط بالأشعة الطویلة YHPARGONOSARTLU) تحرکات بطیئة للعینین فی الأسبوع الرابع عشر (کتاب الإنسان النامی، د. مور وبارسو، ص ۱۱۲). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۱۴ نفید فی هذا الخصوص أن المنظار هنا منظار نسبی، فطور الکساء باللحم یحتاج لأسبوع حتی تظهر ملامحه جلیة، بینما تحتاج النشأة لأسابیع (۲۸ أسبوعا)، و هکذا تکون فترة طور الکساء باللحم فترة وجیزة إذا ما قورنت بفترة النشأة، و تحتم بذلک استعمال حرف العطف «ثم». و أما فی فترة التخلیق فالغایة هی- و الله أعلم-: الترکیز علی تلاحق العملیات. فهذه المرحلة تشهد تکاثرا سریعا للخلایا، و العملیات التخلیقیة تتم بسرعة کبیرة فی فترة ما یسمی بفترة (تخلق الأعضاء SISENEGONAGRO)، و نظرا لسرعة العملیات التی تحصل فی تلک المراحل، و تلاحقها خلال فترات متعاقبة وجیزة، فقد استعمل حرف العطف «ف» ففترات الانتقال بین تلک الأطوار المذکورة فترات وجیزة متعاقبة بعضها وراء بعض؛ إذا ما قورنت بفترة انتقال النطفة إلی العلقة، و بفترة النمو فی مرحلة النشأة. فالانتقال من العلقة إلی المضغة «۱» یستغرق یومین (الیومان: ۲۵- ۲۶)، و مظهر المضغة بدأت تظهر ملامحه فی فترة العلقة لظهور التخطیط، غیر أن مظهر المضغة لم یغلب علیه، و من خلال ظهور الفلقات فی نهایة مرحلة العلقة (أی فی الیومین ۲۳- ۲۴) یکتسب الجنین خصائص المضغة، و بالتالی فإن الطورین غیر منفصلین تماما. و نظرا لاتصال الطورین و التحول السریع من طور إلی طور آخر کان من الضروری استعمال حرف العطف «ف». کذلک الانتقال من طور المضغة إلی طور العظام سریع، و الطوران متداخلان. ففی فترة المضغة تبدأ الخلایا التی ستتمایز إلی خلایا غضروفیة (بالتکشف NOITASNEDNOC) فی الأسبوع الخامس. و فی الأسبوع السادس (أی فی طور المضغة) (تفرز حول نفسها المنبت العضوی للغضاریف «۲» NOITACIFIRDNOHC (. و فی نهایة الأسبوع السادس و بدایة الأسبوع السابع (أی فی بدایة طور العظام) یکون الأنموذج الغضروفی قد ظهر «۳». و هکذا لا یکاد طور المضغة ینتهی حتی یغلب علی الجنین مظهر العظام، و لذلک استعمل حرف العطف «ف». کذلک یأتی طور الکساء باللحم عقب طور العظام مباشرة و التحوّل الزمنی لا (_____ ۱)

کتاب علم الأجنة فی ضوء الکتاب و السنّة، هیئة الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، ص ۷۶. (۲) کتاب الإنسان النامی، د. مور و بارسو، ص ۴۲۰. (۳) کتاب الإنسان النامی، د. مور و بارسو، ص ۴۲۰. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۱۵ یذکر، و الطوران متداخلان، و ذلک لأن الخلایا التی ستتمایز إلی خلایا العضلات تنشأ مع الخلایا التی ستتمایز إلی خلایا غضروفیة. و فی بدایة الأسبوع السادس، فی فترة تمایز خلایا النسیج الأوسط إلی خلایا غضروفیة (أی فی طور المضغة)، تنتقل خلایا العضلات بعیدا عن الفلقات «۱» لتنمو. و فی نهایة الأسبوع السابع (أی فی نهایة طور العظام) یمکن ملاحظة تمایز واضح للعضلات «۲». و هکذا ما یلبث طور العظام أن ینتهی حتی یغلب علی مظهر الجنین مظهر العضلات و اللحم، و لذلک استعمل حرف العطف «ف». نفهم من کلامنا السابق أن حرف العطف «ثم» جاء للدلالة علی التراخی فی الزمن للمرحلة حتی تکتمل المرحلة المعینة (أو للطور المعین حتی یکتمل) أو للدلالة علی أن هناک فاصلا بین المراحل (أو الأطوار) المتعاقبة، و أن حرف العطف «ف» جاء للدلالة علی التواصل بین الأطوار (أو المراحل) و سرعة تعاقبها، و تصدیقا لکلامنا جاء فی هذا الخصوص فی فتح الباری النص التالی «۳»: «و قد رتب الأطوار فی الآیة بالفاء لأن المراد أنه لا یتخلل بین الطورین طور آخر، و رتبها فی الحدیث بثم إشارة إلی المدة التی تتخلل بین الطورین لیتکامل فیها الطور». و جاء فی عمدة القاری «۴» باب غسل المنی: «فإذا ثبت جواز التراخی فی المعطوف یجوز أن یتخلل بین المعطوف و المعطوف علیه مدة ...». و قال ابن مالک فی ألفیة النحو «۵»: و الفاء للترتیب بأتصال و ثمّ للترتیب بانفصال.

النص القرآنی الثانی:

النص القرآنی الثانی: و من المنطلق نفسه نلحظ فی النص القرآنی الثانی أنه استعمل حرف العطف «ثم» بین فترة التقدیر و الولادة للدلالة علی أن هناک زمنا طویلا بین عملیة التقدیر و عملیة الولادة (و هو تسعة أشهر)، و کذلک یقال عن عملیة الولادة و نهایة العمر (_____ ۱) کتاب علم الأجنة فی ضوء الکتاب و السنّة، هیئة الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، ص ۱۰۰. (۲) کتاب علم الأجنة فی ضوء الکتاب و السنّة، هیئة الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، ص ۱۰۳. (۳) فتح الباری شرح صحیح البخاری- کتاب القدر- رقم الحدیث ۶۵۹۴- (ج ۱۱/ ص ۴۸۴). (۴) عمدة القاری للعینی- کتاب الوضوء- باب غسل المنی و فرکه و غسل ما یصیب من المرأة- (ج ۳/ ص ۱۴۶). (۵) شرح ابن عقیل علی ألفیة ابن مالک- للهمدانی- باب عطف النّسق- (ج ۲/ ص ۲۰۹). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۱۶ و أما استعمال حرف العطف «الفاء» فی هذا النص، الذی تختلف وظیفته عن حرف العطف «ثم»، فإنه استعمل لأن الفترة بین التخلیق و التقدیر فترة قصیرة متعاقبة (أقل من ۳۰ ساعة) «۱».

النص القرآنی الثالث:

النص القرآنی الثالث: یدلنا هذا النص علی ثلاث مراحل: مرحلة التخلق، و مرحلة التسویة، و مرحلة التعدیل، و قد فصل بینها بحرف العطف «ف». و قد استعمل حرف العطف «ف» بین المراحل هنا لوجود التعاقب السریع، لأنها تتوالی و تتعاقب بسرعة، بدون تراخ فی الزمن، حتی إنها تتداخل فیما بینها عند أطرافها. فعلی سبیل المثال: یستقیم الجنین فور انتهاء مرحلة التخلق (أی فی الأیام ۴۳- ۴۷) «۲» لیحقق معنی التسویة، و تبدأ مقاییس أعضاء الجنین (الیدان و الأرجل و الوجه) بالاعتدال فی بدایة الأسبوع التاسع «۳»، أی فور انتهاء مرحلة التسویة، کما أن ترسیم الجنین الذی قد ابتدأ فی مرحلة التسویة (مثل ظهور الجفون و إشعاعات الأصابع) «۴» یتواصل و یکتمل لیحقق معنی کلمة «عدل».

النص القرآنی الرابع:

النص القرآنی الرابع: یتحدّث النص القرآنی عن خمسة أطوار و مراحل: طور النطفة غیر المخطّطة، طور العلقة، طور التخلّق (و هو طور المضغة و سمّی بذلک لأن سمة تخلق الأعضاء فیه ظاهرة)، مرحلة التسویة، و طور الإذکار أو الإیناث. الطور الأول هو: طور النطفة غیر المخطّطة و ذلک لأن النص القرآنی حدّد أن النطفة هی: نُطْفَةً مِنْ مَنِیٍّ یُمْنی [القیامة: ۳۷]، أی أن النطفة جزء من المنی، و بالتالی لم تخطّط بعد. و بما أنها لم تخطّط بعد، فعلیها أن تخطّط، و من ثمّ أن تنفلق، و من ثمّ أن تمر بمرحلة جمع خلایا الجنین، قبل أن تصبح فیما بعد علقة، و هذا یستغرق وقتا (_____ ۱) کتاب الإنسان النامی، د. مور وبارسو، ص ۴۱. (۲) کتاب الإنسان النامی، د. مور وبارسو، ص ۹۱. (۳) کتاب الإنسان النامی مع زیادات إسلامیة، د. کیث مور، ص ۹۵: یتأخر نمو الرأس و یقصر طول الیدین ابتداء من ذلک الوقت. (۴) کتاب الإنسان النامی، د. مور وبارسو، ص ۹۱. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۱۷ طویلا- و بما أن هناک تراخیا فی الزمن للانتقال بین طوری النطفة غیر المخطّطة و العلقة، استعمل حرف العطف «ثم». و قد استعمل حرف العطف «ف» للانتقال بین طور العلقة و طور التخلق (طور المضغة)، و للانتقال بین طور التخلّق و مرحلة التسویة للأسباب التی ذکرناها فی النص القرآنی الثانی، و النص القرآنی الثالث. کذلک استعمل حرف العطف «ف» للانتقال بین مرحلة التسویة، و طور الإذکار أو الإیناث، و ذلک للتداخل بین أحداث الطور، و أحداث المرحلة، و لتواصل عملیات التمیز فیهما. فطور الإذکار أو الإیناث قد ابتدأ فی مرحلة التسویة، غیر أن التمیز الجنسی لم یظهر علی الجنین بعد، و ذلک لأن التمیز کان داخلیا. و التمیز الداخلی یبدأ بتمیز غدّتی التناسل علی شکل خصیتین. فتحت وطأة الصیغی (ص ۷) تمیز (الخیوط الأولیة الجنسیة SDROC XES YRAMIRP) (کفتیات منویة SELUBUT SUOREFINIMES) و یکون ذلک فی الأسبوع السابع «۱»، (أی فی طور العظام)، غیر أن الأعضاء التناسلیة الخارجیة تظل متشابهة تماما إلی الأسبوع التاسع، أی إلی نهایة مرحلة التسویة، و من ثمّ یبدأ التمیز الخارجی التدریجی إلی أن یصبح واضحا تماما فی الأسبوع الثانی عشر. و لتواصل عملیات الإذکار أو الإیناث، و لتداخل أحداث مرحلة التسویة و طور التمیز الجنسی، استعمل حرف العطف «ف». فالجنین أصبح داخلیا ذکرا أو أنثی قبل نهایة مرحلة التسویة، و لکن لم تظهر علیه علامات التمیز الجنسی إلا بعد هذه المدة. غیر أنه من الجدیر بالذکر أن التمایز الخارجی یطیء نسبیا، إذا ما قارناه بفترات الانتقال الأخری (مثل الانتقال من طور العلقة إلی طور المضغة، و الانتقال من طور المضغة إلی طور العظام ... إلخ). تنبیه: قد یتساءل قارئ الآیة: یا أَیُّهَا النَّاسُ إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاکُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَیْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَیِّنَ لَکُمْ [الحج: ۵] لما ذا ورد حرف العطف «ثم» بین مختلف الأطوار مع العلم أن النص (_____ ۱) کتاب الإنسان النامی مع زیادات إسلامیة، د. کیث مور، ص ۲۷۳- ۲۷۴. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۱۸ القرآنی الآخر قال: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِینٍ (۱۲) ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فی قَرارٍ مَکِینٍ (۱۳) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَکَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِینَ (۱۴) [المؤمنون: ۱۲- ۱۴] فأورد بین الأطوار حرف العطف «الفاء»؟. قبل أن نلقی الضوء علی هذا الأمر نودّ الإشارة إلی أنه لیس هناک فرق کبیر بین النصین، فالأطوار المذکورة فی الآیة رقم ۵ من سورة الحج هی ثلاثة أطوار فقط، و هذه جاء ذکرها فی سورة المؤمنون. و المتأمّل فی کلا النصّین یری الاختلاف فی طور المضغة فقط، و ذلک أن طور النطفة و طور العلقة عطفا علی ما قبلهما فی کلا النصّین بحرف «ثم». و لکن ما یمیّز آیة سورة الحج هو أن طور المضغة عطف فیها بحرف العطف «ثم» علی خلاف ما جیء به فی سورة المؤمنون، حیث عطف بحرف «الفاء». و لیس هناک أی تعارض بین الأمرین لا فی الأسلوب السیاقی و لا فی المعنی المتضمن لکلا الحرفین «ثم» و «الفاء». فالناظر المدقّق لسیاق الکلام القرآنی فی الآیة

التی ترکز علی استخدام حرف العطف «ثم» فی الأطوار- و لا سیّما طور المضغة- یفهم أنها تظهر موضوعا معینا، و هو موضوع النظر و التأمل فی حالة وجود شک لیوم البعث و الآخرة، لأن هذا النظر سیؤدیه إلی الإیمان بذلک بشرط الموضوعیة فی البحث. و المتأمّل لا یمکن له أن یتسرع فی نظره، لأنه قد یخطئ فی النتائج إن هو أسرع. و من منهجیة التأمل: التأنی فی النظر و التمهّل فی الاستنتاج. فالمطلوب فی الآیة هو النظر المتأنی الذی یوصل إلی الإیمان بالبعث، فناسب ذکر «ثم» التی تفید التراخی حتی یأخذ الباحث مهلة فی الفکر و النظر إلی أن یصل للنتیجة. و هکذا نحن مدعوون لأن ننظر إلی شکل الجنین فی حالة المضغة، و إلی ما یحدث له من عملیات دقیقة من تخلیق و عدم إتمام التخلیق، و نطابق المعطیات القرآنیة مع المعطیات العلمیة کما جاء فی الآیة: لِنُبَیِّنَ لَکُمْ. و نستنتج أن القرآن حق من عند اللّه تعالی و هذا یستوجب وقتا، لذلک استعمل حرف العطف «ثم»، و اللّه تعالی أعلم. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۱۹ أضف إلی ذلک أن من وظائف حرف العطف «ثم»: توجیه الأنظار إلی صیرورة الطور، علی عکس حرف العطف «ف» التی ترمی إلی ابتداء الطور، و بالتالی فعلینا أن ننظر إلی طور المضغة المذکور فی سورة الحج إلی نهایته حتّی یتضح لنا معناه جلیّا، علی عکس ما جیء به فی سورة المؤمنون، حیث علینا أن نتفکّر فی معنی طور المضغة اعتبارا من بدایته لیستقرّ المعنی علی أتمّ صورته. و یشرح لنا الرضی وظیفة حرفی العطف «ثم» و «الفاء» قائلا: «ثم اعلم أن إفادة الفاء للترتیب، لا ینافیها کون الثانی المترتب یحصل بتمامه فی زمان طویل، إذا کان أول أجزائه متعاقبا لما تقدم، کقوله تعالی: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِیفٌ خَبِیرٌ (۶۳) [الحج: ۶۳]، فإن اخضرار الأرض یبتدئ بعد نزول المطر، لکن یتم فی مدّة و مهلة، فجیء بالفاء، نظرا إلی أنه لا فصل بین نزول المطر و ابتداء الاخضرار، و لو قال: ثم تصبح، نظرا إلی تمام الاخضرار، جاز، و کذا قوله تعالی الأول: ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِی قَرارٍ مَکِینٍ (۱۳) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً [المؤمنون: ۱۳- ۱۴] نظرا إلی تمام صیرورته علقة، ثم قال: فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً [المؤمنون: ۱۴] نظرا إلی ابتداء کلّ طور، ثم قال: ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ [المؤمنون: ۱۴] إما نظرا إلی تمام الطور الأخیر، و إما استبعادا لمرتبة هذا الطور، الذی فیه کمال الإنسانیة، من الأطوار المتقدّمة» «۱». فإذا اعتبرنا طور المضغة فی بدایة أیامه نری أن الکتل البدئیة تظهر خجولة فی نهایة طور العلقة (حوالی الیوم الرابع و العشرین) حیث یکون عددها ما بین ۴ إلی ۱۲، و لکن سرعان ما تتضخّم و یزداد أعدادها بسرعة ابتداء من الیوم الخامس و العشرین إلی الیوم الثلاثین (بدایة طور المضغة)، حیث یرتفع عددها إلی ما بین ۳۰ إلی ۳۵، و من ثم تخف وتیرة ظهورها حیث یکتمل عددها فی تمام الیوم الخامس و الثلاثین، فیصبح عددها حوالی اثنین و أربعین. و من هنا نفهم لما ذا جاء طور المضغة معطوفا بحرف «الفاء» فی سورة المؤمنون، نظرا لأن الفلقات التی تضفی علی الجنین مظهر المضغة یترکّز ظهورها فی بدایة طور المضغة. أما فی سورة الحج، فقد جاء ذکر المضغة مع وصف لها مُخَلَّقَةٍ وَ غَیْرِ مُخَلَّقَةٍ کما ذکرناه فی مبحث «المضغة/ الوصف الداخلی»، و هذا یعنی أن کلا

(_____ ۱) شرح الرضی لکافیة ابن الحاجب، ق ۲، م ۲، ص ۱۳۱۴. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۲۰ الصفتین «مخلّقة» و «غیر مخلّقة» لازمتان للمضغة، و بالتالی فالمظهر المشار إلیه مقید بتلک الضّمتین، و لا یجب علینا أن ننظر إلیه إلا من هذه الزاویة. و کما أشرنا إلیه فی مبحث «الوصف الداخلی» المذکور آنفا: أن کلمة مُخَلَّقَةٍ وَ غَیْرِ مُخَلَّقَةٍ تعنی أن أعضاء المضغة تخلّقت، و لکن لم یکتمل تخلّقها أو صورتها بعد. فإذا أمعنّا النظر فی هذه المرحلة، تبین لنا أن أعضاء هذه المضغة کالیدین و الرجلین و العینین، و الأذنین، لا یبرز خلقها، و لا یظهر للعیان جلیّا إلا فی نهایة طور المضغة، أی فی الأیام الخمسة الأخیرة منها، حیث یظهر الکأس الحویصلی النظری، و یتخلّق هیکل الأذن الخارجی، و تتکوّن سوق الرجلین و الیدین جیّدا. أما إذا نظرنا إلی بدایة طور المضغة فهذه غیر واضحة و غیر متمیّزة للناظر المتأمل. (انظر الصورة رقم ۱۱۹). (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۲۱ و الدلیل علی أن الآیة ترید أن نصرف أنظارنا إلی نهایة طور المضغة هو: أن تمام التخلّق أو ترسیمه أو تصوّره علیه أن یتبع منطقیّا التخلّق غیر المکتمل. و بما أن تصویر و تسویة الجنین لا یکون إلا بعد اثنین و أربعین یوما، أی بعد المرحلة التی تلی مرحلة المضغة وفق الحدیث: «إذا مر بالنطفة ثنتان و أربعون لیلة بعث اللّه إلیها ملکا، فصورها و خلق سمعها و بصرها و جلدها و لحمها و عظامها، ثم قال: یا رب: أذکر أم أنثی؟» [أخرجه مسلم ح ۴۵]، فبالتالی نفهم أن تخلّق الجنین یجب أن یکون وصل فی نهایة طور المضغة إلی أقصی درجات التخلق التی تسبق ابتداء عملیة التصویر، و من هنا ساغ ذکر حرف العطف «ثم» فی الآیة رقم ۵ من سورة الحج. و من هنا توافق معنی الحدیث المذکور آنفا، و معنی نص سورة الحج، و وظیفة حرف العطف «ثم»، مع العلم الکونی و المنطق لیدلّ ذلک کلّه علی أن آیة سورة الحج تفصح بدقّة متناهیة عن حقائق علمیة غیبیة، من المستحیل أن یعلمها إنسان فی بیئة أمیّة إلا من خلال بحوث متتالیة باستعانة أدق الوسائل العلمیة، أو یوحی من الذی خلق الجسد الذی تصفه الآیة. کذلک کلما دقّقنا فی صیاغة آیة سورة الحج تبین لنا الحکمة من وراء ذکر حرف العطف «ثم» فی هذه الآیة و عدم ذکره فی آیة سورة المؤمنون، فالآیة ذکرت «إقرار الجنین» بعد ذکر المضغة، و کما نعلم من مبحث «الإقرار» فإن ثبات الجنین فی الرحم لا یکون إلا بعد مرور الفترة الحرجة من تخلّق أعضاء الجنین، (أی فی نهایة فترة المضغة)، و لو جاء ذکر إقرار الجنین فی آیة سورة المؤمنون بدلا من آیة سورة الحج مع وجود حرف العطف «ف» فیها لصرفت أنظار القارئین إلی بدایة تخلّق المضغة، و خصوصا أن وظیفة حرف العطف «الواو» الذی قرن بین طور المضغة و ظاهرة الإقرار فی قوله تعالی: وَ نُقِرُّ فِی الْأَرْحامِ [الحج: ۵] لا تدل علی التعقیب، و بالتالی لما صحّ ذکر إقرار الجنین فی هذا المقام لأن احتمال إجهاض الجنین عال فی بدایة فترة المضغة. و لو أبدلنا حرف العطف «الفاء» بحرف «ثم» لما استقام معنی آیة سورة الحج بتمامه. و من هنا نفهم أنه کان لا بد من ذکر حرف العطف «ثم» فی هذا المقام، و إنه لمن الإعجاز أن یحدّد الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم بوحی من اللّه تعالی الوقت الزمنی لبروز أعضاء المضغة فی مرحلة ضیّقة نسبیا (أسبوعین و نصف)، و یحدّد وصفها بشکل دقیق (أی بالمخلّق و غیر المخلّق)، فازداد الإعجاز إعجازا، و ازداد النور نورا، و ازدادت الدّقّة دقّة، حتی إنه کان باستطاعتنا أن نقول: إن القرآن الکریم یمکن أن یکون دلیلا مفصّلا لطلاب الجامعات المتخصّصین فی مجال «علم تخلّق الإنسان» لو لا أن اللّه إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۲۲ تعالی حدّد لنا أن القرآن أنزل للذکر کما جاء فی الآیة: وَ لَقَدْ یَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّکْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّکِرٍ (۱۷) [القمر: ۱۷]، و لیس کمادة دراسة تدرّس فی جامعات الطب، و ما هناک من أقسام للدراسة، فیا سبحان اللّه!!. فائدة: نلاحظ فی الآیة: هُوَ الَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ یُخْرِجُکُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّکُمْ ثُمَّ لِتَکُونُوا شُیُوخاً وَ مِنْکُمْ مَنْ یُتَوَفَّی مِنْ قَبْلُ وَ لِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّی وَ لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ [غافر: ۶۷] أن اللّه تعالی ذکر طوری النطفة و العلقة دون ذکر بقیّة أطوار الجنین، فما الحکمة من وراء ذلک؟ و الحال- کما یظهر لنا- أن هذه الآیة لا تضیف معلومات علمیة جدیدة إلی جانب المعلومات التی أشارت إلیها النصوص القرآنیة التی ذکرناها سابقا فی هذا البحث. و الجواب- و باللّه التوفیق-: أن المقام یقتضی أن لا تذکر بقیة الأطوار الجنینیة، و ذلک أن الآیة ترکّز علی إبراز مختلف المراحل الأساسیة التی یمر بها الإنسان- و لیس المراحل التی یمر بها الجنین-، و بالتالی فلا حاجة لذکر الأطوار الجنینیة، باستثناء طور العلقة الذی یمثّل بدایة مرحلة ترکیب جسد الجنین. و هکذا فإن الأطوار الإنسانیة تتلخص بذکر مرحلة التراب، و مرحلة النطفة، و مرحلة الجنین (من خلال ذکر مرحلة العلقة)، و مرحلة الطفولة، و مرحلة الشباب، و مرحلة الشیخوخة، و الموت، کمراحل ممیزة یمر بها الإنسان، تشکّل کل منها منعطفا أساسیا لحیاته. و بما أن موضوع الآیة یرکّز علی ذکر الأطوار الإنسانیة، و هذه المراحل متباعدة، فإن الأمر یقتضی ذکر حرف العطف «ثم»، الذی یفید الترتیب و التراخی، بحیث تتلاءم صیاغة الآیة مع موضوعها. فإذا تقرّر ذلک، فهمنا أن وظیفة هذا الحرف لا تنسجم مع ذکر بقیّة الأطوار الجنینیة التی تتعاقب بشکل متسارع. و لهذین السببین: الترکیز علی المراحل الإنسانیة، و استعمال حرف العطف «ثم»، کان لا بد من الاکتفاء بذکر طور العلقة، و هذا إن دلّ علی شیء فإنه یدل علی حبک و دقة صیاغة النصوص القرآنیة. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۲۳

اجتهاد غیر مصیب

اجتهاد غیر مصیب ذهب أکثر العلماء «۱» إلی أن نفخ الروح فی الجنین یتم بعد فترة مائة و عشرین یوما، و استدلوا بظاهر حدیث البخاری الذی ینص: عن عبد اللّه بن مسعود رضی اللّه عنه قال: حدثنا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم- و هو الصادق المصدوق- قال: «إن أحدکم یجمع خلقه فی بطن أمه أربعین یوما، ثم یکون علقة مثل ذلک، ثم یکون مضغة مثل ذلک، ثم یبعث اللّه ملکا فیؤمر بأربع کلمات و یقال له: اکتب عمله و رزقه و أجله و شقی أو سعید، ثم ینفخ فیه الروح» [أخرجه البخاری ح ۴۶]. و فسروه بأن جمع الخلق یکون فی أربعین یوما، و أن مرحلة العلقة تکون فی الأربعین الثانیة، و أن مرحلة المضغة بعد العلقة تکون فی الأربعین الثالث، ثم ینفخ الروح بواسطة الملک بعد الأربعین الثالثة التی هی مائة و عشرون یوما. فجعل هؤلاء العلماء عبارة «مثل ذلک» فی الحدیث تعود إلی «أربعین یوما» کأنه قیل: إن أحدکم یجمع خلقه فی بطن أمه أربعین یوما، ثم یکون علقة أربعین یوما، ثم یکون مضغة أربعین یوما، ثم یبعث اللّه ملکا فیؤمر بأربع کلمات و یقال له: اکتب عمله و رزقه و أجله و شقی أو سعید، ثم ینفخ فیه الروح ...، فعندها تکون کل مرحلة من المراحل الثلاثة عند من قال بها (الجمع- و العلقة- و المضغة) أربعین یوما. و الأمر نفسه فی تفسیر حدیث مسلم: قال رسول اللّه- صلی اللّه علیه و علی آله و سلم-: «إن أحدکم یجمع خلقه فی بطن أمه أربعین یوما، ثم یکون فی ذلک علقة مثل ذلک، ثم یکون فی ذلک مضغة مثل ذلک، ثم یرسل إلیه الملک فینفخ فیه

(_____ ۱) قال ابن حجر فی فتح الباری شرح صحیح البخاری- کتاب القدر- رقم الحدیث ۶۵۹۴- (ج ۱۱/ ص ۴۸۴): «اتفق العلماء علی أن نفخ الروح لا یکون إلا بعد أربعة أشهر»، و کذا ذکر النووی فی شرح مسلم- کتاب القدر- باب کیفیة الخلق الآدمی- رقم الحدیث ۱- (ج ۸/ ص ۴۴۸). و الحقیقة أنه لم یکن هناک إجماع فی هذه القضیة. فقد خالف ابن الزملکانی المتوفّی عام ۶۵۱ ه- جمهور العلماء فی ذلک، ففی کتابه «البرهان الکاشف عن إعجاز القرآن»، ص ۲۷۵، یظهر أن اسم الإشارة (مثل ذلک) لا یصح إعادته إلی الأربعین یوما و لا إلی بطن الأم فیتعین أن یعود اسم الإشارة علی جمع الخلق لا علی الأربعینات. انظر کتاب «علم الأجنة فی ضوء الکتاب و السنة» لرابطة العالم الإسلامی ص ۱۵۰. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۲۴ الروح و یؤمر بأربع کلمات ...» [أخرجه مسلم ح ۴۳]، حیث یعود اسم الإشارة «فی ذلک» إلی بطن الأم، و «مثل ذلک» إلی مدة الأربعین یوما، کأنه قیل: إن أحدکم یجمع خلقه فی بطن أمه أربعین یوما، ثم یکون فی ذلک البطن علقة أربعین یوما، ثم یکون فی ذلک البطن مضغة أربعین یوما ثم یرسل إلیه الملک فینفخ فیه الروح و یؤمر بأربع کلمات ... و مما ساهم فی فهم الحدیث علی النحو الذی أشرنا إلیه سابقا هو: وظیفة حرف العطف «ثم»؛ الترتیب و التراخی، فتبعا لوظیفتها علی «العلقة» أن تتبع زمنیا «جمع الخلق»، و علی «المضغة» أن تتبع «العلقة». و هنا لک اجتهاد آخر یخالف اجتهاد العلماء

السابقین، و هذا لاحتمالیة تفسیر الحدیث بعدّة أوجه، فبعد هذا الحدیث ظنی الدلالة من حیث المفهوم. فتفسیر النص یکون أن جمع الخلق فی أربعین یوما، و العلقة یجتمع خلقها فی تلک الأربعین، و المضغة أیضا یجتمع خلقها فی تلک الأربعین، فیکون جمع الخلق فی مرحلتین: الأولی العلقة، و الثانیة المضغة، و کلاهما فی أربعین یوما. و لیس جمع الخلق هو مرحلة من المراحل الثلاثة کما قالها العلماء السابقون- رحمهم اللّه-. و لکن الذی یتبع معنی «یجمع خلقه» فی اللغة العربیة یظهر له أنها بمعنی: یحکم و یتقن «۱»، فالبیان لهذا المعنی یعطی صورة واضحة لمعنی الحدیث، حیث یغیر مجریات تفسیر الجمهور، و لا یفسّر الحدیث إلا من أطر اللغة العربیة التی تحدد المعانی لکل النصوص القرآنیة و الحدیثیة.

(۱) قال کمال الدین بن عبد الکریم الزملکانی فی کتابه «البرهان الکاشف عن إعجاز القرآن»، ص ۲۷۵: «معنی یجمع فی بطن أمّه، أی یحکم و یتقن خلقه و یتمم من قولهم رجل جمیع أی مجتمع الخلق» و یشهد لذلک ما ذکره ابن الأثیر فی جامع الأصول (رقم الحدیث ۸۰۱۵- ج ۱۰/ ص ۴۸۲): «رجل جمیع، أی مجتمع الخلق، قوی، لم یهرم و لم یضعف»، «و هو مذکور فی حدیث الشفاعة عند قول الحسن البصری: لقد حدثنی و هو جمیع منذ عشرین سنة». انظر فتح الباری- کتاب التوحید- باب کلام الرب عزّ و جلّ یوم القیامة مع الأنبیاء و غیرهم- رقم الحدیث ۷۵۱۰- (ج ۱۳/ ص ۴۷۴). و لقد رأینا فی مبحث «المضغة» أن «جمع الخلق» یشیر إلی جمع خلایا الجنین عن تفرقة فی أعضاء مختلفة فی الجنین، تجعل منه إنسانا متکاملا من حیث المحتوی (و إن لم یکن بین المظهر لعامة الناس)، و هذا یعنی أن الجنین یحکم و یتکامل من حیث المبنی، و بالتالی فإن معنی «یحکم و یتقن» یتفق مع المعنی الظاهر لجملة «یجمع خلقه». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۲۵ فالحدیث یذکر الإتقان و الإحکام فی ابتدائه، ثم بعد ذلک ما یلبث إلا و یشرحهما بأنهما العلقة و المضغة. فمعنی الحدیث أن الجنین یجمع خلقه، أی یتقن و یحکم فی مدة أربعین یوما، ثم بعد ذلک شرح الحدیث هذا الجمع: ثم یکون علقة، ثم یکون مضغة. و نظیر ذلک فی کلام العرب: إن الإنسان یتغیر فی الدنیا مدة عمره، ثم تشرح تغیّره فتقول: ثم یکون رضیعا، ثم فطیما، ثم یافعا، ثم شابا، ثم کهلا، ثم شیخا، ثم هرما، ثم یتوفاه اللّه بعد ذلک. و ذلک من باب ترتیب الإخبار عن أطوار الإنسان التی ینتقل فیها مدّة بقائه فی الدنیا. و هکذا فإن وظیفة «ثم» هی ترتیب الإخبار عن أطوار الجنین، و لیس الترتیب و التراخی بین الخبر قبلها و الخبر بعدها، و ذلک لوجود قرائن عدیدة- إضافة إلی ما ذکرناه سابقا- تفید أن کلمة «ثم» لا تدل علی ترتیب المخبر عنه فی الحدیث السابق الذکر. و مثال ذلک قوله تعالی: وَ أَنَّ هذا صِراطِی مُسْتَقِیماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِکُمْ عَنْ سَبِیلِهِ ذلِکُمْ وَصَّاکُمْ بِهِ لَعَلَّکُمْ تَتَّقُونَ (۱۵۳) ثُمَّ آتَیْنا مُوسَی الْکِتابَ تَماماً عَلَی الَّذِی أَحْسَنَ وَ تَفْصِیلًا لِکُلِّ شَیْءٍ وَ هُدیً وَ رَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقاءِ رَبِّهِمْ یُؤْمِنُونَ (۱۵۴) [الأنعام: ۱۵۳- ۱۵۴]، فمن المعلوم أن وصیة اللّه لنا فی القرآن جاءت بعد کتاب موسی علیه السّلام. و علی هذا یکون معنی حدیث ابن مسعود: إن أحدکم یجمع خلقه فی بطن أمه أربعین یوما، ثم یکون فی ذلک علقة (أی ثم یکون جمع خلق- أو إتقان- العلقة فی ذلک العدد من الأیام و هو أربعون یوما) مثل ذلک (أی مثلما اجتمع خلقکم فی الأربعین)، ثم یکون فی ذلک مضغة (أی ثم یکون جمع خلق- أو إحکام- المضغة فی ذات الأربعین یوما) مثل ذلک (أی مثلما اجتمع خلقکم فی الأربعین)، ثم یرسل إلیه الملک و یؤمر بأربع کلمات ... و هذا یعنی أن العلقة و المضغة متساویتان فی مسمی الإتقان و الإحکام، لا- فی خصوصه، فهما محکمتا الخلق مثلما أن الإنسان محکم بعد الأربعین یوما. و علی هذا فکلمة اسم الإشارة «فی ذلک» فی الحدیث ترجع إلی العدد، أی إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۲۶ إلی ذات العدد الذی هو أربعون یوما، و کلمة «مثل ذلک» فی الحدیث ترجع إلی جمع الخلق، فنصب «مثل ذلک» علی المصدر، لا علی الظرف. و الذی یدعم حجتنا (و هی أن اسم الإشارة «فی ذلک» فی الحدیث ترجع إلی العدد)، هو ما ورد فی أحادیث أخری عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم تثبت إرسال الملک الذی یؤمر بأربع کلمات ثم ینفخ فیه الروح بعد الأربعین، و الأحادیث هی التالیة: ۱- عن حذیفة بن أسید رضی اللّه عنه- یبلغ به النبی صلّی اللّه علیه و سلّم- قال: «یدخل الملک علی النطفة بعد ما تستقر فی الرحم بأربعین أو خمسة و أربعین لیلة، فیقول یا ربّ: أ شقی أو سعید؟ فیکتبان، فیقول أیّ ربّ: أذکر أو أنثی؟ فیکتبان، و یکتب عمله و أثره و أجله و رزقه ثم تطوی الصحف فلا یزاد فیها و لا ینقص». [أخرجه مسلم ح ۴۷] ۲- عن حذیفة بن أسید رضی اللّه عنه قال: سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم یقول: «إذا مر بالنطفة ثنتان و أربعون لیلة بعث اللّه إلیها ملکا، فصورها و خلق سمعها و بصرها و جلدها و لحمها و عظامها ثم قال: یا ربّ: أذکر أم أنثی؟ فیقضی ربک ما شاء و یکتب الملک، ثم یقول: یا ربّ: أجله؟ فیقول ربک ما شاء و یکتب الملک، ثم یقول: یا ربّ: رزقه؟ فیقضی ربک ما شاء، و یکتب الملک ثم یخرج الملک بالصحیفة فی یده فلا یزید علی ما أمر و لا ینقص» [أخرجه مسلم ح ۴۵]. و قد جاء فی نسخة لفظ «ثلاث و أربعون» عوضا عن ثنتین و أربعین. ۳- عن حذیفة بن أسید رضی اللّه عنه قال: سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم بأذنی هاتین یقول: «إن النطفة تقع فی الرحم أربعین لیلة ثم یتصوّر ...» [أخرجه مسلم ح ۴۸]. ۴- عن حذیفة بن أسید صاحب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم- رفع الحدیث إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم-: «أن ملکا موکلا بالرحم إذا أراد اللّه أن یخلق شیئا بإذن اللّه لیضع و أربعین لیلة ...» [أخرجه مسلم ح ۴۹]. ۵- عن جابر بن عبد اللّه رضی اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «إذا استقرت النطفة فی الرحم أربعین یوما أو أربعین لیلة بعث اللّه إلیها ملکا، فیقول: یا ربّ: ما رزقه؟ فیقال له ...» [أخرجه أحمد ۵۰]. فمن قال من العلماء إن إرسال الملک الذی یختص بکتابة الأجل و الرزق و الشقاء و السعادة ثم نفخ الروح یکون بعد مائة و عشرین یوما، فقوله ینقض بالأحادیث الصحیحة الدالة علی أن الإرسال یکون بعد الأربعین. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۲۷ و الدلیل الفاصل الذی یثبت ما ذهبنا إلیه، أن النص المجمل یبقی علی إجماله حتی یأتی نص آخر مبیّن، فیحمل علیه و هذا حسب القواعد الأصولیة. و کلمة «مثل ذلک» فی الحدیث لفظ مجمل یحتمل أن یرجع إلی جمع الخلق، أو بطن الأم، أو أربعین یوما. فما الشیء الذی یبین ذلک؟ و القضیة واضحة مثل الشمس، فإن حدیث حذیفة: «إذا مرّ بالنطفة ثنتان و أربعون لیلة بعث اللّه إلیها ملکا فصورها، و خلق سمعها و بصرها و جلدها و لحمها و عظامها ثم قال: یا ربّ: أذکر أم أنثی؟ فیقضی ربک ما شاء و یکتب الملک ...» [أخرجه مسلم ح ۴۵] قد قطع کل احتمال و جعله احتمالا واحدا لا یتعدد من خلال بیان هذا المجمل، حیث منع إعادة «مثل ذلک» إلی أربعین یوما لأن النطفة و العلقة و المضغة لا تتعدی اثنین و أربعین یوما کما هو النص عن حذیفة. و یمتنع أیضا إعادتها إلی بطن الأم، لأن تکراره فی الحدیث لا یفید معنی جدیدا، و التکرار إذا لم یفد معنی جدیدا یکون حشوا فی الکلام کما عند علماء البلاغة، و حدیث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم بعید عن ذلک، بل هو أفصح من نطق بالضاد، و یغدو الترکیب غریبا عن العربیة. و إذا کان اسم الإشارة فی الحدیث لا یصح إعادته إلی الأربعین یوما و لا إلی بطن الأم فیتعیّن- بناء علی ذلک- أن یعود اسم الإشارة «مثل ذلک» علی جمع الخلق، لا- علی الأربعینات، و هو ما توصل إلیه العالم ابن الزملکانی «۱» فی القرن السابع الهجری. و تقوی حجّتنا من خلال النص القرآنی الواضح الذی یدلّل علی أن خلق العظام یکون بعد طور المضغة، یقول اللّه تعالی: فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً ... [المؤمنون: ۱۴] و خلق العظام ثابت فی الحدیث الشریف بعد اثنین و أربعین یوما لما فی صحیح مسلم: «إذا مرّ بالنطفة ثنتان و أربعون لیلة، بعث اللّه إلیها ملکا فصورها، و خلق سمعها و بصرها و جلدها و لحمها و عظامها ثم قال: یا ربّ: أذکر أم أنثی؟ ...» [أخرجه مسلم ح ۴۵] فیتبین لنا أن المضغة نشأتها فی مدة الأربعین یوما کما هو مدلول النص القرآنی، و الحدیث النبوی الشریف. فاتجاهات النصوص الشرعیة التی جعلناها دلیلا لمسألتنا تفسر نص البخاری

(۱) البرهان الکاشف عن إعجاز القرآن، لابن الزملکانی، ص ۲۷۵. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۲۸ فی جمع الخلق علی النحو الذی فسرناه، و إلا حدث التعارض البیّن بین النصوص، و شریعتنا منزهة عن مثل هذا التخبط. و نعطی صورة توضح هذا التعارض: فمن فسّر حدیث البخاری بأن جمع الخلق فی الأربعین الأولی، و العلقة فی الأربعین الثانیة، و المضغة فی الأربعین الثالثة، یجعل المضغة بعد ثمانین یوما لأنها فی الأربعین الثالثة. فیلزم أن خلق العظام یکون بعد مائة و عشرین یوما، أی: بعد انتهاء مدة المضغة التی تنتهی فی الأربعین الثالثة. و هذه معارضة صریحة لما فی حدیث مسلم أن خلق العظام یکون بعد الأربعین یوما: «إذا مرّ بالنطفة ثنتان و أربعون لیلة، بعث اللّه إلیها ملکا فصورها، و خلق سمعها و بصرها و جلدها و لحمها و عظامها ...» [أخرجه مسلم ح ۴۵]. و آخر مطافنا فی الأدلة علی هذه القضیة، أن المجمل لا- بد له من مسائل إیضاحیة تبیّن المراحل فی الإجمال. فالمجمل له وسیلتان: الوسیلة الأولی: هی وجود نص بیّن یظهر الإجمال. الوسیلة الثانیة: وجود وسیلة علمیة یقینیة توضح هذا المجمل. فالوسیلة الأولی قد ذکرناها فی بحثنا هذا آنفا، أما الوسیلة الثانیة: فإن المعطیات العلمیة الیقینیة تثبت ما قلناه و تکشف الآلات الحدیثة کل شیء عن الجنین من طریق مصوّر منذ دخول النطفة الرحم إلی ولادة الطفل. فالعلم أقرّ بأن هناک ثلاث مراحل أساسیة تحدث فی الأربعین الأولی: فالجنین یکون نطفة مؤلفة من خلایا فی بادئ الأمر (إلی یوم السابع)، و من ثم تجمع خلایا الجنین ضمن قرص جنینی داخل النطفة (ما بین الیوم السابع إلی الیوم الثالث عشر)، و من ثمّ یتحول القرص الجنینی إلی علقة، و تخرج النطفة عن مظهرها (ما بین الیوم الخامس عشر إلی الرابع و العشرین)، و من ثم تتحول العلقة إلی مضغة (ما بین الخامس و العشرین إلی الاثنین و أربعین یوما تقریبا). و المفهوم الأول للحدیث الشریف الذی ینص علی أن کل مرحلة من مراحل الجنین تحصل خلال أربعین یوما یتعارض مع تلک الحقائق. فالجنین فی الیوم العشرین أو الثلاثین أو التاسع و الثلاثین، لا یمکن وصفه علمیا کقطرة ماء، و یختلف فی شکله و حجمه عنها علی وجه القطع، و الجنین فی الیوم الستین أو السبعین أو التاسع و السبعین، لا یمکن وصفه علمیا أنه علی شکل الدودة التی تعیش فی البرک إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۲۹ و تمتص الدماء، أو أنه یظهر علی شکل قطعة دم رطبة و جامدة، حیث یکون الجنین فی هذه الفترة قد تشکّل و تطور و تمّ خلق جمیع أعضائه، و الجنین بعد الیوم الثمانین، و إلی الیوم المائة و العشرین، لا یمکن وصفه بحال بأنه مضغة لا شکل فیها و لا تخطیط، أو أنه مخلق و غیر مخلق، حیث تکون جمیع أجهزة الجنین قد تخلقت، و الجنین نفسه فی منتهی الحیویة و النشاط و یمارس جمیع حرکاته و انفعالاته. و یتبین لنا من هذا التعلیق أن العلم الحدیث، الذی قفز قفزات نوعیة، یطابق القرآن و حدیث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم بشکل یقینی، و لا یمکن أن یتعارض معه، و بالتالی لا یمکن تجاهل الوسائل العلمیة الیقینیة لتبیان المجمل من النصوص الشرعیة، إن أشکل علینا التوفیق بینها. و بعد: فیتضح لنا أن الأحادیث الواردة متفقة علی ذکر الأربعین، و لکن مختلفة فی القدر ما بعد الأربعین بعض الأیام، فهناک روایات تنص علی أربعین و أخری تنص علی اثنین و أربعین و أخری علی ثلاث و أربعین و أخری علی خمسة و أربعین و أخری تجمل هذا و تزید. فتنص علی بضع و أربعین یوما، و معنی البضع من ثلاثة إلی تسعة فی اللغة العربیة، و هذا لا ینافی الناحیة العلمیة، لأنه من الطبیعی أن تختلف الأجنة و یختلف نموها، و العدد المذکور فی النص إنما هو تقریبی و لیس للتحدید. و بعد هذا البحث کله نصل إلی أن الفتوی التی تجیز إسقاط الجنین قبل مائة و عشرین یوما لأن الملک لم

ینفخ الروح فی الجنین کلام غیر صحیح، و أن إسقاط الجنین قبل مائة و عشرین یوما و بعد أربعین یوما یعدّ قتل نفس لأن الملک یکون قد نفخ فی الجنین الروح، و الشریعة الإسلامیة تمنع منعا جازما هذا الفعل لقول اللّه تعالی: وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِی حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ... [الإسراء: ۳۳]. و یجب أن یصدر حکم من کل المؤتمرات الإسلامیة و المجامع الفقهیة و من کل فقیه مجتهد مستقل، و کل مفت رسمی بتحریم الإسقاط بتاتا بعد مدة الأربعین و قبل مدة المائة و عشرین یوما و بعدها، و أی تفریط من هذا الجانب یعدّ تفریطا شرعیا کبیرا و خرقا لحق الإنسان، و اعتداء علی الإنسانیة جمعاء «۱».

(۱) و لیس هذا فحسب، بل هناک

مسائل کثیرة یمکن أن تدخل فیها هذه المسألة، و یتکرر النداء مرة أخری لکل فقیه أن یتأمل ملیا فی معطیات هذا العلم المکتشف لتصح فتواه، فإذا کانت الروح قد نفخت بعد أربعین یوما فالجنین بعدها إنسان، تنطبق علیه جمیع أحکام الإنسان الحی، فإذا سقط بعد الأربعین صلّی علیه، و إذا أسقط لزمت دیته، و یستحب- کما عند الجمهور أو یجب کما عند ابن حزم- دفع صدقة الفطر عنه جنینا، إذا مرّ علی حمله أربعون یوما کما مرّ. إلی غیر هذا من مسائل. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۳۰ و أما الإسقاط قبل الأربعین فإنه و إن لم ینفخ فی الجنین روح إلا أنه یعیش حیاة نباتیة و له القابلیة لأن یصبح إنسانا حیا فیما بعد، و لذلک یکره إسقاطه. و فی النهایة، نود التعلیق علی سؤال قد یسأله کثیر من الناس، أدی إلی إحداث خطأ فی فهم الحدیث الذی رواه ابن مسعود رضی اللّه عنه، و هو: لما ذا لم یذکر الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم طور النطفة فی هذا الحدیث؟ فها هو طور «العلقة» مذکور، و ها هو طور «المضغة» مذکور أیضا، و طور «النطفة» یأتی «زمنیا» قبلهما، فلم لم یذکر رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم ذلک الطور؟. و قبل الإجابة علی هذا السؤال، نشیر إلی أن هذا التساؤل قد حمل بعض العلماء إلی الاعتقاد أن الحدیث یتکلم عن طور «النطفة» لزوما، و عن طور «العلقة» و طور «المضغة» نصا، و قد أدی ذلک الفهم إلی إدراج کلمة «نطفة» فی بعض الأحادیث جمعا بین الأحادیث المختلفة التی تتکلم عن هذا الموضوع. و لقد رأینا فی هذا المبحث أن هذا الحدیث یفسّر علی النحو التالی: إن أحدکم یجمع خلقه فی بطن أمه أربعین یوما، ثم یکون فی ذلک علقة (أی ثم یکون جمع خلق العلقة فی ذلک العدد من الأیام و هو أربعون یوما) مثل ذلک (أی مثلما اجتمع خلقکم فی الأربعین)، ثم یکون فی ذلک مضغة (أی ثم یکون جمع خلق المضغة فی ذات الأربعین یوما) مثل ذلک (أی مثلما اجتمع خلقکم فی الأربعین)، ثم یرسل إلیه الملک، و یؤمر بأربع کلمات ... و هذا یعنی أن الکلام هنا یدور حول موضوع «جمع الخلق». و کما شاهدناه فی أکثر من مرّة- و اللّه أعلم- «۱»، لا یذکر الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم فی الحدیث إلا ما لزم من الأطوار، و یتعمد عن ذکر الأطوار التی لیس لها صلة مباشرة بالموضوع المتناول، أو التی لا ینطبق علیها الوصف المذکور فی الحدیث، و بالتالی نؤمن أن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم امتنع عن ذکر طور النطفة لأن معنی الحدیث یقتضی عدم ذکر طور «النطفة»، و الحدیث: «إن أحدکم یجمع خلقه فی بطن أمه أربعین یوما، ثم یکون فی ذلک علقة مثل ذلک، ثم یکون فی ذلک مضغة مثل ذلک ...» [أخرجه مسلم ح ۴۳] غایته لیست سرد و ترتیب جمیع الأطوار التی یمر بها الجنین، بل هی سرد و ترتیب الأطوار التی تحدث فیها ظاهرة «جمع الخلق»، و المتبع لمعنی «جمع الخلق» یفهم لما ذا لم یذکر الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم طور النطفة- و اللّه أعلم-، و ذلک للسبب التالی

(۱) انظر مبحث «إتمام الخلق».

إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۳۱ «جمع خلق» الشیء یقتضی- کما رأینا آنفا- جمع خلایا الشیء المقصود فی أعضاء مختلفة تعطی هذا الشیء الصورة التی تملیها علیها تسمیته، و هذا شرط علی الشیء أن یحققه، حتی یحق أن یطلق علیه صفة «مجموع الخلق». فمثلا: علی خلایا «المضغة» أن تجتمع فیما بینها حتی تؤلف أعضاء جدیدة لدی «المضغة» تعطیها صورة المضغة، فإن لم یکن هناک جمع للخلایا حتی تؤلف أعضاء مختلفة، لم یندرج هذا الطور تحت ظاهرة «جمع الخلق»، و کما رأینا فإن خلایا القرص الجنینی تنقسم، و من ثم تتمایز و تجتمع ضمن فلقات هی بمثابة طلائع للعظام و اللحم و الجلد، مما یعد جمعا أوّلیا للخلایا التی ستعطی فیما بعد الأعضاء ضمن فلقات تعطی الجنین مظهر «العلقة»، و لذلک یصدق أن نقول عن العلقة: «مجموعة الخلق»، و من ثمّ تتکاثر تلک الفلقات، و تتفکک و تهاجر خلایاها تدریجیا، و تجتمع مؤلفة الأیدی و الأرجل و سائر الأعضاء علی صورة براعم أولیة دون أن یفقد الجنین مظهر الفلقات، فتجتمع الخلایا من خلال هذه العملیات ضمن أعضاء مختلفة، مکسبة «العلقة» صورة «المضغة المخلقة و غیر المخلقة»، فیحق عندئذ أن یندرج الطور الجدید ضمن ظاهرة «جمع الخلق». و خلاصة القول: أنه فی هذین الطورین هناک خلق أعضاء عن طریق جمع خلایا، و صور جدیدة محدثة وفق هذا الجمع. أما فی حال نطفة الأمشاج، فلیس هناک جمع خلایا یؤدی إلی نشوء أعضاء جدیدة لدی النطفة تضفی علیها صورة النطفة، بل هناک تکاثر للخلایا فی اتجاهات مختلفة، لا یؤدی فی هذه المرحلة إلی تخلق أعضاء تعطیها صورة النطفة. و جمع الخلایا إلی قسمین الذی حصل داخل غلاف النطفة فی نهایة طورها لم یؤدّ إلی جمع أعضاء للنطفة، بل أدی إلی جمع شیء جدید: الجنین. و هذا إعجاز رائع یدل علی مدی دقة صیاغة الأحادیث الشریفة، حیث إنها تحتوی علی ما یلزم من المفردات، مما یجعل معنی الحدیث یتطابق بتفاصیله مع المعطیات العلمیة الیقینیة. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۳۲

رعایة الخلق: الرضاعة

اشارة

رعایة الخلق: الرضاعة یعتبر هذا البحث متمما لبحث الحضانة الرحمیة لأن الرضاعة لها علاقة وثیقة بعلم الوراثة الذی من شأنه أن یؤثر فی التکوین الإنسانی، و لها ارتباط بالنمو الجسمی للإنسان، و هذا النمو هو امتداد طبیعی لتخلق المولود، فبعد أن تحدثنا عن الحضانة الرحمیة نتحدث فی هذا البحث عن الحضانة الخارجیة، ألا و هی: الرضاعة. و الإسلام أعطی أهمیة کبری لهذا الموضوع، فإنه أمر الأم أن ترضع ولدها من لبنها لما یحتوی من غذاء له یماثله أی غذاء آخر. و هذه جملة آیات تشیر إلی موضوع الرضاعة: « قال اللّه تعالی: وَ الْوالِداتُ یُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَیْنِ کامِلَیْنِ لِمَنْ أَرادَ أَنْ یُتِمَّ الرَّضاعَةَ ... [البقرة: ۲۳۳]. « قال اللّه تعالی: فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَکُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَ أْتَمِرُوا بَیْنَکُمْ بِمَعْرُوفٍ وَ إِنْ تَعاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْری [الطلاق: ۶]. « قال اللّه تعالی: فَإِنْ أَرادا فِصالًا عَنْ تَراضٍ مِنْهُما وَ تَشاوُرٍ فَلا جُناحَ عَلَیْهِما ... [البقرة: ۲۳۳].

۱- نظام الرضاعة و تغذیة الطفل کما أقره الشرع الإسلامی:

۱- نظام الرضاعة و تغذیة الطفل کما أقره الشرع الإسلامی: لقد عرف استخدام لبن البقر فی تغذیة الطفل و نظام المرضعة «۱» من قدیم الزمان، و قد اشتهرت تلک الظاهرة منذ العهد الیونانی حیث کانت النساء تعطی أطفالهن للعبید لترضع المولود الجدید لفترة من الزمن، و من ثم کانت تعتمد علی لبن الأبقار فی تغذیة الطفل. و قد ظلّ نظام المرضع رائجا حتی نهایة القرن الثامن عشر، و من ثم بدأ بالتراجع إلی وقتنا الحالی بالرغم من التحقق من أهمیة لبن الثدی إلا أن المسلمین فی العالم المعاصر ما زالوا یفضلون الإرضاع من الأم اتّباعا لأمر دینهم

(۱) و نظام المرضعة هو أن یعهد المولود إلی امرأة غیر الأم لترضعه مقابل أجر یدفع لها. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۳۳ و قد أدّی هذا الحدث إلی ابتداع بنوک اللبن الإنسانی فی بعض أنحاء المدن الکبری و کان أولها فی بوسطن عام ۱۹۱۰ م. أما الاعتماد علی لبن الحیوانات فقد اتخذ منحی آخر بعد أن فحص میکروسکوپیا و بعد أن اکتشف أنه یختلف عن لبن الثدی فی تکوینه الکیمیائی. و قد حمل هذا الاکتشاف مصانع اللبن إلی إجراء تعدیلات علی لبن الأبقار لتقریبه من اللبن الإنسانی و ترویجه فی الأسواق. و فی خطوة لاحقة تمّ تجفیف لبن الأبقار و طرحه فی الأسواق، و قد واجهت هذه الخطوة مشکلات متعددة فأدخلت تعدیلات إضافیة علی اللبن المجفف. و قبل عهد الوحی کان نظام المرضعات رائجا أیضا حتی إن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم رضع من حلیمة السعدیة رضی اللّه عنها، و غیرها. و کان من شأن الشارع أن یثبت الأخلاق و العادات الحمیدة التی لها أثر إیجابی علی المجتمع، و أن یحرم الأخلاق و العادات التی تلحق الضرر علی المجتمع. و من العادات التی أقرّ بها الشرع و حثّ علیها هی الرضاعة الطبیعیة سواء کانت من المرأة التی وضعت المولود، أو من امرأة أخری تستطیع إرضاع المولود الجدید مع إعطاء الأولویة للأم فی الرضاعة «۱». و قد أوصی اللّه عزّ و جلّ الأمهات بإرضاع أطفالهن مدة سنتین ابتداء من ولادته لمن أراد إتمام الرضاعة فی الآیة الکریمة: وَ الْوالِداتُ یُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَیْنِ کامِلَیْنِ لِمَنْ أَرادَ أَنْ یُتِمَّ الرَّضاعَةَ [البقرة: ۲۳۳]. و فی حال وجود عسرات علی إرضاع الأم لطفلها فقد حثّ الشارع علی إرضاع الطفل من ثدی امرأة أخری فی قوله تعالی: وَ إِنْ تَعاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْری [الطلاق: ۶]. فالإسلام یضع الأولویة فی الإرضاع للأم، فإذا حدث ما یعیق إرضاعها اختارت امرأة مناسبة لإرضاع ولدها، و هذا بخلاف ما اعتاده العرب، فإنهم کانوا یرسلون المولود إلی البادیة إلی مرضعة ترضعه و تهتم به، و یفضلون لبنها علی لبن أم المولود، لأن ذلک یکوّن عند المولود النجابة و الفصاحة. فقد جاء فی السیرة النبویة «۲»: «ثم التمس عبد المطلب لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم المراضع علی عادة أهل مکة،

(۱) و قد جعل الإسلام نظاما خاصا فی موضوع الرضاعة، و رتب أحکاما علیها، و ستتکلم عنها فی الأبحاث عن الرضاعة التی ستلی- إن شاء اللّه-. (۲) کتاب مختصر الجامع فی السیرة النبویة، سمیرة الزائد، (ج ۱/ ص ۱۰۹). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۳۴ الذین کانوا یؤثرون إذا ولد لهم ولد أن یلتمسوا له مرضعة من البادیة، لیکون أنجب للولد و أفصح له». و فی حال ضاقت السبل علی الرضاعة الطبیعیة فعلی الأسرة المسلمة أن تنظر فی حالة الرضیع، و تبحث فی إمکانیة إرضاعه من مصادر أخری إن رأت أنّ تلک الخطوة لا تلحق الضرر به کما فی قوله تعالی: فَإِنْ أَرادا فِصالًا عَنْ تَراضٍ مِنْهُما وَ تَشاوُرٍ فَلا جُناحَ عَلَیْهِما [البقرة: ۲۳۳]. یقول ابن کثیر رحمه اللّه «۱» فی تفسیر الآیة المذکورة سابقا: «فإن اتفق والدا الطفل علی فطامه قبل الحولین، و رأیا فی ذلک مصلحة له، و تشاورا فی ذلک، و أجمعا علیه، فلا جناح علیهما فی ذلک ... و هذا فیه احتیاط للطفل ...». و هکذا فقد أعطی الشارع أولویة الإرضاع للأم، و أرسی أن البدیل للرضاعة من الأم هو الرضاعة من امرأة أجنبیة، و فی حال ضاقت السبل المذکورة علی رضاعة الطفل من النساء فقد سمح اللّه تعالی للأم أن تغذی طفلها من مصادر غیر إنسانیة مثل لبن الأبقار، إذا لم تلحق تلک الخطوة الضرر بالمولود. و هذا البحث قد لا یدلل علی معجزة علمیة إلا أنه یشیر إلی أن النظام الإسلامی فی غذاء الأطفال من جهة الإرضاع هو أفضل الأنظمة، و جاء الطب الحدیث یثبت هذه القضیة. و من المعلوم أن المجتمعات الغربیة قد اتجهت إلی تبدیل نظام الإرضاع من لبن الأم إلی نظام إرضاع اللبن المجفف، و بعد أن نتج من ذلک آثار سیئة متحققة من خلال الأبحاث الیقینیة، غیرت اتجاهها، و تحاول الآن الرجوع إلی الطبیعة، و إلی ما فطر اللّه

علیه الإنسان من استخدام إمکانیات ذاتیة و إنسانیة و هی الإرضاع من الأم. و فی هذا البحث سوف نتحدث عن الأسباب التی تعطی أفضلیة الإرضاع للأم، و عن الفرق بین لبن الأبقار و اللبن الإنسانی من الناحیة الکیمیائیة، و الآثار التی تترتب من اتخاذ تلک الخطوات.

۲- أفضلیة الرضاعة من الأم علی الرضاعة من المرضعات:

۲- أفضلیة الرضاعة من الأم علی الرضاعة من المرضعات: الآیتان اللتان تعطیان أفضلیة الرضاعة من الأم علی الرضاعة من المرضعات هما (_____: ۱) تفسیر ابن کثیر- (ج ۱/ ص ۲۸۴). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۳۵ * قال اللّه تعالی: وَ الْوالِداتُ یُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَیْنِ کامِلَیْنِ لِمَنْ أَرادَ أَنْ یُتِمَّ الرَّضاعَةَ ... [البقرة: ۲۳۳]. * قال اللّه تعالی: فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَکُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَ أْتَمِرُوا بَیْنَکُمْ بِمَعْرُوفٍ وَ إِنْ تَعاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْری [الطلاق: ۶]. و تفضیل رضاعة الأم علی الرضاعة من النساء الأخریات ینبع من أن اللبن الإنسانی یختلف بین امرأة و أخری «۱»، و هذا الاختلاف شأنه أن یکون مناسبا لحاجات الرضیع، و بالتالی فإن ثدی الأم هو الکفیل الوحید لرضاعة متکاملة. و هناک جانب آخر یضاف إلی الجانب الکیمیائی قلّما یتحدث عنه الناس، و هو الجانب العاطفی للرضاعة، فمن العوامل التی تساعد علی النمو السلیم للطفل العامل السیکولوجی (النفسانی)، فهذا من شأنه أن یساعد علی التوازن العاطفی لدی الطفل، و بالتالی علی نموه بنحو أفضل. و الحدیث التالی یلقی الضوء علی هذا الأمر: «عن محمد بن کعب القرظی أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم دخل علی أسماء بنت أبی بکر الصدیق حین ولد عبد اللّه بن الزبیر، فقال: أ هو هو؟ أ هو هو؟ فقیل: یا رسول اللّه: إن أسماء ترکت رضاع عبد اللّه لما سمعتک تقول: أ هو، فقال: أرضعیه و لو بماء عینیک ...» [أخرجه ابن عساکر ح ۹۵]. و الرضاعة من ماء العین متعذرة، و ذلک لقلّة ماء العین و صعوبة التقاطه، ناهیک أن هذا الماء مالح و لا یتلذذ به الطفل. لذا یتوجب علینا أن لا نأخذ بظاهر الحدیث، و أن نفسّره وفق الأدلّة اللغویة و العقلیة. و صیاغة الحدیث جاءت بصیغة المبالغة: «و لو ...». و هذا یعنی أن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم یحثّ السیدة أسماء علی إرضاع الصحابی عبد اللّه بن الزبیر رضی اللّه عنهم حتی و لو اقتضی الأمر بوضعه علی صدرها فقط. فالرضاعة من ثدیها، و الالتصاق الجسدی، و ما یتبعه من نظرات متبادلة، یولّد العلاقة بین الأم و طفلها فتشعر الأم بالسرور و یشعر الطفل بالطمأنینة. فمن معانی «لو»: أن تکون للتقلیل کما فی «الجنی الدانی فی حروف المعانی» «۲»، و مثل علی ذلک بقولهم: أعط المساکین و لو واحدا، و تأتی کذلک للمبالغة فی هذا التقلیل، کما فی: «تاج العروس» «۳»، و کما فی الحدیث: «عن جابر بن عبد اللّه رضی اللّه عنه أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم قال من بنی مسجدا للّه کمفحص قطاة أو أصغر بنی اللّه له بیتا فی الجنّة» [أخرجه ابن ماجة ح ۱۰۸] الذی حثّ المؤمنین علی إقامة المساجد حتی و لو کانت صغیرة جدا. جاء فی شرح سنن ابن ماجة للسندی: (قوله: «کمفحص قطاة» هو موضعها الذی تخیم فیه و تبیض، لأنها تفحص عنه التراب، و هذا مذکور لإفادة المبالغة فی الصغر، و إلا- فأقل المسجد أن یکون موضعا لصلاة واحد)، و هذا مثاله ما جاء فی الحدیث السالف الذکر، حیث بالغ فی الأمر بالإرضاع، و لو بماء العین الذی لیس بحلیب، من باب المبالغة فی الأمر بالإرضاع، و هذا أسلوب من أسالیب العرب، فی الحض علی الأمر بالشی ء، دون أن یقصدوا فعل ما جاء ظاهرا فی الخطاب، و إنما المراد هنا أن یکون الإرضاع و لو بقطرة حلیب، أو یوضع الطفل علی مکان الإرضاع لتثبیت الأمومة بین الأم و طفلها. و إلیک آراء الاختصاصیین فی مجال الرضاع: یقول د. علی التیتر: «یعتبر مدة فترة الرضاعة بالثدی إلی مدة تتراوح بین سنة و نصف و سنتین قاعدة فی کثیر من المجتمعات الریفیة. فإذا کانت الرضاعة تستمر هذه الفترة الطویلة، فالأرجح أن یرجع ذلک إلی ما تضفیه هذه الفترة من السرور و الرضا، و لیس لمجرد أنها واجب مفروض. فالاستجابة النفسیة للرضاعة، و ما یصحبها من تمدد لحلمة الثدی و التقلصات الرحمیة، تسبب إحساسا بالنشوة ...» «۴». و یقول د. لارس هامبرغر: «هناک أیضا فائدة عاطفیة عظیمة [فی الرضاعة]؛ لن تسنح للأم و طفلها فرصة أخری یتعرفان فیها بعضهما علی بعض، و یکونان علاقة متبادلة، مثلما یکون خلال الرضاعة» «۵».

(_____: ۱) الجنی الدانی فی حروف المعانی، للمرادی، ص ۲۹۰. (۲) رصف المبانی فی شرح حروف المعانی، للمالقی، ص ۲۹۲. (۳) تاج العروس للزبیدی، (ج ۱۰/ ص ۴۴۵). (۴) کتاب الرضاعة الطبیعیة، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، ص ۹۶. (۵) کتاب ولد طفل، لارس هامبرغر، ص ۱۷۱. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۳۷ و جاء فی الوجیز فی تغذیة الأطفال و الأولاد الصغار: «التغذیة من الثدی تثبت علاقة حمیمة و مفرحة بین الأم و طفلها» «۱». و من هنا نفهم لما ذا أوصت النصوص الشرعیة بأهمیة إرضاع الأم لطفلها، و إعطائها الأفضلیة فی الإرضاع، و لهذا تعتبر التوصیات الإسلامیة النموذج المثالی للاتباع.

۳- أفضلیة اللبن الإنسانی علی اللبن الحیوانی و المنتجات الصناعیة:

۳- أفضلیة اللبن الإنسانی علی اللبن الحیوانی و المنتجات الصناعیة: و الآیة التی تتحدث (بطریقة غیر مباشرة) عن أفضلیة اللبن الإنسانی علی المصادر الأخری هی: * قال اللّه تعالی: فَإِنْ أَرادا فِصالًا عَنْ تَراضٍ مِنْهُما وَ تَشاوُرٍ فَلا جُناحَ عَلَیْهِما [البقرة: ۲۳۳] و تفضیل اللبن الإنسانی علی اللبن الحیوانی ینبع من: أن الجهاز الهضمی للرضیع مهیأ لهضم و تمثیل لبن الأم. فهذا الجهاز یملک کل الخمائر اللازمة لهضم لبن الأم، و مقادیر هذه الخمائر مناسبة لمقادیر الأحماض الأمینیة الموجودة فی لبن الأم. أما لبن الأبقار فهو یحتوی علی عدد من الأحماض الأمینیة بمقادیر تزید من ثلاثة إلی أربعة أمثال مقادیر ما فی لبن الإنسان. (انظر الصورة رقم: ۱۲۱ فی الصفحات التالیة). و الکثیر من الخمائر اللازمة لتحلیل الأحماض الأمینیة المختلفة لا تکون موجودة بالصورة المطلوبة فی الأطفال حدیثی الولادة، و بذلک فإن الأطفال الذین یتغذون من لبن البقر قد یواجهون ارتفاعا فی نسبة الأحماض الأمینیة بالدم «۲»، و قد یؤدی ذلک إلی بعض أنواع القصور العقلی. و من المضاعفات السلبیة لارتفاع نسبة البروتینات فی لبن الأبقار علی جسم الرضیع: أن هذه البروتینات تتجبن (تترسّب) بسرعة فی معدة الرضیع بتأثیر العصارة

(_____: ۱) کتاب (الوجیز فی تغذیة الأطفال و الأولاد الصغار، مارغرات کامرون و انجف هوفاندر REDNAVFOH EVGNY DNA NOREMAC TERAGRAM NERDLIHC GNUOY DNA STNAFNI GNIDEEF NO LAUNAM)، ص ۸۴ (۲) کتاب الرضاعة الطبیعیة، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، ص ۱۰۹، بتصرف/ انظر أیضا کتاب تغذیة الطفل: الأساس الفیزیولوجی، منظمة الصحة العالمیة، ص ۲۶. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۳۸ المعدیة لاحتواء هذا اللبن علی نسبة عالیة من مجموعة الکازین «۱» مما یدفع الرضیع إلی القیء، بالإضافة إلی أن عدم امتصاصه یؤدی إلی تعفّنه و حدوث الإسهال «۲». (انظر الصورة رقم: ۱۲۱ فی الصفحات التالیة). إلی ذلک فإن المخ و الجهاز العصبی یمران بتغییرات سریعة خلال سنوات الطفولة الأولی، و الدهن مکون مهم من مکونات الجهاز العصبی و المخ النامی «۳»، و اللاکتوز ضروری لبناء (دهن اللبن SIDIPILOTCALAG) فی المخ النامی «۴»، و لبن الإنسان یختلف عن ألبان غالبیة الثدییات الأخری فی أنّ ترکیز اللاکتوز به أعلی «۵». و علیه فإن تناول لبن الأبقار و الحیوانات الأخری الذی یحتوی علی کمیة منخفضة من اللاکتوز بالنسبة إلی لبن الأم قد یکون له أثر سلبی علی صحة الطفل. کذلک یتحلّل سکر اللاکتوز فی أمعاء الرضیع إلی: سکر الجلوکوز و سکر الجالاکتوز. و سکر الجلوکوز یقوم بإمداد خلایا الجسم بالطاقة، کما أنه یساعد الکبد علی التخلص من السموم، و هو أیضا ضروری لإتمام حرق المواد الدهنیة، و کذلک لتکوین الأحماض الأمینیة التی تتکون منها البروتینات «۶». إضافة إلی ما ذکرناه فإن الدهن الموجود فی لبن الأم یختلف عن الدهن الموجود فی لبن الأبقار؛ فعلی سبیل المثال: یتکون أکثریة الدهن الموجود فی لبن الأم من الدهن ذات السلسلة الطویلة غیر المشبعة، أما دهن لبن الأبقار فهو یحتوی أکثر علی الدهن ذات السلسلة القصیرة أو المتوسطة المشبعة (مع أن أکثر الدهن الموجود فی لبن الأبقار من النوع ذات السلسلة الطویلة) «۷»، و طبیعة الدهن فی جسم (_____ ۱) یؤلف الکازین ۸۲٪ من إجمالی بروتینات اللبن البقری، بینما یؤلف ۴۰٪ فقط من بروتینات اللبن البشری (مجلة الإعجاز العلمی، العدد ۱۳، ص ۱۰). (۲) الرضاعة و الفطام فی الطب و القرآن، د. محمد کمال عبد العزیز، ص ۳۱. (۳) تغذیة الطفل: الأساس الفیزیولوجی، منظمة الصحة العالمیة، ص ۲۷ و ص ۷۴، بتصرف. (۴) کتاب الرضاعة الطبیعیة، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، ص ۱۴۱، بتصرف/ انظر أیضا کتاب تغذیة الطفل: الأساس الفیزیولوجی، منظمة الصحة العالمیة ص ۲۷، بتصرف. (۵) کتاب تغذیة الطفل: الأساس الفیزیولوجی، منظمة الصحة العالمیة، ص ۲۷، بتصرف. (۶) الرضاعة و الفطام فی الطب و القرآن، د. محمد کمال عبد العزیز، ص ۳۱. (۷) إن دهن اللبن الإنسانی طویل السلسلة یتکون بنسبة ۶۰ إلی ۷۰٪ من الدهن غیر المشبع، بینما ۶۰٪ من لبن الأبقار هو من الصنف المشبع (کتاب تغذیة الطفل: الأساس الفیزیولوجی، منظمة الصحة العالمیة، ص ۷۴). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۳۹ الرضیع تتوقف علی نوعیة الدهن فی غذائه. و قد أوضحت عینة لنسیج عند فحصها میکروسکوپیا تشابها کبیرا بین تکوین الأحماض الدهنیة و أحماض الغذاء، و هکذا فإن مخزون الدهن لدی أطفال الرضاعة الطبیعیة یختلف عن مخزون الدهن لدی الأطفال الذین یرضعون لبن الأبقار «۱». (انظر الصورة رقم: ۱۲۰). و بما أن المخ النامی و الجهاز العصبی یمران بتغییرات سریعة خلال السنوات الأولی، و بما أن الدهن مکون مهم من مکونات الجهاز العصبی فإن تناول لبن الأبقار أو أی لبن آخر یختلف فی ترکیبته الکیمیائیة عن لبن الأم قد یکون له آثار سلبیة علی صحة الطفل. (SC) کذلک یحتوی لبن الأبقار علی مواد معدنیة مرتفعة یصعب علی الطفل الرضیع استیعابها و تصریفها؛ مما یؤدی إلی ضمور و قصور فی الکلی فی حال تناولها الطفل الرضیع. (انظر الصورة رقم: ۱۲۱).

(_____: ۱) کتاب الرضاعة الطبیعیة، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، ص ۱۴۵- ۱۴۶، بتصرف. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۴۰ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۴۱ (SC) إضافة إلی ذلک فإن لبن الأم معقم، و هو غیر معرض للبکتیریا الموجودة فی الهواء، لأنه یخرج من ثدی الأم مباشرة إلی فم الرضیع، و هذا بخلاف حلیب الأبقار أو الحلیب الصناعی، فمهما عقمناه فإن الأوانی المنزلیة التی تستعمل

لتحضیره، مهما کانت نظیفة، فهی معرضة للبکتیریا الموجودة فی الهواء و الماء التی قد تلوثها و تلوّث بالتالی حلیب الأبقار. و قد حذرنا الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم من هذه البکتیریا التی تحدث الوباء فی حدیثه الشریف: «غطّوا الإناء و أوکوا السقاء، فإن فی السّنة لیلة ینزل فیها وباء لا یمرّ بإناء لیس علیه غطاء أو سقاء لیس علیه وکاء، إلا نزل فیه من ذلک الوباء» [أخرجه مسلم ح ۷۹]. و بذلک فقد سبق رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم العالم (لوی باستور ۱۸۹۵ -۱۸۲۲) (RUETSAP SIUOL م) الذی یعتبر مؤسس (علم المیکروب YGOLOIBORCIM)، و العالمان (روبرت هوک ۱۷۰۳ -۱۶۳۵) (EKOOH TREBOR م)، و (أونتون لوفنهوک ۱۷۲۳ -۱۶۳۲) (KEOHNEWUEEL NOTNA م) الذین راقبوا الأعضاء المیکروبیة بواسطة العدسات المکبرة بألف و ثلاثمائة عام تقریبا فی التحدث عن المیکروب الذی یحدث الوباء. من ناحیة أخری یحتوی لبن الثدی علی أجسام مضادة مقاومة لکثیر من الکائنات البکتیریة و الفیروسیة، و قد أوضحت کثیر من الدراسات أن هذه الأجسام إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۴۲ المضادة تحصن الجهاز الرئوی و الهضمی عند الأطفال، و معظم هذه الأجسام هی من نوع: (آی جی آی ۱» (AGI». إضافة إلی ذلک فإن لبن الثدی یحفز نظام المناعة لدی الطفل علی التطور، و هو یحتوی علی مواد تمنع المیکروبات من دخول جسم الطفل، و تغیّر فی الأجواء المعویة بحیث تقضی علی البکتیریا المضرة للطفل «۲»، و تخفف من حالات الإسهال. أما محاولات تکیف لبن الأبقار و الحیوانات الأخری التی تقوم بها مصانع اللبن لکی تلائم حاجات الرضیع فهی عملیة تقریب فقط للإنتاج الطبیعی «۳»، فألبان الثدییات هی ألبان معقدة جدا و مرکبة خاصة لتلبی احتیاجات الأجناس المحددة «۴»، و لا یمکن لأی عملیة تکییف أن تحول لبنا من جنس آخر إلی لبن یوازی لبن الأم. یمتص الأطفال الذین یرضعون من أمهاتهم الحدید بصورة أفضل من أولئک الذین یتغذون بألبان الأبقار، و ذلک لوجود مادة لاکتوفرین فی لبن المرضع، و هی مادة تساعد علی امتصاص الحدید، کما أن فی لبن الأم مادة بروتینیة أخری تتحد بالحدید و أجزاء من الخلایا، بحیث لا تترک الحدید حرّا فی الأمعاء، و قد وجد أن الحدید الحر مهم لنمو بعض البکتیریا العدوانیة، و بالتالی فإن حرمان هذه البکتیریا من الحدید یؤدی إلی إضعافها و سهولة القضاء علیها. تؤدی التغذیة بالألبان المجففة للموالید إلی زیادة فی عدد من الهرمونات فی جسم الطفل مثل: الأنسولین و الموتولین و النیوروتنسین، و هذه کلها لها علاقة بأمراض الاستقلاب التی تکثر عند من یغذون بألبان الأبقار، و تندر فیمن یرضعون «۵». و من الکلام السابق نفهم أن أطفال الرضاعة الصناعیة یختلفون حیویا عن أطفال الرضاعة الطبیعیة، و یحملون فی دمهم أنماطا مختلفة من الأحماض الدهنیة، و یتغذون من مجموعة مختلفة من المواد الکربوهیدراتیة و البروتین التی تدخل فی صلبهم، و هم محرومون من عناصر المناعة المختلفة الموجودة فی لبن الثدی (_____ ... ۱) کتاب الرضاعة الطبیعیة، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، ص ۱۶۰، بتصرف. (۲) کتاب تغذیة الطفل: الأساس الفیزیولوجی، منظمة الصحة العالمیة، ص ۳۱ بتصرف. (۳) کتاب الرضاعة الطبیعیة، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، ص ۱۶۶، بتصرف. (۴) کتاب تغذیة الطفل: الأساس الفیزیولوجی، منظمة الصحة العالمیة، ص ۲۵. (۵) مجلة الإعجاز العلمی، رابطة العالم الإسلامی، ص ۲۵. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۴۳ کذلک فإن أکبر المشکلات التی یعانی منها المجتمع الحضاری هی مشکلة البدانة. و مع علمنا الأکید أن هناک مسبّبا ورائیا فی هذه المشکلة، غیر أن أحجام و أعداد خلایا الدهن التی تسبب البدانة تحدد فی الأشهر الأولی من حیاة الطفل. و کما نعلم فإن الترکیب الکیمیائی للبن الأم یتغیر تدریجیا خلال عملیة الإرضاع إلی أن یصبح غنیا بالدهن عند فراغ الثدی من الحلیب، مما یدفع الطفل بعد إحساسه ببعض المرارة إلی التوقف عن الرضاعة و الاکتفاء بما أعطی له من الحلیب. أما هذه الخاصیة فهی غیر متوفرة فی الحلیب الصناعی، لأن ترکیبه الکیمیائی ثابت لا یتغیر، مما یدفع الطفل إلی طلب المزید من الحلیب الصناعی دون الشعور بالرغبة فی التوقف عن الطعام مما یؤدی إلی زیادة حجم و أعداد خلایا الدهن عند الطفل، علما أن هذه الخلایا ترافقه خلال باقی حیاته و تزید احتمال إصابته بالبدانة لاحقا. إن الشرکات المصنّعة للحلیب الصناعی تحاول جاهدة الوصول إلی ترکیبة صناعیة شبیهة لحلیب الأم، لکن التباین الکیمیائی الذی ذکرناه آنفا، إضافة إلی العلاقة النفسیة التی تنشأ من التقام الرضیع ثدی أمه و التی تسبب إحساسه بالدفء و الأمان، إذا ما قورن بحمل الطفل للقارورة الغریبة و الباردة تجعل الوصول إلی ترکیبة مثالیة مشابهة لحلیب الأم متعذرا مهما تقدمت التکنولوجیا و أسالیب تصنیع اللبن. إلی ذلک نسبة الوفیات بین الأطفال الذین یتغذون علی لبن البقر أعلی من نسبة الوفیات بین الأطفال الذین یتغذون علی لبن الأم «۱». (انظر الصورة رقم: ۱۲۲). کما تشیر مختلف المراجع الطبیة إلی أن الأطفال الذین یتغذون علی غیر لبن الأم قد یعانون من أمراض کثیرة، مثل: (المرض البطنی الجوفی ۲» (ESAESID CAILEC»، و (مرض السکری ۳» (SETEBAID»، و (مرض المفاصل المبکر ۴» (SITIRHTRA DIOTAMUEHR ELINEVUJ»، و (مرض الورم اللمفاوی (_____ ۱) کتاب تغذیة الطفل: الأساس الفیزیولوجی، منظمة الصحة العالمیة، ص ۳. (۲) ۱۹۸۹، ۱۹۹۰ (۳) LA TE YLLEK; ۱۹۸۸، LA TE OCERG. ۱۹۹۵، LA TE NOSAM. (۴) ۱۹۸۸، LA TE REYAM. TTOCS; SC)) ۴۴۴ إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۱» (AMOHPMYL» و (المرض الجلدی ۲» (ESAESID CIPOTA»، و (مرض الالتهاب المعوی ESAESID LEWOB ۳» (YROTAMMALFNI»، و (أمراض تصلب الأنسجة ۴» (SISORELCS ELPITLUM»، و أمراض أخری ... و للأسباب التی ذکرناها آنفا و لأسباب أخری، فإن لبن الأم یعتبر المثال الأعلی لتغذیة الطفل تغذیة سلیمة بالمقارنة مع تغذیته من مصادر أخری، و هو لا یستعاض عنه إلا بلبن مثله کما تشیر إلیه الآیة: وَ إِنْ تَعاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْری [الطلاق: ۶].

۴- المکوّنات الأساسیة للبن:

۴- المکوّنات الأساسیة للبن: « قال العلیم الحکیم: وَ إِنَّ لَکُمْ فِی الْأَنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِیکُمْ مِمَّا فِی بُطُونِهِ مِنْ بَیْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ لَبَناً خالِصاً سائِغاً لِلشَّارِبِینَ [النحل: ۶۶] ۵۱ (_____ ». ۱) LA TE SIVAD. (۲) ۱۹۹۵، IRAASOJAK DNA NENIRAAS. (۳) FFOLEDNEM DNA SNIKLAC، ۱۹۸۸، LA TE ENACASIP. (۴) ۴۹۹۱، ۱۹۸۶. الآیة و إن کانت فی سیاق ذکر الأنعام إلّا أنه یقاس علیها الحالة الإنسانیة لأن الإنسان من فصیلة الثدیات و لمزید من التفاصیل انظر مبحث «معجزة الرؤیة الإسلامیة فی علم الوراثة». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۴۵ جاء فی مقاییس اللغة «۱»: «خلص، الخاء و اللام و الصاد أصل واحد مطّرد، و هو تنقیة الشّیء و تهذیبه». و جاء فی لسان العرب «۲»: «استخلص الشیء: کأخلصه ... قال الأزهری: سمعت العرب تقول لما یخلص به السمن فی البرمة من اللبن و الماء و الثفل: الخلاص، و ذلک إذا ارتجن و اختلط اللبن بالزّبد فیؤخذ تمر أو دقیق أو سویق فیطرح فیه لیخلص السمن من بقیّة اللبن المختلط به، و ذلک الذی یخلص هو الخلاص، بکسر الخاء، و أما الخلاصة و الخلاصة فهو ما بقی فی أسفل البرمة من الخلاص و غیره من ثفل أو لبن و غیره. (قال) أبو الدقیش: الزّبد خلاص اللّبن أی منه یستخلص أی یستخرج». و من التفسیر السابق نفهم أن اللبن یستخلص من بین فرث و دم. و الفرث هو بقایا الطعام فی الجهاز الهضمی، جاء فی المعجم الوسیط: «الفرثة: بقایا الطعام فی الکرش. الفرث: الفرثة» «۳». و قیاسا علی ذلک نستطیع أن نشمل البکتیریا الموجودة فی الأمعاء تحت اسم الفرث لأنها موجودة فی الأمعاء، کما أن وجودها یعتمد علی بقایا الطعام. فإذا تحلّل الطعام جزئیا أو کلیا فی الکرش لم یعد طعاما، و أصبح بقیّة طعام، و بالتالی فإن الآیة تشیر إلی أن التحلّل شیء أساسی لکی یستخرج اللبن من الطعام، و هذه ملاحظة ملفتة للنظر. و هکذا فإن الآیة تعنی: نسقیکم مما فی بطونه لبنا یستخلص من بین طعام متحلّل فی الجهاز الهضمی و دم. و لم یصب معظم مفسّری القرآن الکریم- رضوان اللّه تعالی علیهم- حقیقة ما ترمی إلیه الآیة المذکورة أعلاه، فقد جانبوا الصواب فی أمرین عند تفسیرهم الآیة، (و ذلک لعدم درایتهم بالعلم الکونی المحیط بظاهرة تکوین اللبن): ففی الأمر الأول اعتبروا أن اللبن یتولّد فی مکان محدد فی الجهاز الهضمی، و بالتالی إن هناک لفظا محذوفا فی الآیة تقدیره: نسقیکم لبنا یتولّد فی مکان ما محدد، و فی الأمر الثانی (_____ ۱) مقاییس اللغة، باب الخاء و اللام و ما یثلثهما، (ج ۲/ ص ۲۰۸). (۲) لسان العرب لابن منظور- مادة «خلص»- (ج ۴/ ص ۱۷۴). (۳) المعجم الوسیط- مادة «فرث»- (ج ۲/ ص ۶۷۸). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۴۶ اعتبروا أن الوسیطة التی تشیر إلیها کلمة «بین» حقیقة، أی: أن اللفظ «بین» یشیر إلی مکان ما یقع بین الفرث و الدم، و کأنّ الآیة تعنی: نسقیکم مما فی بطونه لبنا یتکوّن فی مکان ما یقع بین الفرث و الدم، و هذا ینافی الحقیقة، و ذلک أن اللبن و الدم لا یتکوّنان فی الکرش. و هذا ما أشار إلیه الرازی فی تفسیره قائلا: «و لقائل أن یقول: الدم و اللبن لا یتولدان البتّة فی الکرش. و الدلیل علیه: الحس، فإن هذه الحیوانات تذبح ذبحا متوالیا، و ما رأی أحد فی کرشها لا دما و لا لبنا، و لو کان تولّد الدم و اللبن فی الکرش لوجب أن یشاهد ذلک فی بعض الأحوال، و الشیء الذی دلّت المشاهدة علی فساده لم یجز المصیر إلیه» «۱». و بالتالی لا بد أن تکون الوسطیة معنویة، و لهذا جاء فی البحر المحیط: «و الذی یظهر من لفظ الآیة أنّ اللبن یکون وسطا بین الفرث و الدم، و البینیة یحتمل أن تکون باعتبار المکانیة حقیقة کما قاله المفسرون. و ادعی الرازی أنه علی خلاف الحس و المشاهدة، و یحتمل أن تکون البینیة مجازیة» «۲». و الذی أکّد أن البینیة مجازیة هو الطاهر بن عاشور «۳» فی قوله: «و لیس المراد أن اللبن یتمیع بین طیقی فرث و دم، و إنما الذی أوهم ذلک من توهمه جملة (بین) علی حقیقتها من ظرف المکان، و إنما هی تستعمل کثیرا فی المکان المجازی، فیراد بها الوسط بین مرتبتین کقولهم: الشجاعة صفة بین التهور و الجبن. فمن بلاغة القرآن هذا التعبیر القریب للأفهام لکل طبیعة من الناس بحسب مبالغ علمهم مع کونه موافقا للحقیقة». فإذا کانت الوسطیة معنویة وجب عندئذ أن تعود کلمة «بین» لفعل الاستخراج حتی یستقیم المعنی، أو لکلام محذوف تقدیره: لبنا تألف بعض أجزائه من بین فرث و دم. فی الحالة الأولی نفهم أن علی عملیة الاستخراج أن تحصل إما مناصفة من الفرث و من الدم فی آن واحد، و إما أن تکون عملیة الاستخراج مؤلفة من عملیتی استخراج ثانویتین تحصلان بالتتابع من الفرث و من الدم. و الحکم فی هذه الحالة هو للحقیقة العلمیة (و لیس (_____ ۱) تفسیر الرازی، (ج ۲۰/ ص ۲۳۲). و قد فقیل الباحث یحیی بن محمد الغیفی فی کتابه: «الطیبات من المطعومات فی القرآن الکریم» هذه المسألة من کتب التفسیر، و تعرض لأقوالهم و بین ما ذکرته سابقا و أشار إلی کلام بعض المفسرین کالرازی و العزّ بن عبد السلام و ابن عاشور الذی یوافق جزء کبیرا مما أشار إلیه العلم الحدیث. انظر مبحث «توجیه الأنظار إلی التفکّر فی خلق الأنعام» من الرسالة الآنفة الذکر. (۲) البحر المحیط، (ج ۵/ ص ۵۱۰). (۳) التحریر و التنویر للطاهر بن عاشور، تفسیر آیة رقم ۶۶ من سورة البقرة. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۴۷ للنظریة التی قد تخطئ). فهی من الأدوات التی توضّح اللفظ المجمل الذی قد یفسّر فی أکثر من اتجاه. و

الحقیقة العلمیة تشیر (کما سنراه لاحقا) أن اللبن یستخرج من الفرث أولا و من الدم ثانیا، و بالتالی فالوسطیة المعنویة هنا هی أن الاستخراج یحصل علی مرحلتین: من الفرث أولا و من الدم ثانیا کما أشارت إلیه الآیة القرآنیة، حیث قدّمت لفظ «فرث» علی لفظ «دم» للإشارة أن الوسط الأول الذی یستخرج منه مکوّنات اللبن هو الطعام المتحلّل أو المهضوم، و أن الوسط الثانی هو الدم. و لذلک جاء فی البحر المحیط: «و یحتمل أن تکون البینیة مجازیة، باعتبار تولده [أی تولد اللبن] من ما حصل فی الفرث أولا، و تولده من الدم الناشئ من لطیف ما کان فی الفرث ثانیا» «۱». و تفصیل ذلک: أن اللبن یتکوّن من عناصر کثیرة؛ کالبروتینات، و الفیتامینات، و الأملاح، و الدهون التی تستخلص من الطعام المهضوم بعد امتصاصه من الأمعاء، و التی یتمّ نقلها إلی الثدی بواسطة الدم الذی یجری فی الشرایین. فاللبن یتکون إذن من مکونات تستخلص من الفرث و من الدم علی التوالی، مما یعنی أن وظیفة «من» هی لابتداء الغایة فی الأماکن فی هذه الحالة، بحیث إنها تعنی أن اللبن یستخلص من الفرث إلی الدم فی المرحلة الأولی، و من الدم إلی مکان آخر فی المرحلة الثانیة (و هو «الثدی» الذی جاء ذکره فی الحدیث الشریف: «لا یحرّم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء فی الثدی و کان قبل الفطام» [أخرجه الترمذی ح ۵۶] و کما سنفصله لاحقا). و من الجدیر بالذکر أن الآیة: مِنْ بَیْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ لَبَناً خالِصاً [النحل: ۶۶] فی قمّة البلاغة، لأنه اختصر وصف عملیة استخراج اللبن علی العموم بعبارة وجیزة جدّا، فلو أردنا أن نروی قصة تکوّن اللبن حسبما أورده القرآن الکریم لتوجّب علینا أن نفوّه بعبارة طویلة، مثل أن نقول: یستخرج اللبن من الطعام المتحلّل فی الکرش و ینتقل منه إلی الدم، و من ثمّ یستخرج من الدم و ینتقل منه إلی مکان آخر. و أما فی الحالة الثانیة: أی فی حالة تقدیر کلام محذوف: لبنا تتألف معظم أجزائه من بین فرث و دم، فنفهم أن معظم اللبن یتألف وسطیا من أجزاء من الفرث و من أجزاء من الدم، و کأن الآیة تعنی: نسقیکم مما فی بطونه لبنا یتألف من بعض (_____ ۱)

البحر المحیط- (ج ۵/ ص ۵۱۰). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۴۸ الفرث و من بعض الدم یستخلصن منهم ...» و بالتالی فإن وظیفة «من» فی هذه الحالة هی: للتبعیض للإشارة إلی بعض أجزاء الفرث و بعض أجزاء الدم، و وظیفة «بین» هی الوسطیة المعنویة للإشارة إلی أن اللبن یتألف وسطیا من کلا الفرث و اللبن. و الحقیقة العلمیة تشیر إلی ذلک أیضا حیث إن دهن اللبن علی سبیل المثال یأتی فی معظمه من الفرث فی بادئ الأمر، و بالتالی فإن بعض اللبن هو جزء من الفرث، و بعض الأحماض الأمینیة للبن تأتی من الدم، و بالتالی فإن بعض اللبن هو جزء من الدم «۱». و من الجدیر بالذکر أن المذهب الأول أقوی من المذهب الثانی، و ذلک أنه لا یعید لفظ «من بین» إلی کلام محذوف- یتألف-، و لکن إلی لفظ موجود فی الآیة- خالصا-. و اللفظ الذی تعود جذوره للحقیقة أولی أن نعتبره من اللفظ الذی تعود جذوره لکلام مقدّر. أضف إلی ذلک أن المکوّنات البسیطة أو البدائیة التی یتکوّن منها مختلف أعضاء اللبن تأتی بادئ ذی بدء من الفرث قبل أن تنتقل إلی الدم (أو إلی أی عضو آخر) فالثدی. و لمزید من الإیضاح، سوف نلقی الضوء علی المصادر التی یستقی منها اللبن مکوّناته، سواء أ کان اللبن إنسانیا أم حیوانیا (فالآیة تناولت فی المقام الأول الأنعام، و سوف نری فی مبحث: «معجزة الرؤیة الإسلامیة فی علم الوراثة» أن القیاس فی هذا المجال وارد لأن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم قایس بین الثدییات و بین الإنسان فی أکثر من حالة)، فاللبن فی معظمه یتکون من: ۱- الماء: تستخلص الغدد الثدیة ماء اللبن کله من الدم «۲» (_____ ۱) و من الجدیر بالذکر أن

لفظ «بین» الذی جاء فی النص القرآنی: خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ (۶) یَخْرُجُ مِنْ بَیْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ (۷) [الطارق: ۶- ۷]، یشیر إلی البینیة الحقیقیة بخلاف لفظ «بین» الذی یشیر إلی البینیة المعنویة و الذی جاء فی الآیة: وَ إِنَّ لَکُمْ فِی الْأَنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِیکُمْ مِمَّا فِی بُطُونِهِ مِنْ بَیْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ لَبَناً خالِصاً سائِغاً لِلشَّارِبِینَ [النحل: ۶۶]. فلفظ «بین» فی الآیة ۷ من سورة الطارق یشیر إلی أن الماء یخرج من مکان ما یقع حقیقة بین الصلب و الترائب- من جسم (ولف FFLOW)-، بینما یشیر لفظ «بین» فی الآیة ۶۶ من سورة النحل إلی أن اللبن: إما أنه یخرج من خلال عملیة وسطیة معنویة من الفرث و الدم، و إما أنه یتألف مناصفة من الفرث و الدم. أما لفظ «من» فهو لابتداء الغایة فی الأماکن فی حالتین: ۱- فی الآیة الأولی، حیث یشیر إلی أن مکوّنات الماء تخرج من مکان یقع بین الصلب و الترائب- جسم ولف- إلی المستودع- الخصیة أو المبیض-. ۲- و فی الحالة الأولی من الآیة الثانیة، حیث یشیر إلی أنه یخرج من الفرث إلی الدم، و من ثمّ من الدم إلی مکان آخر أما فی الحالة الثانیة من الآیة الثانیة فهو للبعضیة، أی أن اللبن یتألف من بعض الفرث و بعض الدم. (۲) SSERP YTIS -REVINU DROFXO .ECNACIFINGIS CIMONOCE DNA LANOITIRTUN ,LAICOSOHCYSP .DLROW NREDOM EHT NI KLIM NAMUH ,(۸۷۹۱) .P .F .E ,EFFILLEJ dna .B .D ,EEFFILLEJ . إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۴۹ ۲- السکریات: تتکون المواد الکربوهیدراتیة الموجودة فی اللبن فی معظمها من سکر اللبن «اللاکتوز»، و یتکون سکر اللبن فی غدّة الثدی من الجلوکوز المستمد من الدم. و جلوکوز الدم (الذی هو مصدر سکر اللبن) هو فی الأساس من محتویات الأمعاء قبل أن یتم امتصاصه، لذا فإن سکر اللبن مشتق من الفرث و من الدم. ۳- البروتینات: تتکون بروتینات اللبن علی العموم من أحماض أمینیة أساسیة و غیر أساسیة. و هذه البروتینات (کالکازین و البیتالکتو جلوبلین) تتکون «فی الریبوسوم علی (الشبکة الاندوبلاسمیة MULUCITER CIMSALPODNE HGUOR) [فی غدد الثدی] و تشتق الأحماض الأمینیة الأساسیة لهذه العملیة من الدم» «۱»، بعد أن تأتی من الغذاء المتحلّل (أی من الفرث)، أو بعد أن تتکون بواسطة البکتیریا فی الأمعاء. و أما بالنسبة للأحماض الأمینیة- غیر الأساسیة- فهی إما تتکون داخل أنسجة الجسم، و إما تتکون بواسطة البکتیریا الموجودة فی الأمعاء، أو تستمد من الطعام المتحلل، و من ثمّ تنتقل إلی الثدی بواسطة الدم علی شکل أحماض أمینیة أو بروتینات البلازما، أو تبنی فی غدد الثدی بالاستفادة من وحدات الکربون الموجودة فی الکربوهیدرات و الأحماض الدهنیة (و التی یدورها تشتق من الدم أو من الطعام المتحلّل کما رأینا سابقا و کما سنراه فیما سیأتی) و مصادر الأحماض الأمینیة. و أما (بروتینات المناعة SNILUBOLGONUMMI) و الألبومین فتنتقل من الدم إلی اللبن عبر غدّة الثدی بدون أن تتعرض لأی تغییر. و خلاصة القول: فإن الأحماض الأمینیة التی تدخل فی تکوین بروتینات اللبن تشتق من بروتینات الدم، أو تصنّعها البکتیریا فی الأمعاء، أو تستمد من الطعام المتحلّل فی الکرش، أو تستمد من أنسجة الجسم التی سبق و أن صنّعتها من مکونات أتت بواسطة الدم من الغذاء المتحلّل فی الأمعاء، أو تقوم غدد الثدی بتصنیعها من مواد توخذ من الفرث أو الدم أو منهما معا؛ أی أنها تأتی من الفرث (مباشرة أو غیر مباشرة) أو من الدم، أو من کلیهما معا. ۴- الدهون: و تنقسم الدهون علی العموم إلی دهون قصیرة السلسلة الکربونیة، أو متوسطة السلسلة، أو طویلة السلسلة، و مشبعة أو غیر مشبعة. (_____ ۱) کتاب الرضاعة الطبیعیة، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، ص ۱۳۵. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۵۰ و الأحماض الدهنیة قصیرة السلسلة توجد فی نسب ضئیلة فی لبن الحیوانات غیر المجترة، و لا توجد فی اللبن الانسانی، و هی غیر موجودة فی دهن الطعام، کذلک هو الحال بالنسبة إلی الأحماض الدهنیة المتوسطة، فهی غیر ذات أهمیة، غیر أننا سنتکلم عن نشأتها حرصا منا علی إزالة الشکوک فی أن تکوّن الأحماض الدهنیة علی العموم یتأتی من الدم و الفرث. أما الأحماض الدهنیة الطویلة السلسلة الکربونیة (کحمض البلمیتک DICA CITIMLAP) فهی تکوّن نسبة کبیرة من الدهن فی کل من لبن الإنسان و الحیوان. ۵ الأحماض الدهنیة القصیرة السلسلة: یتم إنتاج الأحماض الأمینیة الدهنیة القصیرة السلسلة الکربونیة فی غدد الثدی من (الخل ETATECA) المستمد من الدم، و الذی یتکون ابتداء فی الأمعاء من جراء عملیة التخمّر المعوی للسکریات، و الذی ینتقل مع الدورة الدمویة إلی غدد الثدی، أو تتکوّن تلک الأحماض من (بیتاهیدروکسید بیوتیریت B- ETARYTUBYXORDYH)، أو من سکر الدم مباشرة. ۵ الأحماض الدهنیة المتوسطة السلسلة: کثیرا ما تمتص عن طریق الدورة الدمویة بدلا من اللیمفاویات عن طریق (الکیل ۱ NEITAMROF ELYHC). ۵ الأحماض الدهنیة الطویلة السلسلة: «یوجد الدهن فی اللبن علی شکل کریّات و تتکوّن کریّات الدهن أساسا من الجلیسریدات الثلاثیة ... و تشیر أدلة حدیثة إلی أن أغلب الأحماض الدهنیة طویلة السلسلة و المکوّنة فی ثلاثی جلیسرید اللبن، مشتقة من دهن الطعام و تنتقل خلال الدم إلی الثدی کجلیسرید ثلاثی کیلوسات میکرونیة (مستحلب)» «۲». و تفصیلا: تنتقل الأحماض الدهنیة الطویلة السلسلة الکربونیة من الطعام المتحلّل إلی الثدی بواسطة الدم، و یتم (تحلیلها SISYLORDYH) فی غدد الثدی، و تحریر بذلک أحماضا دهنیة حرّة و جلیسریدات جزئیة، حیث تأخذها الغدد اللبنیة لیعاد أسرتها بالجلیسرول (الذی یصنّع هو الآخر من الدم) علی الشبکة الأندوبلاسمیة لتکوین قطرات الدهن «۳» (_____ ۱) کتاب الرضاعة الطبیعیة، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، ص ۱۴۴، و مجلة الإعجاز العلمی، العدد ۱۳، ص ۱۲. (۲) کتاب الرضاعة الطبیعیة، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، ص ۱۴۳. (۳) کتاب الرضاعة الطبیعیة، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، ص ۱۴۳. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۵۱ و هناک القلیل من الأحماض الدهنیة (کالحامض الأراشیدونی DICA CINODIHCARA) التی تتکون فی أنسجة الجسم، و توخذ مکوناتها من الفرث. و من الکلام السابق نفهم أن مکونات دهن اللبن توخذ من کل من الدم و الفرث (مباشرة أو غیر مباشرة). ۵- المعادن الرئیسیة و الثانویة: یوجد فی اللبن البشری و اللبن البقری من المعادن الرئیسیة: (کالکالسیوم، و الفسفور، و الصودیوم، و البوتاسیوم کلوراید، و المغنیسیوم و الکبریت)، و المعادن الثانویة: (کالزنک، و النحاس، و المنغنیز، و الکروم، و الیود، و الحدید، و السیلینیوم). أما الکالسیوم و الفسفور فیستمدان من مخزون الجسم و خاصة من العظام «۱»، و للعلم فإن الطعام المتحلّل (الفرث) مصدر الکالسیوم و الفسفور الموجودان فی العظام، و أما (فسفور بروتین اللبن P NIESAC) فیأتی من الدم «۲». و فضلا عن ذلک فإن المعادن الأخری و المعادن ذات الترکیز الضئیل فی اللبن فتوخذ مباشرة من الطعام المتحلّل و الماء «۳». ۶- الفیتامینات: تستمد معظم الفیتامینات إما من الطعام، و إما تنتجها البکتیریا الموجودة فی الأمعاء «۴». و من الکلام السابق نفهم ما ترمی إلیه الآیة الکریمة: وَ إِنَّ لَکُمْ فِی الْأَنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِیکُمْ مِمَّا فِی بُطُونِهِ مِنْ بَیْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ لَبَناً خالِصاً سائِغاً لِلشَّارِبِینَ [النحل: ۶۶]. و لا یسعنا فی هذا المقام إلا أن نورد تعلیق الإمام فخر الدین الرازی الذی فهم أبعاد الآیة الکریمة من خلال دلالاتها اللغویة حیث قال: «و أما نحن فنقول: المراد من الآیة هو أن اللبن إنما یتولد من بعض أجزاء الدم، و الدم إنما یتولد من الأجزاء اللطیفة التی فی الفرث. و هی الأشیاء المأکولة الحاصلة فی الکرش. و هذا اللبن متولّد من الأجزاء التی کانت حاصلة فیما بین الفرث أولا، ثم کانت حاصلة فیما بین الدم ثانیا، فصفاها (_____ ۱) SSERP YTIS -REVINU DROFXO .ECNACIFINGIS CIMONOCE DNA LANOITIRTUN ,LAICOSOHCYSP .DLROW NREDOM EHT NI KLIM NAMUH ,(۸۷۹۱) .P .F .E ,EFFILLEJ dna .B .D ,EEFFILLEJ . (۲) .SSERP YTIS -REVINU DROFXO .ECNACIFINGIS CIMONOCE DNA

LANOITIRTUN ,LAICOSOHCYSP .DLROW NREDOM EHT NI KLIM NAMUH(۸۷۹۱)P .O .F .E ,EFFILLEJ dna .B .D ,EEFFILLEJ . (۳) Y .N .OC KOOB LLIH U WARG CM .NAM ROF KLIM GNIDIVORP FO ECNEICS EHT(۵۷۹۱).T .R ,LLAHSRAM dna R .J ,LLEBPMAC . (۴) .S ,NOMOF .J(۴۷۹۱).NOITIRTUN TNAFNI(۲ .DE dn .)W .B ,SRENDNUAS .AIHPLEDALIHP . إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۵۲ الله عن تلک الأجزاء الکثیفة الغلیظة، و خلق فیها الصفات التی باعتبارها صارت لبنا موافقا لبدن الطفل» «۱». فسبحان من یقذف بالغیب من ألف و أربع مائة سنة مضت علی لسان رجل أمی صلّی اللّه علیه و سلّم، لیتیقّن العباد أن هذا الکلام من عند اللّه تعالی فیؤمنوا و یسلکوا طریق الهدی!.

۵- قیمة اللبن الغذائیة لا یماثلها أی قیمة أخری لأی غذاء آخر:

۵- قیمة اللبن الغذائیة لا یماثلها أی قیمة أخری لأی غذاء آخر: (قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: من أطعمه اللّه الطّعام فلیقل: «اللّهمّ بارک لنا فیه و أطعمنا خیرا منه، و من سقاه اللّه لبنا فلیقل اللّهمّ بارک لنا فیه و زدنا منه»، و قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: لیس شیء یجزئ مکان الطّعام و الشّراب غیر اللّبن). [أخرجه الترمذی ح ۱۰۵]. جاء فی تحفة الأحوذی بشرح جامع الترمذی فی تفسیر الحدیث رقم ۳۴۵۵: «و فی روایة أبی داود: (إذا أکل أحدکم) قال المناوی: أی أراد أن یأکل، (طعاما) أی غیر لبن، (بارک لنا فیه) من البرکة و هی زیادة الخیر و نموه و دوامه، (و أطعمنا خیرا منه) من طعام الجنة أو أعم، (و زدنا منه) و لا یقول خیرا منه لأنه لیس فی الأطعمة خیر منه، (لیس شیء یجزئ) بضم الیاء و کسر الزای بعدها همز، أی یکفی فی دفع الجوع و العطش معا، (مکان الطعام و الشراب) أی مکان جنس المأکول و المشروب و بدلهما، (غیر اللبن) بالرفع علی أنه بدل من الضمیر فی یجزئ. نفهم من الحدیث، و شرحه أن اللبن هو أکمل الأغذیة من الناحیة البیولوجیة، حیث لا یوجد طعام له قیمة غذائیة توازی قیمة اللبن الغذائیة. و رغم أن اللبن ینقصه قلیل من العناصر الغذائیة، و لکن یعد أفضل من أی غذاء آخر منفرد من حیث قیمته الغذائیة المرتفعة، و ذلک لاحتوائه علی المواد الغذائیة الأساسیة الضروریة التی لا یستغنی عنها جسم الإنسان فی جمیع مراحل نموه و تطوره. و المواد الغذائیة الضروریة هی: ۱- البروتینات: و من أهم فوائدها: بناء العضلات و الأنسجة الجدیدة. ۲- الکربوهیدرات: مثل النشویات، السکریات، و هی التی تمد الجسم بالحرارة و النشاط (_____ ۱) تفسیر الرازی، (ج ۲۰/ ص ۲۳۳). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۵۳ ۳- الدهون: التی تختزن فی الأنسجة الحیة و تمد الجسم بالحرارة. ۴- المعادن: و هی عناصر مهمة لتکوین العظام و الأسنان، و لأداء وظائف الجسم الحیویة بانتظام. ۵- الفیتامینات: و هی مواد مهیّئ للحیاة و النمو و الوقایة من کثیر من الأمراض، و أیضا هی مرکبات تسمح بتمثیل مواد الغذاء الأخری. ۶- الماء: الذی یعمل کمذیب و حامل للمواد الغذائیة بالجسم. و «یمد اللبن جسم الإنسان بمجموعة کبیرة جدا من هذه العناصر و المرکبات الغذائیة الحیویة المهمة. و یمکن إیجاز ذلک فی النقاط التالیة: ۱- یعد اللبن موردا مهما و جیدا للبروتینات ذات القیمة الغذائیة المرتفعة، و تمد بروتینات اللبن جسم الإنسان بالأحماض الأمینیة الأساسیة- بمقادیر و ترکیزات مرتفعة- ذلک بالإضافة إلی أنه قد ثبت أن بروتینات اللبن غنیة بالفسفور الذی یساعد علی امتصاص الکالسیوم من القناة الهضمیة، و بالتالی یستفید الجسم من الکالسیوم، هذا علاوة علی أن اللبن ذاته غنی أیضا بالکالسیوم، لذا فإن الأطفال و البالغین الذین یتناولون اللبن فی غذائهم لا تظهر علیهم أعراض أمراض لین العظام و الکساح أو ضعف تکوّن الأسنان. ۲- توجد الأحماض الدهنیة فی اللبن بنسبة دقیقة جدّا بحیث یسهل هضمها و تمثیلها فی الجسم، و یحتوی دهن اللبن علی کثیر من المواد الحیویة المهمة مثل: الأحماض الدهنیة الأساسیة، و الفیتامینات الذائبة فی دهن اللبن، و المرکبات الدهنیة الفوسفاتیة. کذلک تعتبر النسبة بین الدهن و السکر فی اللبن مهمّة جدّا؛ إذ إنها تنشّط نمو البکتیریا النافعة بالأمعاء. ۳- یقتصر وجود اللاکتوز علی اللبن فقط، و یمتاز سکر اللبن (اللاکتوز) عن غیره من الکاربوهیدرات الأخری بقدرته علی التحکّر الذی یعد ذو أهمیة نافعة فی التغذیة، کما أنه یؤثّر علی غشاء المعدة المخاطی نظرا لقلة ذوبانه. کذلک فإن احتواء سکر اللبن علی سکر الجالاکتوز یزید من أهمّیته، إذ یعتبر هذا السکر أساس تکوین الجالاکتوز فی أغشیة المخ و الخلایا العصبیة. أیضا ینفرد سکر اللبن بقدرته علی تنشیط نمو أنواع مفیدة من بکتیریا حمض اللاکتیک، و التی یمکن أن تحل محل بعض البکتیریا التعفنیة فی القناة الهضمیة. کما یساعد الحامض المتکوّن- نتیجة نشاط المیکروبات النافعة- علی تمثیل و امتصاص الکالسیوم و بعض المعادن الأخری. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۵۴ ۴- یعد اللبن مصدرا مهمّا لکثیر من الفیتامینات، و هی مواد تساعد علی الاستفادة من الغذاء و الوقایة من الأمراض. و توجد بعض فیتامینات اللبن ذائبة فی الدهن، و هی فیتامینات (أ)، (د)، (ه)، (ک)، و البعض الآخر ذائب فی ماء اللبن: و هی فیتامینات (ب ۱)، (ب ۲)، (ج)، و کذلک الکولین. ۵- یکوّن الماء ما یقرب من ۸۵- ۹۰٪ من ألبان الثدییات المختلفة، و بعض مکوّنات اللبن ذائبة فی الماء، مثل بعض الفیتامینات و الإنزیمات و اللاکتوز، أو علی صورة معلّقة بالماء مثل: حبیبات الدهن أو جزئیات الکیزین. و الماء له دور مهم و حیوی فی حیاة الإنسان، حیث إن له وظائفه الفیسیولوجیة فی الجسم الإنسانی. فهو علی سبیل المثال: یکون حوالی ۸۵- ۹۲٪ من دم الثدییات المختلفة، کما أن الکثیر من أنسجة الجسم تحتوی علی الماء، و أیضا فإنه ینظّم درجة حرارة الجسم، کذلک فالماء هو الوسط المناسب لانتشار و تأیّن العناصر المختلفة بالجسم، کما أنه الوسط المناسب للتفاعلات المختلفة و عملیات الهضم و الهدم و البناء التی تحدث فی الجسم. ۶- یعتبر اللبن مصدرا مهمّا من مصادر فیتامین (أ) الذی یعد مهمّا جدّا فی حیاة الإنسان، حیث یوجد هذا الفیتامین بنسبة کبیرة فی اللبن، ذلک بالإضافة إلی مادة الکاروتین التی تتحول إلی فیتامین (أ) فی الجسم بواسطة الأکسدة. و من أهم فوائد فیتامین (أ) أنه ضروری جدّا للنمو، و لقد أثبتت التجارب الحدیثة التی أجریت علی الفئران أن نقص هذا الفیتامین یسبب وقف نموها ثم موتها. کذلک فإن فیتامین (أ) مهم جدّا فی عملیة الإبصار، و یعرف هذا الفیتامین باسم الفیتامین المضاد للرمد الجاف، إذ إن نقص هذا الفیتامین فی الغذاء یسبب المرض بهذا النوع من الرمد، کما أنه یسبب أیضا مرض العشی اللیلی. و من فوائد فیتامین (أ) أیضا أنه یکسب جسم الإنسان المناعة من الإصابة بعدوی بعض الأمراض، کما أن له تأثیرا مهمّا فی عملیة تکوین العظام و الغضاریف، کذلک فإن نقص فیتامین (أ) یؤثر علی الخصوبة و التکاثر و التوالد. ۷- یحتوی اللبن علی نسبة لا بأس بها من فیتامین (د)، و هذا الفیتامین یساعد علی ترسب الکالسیوم و الفوسفور فی الجسم، أی أنه یساعد علی نمو العظام، کذلک فهو مانع للکساح، لذلک یسمی فیتامین (د): المضاد للکساح ... إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۵۵ ۸- یعد اللبن غنیا بفیتامین (ب ۲) أو الریبوفلافین. و یؤدی نقص فیتامین (ب ۲) إلی ظهور مرض البلاجرا، لذا یسمی هذا الفیتامین بالمانع لمرض البلاجرا. ۹- یوجد الکولین فی اللبن بوفرة، و الکولین هو العامل المانع لتراکم الدهن حول الکبد، و الکولین یکون جزءا من اللیسیثین الموجود فی دهن اللبن، و یعد اللیسیثین من الفوسفولیبیدات المهمة فی تکوین الخلایا، و الکولین عامل مهم فی تمثیل الدهون و استخدامها فی الجسم، لذلک یؤدی نقص الکولین إلی بطء النمو و تراکم الدهن حول الکبد و خلل فی عملیات الدهون فی الجسم. ۱۰- یعد اللبن أحد المصادر الطبیعیة الأساسیة الغنیة بالکالسیوم و الفوسفور، و هما من الأملاح المعدنیة الضروریة لجسم الانسان، إذ أن هذه المعادن تدخل فی تکوین الهیکل العظمی و ترکیب الأسنان و تنظیم الضغط الأسموزی، و تساعد علی تنشیط الإنزیمات. و من المعادن الأخری التی توجد فی اللبن- کذلک- بنسب لا بأس بها: المانغنسیوم و الصودیوم و البوتاسیوم و الکلور و الکبریت، و لکن یعد اللبن فقیرا فی عنصر الحدید، و یمکن تعویض ذلک بتعاطی أغذیة غنیة بهذا المعدن مثل البیض و الخضراوات و الفاکهة. و یوجد فی اللبن أیضا نسب ضئیلة من الروبیدیوم و الثیوم و الباریوم و المنجنیز و الاسترانثیوم و الألومنیوم و الفلور و النحاس و الیود و الزنک و الکوبلت. ۱۱- یحتوی اللبن علی کثیر من الإنزیمات التی تساعد علی هضم الطعام و امتصاصه» «۱». و من الأدلة التی أشرنا إلیها سابقا نفهم أن اللبن غذاء أقرب إلی الکمال من أی غذاء آخر کما أشار إلیه الرسول الکریم صلّی اللّه علیه و سلّم. و قد یتوصّل بعض المفکرین إلی أن اللبن غذاء مهم لأنّ مشیئة اللّه تعالی أرادت أن یرضع الأطفال الصغار اللبن، مما یعنی أن اللّه تعالی أودع فیه من العناصر الغذائیة المرتفعة، غیر أنه لا یستطیع أن یجزم أن اللبن أکمل من أی غذاء آخر، إلا إذا کان قد أمضی وقته فی البحث الکیمیائی، و لدیه من الإمکانیات المعملیة التی تخوله من مقارنة جمیع أنواع الغذاء. و لهذا فإن الجزم بأن اللبن أفضل الغذاء یعتبر من الإخبار الإعجازی العلمی للرسول صلّی اللّه علیه و سلّم!!!. (_____ ۱) مجلة الإعجاز العلمی، العدد الثالث عشر، ص ۸، بقلم د. علی أحمد الشحات. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۵۶

۶- عملیات خروج الحلیب:

۶- عملیات خروج الحلیب: ٭ قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «لا یحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء فی الثدی و کان قبل الفطام» [أخرجه الترمذی ح ۵۶]. بعد أن تبیّن لنا مدی الإعجاز العلمی فی الآیة الکریمة لنتابع معا رحلتنا مع اللبن بعد أن رأینا أنه یخرج من الطعام إلی الدم، ثم من الدم إلی الثدی: لنر ما ذا یحصل فی الثدی. یلقی الضوء علی هذا الأمر الحدیث التالی: «لا یحرّم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء فی الثدی و کان قبل الفطام». نفهم من هذا الحدیث أن التحریم مرتبط بعملیة فتق، و عملیة الفتق هذه تحصل للأمعاء المذکورة فی الحدیث، و هذه الأمعاء موجودة داخل الثدی «۱». (_____ ۱) فسّر بعض العلماء الحدیث: «لا یحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء فی الثدی و کان قبل الفطام» [أخرجه الترمذی ح ۵۶] علی أنه یعنی: لا یحرم من الرضاعة إلا ما فتق أمعاء الطفل و هو فی سن الرضاع. و ذلک لأنهم قاسوا هذا الحدیث علی الحدیث: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «إنّ إبراهیم ابنی، و إنّه مات فی الثّدی، و إنّ له لظئرین تکملان رضاعه فی الجنّة» [أخرجه مسلم ح ۹۶]. فاعتمدوا فی تفسیرهم علی ما جاء فی بعض کتب شروح الحدیث مثل: صحیح مسلم بشرح النووی- کتاب الفضائل- باب رحمته الصبیان و العیال و تواضعه و فضل ذلک- رقم الحدیث ۲۳۱۶- (ج ۸/ ص ۸۵): «قوله صلّی اللّه علیه و سلّم: (و إنه مات فی الثدی و إن ظئرین تکملان رضاعه فی الجنة) معناه مات و هو فی سن رضاع الثدی أو فی حال تغذیه بلبن الثدی». ففهموا أن عبارة «فی الثدی» تشیر إلی سن الرضاع، و أرجعوا بذلک الأمعاء للطفل لعدم اکتشافهم حقیقة العلم الکونی فی هذا المجال، و لأن الأمعاء غالبا ما یشاربها إلی مسالک الطعام الموجودة فی البطن. غیر أن هذا التفسیر أخطأ الصواب و الله تعالی أعلم، بل و أشار إلی عکس ما تدلّ علیه المعطیات العلمیة، فقول العلماء فی هذا الخصوص بأن اللبن علیه أن یفتق أمعاء الرضیع یقتضی أنه لا یوجد فتوق فی أمعاء الرضیع، غیر أن العلم الحدیث

یعلمنا أن لدی الرضیع فی سن مبکرة ممرّات (أو فتوق صغیرة) تمر عبرها بروتینات اللبن البقری (فی حال تغذّیه من لبن البقر) بدون أن تتعرّض للهضم و تسبب فی کثیر من الأحیان حالة مرضیة عند الطفل. فالفتوق فی هذه الحالة موجودة ابتداء لدی الجهاز الهضمی للطفل علی عکس ما أشار إلیه أغلب مفسّری الحدیث الشریف، و هذه الفتوق لا تحدث من جراء شرب اللبن، و لا تلعب دورا إیجابیا (کإنبات اللحم و إنشاز عظم الرضیع علی نحو سلیم) کما یشیر إلیه الحدیث الشریف: «لا یحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء فی الثدی و کان قبل الفطام» [أخرجه الترمذی ح ۵۶]. و هی بالتالی لا تسبب التحریم (انظر مبحث «رعایة الخلق: الرضاعة/ حکمة تحدید مدّة الرضاعة بسنتین»). و من هذا الکلام نفهم أننا لا نستطیع أن نفسّر حدیثا بحدیث آخر استعمل فیه المجاز، و نستخلص من هذا المجاز تفسیرا لحدیث آخر و ذلک أن المجاز هو اللفظ المستعمل فی غیر ما وضع له لعلاقة مع قرینة (کتاب أصول الفقه الإسلامی، د. إبراهیم السلقینی، ص ۲۳۸)، و هو بالتالی لا یشکل مطلقا جیدا لتفسیر حدیث آخر- إلا فی حال تعذر الوسائل الحقیقیة- لأن هذا اللفظ لم یستعمل فیما وضع له أساسا و بالتالی فلا یعتبر معنی مطردا، و لا نستطیع إذن أن نعتمده إلا فی حال وجود قرینة تدفعنا لاعتماد هذا التفسیر. فالقاعدة- کما ذکرناها فی مبحث «تعریف الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة و الأسس التی یرتکز علیها»/ باب «قولنا (معان ... صریحة فی دلالتها)»- هی: أن لا یخرج اللفظ من الحقیقة إلی المجاز إلا بقرینة کافیة. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۵۷ و الفتق لغة: الشق. جاء فی لسان العرب «۱»: «فتق الفتق: خلاف الرّتق: فتقه یفتقه و یفتقه فتقا: شقه». کیف هذا؟ و لما ذا استعمل الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم کلمة «أمعاء» فی صیاغة الحدیث؟. جاء فی لسان العرب «۲»: «قال الأصمعی: الأمعاء مسایل صغار» و جاء فی تاج العروس «۳»: «قال القالی: المعی: المسیل الضیق الصغیر». فالأمعاء هی ممالک یسیل فیها اللبن. و هذه الممالک موجودة فی الثدی کما نص علیها الحدیث، و هذه الممالک یجب أن تکون صغیرة و ضیقة کما یشیر إلیه معنی کلمة «معی». و لنر عن کثب ما تشیر إلیه الحقائق العلمیة. یوجد فی الثدی (غدد لبنیة ALOEVLA). تجتمع هذه الغدد علی شکل عناقید حول خمس عشرة إلی عشرین قناة لبنیة رئیسیة «۴» (أی مسایل صغار أو أمعاء) یسیل فیها اللبن إلی أن یصل إلی قمة حلمة الثدی. هذه الغدد مکونة من (خلایا مفرزة للبن SLLEC RANICA). و تتکون بروتینات اللبن فی خلایا هذه الغدد. تمر بعد ذلک نتائج عملیات البناء فی تجویف القنوات اللبنیة (أی الأمعاء) بطریقتین: ۱- (عملیة إفراز فمی SSECORP ENIRCOPA) «یتم خلالها فصل کریات الدهن الکبیرة عند قمة الخلیة، و أحیانا تصحبها أجزاء من السیتوبلازم» «۵» و ذلک لأن حجمها لا یسمح لها أن تعبر غشاء الخلیة فتتجرف مقدمة الخلیة مع کرات الدسم» «۶»، و هذه هی عملیة الفتق التی تحدّث عنها الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم و التی تحدث للجدار الخلفی للأمعاء المکون من أغشیة الغدد اللبنیة. (انظر الصورة رقم: ۱۲۳).

(_____ ۱) لسان العرب لابن منظور- مادة «فتق». (۲) لسان العرب لابن منظور- مادة «معی»- (ج ۱۳/ ص ۱۴۹). (۳) تاج العروس لمحمد مرتضی- مادة «معی»- (ج ۲۰/ ص ۱۹۴). (۴) کتاب الرضاعة الطبیعیة، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، ص ۸۳، بتصرف، انظر أیضا کتاب تغذیة الطفل: الأساس الفیزیولوجی، منظمة الصحة العالمیة، ص ۲۱. (۵) کتاب الرضاعة الطبیعیة، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، ص ۱۳۵. (۶) الدکتور خالص جلبی، الطب محراب الإیمان، (ج ۱/ ص ۸۷). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۵۸ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۵۹ ۲- (إفراز خارجی ۸ SSECORP ENIRCOXE) حیث یتم الانتقال خلال غشاء الخلیة (دون أی فتق). و هکذا فإن اللبن یخرج من الخلایا اللبنیة من خلال انفطار و شق أغشیتها التی تمثل جدارا بالنسبة للمسایل الصغیرة فی الثدی. و من الجدیر بالذکر أن هناک ممالک أصغر من ممالک. فالثدی یحتوی علی ممالک رئیسیة و ممالک فرعیة، و الممالک الفرعیة هی الممالک الصغیرة و هی التی یجتمع حولها الغدد و هی التی تفتق جدرانها. و الإشارة إلی أن (الممالک الصغیرة هی التی تفتق دون الممالک الکبیرة STCUD TON SELUTCUD) هو إعلام دقیق للحقائق العلمیة لا یعلمها فی وسط أمّی إلا من أنزل علیه الوحی، فهل اعتبرنا یا معشر المفکّرین؟!!.

۷- وقت احتیاج الطفل إلی اللبن:

۷- وقت احتیاج الطفل إلی اللبن: • قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «لا یحرّم من الرضاع إلا ما کان قبل الحولین» [رواه البیهقی ح ۵۷]. • قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «لا رضاع إلا ما أنشز العظم و أنبت اللّحم» [أخرجه أحمد ح ۵۸]. و بعد أن رأینا هجرة اللبن عبر الثدی بعد هجرته من أمعاء الأم، نواصل طریقنا إلی جوف المولود الذی یمتص اللبن لنری ما ذا یحصل له. قبل أن نتابع مسیرنا، لا بد أن نتوقف عند الشرط الأساسی لإرضاع الولد: و هو أن یکون جسمه محتاجا للرضاعة (أی محتاجا للبن الرضاعة لکی تنمو أعضاؤه). لذلک قال الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم: «لا رضاع إلا ما أنشز العظم و أنبت اللّحم»، و لا یکون جسم المولود کذلک إلا خلال السنتین الأولیین، أی: «إلا ما کان قبل الحولین». فالحاصل أن جسم المولود فی هذه الفترة یمتص کل العناصر الأساسیة لنمو أعضائه من اللبن، و تتحول إلی عظم و لحم فتدخل فی صلب الولد. لمزید من الإیضاح لنقرأ ما قاله الدکتور علی التیر «۱» و هو یذکر لنا الحقائق العلمیة التی تشیر إلی أن جسم المولود یحتاج للرضاعة لنمو أعضاء جسمه: «خلال الأسابیع الأولی من حیاة الطفل لا یکاد یخرج فی بوله أی نیتروجین، بما یفید أن کل

(_____ ۱) کتاب الرضاعة الطبیعیة، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، ص ۱۰۹. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۶۰ النیتروجین الموجود کبروتین فی لبن الثدی یستهلک أساسا فی بناء أنسجة الجسم. و معنی ذلک أن الطفل لا یحرق البروتین الذی یتناوله للحصول علی الطاقة بل یستخدمه فقط فی بناء الأنسجة» «۱».

۸- حکمة تحدید مدة الرضاعة بسنتین:

۸- حکمة تحدید مدة الرضاعة بسنتین: • قال العلیم الحکیم: وَ الْوالِداتُ یُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَیْنِ کامِلَیْنِ لِمَنْ أَرادَ أَنْ یُتِمَّ الرَّضاعَةَ ... [البقرة: ۲۳۳]. • قال اللّه سبحانه و تعالی: وَ وَصَّیْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَیْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلی وَهْنٍ وَ فِصالُهُ فی عامَیْنِ ... [لقمان: ۱۴]. • عن ابن عباس رضی اللّه عنه عن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم: «لا یحرّم من الرضاع إلا ما کان فی الحولین» [رواه البیهقی ح ۵۷]. لقد شاع فی بعض الأمم السابقة أن تعتمد علی لبن الأم کغذاء أساسی لأطفالها فی فترة ما بعد الولادة، و لکن لم نألف أن أوصت تلک الأمم أو سلسلة من العلماء أن تکون مدّة الرضاعة سنتین کاملتین، إلا ما جاء فی القرآن الکریم و السنة الشریفة. و فی هذا العصر، و بعد الثورة العلمیة و الاکتشافات الجدیدة، بدأ العلماء یوصون الأمهات بإرضاع أطفالهن مدة سنتین کاملتین «۲»، و بذلک تعتبر شریعة سیدنا محمد صلّی اللّه علیه و سلّم، أول من لفت أنظار العلماء إلی أن المدة المثالیة للرضاعة هی سنتان کاملتان. و الآیة: وَ الْوالِداتُ یُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَیْنِ کامِلَیْنِ لِمَنْ أَرادَ أَنْ یُتِمَّ الرَّضاعَةَ ... [البقرة: ۲۳۳] تنص علی أن تمام الرضاعة، أی کمالها، هو فی حولین- أی سنتین- کما تفسره الآیة الثانیة: وَ وَصَّیْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَیْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلی وَهْنٍ وَ فِصالُهُ فی عامَیْنِ [لقمان: ۱۴]. و بذلک فهی بمثابة توجیه للأمهات أن یلتزمن بهذا المیعاد استحبابا لا إلزاما. فالرضاعة مدة سنتین هی لمن أراد التمام و هی بذلک تخیر الأمهات فی الالتزام بالمدة أو فی عدم الالتزام بها.

(_____ ۱) و قد قدّرت نسبة النیتروجین التی تدخل فی بناء الأنسجة بحوالی ۹۰٪ (کتاب تغذیة الطفل: الأساس الفیزیولوجی، منظمة الصحة العالمیة، ص ۷۳). (۲) لقد أوصت د. فیلیستی سمح کینغ فی کتابها تشجیع الأمهات علی الإرضاع الطبیعی بإرضاع الأطفال مدة سنتین، بل و حتی إلی ثلاث سنوات (انظر غلاف کتابها). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۶۱ و الحکمة من ذلک هی: أن الجهاز الهضمی للرضیع یکتمل نموه تدریجیا حتی نهایة العامین، و یمکن للولد بعد ذلک أن یعتمد فی غذائه علی المصادر غیر الإنسانیة بدون أی خطر علی صحته. أما إذا تناول الطفل لبنا صناعیا أو لبنا بقریا قبل انتهاء هذه المدة فهو معرّض أن یصاب بمرض السکری أو أمراض الحساسیة. و قد أظهرت الأبحاث الحدیثة «وجود علاقة ارتباطیة قویة بین عدد و مدة الرضاعة من ثدی الأم، و بین ظهور مرض السکری من النوع الأول فی عدد من الدراسات علی الأطفال فی کل من: الترویج و السوید و الدانمارک. و علّل الباحثون ذلک بأن لبن الأم یمد الطفل بحمایة ضد عوامل بیئیة تؤدی إلی تدمیر خلایا بیتا البنکریاسیة فی الأطفال الذین لدیهم استعداد وراثی لذلک، و أن مکونات الألبان الصناعیة و أطعمة الرضع تحتوی علی مواد کیمیائیة سامة لخلایا بیتا البنکریاسیة، و أن ألبان البقر تحتوی علی بروتینات یمکن أن تکون ضارة لهذه الخلایا. کما لوحظ أیضا فی بعض البلدان الأخری أن مدة الرضاعة من الثدی تتناسب عکسیا مع حدوث مرض السکری، لذلک ینصح الباحثون الآن بإطالة مدة الرضاعة من ثدی الأم للوقایة من هذا المرض الخطیر و للحفاظ علی صحة الأطفال فی المستقبل. و بناء علی هذه الحقائق برزت فی السنوات الأخیرة نظریة مفادها: أن بروتین لبن البقر یمکن أن یحدث تفاعلا حیویا مناعیا یؤدی إلی تحطیم خلایا بیتا البنکریاسیة التی تفرز الأنسولین. و یعضد هذه النظریة: وجود أجسام مضادة بنسب مرتفعة لبروتین لبن البقر فی مصل الأطفال المصابین بداء السکری بالمقارنة مع الأطفال غیر المصابین بالمرض کمجموعة مقارنة «۱». و فی دراسة حدیثة منشورة فی مجلة السکری فی ینایر ۱۹۹۸ م، استخلص الباحثون أن البروتین الموجود فی لبن الأبقار یعتبر عاملا مستقلا فی إصابة بعض الأطفال بمرض السکری بغض النظر عن الاستعداد الوراثی «۲». و فی دراسة حدیثة منشورة فی فبرایر ۱۹۹۸ م فی جریدة المناعة، أشار المؤلفون إلی أن تناول لبن الأبقار و بعض الألبان الصناعیة کبدیل للبن الأم یؤدی إلی زیادة نسبة الإصابة بمرض السکری فی هؤلاء الأطفال. و قد أجریت هذه الدراسة علی أطفال صغار السن حتی الشهر التاسع من العمر. و لهذا نصح المؤلفون بإطالة مدة الرضاعة الطبیعیة «۳» (_____ ۱)

NOITIDE HT ۱۵، CIRTAIDEP FO KOOB TXET NOSLEN- HCROB. (۲) ۵- ۱۳۱، ۲: ۴۷، BEF ،۱۹۹۴ ۷۲، ۷: ۴ NAJ ۱۹۹۸، AIGOLOTEBAID،. LA TE NENOKKUAS ۸- (۳) ۱۹۹۸. LONUMMI J DNACS. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۶۲ و فی دراسة مشابهة منشورة فی مجلة السکری فی ینایر عام ۱۹۹۴ م، أوضح الباحثون وجود ارتباط قوی بین تناول منتجات الألبان الصناعیة (خاصة لبن الأبقار) فی السن المبکرة حتی العام الأول من العمر و ازدیاد نسبة الإصابة بمرض السکری «۱». و فی دراسة أجریت بقسم الباطنیة سنة ۱۹۹۵ م تحت/ إشراف أ. د مجاهد محمد أبو المجد «۲»/ وجد أن الأجسام المناعیة المضادة للبن الأبقار وجدت فی مصل الأطفال الذین تناولوا لبن الأبقار حتی نهایة العام الثانی، أما الأطفال الذین

تناولوا لبن الأبقار بعد عامین من العمر فلم یتضح فیهم وجود هذه الأجسام المناعیة مما یظهر جلیا حکمة تحدید القرآن الکریم للرضاعة بعامین کاملین. لکن لما ذا یسبب لبن الأبقار هذا الضرر علی الطفل قبل عامه الثانی، بینما یزول الأثر السیئ للبن الأبقار بعد هذه المدة؟. فی دراسة أجریت بفنلندا عام ۱۹۹۴ م منشورة فی مجلة المناعة الذاتیة، یقول المؤلفون: إن بروتین لبن الأبقار یمز بحالته الطبیعیة من الغشاء من خلال ممرات موجودة فیه، حیث إن إنزیمات الجهاز الهضمی لا تستطیع تکسیر البروتین إلی أحماض أمینیة، و لذلک یدخل بروتین لبن الأبقار کبروتین مرکب مما یحفز علی تکوین أجسام مناعیة داخل جسم الطفل «۳۰». (انظر الصورة رقم: ۱۲۴). (۱۷، ۱: ۱۳ - ۹ (۱) _____ SC)

۲) .YTINUMMI OTUA ۱۹۹۴, SETEBAID, EH NIETSRAG (NAJ) أستاذ الأمراض الباطنیة و السکر بکلیة طب المنصورة- جمهوریة مصر العربیة- (۳) ۷۴- ۱۶۵: ۳۳, ۱۹۹۴. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۶۳ و تشیر المراجع الحدیثة إلی أن الإنزیمات و الغشاء المبطن للجهاز الهضمی و حرکیة هذا الجهاز و دینامیکیة الهضم و الامتصاص لا یکتمل عملها بصورة طبیعیة فی الأشهر الأولی بعد الولادة، و تکتمل تدریجیا حتی نهایة العام الثانی «۱۰». و مجموع هذه الأبحاث یشیر إلی أنه کلما اقربت مدة الرضاعة الطبیعیة من عامین کلما قلّ ترکیز الأجسام المناعیة الضارة بخلایا بیتا البنکریاسیة التی تفرز الأنسولین. و کلما بدأت الرضاعة البدیلة و خاصة بلبن الأبقار فی فترة مبکرة بعد الولادة، کلما ازداد ترکیز الأجسام المناعیة الضارة فی مصل الأطفال ... «۲۰». و هکذا تتضح جلیا حکمة تحدید الرضاعة بحولین کاملین فی إشارة علمیة دقیقة من القرآن الکریم. و جاءت الأبحاث العلمیة الحدیثة لتؤکد و لتبرهن علی صدق و إعجاز ما أخبر به القرآن الکریم» «۳۰». أضف إلی ذلک أن المخ و الجهاز العصبی یمران بتغیرات سریعة خلال سنوات الطفولة الأولی، و الدهن مکون مهم من مکونات الجهاز العصبی، و اللاکتوز ضروری لبناء (دهن اللبن SIDIPILOTCALAG) فی المخ النامی، و لبن الإنسان یختلف عن ألبان غالبیة الثدییات الأخری فی أن ترکیز اللاکتوز به أعلی. و بالتالی فإن تناول لبن الأبقار و الحیوانات الأخری الذی یحتوی علی کمیة منخفضة من اللاکتوز بالنسبة إلی لبن الأم قد یکون له أثر سلبی علی صحة الطفل. و علیه فإن تمدید فترة الرضاعة من الأم إلی سنتین هو لصالح عقل الطفل، و جهازه العصبی علی وجه الخصوص، و لسائر أعضائه علی وجه العموم. لما ذا حدد الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم مدة الرضاعة بعامین؟، هل کان لدیه أجهزة تمکنه من معرفة: أن هناک ممرات بین خملات المعدة تسمح للأجسمة الغریبة أن تمر بدون رقابة علیها إلی السنة الثانیة؟ و أن حرکیة الجهاز الهضمی لا تکتمل إلا بعد عامین؟ و أن إنزیمات المعدة و الأمعاء لا تعمل بفعالیة إلا عند نهایة العام الثانی؟، أم هل کان ملک یستطیع أن ینفذ عبر جدار البطن و الرحم لیشاهد بدقة ما ذا یجری هناک؟، أم هل کان للرسول صلّی اللّه علیه و سلّم أجهزة تحلیل تمکنه من معرفة أن الدهن مکون مهم من مکونات المخ النامی و الجهاز العصبی، و أن الرضیع یحتاج للدهن الموجود فی لبن الأم (_____ ؟ ۱) ۷۳۰ - ۵۹۷۲۲

۳) .TE TTITTEP :(۱۹۹۷) TECNAL :۱۶۸ -۱۶ :(۲) .TE SACUL ;(۱۹۹۲) TECNAL) مجلة الإعجاز العلمی، عدد ۴، ص ۸- ۹. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۶۴ یجیبنا الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم بوحی من اللّه تعالی: قُلْ لا أَقُولُ لَکُمْ عِنْدِی خَزائِنُ اللَّهِ وَ لا أَعْلَمُ الْغَیْبَ وَ لا أَقُولُ لَکُمْ إِنِّی مَلَکٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما یُوحی إِلَیَّ قُلْ هَلْ یَسْتَوِی الْأَعْمی وَ الْبَصِیرُ أَ فَلا تَتَفَکَّرُونَ [الأنعام: ۵۰].

۹- أسباب تحریم المرضع:

۹- أسباب تحریم المرضع: * قال عزّ و جلّ: حُرِّمَتْ عَلَیْکُمْ أُمَّهاتُکُمْ وَ بَناتُکُمْ وَ أَخَواتُکُمْ وَ عَمَّاتُکُمْ وَ خالاتُکُمْ وَ بَناتُ الْأَخِ وَ بَناتُ الْأُخْتِ وَ أُمَّهاتُکُمُ اللَّاتِی أَرْضَعْنَکُمْ وَ أَخَواتُکُمْ مِنَ الرَّضاعَةِ ... [النساء: ۲۳]. * قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «یحرم من الرضاع ما یحرم من النسب» [أخرجه البخاری ح ۵۴]. لقد جاء فی الإسلام أمر مهم ینظم العلاقات الاجتماعیة، ألا و هو تحریم زواج بعض الأقارب ببعض. و التحریم ینص- فیما ینص- علی أن لا یتزوج المرء من أمه أو أخته أو عمته أو خالته ... إلخ، کما یبیح له أن ینظر إلی بعض أجزاء أجساد محارمه، و یفرض علیه بعض الواجبات مثل: الانفاق علیهم، و الاعتناء بهم، و إلی ما هنالک من واجبات. و أسباب تحریم الأقارب تعود إلی عدة عوامل، منها: أ- وجوب إنشاء تنظیم اجتماعی یجب العمل به حتی یسود الأمان و الطمأنینة داخل المجتمع الإنسانی، فینتظم علی أسس سلیمة توجه الحیاة البشریة فی توارثه و علاقاته الاجتماعیة و ولاته ... إلخ. ب- مراعاة متطلبات النفس البشریة التی تشمئز من التزاوج مع قریب لها (کالأب و الأم) لقرابته الفکریة و الجسدیة. ج- حمایة النسل الإنسانی، فهناک أسباب علمیة تفرض تحریم العلاقات الجنسیة حتی لا یتأذی النسل البشری «۱۰». و فی هذا البحث ستتحدث عن سبب من تلک الأسباب، ألا و هو مراعاة متطلبات النفس البشریة من الناحیة الجسدیة. و مراعاة متطلبات النفس البشریة من الناحیة الجسدیة تکمن بإبعاد العلاقات الجسدیة بین الأقارب ذات التقارب فی النسیج الجسدی.

(_____ ۱) سوف نتحدث عن هذه الظاهرة فی مبحث «معجزة الرؤیة الإسلامیة فی علم الوراثة». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۶۵ فالإنسان یشمئز أن یتزاوج من قریبته التی تشابهه فی الترکیب الفیزیولوجی مثل: أمه، أو خالته، أو عمته، أو أخته ... إلخ. و التقارب الفیزیولوجی بین الأقارب أقره العلم الحدیث، فالأقارب تتشارک فی المورثات التی تتحدر من آبائهم، و بذلک فبعضهم أقرب لبعض من غیرهم من وجهة النظر الوراثیة. کذلک فلقد أظهر العلم الحدیث، مع ظهور و انتشار زراعة الأعضاء، أن أحسن متبرع بعضو من أعضائه لشخص آخر مریض هو أحد الوالدین و خاصة الأم، أو الأخوة المباشرین یتبعهم الأقارب مثل: الخال، و العم، و الجد، حیث إن نسبة عوامل رفض جسم المریض لتلک الأعضاء أقل ما یمکن فی تلک الظروف، و نجد نجاح نسبة کبیرة من اختبارات التجانس النسیجی بینهم مقارنة بالغرباء «۱۱». و نعطی مثالا- آخر فی هذا المجال و هو: تقبل جسم الأم لجنینها و عدم طرده، مع أنه مخالف لها من وجهة الترکیب الجینی و یعتبر بذلک کعضو غریب مزروع داخلها. و فی مجال الرضاعة، فإن الأم المرضع تحمل فی لبنها صفات فیزیولوجیة خاصة بها، فالریبوسوم بمثابة مصنع للخلایا اللبنیة و یقوم بناء اللبن وفقا للأوامر أو الشیفرة الجینیة «۲» التی یحملها الرسول (الآمر إن آی ANR) من (الذی آن آی AND) الموجود فی نواة الخلیة و الذی یمثل أصل الإنسان (أی أساسا لترکیبته و هنا أساس لترکیبة الأم) «۳۰»، و علی سبیل المثال: فإن بروتین اللبن «بینی ... علی الریبوسوم

(_____ ۱) yeliaB ۱۹۷۵ D. H eihctiR H. J. A sniaR ۴ tces ۱۴ hc ,enrobleM ,madredtsemA ,oykoT ,YN ,nodnoL bidE enotsgniviL llihcruhC .lbuP .noitatnalp -snarT DE DR ۳ yregrus fo ecitcarP .selapicnirP ,۱۹۹۵ D .I doeLcaM ,C .D RETRAC ,MDA tserroF .۱۲۷۴ -۱۲۶۸ pp ,۵۶ hc noitatnalpsnarT nagrO .nod -noL

۲) . oC ,siweL L .H .lbup .yregruS fo ecitcarp trohS evoL-) و تعد الشیفرة الجینیة من دقائق الأمور التی لا یعلم بها إلا المختصون من الأطباء فی عصرنا، إلا أننا نری بعض النصوص من الأحادیث النبویة تشیر بوضوح إلی هذه الشیفرة الجینیة من طریق اصطلاح خاص، و هو إحضار العروق، الذی یمثل عملیة إحضار الأصل- أی الشیفرة الجینیة التی بنیت علیها العروق- إلی حیّز ترکیب المادة الحیویة من بروتینات و أنزیمات ... إلخ. و هذا إعجاز صریح من خلال النص النبوی الذی یکشف عن ظاهرة علمیة دقیقة لم تکن ظاهرة من قبل، و أقل ما یقال فی هذا: فلیهنأ المسلمون بهذا الدین العظیم. و لمزید من التفاصیل انظر مبحث «الذنب».

(۳) لمزید من التفسیر انظر مبحث «معجزة الرؤیة الإسلامیة فی علم الوراثة». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۶۶ تبعا لرسالة الشفرة الجینیة الخاصة بالنوع» «۱۰». و علی وجه عام فإن لبن الرضاعة یعتبر فیزیولوجیا انعکاسا لترکیب جسم المرأة المرضعة و ذلک لأن «العناصر الغذائیة المختلفة فی لبن الثدی تکون مزیجا من الدهن و البروتین اللاکتوز و الأملاح المعدنیة و الفیتامینات (و قد) تم ترکیبها وفقا للبیانات الوراثیة الموجود سرها فی خلایا غدد اللبن و التی نشأت مع الجنس البشری» «۲۰». هذه الصفات الفیزیولوجیة تنقلها الأم إلی طفلها من خلال الرضاعة، و ذلک لأن الرضیع یمتص جمیع الغذاء الذی تقدمه له أمه، إبان فترة الرضاعة، و هذا الغذاء یستعمل فی بناء أنسجة أعضائه. فبروتین اللبن مثلا یدخل فی ترکیب الخلایا الجسمیة، و خصوصا فی الأسابیع الأولی من الرضاعة. و هکذا فإن الطفل یحمل بعض الصفات الفیزیولوجیة شبیهة لصفات الأم المرضع. و الدلیل علی أن أنسجة الطفل تتأثر باللبن الذی یرضعه هو: أن طبیعة الدهن فی جسم الرضیع تتوقف علی نوعیة الدهن فی غذائه، و قد أوضحت عینة لنسیج عند فحصها میکروسکوپیا تشابها کبیرا بین تکوین الأحماض الدهنیة لدی الطفل و أحماض الغذاء. کذلک، فإن لبن الأم یحتوی علی (الأجسام المضادة SEIDOBITNA) التی تعطی للطفل مناعة من الأمراض فی الشهور الأولی من حیاته، و هذا اللبن لا یکتفی بإمداده بتلک المضادات و لکنه یحفز جسم الطفل علی تنمیة جهازه المناعی الخاص «۳۰» حتی یصبح قادرا علی تکوین هذه الأجسام المضادة الخاصة به فیما بعد. و بذلک فإن الأم و الرضیع لهما بعض أوجه التشابه من الناحیة الفیزیولوجیة و المناعیة. و للأسباب التی سردناها آنفا (أی للتقارب الفیزیولوجی و المناعی) و لأسباب أخری سیکتشفها العلم فی المستقبل- و الله أعلم- فإن العلاقة الجنسیة تحرم بین الأم المرضعة و رضیعها مصداقا لقوله تعالی: حُرِّمَتْ عَلَیْکُمْ ... وَ أُمَّهاتُکُمُ اللَّاتِی أَرْضَعْنَکُمْ [النساء: ۲۳]. و من المفهوم نفسه فإن جسم المولود یشبه أو یحمل بعض أوجه الشبه لجسم أخته فی الرضاعة (و ذلک لأنها رضعت أیضا من نفس الحلیب الذی ساهم هو أیضا بإنماء أنسجة لدیها تحمل بعض أوجه التشابه الفیزیولوجی لنسیج أخیها فی الرضاعة).

(_____ ۱) کتاب الرضاعة الطبیعیة، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، ص ۱۳۸. (۲) کتاب الرضاعة الطبیعیة، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، ص ۱۳۸ - ۱۳۵ - ۱۴۹. (۳) کتاب تغذیة الطفل: الأساس الفیزیولوجی، منظمة الصحة العالمی، ص ۳۱، بتصرف. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۶۷ و بالتالی فإن العلاقة الجنسیة تحرم بینهما وفقا لقوله تعالی: حُرِّمَتْ عَلَیْکُمْ ... وَ أَخَواتُکُمْ مِنَ الرَّضاعَةِ [النساء: ۲۳]. و من نفس الشرح نفهم لما ذا حرم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم الزواج بین الأقارب بالرضاعة بقوله: «یحرم من الرضاع ما یحرم من النسب» [أخرجه البخاری ح ۵۴].

۱۰- نوعیة اللبن المحرّم:

۱۰- نوعیة اللبن المحرّم: * قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «لا یحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء فی الثدی و کان قبل الفطام»

[أخرجه الترمذی ح ۵۶]. * قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «لا تحرّم المصّة و لا المصّتان» [أخرجه أحمد ح ۶۰]. و نطرح سؤالا: هل کل من یرضع من الثدی قلیلا أو کثیرا تحرم علاقته بأمه أو بأخته من الرضاعة؟ أم هناک ضوابط لهذا الأمر؟. هناک ضوابط لهذه الظاهرة تبعا لکمیة و نوعیة اللبن الذی یمتصه المولود: إن الحدیث «لا یحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء فی الثدی و کان قبل الفطام» یدل علی أن هناک أکثر من نوع من الحلیب فی الثدی (و ذلک من جراء استعمال حرف الاستثناء «إلا» «۱»، و یدل علی أن الحلیب الذی یستثنیه الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم هو الذی لا یفتق الأمعاء و لا ینتج عنه تحریم. تری ما هذا الحلیب الذی لا یفتق الأمعاء؟، و ما الوسیلة التی یخرج بها من الثدی؟، کما أسلفنا القول: فإن هناک وسیلة، غیر التی تفتق الأمعاء فی الثدی، یتم عبرها إخراج اللبن و هی « (إفراز خارجی SSECORP ENIRCOXE) حیث یتم الانتقال (انتقال اللبن) خلال غشاء الخلیة» «۲»، «و هذا النوع من الإفراز یسمح فقط لنوع من اللبن المخفف و الذی یحتوی علی نسبة أقل من الدهون (۲ فی المائة) و البروتین، لیمر اللبن فی قنوات الثدی حتی یصل إلی الجیوب اللبنیة، حیث یبقی بها لیتناولها الطفل فی الوجبة التالیة. و یسمی هذا اللبن (باللبن الأولی KLIM EROF) (و نصطلح علیه باللبن المخفف) و یکوّن حوالی ثلث حجم اللبن المتاح للطفل. و عند ما یبدأ

(_____ ۱) و المستثنی منه محذوف، و یدل علیه المستثنی، و هو: ما فتق الأمعاء، و المقصود به الحلیب المرضوع، و علیه فیکون المستثنی منه الحلیب، و المعنی: لا یحرم حلیب من الرضاعة إلا حلیب فتق الأمعاء، و هذا أسلوب معروف فی العربیة، و شائع استعماله فی الاستثناء، و هو حذف المستثنی منه إذا کان الاستثناء منفیا، و یسمّی هذا الأسلوب استثناء مفرّغا، و یقدّر المستثنی منه المحذوف حینئذ حسب المستثنی الموجود. (۲) کتاب الرضاعة الطبیعیة، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، ص ۱۳۵. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۶۸ الطفل فی الرضاعة تفرز الأم (اللبن الخلفی KLIM DNIH) (و نصطلح علیه باللبن المثقل) الناتج (المحتوی) علی نسبة أعلی من المواد الدهنیة (من ۴ إلی ۷ فی المائة) و یکوّن هذا اللبن ثلثی حجم لبن الرضاعة ...» «۱». من المقطع أعلاه یتضح لنا ما یرمی إلیه الحدیث النبوی الشریف: «لا یحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء فی الثدی و کان قبل الفطام» [أخرجه الترمذی ح ۵۶]. فالحلیب المستثنی من قبل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم هو- و اللّه تعالی أعلم-: اللبن المخفف الذی لا یفتق الأمعاء، فهذا اللبن یخرج بواسطة عملیة التناضح (التمایز) الغشائی «۲»، و هو لیس بسبب کاف لأن یبرر التحریم: فهو لا یحتوی علی غذاء کاف و بذلک لا یؤدی فی الغالب إلی بناء أنسجة فی جسم الطفل مشابهة فیزیولوجیا إلی حد ما لأمه بالرضاعة أو لأخته من الرضاعة «۳». و هذا الحلیب، أی اللبن المخفف، یبقی بالجیوب اللبنیة خلف الحلمة بحیث یخرج عند ما یبدأ الطفل فی الرضاعة أی عند أول مصة أو مصتین، و هو الذی تتحدث عنه نبوءة الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم فی الحدیث: «لا تحرّم المصّة و لا المصّتان» [أخرجه أحمد ح ۶۰]. لذلک لا بد أن تکون الوجبة مشبعة حتی تکون سببا کافیا للتحریم. و بالفعل عند ما یبدأ الطفل فی الرضاعة، و عند ما یلمس حلمة الثدی تنبه أطراف الأعصاب الموردة (الحسیة)، و تمر الإشارة إلی الهیبوتلاموس الذی ینشط بدوره الفصین الأمامی و الخلفی للغدة النخامیة، و یفرز الفص الأمامی هرمون البرولاکتین، و یقوم البرولاکتین الناتج بتنشیط الغدد اللبنیة بالثدی و حثها علی الإفراز. و فی الوقت نفسه یفرز الفص الخلفی للغدة النخامیة مادة (الأوکسیتوسین NICOTYXO) التی یتسبب عنها انقباض فی (الخلایا العضلیة SLLEC LAILEHTIPEOYM) ینسیج الثدی (انظر الصورة رقم: ۱۲۵ - A) و بذلک تنعصر الغدد اللبنیة بما یسمح للکریات الدهنیة و حبیبات البروتین الأکبر حجما بالمرور إلی القنوات اللبنیة. (انظر الصورة رقم: ۱۲۵ B-

۱) _____ کتاب الرضاعة الطبیعیة، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، ص ۱۰۵. (۲) و عملیة التمایز تتلخص بأن یمر عبر الغشاء الذی یحتفظ باللبن الکریات أو الحبیبات الصغیرة من جراء اختلاف الضغوطات بین جهتی الغشاء. (۳) فهناک أبحاث تشیر إلی أن الأطفال الذین یتغذون علی حلیب یحتوی علی نسبة عالیة من الدهن ینمون بسرعة أکبر من الذین یتغذون علی حلیب یحتوی علی نسبة قلیلة من الدهن (کتاب تغذیة الطفل: الأساس الفیزیولوجی، منظمة الصحة العالمیة، ص ۷۴). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۶۹ من جراء اختلاط اللبن المخفف باللبن المثقل یتغیر تکوین اللبن تدریجیا خلال التغذیة. ففی نهایة الرضعة یحتوی اللبن من الدسم من أربعة إلی خمسة أمثال ما یحتویه فی أول الرضعة «۱» و بذلک یستجد احتیاجات الطفل الغذائیة. ((SC

۱) _____ کتاب تغذیة الطفل: الأساس الفیزیولوجی، منظمة الصحة العالمیة، ص ۲۶. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۷۰ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۷۱

۱۱- الجوع أساس فی التحریم:

۱۱- الجوع أساس فی التحریم: * قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «انظرن من إخوانکن! فإنما الرضاعة من المجاعة» [أخرجه البخاری ح ۵۵]. * عن أم الفضل أن نبی اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم سئل عن الرضاع فقال: «لا تحرّم الإملاجة و لا الإملاجتان» [أخرجه النسائی ح ۵۹]. إذا جمعنا الحدیثین: «لا یحرّم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء فی الثدی و کان قبل الفطام» [أخرجه الترمذی ح ۵۶] و «انظرن من إخوانکن! فإنما الرضاعة من المجاعة» [أخرجه البخاری ح ۵۵] فهمنا أن الرضاعة لا تحرم إلا بعملیة فتق الأغشیة فی الثدی و هذه العملیة لا تحصل إلا إذا کان الرضیع جائعا. فإذا جاع الرضیع تولّد عنده الحافز للامتصاص القوی و بدأ بعملیة شفط قویة تؤدی إلی إحداث ضغط سلبی فی أمعاء الثدی و إلی تمزیق أغشیة الغدد التی تفرز بدورها عن اللبن المثقل. و إن لم یکن الرضیع جائعا، لم یبذل الجهد الکافی و خرج النوع الأول من اللبن فقط و هو اللبن الأولی (أو اللبن المخفف) من خلال عملیة التمایز الغشائی الذی لا یبرر التحریم. و یشیر إلی ذلک الحدیث الشریف و هو: «لا تحرم الإملاجة و لا الإملاجتان» [أخرجه النسائی ح ۵۹] «۱»، و هو ینص علی أن تناول ثدی الأم بأدنی الفم- بحیث یمص الطفل مصة خفیفة أو مصتین خفیفتین- لا یحرم. و فی حالة الإملاج لا یکون الرضیع جائعا لأن الرضیع الجائع هو من یمص بطریقة الشفط و لا تشبعه الإملاجة و لا الإملاجتان التی لا تفتق أمعاء الثدی، فالذی یشبعه هو الحلیب المثقل الذی نتج من الفتق ضمن کمیة کبیرة یکتفی بها الرضیع. لا شک أن الرضیع الجائع سیحاول أخذ الثدی بکل قواه، و بالتالی لن یکتفی بتناول الحلمة بطرف فمه و لکن یتمکن فمه. و لهذا فمن مستلزمات الرضاعة الناجحة- أی من مستلزمات إدرار اللبن- أن ینشأ للطفل الفعل المنعکس الامتصاصی و هو: أن یستحلب الطفل اللبن بین أعلی باطن الفم و اللسان بحرکات رتیبة یقوم بها اللسان و الفکّ الأسفل. و یکون کذلک بعد محاولات قلیلة عند ما تلتقط شفتا الطفل ثدی الأم و یندفع اللسان إلی الأمام ثم إلی الخلف لیضغط علی الحلمة نحو سقف الفم.

(_____ ۱) جاء فی الصحاح للجوهری- مادة «ملج»- (ج ۱/ ص ۳۴۲): «الملج: تناول الثدی بأدنی الفم. یقال: ملج الصبی أمه: أی رضعها. و امتلج الفصیل ما فی الضرع: امتصه». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۷۲ و یمتلئ الجزء الخلفی من فمه بالحلمة و تساعد حرکات الفکّ اللتین علی أن تضغطا علی هالة الثدی بما یعصر اللبن فی الفم. (انظر الصورة رقم: ۱۲۶). أما عضلات الوجنة فتساعد عملیة المص کما تحافظ علی الضغط السلبی (المنخفض) فی الفم. و لو لا هذه الحرکة أی إتمام إطباق فم الطفل علی الثدی لم یتم إدرار اللبن بکثرة، و لم یتم التحریم، لأن الرضیع یکون قد ملج الثدی إما لأنه لیس جائعا، و إما لأنه لم یتولد عنده الفعل المنعکس الامتصاصی السلیم. (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۷۳

۱۲- مقدار اللبن المحرّم:

۱۲- مقدار اللبن المحرم: * عن ابن شهاب أنه سئل عن رضاعة الکبیر فقال: ... فجاءت سهلة بنت سهیل- و هی امرأة أبی حذیفة و هی من بنی عامر بن لؤی- إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم فقالت: یا رسول اللّه: کنا نری سالما ولدا و کان یدخل علی و أنا فضل و لیس لنا إلا بیت واحد فما ذا تری فی شأنه؟ فقال لها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «أرضعیه خمس رضعات فیحرم بلبنها»، و کانت تراه ابنا من الرضاعة [أخرجه مالک ح ۶۲]. هذا الحدیث یدلّ علی الحد الأدنی من عدد الوجبات التی یجب للرضیع أن یتناولها لکی یتم لدیه بناء أنسجة مشابهة بینه و بین أمه أو أخته من الرضاعة، و تحرم العلاقة بینهم. إلی ذلک فإن المصة و المصتین تستثنیان من کل وجبة (رضعة) مشبعة کما ینص الحدیث الشریف: «لا تحرم المصة و لا المصتان» [أخرجه أحمد ح ۶۰] «۱».

(_____ ۱) یتلخّص موقف العلماء المسلمین فی مقدار المحرّم من اللبن علی النحو التالی: «أما مقدار المحرّم من اللبن: فإن قوما قالوا فیه بعدم التحدید، و هو مذهب مالک و أصحابه، و روی عن علی و ابن مسعود، و هو قول ابن عمر و ابن عباس، و هؤلاء یحرّم عندهم أی قدر کان، و به قال أبو حنیفة و أصحابه و الثوری و الأوزاعی. و قالت طائفة بتحدید القدر المحرّم، و هؤلاء انقسموا إلی ثلاث فرق: فقالت طائفة: لا تحرّم المصة و لا المصّتان، و تحرّم الثلاث رضعات فما فوقها، و به قال أبو عبید و أبو ثور. و قالت طائفة: المحرّم خمس رضعات، و به قال الشافعی. و قالت طائفة: عشر رضعات. و السبب فی اختلافهم فی هذه المسألة: معارضة عموم الکتاب للأحادیث الواردة فی التحدید، و معارضة الأحادیث فی ذلک بعضها بعضا. و الأحادیث المتعارضة فی ذلک راجعة إلی حدیثین فی المعنی: أحدهما: حدیث عائشة و ما معناه أنه قال علیه الصلاة و السلام: «لا تحرّم المصّة و لا المصّتان أو الرّضعة و الرّضعتان» خرّجه مسلم من طریق عائشة، و من طریق أم الفضل، و من طریق ثالث، و فیه قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «لا تحرّم الإملاجة و لا الإملاجتان». و الحدیث الثانی: حدیث سهلة فی سالم أنه قال لها النبی صلّی اللّه علیه و سلّم: «أرضعیه خمس رضعات». و حدیث عائشة فی هذا المعنی أیضا قالت: «کان فیما نزل من القرآن: عشر رضعات معلومات ثم نسخن بخمس معلومات، فتوفی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و هن مما یقرأ من القرآن». فمن رجح ظاهر القرآن علی هذه الأحادیث قال: تحرّم المصّة و المصتان. و من جعل الأحادیث مفتّرة للآیة، و جمع بینها و بین الآیة، و رجح مفهوم دلیل الخطاب فی قوله علیه الصلاة و السلام: «لا تحرّم المصّة و لا المصّتان» علی مفهوم دلیل الخطاب فی حدیث سالم قال: الثلاثة فما فوقها هی التی- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۷۴ - _____ تحرّم، و ذلک أن دلیل الخطاب فی قوله: «لا تحرّم المصّة و لا المصّتان» یقتضی أن ما فوقها یحرّم، و دلیل الخطاب فی قوله: «أرضعیه خمس رضعات» یقتضی أن ما دونها

لا یحرّم» (بدایة المجتهد و نهایة المقتصد، لابن رشد، الفصل الثالث: فی مانع الرضاع، المسألة الأولی: فی مقدار المحرّم من اللبن، ص ۴۲۱- ۴۲۲). و فی رأینا فقد نشأ هذا الاختلاف لعدّة أسباب (أو لأحد هذه الأسباب التالیة): منها عدم الالتفات إلی المعنی اللغوی لکلمتی «مصّ» و «رضع»، و منها عدم إلمام بعض الفقهاء المسلمین بالعلم الکونی فی مجال الرضاعة، و منها قلّة اعتبار معانی بعض الأحادیث و لا سیّما الحدیثان «لا یحرّم من الرّضاعة إلّا ما فتق الأمعاء فی الثّدی و کان قبل الفطام» [أخرجه الترمذی ح ۵۶] و «لا یحرّم من الرّضاع إلّا ما أنبت اللّحم و أنشز العظم» [أخرجه الإمام أحمد ح ۵۸] اللذان قد یساعدان علی إلقاء الضوء علی مقدار اللبن المحرّم، و منها العمل علی الترجیح بین الأحادیث، أکثر من العمل علی التألیف بینها. و کلمة «مصّ» تعنی شرب اللبن بکمیّة قلیلة. جاء فی لسان العرب: «مصص ... فی حدیث عمر رضی اللّه عنه: أنه مصّ منها، أی نال القلیل من الدنیا». و جاء فی القاموس المحیط، باب مصصته: «مصصته، بالکسر، أمصّه و مصصته أمصّه، کخصصته أخصّه: شربته شربا رفیقا». و کلمة «رضع» تعنی شرب اللبن. جاء فی مقاییس اللغة: باب الراء و الضاد، و ما یثلثهما: «رضع: الراء و الضاد و العین أصل واحد، و هو شرب اللّبن من الضّرع أو الثّدی». و جاء فی مختار الصحاح، باب الراء: «رضع: ر ض ع: رضع الصبی أمه بالکسر رضاعا بالفتح ... و ارتضعت العنز، أی شربت لبن نفسها». و انظر أیضا لسان العرب. فالرضاع هو شرب اللبن، و قد یحدث إذا شربت قلیلا أم کثیرا، أی بمصّة أو مصّتین أو ثلاث ...، و الرضعة هی الواحدة من الرضاع- أی وجبة- و قد تشمل عدّة مصّات. و بعض الأحادیث التی جاءت فی هذا الباب ورد فیها «المصّة و المصّتان أو الرضعة و الرضعتان»، و قد جاء الفصل بین فعلی «المصّ» و «الرضاع» بکلمة «أو» التی قد تفید أحد القولین: إما الشک، و إما التخییر. و تفصیل دلالة الشک لکلمة «أو» فی الحدیث التی روته السیدة عائشة رضی اللّه عنها هو کالآتی: جاء فی شرح الحدیث رقم ۱۹۴۰ فی شرح سنن ابن ماجة للسندی: «قوله: (الرضعة و لا الرضعتان أو المصة إلخ): أو: للشک»، فإذا کان الشک، فذلک مردّه أن أحدا من الرواة نسی اللفظ الذی جاء علی لسان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، فشکّ أن الفعل المراد هو المص أو الرضاع، و بالتالی علینا الترجیح فی أیّ من اللّفظین: «مصّة» أو «الرضعة» هو المراد بالأصل. و معظم الأحادیث التی وردت فی هذا الباب جاءت بلفظ «المصّة و المصّتان» فقط، و جاء فی بعض الأحادیث «الإملاجة و لا الإملاجتان»، و معنی کلمة «إملاجة» هو معنی کلمة المصّة: و هو الشرب القلیل، و لکن بأدنی الفم (انظر مبحث «الجوع أساس للتحریم»)، مما یعزّز أن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم أراد معنی المصّة فی الحدیث الذی رواه مسلم، و اللّه تعالی أعلم. و الذی یدعّم مقولتنا الحقائق العلمیة و الحدیثان: «لا یحرّم من الرّضاعة إلّا ما فتق الأمعاء فی الثّدی و کان قبل الفطام» [أخرجه الترمذی ح ۵۶] و «لا یحرّم من الرّضاع إلّا ما أنبت اللّحم و أنشز العظم» [أخرجه- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۷۵ -

_____

الإمام أحمد ح ۵۸]. فالحقائق العلمیة تشیر إلی أن الحلیب المخفّف- الذی لا یحتوی علی کثیر من الدسم (و الذی لا یسبب بالتالی التحریم)- هو الذی یخرج فی أول مصّتین لثدی الأمّ، بینما یخرج الحلیب المثقّل المغذّی- الذی یحتوی علی کثیر من الدسم (و الذی یسبب بالتالی التحریم)- بعد ذلک من خلال عملیة شفط قویّة تستوجب عدّة مصّات. و الحدیث الأول یشیر إلی أن الحلیب الذی یخرج بدون فتق الأمعاء فی الثدی لا یحرّم، و لیس کافیا أن ینبت لحم الطفل و ینشز عظمه (کما یفیده الحدیث الثانی)، و هذا الحلیب- کما أشرنا إلیه سابقا- لا یمکن أن یکون إلا الحلیب الذی یخرج فی أول مصّتین حسب المعطیات العلمیة. و من هنا نفهم أن المعطیات العلمیة و الحدیثیة و الدلالات اللغویة تشیر معا إلی أنه لا یجب علینا أن نعتبر أن المصّتین الأولیین للثدی هما بمثابة غذاء جیّد، و وجبة کاملة للطفل، و بالتالی فإن المصّتین هو اللفظ المقصود بالحدیث الذی رواه مسلم، و هذا ما ترجّحه، و اللّه تعالی أعلم. و تفصیل دلالة التخییر لکلمة «أو» فی الحدیث التی روته السیدة عائشة رضی اللّه عنها هو کالآتی: جاء فی لسان العرب، باب الهمزة: «أو: حرف عطف. و أو: تکون للشک و التخییر، و تکون اختیارا». و إذا اعتبرنا أن کلمة «أو» هی للتخییر، فیکون المعنی: لا- تحرّم المصة أو المصتان أو الوجبة (الرضعة) و الوجبتان (الرضعتان)، أی لا تحرم المصة أو المصتان کما لا تحرم الوجبة و الوجبتان. فإذا سلّمنا بأن هناک فرقا بین کلمتی «مصّة» و «رضعة»، بقی علینا أن نجیب علی من ادعی أن الحدیثین «لا تحرّم المصّة و المصّتان» [أخرجه أحمد ح ۶۰] و «أرضعیه خمس رضعات» [أخرجه الإمام مالک ح ۶۲] معارضان للآیة القرآنیة: وَ أُمَّهاتُکُمُ اللّاتِی أَرْضَعْنَکُمْ [النساء: ۲۳]. فالآیة: وَ أُمَّهاتُکُمُ اللّاتِی أَرْضَعْنَکُمْ [النساء: ۲۳] تتکلّم عن النساء اللاتی تطعم أولادهن من لبنهنّ فی الرضاعة التی تحرم، و لا مانع أن یکون هناک قید لهذه الظاهرة، بمعنی: و النساء اللاتی ترضع أولادهنّ الرضاعة التی تحرم [أی أن ترضع کما یتوجب]. و أمّا التعارض بین الحدیثین «أرضعیه خمس رضعات فیحرم بلبنها» و «لا تحرّم المصّة و المصّتان» فیزول عند ما نفهم معنی کلّ من کلمتی «مصّة» و «رضعة». فالمصّة هی جزء من الرضعة، و بالتالی فإن الحدیث الثانی یأتی مقیّدا للحدیث الأول. و إذا عملنا علی التألیف بینهما فهمنا أن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم أمر سهلة بأن ترضع سالما رضی اللّه عنهما خمس رضعات، کلّ واحدة منها لا تقلّ عن مصّتین (أو تستثنیان المصتین الأولیین)، بل کلّ واحدة منها لا تقل عن عدد کثیر من المصّات، لأن الطفل الجائع- کما أشار إلیه الحدیث: «انظرن من إخوانکنّ، فإنّما الرّضاعة من المجاعة» [أخرجه البخاری ح ۵۵]- لا یشبع من خلال ثلاث مصّات، و لا من أربع کما هو مألوف للجمیع. و إذا أخذنا بدلالة کلمة «أو»: للتخییر، فهمنا الحدیث الذی روته عائشة رضی اللّه عنها علی النحو التالی: لا- تحرم الرضعة و الرضعتان [و لا- الثالثة، و لا- الرابعة، بل من الخامسة کما یشیر إلیه الحدیث الذی روته سهلة فی سالم]. فلعلّ تخصیص الرضعة و الرضعتین کان لموافقة السؤال کما تقتضیه روایات الحدیث لیس أکثر. جاء فی شرح ابن ماجة للسندی للحدیث رقم ۱۹۴۰: «قوله: (الرضعة و لا الرضعتان أو المصة إلخ) ... و لعل تخصیص المصة و المصتین لموافقة السؤال کما تقتضیه روایات الحدیث فلا یدل علی أن الثلاث محرمة عند القائل بالمفهوم». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۷۶ -

_____

و الحدیث: «لا یحرّم من الرّضاع إلّا ما أنبت اللّحم و أنشز العظم» [أخرجه الإمام أحمد ح ۵۸] یؤکد أن المصة أو المصتین أو الوجبة و الوجبتین من اللبن لیستا کافیتین للتحریم، و أنه لا یسبّب التحریم إلا کمیّة کافیة من اللبن تنبت اللحم و تنشز العظم، و هذا لا یحصل بمصّة أو مصّتین، أو وجبة أو وجبتین غیر مشبعتین، لا تؤثر علی هیکلیة الطفل بشکل ملحوظ. و الحدیث الذی روته السیدة عائشة رضی اللّه عنها: «أنزل فی القرآن عشر رضعات معلومات فنسخ من ذلک خمس و صار إلی خمس رضعات معلومات فتوفّی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و الأمر علی ذلک» [أخرجه مسلم ح ۱۰۴] یعضد هذا الکلام. فالحدیث یصرّح أنه کان من القرآن المنسوخ تلاوة، و لیس حکما، خمس رضعات معلومات. و من المعلوم أن هناک ثلاثة أنواع من النسخ، و تفصیله کما جاء فی صحیح مسلم بشرح النووی فی تفسیر هذا الحدیث: «و النسخ ثلاثة أنواع:- أحدها: ما نسخ حکمه و تلاوته کعشر رضعات.- و الثانی: ما نسخت تلاوته دون حکمه کخمس رضعات و الشیخ و الشیخة إذا زنیا فارجموهما.- و الثالث: ما نسخ حکمه و بقیت تلاوته، و هذا هو الأکثر، و منه: قوله تعالی: وَ الَّذِینَ یُتَوَفَّوْنَ مِنْکُمْ وَ یَذَرُونَ أَزْواجاً وَصِیَّةً لِأَزْواجِهِمْ الآیة، و اللّه أعلم». و تفصیل النسخ: أنه تأخّر نسخ تلاوة الآیة التی تنص أن الرضاع یجب أن یکون بخمس رضعات معلومات حتی إن بعض الصحابة ظلّ یقولها لعدم درایته بنسخها. جاء فی صحیح مسلم بشرح النووی: «و قولها [أی السیدة عائشة رضی اللّه عنها]: (فتوفی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و هن فیما یقرأ) هو بضم الیاء من (یقرأ)، و معناه: أن النسخ بخمس رضعات تأخّر إنزاله جدّا حتی إنه صلّی اللّه علیه و سلّم توفّی و بعض الناس یقرأ خمس رضعات و یجعلها قرآنا متلوّا لکونه لم یبلغه النسخ لقرب عهده، فلمّا بلغهم النسخ بعد ذلک، رجعوا عن ذلک، و أجمعوا علی أن هذا لا یتلی». فهذا الحدیث یخبرنا أن التحریم یحدث بخمس رضعات معلومات، و الرضعة المعلومة ما هی إلا الرضعة المعلوم فیها أن الرضیع تناولها عن جوع، و أنها أشبعته، و أن الحلیب الذی تجرّعه کان من النوع المثقّل الذی یخرج بفتق الأمعاء الموجودة فی الثدی، و أنها أنبتت اللحم و أنشزت العظم، کما نفهم من مجموع الأحادیث، و التفاسیر. جاء فی تفسیر القرطبی للآیة: وَ أُمَّهاتُکُمُ اللّاتِی أَرْضَعْنَکُمْ [النساء: ۲۳]: «فوصفها بالمعلومات إنما هو تحرز مما یتوهّم أو یشک فی وصوله إلی الجوف». و کذلک جاء فی شرح سنن النسائی للسندی للحدیث رقم ۳۳۰۷. فوصف الرضعات بالمعلومات ما هو إلا تنبیه لنا بأن نتأکد أن جمیع الشروط التی تلفّظ بها الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم فی الأحادیث الأخری تطبّق علی أحکام الرضاع قبل أن نطلق حکم التحریم علی المرضعة و الرضیع، و إلا لما صحّ التحریم، و مختصره: أن تکون خمس وجبات مشبعات من لبن الأم المرضع من النوع المثقّل. جاء فی تفسیر القرطبی للآیة رقم ۲۳ من سورة النساء: «و یفید دلیل خطابه أن الرضعات إذا کانت غیر معلومات لم تحرم. و اللّه أعلم». و من المهم جدا أن نشیر إلی أن النسخ بخمس رضعات کان آخر ما آل إلیه الأمر فی مسألة الرضاع، و بالتالی فعلینا العمل به لأننا لا نستطیع أن نعتبر الأحادیث الأخری ناسخة له (و إن لم نعتبر فی نظرنا الأحادیث الأخری معارضة له)، کما أنه یتوجّب علینا العمل بدلالات لفظ النسخ، و هی أن تکون الرضعات معلومات- أی مشبعات-. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۷۷

۱۳- عدوی اللبن:

۱۳- عدوی اللبن: « قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «لا تسترضعوا الورهاء/ أی الحمقاء/ فإن اللبن یعدی» [أخرجه الطبرانی ح ۶۱]. یدل الحدیث السابق علی أن الحماقة معدیة بواسطة الرضاعة، فالرسول صلّی اللّه علیه و سلّم یوجه الأسرة إلی عدم طلب المرضع الحمقاء لترضع الطفل لأن احتمال العدوی واردة. و هذا الحدیث یعطی بعدا علمیا دقیقا ما تعرّفت إلیه البشریة إلا بعد جهد متواصل من الأبحاث العلمیة. و نشیر إلی ما دلت علیه المعطیات العلمیة لیتضح للقارئ عوامل انتقال العدوی: ۱- إن الرضیع یعتمد کلیا علی مصدر واحد (لبن الأم) فی غذائه، و بالتالی فهو یتأثر به جذریا بعکس البالغ الذی یتناول غذاء متنوعا، و لدیه مصادر متعددة للغذاء تمدّه بمختلف العناصر الغذائیة. ۲- إن ترکیبة اللبن تختلف من أم إلی أخری «۱»، فهذا اللبن قد تمّ ترکیبه حسب البیانات الوراثیة الموجود سرها فی خلایا غدد اللبن و التی نشأت مع الجنس البشری «۲». ۳- إن الغذاء الذی یشق من لبن الأم یدخل فی بناء الأنسجة لدی الرضیع «۳». ۴- إن أی تغییر کیمیائی فی اللبن سوف یترجم إلی تکوین مختلف فی أنسجة الجسم التی تتکون آنذاک «۴».

(_____ ۱) کتاب تغذیة الطفل: الأساس الفیزیولوجی، منظمة الصحة العالمیة، ص ۲۵. (۲) کتاب الرضاعة الطبیعیة، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، ص ۱۴۹، بتصرف. (۳) فعلی سبیل المثال: یستخدم معظم البروتین (حوالی ۹۰٪) الذی یتناوله الرضیع فی الأسابیع الأولی من الرضاعة فی بناء الأنسجة. (کتاب الرضاعة الطبیعیة، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی ص ۱۰۹/ کتاب تغذیة الطفل: الأساس الفیزیولوجی، منظمة الصحة العالمیة، ص ۷۳، بتصرف). (۴) فعلی سبیل المثال: فإن الأطفال الذین یرضعون لبن الأبقار أو ترکیبة تحتوی علی زیوت نباتیة یکون عندهم جمیعا مخزون من الدهن مختلف التکوین (کتاب الرضاعة الطبیعیة، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، ص ۱۴۵). إعجاز القرآن فی ما تخفیه

الأرحام، ص: ۴۷۸ ۵- إن المخ و بقیة الجهاز العصبی یمران بتغییرات سریعة خلال سنوات الطفولة الأولی «۱». ۶- إن البروتین و الدهن مکونان مهمان من مکونات الجهاز العصبی «۲». ۷- إن ترکیب البروتین و الدهن یتم وفق الرسالة الجینیة «۳». ۸- إن أی اختلال فی ترکیب البروتین و الأحماض الدهنیة یؤثر علی نمو المخ و الجهاز العصبی بشکل غیر سلیم. ۹- و بما أن الحمقی هی حمقی من جراء اختلال فی الرسالة الجینیة، فبالتالی إن لبنها سوف یحمل فی طیاته انعکاسا لترکیبها المختل إذ إن «العناصر الغذائیة المختلفة فی لبن الثدی (و نشیر هنا بالأخص إلی البروتین و الأحماض الدهنیة) ... تم ترکیبها وفقا للبیانات الوراثیة التی نشأت مع الجنس البشری» و هذا یؤدی بدوره إلی بناء أنسجة مخیة و عصبیة غیر سلیمة لدی الرضیع موافقة لما یحتویه الغذاء. و نعطی بعض الأمثلة: أ- إن المخ یعتمد فی نموه علی الأحماض الأمینیة و لا سیما (اللستین ENITSYC) و (التورین ۴» (ENIRUAT» و بالتالی فإن نقصا فی نسب هذه الأحماض من الممکن أن یؤدی إلی عدم نمو المخ نموا کاملا- و إلی قصور عقلی.

(_____ ۱) کتاب الرضاعة الطبیعیة، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، ص ۱۴۵- ۱۴۶. (۲) فعلی سبیل المثال: إن البروتین المسمی بتورین یلعب دورا مهما کناقل و معدّل لتطور الجهاز العصبی، و (الأحماض الدهنیة غیر المشبعة طویلة السلسلة DICA YTTAF DET ARUTASNUY LOPNIAHC GNOL) مهمة لتطور المخ و النخاع. (کتاب تغذیة الطفل: الأساس الفیزیولوجی، منظمة الصحة العالمیة، ص ۲۶- ۲۷). کما أن الأحماض الدهنیة التی تحتوی علی (ذرات الکربون DICA CIONEYLOP) تتکدس بسرعة فی دماغ الجنین فی الثلث الأخیر من الحمل. (کتاب تغذیة الطفل: الأساس الفیزیولوجی، منظمة الصحة العالمیة، ص ۷۴). (۳) و بالتحدید یتم ترکیب البروتین فی الریبوسوم علی الشبکة الأندوبلازمیة (وفق الرسالة الجینیة) (کتاب الرضاعة الطبیعیة، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، ص ۱۳۵) و بعد أن ینتقل الدهن من الطعام إلی الثدی، و یحدث تحلیله المائی، یتم أسترته بالجلیسرول علی الشبکة الأندوبلازمیة لتکوین قطرات الدهن (وق الرسالة الجینیة أیضا) (کتاب الرضاعة الطبیعیة، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، ص ۱۴۳). (۴) کتاب تشجیع الأمهات علی الإرضاع الطبیعی، د. فیلیستی سفیج کینغ، ص ۵۲. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۷۹ ب- إن الدهن مکوّن مهم من مکوّنات الجهاز العصبی «۱» و هو ضروری لنمو المخ «۲» و یعتمد علی الحامض الدهنی (اللینولین ENILONYL) و علی (الکولسترول ۳» (LORETSELOHC» و بالتالی أی نقص فیهما من المحتمل أن یؤدی إلی قصور عقلی. ج- إن ارتفاعا فی بعض الأحماض الأمینیة بالدم مثل ارتفاع فی (التیروسین ENISORYT) و (الفینیلالانین ENINALYNEHP) و سلسلة الأحماض الأمینیة المتفرعة و (المثیونین ENINOIHTEM) یمکن أن یؤدی إلی قصور عقلی، و ذلک لأن المولود (خاصة بالنسبة للأطفال غیر کاملی النمو) لا یملک الخماز اللازمة لتحلیل هذه الأحماض «۴». و مثال علی ذلک: فإن الأمهات المصابات بالتخلف العقلی المسمی: (ب ک یو UKP)، الناتج عن ارتفاع فی مستوی الحامض الأمینی لدیهن، ینجبن أطفالا أشد تخلفا فی حال إرضاعهن لأولادهن، و کذلک فإن رضاعة الأمهات المصابات (بمرض الزقة س X ELIGARF) لأولادهن تؤثر سلبیا علی عقول أطفالهن. و نفضّل ما یحصل فی المرض المسمی (بالب ک یو UKP): إن مرض (الب ک یو) ینتج عن طفرة جینیة «۵» تحدث من أثر موروثات متنحیة تأتّت من کل من الأبوین «۶»، و یؤدی هذا المرض إلی تراکم الحامض الأمینی (الفینیلالنین ENINALALYNEHP) و نقص مستوی الحامض الأمینی (ل- تیروزین L- ENISORYT) فی الدم «۷» عند الشخص المصاب، فلا یستطیع أن یهضم الحامض الأمینی الأساسی- الفینیلالانین- فیتسنّم جهازه العصبی، و یولّد لدیه خلل عقلی غیر رجعی «۸».

(_____ ۱) کتاب الرضاعة الطبیعیة، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، ص ۱۴۵. (۲) کتاب تشجیع الأمهات علی الإرضاع الطبیعی، د. فیلیستی سفیج کینغ، ص ۴۸. (۳) کتاب تشجیع الأمهات علی الإرضاع الطبیعی، د. فیلیستی سفیج کینغ، ص ۵۲. (۴) کتاب الرضاعة الطبیعیة، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، ص ۱۱۰. (۵) (۲۰۰۴ /۲ ,۷ ,۶) (المدخل لعلم النفس detirehni si UKP woH, kmth. ukp/ sqaf/ gro. craehT. WWW. lmth, ۷/ ۲/ ۲۰۰۴ YGOLOHCYSP OT NOITCUDORTNI)، ریتشارد أتکنسن، إدوارد سمیث، داریل بام، ص ۶۳. (۷) ۲۰۰۴ /۷/ ۲ airunoteklynehP /nrecnoC /nh /ecneics /moc .tsocativ .WWW .)۸ المدخل لعلم النفس، ریتشارد أتکنسن، إدوارد سمیث، داریل بام، ص ۶۳. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۸۰ و لقد رأینا أن المرأة المرضع تستمد الأحماض الأمینیة الأساسیة لحلیب الرضاعة من الدم «۱». و بما أن مستوی الحامض الأمینی عال فی الدم، فمن الطبیعی أن تفرز المرأة الحمقی لبنا یحتوی علی مستوی عال من الحامض الأمینی، مما سیؤثر سلبا علی عقله و جهازه العصبی. و لقد تعدّدت آراء العلماء العاملین فی مجال الرضاعة فی کیفیة التعامل مع هذا المرض، و لکن عبّرت کلها عن نفس المعتقدات، و سنستعرض تلک الآراء فیما یلی: - فمن العلماء من ذهب إلی عدم إرضاع الأم لولدها المصاب بمرض (الب ک یو) لأن جسم الولد لا یستطیع هضم الحامض الأمینی- الفینیلالانین- «۲». - و منهم من ذهب إلی أن المرأة المصابة (بالب ک یو) یجب أن تتبع نظاما حمیویا صارما للغذاء قبل سنة من حملها، و یجب أن تبقی علی هذا النظام خلال إرضاعها حتی یصبح ولدها بصحة جیدة «۳». - و منهم ما لم یفضّل الرضاعة للأطفال المصابین بمرض (الب ک یو)، و نصح بتعدیل وجباتهم «۴». - و منهم من ذهب إلی أن إرضاع الولد من الثدی (بعد اتباع نظام حمیوی معین) أفضل من إطعام الولد من الغذاء الصناعی، و ذلک لأن الأطفال المصابین (بالب ک یو) لهم القابلیة بالاحتفاظ بکمیات غیر طبیعیة من معدن (المولیبدنوم MUNEDBYLOM)، و الغذاء الصناعی یحتوی علی کمیات من معدن المولیبدنوم تفوق بکثیر الکمیات الموجودة فی حلیب الثدی، مما یعنی أن الأطفال الذین یتغذون علی الغذاء الصناعی قد یصبح لدیهم کمیات زائدة من معدن المولیبدنوم «۵». - و منهم من ذهب إلی إرضاع الأولاد من کلا المصدرین: من القارورة التی تحتوی علی حلیب صناعی خال من الحامض الأمینی- الفینیلالانین-، و من الثدی، بحیث إن عدد الوجبات من الثدی تتحدد من خلال نسبة الحامض الأمینی (_____ ۱) راجع مبحث «رعایة الخلق: الرضاعة/ المکونات الأساسیة للبن». (۲) ۲۰۰۴ /۷/ ۲ /nedraG ,۲۷۳۷ deef tsaerb yhW ,lmth .yhW .)۱۹۸۸ yveL .(.nerdlihc evah UKP htiw nemow nehw /yelselleW /moc .seiticoeG .WWW . (۳) ۲۰۰۲ /۲/ ۷ ,lmth .gnideeF sneppah tahW ,lmth .ukp /sqaf /gro .craehT .WWW ۲۰۰۴ /۲/ ۵ ,lufpleh eb yam taht tsaerB ,۹۶ beF /ffutsolan /moc .iiawahstopstoh .WWW . (۵) ۲۰۰۵ /۲/ ۵ airunoteklynehP /nrecnoC /nh /ecneics /moc .TSOCATIV .WWW . segnahc yrateiD ,lmth

إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۸۱ - الفینیلالنین- [التی یجب أن تتواجد] فی بلازما الدم، و حجتهم أن ذلک النظام یتیح للطفل أن یشرب (اللبن الخلفی KLIMDNIH) إضافة إلی (اللبن الأولی KLIMEROF) [الذی یعود بالصحة علی الولد] «۱». و حجة البعض الآخر- ممن نصح بإرضاع الطفل من الثدی إضافة إلی إطعامه من غذاء یحتوی علی معدل منخفض من الفینیلالنین- أن الطفل یحتاج إلی البعض من الفینیلالنین لینمو بشکل طبیعی بالرغم من أنه مصاب بمرض یعجز فیه علی تکسیر هذا الحامض، و أن اللبن الإنسانی [للأم غیر المصابة بمرض (الب ک یو) طبعا] یحتوی علی معدل من الفینیلالانین أقل من المعدل الموجود فی أی غذاء صناعی، و بالتالی فیجب علی المرأة [غیر المصابة] أن تضیف علی الغذاء الصناعی- ذو المحتوی المنخفض من الفینیلالنین- الرضاعة، حتی ینخفض مستوی الفینیلالانین لدی الأطفال ممن یعتمدون علی الطعام الصناعی فقط فی تغذیتهم. و قد أظهرت بعض الأبحاث أن الأطفال الذین یتغذون من کلا المصدرین هم أعلی ذکاء من الذین یعتمدون علی الغذاء الصناعی فقط «۲»، مما یشیر إلی أن تناول کمیة من الفینیلالانین أکثر من اللازم یؤدی إلی قصور عقلی. و من الجدیر بالذکر أن الحدیث رقم ۶۱ لا یتکلم عن موضوع رضاعة الأطفال المصابین بمرض (الب ک یو)، و لکن عن موضوع اجتناب الرضاعة من المرأة المصابة بالمرض المذکور، و علیه فهو یتحدث عن حالة المرأة المصابة و تأثیر لبنها علی الطفل، سواء أ کان الطفل مصابا بالمرض المذکور أم لا، و سواء أ کان ولدها أو ولد امرأة أخری. فحتی لو کان الولد ابنا لغیرها، و کان صحیح الجسم، فعلینا أن نجتنب الرضاعة منها لأن هناک خلل فی لبنها. أما فی مجمل البحوث التی ذکرناها آنفا فکانت تقارن بین الحلیب الإنسانی و الغذاء الصناعی، و لیس بین حلیب المرأة الحمقی و حلیب المرأة الصحیحة العقل و البدن. کما أن الکلام کان یدور غالبا علی مدی تقبّل الطفل المصاب بالمرض المذکور

(_____ ۱) igcf. yreuq/ zertne/ eveirteR dmc deMbuP bd ۲۰۰۴ /۲/ ۵ ,airunoteklynehp htiw tnafni ؟vog. hin. mln. ibcn. WWW eht fo gnideef -tsaerb ot hcaorppa thereffid A ,۱۲۶ sdiu -tsil . (۲) ۲۰۰۴/ ۲/ ۷، mth. tuokrowtnsed- SA/ tsaerb/ seibbuc/ moc. tenkrots. WWW، و کتاب: «التغذیة من الصدر و عملیة الإدرار اللبن الإنسانی»، کاتلین أفریاخ و جان ریوردان، ص ۶۵۳، ۱۹۸۹، la te aviR .، ۱۹۹۶، la te ebaCcM) (. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۸۲ لحلیب الأم سواء أ کانت مصابة بالمرض المعتبر أم لا، فقد تکون (حاملة REIRRAC) للمرض فقط (و غیر مصابة) دون أن تعلم ذلک (لأن عوارض المرض لا تظهر علیها، حیث أن الموروثات هی من النوع المتنحی)، و أنجبت بذلک ولدا مصابا بالمرض المذکور، و هی ماضیة بإرضاعه، و بالتالی فإن الموضوعین مختلفین إلی حد ما. و ما نستطیع أن نستخلصه من مجموع الکلام الذی سقناه: أن المرأة المصابة تحمل معدلات عالیة من الفینیلالانین فی دمها، و أن الأطباء ینصحون باتباعها نظاما حمیویا صارما للغذاء لکی تنخفض و تتزن معدّلات الفینیلالانین فی دمها و من ثمّ فی حلیبها، و إنهم یفضّلون الرضاعة من الثدی علی التغذیة من الطعام الصناعی لعدّة أسباب أهمها: - إن ترکیز المعادن أفضل فی اللبن الإنسانی. - إن هناک لبن خلفی فی اللبن الإنسانی غیر موجود فی الغذاء الصناعی. - إن الطفل یحتاج إلی البعض من الفینیلالانین للنمو السلیم بالرغم من أنه مصاب بمرض یعجز فیه عن تکسیر أحماض الفینیلالانین. و علیه نفهم أن العلم یتفق مع النصوص الشرعیة علی أنه یجب أن لا نسترضع الحمقی لأن لدیها معدّل عال من الفینیلالانین، و إنه یجب أن نحافظ علی الرضاعة من الثدی للأولاد- سواء أ کانوا مصابین بالمرض المذکور أم لا- لأنه لا بدیل للرضاعة بالنسبة للتمثیل الغذائی للطفل، و لذلک فإن أفضل حل لهذه المعضلة هی الرضاعة من امرأة أخری صحیحة الجسم عملا بالآیة: وَ إِنْ تَعاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْری [الطلاق: ۶]. فهذه الآیة تنص علی أن تستبدل المرأة المرضع بامرأة أخری فی حال وجود عسر فی الرضاعة (و یتمثّل العسر هنا فی حماقة المرأة) «۱»، و بما أن

(_____ ۱) العسر فی الرضاعة لا یقتصر علی خلاف الزوجین فی قدر النفقة التی یجب أن یدفعها الرجل للمرأة المطلقة أو ما شابه ذلک، کما أشار إلیه الکثیر من مفسری القرآن

الکریم، و لکن یطول کل ما یؤدی- أو قد یؤدی- إلی ضرر بأحد الزوجین أو الرضیع، و العسر- کما عرّفه ابن فارس فی «مقاییس اللغة»، (ج ۴/ ص ۳۱۹)- هو: «عسر: العین و السین و الراء أصل صحیح واحد یدلّ علی صعوبة و شدّة، فالعسر نقیض الیسر». و مثال ذلک الآیتان: وَ إِنْ کانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلی مَیْسَرَةٍ وَ أَنْ تَصَدَّقُوا خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ [البقرة: ۲۸۰]، و لَقَدْ تابَ اللَّهُ عَلَی النَّبِیِّ وَ الْمُهاجِرِینَ وَ الْأَنْصارِ الَّذِینَ اتَّبَعُوهُ فِی ساعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ ما کادَ یَزِیغُ قُلُوبُ فَرِیقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تابَ عَلَیْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِیمٌ [التوبة: ۱۱۷]. و الأحکام الفقهیة ترتکز علی عمومیة اللفظ فی التطبیق، و القیاس، و لیس علی السبب الذی نزلت من أجله الآیة القرآنیة فقط، و بالتالی یتعیّن تطبیق أحکام الآیة المعتبرة عند ما نصادف أی مشکلة کانت تقف فی وجه الرضاعة من الأم، و منها: الرضاعة من أم ذات لبن فاسد. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۸۳ الإسلام لا یعارض العلم، بل یدعو إلیه، فنقول: إن علی المرأة المرضع أن تتّبع نظاما حمیویا معیّنا فی حال کان الطفل مصابا بمرض (الب کت یو) یعدّل من مستوی الفینیلالانین فی حلیبها. و من هذا الکلام یتبیّن لنا أن الإرشادات المستقاة من النصوص الشرعیة لتدلّ حتما علی أن التعالیم الإسلامیة لهی الأفضل لصحة الطفل و نموه السلیم. و هکذا یتبین لنا إعجاز الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم فی الإشارة إلی أن الحماقة تنتقل بواسطة اللبن من الأم المرضع إلی الرضیع.

۱۴- الغیل:

۱۴- الغیل: « جاء فی الحدیث أن رجلا جاء إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، فقال: إنّی أعزل عن امرأتی، فقال له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «لم تفعل؟»، فقال الرجل: أشفق علی ولدها، أو علی أولادها، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «لو کان ذلک ضارّا ضرّ فارس و الرّوم» [أخرجه مسلم ح ۵۱]. « قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «لقد هممت أن أنهی عن الغیلة، فنظرت فی الرّوم و فارس، فإذا هم یغیلون أولادهم، فلا یضرّ أولادهم ذلک شیئا» [أخرجه مسلم ح ۵۲]. « قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «لا تقتلوا أولادکم سرّا فإن الغیل یدرک الفارس فیدعثره عن فرسه» [أخرجه أبو داود ح ۵۳]. جاء فی لسان العرب «۱»: «غول: غاله الشیء، غولا و اغتاله: أهلکه و أخذه من حیث لا یدری. و الغول: المنیة و اغتاله قتله غیلة ...». نفهم من التفسیر أن أصل کلمة «الغیل» یشیر إلی قتل الشخص من حیث لا یدری. و الغیلة عند العرب هو أن یجامع الرجل امرأته و هی ترضع. جاء فی شرح سنن النسائی للسندی «۲»: «قوله (أنهی عن الغیلة) بکسر الغین المعجمة و فتحها، و قیل الکسر لا- غیر هو أن یجامع الرجل زوجته و هی مرضع ...». و الغیلة عندهم أیضا هو أن ترضع المرأة و هی حامل.

(۱) لسان العرب لابن منظور- مادة «غول»- (ج ۱۰/ ص ۱۴۶). (۲) شرح سنن النسائی للسیوطی و حاشیة السندی- کتاب النکاح- الغیلة- (ج ۶/ ص ۱۰۷). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۸۴ ورد فی صحیح مسلم بشرح النووی «۱»: «و قال ابن السکیت: هو أن ترضع المرأة و هی حامل، یقال أغالت و أغیلت». و قد سمی العرب کلّا من الجماع و الإرضاع غیلة لأن المعتقد السائد عندهم هو أنّ المرأة قد تحمل إن جامعها زوجها خلال فترة الرضاعة، فیفسد بالتالی لبنها، فیکون داء لولدها، و یکون سببا لقتله عندئذ، و بالتالی یسمی: الغیل. جاء فی صحیح مسلم بشرح النووی «۲»: «قالوا و الأطباء یقولون: إن ذلک اللبن داء و العرب تکرهه و تتقیه ...». و ورد فی القاموس المحیط: «الغیل: اللبن ترضعه المرأة ولدها و هی تؤنی، أو و هی حامل. و اسم ذاک اللّبن: الغیل أیضا. و أغالت ولدها و أغیلته: سقته الغیل، فهی مغیل و مغیل، و هو مغال و مغیل» «۳». و الأحادیث التی أوردناها آنفا تتکلم عن التسبب فی قتل الأطفال من حیث لا یدرون، فهی تنهی عن هذا الفعل و عن الأسباب التی تؤدی إلیه. و الحدیث الأول: «أن رجلا جاء إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، فقال: إنّی أعزل عن امرأتی ...» یتکلم عن الجماع، لأن الصحابی یتکلم فیه عن العزل، و بالتالی فهو یتکلم عن الجماع. و الحدیث الثالث: «لا تقتلوا أولادکم سرّا فإن الغیل یدرک الفارس ...» [أخرجه أبو داود ح ۵۳] یتکلم عن الرضاعة من المرأة الحامل لأن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم قد تحدّث فیه أن الغیل یدرک الفارس (أی الطفل، کما سنری فیما یلی من البحث). و الجماع لیس له تأثیر مباشر علی الطفل الرضیع، لأنه یسبب الحمل الذی بالتالی یؤثر علی نوعیة لبن الرضاعة، ناهیک عن أن تأثیر الجماع مشروط، هل ستحمل منه المرأة أو لا. (و هی بالغالب لا تحمل کما سنری فیما یلی من البحث). قد اختلف العلماء فی المعنی الذی أراده الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم فی الحدیث الثانی، أی فی الحدیث: «لقد هممت أن أنهی عن الغیلة ...» [أخرجه مسلم ح ۵۲]، هل أراد الجماع، أو أراد تردّی نوعیة لبن الرضاعة (۱) صحیح مسلم بشرح النووی- کتاب النکاح- باب جواز الغیلة- و هی وطء المرضع- و کراهة العزل- رقم الحدیث ۱۴۰- (ج ۵/ ص ۲۷۱). (۲) صحیح مسلم بشرح النووی- کتاب النکاح- باب جواز الغیلة- و هی وطء المرضع- و کراهة العزل- رقم الحدیث ۱۴۰- (ج ۵/ ص ۲۷۱). (۳) القاموس المحیط باب اللام، فصل الغین، ص ۱۳۴۴. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۸۵ جاء فی صحیح مسلم بشرح النووی «۱»: «و اختلف العلماء فی المراد بالغیلة فی هذا الحدیث». فإذا أخذنا برأی العلماء الذی یمیل إلی معنی الجماع، فیشیر الحدیث «لقد هممت أن أنهی عن الغیلة ...» عندئذ إلی إباحة الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم لجماع الرجل زوجته و هی حامل لقوله صلّی اللّه علیه و سلّم: «فنظرت فی الرّوم و فارس، فإذا هم یغیلون أولادهم، فلا یضرّ أولادهم ذلک شیئا» [أخرجه مسلم ح ۵۲]. و أما إذا أخذنا برأی العلماء الذی یمیل إلی معنی تردّی نوعیة لبن الرضاعة، فیشیر الحدیث «لقد هممت أن أنهی عن الغیلة ...» عندئذ إلی أن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم أباح إرضاع الطفل من لبن الأم عملا بلفظ «فنظرت فی الرّوم و فارس، فإذا هم یغیلون أولادهم، فلا یضرّ أولادهم ذلک شیئا» [أخرجه مسلم ح ۵۲]، و من ثم نسخ ذلک جلیّا بالحدیث «لا تقتلوا أولادکم سرّا ...» [أخرجه أبو داود ح ۵۳]، لأن صیغة النهی واضحة فیه. و سواء فسرنا الحدیث «لقد هممت أن أنهی عن الغیلة ...» بالحدیث «أن رجلا جاء إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، فقال: إنّی أعزل عن امرأتی ...» [أخرجه مسلم ح ۵۱] أو الحدیث «لا تقتلوا أولادکم سرّا ...» [أخرجه أبو داود ح ۵۳] فالنتیجة واحدة، و هو أن مجامعة الرجل لامرأته و هی حامل مباح عملا بالحدیث «أن رجلا جاء إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، فقال: إنّی أعزل عن امرأتی ...» و أن إرضاع الطفل من أمه و هی حامل منهی عنه عملا بالحدیث «لا تقتلوا أولادکم سرّا ...» [أخرجه أبو داود ح ۵۳]، و نترک للقارئ الأخذ بما یراه الأرجح، و لا خلاف بیننا و بینه. و سوف نأخذ بالمعنی الثانی للغیل (أی بمعنی تردّی نوعیة لبن الرضاعة)، لکی نشرح للقارئ الکریم بالتفصیل، أبعاد الأحادیث الثلاثة التی أوردناها سالفا. و تفصیل ذلک: أن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم کاد أن یتبنی موقف العرب من لبن الرضاعة فی بادئ الأمر نظرا لما جرت به العادة و کان العرف السائد بینهم، و لذلک أراد أن ینهی عنه قائلا: «لقد هممت أن أنهی عن الغیلة ...» [أخرجه مسلم ح ۵۲]، غیر أنه نظر فی فارس و الروم فرأی أنهم یرضعون أولادهم خلال حمل نسائهم و لا یضرهم شیئا، فقاس ذلک علی العرب و کان اجتهادا منه صلّی اللّه علیه و سلّم، و لم یر بأسا بذلک، فقال: «فنظرت

(۱) صحیح مسلم بشرح النووی- کتاب النکاح- باب جواز الغیلة- و هی وطء المرضع- و کراهة العزل- رقم الحدیث ۱۴۰- (ج ۵/ ص ۲۷۱). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۸۶ فی الرّوم و فارس، فإذا هم یغیلون أولادهم، فلا یضرّ أولادهم ذلک شیئا» [أخرجه مسلم ح ۵۲]. جاء فی المنتقی شرح موطأ مالک «۱»: «و قوله صلّی اللّه علیه و سلّم: (لقد هممت أن أنهی عن الغیلة» یدل علی أنه قد کان یقضی و یأمر و ینهی بما یؤدیه إلیه اجتهاده ...». و جاء فی صحیح مسلم بشرح النووی «۲»: «... و فیه جواز الاجتهاد لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم». غیر أن إجازة الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم فی إرضاع الطفل من لبن الغیلة نسخ بعد أن أنزل اللّه تعالی علی رسوله صلّی اللّه علیه و سلّم الوحی و أمره بأن ینهی الأمة عن هذا الفعل، فقال صلّی اللّه علیه و سلّم عندئذ: «لا تقتلوا أولادکم سرّا ...» [أخرجه أبو داود ح ۵۳]. و تنبیه الوحی السماوی لأمور لم یخترها الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم بحکم طبیعته البشریة لم تکن هی الأولی. و قد تکرر ذلک أکثر من مرة فی تاریخ السیرة النبویة الشریفة. و نعطی مثالا علی ذلک: فقد عاتب اللّه- سبحانه و تعالی- رسوله الکریم صلّی اللّه علیه و سلّم فی الآیة: عَبَسَ وَ تَوَلَّی (۱) أَنْ جاءَهُ الْأَعْمی (۲) [عبس: ۱- ۲] لأنه أخّر تذکیر الأعمی فی بعض أمور دینه و ذلک لحضور کبار زعماء قریش عنده، و أهمیة دعوتهم إلی الإسلام، فیسلم بإسلامهم من کان تحت قیادتهم. و بعد: فالقتل فی الحدیث «لا تقتلوا أولادکم سرّا ...» [أخرجه أبو داود ح ۵۳]، جاء معناه فی الاستقبال، و الدلیل علی ذلک هو: أن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «فإن الغیل یدرک الفارس»، فلو أن القتل کان فی الحال لما نشأ الولد و أصبح فارسا فأدرکه الغیل عندئذ. و القتل هنا لیس من قبل الوالدین مباشرة لأنه یأتی عند ما یعتطی الفارس جواده فیقع عنه. و القتل یحصل بدون معرفة أحد کما یشیر إلیه لفظ «لا تقتلوا أولادکم سرّا»، فلو کان الغیل قتل الأولاد فی الحال مباشرة من الوالدین فی مجتمع یبیح ذلک من خلال الرضاعة لما أصبح الأمر سرّا، لاختلاط الناس فیما بینهم و لعلمهم بحال بعضهم.

(۱) المنتقی شرح موطأ مالک- کتاب الرضاع- باب ما جاء فی الرضاعة- (ج ۴/ ص ۱۵۴). (۲) صحیح مسلم بشرح النووی- کتاب النکاح- باب جواز الغیلة- و هی وطء المرضع- و کراهة العزل- رقم الحدیث ۱۴۰- (ج ۵/ ص ۲۷۱). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۸۷ و من هذه الملحوظات وجب علینا أن نفسر الأحادیث علی الوجه الآتی: جاء فی عون المعبود شرح سنن أبی داود «۱»: «فإذا حملت فسد لبنها، یرید أن من سوء أثره فی بدن الطفل و إفساد مزاجه و إرخاء قواه أن ذلک لا یزال مائلا فیه إلی أن یشتد و یبلغ مبلغ الرجال، فإذا أراد منازلة قرن فی الحرب وهن عنه و انکسر، و سبب وهنه و انکساره الغیل» انتهی. و قال السندی: «و إن لم یظهر أثره فی الحال حتی ربما یظهر أثره بعد أن یصیر الولد رجلا ...». فالقتل فی الحدیث «لا تقتلوا أولادکم سرّا ...» هو التسبب فی قتل الولد بعد أن ینشأ و یصبح فارسا من جراء إضعاف بنیته، و عدم إعطائه حقّه من الغذاء من خلال إرضاعه من أمه الحامل التی تردّت نوعیة لبنها. غیر أن هذا اللبن الذی خفّت استفادة الطفل منه لا- یظهر أثره فی الحال و لکن یظهر أثره علی الولد بعد أن ینشأ ظهورا ضعیفا، ذلک لأن أعضاء الطفل الصغیر لم تستفد کما یجب من لبن الحامل لأنه فقد بعضا من قیمته الغذائیة. و من الجدیر بالذکر أن لبن الغیلة یرخی قوی الطفل مآلا و لیس بالحال، و بذلک فإن النهی عنه جاء هنا للإرشاد لا للتحریم، و هذا ما أشار إلیه الحافظ ابن قیم الجوزیة «۲» قائلا: «فیکون النهی عنه أولا إرشادا و کراهة، لا تحریما و الله تعالی أعلم». و بعد: فتشیر الأحادیث التی وردت فی باب الغیلة إلی عدة أمور هی: - إن وطء الرجل لامرأته و هی حامل مباح. - إن إرضاع الحامل لولدها مباح (و ذلک إذا أخذنا برأی ابن قیم الجوزیة، و إلا فإن إرضاع الحامل لولدها لا- یجوز). - إن إرضاع الولد من الأم الحامل غیر مستحب. - إن لبن الأم یفقد بعضا من قیمته الغذائیة مما یسبب ضعفا فی بنیة الرضیع (۱) عون

المعبود شرح سنن أبی داود لأبی الطیب- کتاب الطب- باب فی الغیل- رقم الحدیث ۳۸۶۳- (ج ۱۰/ ص ۳۶۴). (۲) تعلیقات ابن القیم علی سنن أبی داود فی کتاب عون المعبود شرح سنن أبی داود لأبی الطیب- کتاب الطب- باب فی الغیل- رقم الحدیث ۳۸۶۳- (ج ۱۰/ ص ۳۶۵). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۸۸ - إن الضعف الذی یلحق فی بنیة الرضیع خفیف بحیث لا یظهر أثره جلیًا علیه فی الحال. - إن هذا الضعف یلازم الطفل حتی بعد أن یشتدّ عوده و یظهر عملیا علیه فی المستقبل. و من الکلام الذی سقناه: نفهم أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم أباح للصحابی مجامعة امرأته قائلا: «لو کان ذلک ضارا ضرّ فارس و الروم» [أخرجه مسلم ح ۵۱] لسببین: أولا: لأن حمل المرأة نادر فی حال أرضعت طفلها، و ثانیا: لأن الضرر الذی قد یلحق بالرضیع- فی حال حملت- محدود جدّا و لا یکاد یبین، و الله أعلم. و تفصیل ذلک علمیا:» فی باب المجامعة: أنه أبیح للرجل جماع المرأة الحامل لأنه «۱»: «من الصعب جدا أن تصبح المرأة المرضعة حاملا قبل أن یبدأ طفلها الرضیع بالاعتماد علی المصادر غیر الإنسانیة فی غذائه». و جاء فی کتاب التغذیة من الثدی و الرضاعة الإنسانیة «۲»: «أظهرت مراجعة التقاریر العالمیة أن نسبة النساء اللاتی تحمل و اللاتی لا تضعن أجهزة مانعة للحمل خلال الفترة الممساة (بفترة عدم الخصوبة الطبیعیة AEHRRONEMA LANOITATCAL) هی ۳ إلی ۱۰ فی المائة». و الحاصل أن مستویات هرمون البرولاکتین فی الدم الذی ینشط الغدد اللبنیة و یحثها علی الإفراز تنخفض بسرعة بعد الولادة ابتداء من الیوم الثالث بعد الولادة، بعکس ذلک فی حال أرضعت الأم ولیدها، حیث یستمر مستواه مرتفعا إلی ما بعد تسعین یوما من الولادة. و بالعکس یقلّ مستوی (الأستروجین NEGORTSE) فی المرأة المرضعة بالرغم من أن مستویات هرمونات الغدد الجنسیة المسماة: (المحرض القندی SENOMROH NIPORTODANOG) تظل عادیة و مرتفعة. (انظر الصورة رقم: ۱۲۷). و قد یعنی ذلک أن البرولاکتین له تأثیر کابح لتکوین (ستیرویدات المبیض SDIORETS NAIRAVO)، و حیث إن إفراز البرولاکتین یتناسب مع المدة التی تنعرض فیها الحلمة للإثارة، فإن الرضاعة الحرة- و دون تغذیة مساعدة- هی أمر حیوی فی تأخیر عملیة التبویض (_____ ۱) کتاب تغذیة الطفل: الأساس الفیزیولوجی، منظمة الصحة العالمیة، ص ۴۹. (۲) کتاب (التغذیة من الصدر و عملیة إدرار اللبن الإنسانی، کاتلین أفریاخ و جان ریوردان NADROIR NAJ ,HCABREVA .G NEELHTAK ,NOITATCAL NAMUH DNA GNIDEEFTSAERB) ص ۶۷۷- ۶۷۸. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۸۹ (SC) و لیس علی الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم أن یذکّر الصحابی بأن علی امرأته أن ترضع ولیدها لکی لا تحمل، لأن سؤال الصحابی یدور حول فساد لبن الأم المرضعة أصلا، أی أنها بطبیعة الحال ترضع، و بالتالی فلا معنی لاشتراط الرضاع فی هذا المقام. و من الکلام السابق نفهم أن مباشرة النساء خلال إرضاعهن لأولادهن لا یسبب الضرر لأولادهن؛ لأن حمل النساء فی هذه الفترة نادر جدا کما أشار إلیه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، و کما دلّت علیه المعطیات العلمیة و الإحصائیة. ۞ و فی باب الرضاعة: أنه أبیح للأم أن ترضع طفلها و هی حامل مع التلمیح أن الرضاعة فی هذه الحالة مکروهة للأسباب التالیة: - یخفّ مدد اللبن للرضیع فی حال حمل المرأة، فقد أظهرت التقاریر أنّ ۷۰٪ من النساء الحوامل یشتکین من نقص فی لبن الرضاعة «۱»، و هذا یؤدی إلی سوء التغذیة لدی الطفل الرضیع و إلی ضعف فی بنیته إذا ما اعتمدنا علی الرضاعة فقط، و إلی فطام الرضیع فی فترة مبکرة من الرضاعة إذا ما اعتمدنا علی المصادر غیر الإنسانیة، و هذا غیر محمود لأنه یعتمد عندئذ علی مصادر غریبة هی لیست بالغذاء المثالی. - تشیر التقاریر أیضا إلی أن مذاق لبن الأم المرضع یصبح مرّا «۲» مما یؤدی إلی فطام الرضیع فی فترة مبکرة، و هذا یؤدی إلی نتائج غیر محمودة کما أشرنا إلیه سابقا. (_____ ۱) کتاب التغذیة من الصدر و عملیة إدرار اللبن، کاتلین أفریاخ و جان ریوردان، ص ۳۳۲. (۲) کتاب التغذیة من الصدر و عملیة إدرار اللبن الإنسانی، کاتلین أفریاخ و جان ریوردان، ص ۳۳۱. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۹۰ - و لعلّ مرارة طعم لبن الأم الحامل تعکس التغیّر الکیمیائی لهذا اللبن، و فی هذا قال الشاعر: «بهیات تجنی سکرا من حنظل فالشیء یرجع فی المذاق لأصله و بالفعل فإن نسبة الصودیوم و مجموع البروتین فی اللبن تزید بینما تنخفض نسبة الجلوکوز و اللاکتوز «۱». - و اللاکتوز یوفّر ۴۰٪ من حاجات الطفل للطاقة «۲»، و بالتالی فإن انخفاض نسبة اللاکتوز فی لبن الرضاعة یقلل من نسبة الطاقة المتوفّرة للطفل، و هذا بالتالی یضعف نمو الطفل، و اللّه أعلم. - کما أن ازدیاد الصودیوم فی لبن الأم المرضع له انعکاس سلبی علی غذاء الطفل، فترکیز الصودیوم فی لبن الأم المرضع یتناسب عکسیا مع أثر التغذیة علی الطفل. فقد لوحظ أن هناک نسبة عالیة للصودیوم فی لبن النساء اللاتی یعانی أولادهن من سوء تغذیة أو (الزموهة NOITARDYHED) أو (زیادة نسبة الأملاح فی الدم بزیادة الصودیوم ۳، (AIMEARTANREPYH». - کما أن زیادة البروتین فی لبن الرضاعة تلقی (عبئا ثقیلا علی الکلی DAOL ETULOS LANER EVISSECXE) فتتعبها، و الدلیل علی ذلک هو أن نظام الأیض لدی الرضیع یغلب علیه الحموضة إذا تلقّی نسبا عالیة من البروتین فی غذائه «۴»، غیر أن زیادة نسبة البروتین علی وجه عام لا تضر الرضیع کثیرا، و قد فسّر لنا د. علی التیتر لما ذا لا تضر هذه الزیادة الرضیع قائلا: «و بطبیعة الحال لا یوجد فی التغذیة بالثدی أی مشکلات مرتبطة باحتراق البروتین الزائد، و لا بعدم توازن الأحماض الأمینیة» «۵»، و ذلک لأن «بروتین لبن الأم لیس البروتین الصحیح فقط من وجهة النظر البیوکیمیائیة، و لکنه أیضا البروتین المثالی من وجهة النظر البیولوجیة» «۶». (_____ ۱) کتاب التغذیة من الصدر و عملیة إدرار اللبن الإنسانی، کاتلین أفریاخ و جان ریوردان، ص ۳۳۲. (۱۹۸۴ ۲) .(LA TE RESSORP) کتاب تغذیة الطفل: الأساس الفیزیولوجی، منظمة الصحة العالمیة، ص ۲۷. (۳) کتاب التغذیة من الصدر و عملیة إدرار اللبن الإنسانی، کاتلین أفریاخ و جان ریوردان، ص ۱۳۲. (۴) کتاب تغذیة الطفل: الأساس الفیزیولوجی، منظمة الصحة العالمیة، ص ۵۶، ۷۳. (۵) کتاب الرضاعة الطبیعیة، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، ص ۱۳۸. (۶) کتاب الرضاعة الطبیعیة، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، ص ۱۳۸. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۹۱ فعلی سبیل المثال: «لوحظ أنه فی المتوسط فی حالة الطفل حدیث الولادة تهبط مستویات الأحماض الأمینیة بالبلازما مباشرة بعد الولادة، و یبدأ المستوی فی الارتفاع عند بدء التغذیة، و یکون الارتفاع فی المستوی معقولا إذا غذی الطفل بلبن الأم. فمثلا- تصل مستویات الفینایلالنین لقمتها فی الیوم الرابع عشر، أما إذا تغذی الطفل علی لبن البقر أو أی أغذیة أخری غنیة بالبروتین، فإن مستویات الفینایلالنین تستمر مرتفعة لعدة أسابیع، و ربما لعدة شهور» «۱». و من هذا الحدیث نفهم أن التغیّر الکیمیائی فی لبن الأم الحامل لا یضر الرضیع کثیرا، لأنه لا یدخل أجساما غریبة علی جسمه لا یستطیع الجسم مقاومتها و تحلیلها کما هو الحال فی التغذیة من لبن الأبقار، بید أن هذا التغیر الکیمیائی لا یمثل الغذاء المثالی للطفل لأن کمیته قلیلة، و طعمه غیر لذیذ، و لأن نسبه مختلفة بحیث لا یتماشی مع مستلزمات النمو للطفل و التمثیل الغذائی لدیه، و بالتالی یؤدی إلی إضعاف بنیته بشکل خفیف، و بشکل غیر ملحوظ کما یشیر إلیه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، و کما تفیده تقاریر منظمة الصحة العالمیة «لم یتبین نتائج مرضیّة لأی من الأم و الطفل» «۲». و نفهم من الحدیث السابق أن الأحادیث النبویة الشریفة تمثل الإرشاد المثالی و الأفضل للأمهات لإرضاع أطفالهن. و قد یتساءل القاریء: بما أن الرضاعة من الأم مکروهة فی حال الحمل، فما الحل بالنسبة للرضیع إذا حملت أمه، و لم ترد الأم إرضاعه؟ نقول- کما أشرنا إلیه آنفا-: إن الحل هو أن ترضع له أخری عملا بالآیة: وَ إِنْ تَعاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْری [الطلاق: ۶]. فلبنها جید و قد رکّب حسب البیانات الوراثیة الإنسانیة بما یتناسب مع حاجات الطفل الرضیع، و هو أفضل من لبن الأم الحامل الذی اختلت فیه النسب و المقادیر و المذاق، و لذلک فقد یستفید الرضیع منه أکثر من لبن الأم الحامل و لبن الأبقار الذی یحمل أجساما غریبة و الذی قد یؤذی الرضیع فی بعض الأحیان، و اللّه تعالی أعلم. (_____ ۱) کتاب الرضاعة الطبیعیة، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، ص ۱۳۸. (۲) کتاب تغذیة الطفل: الأساس الفیزیولوجی، منظمة الصحة العالمیة، ص ۴۹. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۹۲

۱۵- مجموع الإعجازات (و الإشارات العلمیة) التی وردت فی النصوص الشرعیة:

۱۵- مجموع الإعجازات (و الإشارات العلمیة) التی وردت فی النصوص الشرعیة: إن الآیة الکریمة و الأحادیث الشریفة المنصوصة فی أول البحث تعتبر من الآیات الباهرة الدالة علی نبوّة الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم لما تحتوی علی غیبیات علمیة عدیدة جمعت فی عبارات قلیلة و بسیطة، و لو حاول العلماء تلخیصها لعجزوا. ففی هذه الأحادیث غزارة من المعلومات تحتاج إلی الکثیر من التفصیل لکی تصبح واضحة لعامة الناس. فی الآیة و الأحادیث عدة إعجازات (و إشارات علمیة) إخباریة نلخصها کالآتی: ۱- اللبن الإنسانی لا یماثله إلا لبن إنسانی آخر. ۲- أفضلیة الرضاعة من الأم علی الرضاعة من المرضعات. ۳- الطعام هو المصدر الأساسی لتصنیع لبن الأم. ۴- الدم هو المصدر الثانی لتصنیع لبن الأم، و یلعب دور الوسیط فی عملیة تصنیع اللبن. ۵- اللبن یدخل فی ترکیب أنسجة الطفل. ۶- هناک وجود لبن أولی و خلفی. ۷- هناک نوع من الحلیب المغذی الذی یؤسس بنیة الطفل و آخر لا یغذی بشکل ملحوظ. ۸- هناک مسالک فی الثدی یسیل فیها اللبن. ۹- الحلیب یخرج من الثدی بأکثر من عملیة فیزیولوجیة لهذا الغرض، و لا سیما عملیة الفتق. ۱۰- المسالک التی تفتق هی مسالک صغیرة و ضیّقة. ۱۱- اللبن المغذی لا یخرج فی بادئ الرضاعة. ۱۲- المدّة المثالیة للرضاعة هی سنتان کاملتان. ۱۳- من شروط إدرار اللبن أن یکون الرضیع جائعا. ۱۴- من مستلزمات الرضاعة المحرمة أن یتناول الرضیع الثدی بکامل فمه لکی یتم إدرار اللبن بنجاح. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۹۳ ۱۵- خصائص اللبن تنتقل إلی الرضیع. ۱۶- اللبن یعدی. ۱۷- احتمال حمل المرضع ضئیل جدا. ۱۸- تردی نوعیة لبن الحامل. ۱۹- ضرورة الاعتماد علی لبن الأم لمدة سنتین حتی یستعد الجهاز الهضمی لممارسة نشاطه علی أکمل وجه. ۲۰- القیمة الغذائیة للبن لا تعادلها أی قیمة لأی غذاء آخر. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۹۴

معجزة الرؤیة الإسلامیة فی علم الوراثة

اشارة

معجزة الرؤیة الإسلامیة فی علم الوراثة ننتقل هنا إلی باب قریب من باب تخلق الجنین: ألا و هو علم الوراثة. و علم الوراثة: «هو باب من علم الأحیاء یعنی بدراسة ظاهرة التوارث، و هی الطریقة التی یتم عبرها تناقل بعض صفات الکائنات الحیّة من الآباء إلی الأبناء» «۱». و موضوع هذا العلم یدور حول «توارث الصفات الفیزیائیة و البیوکیمیائیة، و التغیرات التی تظهر من جیل إلی جیل» «۲». و علم

الوراثة لم يصبح علما بالمعنى المتعارف عليه إلا فى أوائل القرن التاسع عشر مع العالم (مندل ۱۸۶۶) (LEDNEM م)، و هو أول من كشف عن المبادئ الأساسية الوضعية لعلم الوراثة. و سبب اعتنائنا بهذا العلم هو أن تطور الجنين يعتمد كلّيا عليه، و ذلك لأن الخصائص الوراثية التى تنتقل من الآباء إلى الأبناء هى التى تقدر شكل الجنين: (لونه، قامته، جنسه، و ما هو عليه بإذن اللّه). و اللافت للنظر هو أن القرآن الكريم و السنّة الشريفة تكلّما عن كثير من المبادئ الأساسية لعلم الوراثة، و أشارا إلى حقائق علمية دقيقة كانت مجهولة قبل عام ۱۸۶۶ م، و هو العام الذى وضعت فيه مبادئ علم الوراثة. و قمة الإعجاز هو أن هذه الحقائق تكشّفت على لسان رجل أمّى، صلّى اللّه عليه و سلّم، فى وسط أمّى، قبل ۱۲۵۰ سنة من اكتشاف أسس علم الوراثة، بيد أنها لم تنتشر فى بقاع الأرض لأن المجتمعات المتقدمة علميا أعرضت عن النبأ العظيم- رسالة اللّه إلى الناس أجمعين-، و ذلك لأنها حسبت أنها على حق كما تشير إليه الآية: فَرِحُوا بِما عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ... [غافر: ۸۳].

أ- النطفة فى الإسلام

۱- دور النطفة فى التقدير:

اشارة

۱- دور النطفة فى التقدير: * قال العليم الحكيم: قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ (۱۷) مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُ (۱۸) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (۱۹) [عبس: ۱۷ - ۱۹] (_____). ۱ SCITENEG/ AIDEPOLCYCNE AIDEMITLUM REILLORG (۲) YGOLOIB/ AIDEPOLCYCNE AIDEMITLUM REILLORG إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۴۹۵

I- التقدير كما جاء فى النصوص الشرعية:

I- التقدير كما جاء فى النصوص الشرعية: لقد ذمّ اللّه سبحانه و تعالى الإنسان فى قوله: قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ، و سبب هذا الذمّ هو: أن الإنسان يكفر و ينكر مع العلم أنه خلق من شىء حقير؛ من نطفة صغيرة قدّرت تركيبته البيولوجية بإذن اللّه. جاء فى لسان العرب «۱»: «قدر: ... التهذيب و التقدير على وجوه من المعانى: أحدها: التروية و التفكير فى تسوية أمر و تهيئته. و الثانى: تقديره بعلامات يقطعه عليها. و الثالث: أن تنوى أمرا بعقلك تقول: قدّرت أمر كذا و كذا ...». و من التفسير نفهم أن التقدير هو أن تنوى تسوية أمر فى المستقبل من خلال إعطائه علامات تقطعه عليها. و على ذلك يكون معنى الآية: من نطفة خلقه و أقر له هيئه التى سيكون عليها فى المستقبل من خلال تركيبة هذه النطفة. و التقدير يحصل عند ما يخلق اللّه تعالى نطفة الأمشاج كما أوضحناه فى مبحث «اختلاط عروق النطفة»، و ذلك عند انصهار نواتى الحيوان المنوى و البويضة، و امتزاج الصبغيات، و تفاعل المورّثات الذكرية و الأنثوية فى عملية تستغرق أقل من ۳۰ ساعة. و من هنا نفهم أن تقدير هيئة الإنسان يبدأ وقت خلق نطفة الأمشاج «۲». و بما أن التقدير هو تسوية أمر فى المستقبل، نفهم أن هذا التقدير يشمل جميع المراحل التى يمر بها الإنسان. و لذلك جاء ذكر المراحل التى يمر بها الإنسان فى الآيتين الكريمتين: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَ نُقِرُّ فِى الْأَرْحامِ ما نَشاءُ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفّى وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً [الحج: ۵]، و هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفّى مِنْ قَبْلُ وَ لِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ [غافر: ۶۷]. (_____) ۱ لسان العرب لابن منظور- مادة «قدر» (ج ۱۱/ ص ۵۷). (۲) تجدر الإشارة إلى أن التقدير فى الأزل، و لكن أول ظهور سببى لما اقتضاه قدر اللّه تعالى فى الأزل هو عند ما تتشكل نطفة الأمشاج. إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۴۹۶ جاء فى القرطبى «۱» فى تفسير فَقَدَّرَهُ: «فقدره فى بطن أمه. كذا روى الضحاك عن ابن عباس: أى قدر «۲» يديه و رجليه و عينيه و سائر آرابه، و حسنا و دميما و قصيرا و طويلا ...». و إذا تأملنا الآيات: أَ فَرَأَيْتُمْ ما تُمْنُونَ (۵۸) أَ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخالِقُونَ (۵۹) نَحْنُ قَدَّرْنا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَ ما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (۶۰) عَلى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثالَكُمْ وَ نُنْشِئَكُمْ فِى ما لا تَعْلَمُونَ (۶۱) [الواقعة: ۵۸- ۶۱]، فهمنا أن الحديث هو عن تقدير موت الإنسان. و بما أن الآيات تتحدث ابتداء عن المنى- أى عن النطف-، نفهم أن تقدير الموت يكون من النطف- أى من الصبغيات أو المورثات التى تحتويها النطف- كما يقتضيه السياق القرآنى «۳» (انظر مبحث «تعريف الإعجاز العلمى فى القرآن و السنة و الأسس التى يرتكز عليها»). و من الجدير بالذكر أن اللّه تعالى نفى صفة الخلق عن الإنسان و جعلها صفة له فى قوله: أَ فَرَأَيْتُمْ ما تُمْنُونَ (۵۸) أَ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخالِقُونَ (۵۹) [الواقعة: ۵۸- ۵۹]، و هو بذلك نفى صفة التقدير عن الإنسان و جعلها صفة له كما تشير إليه الآية القرآنية: نَحْنُ قَدَّرْنا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَ ما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (۶۰) [الواقعة: ۶۰]، فهو الذى خلق النطفة، و هو الذى بذلك أودع فى النطفة صفة التقدير، و بالتالى فإن النطفة تقدّر بنية الإنسان (_____) ۱ تفسير القرطبى- ج ۱۹/ ص ۲۱۸. (۲) قدّر: بمعنى أظهر قدره. (۳) إذا تأملنا الآيات: أَ فَرَأَيْتُمْ ما تُمْنُونَ (۵۸) أَ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخالِقُونَ (۵۹) نَحْنُ قَدَّرْنا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَ ما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (۶۰) عَلى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثالَكُمْ وَ نُنْشِئَكُمْ فِى ما لا تَعْلَمُونَ (۶۱) وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولى فَلَوْ لا تَذَكَّرُونَ (۶۲) أَ فَرَأَيْتُمْ ما تَحْرُثُونَ (۶۳) أَ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (۶۴) لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْناهُ حُطاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (۶۵) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (۶۶) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (۶۷) أَ فَرَأَيْتُمُ الْماءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ (۶۸) أَ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (۶۹) لَوْ نَشاءُ جَعَلْناهُ أُجاجاً فَلَوْ لا تَشْكُرُونَ (۷۰) أَ فَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِى تُورُونَ (۷۱) أَ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَها أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِؤُنَ (۷۲) نَحْنُ جَعَلْناها تَذْكِرَةً وَ مَتاعاً لِلْمُقْوِينَ (۷۳) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (۷۴) [الواقعة: ۵۸- ۷۴]، إذا تأملنا هذه الآيات لاحظنا أن الآيات تتكلم عن موضوع معين، و من ثم تشير إلى عدم مقدرة الإنسان على التحكم بالظاهرة الكونية المرتبطة بهذا الموضوع، و من ثم تعظه و تذكره. فعلى سبيل المثال: يذكر اللّه تعالى لنا النار، و من ثم يشير إلى عدم مقدرة الإنسان على إنشاء الشجرة التى توقد منها النار، و من ثم يذكر لنا أنه خلقها لتذكّرنا بنار جهنم، و كذلك يذكر اللّه تعالى لنا الماء، و من ثم يشير إلى عدم مقدرة الإنسان على إنزال الماء من السحاب، و من ثم يذكرنا أنه يجب علينا أن نشكره على نعمة الماء النقى، و كذلك يذكر اللّه تعالى لنا الحرث، و من ثم يشير إلى عدم مقدرة الإنسان على إنباته، و من ثم يذكّرنا أنه يجب أن نشكره أنه لم يفسد لنا الزرع، و كذلك يذكر اللّه تعالى المنى، و من ثم يشير إلى عدم مقدرة الإنسان على التحكم فى خلق المنى و تقدير موته بهذا المنى، و من ثم يذكّرنا على أنه قادر على أن يخلقنا بهيئة مختلفة من هذا المنى، و هذا كما يقتضيه السياق القرآنى. إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۴۹۷ بإذن اللّه، لذلك قال اللّه عزّ و جلّ: نَحْنُ قَدَّرْنا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ [الواقعة: ۶۰]. فكلمة «نحن» لا تنفى أن يكون التقدير من النطفة بإذن اللّه، بل هى شاهد على أن الذى أودع الخطة الجينية فى النطفة هو البارئ جلّ و علا. كذلك إذا قابلنا الآيات من سورة الواقعة: أَ فَرَأَيْتُمْ ما تُمْنُونَ (۵۸) أَ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخالِقُونَ (۵۹) نَحْنُ قَدَّرْنا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَ ما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (۶۰) [الواقعة: ۵۸- ۶۰] بآيات سورة عبس: قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ (۱۷) مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُ (۱۸) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (۱۹) [عبس: ۱۷- ۱۹] لاحظنا أن كلا النصين الكريمين يتكلم عن التقدير و عن النطف، و قد جاء فى أحدهما ذكر تقدير الموت، و هذا يقتضى إلصاق تقدير الموت بالنطفة. و تقدير موت الإنسان هو تقدير عمره، حيث يموت الإنسان بانتهاء عمره. لذا حدد الرسول الكريم صلّى اللّه عليه و سلّم عمر أمته ما بين الستين و السبعين قائلا: «عمر أمّتى من ستين سنة إلى سبعين سنة» [أخرجه الترمذى ح ۹۷] «۱». (_____) ۱ لا- شك أنه لا يخفى على القارئ أن عمر الإنسان يختلف بين مجتمع و آخر، و أن عمر أفراد مجتمع معيّن يختلف أيضا عبر التاريخ، فلذلك وجب علينا أن نوضّح ما يرمى إليه الحديث الشريف، لكى لا- تلتبس الأمور على القارئ. إن عمر الإنسان مرتبط بكثير من العوامل منها- و بشكل رئيسى-: بخطته الجينية، و بالاهتمام الصحى السائد فى مجتمعه، هذا إن لم نذكر أثر العوامل البيئية، و النفسية، و التغذية ... إلخ. و هذا الاختلاف عائد إلى حدّ كبير للخطّة الجينية لدى الإنسان، فهذه الأخيرة تختلف بين مجتمع و آخر، و كذلك تتغير مع مرور وقت كبير، فعلى سبيل المثال: كان عمر مجتمع سيدنا نوح عليه السّلام أكثر من ألف سنة، و ذلك أن سيدنا نوح عليه السّلام لبث فيهم تسعمائة و خمسين عاما كما جاء فى الآية الكريمة: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَ هُمْ ظالِمُونَ [العنكبوت: ۱۴]، و ما زال هذا العمر يتناقص حتى يومنا هذا، إلى أن بلغ ما بلغ. و هذا الاختلاف عائد أيضا إلى العناية الصحية السائدة فى هذا المجتمع أو ذاك. لذا نرى أن أعمار أفراد المجتمع الغربى أكثر من أعمار مجتمعات شرق و وسط و غرب آسيا على العموم، ففى المجتمعات الغربية، حيث الرعاية الاجتماعية جيدة جدا، نرى أن أعمار المجتمع الغربى تتراوح ما بين الخمس و السبعين و الثمانين سنة، و فى المجتمع الأفغانى- على سبيل المثال-، حيث الرعاية الصحية متدنية كثيرا، تتراوح ما بين الأربعين و الخمسين سنة، أما فى أكثر المجتمعات الشرقية فهى ما بين الستين و السبعين سنة. و فى الحقيقة أن الحديث الشريف سالف الذكر يتكلم عن أمة سيدنا محمد صلّى اللّه عليه و سلّم، حيث يسود الفكر الإسلامى على المجتمعات، و بالتالى علينا أن نستثنى المجتمعات التى يسود عليها فكر غير إسلامى، لأنها غير منتسبة للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم، كما هو شأن المجتمع الغربى، و إن كان هناك قليل من أفراد هذه المجتمعات مسلمين.- إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۴۹۸ إذن فالتقدير يشمل مراحل تخلق الجنين فى الرحم (العلقة، المضغة ...)، و مراحل نمو الإنسان بعد خروجه من بطن أمه (الطفولة)، و مرحلة بلوغ أشدّ- أى كامل- النمو «۱»، و مراحل الشيخوخة لدى الإنسان، و وقت موت الإنسان كما يقتضيه التقدير الجينى لما جاء فى الآية رقم (۵) من سورة الحج (مع العلم أن هناك عوامل خارجية مثل: أثر التغذية، و الضغوط النفسية، و الحوادث الفردية، و الأمراض التى تؤثر على عمر الإنسان، ناهيك عن أن الأعمار بيد اللّه، يقول اللّه تعالى: إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ ما فِى الْأَرْحامِ وَ ما تَدْرِى نَفْسٌ ما ذا تَكْسِبُ غَداً وَ ما تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [لقمان: ۳۴]).

II- نبذة علمية عن الخطة الجينية و الانفلاق القتيلى للخلايا:

II- نبذة علمیة عن الخطة الجینیة و الانفلاق الفتیلی للخلایا: إذا أردنا أن نفهم علمیا کیف یقدّر الإنسان من النطفة، علینا أن نلقی الضوء علی ترکیبتها. إن الترکیبة الکیمیائیة للنطفة تتلخص کالآتی: فی کل نطفة ملقحة یوجد ثلاثة و عشرون زوجا من الصبغیات، و تلک الصبغیات تحتوی بدورها علی ۰۰۰، ۱۰۰ مورثة أو أکثر «۲»، و هذه المورثات هی التی تتحکم بتخلق الإنسان بإذن اللّه تعالی. و تخلق الجنین یعتمد علی ثلاثة أنواع من المورثات:- مورثات التکوین و البناء- مورثات التنظیم و التسویة- مورثات الشکل أو الصورة، و هذه المورثات تتحکم بتطور الجنین خلال الحمل «۳».

- _____کذلک فإن الحدیث یتحدث عن الأمم التی ستعاقب إلی یوم القیامة کما تشیر إلیه الآیة: وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلاَّ کافَّةً لِلنَّاسِ بَشِیراً وَ نَذِیراً وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَعْلَمُونَ [سبأ: ۲۸]، و هذه الأمم هی التی سوف تؤمن به صلّی اللّه علیه و سلّم، جمعا بین معنی الحدیث الشریف و معنی الآیة الکریمة، و الفترة ما بین بعثة الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم و یوم القیامة کبیرة، و هناک العدید من الأجیال التی سوف تتعاقب، و بالتالی فإن الحدیث یتحدث عن العمر الإجمالی و المتوسط لجمیع المجتمعات المسلمة، و هذا العمر ما بین الستین و السبعین سنة. (۱) و قد تکون الشدة- أی الکمال- فی قوة الجسم، و قد تکون فی النمو، و قد تکون فی بلوغ کامل العقل، أو فی جمیع هؤلاء. جاء فی تفسیر القرطبی للآیة: حَتَّی یَبْلُغَ أَشُدَّهُ [الأنعام: ۱۵۲]: «یعنی قوته، و قد تکون فی البدن، و قد تکون فی المعرفة بالتجربة، ...»- (ج ۷/ ص ۱۳۴)-، و نعتقد أن قوله تعالی فی سورة غافر الآیة (۶۷) ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّکُمْ تشیر إلی شدة النمو لأن الحدیث یدور علی مراحل تخلق الجنین و بالتالی علی مراحل نمو الجسم الإنسانی. (۲) و تشیر الأبحاث الجدیدة إلی أن عدد هذه المورثات هو ۳۰، ۰۰۰ و لیس ۱۰۰، ۰۰۰ و لکن تلک الأبحاث هی قید الدراسة إلی الآن. (۳) کتاب من علم الطب القرآنی، د. عدنان الشریف، ص ۱۵۹. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۴۹۹ و (البویضة الملقحة ETOGYZ) مبرمجیة بحیث تقوم بانقساماتها حسب برنامج جینی معین. و الخلایا التی تنجم عن (الانفلاقات الفتیلیة SNOISIVID CITOTIM) للبویضة المخصبة تمتاز بإذن اللّه تعالی وفق خطة مرسومة جعلها اللّه تعالی ضمن الجینات- أی المورثات- الموجودة فی الصبغیات، التی تقوم بدورها بالعمل فی الوقت المحدد و فی الخلیة أو الخلایا المحددة. و قد أشار القرآن الکریم إلی انقسام الخلایا فی قوله عزّ و جلّ: إِنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوی ... [الأنعام: ۹۵]. و قد رأینا فی مبحث «انفلاق النطفة و الازدواجیة فی الترکیب» أن الحبة من الشیء هی القطعة [الصغیرة] منه «۱»، و بالتالی فإن کلمة «حب» کلمة عامة تشیر فیما تشیر إلی الخلایا. و للعلم فإن مفهوم الخلایا لیس بغریب عن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم کما یشیر إلیه الحدیثان النبویان الشریفان: «... فإذا کان یوم السابع جمعه اللّه ...» [أخرجه الطبرانی ح ۲۱] (انظر مبحث «جمع خلایا الجنین»)، و «إن أحدکم یجمع خلقه أربعین یوما ...» [أخرجه مسلم ح ۴۳] (انظر مبحث «المضغة»). و تفصیلا: فإن الجینات «لا تعمل جمیعا فی وقت واحد، بل إن بعضها یعمل فی مرحلة من مراحل تکوّن الجنین ثم تسکت عن العمل لتتحرک مجموعة أخری و هکذا، کما أن المجموعة التی تعمل فی الجهاز العصبی (مثلا) تختلف عن المجموعة التی تعمل فی الجهاز الهضمی، و تختلف عن تلک التی تعمل فی الجهاز الدوری (القلب و الأوعیة الدمویة) و هکذا، بل إنّ العضو الواحد مثل البنکریاس تعمل فیه مجموعات مختلفة من الجینات، ففی کل مجموعة من الخلایا تعمل مجموعة_____

(۱) القاموس المحیط- باب الباء/ فصل الحاء- ص ۹۲. الصحاح للجوهری- باب الباء/ فصل الحاء- ص ۱۰۵. لسان العرب- مادة «حب»- (ج ۳/ ص ۱۰): «و الحبّة: القطعة من الشّیء». و من الأدلة الإضافیة علی أن کلمة «حب» تشیر أیضا إلی الخلیة هو أن اللّه تعالی وصف عملیة تعلّق النطفة بالرحم (التی تعتبر من الناحیة العلمیة خلیة واحدة) بالحرث (أی قذف الحب فی الأرض)، کما فی قوله تعالی: نِساؤُکُمْ حَرْثٌ لَکُمْ فَأْتُوا حَرْثَکُمْ أَنَّی شِئْتُمْ [البقرة: ۲۲۳]. (انظر مبحث «الحرث»). و من الأدلة أیضا ما نقل عن السلف الصالح: جاء فی تفسیر القرطبی- (ج ۷/ ص ۴۴): «یخرج البشر الحی من النطفة المیتة، و النطفة المیتة من البشر الحی ... و فی صحیح مسلم عن علی رضی اللّه عنه: و الذی فلق الحبة و برأ النّسمة إنه لعهد النبی الأمی صلّی اللّه علیه و سلّم ...» [أخرجه الترمذی ح ۲۵]. و من الجدیر بالذکر أن تفسیر السلف جائز إذا حمل علی الوجه العام، بید أننا نری أن تفسیر یُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَیِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَیِّتِ مِنَ الْحَیِّ [الأنعام: ۹۵] بأنه: یخرج الحیاة من الحبة المیتة و یخرج الموت من الحبة الحیة أولی التزاما بسیاق النص القرآنی. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۰۰ تختلف عن الخلایا الأخری المجاورة. فالخلایا التی تفرز الإنسولین تعمل بها مجموعة مختلفة من الجینات عن تلک التی تفرز مادة الجلوکاجون الذی یرفع السکر فی الدم لأنه علی طرف نقیض مع الإنسولین، و هکذا الخلایا الهاضمة المختلفة فی البنکریاس، و کل مجموعة منها متخصصة فی إنزیم معین و لها جینات خاصة بها. و الخلیة الشفافة فی قرنیة العین تختلف فی أسرارها و تکوینها عن الخلیة المجاورة لها فی صلبة العین، و فی شبکیة العین ثمان طبقات تختلف خلایا کل طبقة عن الطبقة الأخری فی الوظیفة و الشکل و فی السمات و الشیات، بناء علی نشاط مجموعة من الجینات فی هذه الخلیة، و نشاط مجموعة أخری فی الخلیة المجاورة لها. بل إن الطبقة الواحدة فی الشبکیة تختلف حسب وظیفتها. فخلیة (العصی SDOR) تختلف عن خلیة (المخروطات SENOC) فی الشکل و الوظیفة» «۱».

III- خلق الموت:

III- خلق الموت: یقول اللّه جلّ و علا: تَبارَکَ الَّذِی بِیَدِهِ الْمُلْکُ وَ هُوَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۱) الَّذِی خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَیاةَ لِیَبْلُوَکُمْ أَیُّکُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْغَفُورُ (۲) [الملک: ۱- ۲]. و عن الموت جاء فی مقاییس اللغة: (موت: المیم و الواو و التاء أصل صحیح یدلّ علی ذهاب القوّة من الشیء. منه الموت: خلاف الحیاة، و إنما قلنا: أصله ذهاب القوّة، لما روی عن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم: «من أکل من هذه الشّجرة الخبیثة «۲» فلا یقربنّ مسجدنا، فإن کنتم لا بدّ آکلیها فأمیتوها طبخا ...» «۳». إذن الموت فی لغة العرب هو فقدان الشیء قواه، و لا ینحصر لغة فی فقدان الروح من الشیء کما یعتقده عامة الناس. و هکذا فإن الموت ظاهرة لا تقتصر علی الإنسان أو علی الحیوان فقط، بل تطول جمیع الأشیاء التی تفقد قواها، و منها الخلایا. و عن الخلق جاء فی لسان العرب: و الخلق فی کلام العرب: ابتداع الشیء (_____ ۱)

کتاب الثارات السبع، د. محمد علی البار، ص ۱۷- ۱۸. (۲) و لیس المراد بالخبث هنا أن الشجرة مضرّة لجسم الإنسان، و أنها حرّمت، و إنما هو خبث الرائحة بدلیل الحدیث الشریف: عن أبی سعید قال: لم نعد أن فتحت خیبر فوقعنا أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم فی تلک البقلة: «الثوم» و النّاس جیاع فأکلنا منها أکلا شدیدا، ثمّ رحنا إلی المسجد فوجد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم الرّیح فقال: «من أکل من هذه الشّجرة الخبیثة شیئا فلا یقربنا فی المسجد» فقال النّاس: حرّمت حرّمت فبلغ ذاک النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم فقال: «أیّها النّاس إنّه لیس بی تحریم ما أحلّ اللّه لی و لکنّها شجرة أکره ریحها» [أخرجه مسلم ح ۱۰۳]. (۳) مقاییس اللغة لابن فارس- (ج ۵/ ص ۲۸۳). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۰۱ علی مثال لم یسبق إلیه ... (قال) ابن سیده: خلق اللّه الشیء یخلقه خلقا أحدثه بعد أن لم یکن ...» «۱». و ورد فی لسان العرب: «موت: (قال) الأزهری عن اللیث: الموت خلق من خلق اللّه تعالی ...» «۲». و جاء فی تفسیر ابن کثیر: «و استدل بهذه الآیة من قال: إن الموت أمر وجودی، لأنه مخلوق ...» «۳». إذن فالموت شیء مخلوق، أی شیء أحدثه اللّه تعالی، و هذا یستوجب وجود أسباب شرعا و عقلا تسبب بوجوده، أی آلیات و أعضاء و أنظمة هی بمثابة مسببات لظاهرة الموت- أی لإضعاف قوة الشیء-. و النص القرآنی: أَ فَرَأَیْتُمْ ما تُمْنُونَ (۵۸) أَ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخالِقُونَ (۵۹) نَحْنُ قَدَّرْنا بَیْنَکُمُ الْمَوْتَ وَ ما نَحْنُ بِمَسْبُوقِینَ (۶۰) [الواقعة: ۵۸- ۶۰] یشیر إلی أن اللّه عزّ و جلّ قدّر (أی أراد- کما تشیر إلیه کلمة «قدر»-) أن یخلق (أی أن یحدث) الموت (أی إضعاف القوی) مستقبلا. و بما أن «الموت» خلق یستوجب وجوده مسببات، فنقول- و باللّه التوفیق-: إن اللّه تعالی أراد أن یحدث إضعاف القوی بإیجاد مسببات- أی آلیات- تسبب هذه الظاهرة مستقبلا، و هذا (أی الاستقبال) یستوجب تبعا وضع برنامج زمنی لإحداث هذه الظاهرة. و بما أن الآیة مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ [عبس: ۱۹] تعلمنا أن التقدیر موجود فی النطفة، فنقول: إن البرنامج الزمنی هو خطة جینیة أوجدها اللّه تعالی فی النطفة، و هذه الخطة لها آلیات و أعضاء تتسبب فی إحداثها. و الکلام السابق ینطبق علی الأحیاء الخلوی لأنه أیضا خلق من خلق اللّه تعالی کما جاء فی الآیة: الَّذِی خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَیاةَ لِیَبْلُوَکُمْ أَیُّکُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْغَفُورُ (۲) [الملک: ۲] (و کما سنری فیما یلی). و سنری فی المبحث التالی هذه الآلیات و الأنظمة.

IV- نبذة علمیة عن الموت الخلوی المبرمج:

IV- نبذة علمیة عن الموت الخلوی المبرمج: و تطور مختلف أعضاء الجسم یعتمد من جهة علی تقاسم و تکاثر خلایا الجسم الإنسانی المبرمج کما أسلفنا قوله، و من جهة أخری علی (الموت الخلوی المبرمج SISOTPOPA) الذی یقوم بدور أساسی فی النمو و الاتزان البیولوجی للکائنات عامة (_____ ۱)

لسان العرب لابن منظور مادة «خلق»- (ج ۴/ ص ۱۹۳). (۲) لسان العرب لابن منظور مادة «موت»- (ج ۱۳/ ص ۲۱۷). (۳) تفسیر ابن کثیر- (ج ۴/ ص ۳۹۶). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۰۲ و للإنسان خاصة، و تعتبر هذه الظاهرة إحدی الدعامات الأساسیة لنمو المخلوقات عدیدة الخلایا. فالخلیة عند ما تموت (بالاستموات المقدر SISOTPOPA) تفقد قواها و تنهار مکوناتها: فتتکمش و من ثم تنسحب مبتعدة عن جاراتها، ثم تظهر فقاعات علی السطح، و یتکثف الکروماتین فی نواتها، و سرعان ما تنقطع النواة ثم الخلیة نفسها، و تلتهم أجزاؤها بسرعة من قبل خلایا أخری مجاورة «۱». (انظر الصورة رقم: ۱۲۸). ((SC ۱) _____) مجلة الإعجاز العلمی، رابطة العالم الإسلامی، العدد العاشر، ص ۴۷. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۰۳ هذا و قد أشار القرآن الکریم إلی الموت الخلوی فی قوله تعالی: إِنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوی یُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَیِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَیِّتِ مِنَ الْحَیِّ ذلِکُمُ اللَّهُ فَأَنَّی تُؤْفَکُونَ [الأنعام: ۹۵]. و ذلک أن الآیة تتحدث عن الحب أولا، و من ثم تتکلم عن إخراج الحی من المیت و إخراج المیت من الحی، و هذا یقتضی ربط عملیتی إخراج المیت من الحی و إخراج الحی من المیت بالحب التزاما بالسیاق القرآنی. و هکذا فإن معنی الآیة یکون: إن اللّه فالق الحب و النوی، یخرج الحیاة من الحبة المیتة و یخرج الموت من الحبة الحیة. و من الأدلة اللغویة علی أن الآیة السالفة الذکر تشیر إلی أن الموت الخلوی له آلیاته و أنظمته: کلمة وَ مُخْرِجُ فی قوله تعالی: وَ مُخْرِجُ الْمَیِّتِ مِنَ الْحَیِّ [الأنعام: ۹۵]، فهذه الکلمة علی وزن اسم فاعل. فالحاصل أن اسم الفاعل یصاغ للفعل فوق الثلاثی علی وزن مضارعه المعلوم بإبدال حرف المضارعة (الیاء) میما. و کما سبق و

تکلمنا فی مبحث (الماء و المنی/ تفسیر النقطة الثالثة «أن هذا الماء لیس متدفقا فحسب بل دافق»): «فإن اشتقاق صیغة [فاعل] من فعلها، ینبغی أن یکون فی الصیغة معنی الفعل، أی یکون الفعل قائما بالصیغة»، أی بمعنی آخر: أن صفة إخراج المیت من الحی و الحی من المیت قائمة بنفس الخلیة عبر آلیات الاستموات الموجودة فیها- یاذن اللّه-. فالاستموات و الإحیاء صفتان لخلایا الجسد، لصیقة بها، لا تنفک عنها. و لاحظ أیها القارئ الکریم الدقة فی صیاغة الآیة. فقوله تعالی: وَ مُخْرِجُ الْمَیِّتِ مِنَ الْحَیِّ معطوف علی قوله تعالی: إِنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوی لأن کلا منها اسم فاعل، و هذا إن دل علی شیء فهو یدل علی نوعان من العملیات تتحکم فیها الآلیات المودعة فی الخلیة- بإذن اللّه- بالاستموات و الإحیاء: الفلق، و إخراج المیت من الحی. أما کلمة: یُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَیِّتِ فجاءت خالیة من عطف الواو علی ما قبلها. ففی اللغة العربیة إذا جاءت جملة بعد جملة أخری، و لم یفصل بینهما بحرف عطف، فالأخیرة قد تعنی البیان علی سبیل التفسیر، أو الوصف، أو التأکید، أو غیر ذلک «۱»، و هذا یعنی أن فلق الخلیة هو بمثابة إخراج الحی من المَیِّت. جاء فی تفسیر المحیط «۲»: «و عطف قوله: وَ مُخْرِجُ الْمَیِّتِ علی قوله: فالِقُ الْحَبِ

(۱) تفسیر الألوسی، دار إحیاء التراث العربی- ج ۷/ ص ۲۲۶- ۲۲۷-. (۲) انظر مبحث «القابلیة للحیاة/ التعدیل». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۰۴ اسم فاعل علی اسم فاعل، و لم یعطفه علی: یُخْرِجُ لأن قوله: فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوی من جنس إخراج الْحَیَّ مِنَ الْمَیِّتِ لأن النامی فی حکم الحیوان، أ لا ـ ترى إلى قوله: یُحْیِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها [الروم: ۵۰]. فوقع قوله: یُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَیِّتِ من قوله: فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوی موقع الجملة المبینة. فلذلک عطف اسم الفاعل لا ـ علی الفعل ...». جاء فی تفسیر الألوسی «۱»: «وَ مُخْرِجُ الْمَیِّتِ کالتطفة و أخویها مِنَ الْحَیِّ کالحیوان و أخویه، و هذا عند بعض عطف علی فالِقُ لا علی یُخْرِجُ الْحَیِّ إلخ. لأنه- کما علمت- بیان لما قبله». قد یتساءل القارئ: هل أن قاعدة «إخراج الحیّ من المیّت» تنطبق علی انفلاق الخلیة أم لا؟ و الحال أن الخلیة ما زالت حیّة عند ما تنفلق؟ و الجواب هو: أن الخلیة عند انفلاقها قد ابتدأ نفاذ قواها- أی بمعنی آخر: أنها شارفت علی الموت و انتهی دورها کخلیة (أو کبویضة)، وفقا للمعنی اللغوی للموت: فقدان القوی-؛ و هی سائرة حتما إلی الموت- یاذن اللّه- إن لم تتجدد عبر انفلاقها إلی خلیتین جدیدتین. فهی بحکم المیّت مآلا. و هذا الأسلوب قد تتردّد فی موضع آخر من القرآن الکریم حیث أن الآیة: إِنَّکَ مَیِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَیِّتُونَ [الزمر: ۳۰] وصفت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم بالمیت مع کونه حیّا عند ما أنزلت الآیة علیه، و ذلک لأنه کذلک کان قادما حتما علی الموت- یاذن اللّه-. کما أن انفلاق الخلیة سیؤدی مآلا إلی خلق أعضاء مؤلفة من عدّة خلایا أکثر تعقیدا و أکثر حیویة من الخلیة الواحدة. أضف إلی ذلک أن هذه الأعضاء ستکون مهیئة لأن تستقبل الروح عند اکتمال تخلق الجنین. فالمسألة نسبیة- و اللّه تعالی أعلم-. کما أن الآیة تتکلم عن حب الزرع (الذی یکون بطور الکمون أی المتوقف عن العمل- المیت-)، و عن الخلیة، فلا بد أن تأتی بهذه الصیغة المجملة لکی تحیط بجوانب کلتا الحالتین. و تفصیلا: «یوجد فی مجال التخلق الجنینی ثلاثة أنواع من الموت الخلوی المبرمج الذاتی: ۱- (الموت الخلوی التشکلی المبرمج SISOTPOPA CINEGOHPROM)

(۱) تفسیر البحر المحیط، لأبی حیان الأندلسی- ج ۴/ ص ۱۸۴- ۱۸۵-. دار الفکر/ ط ۲ ۱۴۰۳ ه- ۱۹۸۳ م. بیروت- لبنان. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۰۵ المسئول عن تغییر شکل الأنسجة. مثال علی ذلک: الموت الخلوی لخلایا ما بین الأصابع المسئولة عن فصل الأصابع ... ۲- (الموت الخلوی المبرمج لتطور الأنسجة SISOTPOPA CINEGOTSIH) الحاصل خلال تمایز الأنسجة و الأعضاء ... مثال علی ذلک: یسبب (هرمون مولر الضد ENOMROH NAIRELLUM- ITNA) فی الذکر الذی تفرزه (الخلایا الجنسیة SLLEC YLORETS) للخصیة فی کبح أنابیب مولر (التی تصبح فی الأنثی فیما بعد أنابیب قناة فالوب و الرحم و الجزء العلوی للمهبل) من خلال الموت الخلوی المبرمج. ۳- (الموت الخلوی المبرمج لتطور الأعضاء SISOTPOPA CITENEGOLYHP) الذی یتدخل فی إزالة الأعضاء اللاوظیفیة من الجنین مثل (أنابیب الکلی البدائیة «۱» (SORHPENORP»، و لا یقتصر دور المورثات علی تنظیم و تقدیر تخلق الأعضاء فحسب، بل یعتبر الموت الخلوی المبرمج من احتیاجات الجسم لیحافظ علی نموه السلیم. فعلی سبیل المثال: تنشأ (الخلایا التائیة SLLEC T) عن أسلافها فی نقیّ- أی فی أصل- العظام، و تهاجر الخلایا غیر الناضجة إلی (غدة التوتة SUMYHT) حیث تعرف (بالخلایا التوتیة SETYCOMYHT) و یموت ۹۰٪ من هذه الخلایا فی التوتة و یبقی ۱۰٪ فقط تنضج و تخرج للدورة الدمویة لتساهم فی حراسة الجسم «۲». و قوله تعالی: یُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَیِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَیِّتِ مِنَ الْحَیِّ ذلِکُمُ اللَّهُ فَأَنَّی تُؤْفَکُونَ [الأنعام: ۹۵] یدل دلالة واضحة علی تواصل و تعاقب و تتابع عملیتی الموت و الحیاة بصفة مستمرة فی الکائنات الحیة. و استخدام الفعل المضارع یُخْرِجُ فی القرآن الکریم شاهد علی استمرار و تعاقب إخراج الحی من المیت و المیت من الحی، حیث تتخلق أنسجة کاملة من الخلایا المستمونة تقدیریا. فعدسة العین تتشکل أثناء التنامی الجنینی من خلایا استمواتیة استبدلت محتویاتها الداخلیة ببروتین الکرستالین الشفاف، و خملات المعی تتکون من خلایا استمواتیة عند قاعدة هذه الأصابع، ثم تهاجر هذه الخلایا عبر أیام عدیدة إلی القمة لتساعد فی تکوین الطبقة الخارجیة للخملات التی

(۱) PP, ۵- ۷۷ (DOOWREDNU ECJ, YGOLOHTAP CITAMETSYS DNA LARENEG. (۲) مجلة الإعجاز العلمی، رابطة العالم الإسلامی، العدد العاشر، ص ۴۷، و ۱۹۹۲ -۲۶۳ :۱۰ LONUMMI VER NNA .YTINUMMI NI HTAED LLEC .SK SNILLES ,AV KODAF ,CR EKUD ,JJ NEHOC DEMMARGORP DNA SISOTPOPA . إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۰۶ تستخدم فی عملیة امتصاص الغذاء. و تستمر هذه العملیات بصورة متفاوتة عبر مراحل العمر المختلفة للکائن البشری «۱»، و لا ـ تنفی صیغة اسم الفاعل فی قوله تعالی: وَ مُخْرِجُ الْمَیِّتِ صیغة المضارع فیه کما فی قوله تعالی: یُخْرِجُ الْحَیَّ مِنَ الْمَیِّتِ لأن اسم الفاعل یشیر بنفسه إلی الاستمرار، فالمضارع. جاء فی تفسیر الألوسی «۲»: «أن اسم الفاعل فی معنی المضارع». و کما أشرنا فی المبحث السابق فإن الموت و الحیاة خلقان یستوجبان إیجاد آلیات و أعضاء تسبب الاستموات و الإحیاء الخلوی. و هناک عائلتان من الجینات تتحکم فی سیرة الموت الخلوی: عائلة (بی سی أل- ۲ -LCB) و عائلة (أی سی إی ECI). و المجموعة الأولی من الجینات تنظم عملیة الاستموات حسب احتیاجات الجسم، و المجموعة الثانیة تشرف علی تصنیع بروتینات الموت و التی تعرف باسم: (مثبطة بروتیزات آی سی إی ۳ (SESAETORP EKIL ECI». فمصیر الخلایا یعتمد علی (مثبطات للموت SROTIBIHNI SISOTPOPA) و (محفّزات للموت SRECUDNI SISOTPOPA». فعلی سبیل المثال: یعتبر (بروتین الباکس NIETORP XAB) من العوامل التی تحفّز علی الاستموات، و نسبة بروتین الباکس و المورث «بی سی أل- ۲» تحدد ما إذا أن الخلیة ستستجیب لمنبهات کیمیائیة للاستموات أو لا «۴». و هکذا نری أن حدث الاستموات له آلیاته و أنظمته الخاصة به، مما یدلل علی أن الموت مخلوق کما تعلمنا النصوص الشرعیة.

۷- نبذة علمیة عن أسباب الشیخوخة:

۷- نبذة علمیة عن أسباب الشیخوخة: یبدأ الانقسام الخلوی من بدایة تخلّق الجنین، و یکون معدّل انقسام الخلایا

(۱) مجلة الإعجاز العلمی، رابطة العالم الإسلامی، العدد العاشر، ص ۴۸، و ۱۹۹۶ ۲۶ -۱ :۲۳۶ MEHCOIB J .RUE .HTAED FO NOITALUGER RALUCELOM SISOTPOPA :,LA TA NOMENOTS ,C .L ,DNALREHTUS ,AC HTIMS ,J A ELAH . ۲)) تفسیر الألوسی، دار إحیاء التراث العربی- ج ۷/ ص ۲۲۷-. (۳) مجلة الإعجاز العلمی، رابطة العلم الإسلامی، العدد العاشر، ص ۴۷، و ۱۹۹۴ :P REBOTCO ۴۷ LOV SETEBAID .MDDI FO SISENEGOHTAP EHT DNA SISOTPOPA .M SAMOHT DNA ,,OICIRUAM . (۴) ۷۸- ۷۷: ۱۲, DOOWREDNU ECJ, YGOLOHTAP CITAMETSYS DNA LARENEG إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۰۷ الجنینیة عالیا جدا، و تستمر الأعضاء فی النمو مع مرور الأیام فتبلغ بعض الوظائف أوجها، و یبلغ الجسم غایة نموه- أی أشدّه-. و قد قدّرت مرحلة الثلاثین فی الغالب مرحلة بلوغ الشدّة فی النمو «۱». و مع مرور الوقت تتناقص قدرة الخلایا علی الانقسام، و تموت باکرا کلّما تقدّم سنّ الإنسان. و قد أظهرت عملیات الزرع الخلوی أن معدل انقسام الخلایا خلال الزرع یتناسب عکسیا مع مرور الوقت فی ظاهرة تعرف (بحدّ هایفلک ۲، (TIMIL KCILFYAH. فعلی سبیل المثال: تنقسم الخلایا العادیة أکثر من خمسین مرّة قبل أن تموت، و أما خلایا (الأشخاص المصابین بمرض الشیخوخة STNEITAP AIREGORP)- أی خلایا المسنین- فإنها تنقسم من عشر إلی ثلاثین مرة. (انظر الصورة رقم: ۱۲۹). و من أسباب هذه الظاهرة: أن هناک آلیة داخل الخلیة معیّنة بالتحکّم فی عمرها، عن طریق وقف الانقسام و إفساح المجال لعملیات الهدم لتمیت الخلیة، و اکتشف الباحثون أن (الجزء الأخیر من الصبغیات EREMOLET) ینقص طوله مع کل انقسام للخلیة و تضاعف الحامض النووی الرئیسی (دی أن آی AND)، و وجد أنّه یعمل کعدّاد یحسب عدد الانقسامات، و یسمّی: (عدّاد الأجل RETEM YTIVITEGNOL). و کما نعلم فإن الخلیة تنقسم باستمرار، و بالتالی فإن عمرها ینقص مع انقساماتها المتلاحقة من جرّاء نقص طول العدّاد «۳». (انظر الصورة رقم: ۱۳۰). کذلک من أسباب الشیخوخة: أن الخلایا تموت من جراء الأخطاء التی تحصل خلال إصلاح (الحامض النووی الرئیسی AND) الموجود فی نواة الخلیة، و الذی یحتوی علی المورثات. و یزداد الأمر سوءا مع مرور الأیام حتی یبدأ الجسم بفقد قواه تدریجیا بحوالی ۰٫۸٪ من مجمل قواه کل سنة بعد سن الثلاثین «۴». و لهذا قال اللّه تعالی: ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّکُمْ ثُمَّ لِتَکُونُوا شُیُوخاً [غافر: ۶۷]. جاء فی کتاب «علم الوراثة الإنسانی» «۵»: «بما أن المورثات تتحکم فی انقسام و موت الخلیة، فإن مرحلة النضوج و الشیخوخة مبرمجة جینیا إلی حدّ ما».

(۱) کتاب علم الوراثة الإنسانی، ریکی لویس، ص ۶۰. (۲) DOOWREDNU ECJ, YGOLOHTAP CITAMETSYS DNA LARENEG. ,۱۲: ۲۶۴ (۳)) مجلة الإعجاز العلمی، العدد الثانی عشر، ص ۱۰، و ۲۶۶ : ۱۲ DOOWREDNU ECJ, YGOLOHTAP , (۴) کتاب علم الوراثة الإنسانی، ریکی لویس، ص ۶۰- ۶۲-۶۳. (۵) کتاب علم الوراثة الإنسانی، ریکی لویس، ص ۶۰. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۰۸ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۰۹

VI- نبذة علمیة عن التقدیر الجینی لموت الإنسان:

VI- نبذة علمیة عن التقدیر الجینی لموت الإنسان: لم نر أحدا من العلماء البیولوجیین المسلمین تکلم بإطناب عن تقدیر موت الإنسان من الناحیة الوراثیة. فهذا الأمر معقّد للغایة نظر الوجود أسباب خارجیة خارجة عن سیطرة الإنسان، تتحکم فی موته و تؤثر فی إضعاف قوة جسده، مثل: الأوبئة، و الأحداث الفردیة. و نظرا لأن کل إنسان یختلف فی تکوینه و فی قوة جسده عن غیره، و نظرا لأن الأبحاث لم تکتمل بعد فی هذا المجال، و أنها غیر قطعیة، ناهیک عن أن الأعمار بید الله تعالی، بید أن کل المعطیات الشرعیة (کما أشرنا إلیه سابقا)، و العلمیة تشیر بوضوح إلی هذا التوجه. و من الأدلة العلمیة علی التقدیر الجینی لموت الإنسان: ۱- کل إنسان و حیوان یتمیز بما نسمیه (عمر طبیعی متوقع YCNATCEPXE EFIL LARUTAN)، فعلی سبیل المثال: یتمیز عمر (ذبابة نوار YLFYAM) بأنه یوم واحد. و یتمیز عمر الحیوان ذات الخلیة الواحدة (الأمفیبیا AIBIHPMA) بعمر ما یناهز مائة عام «۱». و أما عمر أمة محمد صلّی اللّه علیه و سلّم، فقد حدده الرسول الکریم صلّی اللّه علیه و سلّم بأنه ما بین الستین إلی السبعین سنة [أخرجه الترمذی ح ۹۲] کما أسلفنا قوله فی مبحث «دور النطفة فی التقدیر/ التقدیر کما جاء فی النصوص الشرعیة». ۲- هناک أمراض وراثیة طبیعیة یشیخ فیها الإنسان قبل أوانه بفعل المورثات مثل: (أمراض عائلة الیروجیریا SAIREGORP). فعلی سبیل المثال: یشیخ الإنسان المصاب (بمرض هاتشینسون غیلفورد NOSNIHCTUH- DROFLIG EMORDNYS) باکرا خلال عمره، حیث تظهر أعراضه (من تجاعید وطیات جلدیة) من أول سنة، و یموت فی الغالب عند عمر اثنی عشر عاما، و مثل: (مرض وارنر سندروم EMORDNYS RENREW) حیث تظهر أعراضه قبل سن العشرین، و یموت الشخص فیه فی الغالب عند سن الخمسین، و قد اکتشف المورّث الذی یسبب مرض شیخوخة وارنر سندروم سنة ۱۹۹۶ م «۲»، و الذی ینبثق من النطفة (کما سنشیر إلیه فی الخلاصة لاحقا)، مما یدل علی أن مـــــــــوت الإنســـــــــان مقـــــــــدّر فی النطفـــــــــة. (انظر الصـــــــــورة رقـــــــــم: ۱۳۱).

(_____ ۱) ۲۶۵ : ۱۲، DOOWREDNU

۲) .(CEJ, YGOLOHTAP CITAMETSYS DNA LARENEG) کتاب علم الوراثة الإنسانی، ریکی لویس، ص ۶۲. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۱۰ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۱۱ أضف إلی ذلک أن الأبحاث أظهرت أن طول عمّاد الأجل (المذکور آنفا) لدی الصبغیات فی حالة الإصابة (بمرض الشیخوخة المبکر AIREGORP) قصیر إذا ما قارنّاه بعمّاد الأجل للخلایا العادیة، بینما هو طویل لدی (الخلایا الجنینیة الأم SLLEC METS)، ممّا یشیر إلی أن خلایا المسنین میرمجة لأن تموت أبکر من نظیراتها لدی صغار السن، و هذا ما یؤید مرّة أخری أن موت الخلایا میرمج، و بالتالی موت الأعضاء التی تتألف من هذه الخلایا، فالإنسان میرمج إلی حدّ ما «۱». ۳- بما أن صحة الإنسان تعتمد علی صحة خلایاه، و أن خلایا الإنسان تفقد قدرتها علی الانقسام و علی إصلاح عیوبها خلال برنامج زمنی معیّن إلی حد ما، فإن جمیع أعضائه «تشیخ» مع مرور الوقت، و بالتالی فإن أیّا منها عرضة لأن تصل (نقطة الکارثة TNIOP LACITIRC) التی تؤدی إلی الموت خلال فترة معینة إلی حد ما (إذا ما استثنینا العوامل الخارجیة).

VII- الخلاصة:

VII- الخلاصة: من الحدیث الذی سبق، نفهم أن: کل جین من جینات نطفة الأمشاج تتحکم- بإذن اللّه- فی تطور عضو من أعضاء جسم الإنسان، بل فی تطور جزء من أجزاء العضو الواحد، و هذا التطور یتم حسب برنامج زمنی دقیق للغایة. و بالتالی فقد جعل اللّه تعالی النطفة سببا لتقدیر بنیة الإنسان. جاء فی کتاب «علم الوراثة الإنسانی»: «إن المورثات تنظّم شکلنا خلال الحیاة ... لا یهم متی تبدأ الأمراض الوراثیة بالظهور، فإن المورثات التی تحدثها موجودة من (بدایة خلق الإنسان NOITPECNOC)» [أی عند خلق نطفة الأمشاج]» «۲»، و جاء فی کتاب «علم الوراثة الإنسانی»: «قلّة هم الذین ینفون أن التخلقات الجنینیة و الطفولة و المراهقة و النضج هی مبرمجة جینیا» «۳». إن المورثات الموجودة فی النطفة هی السبب فی تقدیر الإنسان، و کل ذلک بمشیئة اللّه و قدرته: و من هنا نفهم أبعـــــــــاد الآیـــــــــة مِـــــــــنْ نُطْفَـــــــــةٍ خَلَقَـــــــــهُ فَقَـــــــــدَّرَهُ [عبس: ۱۹].

(_____ ۱) مجلة الإعجاز العلمی، العدد الثانی عشر، ص ۱۱، و ۲۶۶: ۱۲، ۲) .(DOOWREDNU ECJ, YGOLOHTAP CITAMETSYS DNA LARENEG) کتاب علم الوراثة الإنسانی، ریکی لویس، ص ۴۰. (۳) ۲۶۵: ۱۲، DOOWREDNU ECJ, YGOLOHTAP CITAMETSYS DNA LARENEG. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۱۲

VIII- دلائل الإعجاز:

VIII- دلائل الإعجاز: إن الحدیث عن الخلایا جدّ عجیب، و ذلک أن المفهوم القائل بأن جسم الإنسان مکوّن من خلایا کان غریبا عن الناس إبان وقت الرسالة، نظرا لأن هذه الخلایا غیر مرئیة (لصغر حجمها) و لتکوینها جسما واحدا متماسکا و متواصلا (و بالتالی لا یوحی بأنه مؤلف من عدّة أجزاء)، و الحدیث عن موت الخلایا أمر مدهش! و ذلک لأنه یتکلم عن حیاة للمادة التی تتکون منها أعضاء جسم الإنسان، و لا یتخیل أحد من أمّیة أمیّة، أنها حیّة بنفسها. و التکلم عن إحیاء خلایا حیّة من خلایا میّتة أکثر غرابة من الکلام السابق، نظرا لأن ظاهرة إخراج الحی من المیت أبعد عن أذهان الناس من إخراج المیت من الحی. فالکل یموت، و لکن لا یحیا منه شیء فی الغالب بعد موته. و مما یزید الأمر دهشة هو التکلم عن التعاقب المستمر للموت و الحیاة فی الخلایا، و عن الآلیة الدقیقة جدا، غیر المرئیة، التی تعطی للمادة قوة الاستمراریة، ألا و هی: انفلاق النوی (فلا أحد یشاهد بالعین المجردة انفلاق النواة الموجودة داخل الحبة أو الخلیة). و مما یثیر الانتباه أکثر هو التکلم عن عملیة [تمایز] و جمع للخلایا، و هو وصف فی غایة الدقة لدینامیکیة الخلایا وفق برنامج زمنی معین (مثل الیوم السابع و الیوم الأربعین) «۱». و أما التکلم عن أن الموت خلق مقدّر من النطفة (للإنسان علی وجه عام و للخلایا علی وجه خاص)، أی أنه یستوجب وجود أعضاء استمواتیة تعمل وفق برنامج زمنی معین تنبثق من النطفة، فهذا أمر لم تعرفه البشریة إلا فی السبعینات من القرن العشرین. أ لیس فی ذلک دلیل علی أن القرآن وحی من عند اللّه عزّ و جلّ؟.

۲- دور النطفة فی تحدید جنس الجنین:

اشارة

۲- دور النطفة فی تحدید جنس الجنین: * قال العلیم الحکیم: وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَیْنِ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثی (۴۵) مِنْ نُطْفَةٍ إِذا تُمْنی (۴۶) [النجم: ۴۵- ۴۶]. * قال عزّ و جلّ: وَ ما خَلَقَ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثی [اللیل: ۳]. بدایة نری أن ورود اسم الموصول «ما» فی آیة سورة اللیل کقسم اللّه تعالی فی هذا الموضع بالذات له دلالته. فهو قد یشیر إلی عظیم صنع اللّه تعالی فی أنه خلق شیء ما یکون السبب فی سبب إذکار أو إیناث الجنین. فالآیة ذکرت الزوجین: الذکر و الأنثی بعد فعل «خلق» للفت انتباه القارئ إلی أن هناک شیئا ما یحدث أحد الجنسین. و هذا الشیء غیر عاقل (_____ ۱)

راجع مبحث «جمع خلایا الجنین» و مبحث «المضغة». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۱۳ فمن استعمالات «ما» أنها ترد لغیر العاقل أو لصفات (العالم أو العاقل)، و للمبهم أمره، أی المجهول ماهیته و حقیقته «۱»، و قد ذکر بعض العلماء أنها اسم مبهم فی غایة الإبهام «۲». و من هنا نفهم أنها تشیر إلی الحیوان المنوی الذی سنأتی علی تفصیله لاحقا. و لیس من الصدفة أن اللّه تعالی استعمل اسم الموصول «ما» فی هذا الموضع، فهو یشیر إلی غایة الإبهام، و الحیوان المنوی فی غایة الإبهام، و لا أحد یعرف عنه شیئا علی الإطلاق، و ذلک أنه صغیر جدّا، و أنه یحتوی علی أحماض نوویة رئیسیة بشکل متراص مغلّفة بغطاء. و من هذا الکلام نفهم أن معنی الآیة هو کالآتی: و الشیء غیر العاقل، المجهول فی تکوینه، الذی خلق الذکر و الأنثی. و الخلق فی الآیة، هو أنه تعالی أجری ذلک الفعل علی یدی ظاهرة کونیة یأذنه و إرادته، مع العلم أن فاعله الحقیقی هو اللّه تعالی، أی أن الشیء المذکور کان السبب فی إذکار أو إیناث الجنین یأذن من رب العالمین. و قد ورد إسناد الخلق إلی غیر اللّه تعالی فی کثیر من الآیات القرآنیة، مثل: وَ رَسُولًا إِلی بَنِی إِسْرائِیلَ أَنِّی قَدْ جِئْتُکُمْ بِآیَةٍ مِنْ رَبِّکُمْ أَنِّی أَخْلُقُ لَکُمْ مِنَ الطِّینِ کَهَیْئَةِ الطَّیْرِ [آل عمران: ۴۹]، و إِذْ قالَ اللَّهُ یا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ اذْکُرْ نِعْمَتِی عَلَیْکَ وَ عَلی والِدَتِکَ ... وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّینِ کَهَیْئَةِ الطَّیْرِ بِإِذْنِی فَتَنْفُخُ فِیها فَتَکُونُ طَیْراً بِإِذْنِی [المائدة: ۱۱۰]، و إِنَّما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثاناً وَ تَخْلُقُونَ إِفْکاً [العنکبوت: ۱۷]. مما یشیر إلی إمکانیة تفسیر الآیة علی الوجه الذی أشرنا إلیه. و النص القرآنی: وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَیْنِ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثی (۴۵) مِنْ نُطْفَةٍ إِذا تُمْنی (۴۶) [النجم: ۴۵- ۴۶] أوضح دلالة من آیة سورة اللیل، و ذلک لأن اللّه تعالی ذکر أوّلا کلّا من الذکر و الأنثی فی عملیة الخلق عوضا عن ذکر الإنسان فقط أو الذکر أو الأنثی، و لأنه ثانیا حدّد المکان الذی تخرج منه النطفة التی تسبّب الإذکار و الإیناث. فلو أن الهدف من الآیة هو إعلام الناس عن عملیة الخلق فقط، لکان کافیا أن یقول اللّه- سبحانه و تعالی-: و هو الذی خلق الإنسان من نطفة، و لکن ذکر الجنسین فی الآیة دلیل

(_____ ۱) انظر «شرح الراوی» للرضی- القسم ۲- المجلد ۱- ص ۲۵۹- ۲۶۰. (۲) البرهان فی علوم القرآن للزرکشی، (ج ۴/ ص ۳۹۸). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۱۴ علی أن المقصود إیضاحه هو عملیة الإذکار و الإیناث. و التدقیق علی أن النطفة تخرج من المنی هو تحدید لهویة هذه النطفة، و بالتالی هو إیضاح لسبب الإذکار و الإیناث «۱».

I- النطفة المسببة للإذکار أو الإیناث:

I- النطفة المسببة للإذکار أو الإیناث: لا بد من أن نعرف معنی کلمتی «ماء» و «منی» لکی نفهم أبعاد الآیة الکریمة التی ذکرناها آنفا. کلمة «ماء» فی القرآن الکریم تشیر إلی: ۱- السائل الذی یسبّب تخلّق الجنین، نسبة إلی النص القرآنی: فَلْیَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ (۵) خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ (۶) یَخْرُجُ مِنْ بَیْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ (۷) [الطارق: ۵- ۷]. ۲- و هذا الماء یخرج من موضع یقع ما بین الصلب و

الترائب کما أقره النص القرآنی: خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ (۶) یَخْرُجُ مِنْ بَیْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ (۷) [الطارق: ۶- ۷]. ۳- و هذا الماء یدفق کما تشیر إلیه الآیة: خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ (۶) [الطارق: ۶]. ۴- و لون هذا الماء أبیض للرجل و أصفر للمرأة، حسبما جاء فی الحدیث الشریف: «ماء الرجل أبیض و ماء المرأة أصفر ...» [أخرجه مسلم ح ۹]. و تعریف کلمة «منی»: جاء فی لسان العرب «۲»: «منی: المنی بالیاء: القدر». و جاء أیضا فی نفس الکتاب: « (قال) أبو بکر: تمنّیت الشیء أی قدّرته و أحببت أن یصیر إلی من المنی و هو القدر ...». و جاء أیضا: «یقال منی الرجل و أمنی من المنیّ بمعنی، و استمنی أی استدعی خروج المنیّ». و هکذا فإن أصل کلمة منی هو القدر. و المنی سمی منیّا لأن الإنسان یقدر نزوله و یتمنی حصول الشهوة بنزوله. وسائل الرجل الذی یخرج من إحلیله عند الجماع، تخرج مکوناته من موضع یقع ما بین الصلب و الترائب، و هو أبیض اللون، و هو یدفق، و یسبّب تخلّق الجنین؛ لأن النطفة التی تنسلّ منه تشارک فی تکوین البویضة الملقحة التی یتخلّق منها الجنین؛ و بالتالی فهذا السائل هو الماء الذی تکلم عنه الآیة رقم ۶ من سورة الطارق (_____ ۱) للمزید من التفاصیل انظر الحاشیة (رقم ۱، ص ۱۰۶- ۱۰۹) من مبحث «النطفة». (۲) لسان العرب لابن منظور- مادة «منی»- (ج ۱۳/ ص ۲۰۲- ۲۰۳). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۱۵ و ماء المبیض الذی یخرج مرّة کل شهر بعد انتهاء الدورة الشهریة لدی المرأة، تخرج مکوناته من موضع یقع ما بین الصلب و الترائب، و هو أصفر اللون، و هو یدفق، و یسبّب تخلق الجنین لأن النطفة التی تنسلّ من المبیض، تشارک فی تکوین البویضة الملقحة، التی یتخلق منها الجنین، و بالتالی فهذا السائل هو الماء الذی تتکلم عنه الآیة رقم ۶ من سورة الطارق. و السائل الذی یخرج من إحلیل الرجل عند الجماع یخرج باستثارة الرجل له، و بإرادته و هو بالتالی منی الرجل. و هکذا فإن ماء الرجل هو منی الرجل أیضا. و منی المرأة یخرج من عنق مهبل المرأة و غدد أخری مثل: (غدد بارثولین SDNALG NILOHTRAB) و (غدد سکن SDNALG ENEKS). و هذه الأعضاء لا تقع فی مکان ما بین الصلب و الترائب، و هذا المنی شفاف اللون و لیس بأصفر، و لا یدفق بل یسیل، و لا یشارک مباشرة فی تخلق الجنین. و هکذا فإن ماء المرأة یختلف عن منیها. و النطفة التی تنحدر من ماء الرجل تنحدر أیضا من منی الرجل، لأن ماء الرجل هو أیضا منی الرجل. و النطفة التی تنحدر من ماء المرأة لا علاقة لها بمنی المرأة، لأن ماء المرأة یختلف عن منی المرأة. و بالتالی فإن النطفة التی تمنی من المنی- کما تشیر إلیه الآیة: مِنْ نُطْفَةٍ إِذا تُمْنی [النجم: ۴۶]، أی النطفة التی تخرج من منی الرجل (أی الحیوان المنوی) و لیس من منی المرأة، کما أسلفنا شرحه- هی التی تسبب الإذکار أو الإیناث. و لکی تتضح لنا أبعاد الآیة الکریمة، لنر الأمور عن کثب من الناحیة العلمیة: - أولا: عند الرجل، السلالة أو الخلیة الجنسیة نوعان: * خلیة جنسیة و ثروتها الوراثیة تتألف من اثنتین و عشرین صبغیة عادیة، و صبغیة جنسیة واحدة یشار إلیها بالحرف (ص أو Y). * خلیة جنسیة و ثروتها الوراثیة تتألف من اثنتین و عشرین صبغیة عادیة، و صبغیة جنسیة واحدة یشار إلیها بالحرف (س أو X. - ثانیا: عند المرأة، الخلیة الجنسیة- أی البویضة- نوع واحد: و ثروتها الوراثیة تتألف من اثنتین و عشرین صبغیة عادیة، و صبغیة واحدة جنسیة یشار إلیها بالحرف (س أو X). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۱۶

II- عملیة الإذکار أو الإیناث:

II- عملیة الإذکار أو الإیناث: إذا اختلط عند التلقیح الحیوان المنوی (ذات الصبغیة الجنسیة «ص أو Y») بالبویضة (ذات الصبغیة «س أو X»)، کان الجنین ذکرا، أی حاملا للصبغیتین الجنسیتین (ص س أو YX). و إذا اجتمع الحیوان المنوی الحامل الصبغیة الجنسیة (X) مع البویضة الحاملة دائما للصبغیة الجنسیة (X) کان الجنین أنثی، أی حاملا للصبغیتین الجنسیتین (XX). (انظر الصورة رقم: ۱۳۲). و هکذا یتبین لنا أن أساس عملیة الإذکار و الإیناث هی نطفة الرجل و لیس المرأة. و یتبین لنا دقة التعبیر فی الآیة القرآنیة الکریمة. (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۱۷

ب- الإعجاز العلمی فی الصبغیات کما جاء فی النصوص الشرعیة:

۱- صفات الصبغیات:

۱- صفات الصبغیات: * عن مالک بن الحویرث رضی اللّه عنه أن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «إن اللّه تعالی إذا أراد خلق النسمة، فجامع الرجل المرأة، طار ماؤه فی کل عرق و عصب منها، فإذا کان یوم السابع، جمعه اللّه تعالی، ثم أحضر له کل عرق بینه و بین آدم، ثم قرأ: فِی أَیِّ صُورَةٍ مّا شاءَ رَکَّبَکَ [الانفطار: ۸]». [أخرجه الطبرانی ح ۲۱]. کما أسلفنا القول فی مبحث «اختلاط عروق النطفة» نفهم من الحدیث رقم ۲۱ أن النطفة تنتشر فی کل عرق و عصب من ماء المرأة. و قد أشرنا عندئذ أن لفظ «العرق» بالمصطلح النبوی الشریف یرادفه لفظ «الصبغیة» بالمصطلح العلمی. و سنبحث عن سبب استعمال کلمة العرق إشارة إلی الصبغیة فی الحدیث. فالعرق و العصب بمعنی واحد فی الحدیث و هما یمثلان الصبغیات. و قد جاءت کلمة «العصب» معطوفة علی کلمة العرق لکی تلقی مزیدا من الضوء علی صفات الصبغیات «۱ (_____ ۱). لقد عظمت کلمة «عصب» علی کلمة «عرق» و هما بمعنی واحد فی الحدیث السالف الذکر لسببین: أولا: لکی تعطف الشیء علی مرادفه. ثانیا: لکی تعطف الخاص علی العام. فقد ذکر السیوطی فی «الأشباه و النظائر»- (ج ۲/ ص ۱۱۸- ۱۲۰)، أن مما تنفرد به الواو العاطفة عن أخواتها العاطفات مثل «الفاء» و «ثم» و «أو» و غیرها أمورا منها: إنها تعطف الشیء علی مرادفه: مثل قول الشاعر: ألا حبّذا هند و أرض بها هند و هند أتی من دونها النأی و البعد فالنأی و البعد اسمان لمعنی واحد. (انظر «فصول فی فقه العربیة»، للدکتور رمضان عبد التواب، ضمن بحثه لظاهرة الترادف، ص ۳۲۴). أن تعطف الخاص علی العام: مثل قوله تعالی: مَنْ کانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَ مَلائِکَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِیلَ وَ میکالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْکافِرِینَ [البقرة: ۹۸]، فجبریل من الملائکة، و لکن یتمتع بصفات أخص من تلک التی یتمتع بها سائر الملائکة الأخری کما یظهر لنا فی قوله تعالی: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ کَرِیمٍ (۱۹) ذِی قُوَّةٍ عِنْدَ ذِی الْعَرْشِ مَکِینٍ (۲۰) مُطاعٍ ثَمَّ أَمِینٍ (۲۱) [التکویر: ۱۹- ۲۱]. و مثال آخر علی عطف الخاص علی العام، قوله تعالی: قالَ إِنَّما أَشْکُوا بَثِّی وَ حُزْنِی إِلَی اللَّهِ وَ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ [یوسف: ۸۶]، فالبث هو أخص من الحزن، جاء فی تفسیر الشوکانی فی تفسیره لسورة یوسف- (ج ۳/ ص ۴۹): «و البثّ: ما یرد علی الإنسان من الأشیاء التی یعظم حزن صاحبها بها حتی لا یقدر علی إخفائها، کذا قال أهل اللغة ... و قد ذکر المفسّرون أن الإنسان إذا قدر علی کتم ما نزل به من المصائب کان ذلک- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۱۸ یجدر الإشارة إلی أن حرف «کل» فی عبارة «طار ماؤه فی کل عرق ...» هو للإشارة إلی أن هناک العدید من الصبغیات فی النطفة؛ و العلماء أثبتوا أن هناک ثلاثا و عشرین صبغیة فی کل بویضة من بویضات المرأة و فی کل حیوان منوی لدی الرجل. و نفصّل من الناحیة اللغویة: جاء فی لسان العرب: «و عروق کل شیء أطناب تشعب منه» «۱». و جاء فی لسان العرب: «الأعصاب: الأطناب» «۲». و جاء فی لسان العرب: «طنب: الطّنب و الطّنب معا: حبل الخباء و السرادق و نحوهما ... الأطناب: الطوال من حبال الأخبیة ... ابن سیده: الطنب حبل طویل یشد به البیت و السرادق ...» «۳». إذن کل من العرق و العصب یعنی الطنب، و الطنب یعنی بدوره الحبل، و بالتالی فإن کلمتی «عرق» و «عصب» تشیران لغویا إلی شیء واحد، و هو الحبل. - _____ حزنا، و إن لم یقدر علی کتمه کان ذلک بثا، فالبثّ علی هذا: أعظم الحزن و أصعبه ... و علی هذا القول یکون عطف الحزن علی البثّ واضح المعنی». و عودة إلی الحدیث، «فالعصب» من جنس «العرق» کما تشیر إلیه معانی الکلمتین السابقتین، و بالتالی جاء عطف کلمة «عصب» علی کلمة «عرق» لتأکید المعانی التی تشیر إلیها کلمة «عرق» من خلال وظیفة الواو «الترادف». فالمعانی المشترکة بین الکلمتین السابقتین هی الحبال الطویلة، کذلک جاء عطف کلمة «عصب» علی کلمة «عرق» لکی یمهّد الطریق لإضافة صفات أخری علی هذه الحبال من خلال وظیفة الواو الأخری «عطف الخاص علی العام»، فالرجوع إلی المعنی الأول من خلال المعنی المشترک سبیل لکی نوضحه من خلال المعانی الأخری التی یتصف بها المعطوف علی المعطوف علیه. فکلمة «عصب» تبیّن معنی للصبغیات أخص من معنی کلمة «العرق»، و هو «ربط الشیء بالشیء الآخر» و «الطی الشدید» کما سنراه فیما یلی من المبحث، أی أن الصبغیات مربوطة بعضها ببعض، و ملتویة حول نفسها کأنها معصوبة، و لو اقتصر الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم علی کلمة «عرق» فی وصف الصبغیات لانتفت الدقّة المتناهیة فی الحبال وصف الصبغیات. فجاءت کلمة «عصب» لتقیّد العروق بصفات إضافیة. و من هذا الکلام السابق یتبیّن لنا کیف أن المعانی اللغویة، و القواعد النحویة، و الحقائق العلمیة، جاءت- بإذن اللّه تعالی- کوحدة متجانسة تتضافر فیما بینها لکی تؤکد معا مرّة أخری «الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة». (۱) لسان العرب لابن منظور- مادة «عرق»- (ج ۹/ ص ۱۶۰). (۲) لسان العرب لابن منظور- مادة «عصب»- (ج ۹/ ص ۲۳۰). (۳) لسان العرب لابن منظور- مادة «طنب»- (ج ۸/ ص ۲۰۵). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۱۹ و الطنب لیس هو الحبل فقط، بل الحبل الطویل، و هذا یعنی أن العروق و الأعصاب تشیر إلی أن الصبغیات عبارة عن حبال طویلة، و لیست أی حبال. و قال ابن فارس: «عصب: العین و الصاد و الباء أصل صحیح واحد یدل علی ربط شیء بشیء مستطیلا أو مستدیرا ...» «۱». و تتواصل القیود علی صفة تلک الحبال لتزید الأمور دقّة. فنفهم من کلام ابن فارس- العالم اللغوی الکبیر- أن هذه الحبال الطویلة مربوطة بعضها ببعض. و لیس هذا فحسب، فقد ورد من المعانی لکلمة «عصب» ما یضاعف هذه الدّقة، حیث جاء أنها تعنی «الشیء المطوی». قال ابن فارس: «و إنما سمّی العصیب من أعماء الشاء لأنه معصوب مطوی» «۲». ثم قال: «و کذلک کلّ شیء استدار حول شیء و استکفّ فقد عصب به» «۳». و جاء فی لسان العرب: «... و عصب الشیء یعصبه عصبا: طواه و لواه ...» «۴». و وجه الشبه بین معنی «الطوی» التی تشیر إلیها کلمة «عصب» و بین معنی أصلها- الربط-: أن کل شیء یطوی علی شیء یؤدی فی النهایة إلی ربطه بغیره من جراء تداخلهما ببعض. و لم یقتصر الوصف علی ذلک، بل جاء ما یجراه العقول؛ من تناهی الدّقة. فالطی المشار إلیه علیه أن یکون شدیدا. قال ابن فارس: «و العصب الطی الشدید، و رجل معصوب الخلق، کأنما لوی لیّا» «۵». کل هذا الوصف جاء لیلقی الضوء علی الصفة الخارجیة للصبغیات، و لکن ما ذا عن وظیفتها؟ یقول ابن منظور: «و عرق کل شیء: أصله» «۶». (_____ ۱) مقاییس اللغة العربیة لابن فارس- مادة «عصب»- (ج ۴/ ص ۳۳۶). (۲) مقاییس اللغة العربیة لابن فارس- مادة «عصب»- (ج ۴/ ص ۳۳۶). (۳) مقاییس اللغة العربیة لابن فارس- مادة «عصب»- (ج ۴/ ص ۳۴۰). (۴) لسان العرب لابن منظور- مادة «عصب»- (ج ۹/ ص ۲۳۰). (۵) مقاییس اللغة العربیة لابن فارس- مادة «عصب»- (ج ۴/ ص ۳۳۶). (۶) لسان العرب لابن منظور- مادة «عرق»- (ج ۹/ ص ۱۶۰). إعجاز القرآن فی ما

تخفیه الأرحام، ص: ۵۲۰ و هذا یعنی أن الصبغیات هی أصل الإنسان، أو بمعنی أدق أنها هی أصل خلق الإنسان. و باختصار فهاتان الکلمتان اللتان تعهّد الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم لفظهما تشیران إلی عدّة صفات یجب أن تتحلی بها الصبغیات، و هی: ۱- أن تکون شبیهة بالحبال. ۲- أن تتقید بالطویل من الحبال. ۳- أن تکون مربوطة بعضها ببعض. ۴- أن تکون ملتویة و مطویة. ۵- أن تتقید بالطیّ الشدید. ۶- أن تتحکم بسائر عملیات الخلق لأعضاء الإنسان. و نفصّل من الناحیة العلمیة: إذا تأملنا الصبغیات عن کثب تبیّن لنا أنها سلاسل (أی حبال) مؤلفة من حبیبات (السکر الناقص الأوکسیجین ESOBIR- YXOED) و جزیئات من (الفوسفات ETAHPSOHP) و (النیتروجین NEGORTIN). هذه الأزواج مربوطة بعضها ببعض بأربع قواعد نیتروجینیة هی (آدنین، غوانین، سایتوزین و ثایمین ENIMYHT, ENISOTYC, ENINAUG, ENINEDA). و جمعا ما بین الحقیقة العلمیة و المعنی اللغوی فإن کل سلسلة من حبیبات السکر و حبیبات الفوسفات هی عرق (أو عصب)، غیر أن صفة الربط بین کل زوجین من هذه الحبال صفة لا- تنفک عنها، و بالتالی فلا یضر أن نرمز بصفة عامة إلی أن هذین الزوجین یشکلان معا عرقا (أو عصبا) واحدا، أی أن الصبغی المؤلف من حبلین طویلین هو عرق أو عصب واحد، و إن کان المعنی اللغوی یشیر إلی أن الصبغی مؤلف من حبلین (أو عرقین). و من الأهمیة بمکان أن نشیر أیضا إلی أن هذه الأزواج من الحبال تأتی فی کثیر من الأحیان مربوطة هی الأخری بعضها ببعض، أی أن کل اثنین من الحبال المتّحدة بعضها ببعض بواسطة القواعد النیتروجینیة ترتبط فی کثیر من الأحیان باثنین آخرین متّحدین أیضا بعضهما ببعض فی المنطقة الوسطی منها عند ما یسمی (بالقسیمة المرکزیة للصبغیة EREMORTNEC) و یسمی عندئذ هذا الزوج من الصبغیات إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۲۱ (بالصبغیة المزدوجة DIOLPID)، مما یدلّ علی أن کلمة «عصب» اختیرت بعنایة فائقة لتبرز الإعجاز، فیسطع ضوء النبوة بالإشعاع قویّا مرّة أخری فی مجال «الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة فی مجال تخلّق الجنین». کما أن هذه الحبال یبلغ طولها ۱۵۰ إلی ۱۷۰ سم إذا کانت ممدودة کخیط، و تأتی أزواجا قطرها مجتمعة ۲۰ أنجستروم «۱» و هی بذلک طویلة جدا نسبة إلی حجم قطرها. هذه الحبال ملتویة و ملتفّة حول نفسها بحیث إنها تشکل حلزون (الدی أن آی A. N. D). و هذا الالتفاف حول النفس شدید و کثیف کما یظهر لنا فی الصورة التی تلی. (انظر الصورة رقم: ۱۳۳). هذه الصبغیات تعتبر أصل الإنسان و ذلک لعدة أمور: - إن الصبغیات علی الوجه العام تحتوی علی حلزون الدی أن آی الذی یحتوی بدوره علی الشیفرة الجینیة التی تقدر الإنسان من لون و قامة ... إلخ فهی بمثابة مخزن المعلومات الذی یحمل أسرار التکوین. - إن الصبغیات مسئولة عن نشاط الخلیة و تدبیر أمورها و ذلک لأنها مصدر الرسائل و الأوامر لتصنیع البروتینات و الخمائر، فمنها یصنع (الآر إن آی الرسول ANR REGNESSEM) الذی یحمل الرسائل و الأوامر من الدی أن آی إلی مصنع الخلیة- الریبوزوم «۲»- فیقوم الأخیر بصنع مختلف البروتینات و الأنزیمات (الخمائر) حسب تلک الأوامر. - یفقد الجسم کل ساعة ملایین من الخلایا. یعوض الجسم هذا النقص من خلال استنساخ الخلایا. یعتمد استنساخ الخلایا علی تضاعف کمیة المواد فی الصبغیات. إن تضاعف هذه الکمیة یولّد استنساخ الخلایا إلی قسمین متماثلین، و هکذا فإن الصبغیات هی أساس لاستنساخ الخلایا، کما أن ترکیة الصبغیات تملی ترکیة الخلایا الجدیدة (_____ ۱) و الأنجستروم واحد علی عشرة ملیار من المتر. (۲) و الریبوزوم یتکون من البروتین و الرنا الریبوزی (A. N. R r). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۲۲ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۲۳ و فی مجال «تخلق الجنین فی الرحم»: - إن تکاثر خلایا النطفة التی ستؤلف الجنین یعتمد علی الصبغیات لنفس السبب المذکور آنفا. - إن تخلق أعضاء الجنین یعتمد علی تمایز الخلایا التی بدورها تعتمد علی الشیفرة الجینیة الموجودة فی الصبغیات التی تحتویها النطفة.

۲- انحدار الصبغیات فی النسل:

۲- انحدار الصبغیات فی النسل: « قال النبی صلّی اللّه علیه و سلّم: «لا یبغی علی الناس إلّا ولد بَغیّة، و إلا من فیه عرق منه» [أخرجه البیهقی ح ۹۰]. هذا الحدیث یتکلّم عن ظاهرة تورّث بدلیل ورود کلمة «عرق» فی الحدیث السالف ذکره. و معناه: لا یبغی علی الناس إلا- ابن لامرأة ذات بَغی، و إلا- من فیه عرق منه. و البَغی هو الفساد. جاء فی لسان العرب «۱»: «و من بَغیّة تلقی علیها الشَّراشر» قال ابن بری: یرید کم تری من مصیب فی اعتقاده و رأیه! و کم تری من مخطئ فی أفعاله و هو جادّ مجتهد فی فعل ما لا ینبغی أن یفعل!». و ورد فی القاموس المحیط «۲»: «غوی و یغوی غیّا، و غوی غوایة، و لا یکسر، فهو غاو و غویّ و غیّان: ضلّ ... و ولد بَغیّة، و یکسر: زنیة». و جاء فی عمدة القاری بشرح صحیح البخاری لبدر الدین العینی «۳»: «قوله: «البَغیّة» بکسر اللام و الغین المعجمة و تشدید الیاء آخر الحروف: مشتق من الغوایة: و هی الضلالة کفرا و غیره، و أیضا یقال لولد الزنا، ولد البَغیّة، و لغیره: ولد الرشدة». و الغی المراد فی الحدیث هو طمع الغی، و هو حب الأذی للغیر، کما یفیده أصل کلمة الغی، و لیس الزنی کما یدّعیه بعض المفسّرین، لأن البَغی لا یأتی بالضرورة من الزنی، و البَغی لا یتوارث من الزنی، فالبغی شیء، و الزنی شیء آخر، و إن عاد الغی لولد امرأة ذات بَغی فذاک مردّه لنشأته فی بیئة فاسدة، و لیس لصفة یتوارثها من أمه. (_____ ۱) لسان العرب لابن منظور، باب الشین، مادة «شرر». (۲) القاموس المحیط، للعظیم آبادی، باب الواو و الیاء، فصل الغین، مادة «غوی». (۳) عمدة القاری بشرح صحیح البخاری لبدر الدین العینی، کتاب الجنائز، شرح الحدیث رقم ۸۵۳۱ إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۲۴ و نفهم من الحدیث السابق أن الرجل البَغی الذی یطغی علی الناس له عرق (أی صبغیة) یعطیه صفة الغی و الغلظة، کما نفهم من الحدیث أن الرجل الغی قد یرث من أمه صفة الغی من خلال العرق الذی ینحدر من أمه. و تفصیله: أن ضمیر الهاء فی «منه» قد یعود للغی و قد یعود للولد. فإن عاد للولد أصبحت وظیفة کلمة «من» فی «منه» لابتداء الغایة «۱» و أصبح المعنی علی هذا النحو: لا یبغی علی الناس إلا ولد بَغیّة، و إلا من فیه (أی فی الابن) عرق بَغی من هذا الولد- أی منحدر من هذا الولد (أی من الأب)-. و إن عاد للغی أصبحت وظیفة کلمة «من» فی «منه» للجنس أو للتبعیض. فإن کانت للجنس أصبح المعنی علی هذا النحو: لا یبغی علی الناس إلا ولد بَغیّة، و إلا من فیه عرق من الغی- بمعنی: من فیه عرق من جنس الغی-. و إن کانت للتبعیض أصبح المعنی علی هذا النحو: لا یبغی علی الناس إلا من فیه عرق من الغی- بمعنی من فیه بعض من هذا الغیّ، أو جزء من الغی-، أی أن العرق یولّد القلیل من الغی. و الذی یؤیّد أن المراد من الحدیث هو طمع الغی، أی طمع الفساد، و أنه یورّث: الحدیث الصحیح: عن أبی هریرة رضی اللّه عنه عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «تجدون النّاس معادن خیارهم فی الجاهلیّة خیارهم فی الإسلام إذا فقهوا، و تجدون خیر النّاس فی هذا الشّأن أشدّهم له کراهیة، و تجدون شرّ النّاس ذا الوجهین الّذی یأتی هؤلاء بوجه و یأتی هؤلاء بوجه» [أخرجه البخاری ح ۱۱۶]. فهذا الحدیث یشیر إلی أن الناس معادن، و المعدن هو الشیء المستقر فی الأرض، و هو علی أنواع مختلفة من خسیس و جید، و هذا یعنی أن اللّه خلق الناس من أتربة مختلفة مقابلة مع الحدیث الشریف: «إن اللّه خلق آدم من قبضة قبضها من جمیع الأرض فجاء بنو آدم علی قدر الأرض، جاء منهم الأحمر و الأبیض و الأسود و بین ذلک، و الخبیث و الطیب و بین ذلک» [أخرجه الترمذی ح ۶۴]. جاء فی فتح الباری بشرح صحیح البخاری للحدیث السالف ذکره «۲»: «قوله: و المعادن جمع معدن، و هو الشیء المستقر فی الأرض، فتارة یکون نفیسا و تارة یکون خسیسا، و کذلک الناس». و هذه الأتربة أعطت عروقا (_____ ۱) راجع مبحث «النطفة/ السلالة».

(۲) فتح الباری بشرح صحیح البخاری، لابن حجر، تفسیر حدیث رقم ۳۴۹۴. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۲۵ مختلفة، أی أصولا مختلفة کما یشیر إلیه شرح معنی کلمة «عرق» «۱»، و هذا ما فهمه شراح الحدیث، حیث قال ابن حجر فی شرح الحدیث رقم ۱۱۶ «۲»: «قوله: (تجدون الناس معادن) أی أصولا مختلفة»، و سیاق الحدیث یؤکّد هذا المعنی حیث إن العرق یولّد طبعا لا یتغیر. فحتی لو أسلم الرجل یتحکم الصبغی فی طبعه، فیعود الرجل لطبعه بین حین و آخر. قال ابن حجر «۳»: «قوله: (خیارهم فی الجاهلیة خیارهم فی الإسلام) وجه التشبیه أن المعدن لما کان إذا استخرج ظهر ما اختفی منه و لا تتغیر صفته، فکذلک صفة الشرف لا تتغیر فی ذاتها ... و المراد بالخیار و الشرف و غیر ذلک من کان متصفا بمحاسن الأخلاق، کالکرم و العفة و الحلم و غیرها، متوقیا لمساویها کالبخل و الفجور و الظلم و غیرها». و من الأهمیة بمکان هنا أن نشیر إلی أن اللّه تعالی- کما نفهم من تعالیم الإسلام- لا یعاقب الإنسان علی طبعه، بل علی تصرفاته، و یأخذ بعین الاعتبار طبعه. فالأجر علی قدر المشقة، و کلّما جاهد الإنسان طبعه کلما أجر، و کلّما بسط اللّه عزّ و جلّ له سبیل الهدایة کما فی قوله تعالی: وَ الَّذِینَ جاهَدُوا فِینا لَنَهْدِیَنَّهُمْ سُبُلَنا وَ إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِینَ [العنکبوت: ۶۹]. و إذا زل بعض الشیء فإن اللّه غفور رحیم لقوله تعالی: رَبُّکُمْ أَعْلَمُ بِما فِی نُفُوسِکُمْ إِنْ تَکُونُوا صالِحِینَ فَإِنَّهُ کانَ لِلْأَوَّابِینَ غَفُوراً [الإسراء: ۲۵]. و العلم یتفق مع الأحادیث الشریفة أن الطبع یورّث. ففی بحوث معملیة، و من خلال تخصیب عدّة حیوانات لها نفس الطبائع (کأن تکون عدوانیة، أو سهلة للاستفزاز، أو محبة للخمر، أو نشطة جنسیا ...)، تبین أن الأجیال المتأخرة المتولّدة من التزاوج المتخیّر تصبح لها طبائع مکثّفة من الطابع المختار للأجیال المتقدمة. (انظر الصورة رقم: ۱۳۴). أما بالنسبة للبشر فتحدید ذلک أصعب لأن الإنسان یتأثّر ببیئته «۴»، جاء فی (المدخل لعلم النفس ۵ (YGOLOHCYSP OT NOITCUDORTNI): «بعض السمات تجری فی عائلات ... الأبناء لآباء مدمنین (_____ ۱) راجع مبحث «معجزة الرؤیة الإسلامیة فی علم الوراثة/ الاعجاز العلمی فی الصبغیات کما جاء فی النصوص الشرعیة». (۲) فتح الباری بشرح صحیح البخاری، لابن حجر، تفسیر حدیث رقم ۳۴۹۴. (۳) فتح الباری بشرح صحیح البخاری، لابن حجر، تفسیر حدیث رقم ۳۴۹۴. (۴) المدخل لعلم النفس (YGOLOHCYSP OT NOITCUDORTNI)، ریتا و ریتشارد أتکنسن، ص ۶۵. (۵) (المدخل لعلم النفس YGOLOHCYSP OT NOITCUDORTNI)، ریتا و ریتشارد أتکنسن، ص ۶۵. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۲۶ علی الخمر هم أکثر عرضة من أبناء لآباء غیر مدمنین علی الخمر من أن یصبحوا مدمنین علی الخمر ... هل أن المعطیات الجینیة أو البیئیة تلعب دورا کبیرا؟. فی محاولة للإجابة علی هذا السؤال قام علماء النفس فی دراسة علی التوائم ... لقد اکتشف أن (التوائم المتماثلة (SNIWT LACITNEDI) (أی التوائم الذین تولّدوا من نفس البویضة و الحیوان المنوی) أکثر تماثلا- فی الذکاء من (التوائم الأخویة (SNIWT LENRETARF) (أی من التوائم الذین تولّدوا من بویضتین مختلفین و حیوانین منویین مختلفین)، کذلک فإن التوائم المتماثلة أکثر تماثلا من التوائم الأخویة فی (طباعهم (SC). (SCITSIRETCARAHC YTILANOSREP) و هکذا نفهم أن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم أشار إلی أن الطبع یورّث من خلال الصبغیات، کما تورّث السمات الجسدیة.

۳- دور الصبغیات فی تنویع الخلق:

۳- دور الصبغیات فی تنویع الخلق: * سأل علیه الصلاة و السلام أحدهم: «ما ولد لک؟» قال الرجل: یا رسول اللّه ما عسی أن یولد لی إما غلام و إما جاریة! قال: «فمن یشبه؟» قال: یا رسول اللّه ما عسی أن یشبه إما أباه و إما أمه! فقال الرسول- صلوات اللّه علیه و سلامه-: «مه، لا تقولنّ هکذا، إن النطفة إذا استقرت فی الرّحم أحضرها اللّه تعالی کل نسب بینها و بین آدم. أما قرأت هذه الآیة فی کتاب اللّه تعالی: فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ (۸) [الانفطار: ۸]؟». قال: شکلک». [رواه الطبرانی ح ۶۳]. * قال النبی صلّی اللّه علیه و سلّم: «إن اللّه خلق آدم من قبضة قبضها من جمیع الأرض فجاء بنو آدم علی قدر الأرض، جاء منهم الأحمر و الأبیض و الأسود و بین ذلک، و الخبیث و الطیب و بین ذلک» [أخرجه الترمذی ح ۶۴]. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۲۷ النطفة المذکورة فی الحدیث: «إن النطفة إذا استقرت فی الرّحم، أحضرها اللّه تعالی کلّ نسب بینها و بین آدم. أما قرأت هذه الآیة فی کتاب اللّه تعالی: فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ؟ قال: شکلک» [رواه الطبرانی ح ۶۳] هی نطفة الأمشاج و إلا- لما کان بإمکانها أن تتخلق و أن تعطی مخلوقا، ذکرا کان أو أنثی. و کلمة نسب فی الحدیث: «إن النطفة إذا استقرت فی الرّحم، أحضرها اللّه تعالی کل نسب بینها و بین آدم. أما قرأت هذه الآیة فی کتاب اللّه تعالی: فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ؟ قال: شکلک» تشیر إلی معنی الانتساب لأن ظاهر الحدیث یتکلم عن هذا الموضوع: فالصحابی توهم أن الولد یأتی شبهه إلی أمه أو أبیه المباشرین، فأراد الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم أن یصحح هذا المفهوم الخاطئ المنتشر فی أذهان الناس فبیّن أن الولد قد لا یشبه أمه و لا أباه المباشرین و لکن قد یشبه أیّا من أجداده أو جداته أو من فوقهما إلی آدم علیه السّلام، لأنه منسوب إلی سلالة آدم. للسبب المذکور آنفا یمکن أن نفسر معنی (أحضرها کل نسب بینها و بین آدم) علی أنه (أحضرها کل خلق یمکن أن ترکب فیه و ینتسب إلی- أو یعود إلی- أو یعود إلی- أی من الأجداد ما بین النطفة و بین سیدنا آدم علیه السّلام)، و الدلیل علی ذلک أنه ورد فی روایة: «رکب خلقه فی صورة من تلک الصور» أما قرأت هذه الآیة فی کتاب اللّه: فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ؟ من نسلک ما بینک و بین آدم» [ذکره السیوطی ح ۶۳]. و إذا قارنا الحدیثین: «إن النطفة إذا استقرت فی الرحم، أحضرها اللّه تعالی کلّ نسب بینها و بین آدم»، و «... فإذا کان یوم السابع، جمعه اللّه تعالی، ثم أحضر له کل عرق بینه و بین آدم، ثم قرأ: فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ [الانفطار: ۸]» [رواه الطبرانی ح ۲۱]، نستنتج أن هناک عملیة إحضار للشیفرة العرقیة (أو الصبغیة) من عالم الغیب إلی عالم التراکیب و التی تنتسب إلی أی خلق ممکن من أجداد النطفة الذین ینحدرون من سیدنا آدم علیه السّلام. کما أسلفنا القول: من المحتمل أن یشبه المخلوق الجدید أیّ جدّ من أجداده (ذلک لأن الأجداد تحمل خصائص سیدنا آدم علیه السّلام لأنها منحدرة منه). نفهم أیضا من الحدیث: «إن اللّه خلق آدم من قبضة قبضها من جمیع الأرض، فجاء بنو آدم علی قدر الأرض، جاء منهم الأحمر و الأبیض و الأسود و بین ذلک، و الخبیث و الطیب و بین ذلک» [أخرجه الترمذی ح ۶۴] أن کل أنواع الخصائص الوراثیة موجودة فی سیدنا آدم علیه السّلام. فسیدنا آدم علیه السّلام مخلوق من کل الأتربة و یحمل بداخله کل الخصائص التی من الممکن أن تتحدر فی البشر الذین یلونه. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۲۸ من الناحیة العلمیة تفسر هذه الحقائق- و اللّه أعلم- کالآتی: إن (الخلیة الجنسیة الذکریة الأولیة ETYCOTAMREPS YRAMIRP) أو (الخلیة الجنسیة الأنثویة ETYCOO YRAMIRP) تمایز إلی أربعة حیوانات منویة (أو إلی بویضة واحدة) مختلفة التکوین من جراء (عملیات الانقسام التی تحصل للصبغیات خاصة و للخلیة الجنسیة عامة NOISIVID CITOIEM DNOCES DNA TSRIF). تلک الانقسامات، تسمح لبعض المورثات التی تقع علی الصبغیات أن تنتقل من صبغیة إلی صبغیة أخری، و أن تجتمع الصبغیات عشوائیا ضمن الحیوانات المنویة (أو البویضة) مما یحدث تنوعا فریدا لتراکیب الصبغیات، و تجعها ممیزا للصبغیات فی کل حیوان منوی لدی الرجل (أو بویضة لدی المرأة). و إذا علمنا أن نواة کل خلیة من خلیات الإنسان (ما عدا الخلایا الجنسیة) تحتوی علی ثلاثة و عشرین زوجا من الصبغیات لفّت بشکل لولبی (و أما الخلایا الجنسیة فهی تحتوی علی ثلاث و عشرین صبغیة فقط)، و أن تلک الصبغیات تحتوی علی ۱۰۰،۰۰۰ مورثة تقریبا، أدرکنا أن عدد التراکیبات التی قد تحصل تقدر بالملیارات. یقول کتاب (الوراثة الإنسانیة SCITENEG NAMUH): «إن عملیة الانقسام المیوزیة تولّد تنوعا وراثیا مدهشا. إن أیّا من ثمانیة ملایین ترکیبة أو أکثر لصبغیات شخص ما، تستطیع أن تجتمع مع أکثر من ثمانیة ملایین ترکیبة لصبغیات شریکه، مما یزید احتمال التنوع الوراثی للأشخاص إلی أکثر من ۷۰ ملیارا (۸۳۸۸۶۰۸ × ۸۳۸۸۶۰۸). إن (انتقال المورثات REVO GNISSORC) (من صبغیة إلی أخری) یزید هذا الاحتمال» «۱». و مما یزید الأمر تعقیدا، أنه عند ما تلتقی نطفة الرجل الحاملة لهذه الصبغیات (و هی بالتالی تحتوی علی المورثات) مع نطفة المرأة الحاملة هی أیضا عددا مماثلا، تنصهر نواتا النطفتین الحاملتین للصبغیات و تختلط الصبغیات بعضها ببعض «۲»، و تتواجه المورثات فیما بینها فی نطفة الأمشاج؛ إن نوعیة هذه المورثات تزید احتمال التنوع لترکیب الجنین، فتبعا لخصائصها المتنحیة و المسیطرة تظهر صفات الجنین، و لا- یقتصر الأمر علی کامل سیطرة و تعبیر هذه المورثات أو تنحیها، فما هو سائد قد (_____ ۱) کتاب (الوراثة الإنسانیة، ریکی لویس SIWEL, SCITENEG NAMUH)، ص ۴۵. (۲) و قد ذکر اللّه تعالی هذا الانصهار فی القرآن الکریم فی الآیة: وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ مِنَ الْماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً وَ کانَ رَبُّکَ قَدِیراً [الفرقان: ۵۴]. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۲۹ یکون (کامل التعبیر DESSERPXE YLLUF) أو (ناقص التعبیر DESSERPXE YLLAITRAP)، و کذلک ما یکون متنحیا. ثم إنّ هناک طفرات وراثیة تحدث أثناء تکوّن الحیوان المنوی أو البویضة أو نطفة الأمشاج (البویضة المخصبة) أو حتی أثناء تکون الجنین، مما یزید احتمال التنوع الوراثی لترکیب الجنین. و لو أردنا أن ننتبأ بصورة قطعیة عن خصائص المخلوق الجدید (لونه، قامته، هیئته) لعجزنا، و ذلک لأن هناک ترکیبات عدیدة جدا لنطفة الأمشاج و بالتالی أنسابا عدیدة، و قد یحضر اللّه تعالی نسب النطفة وفق ترکیبها النووی (أی حسب الشفرة الوراثیة) أو کما یقدره تعالی من غیر سابق سبب مفهوم لنا (کما یحصل خلال الطفرات الوراثیة)، و هکذا نفهم معنی الحدیث النبوی الشریف عن احتمالات النسب التی ذکرها.

۴- المورثات المسیطرة و المتنحیة:

۴- المورثات المسیطرة و المتنحیة: الأحادیث التی وردت فی هذا المجال: الحدیث الأول: أن أعرابیا أتی رسول اللّه- علیه أفضل الصلاة و التسلیم-، فقال: إن امرأتی ولدت غلاما أسود، و إنی أنکرته، فقال له النبی صلّی اللّه علیه و سلّم: «هل لک من إبل؟» قال: نعم. قال: «ما ألوانها؟» قال: حمر، قال: «هل فیها من أورق؟» (أسمر أو ما کان لونه کلون الرماد). قال: نعم. قال: «فأنّی هو؟» قال: عسی أن یکون نزعه عرق له. قال له النبی صلّی اللّه علیه و سلّم: «و هذا لعله یکون نزعه عرق له» [أخرجه مسلم ح ۶۵] و فی روایة: و لم یرخص له فی الانتفاء منه. الحدیث الثانی: حدیث: «انظر فی أی نصاب تضع ولدک، فإن العرق دسّاس» [ذکره العجلونی ح ۷۱]. الحدیث الثالث: «اللهم متعنا بأسماعنا و أبصارنا و قوّتنا ما حییتا، و اجعله الوارث منا» [أخرجه الترمذی ح ۶۶]. الحدیث الرابع: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «ماء الرجل غلیظ أبیض، و ماء المرأة رقیق أصفر، فأیّهما سبق کان الشبه» [أخرجه النسائی ح ۶۷]. الحدیث الخامس: عن ابن عباس رضی اللّه عنهما، قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «نطفة الرجل بیضاء غلیظة، و نطفة المرأة صفراء رقیقة، فأیّهما غلبت فالشبه له، و إن اجتمعا جمیعا کان منها و منه» [ذکره ابن هشام ح ۶۹]. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۳۰ الحدیث السادس: عن عبد اللّه بن بریدة رضی اللّه عنه أن رجلا من الأنصار ولدت له امرأته غلاما أسود، فأخذ بید امرأته، فأتی بها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، فقالت: و الذی بعثک بالحق، لقد تزوجنی بکرا، و ما أقعدت مقعده أحدا، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «صدقت ... إذا کان حین الولد اضطربت العروق کلها لیس منها عرق إلا یسأل اللّه أن یجعل الشبه له» [أخرجه الحکیم الترمذی ح ۲۲]. إن العلم الحدیث أثبت فی الأبحاث فیما لا مجال للشک فیه أن المولود یحمل مورثات من أمه و مورثات من أبیه بحیث تظهر بالمولود خصائص جدیدة من جراء مشج تلک المورثات. و هذه المورثات علی نوعین: نوع متنحّ و نوع مسیطر. و احتمال ظهور خصائص (المورثات المتنحیة SENEG EVISSECER) أقل من احتمال ظهور خصائص (المورثات المسیطرة SENEG TNANIMOD). و لذلک فإن المورثات المسیطرة تظهر تأثیراتها فی أغلب الأحیان علی النسل المباشر. و لکن المورثات المتنحیة قد تظهر تأثیراتها بعد أجیال. و أول من شاهد الصبغیات هو العالم الغربی (فلمنج GNIMMELF) سنة ۱۸۷۸ م، ثم ظهر العالم (بوفیری IREVOB) فاکتشف الخصائص الوراثیة المختلفة التی تحملها الصبغیات سنة ۱۹۰۲ م، ثم استطاع العالم مورجان سنة ۱۹۱۲ م أن یصف دور الجینات فی الوراثة. و هذا یعنی أن الاکتشافات ظهرت بعد بعثة الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم ب ۱۳۰۰ عام تقریبا. و هنا نری روعة الإسلام فی عدم حیاده عن البحث العلمی، أو مجانبته المکتشفات العلمیة، فالإسلام و العلم هما فی دائرة واحدة. ففی الحدیث الأول: یظهر لنا أن الرجل الذی ولدت امرأته غلاما أسود، و الرجل لیس بأسود و کذلک امرأته لیست بسوداء، یرید أن ینفی عنه الولد، لظنه أنه لیس بأبیه، لأنه لا یشبهه، و لا یمت له بأی صلة من ناحیة الشکل. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۳۱ و نفی النسب هنا یترتب علیه أن یتهم زوجته بالزنا، و یترتب علیه ما إذا أنکرت المرأة أن یتلاعنا «۱»، و أما إذا أقرّت، فعلیها الحد کما هو معروف فی الشریعة الإسلامیة «۲». إلا أن الوحی الذی یوجه الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم قد أعطی حلّا علمیّا مقنعا مقبولا مناسبا. فالرسول صلّی اللّه علیه و سلّم ضرب مثلا قریبا لذهن السائل حتی یفهم المسألة و یستوعبها دون أن یدخل فی مقدمات علمیة معقدة. فقاس له الأمر علی ما یراه الإنسان الذی نشأ فی البریة و البادیة من الإبل. فالرسول صلّی اللّه علیه و سلّم سأل الرجل هل عندک من الإبل «۳»، و أجاب الرجل بنعم. و هنا سأله الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم: ما ألوانها؟ فأجاب الرجل بأن ألوانها حمر. فصرفه النبی صلّی اللّه علیه و سلّم إلی المقصود: هل فیها من أورق؟ أی هل فیها لون أسمر و ما کان لونه کلون الرماد؟ فأجاب الرجل بأن فیها إبلا لونها أسمر أو ما کان لونا رمادیا. و هنا لم یعطه الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم الجواب بل أراد صلّی اللّه علیه و سلّم أن یکشف السائل عن الجواب بنفسه. فالرسول صلّی اللّه علیه و سلّم سأله أیضا: من أین أتاها هذا اللون؟، فما کان من السائل إلا- أن (_____ ۱) و التلاعن بین الزوجین یکون بأن یشهد الرجل أَرْبَعُ شَهاداتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِینَ (۶) وَ الْخامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَیْهِ إِنْ کانَ مِنَ الْکاذِبِینَ (۷) [النور: ۶- ۷]، و المرأة بدورها تشهد أَرْبَعَ شَهاداتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْکاذِبِینَ (۸) وَ الْخامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَیْها إِنْ کانَ مِنَ الصَّادِقِینَ (۹) [النور: ۸- ۹]، و یفرّق بینهما عندئذ. (۲) و الحد هو الرجم حتی الموت للمرأة المحصنة (أی المتزوجة) التی زنت (أو للرجل المحصن إذا زنا). (۳) لقد قایس الرسول الکریم صلّی اللّه علیه و سلّم فی أکثر من موضع بین الإنسان و التدبیات، فالإنسان تحکمه عامة نفس الأحکام البیولوجیة التی تحکم التدبیات، و قد جاء القیاس فی الحدیث المشار إلیه أعلاه إضافة إلی الآیة خَلَقَکُمْ مِنْ نَفْسٍ

واحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُماتٍ ثَلاثٍ ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (۶) [الزمر: ۶] و فعل «یخلقکم» الذی جاء فی الآیة السالفة الذکر یعود للأنعام و للناس معا. جاء فی تفسیر الرازی- (ج ۲۶/ ص ۴۲۴): «ثم ذکر عقیب ذکرهما حالة مشترکة بین الإنسان و بین الأنعام و هی کونها مخلوقة فی بطون أمهاتها، و قوله: خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ [الزمر: ۶] المراد منه ما ذکره اللّه تعالی فی قوله: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ (۱۲) ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ (۱۳) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ (۱۴) [المؤمنون: ۱۲- ۱۴]». و جاء فی تفسیر الألوسی- (ج ۲۳/ ص ۲۴۰): «يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ [الزمر: ۶] بیان لکیفیة خلق من ذکر من الأناسی و الأنعام إظهارا لما فیه من عجائب القدرة». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۳۲ قال: لعله یکون نزعه عرق له، بمعنی لعلّ هذه الصفة انتزعت من أصل له [أی من مادة من مواده خلال تخلقها]. و فی هذه المرحلة الدقیقة أجاب الرجل علی سؤاله بطریقة غیر مباشرة، فما کان من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم إلا أن عرض له الجواب بطریقة مباشرة، و بأسلوب لا یمکن أن ینکر النتائج. و بهذه المنهجیة استطاع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم أن یقنع الرجل بأن الولد ولده، و بأنه ینسب إلیه، و علی الرجل أن یزیل شکه فی امرأته، و أن العلاقة بین الزوج و الزوجة الشریفة مرتبطة بالثقة العالیة التی لا یأتیها شک أو ظن من خلال أوهام شکلیة لا ترتبط بوقائع الحقیقة. فالنبی صلّی اللّه علیه و سلّم أظهر معجزة علمیة فی حدیثه و أشار إلیها إشارة صریحة واضحة و هی: أن المورثات المنتحیة لا- تظهر فی الجیل الأول و هو المولود، و لکنها تظهر فی الأجیال القادمة. فالرسول صلّی اللّه علیه و سلّم فی قوله: «و هذا لعله یکون نزعه عرق له» یظهر أن عدم شبه الأب لا یعنی أن الولد لیس ابنا لأبیه بل إن المورث المنتحی ظهر و أثر فی ترکیبة المولود بحیث أظهر شبها لأحد من أجداده. و الحدیث الثانی «انظر فی أی نصاب تضع ولدک فإن العرق دسّاس» [ذکره العجلونی ح ۷۱] یفسّر لنا کیف أن الشبه یظهر بعد أجیال. فعل «دسّ» له عدة معان، منها: ۰ إخفاء شیء. جاء فی لسان العرب «۱»: «دسس: الدسّ: إدخال الشیء من تحته ... و فی الحدیث [استجیدوا الخال فإن العرق دسّاس] أی دخّال لأنه ینزع فی خفاء و لطف ... (قال) اللیث: الدّس دسک شیئا تحت شیء، و هو الإخفاء و منه قوله تعالی: أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ [النحل: ۵۹]». ۰ إدخال شیء غریب بین أشیاء أخری. جاء فی لسان العرب «۲»: «دسس: ... و فی التنزیل العزیز: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها (۹) وَ قَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها (۱۰) [الشمس: ۹- ۱۰]، یقول: أفلح من جعل نفسه زکیة مؤمنة و قد خاب من دسها فی أهل الخیر و لیس منهم ... قال ثعلب: سألت ابن الأعرابی عن تفسیر قوله تعالی: وَ قَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها [الشمس: ۱۰]، فقال: معناه من دسّ نفسه مع الصالحین و لیس هو منهم (_____ ۱) لسان العرب لابن منظور- مادة «دسس»- (ج ۴/ ص ۳۴۵). (۲) لسان العرب لابن منظور- مادة «دسس»- (ج ۴/ ص ۳۴۵). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۳۳ فالعروق توجد فی الجسم سرّا، مخبّئة فیه، و من ثم تدس صفات فی الجنین غیر الصفات الظاهرة علی والدیه، فلو أنّ مفعولها ظاهر- أی لو أنّها من النوع المسیطر- لما کانت العروق تدسّ الصفات خلسة، فهذه الصفات تظهر من الخفاء لتأخذ صفة غیرها، و هی بالتالی لیست من الصفات الظاهرة للعیان فی الأبوین القریبین. و تفصیل ذلک فقهیا: جاء فی لسان العرب «۱»: «نزع: نزع الشیء ینزعه نزعا، فهو منزوع و نزیع، و انتزعه فانتزع: اقتلعه فاقتلع ... و أصل النزع الجذب و القلع، و منه نزع المیت روحه ...». و لذا فإن عبارة «عسی أن یکون نزعه عرق» تعنی: عسی أن یکون اقتلعه عرق. و من المعروف أن الاقتلاع و الجذب هو الأخذ بالقوة. و المنزوع هنا هو صفة السواد المنتحیة من الأجداد، غیر أن الصفة لیست شیئا ماديا أو محسوسا، و بالتالی فهی لا تنزع، و ما ینزع هو المسبب المادی لتلک الصفة بإذن اللّه، ألا و هو: (المورّثة ENEG). و هکذا فإن معنی عبارة: «و هذا لعله یکون نزعه عرق له» یصبح: عسی أن یکون عرقا اقتلع و أخذ بالقوة المورثة المسببة لصفة السواد. و کما فهمنا من الأحادیث النبویة الشریفة السالفة الذکر مثل حدیث: «انظر فی أی نصاب تضع ولدک فإن العرق دسّاس» [ذکره العجلونی ح ۷۱]، و حدیث: «... لیس منها عرق إلا یسأل اللّه أن یجعل الشبه له» [أخرجه الحکیم الترمذی ح ۲۲]، و حدیث: «... ثم أحضر له کل عرق بینه و بین آدم، ثم قرأ: فِی أَیِّ صُورَةٍ مَا شاءَ رَكَّبَكَ (۸) [الانفطار: ۸]» [أخرجه الطبرانی ح ۲۱]، فإن العروق حسب المفهوم النبوی الشریف هی التی تعطی الصفات للجنین، و بالتالی فهی وعاء المورثات. و إذا أردنا بالتالی اقتلاع البعض منها، فسنأخذها من العروق و لیس من مکان آخر، و هکذا فإن معنی الحدیث الشریف یکون: عسی أن یکون عرقا اقتلع و أخذ بالقوة المورثة المسببة للسواد من عرق آخر. و هذه عبارة عمیقة فی معناها، غنیة فی إخبارها، لفظها الأعرابی غافلا عما تنطوی علیه من معان علمیة دقیقة، محاولا إیجاد تفسیر للظاهرة، و عقلها النبی صلّی اللّه علیه و سلّم، فأقرّ هذه المعلومات و هو علی یقین منها قائلا: «و هذا لعله یکون نزعه عرق له» [أخرجه مسلم ح ۶۵]. (_____ ۱) لسان العرب لابن منظور- مادة «نزع»- (ج ۱۴/ ص ۱۰۶). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۳۴ و من الجدیر بالذکر أن إقرار الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم لیس کإقرار عامة الناس لأمورهم الدنیویة الخاصة بهم، لأن إقرار أی خطأ من جانبه یترتب علیه نفی النبوة الشریفة عنه صلّی اللّه علیه و سلّم. و من هذا المنطلق فإن إقراره للأمور العلمیة یشیر إلی أنه یعلم تمام العلم دقائق الأمور. و هذه العبارة تشیر إلی: - أن العروق تحتوی علی المورثات المسببة للصفات البیولوجیة. - أن العروق تتبادل المورثات. - أن تبادل المورثات ترافقه القوة. و تفصیل ذلک علمیا: تنقسم (الخلیة الجنسیة الأولیة LLEC XES YRAMYRP) مرتین إلی أن تتخلق و تصبح نطفة، و بالتالی فهی تمر فی أطوار، و أهم ما یمیز هذه الأطوار عدد و وضعیة الصبغیات فی الخلیة الجنسیة. فهذه الصبغیات تتمدد، و تتضاعف، و تصطف، و تتزاوج، و تنقسم، و تنتقل داخل الخلیة. و الانقسام الأول یدعی: (الانقسام المیوزی الأول NOISIVID CITOIEM TSRIF)، و فی طوره الأول المعروف: (بالطور التحضیری ESAHPRETNI) تتمدد الصبغیات و تنتشر داخل نواة الخلیة، و من ثم تتضاعف الصبغیات. و فی الطور الثانی المعروف: (بالطور التمهیدی الأول ESAHPORP) تغلظ الصبغیات و یقصر طولها و تنتظم فی (أزواج متناظرة SGOLOMOH) وفق ظاهرة تسمی: (سیانیزیس SISPANYS) حیث إن کل مورثة من الزوج الأول تقابل مورثة من الزوج الثانی «۱»، فیظهر کل من الأزواج مکونا من أربعة کروماتیدات (عروق) مستویة. و یمسک مزیج من البروتین و (الآر إن آی الرسولی ANRm) بالأزواج معا «۲». و فی نهایة الطور التمهیدی تبدأ تلک الأزواج المتناظرة بالانفصال، و خلال انفصالها تتکسر بعض أجزاء الکروماتیدات (العروق) المتقابلة «۳»، کما أن بعض أجزاء العروق تظل متصلة بعضها ببعض إلی مرحلة متأخرة من الانفصال، بینما تتباعد باقی أجزاء العروق، مما یشیر إلی استعمال القوة فی عملیة الانفصال. (_____ ۱) کتاب الوراثة الإنسانیة، ریکی لویس، ص ۴۲ بتصرف. (۲) کتاب الوراثة الإنسانیة، ریکی لویس، ص ۴۲. (۳) کتاب علم الأجنّة الطبی، سادلر، ص ۵. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۳۵ و تبادل العروق عددا من المورثات فیقتلع کل عرق من العرق الآخر مورثات تعطی للنطفة المتخلقة ممیزات خاصة بتلک المورثات الجدیدة. (انظر الصورة رقم: ۱۳۵). و فی هذه الأثناء ینقسم الجسم المرکزی للنطفة المخصبة إلی قسمین یدعی کل منهما: (سنتریول ELOIRTNEC)، و تتباعد السنتریولات بحیث یتجه کل واحد منها فی اتجاه أحد قطبی الخلیة. و ینشأ من کل سنتریول مجموعة من الخیوط الشعاعیة تمتد عبر سیتوبلازم الخلیة و تؤلف ما یسمی بخیوط المغزل، و یتحلل الغشاء النووی. و فی الطور الثالث المعروف (بالطور الاستوائی ESAHPATEM) تصطف العروق علی خط الاستواء و تظهر مشدودة بخیوط المغزل عند السنترومیرات. و فی الطور الرابع المعروف (بالطور الانفصالی ESAHPANA)، تنقبض خیوط المغزل نحو قطبی الخلیة «۱»، فتجذب الکروماتیدات معها بحیث یجتمع عدد متساو من الکروماتیدات عند کل قطب من قطبی الخلیة. و هکذا یتولد من الخلیة الجنسیة الأم- الخلیة الجنسیة الأولیة- خلیتان جنسیتان تدعی: (الخلیات الجنسیة الثانویة SETYCOTAMREPS YRADNOCES)، غیر أن تلک الخلیات ما تلبث أن تنقسم ثانیة انقساما میتوزیا «۲» یسمی: (الانقسام المیوزی الثانی NOISIVID CITOIEM DNOCES) فتکون فی النهایة أربع نطف «۳» تحمل کل واحدة منها عروقا خاصة بها، بحیث إن کلا من تلک العروق التی توجد فی تلک النطف یحمل فی بعض أجزائه مورثات انتزعها و اقتلعها من عروق أخری. (انظر الصورة رقم: ۱۳۵). هذه المورثات تکون منحدرة من الأجداد و لکنها منتحیة، فتدس فی الجسم کما أشار إلیه الحدیث الشریف: «... فإن العرق دسّاس» [ذکره الذهبی ح ۷۱]، و لا تظهر صفاتها فی النسل المباشر، غیر أن ترتیبها الجدید فی النطفة الجدیدة، و طبیعة النطفة النظیرة (أی النطفة التی ستلقحها) تجعل صفاتها تظهر مجددا لسبب أو لآخر. و هکذا نفهم أبعاد الحدیث الشریف الذی ذکرناه فی البحث. (_____ ۱) کتاب الآیات العجاب فی رحلة الإنجاب، د. حامد أحمد حامد، ص ۱۵. (۲) لمزید من التفاصیل عن عملیة الانقسام المیوزیة الرجاء مراجعة مبحث «انفلاق النطفة و الازدواجیة فی الترکیب». (۳) هذا فی حالة تخلق نطف الرجل، أما فی حالة المرأة فإن بویضة واحدة تتخلق فقط عبر عملیة انقسام العروق أیضا. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۳۶ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۳۷ و الحدیث الثالث: «اللهم متعنا بأسماعنا و أبصارنا و قوّاتنا ما حییتا و اجعله الوارث منّا» [أخرجه الترمذی ح ۶۶] یتحدث عن سیادة المورّثات المسیطرة أیضا. فالرسول صلّی اللّه علیه و سلّم یسأل المولی عزّ و جلّ أن یمتّعه بسمعه و بصره و سائر قوی جسمه إلی حین وفاته، و سائر قوی جسمه هی حواس الشم و الملامسة ... إلخ إضافة إلی الجهاز المعوی و الرئوی و الأجهزة الأخری. و التمتّع بتلک الأعضاء یقتضی أن تکون مورّثات تلک الأجهزة سالمة من العیوب لها صفة القوّة التی تجعلها تدیم النظر و السمع و وظائف سائر الأعضاء الأخری بإذن اللّه. و لیس هذا فحسب، و لکن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم یطلب من اللّه تعالی أن یورّث نسله تلک الصفات بأن قال صلّی اللّه علیه و سلّم: «و اجعله الوارث منّا». و الملفت للنظر أن صیاغة الحدیث جاءت باستعمال اسم الفاعل بدلا من المفعول به، و لهذه الصیاغة دلالتها؛ فنحن نرث الصفات من أجدادنا، و من المستحیل أن ترثنا تلک الصفات، و استعمال کلمة «الوارث»- علی وزن اسم الفاعل- یشیر إلی أن تلک الصفات، أو بتعبیر أدق، إلی أن مسبّبات تلک الصفات بإذن اللّه، لها قوّة ذاتیة تجعلها تتحکم فی الوراثة، و تتسبب بعدم ظهور صفات المورّثات المنتحیة ذات العیوب و الضعف فی الترکیب. و هذا الأسلوب لیس بغریب عن النصوص الشرعیة. فلقد مرّ معنا فی مبحث «الماء و المنی» استعمال اسم الفاعل للدلالة علی القوّة الذاتیة للماء؛ فالماء الدافق هو الذی یندفع بشدة قوّته کما جاء فی الآیات: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ (۵) خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ (۶) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ (۷) [الطارق: ۵- ۷]، و کما أوضحناه بإسهاب فی مبحث «الماء و المنی/ تفسیر النقطة السادسة»: أن هذا الماء لیس متدفقا فحسب بل دافق». و من هنا نفهم أن الحدیث الشریف یعنی: اللهم متّعنا بأسماعنا و أبصارنا و قوّاتنا ما حییتا، و اجعل المورّثات التی تتسبب بهذه الصفات الوارث منا، أی تمتلک من القوّة التی تمکنها- بعد أن تنحدر فی النسل- من أن تحتفظ بالصفات الجیدة للسمع و البصر، و أن تظهرهما فیما بعد،

فتکون هی المتحکمة و المسیطرة علی الارث، فتستحوذ علیه بإذن اللّه، و اللّه تعالی أعلم. فسبحان من علّم رجلا أمیا صلّی اللّه علیه و سلّم أسرار خلقه، لم یعلمها العلماء إلا بجهد متواصل بواسطة تقنیات عالیة الإمکانیات، بعد قرون من الزمن!.

۵- دور الصبغیات فی شبه الجنین لوالدیه:

۵- دور الصبغیات فی شبه الجنین لوالدیه: مما یدعّم مفهوم سیادة الصفات التی تأتی من طرفی التزاوج، حدیث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم بخصوص الماء: «ماء الرجل غلیظ أبیض و ماء المرأة رقیق أصفر فأیهما سبق کان الشبه» [أخرجه النّسائی ح ۶۷]. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۳۸ و لقد أوضحنا فی المبحث السابق «النطفة» أن الماء هو النطفة نسبة إلی الحدیث: «ما من کل الماء یکون الولد ...» [أخرجه مسلم ح ۱۷]. یؤید هذا التفسیر الحدیث رقم ۶۹؛ فصیاغة الحدیث الذی رواه جاءت بلفظ «نطفة». و ینص الحدیث، أن شبه الجنین یکون لصاحب النطفة التی تسبق. و فعل «سبق» یعنی غلب. جاء فی شرح سنن النسائی للسیوطی «۱: « (فأیهما سبق کان الشبه) ... و جوّز القرطبی أن یکون بمعنی غلب من قولهم: سابقنی فلان فسبقته أی غلبته و منه قوله تعالی: وَ ما نَحْنُ بِمَسْبُوقِینَ [الواقعة: ۶۰] أی مغلوبین ...». یؤید هذا المعنی روایات أخری جاءت بلفظ «... سبق أو علا ...» [أخرجه أحمد ح ۶۷]. و فعل «علا» فی اللغة العربیة یعنی غلب کما أسلفنا القول فی مبحث «النطفة» نسبة إلی قوله تعالی: إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِی الْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَها شِیَعاً یَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ یُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ وَ یَسْتَحْیِی نِساءَهُمْ إِنَّهُ کانَ مِنَ الْمُفْسِدِینَ [القصص: ۴]، و قول اللّه تعالی: فَأَوْجَسَ فِی نَفْسِهِ خِیفَةً مُوسی (۶۷) قُلْنا لا تَخَفْ إِنَّکَ أَنْتَ الْأَعْلی (۶۸) [طه: ۶۷- ۶۸]. فأی نطفة تسبق کان الشبه. و فی بعض الروایات: «... أشبهه الولد ...» [أخرجه ابن ماجة ح ۶۷] و فی أخری: «أشبه الولد أخواله ... أشبه الولد أعمامه» [أخرجه مسلم ح ۶۸]. جاء فی شرح سنن النسائی للسندی «۱: « (کان الشبه) أی شبه الولد بالأب أو الأم». فالحاصل أن هذه النطف تلتقی، و أی مورثات من هذه النطف یغلب یؤدی إلی شبه الجنین لأمه أو لأبیه أو لأخواله أو لأعمامه الذین تتحدر منهم النطفة الغالبة. هذه هی الوراثة التی أشار إلیها الرسول الکریم صلّی اللّه علیه و سلّم فی حدیث السمع و البصر الذی ذکرناه أعلاه «۳».

(_____۱) شرح سنن النسائی للسیوطی و حاشیة السندی- کتاب الطهارة- باب الفصل بین ماء الرجل و ماء المرأة- (ج ۱/ ص ۱۱۵). (۲) شرح سنن النسائی للسیوطی و حاشیة السندی- کتاب الطهارة- باب الفصل بین ماء الرجل و ماء المرأة- (ج ۱/ ص ۱۱۵). (۳) و الحدیث بتمامه هو کالآتی: (عن قتادة أن أنس بن مالک حدّثهم أن أم سلیم حدّثت أنها سألت نبی اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم عن المرأة تری فی منامها ما یری الرجل، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «إذا رأت ذلک المرأة فلتغتسل»، فقالت أم سلیم- و استحییت من ذلک- قالت: و هل یکون هذا؟، فقال نبی اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «نعم فمن أین یکون الشبه؟ إنّ ماء الرّجل غلیظ أبیض، و ماء المرأة رقیق أصفر، فمن أیّهما علا أو سبق یکون منه الشّبه» [أخرجه مسلم ح ۶۷]. - إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۳۹ - _____و من الجدیر بالذکر أن هناک حدیثین مشابهین لهذا الحدیث، و قد سبق أن شرحناهما فی مبحث «الماء و المنی»، و هما: ۰ (عن أمّ سلمة جاءت أمّ سلیم إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم فقالت: یا رسول اللّه: إن اللّه لا- یستحیی من الحق، فهل علی المرأة من غسل إذا هی احتملت؟ فقال النبی صلّی اللّه علیه و سلّم: «إذا رأت الماء»، فغطّت أم سلمة- تعنی وجهها- و قالت: أو تحتلم المرأة؟ فقال: «تربت یمینک فبم یشبهها ولدها») [أخرجه البخاری ح ۱۴]. ۰ (عن أمّ سلیم رضی اللّه عنها قالت: إنها مجاورة أمّ سلمة- زوج النبی صلّی اللّه علیه و سلّم-، فکانت تدخل علیها، فدخل النبی صلّی اللّه علیه و سلّم، فقالت أم سلیم: یا رسول اللّه: أ رأیت إذا رأت المرأة أن زوجها یجامعها فی المنام أ تغتسل؟، فقالت أم سلمة: تربت یداک یا أم سلیم فضحت النساء عند رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، فقالت أم سلیم: إن اللّه لا یستحیی من الحق و إنا أن نسأل النبی صلّی اللّه علیه و سلّم عما أشکل علینا خیر من أن نکون منه علی عمیاء. فقال النبی صلّی اللّه علیه و سلّم لأم سلمة: «بل أنت تربت یداک، نعم یا أم سلیم علیها الغسل إذا وجدت الماء»، فقالت أم سلمة: یا رسول اللّه: و هل للمرأة ماء؟!، فقال النبی صلّی اللّه علیه و سلّم: «فأنّی یشبهها ولدها، هن شقائق الرجال») [أخرجه أحمد ح ۷۷]. نقول فی هذا المقام: إنه من المهم أن نخوض فی تفاصیل تلک الأحادیث الثلاثة السالفة الذکر، فهناک اختلاف بسیط فی ألفاظ کل منها یترتب علیه تفسیر یتلاءم مع اللفظ المنقول، کما أن هناک زیادات مختلفة فی کل من تلک الأحادیث تضیف علیها دلالات جدیدة لا یجب أن نغفل عنها. تلک الأحادیث تتکلم عن نفس الحادثة لأنها حادثة عین. فالسائل فی کل من تلک الأحادیث شخص واحد- أم سلیم رضی اللّه عنها، و الکلام یدور عن نفس الموضوع، و احتمال أن تتکرّر تلک الحادثة قلیل لأن من شمائل الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم أن یجیب السائل بأجوبة شافیة حتی تتّضح للسائل بالکلیة. هذا إن لم یعط صلّی اللّه علیه و سلّم إیضاحات إضافیة تزید عن حاجة السائل لکی یحیط صلّی اللّه علیه و سلّم بجمیع جوانب الموضوع المطروح، حیث إنه مأمور من اللّه تعالی بأن یتم علینا دیننا- دین الإسلام- کما أشار إلیه المولی عزّ و جلّ فی محکم آیاته: الْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ [المائدة: ۳]. و قد یفسّر الحدیثان- رقم ۱۴ و ۷۷- علی نحو الذی أشرنا إلیه فی مبحث «الماء و المنی»، و هو أن الولد یشبه أمه بأنها تفرز ماء- أی منیا- کما یفرز هو ماء، و ذلک لأن النساء شقائق الرجال- أی نظائرهم-، و هذا وجه وجیه لوجود قرائن عدیدة تقوی هذا التفسیر منها أحادیث أخری کالحدیث الذی رواه عبد الرزاق الصنعانی و الحدیث الذی رواه الإمام أحمد من حدیث خولة بنت حکیم حیث جاء المعنی فی تلک الأحادیث صریحا و جلیا بأنه یشیر إلی تلک الظاهرة، و لاتفاق جمهور العلماء المسلمین أن علی المرأة غسلا إذا هی احتلمت، و لاتفاق التفسیر مع قواعد اللغة العربیة، و مع السیاق العام للحدیثین الذی یدور حول الاحتلام. بید أن هناک تفسیرا للشبه الوارد فی الحدیثین رقم ۱۴ و ۷۷ مختلفا عن الذی أشرنا إلیه، أو أن مفهوم الشبه الذی تکلم عنهما الحدیثان ناقص إذا ما اعتبرنا الزیادة التی جاءت فی الحدیث رقم ۶۷، و التی تنص علی أن شبه الولد لأمه یکون من جراء غلبة صفات أحد الماءین- ماء الرجل و ماء المرأة- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۴۰ - _____ اللذین یتخلق منهما الولد علی الآخر، و ذلک لأن کلا من الحدیثین- رقم ۷۷ و ۱۴- ظنی الدلالة فی موضوع الشبه، حیث إن هناک أکثر من احتمال لتفسیر الشبه الوارد فی الحدیثین لقول رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «بعثت بجوامع الکلم» [أخرجه البخاری ح ۱۳]. فکلامه صلّی اللّه علیه و سلّم: «فأنّی یشبهها ولدها» قد یؤخذ علی هذا النحو: فأی شیء یشبهها ولدها، و بالتالی فقد یرمز إلی أن الولد یشبه الأم بأنه یتزل ماء کما تنزل هی ماء، أی أن الولد یشبه أمه فی الوظائف الجسدیة من إفراز ماء أو نحوه، أو قد یؤخذ کلامه صلّی اللّه علیه و سلّم علی هذا النحو: فکیف یشبهها ولدها، و بالتالی فقد یرمز إلی أن جسم و وجه الولد یشبه الأم من جزاء مائها الذی تخلق منه، أی أن وجه الشبه بینهما هو فی الصفات المورفولوجیة. و قد فسّر العلماء المسلمون هذا الشبه فی کتب التفسیر فی أکثر من وجه، و من أحبّ الخوض فی التفاصیل فلیرجع إلی کتب تفسیر الحدیث. أما الشبه الذی تکلم عنه الحدیث رقم ۶۷ فدلالته صریحة و هی الدلالة الثانیة- التی أشرنا إلیها سابقا فی هذا النص- بلا شک. و هنا یبرز الاختلاف فی- و بین- مختلف الأحادیث، و هی علی النحو التالی: ۱- لما ذا تکلّم الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم عن الماء الذی یتخلّق منه الولد- أی عن ماء المبیض- فی حین کان السؤال عن المنی؟ ۲- لما ذا هناک دلالات مختلفة فی- و بین- الأحادیث عن أوجه الشبه بین الولد و أمه؟ ۳- لما ذا تکلّم الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم عن الشبه المورفولوجی بین الأم و الولد فی حین کان السؤال فی الحدیث الذی رواه أنس بن مالک عن الاحتلام؟ (مما یقتضی الکلام عن الشبه الوظائفی فی الحدیث و لیس عن الشبه المورفولوجی). ۴- لما ذا الاختلاف بین ألفاظ الأحادیث و الزیادات المختلفة فی کل من الأحادیث؟ ۵- لما ذا تکلّم الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم فی الحدیثین رقم ۱۴ و ۷۷ أن الماء یخرج من المرأة فی حین أن الماء الذی یتخلق منه الولد فی الحدیث الذی رواه أنس بن مالک لا یخرج من جسد المرأة؟. لما ذا هذا الاختلاف و التعارض البیّن و الظاهر بین الأحادیث؟ و أی الدلالات أرجح؟. کل تلک الأسئلة تنضح إذا ما اعتبرنا التالی: ۱- تلک الأحادیث رویت بأسانید مختلفة (أی بواسطة رواة مختلفین، راجع مبحث «الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة و الأسس التی یرتکز علیها»). فتارة نجد أن الذی رواه أنس بن مالک، و تارة السیدة زینب بنت أم سلمة، و تارة عبد اللّه بن طلحة الأنصاری، و تارة خولة بنت حکیم- رضی اللّه عنهم أجمعین-، مما یشیر إلی أن کلا من الرواة حفظ أجزاء متفرقة من الحوار الذی جری بین أم سلیم و أم سلمة رضی اللّه عنهما و بین الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم. و إذا عملنا علی التألیف بین تلک الأحادیث- و هذا ما یترجح فعله عندنا لأن أسانید الأحادیث رقم ۱۴، ۶۷، ۷۷ صحیحة، بدلا من الترجیح بینها- فهمنا أن هناک حوارا طویلا جری علی الألسنة تضمّن کل الکلام الذی جاء فی الأحادیث الثلاثة (أی تضمن کل المعانی التی جاءت فی الأحادیث، و لیس بالضروری الألفاظ کما جاءت علی ألسنة المعنیین، حیث إن کل راو قد یروی الحدیث بألفاظه الخاصة کما فهم الحدیث، أو کما جاءت تماما علی لسان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، و ذلک لاختلاف مقدرة ضبط الألفاظ بین رجال السند)، هذا إن لم یکن سقطت أجزاء قصیرة من الحوار تربط تلک المعانی بعضها ببعض.- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۴۱ - _____و لکی نعطی القارئ فکرة تفصیلیة عما قد یکون جری فی الحوار حتی تتوضح له الصورة، نعطی مثالا عما قد یکون جری علیه الحوار (بعد إزالة التفاصیل التی لیس لنا بها حاجة فی هذا المقام) و ذلک علی سبیل المثال- و لا الحصر-، و کما نستقرئه من مجموع الأحادیث الشریفة، و لیس تطفلا علی الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم، و نعوذ باللّه من ذلک، و لکن من أجل البحث الموضوعی: أم سلیم: هل علی المرأة غسل إذا هی احتلمت؟. الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم: نعم إذا رأت کذلک. أم سلمة: و هل المرأة تحتلم؟. الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم: نعم إذا رأت الماء. أم سلمة: و هل لها ماء؟. الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم: نعم لها ماء، و لیس علیها غسل حتی تنزل کما ینزل الرجل. أم سلمة: و هل تنزل المرأة کما ینزل الرجل؟. الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم: نعم، فأنی یشبهها ولدها؟ هن شقائق الرجال. أم سلمة: و کیف هن شقائق الرجال؟. الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم: ماء الرجل أبیض غلیظ، و ماء المرأة رقیق أصفر، فمن أیهما سبق یکون منه الشبه. و من هذا المنطلق نفهم من أین جاء الاختلاف بین ألفاظ الأحادیث. و قد یکون الحوار جری علی نحو غیر ذلک، و تعمّد الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم الإیجاز لأسباب ستتحدث عنها فیما بعد، فجاء جواب الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم علی هذا النحو: فبم یشبهها ولدها، هن شقائق الرجال، ماء الرجل غلیظ أبیض ... و أما التعارض بین- و فی- الأحادیث فیزول إذا ما تحاکمنا إلی قواعد اللغة العربیة المعلومة حتما للرسول صلّی اللّه علیه و سلّم للنص القرآنی: وَ ما یَنْطِقُ عَنِ الْهَوی (۳) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْیٌ یُوحی (۴) [النجم: ۳- ۴]، فتلک القواعد تتیح لنا فهم النصوص علی شکل سلیم و منضبط، و فهم الذی أشکل علینا من الألفاظ و الدلالات، کما أنها

تتیح لنا فهم الحکمة من وراء استعمال الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم لمختلف أسالیب اللغة العربیة حتی یوصل للسائل- و لسائر الأمة- المعلومات و التفاصیل المرادة. فإذا أخذنا بألفاظ مجموع الأحادیث- و هذا هو الراجح عندنا- تبیّن لنا أن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم أشار بکلمة «الماء» فی جوابه الأول- «إذا رأت الماء»- إلی السوائل لدی المرأة علی الوجه العام، و بما تنطوی علیه من منی علی وجه الخصوص، و من ثمّ عمد إلی التکلم عن الماء الذی یتخلق منه الولد باستعماله نفس الکلمة- ماء- فی قوله صلّی اللّه علیه و سلّم: «ماء الرجل غلیظ أبیض و ماء المرأة رقیق أصفر». و من خلال الربط بین الاحتلام و خروج المنی من المرأة فی نفس الحوار، قد یکون أشار الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم إلی أن هناک احتمالا أن تحتلم المرأة و أن یخرج منها من المهبل وقت خروج الماء الذی یتخلق منه الجنین من المبیض- أی الماء الحویصلی-، و بذلک یکون قد أشار إلی الحالة التی تکون علیها المرأة عند خروج سائل المبیض، و هی أنها تکون فی ذلک الوقت علی درجة أعلی من الاستثارة الجنسیة من الحالة التی تسود فی غیر أوقات الإباضة، و ذلک لأن هرمون الإباضة یکون فی أعلی درجاته مما- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۴۲

_____ یساعد علی استثارتها، فینعکس

ذلک علی عقلها و جسدها خلال النوم، فتحتلم، و یخرج منها المنی، و تری فی المنام ما یری الرجل. یقول الدکتور لارس هامبرغر فی کتابه «ولد طفل»، ص ۴۱: «کثیر من النساء یشعرن زیادة فی الشهوة الجنسیة عند وقت الإباضة. فقد یعود ذلک (للحالة الدوریة للشهوة الجنسیة DOIREP SUORTSE) أو (لفترة التاکح الحیوانی DOIREP GNITAM)». و بهذا الأسلوب یکون الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم قد أضاف معلومات هامة عن الماء الذی یتخلّق منه الجنین، دون أن یتخلّی عن التشریع و سن السنن فی حال احتلام المرأة، و صرف النظر إلی ما هو أهم من موضوع الاحتلام، إلی الماء الذی یتخلق منه الجنین و خصائصه، لأن منه یتخلّق الخلق، و منه یخرج الکائن الحی، و وجه الأنظار إلی موضوع لم یسأل عنه الصحابة، و إلی وجه الشبه بین المرأة و ولدها الذی هو أهم من وجه الشبه فی الاحتلام و أجدر أن نعتبره، و هو موضوع سبب شبه الجنین لوالدیه فی صفاته المورفولوجیة و الجینیة، و ینص علی أن الرجل یشارک فی تخلق الجنین کما تشارک فیه المرأة، حیث إن العرب کانت تعتقد أن المرأة وحدها هی المسئولة عن تخلق الجنین، و فی حال أنجبت أنثی یترتب علی ذلک هجر الأزواج أزواجهن مع أنه یجب أن نعتبرها مساویة للرجل من الناحیة الإنسانیة و الحقوقیة کما یشیر إلیه لفظ «شقائق» الذی ورد فی الحدیث رقم ۷۷، کما أنه یصرف الأنظار إلی موضوع مطلوب بیانه فی المستقبل کإظهار إعجاز علمی سیتضح مع مرور الوقت کما أشار إلیه المولی عزّ و جلّ فی قوله: سَنُرِیهِمْ آیاتِنا فِی الْآفاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ حَتَّی یَتَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ یَکْفِ بِرَبِّکَ أَنَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ شَهِیدٌ [فصلت: ۵۳]. ناهیک عن أنه صلّی اللّه علیه و سلّم یکون بهذا الأسلوب- أی أسلوب الاختصار- قد بتط الأمور علی السائل الذی لا یعلم أی شیء فی مجال «علم الأرحام» و فی مجال الإفرازات المهبلیة و الرحمیة، و ذلک من خلال الاختصار فی الخوض فی التفاصیل عند عدم الحاجة إلیها، کذلک استعمال هذا الأسلوب یتیح للرسول صلّی اللّه علیه و سلّم أن یذکر السبب الذی ینطوی تحته خروج المنی، و یصرف الأنظار إلی الشیء المهم الذی یجب أن نتفکّر فیه، و هذا أسلوب رائع، متقن، معروف فی اللغة العربیة بالأسلوب الحکیم، و تعریفه: «هو تلقی المخاطب بغیر ما یترقّب، بحمل کلامه علی خلاف مراده تنبیها علی أنه الأولی بالقصد، أو السائل بغیر ما یتطلّب بتنزیل سؤاله منزلة غیره، تنبیها علی أنه الأولی بحاله أو المهم له». (بغیة الإیضاح فی تفسیر المفتاح، ج ۱/ ص ۱۶۰)، و انظر («المطوّل»، ص ۲۹۴). و القول بأن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم لم یعلم بهذا الأسلوب مرفوض لأنه جاء فی الآیة: یَسْئَلُونَکَ ما ذا یُنْفِقُونَ قُلْ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَیْرٍ فَلِلْوالِدَیْنِ وَ الْأَقْرَبِینَ وَ الْیَتامی وَ الْمَساکِینِ وَ ابْنِ السَّبِیلِ وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَیْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِیمٌ [البقرة: ۲۱۵]. جاء فی تفسیر الکشاف، (ج ۱/ ص ۳۵۶): «و بنی الکلام علی ما هو أهم، و هو بیان المصرف لأن النفقة لا یعتدّ بها إلا أن تقع موقعها». و انظر البرهان فی علوم القرآن، للزرکشی، (ج ۴/ ص ۴۲) و ما بعدها حیث قال: «و الأصل فی الجواب أن یکون مطابقا للسؤال إذا کان السؤال متوجها، و قد یعدل عما یقتضیه السؤال تنبیها علی أنه کان من حق السؤال أن یکون کذلک». و انظر («الأطول»، ج ۱/ ص ۴۲۳، فما بعدها)، و («عروس الأفراح»، ج ۱/ ص ۳۸۵). و الدلیل من السنة الحدیث: «عن ابن عمر عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم و عن الزّهریّ عن سالم عن ابن عمر عن- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۴۳ -

_____ النّبیّ

صلّی اللّه علیه و سلّم أنّ رجلا سأله ما یلبس المحرم فقال: لا یلبس القمیص و لا العمامة و لا السّراویل و لا البرنس و لا ثوبا مسّه الورس أو الزّعفران فإن لم یجد النّعلین فلیلبس الخفّین و لیقطعهما حتّی یکونا تحت الکعبین» [أخرجه البخاری ح ۱۱۵]. جاء فی فتح الباری بشرح صحیح البخاری، فی تفسیر الحدیث ۱۵۴۲: «و قال البیضاوی: سئل عما یلبس فأجاب بما لا یلبس لیدل بالالتزام من طریق المفهوم علی ما یجوز، و إنما عدل عن الجواب لأنه أخصر و أحصر، و فیه إشارة إلی أن حق السؤال أن یکون عما لا یلبس لأنه الحکم العارض فی الاحرام المحتاج لبیانه، إذ الجواز ثابت بالأصل معلوم بالاستصحاب فکان الألیق السؤال عما لا یلبس. و قال غیره: هذا یشبه أسلوب الحکیم، و یقرب منه قوله تعالی: یَسْئَلُونَکَ ما ذا یُنْفِقُونَ قُلْ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَیْرٍ فَلِلْوالِدَیْنِ الآیة، فعدل عن جنس المنفق و هو المسئول عنه إلی ذکر المنفق علیه لأنه أهم». و أما البیّنة علی من یدّعی أن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم خلط بین الماءین- الماء الدافق الذی یتخلّق منه الجنین و ماء المهبل (أی المنی)-، و لا یعلم من أین یأتی کلا منهما و وظائفهما، فهی کالآتی:

۱- إن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم یعلم تمام العلم أن هناک فرقا بین الماءین، و الدلیل علی ذلک أن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم فرّق بین الماءین من خلال التفریق بین تسمیة الماءین فی حدیثه: «ماء الرجل أبیض و ماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا منّی الرجل منّی المرأة أذکرا بإذن اللّه و إذا علا منّی المرأة منّی الرجل آنثا بإذن اللّه» [أخرجه مسلم ح ۹]، کما أنه یعلم أن الذی یخرج ابتداء فی المهبل عند استثارة المرأة هو منها لأنه یلتقی بمنی الرجل خلال الجماع کما یفیده الحدیث، و أن الذی یخرج بعد ذلک (أو یلتقی بعد ذلک بالحیوان المنوی) هو ماء المرأة الذی یتخلق منه الجنین. ۲- إن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم یعلم تماما أن ماء المبیض الذی یتخلق منه الجنین لا یخرج ابتداء من الرحم عند الاحتلام و ذلک لأن الحدیث: «إذا وقعت النطفة فی الرحم بعث اللّه ملکا ...» [رواه الطبری ح ۳۲] یفید أن هذا الماء یمکث فی البطن خارج الرحم فترة من الوقت قبل أن یدخل الرحم (کما تشیر إلیه کلمة «إذا» التی تفید الاستقبال- لسان العرب لابن منظور- مادة «إذا»- ج ۱/ ص ۳۰۱-)، علی عکس المنی الذی یخرج ابتداء عند الاحتلام من المهبل کما یفیده الحدیث رقم ۱۴ و ۷۷. کما أن هذا الحدیث یشیر إلی أن الماء الذی یتخلق منه الجنین یخرج من مکان بعید من المهبل، من مکان یقع خارج الرحم، و بالتالی فمن المستبعد أن یخرج «ماء التخلق» من رحم المرأة عند الاحتلام. ۳- إن معنی السلالة الذی جاء فی الآیة: ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ ماءٍ مَهِینٍ [السجدة: ۸] یشیر إلی أن الحیوان المنوی یقطع مسافة لکی یلتقی بماء المرأة، و هذا یفید أن الماء یخرج من مکان بعید عن مخرج الرحم- المهبل-. ۴- إن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم یعلم أن هناک سائلا یخرج فور احتلام المرأة من مهبلها کما یقتضیه الحدیثان رقم ۱۴ و ۷۷. و بالتالی فإننا نقول: إن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم تعمّد صیاغة الأحادیث علی النحو الذی جاءت به، للحکمة التی أشرنا إلیها سابقا فی هذا البحث. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۴۴ و یشهد لمفهوم سیادة الصفات الحدیث: «تخیّروا لنطفکم، و أنکحوا الأکفاء، و أنکحوا إلیهم» [أخرجه ابن ماجة ح ۷۱]، فهو یشیر إلی أن یتزوج المرء من الأکفاء حتی ینحدر منهم الصفات المحمودة، فیکون النسل ذا کفاءة. و لقد ذکر مفهوم شبه الولد لأی من أبویه عن طریق غلبة الصفات فی حدیث آخر و لکن بصیاغة مختلفة. هذا الحدیث هو: «إذا کان حین الولد، اضطربت العروق کلّها، لیس منها عرق إلا یسأل اللّه أن یجعل الشّبه له» [أخرجه الحکیم الترمذی ح ۲۲]. یعتبر هذا الحدیث تفصیلا للحدیث الذی ذکرناه آنفا لما یحتوی من الدقة العلمیة. کما تحدثنا فی مبحث: «اضطراب عروق النطفة» تضطرب و تتحرک عروق الحیوان المنوی و عروق البویضة داخل نطفة الأمشاج (أی البویضة التی أصبحت نطفة الأمشاج بعد اختلاط النطفتین) مهیئة نفسها لنتائج سیادة الصفات. هذا التهیؤ و التحرک ما هو إلا سؤال العروق للّه عزّ و جلّ أن یجعل الشبه لها. و ذلک لأن المورثات الموجودة فی عروق النطفة الذکریة و النطفة الأنثویة سوف تظهر خصائصها حسب الترکیبة الجدیدة للنطفة- نطفة الأمشاج-، فلو التقت مورثة متنحیة مع مورثة مسیطرة لم تظهر خصائص تلک المورثة، و لذلک تتمنی المورثات أن لا تلتقی بمورثات أخری أقوی منها. و هذه ملاحظة علمیة دقیقة جدا للحدیث الشریف فی المجال الغیبی. قد یتساءل القارئ: هل للعروق- و هی أشیاء غیر حیّة لعدم وجود الروح فیها- المقدرة علی سؤال اللّه عزّ و جلّ أن یجعل الشبه لها؟. و الجواب: نعم، و إن لم نع هذا التخاطب، ذلک لأن اللّه عزّ و جلّ قال فی محکم آیاته: وَ إِنْ مِنْ شَیْءٍ إِلَّا یُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لکِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِیحَهُمْ إِنَّهُ کانَ حَلِیماً غَفُوراً [الإسراء: ۴۴]. فالعروق تسبّح اللّه تعالی و تخاطبه و تدعو المولی عزّ و جلّ کما یدعو العبد ربّه و لکن لا نفقه هذا الدعاء، أی لا نستطیع التعرف علی کیفیة هذا الدعاء. إلی ذلک یشیر الحدیث الشریف أیضا إلی أن کل العروق سواء کانت من الرجل أو المرأة تشارک فی عملیة تخلق صفات الجنین مصداقا لقول الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم: «لیس منها عرق إلا یسأل ...»: فالعروق التی توجد فی النطفة الذکریة و النطفة الأنثویة تجتمع تحت سقف واحد و هو سقف نطفة الأمشاج، و یوجد علی کل عرق إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۴۵ من تلک العروق (سواء کان آتیا من النطفة الذکریة أو النطفة الأنثویة) مورثات وظیفة کل واحدة منهن إعطاء صفة محددة للجنین. و تبعا لسیطرة تلک المورثات تظهر خصائص بعض المورثات و تتنحی خصائص البعض الآخر و تتحدد صفات الجنین. فکل المورثات و بالتالی کل العروق تشارک فی سؤال اللّه أن یجعل الشبه لها. إذا قابلنا کلا الحدیثین: حدیث رقم ۶۹ و حدیث رقم ۲۲، استنتجنا: أن الصراع لغلبة الصفات یحصل علی مستوی النطف و العروق، و هذا الصراع یقع «إذا کان حین الولد»، أی عند ما یحین خلق الولد و هذا حاصل کما رأینا فی مبحث «نطفة الأمشاج» عند اختلاط النطف، و بالتالی هذا یعنی: - أن النطف تحتوی علی العروق. - أن العروق التی تحتویها تلک النطف هی المسئولة عن تمریر الصفات للجنین و لیس سواها.

۶- طفرات الصبغیات و آثارها علی الجسد:

۶- طفرات الصبغیات و آثارها علی الجسد: * عن ابن عباس رضی اللّه عنهما أن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم کان یعلمهم من الحمی و من الأوجاع کلها أن یقول: «بسم اللّه الکبیر، أعوذ باللّه العظیم، من شرّ کلّ عرق نعّار، و من شر حر النار». [أخرجه الترمذی ح ۷۰]. * روی عن حجّاج بن فرافصة، أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «ما من مریض یقول: سبحان الملک القدوس الرحمن الملک الدیّان، لا إله إلا أنت مسکّن العروق الضّاربة، و میّم العیون الساهرة، إلا شفاه اللّه تعالی» [رواه ابن أبی الدنیا ح ۹۲]. یستعیذ الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم فی هذا الحدیث باللّه العظیم من شرّ العرق النّعّار و ذلک فی حال الأوجاع. نفهم من هذا القول أن العرق النعار یتسبب بالأوجاع. العرق کما أسلفنا القول هو الصبغیات فی المصطلح النبوی الشریف. أما کلمة «نعار» فهی علی عدّة معان، منها: -

الفور و الشدة. جاء فی لسان العرب «۱»: «و نعر الجرح بالدم ینعر إذا فار». «و النعرة من النوء اذا اشتد به هبوب الریح».

(_____ ۱) لسان العرب لابن منظور- مادة «نعر»- (ج ۱۴/ ص ۲۰۰- ۲۰۱). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۴۶ - الأذی. جاء فی لسان العرب «۱»: «و نعر الفرس و الحمار ینعر نعرا، فهو نعر دخلت النعرة فی أنفه». «و قال الأحمر: النعرة ذبابة تسقط علی الدواب فتؤذیها. - المخالفة. جاء فی لسان العرب «۲»: «و النعار أیضا: العاصی». «و نعر الرجل: خالف و أبی». - إحداث الفتن. جاء فی لسان العرب «۳»: «رجل نعار فی الفتن: خزاج فیها سعّاء». «و قال الأصمعی فی حدیث ذکره: ما کانت فتنة إلا نعر فیها فلان أی نهض فیها». إذن فالعرق النعار قد یعنی الصبغیات الفوارة بشدة أی الصبغیات التی تتکاثر محتویاتها حتی تفور عن حدّها المعتاد، و قد یعنی الصبغیات التی تسبب الأذی للجسم، و قد یعنی الصبغیات الشاذة عن طبیعتها المخالفة لها، و قد یعنی الصبغیات التی تحدث الفتن فی الجسد أی الخلل. تتحکم الصبغیات کما أوضحناه آنفا فی نشاط خلایا الجسم، فهی بمثابة مخزن و مصدر معلومات (لحمض النواة النووی الریبوزی الرسولی ANR m) الذی یقوم بصنع البروتینات و الإنزیمات الذی یحتاجها الجسم. و هذا یعنی أن سلامة الصبغیات هی سلامة للجسم، و أی خلل فیها سوف یؤدی إلی أذی و أوجاع فی الجسد. فالحاصل أن الصبغیات تحتوی علی مادة الدنی آن آی، مثل کل المرکبات البیولوجیة فإن مادة الدنی آن آی تکون عرضة للتلف تأثرا بحرارة الجسم و البیئة المائیة داخل الخلیة. فعلی سبیل المثال: یقدر العلماء أن خمسة آلاف قاعدة بیورینیة (أدنین- جوانین) تتلف یومیا من محتوی الدنی أن آی بالخلیة البشریة. غیر أن هناک إنزیمات تسمی: (إنزیمات الإصلاح SEMYZNE RIAPER AND) تصلح عیوب مادة الدنی أن آی و بذلک یزول تأثیر غالبیة التغیرات. (انظر الصورة رقم: ۱۳۶ (_____ ۱) لسان العرب لابن منظور- مادة «نعر»- (ج ۱۴/ ص ۲۰۰- ۲۰۱). (۲) لسان العرب لابن منظور- مادة «نعر»- (ج ۱۴/ ص ۲۰۰- ۲۰۱). (۳) لسان العرب لابن منظور- مادة «نعر»- (ج ۱۴/ ص ۲۰۰- ۲۰۱). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۴۷ (SC) و عند ما یحدث تغییر فی جزئی الدنی أن آی و لا یتم إصلاحه یتم وراثة الخلل الناتج عند نسخ هذا الجزیء و انتقاله إلی خلایا جدیدة و تسمی حینئذ: طفرة جینیة. و یبلغ عدد (الأمراض التی تنشأ عن الطفرات الجینیة الفردیة ۴۵۰۰ SESAESID TCEFED ENEG ELGNIS) مرض. فالعرق النعار هو الصبغیات التی تحمل طفرات جینیة و هی بذلک صبغیات خالفت و شذت عن طبیعتها السلیمة لتولد خللا أی فتنة فی نظام الجسد. و بالتالی فتسبب الأذی و الأوجاع التی تکلم عنها الرسول الکریم صلّی اللّه علیه و سلّم. من الأمثلة علی الأذی الذی یتولد من الطفرة الجینیة و بالتالی من الخلل الصبغی أی من العرق النعار: طفرات بروتین الهیموغلوبین. الهیموغلوبین بروتین یقوم بنقل الأوکسیجین من الرئتین و یوصله إلی خلایا الجسم لتمده بالطاقة اللازمة. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۴۸ من الطفرات: - هیموغلوبین (SS- BH): الذی ینتج عن استبدال الحمض الأمینی الجلوتامیک فی الموضع ۶- B بحمض الفالین مما یغیر من طبیعة الهیموغلوبین فیترسب بالشیفرات الدمویة و یسبب تحلل الکریات الدمویة «الأنیمیا المنجلیة». - هیموغلوبین هامر سمیث (SH- BH): ینشأ عن استبدال حمض الفنیل الآنین فی الموضع ۴۲- B بحمض السرین فیصیح الهیموغلوبین غیر مستقر. - التالیثمیا: یوجه الصبغی (۱۱) تسلسل الأحماض الأمینیة فی السلسلة بیتا، بینما یوجه الصبغی (۱۶) تسلسل الأحماض الأمینیة فی السلسلة ألفا، و عند ما یفشل توجیه الصبغی (۱۱) یصبح الهیموغلوبین مکونا فقط من سلسلة ألفا و لا یتمشی مع الحیاة (فیموت الجنین SILATEF SPORDYH)، و عند ما یفشل توجیه الصبغی (۱۶) یتوقف إنتاج السلسلة ألفا و یصبح المریض عرضة لتحلل کریات الدم الحمراء. من خلال تلک الأمثلة نری أن مخالفة الحمض الأمینی لمواقعه یؤدی إلی أذی و أوجاع. إلی ذلک فإن الموروثات تقوم بحمایة الجسم من السرطان. فهناک مجموعة من الموروثات تتحکم فی النمو المنتظم المبرمج للخلیة بما یتماشی مع طبیعة عملها و تسمی: (برو أونکوجان ENEGOCNO- ORP) و تحت ظروف خاصة تفقد هذه الموروثات القدرة علی ضبط نمو الخلیة و یصبح النمو عشوائیا محدثا الفتن فی الجسد و ممهدا الطریق إلی إحداث السرطان، و عندئذ تصبح موروثات مکونة للسرطان تسمی: (أونکوجان ENEGOCNO) فیصبح الصبغی الذی یحمل تلک الموروثات مولّدا للأوجاع أی عرق نعار. فمثلا ینتقل الموروث ۱ BAC من موضعه بالذراع الطویلة للصبغی ۹ إلی موضع آخر بالذراع الطویل للصبغی ۲۲ فیخالف طبیعة الجسم و یعرض الشخص للإصابة بالأذی (سرطان الدم النخاعی المزمن). و من الأمثلة أیضا: یتکلف الموروث CYM- N بدرجة عالیة أی یفور بشدة تصل إلی ۲۰۰ ضعف مما یسبب ورم الجذیع العصبی «۱». و هکذا یتبیّن لنا لما ذا استعاذ الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم من شر العرق النعّار.

(_____ ۱) کتاب رحلة الإیمان فی جسم الإنسان، د. حامد أحمد حامد، ص ۴۳ إلی ۵۹، بتصرف. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۴۹ نودّ الإشارة إلی أن بعض الأمراض مثل: (الالتهابات SNOITCEFNI) (حیث تحدث طفرات جینیة بسبب الفیروسات) و بعض حالات السرطانات مثل: سرطان الدم (اللوکیمیا AIMEKUEL)، و (أمراض الغدد اللمفاویة AMOHPMYL) یرافقها ارتفاع فی حرارة الجسم أی الحمی التی ذکرها الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم. و فی النهایة نود التعلیق علی الحدیث السابق، و نرد علی ما یثار علیه من شبهات أن هذا الحدیث یعالج قضیة العروق التی یجری فیها الدم، فإذا قصدنا هذا المعنی، فإن هذا المعنی یتعارض مع العلم الذی أوحی إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و العلم الکونی، حیث إنهما یتلاءمان دون أدنی تعارض، فلا یعقل أن یرجع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم الأمراض کلّها إلی العروق التی یجری فیها الدم، فالأمراض التی لها علاقة بالعروق التی یجری فیها الدم قلیلة جدا، أما إذا أعدنا معنی العروق إلی الصبغیات، فیصبح المعنی یتلاءم مع العلم أکثر. و یعضد تفسیرنا الحدیث: «ما من مریض یقول: سبحان الملک القدوس الرحمن الملک الدیّان، لا إله إلا أنت مسکّن العروق الضّاربة، و میّم العیون الساهرة إلا شفاه اللّه تعالی» [رواه ابن أبی الدنیا ح ۹۲]. فهو یتحدث عن العروق التی تضرب و تؤذی الجسم من خلال نشاطها المختل. فکلمة «مسکّن» تشیر إلی أن العروق فی نشاط دینامیکی، و لو لا أن یسکّن اللّه عزّ و جلّ نشاطها بحیث أن یمنع فورانها علی غیر ما جرت علیه العادة، أی أن یمنع (طفراتها SNOITATUM)، لأحدثت أمراضا عدیدة. فلفظ: «ما من مریض» علی إطلاقه، و هو یعنی بالتالی أی مرض، و هذا یتوافق مع صیاغة الحدیث الأول: «کان یعلّمهم من الحمی و من الأوجاع کلها» [أخرجه الترمذی ح ۷۰]. و العلم أثبت أن العروق فی حرکة دینامیکیة مستمرة کما أثبت طفراتها. و لقد تحدثنا عن طفرات العروق فیما سبق، و أما عن نشاطها الدینامیکی، فنورد ما جاء فی کتاب: «الآیات العجاب فی رحلة الإنجاب»، فهو یعطینا فکرة واضحة عن حرکة الصبغیات: «و الحلزون الذی نتحدث عنه (أی حلزون الدنی آن آی) لیس ساکنا، بل هو فی حالة دینامیکیة مستمرة تتوالی فیها عملیات التفککّ و التکثیف تمشیا مع حالة الخلیة من استقرار أو انقسام، و حسب المتطلبات البیولوجیة مثل: استنساخ (الآر إن آی ANR) لاصطناع بروتینات الجسم الحیویة، حتی إن عدد مرات الالتواء و الطی و التفککّ و غیرها من الحرکات یقدر بملیون حرکة فی الثانیة ...!» «۱».

(_____ ۱) کتاب الآیات العجاب فی رحلة الإنجاب، د. حامد أحمد حامد، ص ۲۵. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۵۰ لقد بیّنت لنا الأحادیث الشریفة سالفة الذکر دور الصبغیات فی توارث الصفات من الآباء إلی الأبناء، کما أنها بیّنت لنا دور الصبغیات فی تخلق الجنین. أما هذا الحدیث فهو یمتاز عن الأحادیث الأخری بأنه یسلط الضوء علی دور آخر للصبغیات و هو تسبب الصبغیات فی إحداث الأمراض عبر طفراتها.

۷- السبب الورائی لتنوع خلق الحیوانات:

۷- السبب الورائی لتنوع خلق الحیوانات: قال اللّه تعالی: وَ اللَّهُ خَلَقَ کُلَّ دَابَّةٍ مِنْ ماءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ یَمْشِی عَلی بَطْنِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ یَمْشِی عَلی رِجْلَیْنِ وَ مِنْهُمْ مَنْ یَمْشِی عَلی أَرْبَعٍ یَخْلُقُ اللَّهُ ما یَشاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ [النور: ۴۵]. نفهم من ظاهر الآیة الکریمة أن کل دابة- أی کل ما یدب علی الأرض- خلقت من ماء. هذا الماء لیس هو «الماء» الذی نشربه و نسقی به الزرع ...، و الدلیل علی ذلک: أنه نکّر، أی جاء فی صیغة النکرة، و لم یعرّف بأل التعریف. فلو عرّف بأل التی هی للجنس، لأصبح من ألفاظ الأجناس التی تدل علی الماهیة «۱». جاء فی تفسیر الألوسی: «... و تنکیر الماء هنا و تعریفه فی قوله تعالی: وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ کُلَّ شَیْءٍ حَیٍّ [الأنبیاء: ۳۰] لأن القصد هنا إلی معنی الإفراد شخصا أو نوعا و القصد هناک إلی معنی الجنس ...» «۲». و بالتالی فإن الآیة تشیر إلی ماء معین. و بما أن السیاق القرآنی یتکلم عن الدواب، فإن هذا الماء مخصوص بتلک الدواب، بل مخصوص بکل دابة ذکرت فی الآیة. جاء فی البحر المحیط: «... و نکر الماء هنا و عرف فی: وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ کُلَّ شَیْءٍ حَیٍّ [الأنبیاء: ۳۰] لأن المعنی هنا: خَلَقَ کُلَّ دَابَّةٍ [النور: ۴۵] من نوع من الماء مختص بهذه الدابة» «۳».

(۱) أصول الفقه الإسلامی، د. إبراهیم السلقینی، تقسیم اللفظ باعتبار ظهور الدلالة علی معناه و خفائها، ص ۲۸۰. (۲) تفسیر الألوسی- (ج ۱۸/ ص ۱۹۲). (۳) البحر المحیط- (ج ۶/ ص ۴۶۵). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۵۱ قال السیوطی: «قوله: وَ اللَّهُ خَلَقَ کُلَّ دَابَّةٍ مِنْ ماءٍ [النور: ۴۵] أی کل نوع من أنواع الدواب من نوع من أنواع الماء و کل فرد من أفراد الدواب من فرد من أفراد النطف» «۱». و کلمة «من» هنا- کما یذکر المفسرون- جاءت لابتداء الغایة، جاء فی البحر المحیط: «و (من) لابتداء الغایة، أی ابتدأ خلقها من الماء ...» «۲»، و بالتالی فإن معنی الآیة یصبح: و الله ابتدأ خلق کل دابة من ماء مخصوص بها. فإذا کان الکلام عن ابتداء الخلق و عن تخصیصه لکل دابة، فهمنا أن هذا الماء هو الماء الذی تخلق منه أجّنة الحیوانات. و بالتالی فإن الماء المعنی هو الجزء من الماء الذی یسبب التخلق، وفقا لما قال الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم: «ما من کل الماء یکون الولد» [أخرجه مسلم ح ۱۷]: أی من النطفة. جاء فی أوضح التفاسیر: «وَ اللَّهُ خَلَقَ کُلَّ دَابَّةٍ مِنْ ماءٍ [النور: ۴۵]: أی من نطفة؛ و ذلک لأنها سائلة، و أغلبها ماء» «۳». جاء فی تفسیر البیضاوی: «مِنْ ماءٍ هو جزء مادته، أو ماء مخصوص هو النطفة» «۴». و من هنا نفهم أن الآیة تعنی: و اللّه ابتدأ خلق کل دابة من نطفة خاصة بها. و من ثمّ تکلمت الآیة عن أنواع الدواب: فمنها من یمشی علی بطنه، و منها من یمشی علی رجلین، و منها من یمشی علی أربع. جاء فی تفسیر النسفی: «مِنْ ماءٍ أی من نوع من الماء مختص بتلک الدابة أو من ماء مخصوص و هو النطفة، ثم خالف بین المخلوقات من النطفة فمنها هوام و منها بهائم و منها أناسی» «۵».

(_____ ۱) الإتقان- (ج ۱/ ص ۵۵۶). (۲) البحر المحیط- (ج ۶/ ص ۴۶۵). (۳) أوضح التفاسیر، تفسیر آیة ۴۵ من سورة النور. (۴) تفسیر البیضاوی- (ج ۴/ ص ۱۹۵)، و جاء فی تفسیر الطبری- (ج ۱۸/ ص ۱۱۹): «و قوله: خَلَقَ کُلَّ دَابَّةٍ مِنْ ماءٍ [النور: ۴۵] یعنی: من نطفة» و جاء فی تفسیر القرطبی- (ج ۱۲/ ص ۲۹۱): «و قال المفسرون: مِنْ ماءٍ أی من نطفة»، و جاء فی البحر المحیط- (ج ۶/ ص ۴۶۶): «... مِنْ ماءٍ مخصوص و هو النطفة»، و

جاء فی تفسیر الشوکانی- (ج ۴/ ص ۴۲): «و معنی مِنْ ماءٍ: من نطفة، و هی المنیّ، کذا قال الجمهور». (۵) تفسیر النسفی- (ج ۳/ ص ۱۴۹). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۵۲ فإذا کان الکلام عن نطف معینة، و عن أنواع الدواب، فهمنا أن سبب تنوع الخلق هو تنوع النطف، أی أن الترکیبات المختلفة للنطف تؤدی تبعا إلی نشأة حیوانات مختلفة. و من الجدیر بالذکر أن الآیة لا تتکلم عن أنواع معینة من الحیوانات، بل تقصد تبیان سبب تنویع خلق الحیوانات، لیس إلا. جاء فی تفسیر أبی السعود: «مِنْ ماءٍ هو جزء مادته أو ماء مخصوص هو النّطفة فیکون تنزیلا للغالب مترلة الکلّ لأنّ من الحیوانات ما یتولّد لا عن نطفة ... و تذکیر الضّمیر فی منهم لتغلیب العقلاء، و التّعبیر عن الأصناف بکلمة من لیواقق التّفصیل الإجمال، و التّرتیب لتقدیم ما هو أعرف فی القدرة. یَخْلُقُ اللَّهُ ما یَشاءُ [النور: ۴۵] ممّا ذکر و ممّا لم یذکر بسیطا کان أو مرکّبا علی ما یشاء من الصّور ...» (۱). و هذا التنویع هو دلالة علی قدرة الخالق، و تعظیم لشأنه، و بیان أن اللّه تعالی قادر علی خلق أنواع مختلفة من النطف، فینتج عن ذلک خلق أنواع مختلفة من الحیوانات، و هو بأسرار خلقه خبیر. یقول اللّه تعالی: أ لا یَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ اللَّطِیفُ الْخَبِیرُ (۱۴) [الملک: ۱۴]. جاء فی تفسیر أبی السعود: «یَخْلُقُ اللَّهُ ما یَشاءُ ممّا ذکر و ممّا لم یذکر بسیطا کان أو مرکّبا علی ما یشاء من الصّور ... و إظهار الاسم الجلیل فی موضع الإضمار لتفخیم شأن الخلق المذکور و الإیذان بأنّه من أحکام الألوهیّة: إِنَّ اللَّهَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ [النور: ۴۵]، فیفعل ما یشاء کما یشاء» (۲). و تفصیلا: إن أهم ما فی النطف، هو العروق التی تسبب تخلق الکائن الحیوانی کما جاء فی الحدیث: «فجامع الرجل المرأة طار ماؤه فی کل عرق و عصب منها» [رواه الطبرانی ح ۲۱]. فهذا الحدیث ینص علی أن ماء الرجل ینتشر بین عروق نطفة المرأة، أی أن النطفة تحتوی علی عروق «۳ (_____ ۱) تفسیر أبی السعود- (ج ۶/ ص ۱۸۵)، و أیضا تفسیر البیضاوی- (ج ۴/ ص ۱۹۵). (۲) تفسیر أبی السعود- (ج ۶/ ص ۱۸۵ - ۱۸۶). (۳) انظر مبحث «اختلاط عروق النطفة». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۵۳ و هذه العروق موجودة فی نطف سائر الحیوانات کما هی موجودة فی نطف الإنسان، کما نستنبطه من الحدیث النبوی الشریف التالی، حیث قاس الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم بین الدواب و البشر: (أن أعرابیا أتی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم فقال: یا رسول اللّه: إن امرأتی ولدت غلاما أسود. و إنی أنکرته. فقال له النبی صلّی اللّه علیه و سلّم: «هل لک من إبل؟» قال: نعم. قال: «ما ألوانها؟» قال: حمر. قال: «هل فیها من أورق؟» [أسمر أو ما کان لونه کلون الرماد]. قال: نعم. قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «فأنی هو؟» قال: لعلّه، یا رسول اللّه یکون نزعه عرق له. فقال له النبی صلّی اللّه علیه و سلّم: «و هذا لعله یکون نزعه عرق له») [أخرجه مسلم ح ۶۵]. و نفهم من الحدیث السابق أیضا أن هذه العروق تعطی صفات الحیوانات، و بالتالی خلقها المخصوص بها و ترکیبها الفریدة، و بالتالی فإن اختلاف خلق الحیوانات سببه اختلاف ترکیبة عروق نطف الحیوانات. و بعد أن جمعنا بین النصوص الشرعیة، و استعرضنا بعض الأدلة، فهمنا أن الآیة تعنی: و اللّه خلق کل دابة من نطفة مخصوصة بها، و خالف بین خلق سائر الحیوانات من خلال اختلاف خلق و عدد عروق نطف تلک الحیوانات، التی تعطیها خلقا خاصا بها تبعا لما تحتوی هذه العروق من مورثات. و قد أقرّ العلم الکونی هذه الظاهرة، و أظهر الإعجاز العلمی فی القرآن بعد نزوله من نحو ۱۴۰۰ سنة. و للعلم فإن کل حیوان یمتاز بصبغیات مختلفة، و بأعداد مختلفة من هذه الصبغیات، تعطی کل حیوان خلقه الخاص به. و کل من هذه الصبغیات مؤلفة من عرقین متحدین. جاء فی کتاب الإنسان النامی: « (الکروماتید DITAMORHC) أی الصبغی] یتألف من (حلیین مجدولین SDNARTS) متوازیین» (۱). و نسرد فیما یلی بعض الأمثلة عن عدد عروق بعض الحیوانات، بما فی ذلک الإنسان (الذی یعتبر من الناحیة البیولوجیة حیوان سام ناطق): (_____ ۱) کتاب الإنسان النامی، مور وبارسو، ص ۱۸. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۵۴ المخلوق عدد الصبغیات عدد العروق الإنسان/ ۴۶/ ۴۶ ۲ ۹۲ القرد/ ۴۸/ ۴۸ ۲ ۹۶ الأرنب/ ۴۴/ ۴۴ ۲ ۸۸ الخنزیر/ ۴۰/ ۴۰ ۲ ۸۰ الغنم/ ۵۴/ ۵۴ ۲ ۱۰۸ الحصان/ ۶۶/ ۶۶ ۲ ۱۳۲ الکلب/ ۷۸/ ۷۸ ۲ ۱۵۶ هذا و قد حدد الحدیث الذی رواه عبد اللّه بن بریدة رضی اللّه عنه: (أن رجلا من الأنصار ولدت له امرأته غلاما أسود، فأخذ بید امرأته فأتی بها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم فقالت: و الذی بعثک بالحق لقد تزوجنی بکرا و ما أقعدت مقعده أحدا، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «صدقت، إن لک تسعة و تسعین عرقا، و له مثل ذلک، إذا کان حین الولد اضطربت العروق کلها، لیس منها عرق إلا یسأل اللّه أن یجعل الشبه له») [أخرجه الحکیم الترمذی ح ۲۲] أن للإنسان عددا محددا من العروق یمتاز بها. و هذا أمر لم تعرفه البشریة قبل عام ۱۹۱۲ م، حیث أعلن (فون وینی وارتر RETRAWINIW NOV) أن الخلایا البشریة تحتوی علی سبع و أربعین صبغیة «۱». و من الجدیر بالذکر أن ظاهر الحدیث یشیر إلی أن للمرأة تسعة و تسعین عرقا، مع العلم أن للمرأة ملایین من الخلایا و بالتالی ملایین من العروق، و فی کل من هذه الخلایا ستة و أربعین صبغیة، أی اثنین و تسعین عرقا، و بالتالی حتی یصح معنی الحدیث و یصبح مقبولا لا بد من تقدیر کلام لازم مسکوت عنه، و تقدیره: إن لنطفتک تسعة و تسعین عرقا، و هذا ما یعرف بأصول الفقه الإسلامی «باقتضاء النص»، و هو حجة یعتد بها عند سائر الفقهاء «۲». کذلک نفهم من صیاغة الحدیث أن عدد العروق مقید. یوقت خلق الإنسان، و ذلک أن الحدیث أشار إلی حین خلق الجنین بلفظ: «صدقت، إن لک تسعة و تسعین عرقا، و له مثل ذلک، إذا کان حین الولد، اضطربت العروق کلها»، لیس منها عرق (_____ ۱) و قد اکتشف العالمان (تیو ولیفان NAVEL dna OIJT) عام ۱۹۵۶ م العدد الصحیح للصبغیات البشریة، و هو ستة و أربعین. (۲) انظر «تعریف الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة»/ باب «معان صریحة فی دلالتها». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۵۵ إلا- یسأل اللّه أن یجعل الشبه له». و بالفعل فإن للحیوان المنوی عند دخول البویضة ثلاثا و عشرین صبغیة، کل واحدة منهن مؤلفة من حلیین، أی أن للحیوان المنوی ستة و أربعین عرقا، و للبویضة فی بادئ الأمر ست و أربعون صبغیة، و عند دخول الحیوان المنوی البویضة تستکمل البویضة (انقسامها المیوزی الثانی NOISIVID CITOIEM DNOCES) و یصبح عدد صبغیاتها ثلاثا و عشرین، مؤلفة کل واحدة منها أیضا من حلیین، أی أنه یصبح للبویضة ستة و أربعون عرقا. و عند اقتران نواتی الحیوان المنوی و البویضة بعضهما من بعض، و قبل انصارهما- أی عند ما یحین خلق الولد بانصهار النواتین- یتضاعف عدد صبغیات کل من النواتین لیصبح کل منهما یحتوی علی ست و أربعین صبغیة «۱»، أی لتصبح کل واحدة منهن تحتوی علی اثنین و تسعین عرقا، و بالتالی فیصبح للرجل عددا مماثلا لعدد المرأة من العروق؛ و هو اثنان و تسعون حبلا، کما ینص علیه الحدیث: «و له مثل ذلک ...»، فیتحقق نص الحدیث السالف ذکره، و یبرز النبأ العظیم قبل أکثر من قرن علی اکتشافه من قبل العلماء الکونیین. و یعود الاختلاف بین عدد العروق فی الحدیث و عدد العروق التی ینص علیها العلم الکونی لخلل فی سند الحدیث السابق لجهالة فی الإسناد «۲»، و بالتالی خلل فی متنه، و لنسیان بعض الصحابة و التابعین رضی اللّه عنهم لما قاله الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم، مع حرصهم علی ضبط و حفظ کل ما سمعوه، فجلّ من لا یسهو. و نعطی مثالا- لربما کان نتیجة نسیان بعض الصحابة و التابعین رضی اللّه عنهم لما سمعوه، مما یشیر إلی أن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم تکلّم بالحق و من ثمّ اختلفت ألفاظ الحدیث من بعده-: فالأحادیث التی تکلمت عن حادثة «جمع خلق الإنسان» رویت بمتون مختلفة، و بطرق مختلفة عن صحابة و تابعین رضی اللّه عنهم، و نصّت النصوص الحدیثیة علی أن خلق الإنسان یتمّ فی غضون: أربعین، اثنین و أربعین، ثلاثة و أربعین، خمسة و أربعین، و بضع أربعین یوما «۳». و روت بعض المتون أن مدة «جمع الخلق» هی أربعون لیلة، و بعضها الآخر أربعون یوما، و جاء فی متن من المتون أن فترة «العلقة» و فترة «المضغة» تقع فی تلک المدّة کما دلّت علیه عبارة «فی ذلک»، بینما سقط هذا اللفظ من متن آخر (_____ ۱) کتاب الإنسان النامی، مور وبارسو، ص ۳۷. (۲) و هو جهالة راو من سلسلة الرواة الذین رووا المتن. (۳) انظر مبحث «اجتهاد غیر مصیب». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۵۶ و من الملفت للنظر أننا نلاحظ فی جمیع هذه المتون أن رأس العدد، أی عدد الأربعین، لم یتخلله خطأ، بینما حدث السهو فی الرقم الفرعی؛ أی رقم اثنین، و ثلاثة، و خمسة إلخ، مما یشیر إلی سهو بعض الرجال عن التفاصیل التی جاءت فی تلک المتون. و هذا ما تکرّر فی الحدیث الذی رواه عبد اللّه بن بریدة رضی اللّه عنه حیث تذکّر رجال الإسناد رأس العدد جیدا؛ أی رقم تسعین، بینما سهوا فی العدد الفرعی؛ أی رقم تسعة، و انظر کلامنا عن التصحیف فی «الملحق» المرفق فی آخر الکتاب. و علی کل حال یشهد لصدق الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم أحادیث أخری تنص علی إعجاز رقمی دقیق للغایة، لم یسه فیه الرجال الذین رووها عن شیء مما قاله الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم، و الأحادیث هی: عن السیدة عائشة رضی اللّه عنها أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «إنّه خلق کل إنسان من بنی آدم علی ستین و ثلاثمائة مفصل، فمن کبر اللّه، و حمد اللّه، و هلّل اللّه، و سبّح اللّه، و استغفر اللّه، و عزل حجرا عن طریق الناس، أو شوکة أو عظما عن طریق الناس، و أمر بمعروف، أو نهی عن منکر، عدد تلک الستّین و الثلاثمائة السّلامی فإنّه یمشی یومئذ و قد زحزح نفسه عن النار» [أخرجه مسلم ح ۴۲]، و «إن اللّه تعالی إذا أراد خلق النّسمة، فجامع الرجل المرأة، طار ماؤه فی کل عرق و عصب منها، فإذا کان یوم السابع، جمعه اللّه تعالی، ثم أحضر له کل عرق له بینه و بین آدم، ثم قرأ: فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ (۸) [الانفطار: ۸] [رواه الطبرانی ح ۲۱]. و نود الإشارة إلی أنه، إضافة إلی ذکر عدد العروق، أشار الحدیث إلی أن لنطفة الرجل و نطفة المرأة عددا مماثلا من العروق، و حدد وقت وجود هذا العدد من العروق، و هذه دقّة فائقة فی تحدید الحقائق العلمیة. و إذا قابلنا الحدیث: «نطفة الرجل بیضاء غلیظة و نطفة المرأة صفراء رقیقة ...» [ذکره ابن هشام ح ۶۹] مع الحدیث السابق (رقم ۲۲) فهمنا أن الاختلاف بین الرجل و المرأة لا یعود لاختلاف عدد العروق بینهما، بل لاختلاف محتوی خلایا الرجل و المرأة، و بالتالی لاختلاف محتوی هذه العروق، لأن رقم العروق ثابت فی الحدیث (رقم ۲۲) عند کل من الطرفین، بینما یعود الاختلاف فی الحدیث (رقم ۶۹) فی صفة النطفة الذکریة و الأنثویة فی اللون و الکثافة و غیرها فی الحدیث (رقم ۶۹)، و هذا ما قرره العلم الکونی حیث إن الرجل یمتاز باتحاد الصبغی (ص Y) مع الصبغی (س X)، أما المرأة فإن صبغیاتها الجنسیة تتألف من (س س «۱» XX) (_____ ۱) انظر مبحث «الماء و المنی»/ باب «إن کل من ماء الرجل و ماء المرأة یشارک فی إذکار أو إیناث الجنین». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۵۷ و بعد: فإن الحدیث: «صدقت، إن لک تسعة و تسعین عرقا، و له مثل ذلک، إذا کان حین الولد، اضطربت العروق کلها، لیس منها عرق إلا یسأل اللّه أن یجعل الشبه له» [أخرجه الحکیم الترمذی ح ۲۲] یشیر إلی أن للإنسان علی العموم تسعة و تسعین عرقا، و یشیر مفهوم المخالفة عندئذ «۱»، أن لغیر الإنسان- أی لکل کائن آخر- عددا مغایرا من العروق، و هذا ما توصلنا إلیه من قبل فی هذا البحث، و هذا ما أشارت إلیه الآیة: وَ اللَّهُ خَلَقَ کُلَّ دابَّةٍ مِنْ ماءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ یَمْشِی عَلی بَطْنِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ یَمْشِی عَلی رِجْلَیْنِ وَ مِنْهُمْ مَنْ یَمْشِی عَلی أَرْبَعٍ

يَخْلُقُ اللّهُ ما يَشاءُ إِنَّ اللّهَ عَلى كلِّ شَيْءٍ قَديرٌ (۴۵) [النور: ۴۵]. فاعتبروا يا أولى الأبصار قد أنزل اللّه إليكم ذكرا، حتى يتذكّر من أراد أن يذّكر، فيهلك من هلك عن بينة، و يحيى من حيّ عن بينة.

ج- خلاصة القول

ج- خلاصة القول إن التكلم عن مكان وجود الصبغيات التى تتحكم بتخلق الجنين بإذن ربها «۲»، و التكلم عن كيفية اصطفافها فى هذا المكان من غلظة ورقة «۳»، و التكلم عن تحرك الصبغيات من امتداد و انقباض «۴»، و انتشار «۵» عند تخلق الجنين، و التكلم عن دورها فى إذكار أو إيناث الجنين «۶»، و التكلم عن دورها فى إعطاء الجنين خصائص تشبه خصائص آبائه «۷»، و التكلم عن تنحى و سيطرة خصائص ها «۸»، و التكل م عن علا قة

(_____ ۱) انظر مبحث «تعريف الإعجاز فى القرآن و السنة/ باب معان صريحة فى دلالتها». (۲) كما فى الآية: مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (۱۹) [عبس: ۱۹]. (۳) كما فى الحديث: «نطفة الرجل بيضاء غليظة و نطفة المرأة صفراء رقيقة فأيهما غلبت فالشبه له و إن اجتمعا جميعا كان منها و منه» [ذكره ابن هشام ح ۶۹]. (۴) كما فى الحديث: «... إذا كان حين الولد، اضطربت العروق كلها، ليس منها عرق إلا يسأل اللّه أن يجعل الشبه له» [أخرجه الحكيم الترمذى ح ۲۲]. (۵) كما فى الحديث: «إن اللّه تعالى إذا أراد خلق النسمة، فجامع الرجل المرأة، طار ماؤه فى كل عرق و عصب منها، ...» [أخرجه الطبرانى ح ۲۱]. (۶) كما فى الآيتين: وَ أَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى (۴۵) مِنْ نُطْفَةٍ إِذا تُمْنى (۴۶) [النجم: ۴۵- ۴۶]. (۷) كما فى الحديث: «ماء الرجل غليظ أبيض، و ماء المرأة رقيق أصفر، فأيهما سبق كان الشبه» [أخرجه النسائى ح ۶۷]. (۸) كما فى الحديثين: «انظر فى أى نصاب تضع ولدك فإن العرق دسّاس» [ذكره العجلونى ح ۷۱] و «اللهم متعنا بأسماعنا و أبصارنا و قواتنا ما حيينا، و اجعله الوارث منا» [أخرجه الترمذى ح ۶۶]. إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۵۵۸ الصبغيات بعضها ببعض من نزع للمورثات «۱»، و الإشارة إلى أنها سبب لتركيب الجنين «۲»، و التكلم عن أهمية وجود الظلمة لتفادى الطفرات الجينية «۳»، و التكلم عن الطفرات الصبغية و دورها فى إحداث الأمراض «۴»، و التكلم عن بعض النتائج للطفرات الجينية فى إحداث الإجهاض المبكر عند وقوع النطفة فى الرحم «۵»، و التكلم عن الفترة التى يخف فيها أثر تلك الطفرات من إجهاض مبكر «۶» و تشوهات جنينية «۷»، بل و الإشارة إلى شكل الصبغيات من طول و ترابط بعضها ببعض «۸» لا يمكن أن يكون على سبيل المصادفة، و لا يدع مجالا للشك أن الذى بعث الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم يعلم تمام العلم النظام الجينى السائد لدى الإنسان.

د- الانحراف التخلّقى و مضاعفاته كما يراه القرآن الكريم و السنّة النبوية الشريفة:

اشارة

د- الانحراف التخلّقى و مضاعفاته كما يراه القرآن الكريم و السنّة النبوية الشريفة: هذا الباب هو جزء من علم الوراثة و علم التخلق: ذلك لأنه علم قائم بحد ذاته متشعب و دقيق. و قد وضع الإسلام أسسا مهمة لمنع حدوث التشوهات و الأمراض، بينما كانت الأمم فى جهل تام عما يستطيع أن يصيبها و لم تكتشفها إلا فى الآونة الأخيرة مما يدل على مدى إعجاز النبوءات التى تفوه بها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم (_____ ۱) كما فى الحديث: «... قال: «فأنى هو؟» قال: لعله يكون نزعه عرق له. قال: «و هذا لعله يكون نزعه عرق له» [أخرجه مسلم ح ۶۵]. (۲) كما فى الحديث: «... فإذا كان يوم السابع، جمعه اللّه تعالى، ثم أحضر له كل عرق له بينه و بين آدم، ثم قرأ: فِى أَىِّ صُورَةٍ مَا شاءَ رَكَّبَكَ (۸) [الانفطار: ۸] [أخرجه الطبرانى ح ۲۱]. (۳) كما فى الآية: يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُماتٍ ثَلاثٍ ذلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنّى تُصْرَفُونَ (۶) [الزمر: ۶]. (۴) كما فى الحديث: عن ابن عباس، أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كان يعلمهم من الحمى و من الأوجاع كلها، أن يقول: «بسم اللّه الكبير أعوذ باللّه العظيم من شر كل عرق نعّار و من شر حر النار» [أخرجه الترمذى ح ۷۰]. (۵) كما فى الحديث: «إذا وقعت النطفة فى الرحم، بعث اللّه ملكا، فقال: يا ربّ: مخلّقة أو غير مخلّقة؟ فإن قال: غير مخلّقة، مجتها الأرحام دما، و إن قال: مخلّقة قال: يا ربّ: فما صفة هذه النطفة» [رواه الطبرى ح ۳۲]. (۶) كما فى الآية: مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَ نُقِرُّ فِى الْأَرْحامِ ما نَشاءُ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى ... [الحج: ۵]. (۷) كما فى الحديث: «... فإذا أراد اللّه أن يقضى خلقها، قال: أى رب أذكر أم أنثى؟ ...» [أخرجه البخارى ح ۹۸]. (۸) كما يشير إليه معنى كلمة «عرق» و كلمة «عصب». إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۵۵۹ أما هذه الأسس فتتلخص بمجموعة من الآيات و الأحاديث هى كالآتى: - الآية الأولى: قال اللّه تعالى: وَ إِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطاناً مَرِيداً (۱۱۷) لَعَنَهُ اللّهُ وَ قالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً (۱۱۸) ... وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ ... [النساء: ۱۱۷- ۱۱۹]. - الآية الثانية: قال اللّه تعالى: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ وَ بَناتُكُمْ وَ أَخَواتُكُمْ وَ عَمّاتُكُمْ وَ خالاتُكُمْ وَ بَناتُ الْأَخِ وَ بَناتُ الْأُخْتِ وَ أُمَّهاتُكُمُ اللاّتِى أَرْضَعْنَكُمْ وَ أَخَواتُكُمْ مِنَ الرَّضاعَةِ [النساء: ۲۳]. - الحديث الأول: «و انظر فى أى نصاب تضع ولدك، فإن العرق دساس» [ذكره العجلونى ح ۷۱]. - الحديث الثانى: «اغتربوا لا تضووا» [ذكره ابن قتيبة ح ۷۵]. - الحديث الثالث: «لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاويا» [ذكره ابن حجر ح ۷۵]. - الحديث الرابع: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «يحرّم من الرضاع ما يحرّم من النسب» [أخرجه البخارى ح ۵۴]. - الحديث الخامس: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون و الأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا» [أخرجه ابن ماجة ح ۷۲]. - الآية الثالثة: قال اللّه تعالى: ما جَعَلَ اللّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ [الأحزاب: ۴]. - الحديث السادس: قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «ما جعل اللّه لمسخ نسلا و لا عقبا» [أخرجه مسلم ح ۷۳].

۱- الفساد العلمى:

۱- الفساد العلمى: * قال اللّه تعالى: وَ إِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطاناً مَرِيداً (۱۱۷) لَعَنَهُ اللّهُ وَ قالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً (۱۱۸) ... وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ ... [النساء: ۱۱۷- ۱۱۹]. إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۵۶۰ هذه الآية لها علاقة غير مباشرة بموضوعنا هذا و هى تنص على أن الشيطان سوف يحاول إثارة الجنس البشرى على إحداث تغييرات فى خلق اللّه كما أخبرنا رب العالمين عزّ و جلّ سواء كان حيوانا أو إنسانا، فلفظ «خلق اللّه» على إطلاقه «۱». كيف تتم فى عصرنا التغييرات الخلقية؟. تتم التغييرات فى الخلق المرتبطة بالإنسان بعمليات التحويل من ذكر إلى أنثى عبر جب قضيبه و إيجاد مهبل و فرج صناعى له و إعطائه هرمونات أنوثة مكثفة لتظهر له أثداء: على سبيل المثال: تقمّص قصة الشاب البريطانى الذى أجريت له عملية جراحية عام ۱۹۸۰ م لتحويله إلى امرأة ثم قامت المحكمة بتزويجه على أنه أنثى إلى أحد اللوردات «۲». هناك قصة أخرى عن الشاب المعروف باسم سالى و هو طالب بكلية الطب فى جامعة الأزهر حيث قام أحد القوادين من الأطباء بتحويله إلى أنثى «۳». و قد نشرت مجلة (مختصر الأمراض الباطنية و أمراض النساء و الولادة TSEGID, TSBO, CNYG, ENICIDEM) عدد فبراير ۱۹۸۱ م بحثا عن كيفية إجراء عملية إيجـــــــاد مهبـــــــل و فرج صـــــــناعى للشـــــــاذين جنســـــــيا.

(_____ ۱) لقد تعدّد كلام السلف- رحمهم اللّه تعالى- و بعض مفسّرى القرآن الكريم فى النص القرآنى: وَ إِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطاناً مَرِيداً (۱۱۷) ... وَ قالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً (۱۱۸) ... وَ لَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ ... [النساء: ۱۱۷- ۱۱۹]، فمنهم من ذهب إلى أنها تشير إلى أن الشيطان سيثير البشر إلى تغيير الخلق البيولوجى للإنسان. و منهم من قال: إن الآية تشير إلى أن الإنسان سيغيّر دين اللّه (و انظر على سبيل المثال الكشاف، و تفسير ابن كثير)، و الحق يقال: إنها تحتمل الدلالتين، و ذلك لأن هناك قرائن أخرى- مثل أحاديث شريفة، أو آيات قرآنية- فى كلا الحالتين تدعم التوجهين كما رأينا سالفا، و لأن سياق النص القرآنى يحتمل الموضوعين، فذكر التغيير البيولوجى فى النص القرآنى لسورة النساء جاء فى قوله عزّ و جلّ: فَلَيُبَتِّكُنَّ آذانَ الْأَنْعامِ، و تغيير دين اللّه فى النص القرآنى المذكور آنفا جاء فى قوله عزّ و جلّ: وَ لَأُضِلَّنَّهُمْ وَ لَأُمَنِّيَنَّهُمْ، و هذا من الأسلوب البلاغى لكلام اللّه تعالى حيث يضع أكثر من معنى فى الكلام الواحد (راجع مبحث «المنهجية المتبعة فى وصف الأطوار الجنينية»). (۲) يجدر الإشارة هنا إلى أننا لا نحرم العمليات الجراحية التى تستهدف تقويم الأعضاء التناسلية للمرضى، لأن تلك الأعضاء المرضية لا توافق أصلها. فعلى سبيل المثال: هناك حالات مرضية عدّة تطور فيها الأعضاء التناسلية على نحو غير سليم مثل: أن لا تطور (الأنابيب المولرية STCUD NAIRELLUM) على نحو سليم و مكتمل و ينشأ الطفل المريض بدون رحم ANIGAV FO ECNESBA LATINEGNOC DNA SISENEGA RO SID NAIRELLUM) فيحتاج إلى (استحداث مهبل بالاستعانة بأعضاء أخرى من الجسم ANIGAVOEN) و هذا ما يعرف (بالجراحة الترميمية YREGRUS (۳). (EVITCURTSNOCER) كتاب خلق الإنسان بين الطب و القرآن، د. محمد على البار، ص ۵۰۳. إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۵۶۱ أما على الصعيد الجنينى فهناك تغيرات حصلت من خلال أبحاث تشمل الإخصاب بين الجنس البشرى و الحيوان و تعرف هذه الظاهرة (بالكلونيغ GNINOLC). كما أن هناك أبحاثا تشمل استنساخ أجنة حيوانات و هى بطريقها إلى استنساخ أجنة بشرية، و تعتبر عمليات الاستنساخ هذه عمليات غير طبيعية مخالفة للقانون الطبيعى الذى وضعه اللّه على الأرض لإنجاب أجنة بشرية و ذلك لأن مادة الاستنساخ و طريقة الإخصاب غير طبيعية. تتمثل عملية الاستنساخ فى استخلاص بويضة غير مخصبة من الأنثى و استبعاد نواتها التى تحمل المعلومات الوراثية و زرع نواة خلية عادية محتوية على ۴۶ (صبغية EMOSOMORHC) متخذة من خلية بالغين فى هذه البويضة و هذا ما يعرف: (بالازدراع النووى NOITATNALPSNART RAELCUN)، ثم تزرع البويضة داخل رحم الأنثى و يصبح الجنين المتكوّن نسخة من الشخص الذى وهب نواة الخلية العادية. و تتمثل الصعوبة الكبرى فى تحفيز البويضة للعمل و كأنها خضعت لعملية التلقيح فعلا بواسطة الحيوان المنوى و من ثم قيامها بعمليات انقسام كما لو أنها تحولت إلى جنين حديث «۱». (انظر الصورة رقم: ۱۳۷). كما أسلفنا القول فإن مادة الاستنساخ غير طبيعية و ذلك لأن المادة الأساسية للإخصاب استبعدت (نواة البويضة) و استبدلت بها مادة لم تخلق للإخصاب (نواة خلية بشرية). كما أن الطريقة غير طبيعية: فالبويضة المخصبة اصطناعيا تحتاج لتقنيات لحقرها على الانقسام و العمل و هى طريقة غير طبيعية، و قد تؤثر على تركيبة هذه الخلية. أضف إلى ذلك أن (الحامض النووى AND) لنواة الخلية العادية قد يحتوى على عيوب، و ذلك نتيجة تعرّض الخلية العادية أثناء حياة الإنسان إلى العديد من المؤثرات، كأشعة الشمس و السموم، و بسبب الأخطاء المتوقعة أثناء عملية تضاعف الحامض النووى فى دورة حياة هذه

الخلیة ».۲ (_____ ۱) لمزید من التفاصیل حول ظاهرة الازدراع النووی انظر کتاب: الوراثة الإنسانیة، ریکی لویس، ص ۵۲- ۵۳، و مجلة الإعجاز العلمی، العدد الحادی عشر ص ۳۰ و ۲) .GNINOLC/ LAIDEPOLCYCNE AIDEMITLUM REILLORG) مجلة الإعجاز العلمی، العدد الحادی عشر، ص ۳۲، و کتاب رحلة الإیمان فی جسم الإنسان للدکتور حامد أحمد حامد، ص ۴۳. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۶۲ (SC) و قد استعمل هذا الأسلوب علی الحیوانات فی أستراليا و الیابان و أمیرکا و بریطانیا و قد أصبح منتشرا إلی حد کبیر، و کلنا نعرف قصة النعجة «دولی» الشهیرة التی تعد أول حیوان استنسخ. و هکذا تعتبر هذه العملیة تغییرا فی خلق اللّه و ذلک من بدایة التخلق البشری. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۶۳ إن طریقة الازدراع النووی مباحة ضمن حدود الشرع فی عملیة بناء أنسجة مختلف أعضاء الجسم للأغراض الترمیمیة أو التأهیلیة لأنها تعید للشخص فاقد العضو إمکانیة تعویضه عن خسارته، و لکنها غیر مباحة لأن تحل محل سنة اللّه عزّ و جلّ فی التخلّق البشری (کالاستنساخ). فمن مقاصد الشریعة الإسلامیة حفظ النفس و النسل، و هذا یقتضی تجنید الطاقات للحفاظ علیهما، و استخدام طریقة الازدراع النووی لعلاج الأمراض (مثل: أمراض المخ و نخاع العظم و الکبد و الکلی) هی طریقة من الطرق المتاحة لحفظ النفس من العاهات التی تصیبه.

۲- العلاقات المحرمة و الأمراض الوراثیة التی تنتج عنها:

۱- آثار العلاقات المحرمة بالدم:

اشارة

۱- آثار العلاقات المحرمة بالدم: « قال اللّه تعالی: حُرِّمَتْ عَلَیْکُمْ أُمَّهاتُکُمْ وَ بَناتُکُمْ وَ أَخَواتُکُمْ وَ عَمّاتُکُمْ وَ خالاتُکُمْ وَ بَناتُ الْأَخِ وَ بَناتُ الْأُخْتِ وَ أُمَّهاتُکُمُ اللّاتِی أَرْضَعْنَکُمْ وَ أَخَواتُکُمْ مِنَ الرَّضاعَةِ [النساء: ۲۳]. إن أسباب التشوهات التی تصیب بعض الأجنة کثیرة: أحد هذه الأسباب هو: الزواج من الأقارب أو ما یسمی (بالکونسوغینیتی YTINIUGNASNOC). لذا أنزلت هذه الآیة التی وضعت الحد الأدنی لهذه العلاقات حتی لا یتأذی منها الإنسان، هذا بغض النظر عن العواقب الاجتماعیة و الدینیة الوخیمة التی قد ترافقها. فالزواج من الأقارب یظهر الصفات و الأمراض المنتحیة التی کانت غیر ظاهرة مما یؤدی إلی تشوهات قد تصیب الناتج الوراثی (أی المولود). هذه العواقب الوراثیة تتلخص بأن هناک احتمالات کبیرة بأن یحصل للناتج الوراثی (أی المولود) من تلک العلاقات المحرمة (مثل: أن یتزوج أمه أو أخته ...) تشوهات خطیرة تؤدی إلی إعاقته خلال باقی حیاته أو تؤدی إلی وفاته علی الفور. و هذا یحصل عند ما یتقاسم الوالدان مورثات غیر طبیعیة کما أکده الدکتور جولی سمبسون «۱» و قد قسم احتمالات إصابة المولود بتلک التشوهات عبر إیضاح نسب تقاسم المورثات (إذ إن نسبة تقاسم المورثات تؤدی إلی زیادة احتمال مشح المورثات غیر الطبیعیة) و قد قسم هذه الاحتمالات عبر جداول فحواها کالآتی: (_____ ۱) المؤتمر العلمی الإسلامی الدولی، الإعجاز العلمی فی القرآن، ۲۵/ ۹/ ۸۵ م. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۶۴

العلاقات ذات الدرجة الأولی

العلاقات ذات الدرجة الأولی طبیعة العلاقة نسب تقاسم المورثات بالمائة الآباء ۵۰ الأبناء ۵۰ الأخوة ۵۰

العلاقات ذات الدرجة الثانیة

العلاقات ذات الدرجة الثانیة طبیعة العلاقة نسب تقاسم المورثات بالمائة آباء الآباء ۲۵ أبناء الأبناء ۲۵ بنت الأخ أو بنت الأخت ۲۵

العلاقات ذات الدرجة الثالثة

العلاقات ذات الدرجة الثالثة طبیعة العلاقة نسب تقاسم المورثات بالمائة أبناء العم أو أبناء العمة ۱۲ أبناء الخال أو أبناء الخالة ۱۲ عمات الآباء ۱۲ و قد اعترف أنه لیس له إحصائیة دقیقة عن نسب التشوهات الخلقیة، و الوفیات الحاصلة من تلک العلاقات؛ ذلک أن الموضوع لم یدرس بالتفصیل من قبل علماء الوراثة، بید أنه یستطیع أن یعطینا فکرة عن الموضوع و ذلک بإبراز إحصائیات تدل علی مدی التشوهات الخلقیة الناتجة عن علاقات غیر محرّمة و لکن قریبة (علی سبیل المثال علاقات جنسیة بین أبناء العم) و الإحصائیات هی: نسبة التشوهات بالمائة عند آباء لیس/ عند آباء ذات/ البلد لهم صلة قرابة/ صلة قرابة (أبناء عم) ۸۱ ،۰ ۴۸، ۱/ الهند ۰،۰۲ ۱/ ۶۹، ۱/ الیابان ۵۸، ۱/ ۰،۰۳ ۲/ البرازیل ۰۴، ۱/ ۳۱، ۱/ ماليزيا إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۶۵

۲- العلاج الوقائی لأمراض العلاقات المحرمة:

۲- العلاج الوقائی لأمراض العلاقات المحرمة: حدیث: «و انظر فی أی نصاب تضع ولدک، فإن العرق دساس» [ذکره العجلونی ح ۷۱]. حدیث: «اغتربوا لا تضووا» [ذکره ابن قتیبة ح ۷۵]. حدیث: «لا تنکحوا القرابة القریبة فإن الولد یخلق ضاویا» [ذکره ابن حجر ح ۷۵]. إن الزواج من الأقارب یظهر الصفات و الأمراض الوراثیة المنتحیة منها (الأمراض التی بها خلل فی الأیض MSILOBATEM FO RORRE NROBNI) (الاستقلاب) مثل: (مرض ویلسون ESAESID S'NOSLIW)، و (مرض تیساک -SHCAS YAT)، و (البرص الوراثی MSINIBLA)، و (البول الأسود AIRUNOTEKLYNEHP)، و (مرض التلیّف SISORBIF CITSYC)، و عددها یزید عن مائة مرض معروف لدی الأطباء المختصین. هذه الأمراض لا تظهر- حسب قانون مندل- إلا إذا أخذ الجنین صفة مشترکة من الأبوین. و هذه الظاهرة أشار إلیها الحدیث: «انظر فی أی نصاب تضع ولدک، فإن العرق دساس» [ذکره العجلونی ح ۷۱]، فالصفات کانت غیر ظاهرة، و من ثم ظهرت من جراء التقاء الصفات المشترکة، و لذلک یدعونا الحدیث الشریف إلی النظر فی أی نصاب نضع نطفنا لئلا تظهر الصفات المدسوسة، و بالتالی أن نتجنب الزوج الذی یسبب ظهور الصفات المنتحیة غیر السلیمة (و نفهم منه أن نجتنب الزوج الذی یحمل صبغیات شبیهة). و بما أن المجتمع یحمل العدید من هذه الصفات المنتحیة فإن احتمال ظهور المرض فی الذریة ضعیف إذا کان الزواج من الأباعد و ذلک للاحتمال الضعیف أن تلتقی المورّثات الشبیهة لهذا المرض أو ذاک. و یشهد لهذه الظاهرة الحدیثان: «اغتربوا لا تضووا» [ذکره ابن قتیبة ح ۷۵]، و «لا تنکحوا القرابة القریبة فإن الولد یخلق ضاویا» [ذکره ابن حجر ح ۷۵]. جاء فی لسان العرب «۱»: «ضوا: ... و فی الحدیث: اغتربوا لا تضووا. أی تزوجوا فی البعاد الأنساب لا فی الأقارب لئلا تضوی أولادکم، و قیل: معناه انکحوا فی الغرائب دون القرائب ... و قیل: معناه تزوجوا فی الأجنبیات ... و معنی لا تضووا أی: لا تأتوا بأولاد ضاوین أی ضعفاء ... و منه لا تنکحوا القرابة القریبة فإن الولد یخلق ضاویا ... و قال: جاء عن القراء أنه قال: ضاوی ضعیف فاسد (_____ ...». ۱)

لسان العرب لابن منظور- مادة «ضوا»- (ج ۸/ ص ۱۰۳). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۶۶ و نشیر هنا إلی أن احتمال الإصابة بالأمراض یزید إذا کان الزواج من الأقارب و خصوصا إذا کانت علاقة الدم من الدرجة الأولی، لذلک حرم اللّه- سبحانه و تعالی- الزواج بین هؤلاء الأشخاص قائلا: حُرِّمَتْ عَلَیْکُمْ أُمَّهاتُکُمْ وَ بَناتُکُمْ وَ أَخَواتُکُمْ وَ عَمّاتُکُمْ وَ خالاتُکُمْ وَ بَناتُ الْأَخِ وَ بَناتُ الْأُخْتِ وَ أُمَّهاتُکُمُ اللّاتِی أَرْضَعْنَکُمْ وَ أَخَواتُکُمْ مِنَ الرَّضاعَةِ [النساء: ۲۳].

۳- دور الزنی فی إحداث الأمراض فی النسل:

۳- دور الزنی فی إحداث الأمراض فی النسل: « قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «لم تظهر الفاحشة فی قوم قط، حتی یعلنوا بها، إلا فشا فیهم الطاعون و الأوجاع التی لم تکن مضت فی أسلافهم الذین مضوا» [أخرجه ابن ماجة ح ۷۲]. فی المبحث السابق أتینا علی ذکر سبب من الأسباب التی تؤدی إلی تشوهات فی الجنین. و کما قلنا هناک العدید من الأسباب التی تؤدی إلیها، و من هذه الأسباب: العلاقات الجنسیة العدیدة المختلطة غیر المنظمة التی تؤدی إلی أمراض جنسیة. هذه الأمراض بدورها تؤدی إلی تشوهات جنینیة. لذا کان من الضروری أن یحذرنا الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم من هذه العلاقات، و یلقی الضوء علی أنها تظهر مشاکل نحن بغنی عنها. یفسر لنا الدکتور کیث مور هذه الظاهرة «۱» قائلا: «إن التشوهات التخلقیة قد تنتج من عوامل معدیة: فالعلاقات الجنسیة ذات الطابع المختلط قد ارتبطت منذ القدم (بمرض السیفیلیس SILIHPYS) و (مرض السیلان المخاطی AEHRRONOG) أو ما یسمی التعقیبة. فهناک ازدیاد مقلق للأمراض الزهریة التی لیس لها علاج فی الوقت الحاضر: منها (الهربس SEPREH)، و (مرض قصور المناعة المکتسب الإیدز SDIA) ... کما أن العلاقات المختلطة قد تؤدی (عند المرأة) إلی (تشوهات فی الجهاز التناسلی AISALPSYD LACIVREC) مع احتمال أن یکون المرض خبیثا. إن تطور هذه الأمراض مرتبط بمعدل الجماع مع کثرة الشرکاء». و هکذا یتبین لنا أن تعدد الشرکاء و الفاحشة یؤدی إلی أمراض زهریة، و هی بدورها تؤدی إلی تشوهات فی الجنین. علی سبیل المثال: فإن مرض الهربس یؤدی_____

(۱) کتاب الإنسان النامی مع زیادات إسلامیة، د. کیث مور، ص ۱۵۸ أ. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۶۷ إلی تشوهات عند الجنین مثل: (قصور فی نمو المخ YLAHPECORCIM)، و (صغر حجم کرة العین AIMLAHTHPORCIM)، و (تشوهات شبکیة العین AISALPSYD LANITER). إن مرض السفیلیس إن لم یعالج فی الحمل قد یؤدی فی أکثر الأحیان إلی تشوهات جنینیة خطیرة. إن میکروب السفیلیس (تریونما بالیدوم MUDILLAP AMENOPERT) قد یؤدی إلی صمم عند الجنین أو إلی (تضخم رأسه SULAHPECORDYH) أو إلی قصور عقلی مع تشوهات فی نمو الحنک و الأنف و الأسنان. و

الحدیث إن لم یکن إعجازا فی مجال تخلق الأجنة لأنه لا یشیر مباشرة إلی حدوث تشوهات جنینیة، إلا أنه یعتبر تحذیرا مثالیا للأمم من أن الأمراض و الأوجاع لن تستثنی أحدا، بما فیهم الأولاد و الأجنة، و ذلک لأن لفظ «قوم» جاء فی الحدیث، و هذا اللفظ عام یشمل جمیع أفراد المجتمع، غیر أن هذا الحدیث یعتبر إعجازا فی المجال الجنسی. فعلی سبیل المثال: إن الأیدز مرض جدید یحصد المجتمعات التی تتفشی فیها الرذیلة و لم یکن موجودا من قبل، فآخر المعلومات تشیر إلی أنه ظهر عام ۱۹۳۰ میلادیة لدی الإنسان «۱»، و عرفت أعراضه عام ۱۹۸۱ م، و من ثم اکتشف الفیروس المسبب له عام ۱۹۸۴ م، و فشا فی المجتمعات الإباحیة فی الآونة الأخیرة عند ما کثر الفساد، تماما کما جاء فی الحدیث الشریف: «لم تظهر الفاحشة فی قوم قط حتی یعلنوا بها إلا فشا فیهم الطاعون و الأوجاع التی لم تکن مضت فی أسلافهم الذین مضوا» [أخرجه ابن ماجة ح ۷۲].

۴- حالة استثنائیة للانحراف التخلقی:

۴- حالة استثنائیة للانحراف التخلقی: ٭ قال اللّه تعالی: ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَیْنِ فِی جَوْفِهِ ... [الأحزاب: ۴]. «إن الإبداع الطبی فی الإسلام نبع متجدد علی مدی الأزمنة، فبالرغم من الحالات النادرة للأطفال المعوّقین خلقیا استطاع العلماء تسجیلها مثل: زیادة أحد الأصابع، أو تلاحقها بالیدین، أو القدمین، أو ازدواج الأمعاء، أو الحالب، أو التحام جزئی أو کلیّ لتوأمین، أو ظهور فصّ زائد بالکبد، أو کلیة ثالثة، أو ظهور (_____ ۱) قالت الدکتور بیتی کویر کبیرة الباحثین فی (مختبر لوس ألاموس/ المکسیک الجدیدة OCIXEM WEN/ BAL LANOITAN SOMALA SOL): «إن المعطیات الحالیة تشیر إلی أن مرض الأیدز عند الفرود انتقل إلی الإنسان لیس أقل من سبعة عقود، و من المحتمل ما بین ۱۹۱۰ و ۱۹۵۰ م، مع أکثر الاحتمال فی زمن ۱۹۳۰ م». عن ۹/ ۵/ ۲۰۰۰، moc. cbnsm. WWW. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۶۸ بعض الزوائد فی نهایة العمود الفقری علی شکل ذیل ... أو تلک الحالات النادرة مثل: وجود میض متّحد مع خصیة، أو ملاحظة وجود أکیاس غریبة فی المبیض، أو الخصیة تحتوی علی بعض الأسنان أو الشعر و قد سجّلتها عدسات الکامیرات، أو الأشعة التشخیصیة، و طبعت علی شرائط الفیدیو لمناقشتها و دراستها علی أنها تشوهات غریبة یمکن أن یصاب بها الجنین. إلا أننا لم نلاحظ تسجیلا مکتوبا أو مصوّرا أو روایة منقولة شفهیة منذ بدء الخلیقة لطفل واحد مولود له قلبان مطلقا «۱» ... و ذلک تصدیقا لقوله تعالی (_____: ۱) و اللّه تعالی قادر علی أن یجعل فی الإنسان قلبین، و لکن أراد اللّه عزّ و جلّ أن یکون هنا لک سنّة کونیّة واحدة عامة و هی: أن یکون للإنسان قلب واحد، و لو وجد قلبان فی رجل لاختلف النظام الإنسانی. و قد یتخلّق جنین بقلبین، و لکنه ما یلبث أن یموت، و لن یعمّر طویلا حتی نستطیع أن نطلق علیه تسمیة «رجل». و قد یقول البعض: إن القلب المراد فی الآیة هو العقل، لأن العرب کانت ترمز إلی أن لفظ «القلب» یطلق علی العضو الذی هو محطّ الأحاسیس و الأفکار، و بالتالی هو العقل. فقد جاء فی تفسیر ابن کثیر- (ج ۳/ ص ۴۶۶): «و قد ذکر غیر واحد أن هذه الآیة نزلت فی رجل من قریش کان یقال له ذو القلبین، و أنه کان یزعم أن له قلبین کلّ منهما یعقل وافر، فأنزل اللّه تعالی هذه الآیة ردّا علیه». و جاء أیضا فی ابن کثیر- (ج ۳/ ص ۴۶۶): [عن ابن أبی طلیان أن أباه حدّثه] «قال: قلت لابن عباس أ رأیت قول اللّه تعالی: ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَیْنِ فِی جَوْفِهِ [الأحزاب: ۴] ما عنی بذلک؟ قال: قام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم یوما یصلی، فخطر خطرة، فقال المنافقون الذین یصلون معه: أ لا ترون له قلبین، قلبا معکم و قلبا معه، فأنزل اللّه: ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَیْنِ فِی جَوْفِهِ». و سواء أ کان المراد من لفظ «القلب» هو العقل أو القلب، فالنتیجة واحدة: لن یعمر اللّه جنینا له قلبان أو عقلان فی جسم واحد طویلا- حتی یکون رجلا- و قد یقول البعض: أن لیس المراد من الآیة هو أن تنفی أن یکون لرجل قلبان، و لکن المراد هو أن تنفی أن یکون للرجل اعتقادان متغایران کما جاء فی تفسیر القرطبی- (ج ۱۴/ ص ۱۱۷): «فالمعنی لا یجتمع اعتقادان متغایران فی قلب»، و أنها ترمی إلی معنی مجازی، نقول- و باللّه التوفیق-: إن سیاق الآیة لا یشیر إلی ذلک، فالنص القرآنی: ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَیْنِ فِی جَوْفِهِ وَ ما جَعَلَ أَزْواجَکُمُ اللَّائِی تُظاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهاتِکُمْ وَ ما جَعَلَ أَدْعِیاءَکُمْ أَبْناءَکُمْ ذلِکُمْ قَوْلُکُمْ بِأَفْواهِکُمْ وَ اللَّهُ یَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ یَهْدِی السَّبِیلَ (۴) ادْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ... [الأحزاب: ۴- ۵] یشیر إلی أن اللّه تعالی ینکر أن یزیغ المؤمنون عن السنن الکونیة التی وضعها، و أن یعارضوا الطبیعة التی خلقها اللّه تعالی، فاللّه عزّ و جلّ لا یرضی أن نعتبر أزواجنا أمهاتنا کما کانت تفعل العرب فی الجاهلیة (و هو معنی الظهار الذی جاء فی قوله تعالی: وَ ما جَعَلَ أَزْواجَکُمُ اللَّائِی تُظاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهاتِکُمْ [الأحزاب: ۴])، لأنهن أصلا لسن کذلک. کذلک فهو لا یرضی أن ننسب الطفل للرجل الذی تبنّاه، و لکن لوالده الأصلی. فاللّه تعالی هو الذی قد خلق الخلق، و هو الذی سنّ الشرع، و علی الشرع أن یوافق الخلق، و علی الخلق أن ینتظم کما تملیه نظم الطبیعة. کذلک نفهم من سیاق النص القرآنی أنه یعالج أمورا حسّیة کادعاء العرب أن الأطفال الذین یعتنون بهم أولادهم، و اعتبار أزواجهم أمهاتهم، و بالتالی فأولی أن نختار التفسیر الذی یشیر إلی شیء حسّی یحصل للإنسان (أن الإنسان له عقل أو قلب واحد) بدلا من أن نختار أمرا معنویا (أن یکون للإنسان اعتقاد واحد). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۶۹ ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَیْنِ فِی جَوْفِهِ ... [الأحزاب: ۴] مخالفین بذلک التفسیر المعنوی لهذه الآیة لأننا نجدها معجزة علمیة ینبغی تفسیرها علی هذا النحو، و ربما یحمل معناها أکثر من تفسیر، و لکننا نحاول الاجتهاد المنطقی الموضوعی لإظهار مدی الإبداع الطبی الإسلامی، دون أن نحمل الآیة أو نؤولها بدلیل أن العلماء و خبراء علم الأجنة لا یوجد لدیهم أی دلیل علی وجود مثل هذا المخلوق الذی یمتلک قلبین فی جوفه و لن یکون له وجود حتی قیام الساعة لأن الحقائق القرآنیة حق و یقین و صدق» «۱».

۵- الانحراف التخلقی و تأثیره علی النسل:

۵- الانحراف التخلقی و تأثیره علی النسل: ٭ قال صلّی اللّه علیه و سلّم: «ما جعل اللّه لمسخ نسلا و لا عقبا» [أخرجه مسلم ح ۷۳]. المسخ کما نعرف هو مخلوق ذو تشوهات خلقیة خطیرة تؤثر علی الشکل الظاهری و الداخلی للإنسان. و قد أثبت العلم بأن الأجنة التی تولد ممسوخة، إما أن تولد میتة، و إما أن تعیش لبضعة أیام ثم تموت فلا ینشأ لها نسل. أما إذا کانت الإصابة أقل خطرا فقد ینتج عنها عاهات خطیرة تمنعها من أن تتناسل. یفسر لنا الدکتور مور «۲» أسباب عدم المقدرة علی التناسل قائلا: «إن التشوهات الخطیرة تؤثر فی أکثر الأوقات علی الجهاز العصبی المرکزی و علی الجهاز الأصم، العاملان الأساسیان للتناسل العادی». أما فی حالات التخنیث ففی هذه الحالات یکون الجنس لا- ذکرا و لا- أنثی خالصا، و إن مال إلی أحد الطرفین، و لا نستطیع أن نعتبر أن أصحاب تلک الحالات الشاذة من الممسوخین لأن إصاباتهم غیر بلیغة حتی یصنفوا من الممسوخین. علی کل الأحوال فإن الجهاز التناسلی لهؤلاء لا ینشأ و لا ینمو سلیما و یکون بذلک غیر صالح للعمل. (_____ ۱) کتاب الطب الإسلامی، مختار سالم، ص ۴۷۶. (۲) کتاب الإنسان النامی مع زیادات إسلامیة، د. کیث مور، ص ۱۵۸ أ. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۷۰

تعریف الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة و الأسس التی یرتکز علیها

اشارة

تعریف الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة و الأسس التی یرتکز علیها من المسلّم به فی نحو هذا البحث أن نعرّف المصطلحات، فلا بد من أن نعرّف معنی الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، ثمّ نقعّد بعدها بعض قواعد و أسس یمکن للعلماء المسلمین و العلماء الکونیین اعتمادها فی أبحاثهم المتعلقة بهذا المجال، فتکون اجتهاداتهم منضبطة فی بیان الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، فتثمر جهودهم أبحاثا موضوعیة تأبی بهم عن الاستطراد و المیل النفسی لتثبیت وجهة نظرهم الخاصة.

آراء العلماء فی التفسیر العلمی (التجریبی) للقرآن و السنة:

آراء العلماء فی التفسیر العلمی (التجریبی) للقرآن و السنة: ذهب فریق من العلماء إلی منع تفسیر الآیات القرآنیة علی ضوء الإعجاز العلمی، لأنه یری فی هذا تعسّفا فی تفسیر القرآن، ولیّا لأعناق النصوص لتوافق النظریات العلمیة المستجدة، و رأوا أن هذا المجال متروک للعقل البشری؛ یجرب فیه فیصیب حینا و یخطئ حینا آخر، و حجتهم أن القرآن الکریم کتاب لم یقصد فیه البحث التجریبی فی منهجه أساسا، و إنما هو کتاب أنزل لمحض الهدایة، بما تضمنه من عقائد، و أحکام، و مثل خلقیة، و مواعظ، و لیکون سبیلا للتعبد للّه فی رحلة الحیاة، و صرحوا بأن النظریات العلمیة الحدیثة و التی تعتبر فی عصرنا مسلّمات بدهیة قد تتغیر فی زمان لاحق، مما ینسب فی اضطراب فی تفسیر الآیات القرآنیة، و قد یحدث تبدّلا فی فهم الآیات فیما بعد، مما یزعزع العقیدة فی قلوب الناس. و فی الجانب الآخر نری بعض العلماء یمیلون إلی الإفراط فی تفسیر الآیات وفق المناهج العلمیة الحدیثة، حتی إنهم قد أخضعوا بعض الآیات القرآنیة إلی التأویل البعید، بل المذموم، لکی یطابق البحث العلمی، مما یعدّ جنوحا- فی نظری- عن الدقة الموضوعیة فی البحث العلمی، الذی سعوا لأجله. و قد یکون من الصواب تقریر أن کون القرآن کتاب هدایة للبشر، و لیس کتاب علم کونی، لا ینفی أن یکون متضمّنا لأدوات و وسائل هدایة دعائمها العلم الکونی، فالهدایة قد تکون بالأحکام الشرعیة، کما تکون بالدعوة للتفکر و التأمل فی بدیع صنع اللّه، و بالتالی فمن الصواب تقریر أن القرآن قد أشار إلی بعض الظواهر الکونیة إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۷۱ الکبری، و دعا المفکرین الباحثین إلی مزید دراسة لها، و اعتبار بها، لتکون إحدی الطرق الدالة علی الإیمان باللّه عزّ و جلّ. و لعله یحسن فی هذا المقام إیراد قوله تعالی: أَ وَ لَمْ یَرَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ کانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ کُلَّ شَیْءٍ حَیٍّ أَ فَلا یُؤْمِنُونَ (۳۰) [الأنبیاء: ۳۰]، فکما لا یخفی فإن الآیة الکریمة تدعو الکفار إلی الإیمان و ذلک عبر الإخبار عن واقعة کونیة- نشأة الکون- تدل علی عظیم قدرة اللّه لم یکونوا یعرفونها فی عهد التنزیل، فیتحققون من صدق الرسالة عبر مطابقة ما ستول إلیه علومهم بما أشارت إلیه الآیة القرآنیة. و کذلک قوله تعالی: یا أَیُّهَا النَّاسُ إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْناکُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَیْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَیِّنَ لَکُمْ وَ نُقِرُّ فِی الْأَرْحامِ ما نَشاءُ إِلی أَجَلٍ مُسَمًّی [الحج: ۵]، فإنا نری أن الآیة تدعونا إلی الإیمان بیوم البعث، و ذلک عبر تبیان مراحل تخلّق الجنین تفصیلا، و الاعتبار بأن القادر علی خلق الإنسان بهذه المراحل، هو قادر علی أن یعید خلقه مرة أخری، و الأمثلة فی هذا الباب عدیدة ... فالواقع أن الإعجاز العلمی هو إحدی طرق

الهدایة التی اعتمدها القرآن الکریم، و لیس بابا للتکلّف. و من الجدیر بالذکر أن الفریق الذی یعارض تفسیر الآیات القرآنیة علی ضوء الإعجاز العلمی مخافة أن یحصل تغییر فی المسائل العلمیة فی زمان لاحق، و بالتالی تبدّل فی فهم الآیات القرآنیة، لم یفرّق بین النظریات و الحقائق العلمیة. و قد توصّل العلم فی کثیر من جوانبه إلی إلقاء الضوء علی مسائل علمیة لا تنکر و لن تتبدّل إلا بإذن اللّه تعالی، و تعتبر حقائق علمیة. و هناک من الآیات ما هو قطعی الدلالة، و بالتالی فمن الصواب أن نفرّق بین النظریات العلمیة و الحقائق العلمیة فی مجال الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، و من الإنصاف أن نجیز تفسیر الآیات وفق المعطیات العلمیة الصحیحة. و لیس لنا أن نتحدث عن إعجاز القرآن الکریم من غیر ضوابط، لذا اعتمدت فی هذا البحث علی النصوص القرآنیة قطعیة الثبوت و الحدیثیة المتواترة و المقبولة (أو الضعیفة المنضبطة)، مع الاعتماد علی النصوص التی لا تنزل عن غلبة الظن دلالة. و البحث العلمی ممتد و فیه نظریات و حقائق، فما أدرانا أنّ ما نتحدث عنه- فی مجال البحوث التجریبیة- هو نظریة علمیة أو حقیقة علمیة؟!، فقد أخطأ کثیر من العلماء المسلمین فی تفسیر بعض إعجازات القرآن الکریم، و علی سبیل المثال: فقد سارع بعض العلماء بالجزم بأن الحیض یحتوی علی مواد سامة لأن اللّه قال فی إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۷۲ محکم آیاته: قُلْ هُوَ أَذیً ... [البقرة: ۲۲۲]و لأن العالم الغربی قد أکد ذلک. و الحقیقة أنه لا یحتوی أصالة علی مواد سامة ... کما مرّ فی طیّات هذا البحث «۱». و خلاصة ذلک: أن الواجب علی أهل البحث العلمی- الشرعی و التجریبی- هو سلوک طریق العدل و الموضوعیة فی ذلک، لا أن نجمد عند النصوص دون تدبر لها، و لا أن نتسرع فی تقریر مطابقة نظریاتنا العلمیة للنصوص الشرعیة، فتتبدل النظریات یوما، و نقع فی مصادمة حقیقة علمیة لتفسیر متکلّف سابق لا یحتمله النص الشرعی. لذا فإنه یتعین علینا اعتماد أسلوب نضع من خلاله أسسا و ضوابط تمنع أیّ إفراط فی ذلک أو تفریط.

تعریف الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة:

اشارة

تعریف الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة: الإعجاز لغة من أعجز یعجز، و هو إثبات العجز الذی هو: «نقیض الحزم ... و معنی الإعجاز: الفوت و السبق» «۲». فالإعجاز هو الإعلام بعجز البشر عن معرفة حقائق مشار إلیها. و وصف الإعجاز هنا بأنه علمی هو نسبة إلی العلم. و العلم: هو إدراک الأشیاء علی حقائقها، أو هو صفة ینکشف بها المطلوب انکشافا تاما «۳»، و المقصود بالعلم فی هذا المقام: العلم التجریبی. و الإعجاز العلمی: هو إشارة إلی حقائق علمیة یعجز الناس فی حینها عن معرفتها. فائدة: قد یخلط البعض بین مفهومی الإعجاز و المعجزة؛ فالإعجاز: إشارة من نص شرعی لحقیقة علمیة عجزت العقول عن إدراکها فی زمن نزوله، و المعجزة أمر خارق للعادة مشاهد للعیان، عجز الناس عن الإتیان بمثله فی زمن وقوعه و بعد ذلک.

(_____ ۱) انظر (ص ۲۰۱- ۲۰۳). ملاحظة: و یلاحظ أن التطابق بین مدلول الآیة القرآنیة أو الحدیث النبوی و بین الحقائق العلمیة التجریبیة، إنما هو نتیجة لجهد و اجتهاد شخصی من بعض العلماء، و الواجب علی کل منهم أن ینسب هذا التطابق أو الإیماء إلی نفسه (إن لم یکن هناک إجماع علی هذا التطابق)، و ذلک بأن یقول: أری أن الآیة أو الحدیث یدل علی کذا أو یرشد إلی کذا. فإذا تبین فیما بعد أن التطابق الذی تحدث عنه العالم غیر صحیح، رجع الخطأ علی من استدل به، لا علی آیات اللّه أو أحادیث رسوله صلّی اللّه علیه و سلّم. (۲) لسان العرب لابن منظور- مادة «عجز»- (ج ۹/ ص ۵۷- ۵۸). (۳) راجع الراغب الأصفهانی- المفردات- ص ۳۴۳، و الشوکانی: إرشاد الفحول- ص ۴. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۷۳ أما حصر هذا الإعجاز فی مجال القرآن و السنة فهو یدلّ علی أن الوعاء الذی تستقی منه الحقائق هو القرآن الکریم و السنة الشریفة. و علیه فإن الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة هو: إخبار القرآن الکریم أو السنة النبویة الشریفة بحقائق علمیة ثابتة قد انکشفت انکشافا تاما بواسطة العلم التجریبی، و التی ثبت عدم إمکانیة إدراکها بالوسائل البشریة فی زمن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم، أو فی الأزمنة التی سبقت عصر النبوة. و فی مصطلحنا، الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة هو: مطابقة معان کثیرة و متوافرة، صریحة فی دلالتها، من الکتاب و السنة، لحقائق علمیة، غیر معلومة زمن التنزیل، و لا تدرک إلا بالتجربة أو وسائل مادیة، لتثبت صدق الرسالة التی جاء بها النبی محمد صلّی اللّه علیه و سلّم من عند اللّه عزّ و جلّ. و لعل المناسبة بین التعریف اللغوی و التعریف الاصطلاحی هی: أن اللّه تعالی قد وضع فی کتابه العزیز معان للقرآن الکریم تتوافق مع حقائق العلم الکونی التجریبی، غیر معلومة للبشر فی عصر من العصور السابقة، بحیث تسبق قدراتهم العلمیة فی حینها، و یفوتهم إدراکها إلا بعد مرور فترة من الزمان، و ذلک لتثبت الحجة علیهم بأنهم قاصرون عن معرفتها، فتقام علیهم الحجة بأن الذی وضعها هو الذی یعلم غیبیات الخلق فی الدنیا فیثبت عجزهم عن إدراک غیبیات الخلق من أمور الآخرة، فیتعین علیهم الإیمان بما أخبر به من ذلک، و اللّه أعلم. و أما الأسس و القواعد التی تضبط هذا الباب فنستوحیها من التعریف السابق ذکره و نشرحها علی الوجه الآتی:

شرح التعریف:

- قولنا (مطابقة):

- قولنا (مطابقة): و کلمة «مطابقة» تعود للجذر «طبق»، و هو یعنی تغطیة الشیء من قبل شیء آخر یوضع علیه. جاء فی معجم مقاییس اللغة «۱»: «طبق: الطاء و الباء و القاف أصل صحیح واحد، و هو یدلّ علی وضع شیء مبسوط علی مثله حتی یغطّیه».

(_____ ۱) مقاییس اللغة لابن فارس- مادة «طبق»- (ج ۳/ ص ۴۳۹). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۷۴ و هذا یعنی أن عملیة المطابقة ترتکز علی عنصرین أساسیین: * المطابق. * و المطابق علیه. و قد یکون التطابق معنویا أو ماديا. فإن کان ماديا وجب تغطیة الحدود المجسمة للمطابق علیه من جمیع جوانبه من قبل المطابق. و إن کان معنویا وجب ملازمة معنی الشیء، و هذا یقتضی الموافقة بین معنی المطابق و معنی المطابق علیه. و لذا نری أنه جاء فی لسان العرب «۱»: «و تطابق الشیئان: تساویا. و المطابقة: الموافقة. و التطابق: الاتفاق». و فی سیاق الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، المطابق هو النص الشرعی و المطابق هو الحقیقة العلمیة، و بالتالی فإن بحثنا یدخل فی المجال المعنوی، و هذا یعنی أن التطابق بینهما یکون بعرض صفات الحقیقة العلمیة الثابتة علی دلالة النص الشرعی القطعی، فإن وافقت صفات الحقیقة العلمیة دلالة النص الشرعی طابقته. و المطابقة تقتضی أیضا تلازم صفات الموصوف العلمی مع مضمون النص الشرعی ملاءمة تامّة من حیث السیاق و من حیث المعنی، کما تدلّ علیه اللغة العربیة، لغة القرآن و السنّة. و إذا فقد هذا الشرط الأساسی أصبح الموضوع المعالج تأویلا محتملا للنص الشرعی و ذلک غیر محمود، لأنه لا یعبر عن حقیقة الدلالة التی یشیر إلیها النص، و بذلک تکون قد حمّلناه ما لا یحتمل. فلا یصح- علی سبیل المثال- أن نقول: إن الآیة الکریمة: لَا الشَّمْسُ یَنْبَغِی لَهَا أَنْ تُدْرِکَ الْقَمَرَ وَ لَا اللَّیْلُ سابِقُ النَّهارِ وَ کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ [یس: ۴۰] تتحدّث عن إعجاز علمی فی مجال علم الأجنّة إذا طابقنا معناها علی الأحداث التی تجری فی الرحم، لأن سیاق الآیة یتکلم یقینا عن سمة فلکیة محدّدة و ظنا عن ظاهرة کونیة عامة، و بالتالی فهی غیر مطابقة للإعجاز فی مجال علم الأجنة، غیر أنّه یجوز (_____ ۱) لسان العرب لابن منظور- مادة «طبق»- (ج ۸/ ص ۱۲۰). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۷۵ الاتعاظ بها عموما علی أنها تلفت إلی أن البارئ عزّ و جلّ جعل الدوران سمة عامة لتسبیح المخلوقات الکونیة فی الغالب کما نری «۱».

- قولنا (معان کثیرة و متوافرة):

- قولنا (معان کثیرة و متوافرة): معان: جمع معنی، و المعنی هو المفهوم من لفظ مستعمل، و هو یستخرج من لفظ یدلّ علیه. فاللفظ إذن دالّ علی المعنی، کما أن المعنی هو مدلول اللفظ. و المعنی- فی هذا المقام- هو: المفهوم من اللفظ الذی ورد فی نصوص القرآن و الحدیث الشریف، و علیه أن یطابق حقیقة علمیة کما أسلفنا ذکره، و هذا یعنی أن هناک حقیقة علمیة ترافق کل معنی ورد فی مجال الإعجاز العلمی. و هذه المعانی- أی هذه الإشارات إلی الحقائق العلمیة- علیها أن تکون کثیرة و متوافرة فی النصوص الشرعیة لیتم الإعجاز، و إلا- فهناک احتمال أن یحکم علیها بعض القرّاء بأنها أتت علی سبیل الصدفة. و کلما ازدادت وفرة هذه الإشارات قلّ الاحتمال أن تأتی مصادفة، و ذلک لأن الاحتمال أن تتکرر مصادفة یتضاءل عکسیا مع کثرة الوقوع کما نعلم فی (علم الإحصاء SCITSITATS). کذلک فإن احتمال وقوع المصادفة فی المعرفة لأمور غیبیة یقلّ مع کثرة التکرر لأن معرفة أمور غیبیة تتناسب عکسیا مع القدرة البشریة نظرا لسعتها المحدودة، و ذلک أن الطبیعة البشریة تعجز شیئا فشیئا عن الإحاطة بأکثر مما حولها من غیبیات- کلما ازدادت- هذا إن استطاعت أن تکتشفها- و خاصة إذا توجبت قدرة خارقة علی معرفتها، و اتعدمت الوسائل التی تتیح اکتشافها. أضف إلی ذلک أنه کلما تشعبت هذه الإشارات الإعجازیة فی کلّ اتجاه ازداد الإعجاز قوّة، و ذلک أن التحدث عن أمور دقیقة فی أکثر من مجال یتطلب- فیما یتطلب- عدة اختصاصات فی عدّة أنواع من العلوم لدی شعوب البعثة (و هذه العلوم لم تکن متوفرة إبان التنزیل)، و هذا أیضا یتناسب عکسیا مع القدرة البشریة. و یکون الإعجاز أضخم إذا کشف الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم عن کثیر من الجوانب لکل من الظواهر الکونیة الذی تناولها کلّ علی حده، حتی إذا جمعنا کل المعانی التی وردت فی نصوص

(_____ ۱) لمزید من التفاصیل الرجاء مراجعة مبحث «هجرة النطفة من المستودع إلی الرحم». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۷۶ القرآن و السنة عن العدید من الظواهر الکونیة الغیبیة، و عن العدید من صفات کل من هذه الظواهر الکونیة، أصبح لدینا مجموعة هائلة من الکشوفات الإعجازیة، تشکل مجموعة متواترة قطعیة الدلالة فی مجموعها، علی أنه لا یستطیع رجل واحد أمیّ أن یتکلم بها أمام شعوب عجزت لمئات من السنین عن الإتیان بقلیل منها إلا إذا أیّده اللّه تعالی من عنده. و بما أنه لیس من غرض هذا البحث التکلم بتفصیل عن کل هذه الکشوفات و المعانی، نکتفی بالإشارة إلی القلیل من الإعجازات العلمیة الکبیرة و المهمة التی تکلم عنها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، أو عن بعض المجالات العلمیة التی أوجد فیها الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم- بإعلام اللّه تعالی- إعجازات علمیة عدیدة، حتی یتسنی للقارئ أن یأخذ فکرة عن ضخامة الإعجاز. و من أراد الاطلاع علیها تفصیلا فیستطیع أن یقرأ عنها فی العدید من کتب العلماء الأثبات الموجودة فی المکتبات.

و من الإعجازات العلمیة فی القرآن و السنة:

و من الاعجازات العلمیة فی القرآن و السنة: ۱- فی مجال (علم تخلق الجنین YGOLOYRBME): إن الأعضاء الأساسیة فی الجنین تتخلق خلال أربعین یوما کما یشیر إلیه الحدیث الشریف: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و هو الصّادق المصدوق: «إنّ أحدکم یجمع خلقه فی بطن أمّه أربعین یوما، ثمّ یکون فی ذلک علقة مثل ذلک، ثمّ یکون فی ذلک مضغة مثل ذلک، ثمّ یرسل الملک فینفخ فیه الرّوح و یؤمر بأربع کلمات» [أخرجه مسلم ح ۴۳]. ۲- فی مجال (علم الرضاعة GNIDEEF TSAERB): إن هناک قنوات صغارا یسیل فیها اللبن فی ثدی الأم للحدیث: «لا یحرّم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء فی الثدی و کان قبل الفطام» [أخرجه الترمذی ح ۵۶]. ۳- فی مجال (علم الوراثة SCITENEG): إن هناک مورثات مسیطرة و مورثات متنحیة للحدیث: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «إنّ ماء الرّجل غلیظ أبیض، و ماء المرأة رقیق أصفر، فمن أیّهما علا أو سبق یکون منه الشّبه» [أخرجه مسلم ح ۶۷]. ۴- فی مجال (علم البحار YGOLONAECO): إن هناک تیارات باطنیة فی البحار تحدث أمواجا داخلیة کما فی الآیة: أَوْ کَظُلُماتٍ فِی بَحْرٍ لُجِّیٍّ یَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ یَدَهُ لَمْ یَکَدْ یَراها وَ مَنْ لَمْ یَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ [النور: ۴۰]. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۷۷ ۵- فی مجال (علم الجیولوجیا YGOLOEG): إن الجبال بمثابة تثبیت للقشرة الأرضیة کما تشیر إلیه الآیة الکریمة: وَ أَلْقی فِی الْأَرْضِ رَواسِیَ أَنْ تَمِیدَ بِکُمْ وَ أَنْهاراً وَ سُبُلًا لَعَلَّکُمْ تَهْتَدُونَ [النحل: ۱۵]. ۶- فی مجال (علم المیکروب YGOLOIBORCIM): إن هناک نسمة- أی بکتیریا- تنقل الأمراض عبر الهواء کما أشار إلیه الحدیث: عن جابر بن عبد اللّه رضی اللّه عنه قال: سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم یقول: «غطّوا الإناء و أوکوا السّقاء فإنّ فی السّنة لیلة ینزل فیها وباء لا یمرّ بإناء لیس علیه غطاء أو سقاء لیس علیه وکاء إلّا نزل فیه من ذلک الوباء» [أخرجه مسلم ح ۷۹]. ۷- فی مجال (علم الفلک YMONORTSA): إن ضغط الهواء یتضاءل شیئا فشیئا کلما صعدنا فی السماء کما جاء فی الآیة الکریمة: فَمَنْ یُرِدِ اللَّهُ أَنْ یَهْدِیَهُ یَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَ مَنْ یُرِدْ أَنْ یُضِلَّهُ یَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَیِّقاً حَرَجاً کَأَنَّما یَصَّعَّدُ فِی السَّماءِ کَذلِکَ یَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَی الَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ [الأنعام: ۱۲۵]. ۸- فی مجال (علم التیزOLOCE YG): إن الذبابة تحمل فی أحد جناحیها الداء، و فی الجناح الآخر المادة المضادة لهذا الداء للحدیث الذی رواه أبو هریرة رضی اللّه عنه: قال النّبی صلّی اللّه علیه و سلّم: «إذا وقع الذّباب فی شراب أحدکم فلیغمسه ثمّ لینزعه فإنّ فی إحدی جناحیه داء و الأخری شفاء» [أخرجه البخاری ح ۹۹]. ۹- فی مجال (العلم الباطنی ENICEDEM LANRETNI): إن سائر أعضاء الجسد تساهم و تتفاعل و تتکاتف فی الدفاع عن الجسم إذا ما أصیب بمرض للحدیث: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «ترى المؤمنین فی تراحمهم و توادّهم و تعاطفهم کمثل الجسد إذا اشتکی عضوا تداعی له سائر جسده بالسّهر و الحمّی» [أخرجه البخاری ح ۱۰۰]. ۱۰- فی مجال (علم النفس YGOLOHCYSP): إن مقدم الرأس هو المسئول عن التحکم فی الأفکار کما تشیر إلیه الآیة الکریمة: ناصِیَةٍ کاذِبَةٍ خاطِئَةٍ [العلق: ۱۶]. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۷۸

- قولنا (معان ... صریحة فی دلالتها):

- قولنا (معان ... صریحة فی دلالتها): کما أشرنا إلیه سابقا فإن المعنی هو المفهوم من لفظ مستعمل. و اللفظ یأتی فی جملة مرکبة، و هو یعود لجذر محدد، و لهذا الجذر کثیر من التفریعات، و قد تکون لتلک التفریعات معان مختلفة فی أحیان، و متفقة فی أحیان أخری. و بما أن معانی اللفظ الواحد قد تکون متعددة، و قد یکون اختلافها بیّنا، فیتوجّب عندها إیجاد ضابط للاتقاء من هذه المعانی. و الضابط فی هذا المجال هو معنی جذر الکلمة المعتبرة. لذا فإن جذر الکلمة هو قطب الرّحی الذی یترتب علیه فهم معنی أیّ فرع من فروع تلک الکلمة. و المعتبر فی معانی الفروع أن تکون لها صفة مشترکة علی الأقل مع معنی جذر الکلمة الأم. و بذلک تصبح معانی النصوص الشرعیة المعتبرة التی یشار إلیها واضحة و منضبطة «۱». (_____ ۱) دونک أمثلة عن ارتباط بعض الکلمات بجذرها، فعلی سبیل المثال: فإن جذر کلمة «مضغة» التی جاءت فی الآیة فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً [المؤمنون: ۱۴]، هو: «مضغ» و معناه لاک. جاء فی معجم مقاییس اللغة لابن فارس (مادة «مضغ»- ج ۵/ ص ۳۳۱): «مضغ: المیم و الضاد و الغین أصل صحیح، و هو المضغ للطعام، و مضغه یمضغه، و المضاغ: الطعام یمضغ ... و المضغة: قطعة لحم، لأنّها کالقطعة التی تؤخذ فتمضغ ...». و المضغة فی اللغة العربیة تشیر فی بعض معانیها إلی الشیء الصغیر (انظر مبحث «المضغة»). و فی هذه الحالة فإن الصفة الجامعة للمعنیین السابق ذکرهما، أی بین معنی جذر الکلمة و معنی الکلمة الفرع، هی الصّغر، و ذلک أن المادة التی تمضغها الأسنان لا بد أن تکون صغیرة، فالفم یعجز عن أکل قطعة کبیرة. و من الأمثلة التی نستعرضها أیضا معنی کلمة «علقة»، التی جاءت فی الآیة: ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً [المؤمنون: ۱۴]، فجذر کلمة علقة هو فعل «علق» و هو یعنی أن یناط الشیء بالشیء العالی أی: أن یلتصق به. (مقاییس اللغة لابن فارس- مادة «علق»- ج ۴/ ص ۱۲۵). جاء فی معجم مقاییس اللغة العربیة لابن فارس (مادة «علق»- ج ۴/ ص ۱۲۵- ۱۲۶): «علق: العین و اللام و القاف أصل کبیر صحیح یرجع إلی معنی واحد، و هو أن یناط الشّیء بالشیء العالی، ثم یتّسع الکلام فیه، و المرجع کله إلی الأصل الذی ذکرناه ... و العلق: الدم الجامد، و قیاسه صحیح، لأنّه یعلق بالشیء ... و من الباب: العلقة: دویبة تکون فی الماء»، و الإناطة- (کما جاء فی معجم- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۷۹ کذلک فمن الأهمیة بمکان انسجام جمیع معانی اللفظ الذی یشیر إلیه الباحث فی مجال الإعجاز العلمی مع سیاق النص الشرعی، و ثوابت الشریعة الإسلامیة، و مفهوم النص العام، و کذلک مع مفهوم العلم الکونی الیقینی، بحیث تؤدی مفهوما متوافقا مع النقل و العقل. و قد یسأل القارئ: ما الداعی إلی هذه التعددیة؟ ألا یجعل ذلک الأمر معقّدا علی الباحث فی الإعجاز؟ و الجواب- و باللّه التوفیق-: هو أن من أوجه الإعجاز البیانی فی القرآن الکریم و الأحادیث الشریفة، أن الخطاب الشرعی موجه فی کل الأزمنة لکل المجتمعات، و بالتالی فإنه یتضمن أکثر من معنی فی بعض الأحیان، فیتلاءم مع کل الطبقات، و یتدبره السامع علی اختلاف منزلته العقلیة. و إن ذلک- لا شک- کما یصدق فی النص القرآنی، فإنه یصدق کذلک فی کلام النبی صلّی اللّه علیه و سلّم القائل: «بعثت بجوامع الکلم» [أخرجه البخاری ح ۱۳] «۱». - _____ مقاییس اللغة لابن فارس- مادة «نوط»- ج ۵/ ص ۳۷۰)-: «نوط: النون و الواو و الطاء أصل صحیح یدلّ علی تعلیق شیء بشیء». و کلمة العلقة فی اللغة العربیة لها عدة معان منها: قطعة الدم الرطبة أو الجامدة أو الحمراء. و منها: الدودة التی تعیش فی البرک و تتغذی من دماء الحیوانات الأخری (انظر مبحث «العلقة»). و الصفة التی تجمع بین الالتصاق و دودة العلقة، أی بین معنی الجذر و معنی الفرع، هو أن هذه الدودة تحتاج إلی الالتصاق بالدواب لکی تمتص دماءها، و الصفة التی تجمع بین الالتصاق و قطعة الدم الحمراء الرطبة و الجامدة هی: أن قطعة الدم تلتصق لرطوبتها بجلد الإنسان، و من الأفضل أن تکون جامدة و إلا لسالت علی الجلد، و بطبیعة الأمر فإنها حمراء. و کذلک کلمة «تغیض» التی وردت فی الآیة: اللَّهُ یَعْلَمُ ما تَحْمِلُ کُلُّ أُنْثی وَ ما تَغِیضُ الْأَرْحامُ وَ ما تَزْدادُ وَ کُلُّ شَیْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ [الرعد: ۸]، تأتی من فعل «غاض» و معناه: نقص. (مقاییس اللغة لابن فارس- مادة «غیض»- ج ۴/ ص ۴۰۵). جاء فی معجم مقاییس اللغة لابن فارس (مادة «غیض»- ج ۴/ ص ۴۰۵): «غیض: الغین و الیاء و الضاد أصل یدلّ علی نقصان فی شیء، و غموض و قلّة». و من معانی کلمة «غاض» أیضا: دخل فی ... (معجم مقاییس اللغة لابن فارس- مادة «غیض»- ج ۴/ ص ۴۰۵). (انظر مبحثی «ازدیاد الأرحام و غیضها»، و «غیض النطفة فی الرحم و استقرارها»). و وجه الشبه بین المعنیین هو: أن نقصان الشیء فی بعض الحالات یستوجب و لوجه داخل جسم شیء آخر، مثل: نقصان ماء البحیرة: فنقصانها یکون إما بتبخر مائها و إما بولوجه باطن الأرض. و الأمثلة عن معانی الألفاظ عدیدة، نترک للقارئ استکشافها من خلال استعراضه لمعانی الکلمات المدرجة فی هذا الکتاب. (۱) انظر مبحث «المنهجیة المتبعة فی وصف الأطوار الجنینیة»، إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۸۰ و لوقوع الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة فإنه لا بد من أن تشمل المطابقة بین السنن الکونیة و مضمون النصوص الشرعیة- علی الأقل- معنی واحدا من معانی الکلام الذی ورد فی تلک النصوص. و لا یشترط تطابق معانی الجذر المعتبر جمیعها علی السّنّة الکونیّة التی یشیر إلیها الباحث، و ذلک لتعذّر توافق هذه المعانی جمیعها- و قد تشعّبت فی اتجاهات مختلفة- علی شیء واحد. و کذلک لأننا لا نعلم حقیقة ما یرمی إلیه اللفظ، فقد یرمی إلی بعض المعانی دون الأخری، فإذا کانت الدلالة واضحة اکتمل التوافق و استقر التفسیر، و من ثم تتحدد دلالات ألفاظ النصوص الشرعیة بما استقر من حقائق علمیة؛ و هذا هو الإعجاز- إن شاء اللّه تعالی- کما نری. و تجدر الإشارة هنا إلی أن معانی ألفاظ القرآن الکریم متعددة، و أن العلم لم یستقر فی غالب مجالاته، لذا فإن الإعجاز العلمی قد ینکشف تدریجیا، و الضابط فی تلک المعانی یبقی مرتبطا بدلالات اللغة العربیة، و قواعدها، و أسالیب الخطاب فیها، و کذلک بقواعد البیان البلاغی فیها، مصداقا لقوله تعالی: کِتابٌ فُصِّلَتْ آیاتُهُ قُرْآناً عَرَبِیًّا لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ [فصلت: ۳]. و من أمثلة الضوابط فی مجال النحو: أن یکون المعنی منسجما مع الدلالة النحویة للنص القرآنی، و إلا- لفقد معناه. فعلی سبیل المثال: فقد فسّر البعض الآیة: وَ الَّذِینَ جاهَدُوا فِینا لَنَهْدِیَنَّهُمْ سُبُلَنا وَ إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِینَ [العنکبوت: ۶۹] تفسیرا خاطئا صریحا و جلیّا، و جعل «مع» بمعنی الفعل- أی أن اللّه تعالی لمع المحسنین بمعنی أضاءهم- و من المعلوم أن فعل «مع» غیر متعدّ، لا یأتی له مفعول به، و فعل «لمع» بتشدید المیم هو الذی یأخذ مفعولا واحدا، و بالتالی فهذا التفسیر مخالف للدلالات اللغویة النحویة، و لام «مع» تسمی المزحلقة تصل بخبر «إنّ» و لیست من أصل الکلمة. و من أمثلة الضوابط فی مجال البیان البلاغی: أن تراعی قاعدة أن لا یخرج اللفظ من الحقیقة إلی المجاز إلا بقرینة کافیة، فإن خرج، و عدل عن الحقیقة إلی المجاز «۱»، فعلی المجاز أن ینضبط بضوابط التأویل التی تقتضی وجود قرینة من نص آخر (مثل حدیث نبوی شریف)، أو قیاس، أو کما درج علیه المفسرون، مع (_____ ۱) و المجاز ینقسم إلی نوعین: المجاز الصریح: و هو المجاز الذی ظهر المراد به فی نفسه، و لا حاجة لنا فیه أن نلجأ إلی قرینة خارجیة حتی نفسره، و الکنایة: و هو المجاز الذی خفی المراد به فی نفسه، و یحتاج إلی دقّة فی النظر و التفکیر لاستنباط معناه، و بالتالی یجب علینا أن نعتمد علی قرینة کافیة لتفسیره. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۸۱ احتمال اللفظ للمعنی المرجوح احتمالا لغویا لا غبار علیه، و احتواء العلم الکونی الیقینی للفظ احتواء کاملا. و فی هذه الحال یعتبر التفسیر من باب التأویل المحمود، و لا یعد إعجازا علمیا، لأن المجاز لیس بحقیقة مطردة ذات دلالة قطعیة «۱»، و ذلک أن اللفظ (_____ ۱) و قد التزمت بالغالب بهذه القاعدة، فی بحثی هذا، لأن أغلب ما یتعلق بمسائل الإعجاز التی أدرجتها فی هذا الکتاب لا تخرج عن الحقائق اللغویة للنصوص، و

لکن تحتاج إلی تعمّق فی دلالاتها و مقاصدها. کذلک اعتمدتها خروجا عن الخلاف، لأن أغلب الباحثین و العلماء فی مجال الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة یعتمدونها، و فی رأیی أن هذا أمر حمید، و قاعدة جلیلة ینبغی التمسک بها، و لکن یجب أن لا ننسی تلک المجازات الصریحة المنضبطة، ذات القرائن الواضحة القریبة، و ذات الدلالات المعتبرة، التی ضبطها العلماء المحررون بمقاصد العربیة، و صنفوا فیها الکتب، حتی أصبح بعضها لشهرته- مع کونه مجازا- مرادفا للحقیقة اللغویة، و لا یقل عنها بحال، إما استعمالا فی القوامیس، و إما عرفا بین الناس فی عصر الاحتجاج، و خصوصا إذا وردت فی مجال الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، حیث إن الحقائق العلمیة، إلی جانب العرف اللغوی للکلمة المعتبرة، و شهرتها بین الناس، تزید دلالاتها وضوحا إلی درجة أنها قد تصبح قطعیة، و هذه هی التی نتکلم عنها (لضرب الأمثال راجع الحاشیة (رقم ۴، ص ۱۴۳) فی مبحث «اختلاط عروق النطفة»). و الأخذ بهذه المجازات قد یصبح من المسلّم به إذا فهمنا أن المعنی الذی یریده المتکلم قد یوافق الحقیقة اللغویة (مثل أن نقول: «فلان کثیر الرماد» أی کریم جدّا لشدّة ما یوقد النار لإطعام زائریه)، فهنا اتفقت إرادة المتکلم مع حقیقة ما وضعت له الکلمة، و لکن إذا أراد المجاز لعین هذه الکلمة، فهنا تختلف إرادته مع حقیقة ما وضعت له الکلمة، و هذا الاختلاف جاء لقرینة تدلّ علی المعنی الذی یریده المتکلم. و الفیصل فی هذا المناط هو إرادة المتکلّم. فالکلمة تصبح فیما أراده لها المتکلم، و علی هذا فلا ینبغی إهمال إرادة المتکلّم بحال، لأنه هو أراد المعنی، و اختار له وعاءه اللفظی، و رآه مناسبا لغرضه من کلامه، مع کون هذا الوعاء (الکلمة) لم یوضع فی الحقیقة لما أراده المتکلّم. و إذا تقرّر الکلام أعلاه، فنحن نعلم أن الذی تکلّم بالقرآن هو اللّه تعالی، و أن المجاز إذا ورد فی القرآن الکریم ضمن الشروط المعتبرة و القرائن الواضحة، فهو إرادة المتکلّم بالقرآن الکریم للمعنی الذی أراده، و لا یضر بعد ذلک فی أیّ وعاء (کلمة) وضعته. و للعلم فإن القرآن الکریم ملیء بالمجاز المنضبط، و قد أقام الفقهاء الأثبات علیه فی کثیر من الأحیان أحکاما شرعیة، لیقینهم أن المعنی المراد إیصاله لعامّة الناس قد أصبح جلیّا، و نسبة الخطأ فی معرفة إرادة المتکلّم فیه ضئیلة جدّا، و الأمثلة فی هذا الباب کثیرة جدّا مثل: ۱- وَ آتُوا الْیَتامی أَمْوالَهُمْ [النساء: ۲]، فالمراد بالیتامی: البالغون. ۲- وَ دَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَیانِ قالَ أَحَدُهُما إِنِّی أَرانِی أَعْصِرُ خَمْراً [یوسف: ۳۶]، فإن المراد بالخمر: العنب. ۳- وَ مَنْ کانَ فِی هذِهِ أَعْمی فَهُوَ فِی الْآخِرَةِ أَعْمی وَ أَضَلُّ سَبِیلًا [الإسراء: ۷۲]، فإن المراد بالأعمی: الرجل الذی یبصر نور الشمس، و لکن أعمی عن نور الهدایة. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۸۲ استعمل فی غیر ما وضع له «۱». و فی هذا البحث نعطی بعض الأمثلة للمجاز: فالحدیث: «أرضعیه و لو بماء عینیک ...» [رواه ابن عساکر ح ۹۵] یعتبر من باب المجاز الصریح و لا یحتاج لقرینة خارجیة. و أما الحدیث: «إنّ إبراهیم ابنی، و إنّه مات فی الثّدی، و إنّ له لظئرین تکتملان رضاعه فی الجنّة» [أخرجه مسلم ح ۹۶]، فهو من باب الکنایة لأن عبارة «مات فی الثدی» استعملت فی غیر ما وضعت له، و هی غیر واضحة بنفسها، بید أن عبارة «مات فی الثدی» معروفة لدی عامة المفسرین أنها تعنی: مات فی سن الرضاعة، و السیاق العام للحدیث یشیر إلی هذا المعنی. و أما الحدیث: «لا یحرّم من الرضاعة

_____ ۴- وَ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِیرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ [النساء: ۹۲]، فإن المراد بالرقبة: العبد. ۵- یَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فِی آذانِهِمْ مِنَ الصَّواعِقِ [البقرة: ۱۹]، فإن المراد بالأصابع: رءوس الأنامل. ۶- وَ أَمَّا الَّذِینَ ابْیَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِی رَحْمَتِ اللَّهِ هُمْ فِیها خالِدُونَ [آل عمران: ۱۰۷]، فإن المراد برحمة اللّه: الجنة. ۷- وَ ما کانَ اللَّهُ لِیُضِیعَ إِیمانَکُمْ [البقرة: ۱۴۳]، فإن المراد بالإیمان: الصلاة، إلی ما هنالک من مجازات فی القرآن الکریم. و المتکلّم البلیغ لا یعمد فی إبراز معنی یریده، من کلمة وضعت له فی الأصل، إلی کلمة لم توضع له فی الأصل، إلا لإدراکه أنه لا یؤدی المعنی الذی أراده علی وجه الدّقة إلا الکلمة التی عمد إلیها، لا الکلمة التی ترکها مع کونها وضعت للمعنی الذی أراده فی الأصل. و لا ینبغی أن نلغی هذه المواد المثریة للدراسات فی الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة من أجل الممارسات الخاطئة و الکثیرة التی صدرت، و تصدر من بعض الناشطین فی هذا المجال. و ینبغی أن نعلم أن المجاز کثیر منه یقوم علی التعبیر بالصورة، إما عن طریق التشبیه، و إما عن طریق الاستعارة، و إما عن طریق الکنایة ... و التعبیر بالصورة ضروری جدّا لإبراز الکثیر من المعانی المعقولة فی صور محسوسة، و فی إبراز الخفی فی مقام الواضح، و فی تقریب المعانی البعیدة بصور مفهومة قریبة، و کل هذا یقرّب إلی الأذهان المعانی التی یرید المتکلّم إیصالها إلیهم. و قد یصبح هذا الأمر من المتطلّبات إذا ما اشتدّت إلیه الحاجة، مثل ما قد یقع فی مجال الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، حیث إن المعانی المراد إیصالها للصحابة أو التابعین ... کانت غریبة علیهم جدّ الغرابة، و لا یمکن بحال أن یتصوّروها لبعد إطارها عن إطار الحقائق الظاهرة لهم، فهؤلاء- رضوان اللّه تعالی علیهم- لم یتسنّ لهم أن یتعرّفوا علی الحقائق العلمیة الخفیة الغریبة التی تکمن وراء وجودهم، و لا یمکن استیعابها لبعدها عن واقعهم المحسوس مثل: أن الذی یتحکم بالإنسان- بإذن اللّه- هی جبال طویلة فی منتهی الصغر حیّة: تطیر (أی تنتشر)، و تتمدد و تتضاعف ... فالمسألة فیها نظر، بالنسبة للمجاز الصریح المنضبط الجلیّ.

(۱) فالمجاز: هو اللفظ المستعمل فی غیر ما وضع له لعلاقة مع قرینة. کتاب أصول الفقه الإسلامی، د. إبراهیم السلقینی، الفصل الأول: التقسیم الأول للفظ باعتبار الاستعمال، ص ۲۹۱- ۲۹۳. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۸۳ إلا ما فتق الأمعاء فی الثدی و کان قبل الفطام» [أخرجه الترمذی ح ۵۶] فإن معناه غیر واضح لعامة الناس، بید أن ظاهر الحدیث یتکلم عن ظاهرة کونیة، و بالتالی یجب أن نتحقق من أن معناه لا یشیر إلی حقیقة علمیة قبل أن نصرفه إلی المجاز، خصوصا و أن القاعدة تنص علی أن لا یخرج اللفظ من الحقیقة إلی المجاز إلا بقرینة کافیة. و قد حمل معظم المفسرین الحدیث علی غیر محمله لأنهم ارتکزوا فی تفسیره علی الحدیث السالف ذکره الذی رواه مسلم، و الذی یحتوی علی کنایة. و قد أقرّ العلم أن هناک لبنا یخرج من الثدی و یفتق الأغشیة- أی الأمعاء- الموجودة فیه، و هو ینبت لحما للرضیع شیبها من الناحیة الفیزیولوجیة بلحم أمه من الرضاعة، مما یسبب حرمة الطفل بأمه من الرضاعة «۱»، و بالتالی فإن المعنی یجب أن یحمل علی الحقیقة «۲». و بما أن القرآن نزل علی قوم بلغتهم التی یعرفونها، فیجب عند ذلک مراعاة معانی المفردات کما عهدها أهلها عند نزول الوحی، و لا یقبل أی تفسیر جدید إلا إذا کان متوافقا مع ثوابت الشرع، و المحکم من نصوصه. و نقول: إنه یجب أن یکون المعنی متوافقا مع ثوابت الشرع و ذلک أنه لما کان التفسیر هو للآیات و الأحادیث الکونیة، فهذه الأخیرة من جملة النصوص الشرعیة، و فرع من فروعها، و قد قعّد لها علماء التفسیر قواعد عدّة تلقتها الأمة بالقبول، و بالتالی علینا أن نتبع تلک القواعد. و ما نری من مسوّغ لتحمیل النصوص ما لا تحتمل، فهذا أمر مرفوض ابتداء، أسأل اللّه تعالی أن یجنبنیه فی کتابی هذا. و أما المصادر التی ستستقی منها التفسیر للألفاظ التی وردت فی نصوص الکتاب و السنة، فلخصها کما یلی: ۱- القرآن الکریم: أی أن یکون معنی اللفظ الوارد فی النصوص الشرعیة، و الذی یقصد مطابقته للحقیقة العلمیة، مفسرا بواسطة آیة قرآنیة. ۲- المأثور عن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم: أی أن یکون معنی اللفظ الوارد فی النصوص الشرعیة- و الذی یقصد مطابقته للحقیقة العلمیة- مفسرا بتفسیر نبوی عنه. ۳- المأثور عن الصحابة: أی أن یکون معنی اللفظ الوارد فی النصوص الشرعیة- و الذی یقصد مطابقته للحقیقة العلمیة- مفسرا من قبل الصحابة- رضوان اللّه تعالی عنهم- العالمین باللغة العربیة تمام العلم و بتأویل القرآن، مثل ابن عباس رضی اللّه عنه (_____ ۱) للمزید من التفاصیل انظر مبحث «رعایة الخلق: الرضاعة/ باب أسباب تحریم المرضع». (۲) للمراجعة انظر مبحث «رعایة الخلق: الرضاعة». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۸۴ ۴- معاجم اللغة العربیة: التی تعنی بتفسیر اللغة العربیة کما کانت سائدة إبان عهد الرسالة، حیث ینبغی علی اللفظ الوارد أن یدل علی المعنی کما وضع له من قبل اللغویین، أو کما عرف عند عامة العرب. ۵- المجاز المنضبط- کما أسلفنا ذکره- مع الإشارة إلی أن التأویل من باب التفسیر، إلا أن تکون دلالته قطعیة فیعتدّ به عندئذ. و لقد تکلّمنا عن معانی الکلمة التی تأتی فی الجملة المرکبة، و قد أوضحنا أن هناک کثیرا من المعانی نستطیع اعتمادها إذا کانت لها صفة مشترکة مع معنی جذر الکلمة المعتبر، و انسجمت مع مفهوم النص العام، و مع سیاق النص الشرعی، و مفهوم العلم الکونی الیقینی. بید أن هناک معان أخری- غیر معانی الکلمة المعتبرة- نستطیع أن نستقیها من المفهوم العام للنص الشرعی. فعلی سبیل المثال: نفهم من کلمة «أحلّ» التی أتت فی الآیة: ... وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَیْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبا [البقرة: ۲۷۵]، أن اللّه تعالی أباح البیع، و من کلمة «حرّم» أن اللّه عزّ و جلّ منع التعاطی بالربا، و لکن نفهم أیضا من المفهوم العام للآیة القرآنیة أن الآیة تشیر أصالة و قصدا أن اللّه تعالی فرّق بین البیع و الربا، و أوضح أن البیع لا یماثل الربا، مع العلم أن کلمة «أحلّ» و کلمة «حرّم» لا تشیران مباشرة إلی عملیة التفریق هذه. و لا نرید أن نعلّق علی دلالة النص الشرعی علی ظاهرة مقصودة أولا و بالذات، مثل: حکم التفریق بین البیع و الربا السالف ذکره، لأنه أمر مسلّم به، و لکن نرید أن نضع ضوابط لدلالة النص الشرعی علی معان قد تستنبط من المفهوم العام للنص الشرعی. و قد أحلّ تعالی الاستنباط فی قوله: وَ إِذا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذاعُوا بِهِ وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَی الرَّسُولِ وَ إِلی أُولِی الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِینَ یَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَیْکُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّیْطانَ إِلَّا قَلِیلًا [النساء: ۸۳]. و قد أقرّ الفقهاء، نوعین من الدلالات: دلالة المنطوق، و دلالة المفهوم «۱». (_____ ۱) للمراجعة: أصول الفقه الإسلامی، د. إبراهیم السلقینی، الفصل الثانی: التقسیم الثانی باعتبار کیفیة دلالة اللفظ علی المعنی، و الفصل الثالث: المنطوق و المفهوم، و مفهوم المخالفة، ص ۲۴۳ إلی ۲۵۸. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۸۵ و أما دلالة المنطوق فتقسّم إلی ثلاثة أنواع «۱»: ۱- عبارة النص: و هو دلالة اللفظ علی حکم مقصود فی النص أصالة أو تبعا. و فی مجال الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة: هو دلالة اللفظ علی معنی یشیر إلی ظاهرة کونیة مقصود فی النص أصالة أو تبعا. و ما یعنینا هنا هو الدلالة التبعیة لأن الدلالة الأصلیة أمر مسلم به. و هذه الدلالة یحتج بها، لأن المعنی الذی یشیر إلی الظاهرة الکونیة یثبت تبعا بنفس اللفظ. فعلی سبیل المثال: إن الحدیث: «إذا وقعت النطفة فی الرحم ...» [رواه الطبری ح ۳۲] یفید أصالة أن النطفة تقع فی الرحم، و یشیر تبعا إلی أن النطفة تأتی من خارج الرحم، و أن النطفة تخرج من مکان یعلو سطح الرحم، حتی تدخله و تقع فیه «۲». کذلک الحدیث: «... فجامع الرجل المرأة طار ماؤه فی کل عرق و عصب منها ...» [أخرجه الطبرانی ح ۲۱] فهو یشیر أولا و بالذات أن ماء الرجل ینتشر فی ماء المرأة، و یشیر تبعا أن ماء (أی نطفة الرجل) أصغر من نطفة المرأة و إلا لما انتشر فیها «۳». ۲- إشارة النص: و هی دلالة اللفظ علی حکم (أی معنی یشیر إلی ظاهرة کونیة) لم یقصد من النص أصالة و لا تبعا، و لکنه لازم للمعنی الذی ورد الکلام لإفادته، فلا یتبادر فهمه من اللفظ، و لکنه معنی لازم للمعنی المتبادر. فهو مدلول اللفظ بطریق الالتزام. و هذه الدلالة یحتج بها، لأن المعنی الذی یشیر إلی الظاهرة الکونیة یثبت لزوما بنفس اللفظ. و نعطی مثالا علی هذه الدلالة: فالحدیث: «إن اللّه تعالی إذا أراد خلق النّسمة فجامع الرجل المرأة طار ماؤه فی کل عرق و عصب منها» [رواه الطبرانی ح ۲۱] یشیر (_____ ۱) و قد أثبت هذه التقسیمات جلّ من کتب فی أصول الفقه المقارن، فانظر ذلک فی أصول الفقه للدکتور وهبی الزحیلی، و أصول الشیخ الأزهری عبد الوهاب خلاف،

و أصول الشیخ زکی شعبان، و المستصفی للإمام الغزالی، و کتب الأصول التی تراعی قواعد الحنفیة: کأصول المنار و نسمات الأسحار و أصول السرخسی. (۲) انظر مبحث «مکان مستودع النطف، خلق نطفة الأمشاج، و موقع الإخصاب». (۳) انظر مبحث «اختلاط عروق النطفة». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۸۶ لزوما إلی أن ماء (أی نطفة) الرجل دخل ماء (أی نطفة) المرأة، و إلا- لما استطاع أن ینتشر فیه «۱». کذلک فإن الحدیث: «إذا وقعت النطفة فی الرحم بعث اللّه ملکا فقال: یا رب: مخلّقة أو غیر مخلّقة؟ فإن قال: غیر مخلّقة مجّتها الأرحام دما، و إن قال: مخلّقة قال: یا رب: فما صفة هذه النطفة؟ ...» [رواه الطبری ج ۳۲] یشیر لزوما إلی أن النطفة التی تقع فی الرحم مخصبة، لأنه لا معنی أن یسأل الملک اللّه- جلّ و علا- هل ستخلق النطفة أم لا، و ذلک أن النطفة التی لا تخصّب یستحیل علیها أن تتخلق، أو أن یخلّقها الملک. بید أن النطفة لو کانت مخصّبة لکان هناک احتمال أن تتخلق، أو أن یمجها الرحم دما (فی ظاهرة تعرف ب «الإجهاض التلقائی») «۲». ۳- اقتضاء النص: هو دلالة الکلام علی لازم مسکوت عنه، یتوقف علیه صدق الکلام أو صحته عقلا أو شرعا ... حیث إن هذا النوع من الدلالة یقتضی صدق الکلام أو صحته. و هذه الدلالة معتبرة، لأن الثابت بها أمر ضروری لصدق الکلام و صحة معناه. فعلی سبیل المثال: إن ظاهر الحدیث: «لا تحرّم المصّة و لا المصّتان» [أخرجه أحمد ح ۶۰] یشیر إلی أن المصّة لا تثبت بها محرمیة الابن بأمه من الرضاعة، و هذا لا یصح عقلا، لأن المصّة بنفسها لا تشکل سببا للتحریم فی أی حال من الأحوال، و بالتالی لا بد من تقدیر لیکون الکلام سلیما، و ذلک بأن یقدر أن لبن المصة هو المعنی، و بذلک یصبح معنی الحدیث: لا- یحرّم [لبن] المصة و المصتین. و کذلک فإن عملیة الفتق فی الحدیث: «لا- یحرّم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء فی الثدی، و کان قبل الفطام» [رواه الترمذی ح ۵۶] لا تسبب التحریم بنفسها، و إنما اللبن المسبب لعملیة الفتق، هو الذی یسبب التحریم، فیصبح معنی الحدیث هکذا: لا یحرم من الرضاع إلا [اللبن] الذی یفتق الأمعاء فی الثدی و یکون قبل الفطام. حیث إنه ینبت اللحم و ینشز العظم کما فی الحدیث: «لا یحرّم من الرضاع

(_____ ۱) انظر مبحث «اختلاط عروق النطفة». (۲) انظر مبحث «مکان مستودع النطف، خلق نطفة الأمشاج، و موقع الإخصاب». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۸۷ إلا ما أنبت اللحم و أنشز العظم» [أخرجه أحمد ح ۵۸]، و تقدیر الحدیث الأخیر أنه لا یحرم من الرضاع إلا [اللبن] الذی ینبت اللحم و ینشز العظم «۱». کذلک، فإن ظاهر الحدیث: «إن اللّه تعالی إذا أراد خلق النسمة فجامع الرجل المرأة طار ماؤه فی کل عرق و عصب منها» [رواه الطبرانی ح ۲۱] یشیر إلی أن الماء یطیر (أی ینتشر) فی کلّ عرق من عروق المرأة (حیث إن ضمیر الهاء فی کلمة «منها» یعود إلی المرأة)، و هذا یستحیل عقلا. و لکی یصح معنی الحدیث و یصبح مقبولا، فلا بد من تقدیر، و ذلک بأن یقدر أن ماء المرأة هو المعنی، فیصبح معنی الحدیث: طار ماء الرجل فی کل عرق و عصب من [ماء] المرأة «۲». و أما ظاهر النص القرآنی الکریم: فَلْیَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ (۵) خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ (۶) یَخْرُجُ مِنْ بَیْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ (۷) [الطارق: ۵- ۷] فیشیر إلی أن الماء الدافق یخرج من مکان ما یقع ما بین الصلب و الترائب، و الحقائق العلمیة الیقینیة لا تشیر إلی هذا، بل إلی أن الماء الدافق یخرج من إحلیل الرجل و مبیض المرأة، و أن مکونات الماء الدافق تخرج من مکان ما یقع ما بین الصلب و الترائب، و لذلک لا بد من تقدیر و مفاده: خلق من ماء دافق، تخرج أعضاؤه [أو مکوناته] من بین الصلب و الترائب. و نعطی مثالا- آخر: فظاهر الحدیث: «لیس ذلک بالحیض إنّما هو عرق» [أخرجه أحمد ح ۲۷] ینص علی أن الدم الذی یتکلم عنه النبی صلّی اللّه علیه و سلّم هو العرق، و هذا یستحیل عقلا و شرعا، و لا بد من تقدیر لیصبح الکلام مقبولا و تقدیره: لیس ذلک بالحیض إنما هو [دم] عرق «۳». و أما دلالة المفهوم فتقسّم إلی نوعین: ۱- مفهوم الموافقة (و یسمی: دلالة النص عند علماء الحنفیة): و هو دلالة اللفظ علی ثبوت حکم المنطوق (أی معنی المنطوق الذی یشیر إلی الظاهرة الکونیة)، للمفهوم، المسکوت عنه، لاشتراکهما فی علة (و فی مجال الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة: لاشتراکهما فی صفة) یفهم کل عارف باللغة أنهما منا ط الحکم (أی

(_____ ۱) انظر مبحث «رعایة الخلق: الرضاعة» للتعلیق علی الأحادیث: «لا تحرّم المصّة و لا المصّتان» [أخرجه أحمد ح ۶۰]، و «لا یحرّم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء فی الثدی، و کان قبل الفطام» [أخرجه الترمذی ح ۵۶]، و «لا- یحرّم من الرضاع إلا ما أنبت اللحم و أنشز العظم» [أخرجه أحمد ح ۵۸]. (۲) انظر مبحث «اختلاط عروق النطفة». (۳) انظر مبحث «ازدیاد الأرحام و غیضها». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۸۸ أنها مناط المعنی الذی یشیر إلی الظاهرة الکونیة»، و لا- تحتاج إلی اجتهاد أو قیاس فقهی، سواء أ کان المسکوت عنه أولی أم مساویا للمنطوق. و هذه الدلالة یعتدّ بها، لأن المعنی الذی یشیر إلی الظاهرة الکونیة ثابت بالنص بواسطة الصفة. فعلی سبیل المثال: یشیر منطوق الآیة: نِساؤُکُمْ حَرْثٌ لَکُمْ ... [البقرة: ۲۲۳] أن حمل النساء یشابه عملیة الزرع، و یشیر مفهوم الآیة أن النطفة هی بمثابة الحب الذی یقذف فی الأرض، حیث إن عملیة الحرث ترتکز علی زرع الحب، و الحمل علی زرع النطفة «۱». ۲- مفهوم المخالفة: هو دلالة النص علی نقیض حکم (أی علی نقیض معنی یشیر إلی ظاهرة کونیة) المنطوق، للمسکوت عنه، بأن یکون اللفظ مقیدا بقید یجعل الحکم (أی المعنی الذی یشیر إلی الظاهرة الکونیة) مقیّدا بهذا القید، فیدل النص بمنطوقه علی الحکم (المعنی الذی یشیر إلی الظاهرة الکونیة) المنصوص علیه، و یدل بمفهوم المخالفة علی عکسه فی غیر موضع القید. و قد اتفق الأصولیون علی الاحتجاج بمفهوم المخالفة فی الوصف أو الشرط أو الغایة أو العدد فی العقود و التصرفات و الأقوال و التعامل. و اختلفوا علی الاحتجاج به فی الوصف أو الشرط أو الغایة أو العدد فی النصوص الشرعیة من الکتاب و السنة. و نحن، فی مجال «الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة»، نتحاکم إلی الحکمة و العلم الیقینی لإثبات أن مفهوم المخالفة یشیر إلی إعجاز علمی، حیث إن اللّه تعالی أمرنا أن نلجأ إلی الحکمة فی قوله جلّ و علا: ادْعُ إِلی سَبِیلِ رَبِّکَ بِالْحِکْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّکَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِیلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِینَ [النحل: ۱۲۵]، و ذلک أنّ العلم الیقینی هو المقصود لإثبات إعجاز النصوص الشرعیة. فإن کان هناک مبرر لوجود مفهوم المخالفة لجأنا إلیه، و إلا لما استدللنا به، و نعتبر أن مفهوم المخالفة یشیر إلی إعجاز علمی فی حال وافقت المعطیات العلمیة- من خلال مفهوم المخالفة- علی عکس منطوق المعنی فی غیر موضع القید.

(_____ ۱) انظر مبحث «الحرث». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۸۹ و علی سبیل المثال: فإن الحدیث: «لا یحرّم من الرّضاعة إلا ما فتق الأمعاء فی الثدی، و کان قبل الفطام» [رواه الترمذی ح ۵۶] یعنی أن اللبن الذی یفتق الأمعاء الموجودة فی الثدی یسبب التحریم، و یشیر بمفهوم المخالفة أن اللبن الذی لا- یفتق الثدی لا- یسبب التحریم. کذلک فإن الحدیث: «لا یحرّم من الرضاع إلا ما أنبت اللحم و أنشز العظم» [أخرجه أحمد ح ۵۸] ینص أن اللبن الذی ینبت اللحم و ینشز العظم یسبب التحریم، و یشیر بمفهوم المخالفة أن اللبن الذی لا ینبت اللحم و لا ینشز العظم لا یسبب التحریم «۱». و ما یسری علی النصوص الشرعیة منفصلة من أحکام استنباط یسری علیها مجتمعة، حیث إن النصوص الشرعیة تکمّل بعضها بعضا، و تؤلف وحدة متکاملة. فعلی سبیل المثال: یشیر النص القرآنی: فَلْیَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ (۵) خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ (۶) یَخْرُجُ مِنْ بَیْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ (۷) [الطارق: ۵- ۷] أصالة (أی بعبارة النص) أن الماء- الذی یخرج ابتداء من مکان ما، یقع ما بین الصلب و الترائب- یخرج بسرعة. و یشیر الحدیث: «إذا وقعت النطفة فی الرحم بعث اللّه ملکا فقال یا رب: مخلّقة أو غیر مخلّقة؟ فإن قال: غیر مخلّقة مجّتها الأرحام دما، و إن قال: مخلّقة قال: یا رب: فما صفة هذه النطفة؟ ...» [رواه الطبری ح ۳۲] تبعا (أی بعبارة النص) أن الماء الذی یدخل الرحم یبقی زمانا خارج الرحم (کما یقتضیه استعمال کلمة «إذا»)، و إذا ما اعتبرنا النصین الشرعیین مجتمعین، فهمنا لزوما (أی بإشارة النص) أن الماء یجری مسافة طویلة قبل دخوله الرحم (لأنه یجری بسرعة و یبقی زمانا قبل أن تقع النطفة فی الرحم) «۲». و من الأمثلة الأخری: فإن الآیتین: وَ وَصَّیْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَیْهِ إِحْساناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ کُرْهاً وَ وَضَعَتْهُ کُرْهاً وَ حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً ... [الأحقاف: ۱۵]، و وَ وَصَّیْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَیْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلی وَهْنٍ وَ فِصالُهُ فِی عامَیْنِ ... [لقمان: ۱۴]، تدلان بطریق العبارة علی الوصیة بالوالدین، و تدلان بطریق الإشارة علی أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، و ذلک أنه إذا اختزلنا أربعا و عشرین شهرا (أی إذا اختزلنا مدة عامین؛ و هی مدة الرضاع) من ثلاثین شهرا (أی من مدة الرضاع و الحمل) أصبح لدینا ستة أشهر (و هی مدّة الحمل) «۳» (_____ ۱).

انظر مبحث «رعایة الخلق: الرضاعة». (۲) انظر مبحث «هجرة النطفة من المستودع إلی الرحم». (۳) انظر مبحث «النشأة/ قسم: مرحلة القابلیة للحیاة». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۹۰

قولنا (من الکتاب و السنّة):

قولنا (من الکتاب و السنّة): و أما النصوص الشرعیة التی تشیر إلی الحقائق العلمیة و التی سوف نطابق علیها السنن الکونیة فالمقصود بها آیات من القرآن الکریم و أحادیث ثابتة من السنة النبویّة. ◦ فالقرآن الکریم هو: «کلام اللّه المعجز، المنزل علی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم، المکتوب فی المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته «۱» و بما أن علم اللّه هو العلم الشامل، المحیط بکل شیء، الذی لا- یعتریه خطأ، و لا- یشوبه نقص، و علم الإنسان محدود و یقبل الازدیاد و هو معرض للخطأ، فبالتالی یجب ألا تجعل حقائق القرآن- الذی هو کلام اللّه- موضع نظر، بل یجب أن تقدم علی أنها الأصل. و أما من یطالب بأن نسوی بین القرآن و بین المعطیات العلمیة فی البحث فی حقیقتهما، فلعلّ هذا البحث أن یکون دافعا له لیتدبر کیفیة تطور تاریخ العلم الکونی فی مجال الأرحام، و کیف شذّ عن طریق الصواب، ثم عاد لیطابق حقائق الدین الثابتة. ◦ و السّنّة هی: ما صدر عن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم من قول أو فعل أو تقریر أو صفة خلقیة أو خلقیة، و کلّ ما یفید منها تشریعا حجّة فی الدین إذا ثبتت نسبتها إلی النبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم، کما تشیر إلیه النص القرآنی: وَ ما یَنْطِقُ عَنِ الْهَوی (۳) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْیٌ یُوحی (۴) [النجم: ۳- ۴] «۲». و أمّا الأسانید «۳» التی رویت بها الأحادیث النبویة فإنها تنقسم ابتداء إلی قسمین: مقبولة، و مردودة. فالمقبول: هو ما ترجح به صدق المخبر به و حکمه: صلاحیته للاحتجاج و العمل به. و علیه فالأحادیث المتعلقة بمجال علم الأجنّة نستطیع الاعتماد بحجیتها تبعا لذلک.

(_____ ۱) کتاب مناهل العرفان فی علوم القرآن، للزرقانی، (ج ۱/ ص ۲۱). (۲) انظر تفصیل تعریفاتها فی: لمحات من تاریخ السنة و علوم الحدیث للمحدث الشیخ عبد الفتاح أبو غدة- رحمه اللّه- ص ۱۱- ۱۵. (۳) و السّند: هو طریق وصول الحدیث، أی سلسلة الرجال الموصلة للمتن. (کتاب مقدمة فی أصول الحدیث، الشیخ عبد الحق الدّهلوی، ص ۴۰). و المتن: هو ما انتهی إلیه السّند من الکلام (کتاب مقدمة فی أصول الحدیث، الشیخ عبد الحق الدّهلوی، ص ۴۰/ کتاب تیسیر مصطلح الحدیث، د. محمود الطّحّان، ص ۱۶)، أی قول أو فعل أو تقریر النبیّ صلّی

اللّه علیه و سلّم أو صفته صلّی اللّه علیه و سلّم الخلقیّة و الخلقیّة. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۹۱ و المردود: هو ما لم یترجّح به صدق المخبر به، و حکمه: أنه لا یحتجّ و لا یعمل به إلا بشروط (سنذکرها فیما بعد)، و فی إطار الإعجاز العلمی فی علم الأجنّة، لا یحقّ لنا الاعتقاد بأنه إعجاز علمی «۱» إلا بشروط (سنذکرها فیما بعد). و تبعا لذلک التقسیم للإسناد، فقد حکم علماء الحدیث بالصحة علی الأحادیث المقبولة الإسناد، و هی: * متواتر «۲». * صحیح «۳». * حسن «۴». * صحیح لغیره «۵». * حسن لغیره «۶». و أمّا الحدیث المردود الإسناد، فهو الحدیث الذی فی إسناده علة (لسقط فی الإسناد أو طعن فی راو مثلا)، و هو المسمی: الحدیث الضعیف و یعمل به فی فضائل الأعمال [بل و یستأنس به فی بعض الأحیان] بالشروط التالیة: (_____ ۱) کتاب تیسیر مصطلح الحدیث، د. محمود الطّحان، ص ۳۲. (۲) و الحدیث المتواتر هو الحدیث الذی رواه جمع کثیر عن مثلهم من أول السند إلی منتهاه بحیث یؤمن تواطؤهم علی الکذب. (کتاب مقدمة فی أصول الحدیث، الشیخ عبد الحق الدّهلوی، ص ۷۵ بتصرف). (۳) و الحدیث الصحیح هو ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله إلی منتهاه من غیر شذوذ و لا علّة [قادحة]. (کتاب تیسیر مصطلح الحدیث، د. محمود الطّحان، ص ۳۴). (۴) و ننقل هنا تعریف ابن حجر: «و خبر الآحاد بنقل عدل تام الضبط متصل السند غیر معلل و لا شاذ هو الصحیح لذاته، فإن خفّ الضبط، فالحسن لذاته». (کتاب نخبة الفکر مع شرحها نزهة النظر للحافظ ابن حجر- نشر المکتبة العلمیة بالمدینة المنورة- ص ۲۹ و ۳۴). (۵) و هو الحدیث الذی انجبر و قوی ضعفه، فسمّی صحیحا لأن الصّحة لم تأت من ذات السند و إنما جاءت من انضمام سند آخر له، [أو انضمام حدیث آخر یؤید معناه]. (کتاب تیسیر مصطلح الحدیث، د. محمود الطّحان، ص ۵۱). (۶) و هو الحدیث الضعیف الذی انجبر و قوی ضعفه، فارتقی إلی مرتبة الحسن لأنه روی من طریق آخر، [أو شهد له حدیث آخر]. (کتاب مقدمة فی أصول الحدیث، الشیخ عبد الحق الدّهلوی، ص ۵۹. کتاب تیسیر مصطلح الحدیث، د. محمود الطّحان، ص ۵۲، بتصرف). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۹۲ ۱- إذا کان هذا الضعف غیر شدید (مثل بعض أنواع الحدیث المرسل «۱»، أو إذا کان هناک اختلاف بین العلماء الجهابذة فی الحکم علیه). ۲- إذا اندرج العمل بالحدیث تحت العمل بأصل عام. ۳- إذا لم یعتقد عند العمل به ثبوته، أی نسبته إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، بل یعتقد الاحتیاط «۲». و فی إطار الإعجاز العلمی فی القرآن و السّنة قد یصح الاستدلال بالحدیث الضعیف الإسناد بالشروط التالیة: ۱- إذا کان الضعف غیر شدید. ۲- إذا اندرج حکمه تحت حکم قرآنی أو تحت سنّة معمول بها (أی أنه یدخل تحت أصل عام من أصول الشریعة). ۳- إذا لم یجزم بثبوت الحدیث من جهة السند، بل کان متنه موافقا یقینا للمعطیات العلمیة. و أمّا الحدیث الضعیف جدا کالذی فی سنده متهم بالکذب فلا یروی إلا مع بیان ضعفه الشدید «۳»، لقول رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «من حدّث عنی بحدیث یری أنه کذب فهو أحد الکاذبین» [أخرجه مسلم ح ۵]، و «من تعمّد علیّ کذبا فلیتبوّأ مقعده من النار» [أخرجه البخاری ح ۶]، و إن أشرت فی بحثی هذا إلی بعض الأحادیث الضعیفة جدا، فذلک لعدة أسباب، و هی (_____ : ۱) و المرسل هو: قول التابعی: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم کذا، أو فعل کذا ... إلخ. (کتاب مقدمة فی أصول الحدیث، الشیخ عبد الحق الدّهلوی، ص ۴۲)، أو هو: من إغفال التابعی ذکر الصحابی فی السند. و المرسل عن ثقة هو: المرسل عن تابعی تحققت ثقته، (و هو من لقی صحابیا حال کونه مسلما و مات علی ذلک). و مرسل الصحابی: هو ما أخبر به الصحابی عن قول رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم أو فعله أو تقریره و لم یسمعه أو یشاهده لصغر سنّه أو تأخر إسلامه (أو غیابه). (کتاب تیسیر مصطلح الحدیث، د. محمود الطّحان، ص ۷۱- ۷۳- ۷۴). (۲) انظر کتاب تدریب الراوی للسیوطی. (تحقیق عبد الوهاب عبد اللطیف- الطبعة الثانیة ۱۳۸۵ هجریة-، ج ۱/ ص ۲۹۸- ۲۹۹)، و کتاب فتح المغیث للسخاوی (تحقیق عبد الرحمن محمد عثمان- المکتبة السلفیة بالمدینة المنوّرة- ج ۱/ ص ۲۶۸)، و کتاب تیسیر مصطلح الحدیث (د. محمود الطّحان، ص ۶۵)، و هذا ما أوضحه الإمام ابن حجر (بتصرّف)، و هو الذی علیه جمهور العلماء. (۳) کتاب تیسیر مصطلح الحدیث، د. محمود الطّحان، ص ۹۰. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۹۳ ۱- مطابقة السنن الکونیّة لمحتوی تلک الأحادیث الضعیفة جدا. ۲- التحذیر منها، حتی لا یعتقدها أو یرویها الغافلون عن ضعفها الشدید علی أنها إعجاز علمی، بعد أن یجدوا أن معناها صحیح «۱». (_____ ۱) و یعتقد المؤلف أنه من الإنصاف أن نفرّق بین الأحادیث الضعیفة جدا، فهناک أحادیث ضعیفة جدا تتناول فی موضوعها العقیدة و المعاملات و العبادات، و هذه لا حاجة لنا فی الخوض فیها لأن الأحادیث المقبولة قد تحدّثت عن جمیع جوانب هذه المواضیع، و قد قامت بالواجب علی أکمل وجه، بل و من الغباء أن نلجأ إلی الأحادیث الضعیفة جدا فی حین یوجد أفضل منها، و ذلک لقطع الذرائع و لغرض الاحتیاط. أضف إلی ذلک أن هذا الصنف من الأحادیث لیس له علامة فارقة إضافیة عن عملیة جرح و تعدیل الرجال تمکّننا من أن نرفع درجتها، فهی بحکم المیّت الذی لا نستطیع إحیاءه البتة. و من ناحیة أخری هناک أحادیث تتناول الإعجاز العلمی و هذه یجب أن یکون لها أحکام إضافیة نظرا لعدّة أسباب: ۱- أن العلم الثابت أصبح بما لا یدع مجالا للشک وسیلة لإثبات صحة متن بعض الأحادیث، و فی عصر العلم هذا، و فی ظل تقدم التقانة، فقد آن الأوان أن نستعمل هذه الوسیلة التی أنعم اللّه تعالی علینا بها و أن لا نجحد بها، و إلا فإننا بمثابة من یجحد نعمة اللّه علیه- و العیاذ باللّه-. ۲- هناک صنفان من الأحادیث الضعیفة جدا التی تتناول الإعجاز العلمی: * الأحادیث الضعیفة جدا- التی یرویها أحد المحدثین فاقد المصداقیة- و التی تتناول إعجازا علمیا، فیصیب الحقیقة بشکل أو بآخر، فهذه لا تأخذ بها إذا کان احتمال أن یصیب المحدّث الحقیقة ضعیفا و لکن غیر نادر، و ذلک لکی نحتاط لدیننا العظیم، و لأن احتمال الإصابة- و الحال هذه- ممکن لبعید النظر و الحدس، و إن کان غیر مقبول الروایة. * الأحادیث الضعیفة جدا التی تتناول إعجازا علمیا، و التی تطابقت تفاصیلها مع التفاصیل العلمیة، و فیها من الدقة، و الخصوصیة المتمیزة، بحیث یکون من النادر جدا (إن لم یکن من المستحیل) أن یصل حدس أحد إلی حقیقتها إلا عن طریق الغیب الذی لا مفتاح له إلا النبوة. إذا وقع ذلک فمن البعید جدا أن یکون الحدیث- فی نظر المؤلف- مکذوبا أو واهیا أو ضعیفا، و فیه هذه التفصیلات العلمیة التی لا یظهرها إلا العلم الحدیث بعد التنقیب الشدید و بعد أن کان غیبا فی زمن الروایة لأن الراوی الضعیف قد یضبط و لو حدیثا من أحادیثه التی یرویها، و الکاذب قد یصدق و لو مرّة کما ورد فی الحدیث: «صدقک و هو کذوب» [أخرجه البخاری ح ۴]. و من علامة ضبط الضعیف لشیء من روایته، أو صدق الکاذب فی شیء من حدیثه، موافقة ذلک لما یرویه الأئمة المعتبرون، أو لموافقته الدقیقة لأمر غیبی لم یظهر إلا فی وقت متأخر جدا لیکون علما من أعلام النبوة، و بالتالی علما من علامة ضبط هذا الضعیف لروایته هذه فقط، و صدق الکاذب فی حدیثه هذا خاصة. و أمثال هذا النوع من الأحادیث: الأحادیث رقم: ۲۳، ۶۳، ۹۲. فالإعجازات العلمیة المبهرة و الدقیقة فی هذه الأحادیث ترفع من شأنها و صحتها لدرجة أننا نستطیع- کحد أدنی- أن نستأنس بها، و خصوصا أن هناک بعض الأحادیث أقوی فی سندها من سند تلک و تتوافق مع أجزاء من متنها، بل و تفوق الأحادیث الضعیفة جدا الأحادیث المقبولة دقّة!!!- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۹۴ ۳- فتح المجال لمزید من الأبحاث فی هذا المجال، لعلّ هناک أحادیث موجودة فی کتب الأحادیث ذات إسناد صحیح یتوافق متنها مع متن تلک الأحادیث الضعیفة. فالکذوب قد یصدق فی القلیل من کلامه «۱»، و قد یخلط الکلام الکذب مع القلیل من الکلام الصحیح «۲». و علی کلّ حال فلیس للکذوب مصداقیة، حتی و لو صدق، و علینا أن نبحث عن أسانید أقوی إذا أردنا أن نعتقد بثبوت تلک الروایات أو أن نعمل بها. أما إن تبیّن أن النص الشرعی لیس من کلام الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم (مثل أن یکون الحدیث موقوفا و لیس له حکم المرفوع «۳»)، فحکمه أنه لا یعدّ من السنة.

قولنا (لحقائق علمیة):

قولنا (لحقائق علمیة): معناه: - أن تکون الحقیقة العلمیة التی خلقها الباریٰ عزّ و جلّ، و التی یشیر إلیها الإعجاز العلمی، مطّردة، و ذلک لکی تکون مرتکزا علمیا، و بالتالی موعظة مستمرة للناس. فلا نستطیع مثلا أن نقیس حادثة کونیة استثنائیة غیر متوافقة مع قوانین العلم الثابتة، و لا- نستطیع مطابقتها مع الآیات القرآنیة، و ذلک لأنها خارقة للقاعدة، لا یتقبلها العقل البشری فی کثیر من الأحیان. - _____ و إن اتبعت القواعد التقلیدیة و لم أصدر أحکاما علی تلک الأحادیث بما یتوافق مع هذا التوجه فذلک لکی لا أتقدّم علی العلماء المتمکّنین فی هذا الفن، فی هذه المسألة الحساسة جدا. و لذلک أدعو العلماء المسلمین لأن یؤلفوا مجمعا علمیا یعتنی بهذه القضیة، و أن لا یقفلوا الباب لهذا المجال الجدید، و یقعّدوا له قواعد دقیقة تتناسب مع التجدید الفقهی لدیننا الحنیف، و بما یتوافق مع ثوابت الشریعة الإسلامیة، و لذلک أرفقت ملحقا من أجل هذه القضیة، فانظره فی آخر الکتاب. (۱) کما یشیر إلیه الحدیث الشریف: (عن أبی هریرة رضی اللّه عنه قال: وکّلنی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم بحفظ زکاة رمضان، فأتانی آت، فجعل یحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنّک إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم ... فقال: إذا أویت إلی فراشک فاقرأ آیة الکرسی، فإنه لن یزال معک من اللّه حافظ و لا یقربک شیطان حتی تصبح، و قال النبی صلّی اللّه علیه و سلّم: «صدقک و هو کذوب، ذاک شیطان») [أخرجه البخاری ح ۴]. (۲) کما فی الحدیث الآتی: «إن الملائکة تنزل فی العنان- و هو السّحاب- فنذکر الأمر قضی فی السماء، فتسترق الشیاطین السمع فتسمعه فتوحیه إلی الکهّان، فیکذبون معها مائة کذبة من عند أنفسهم» [أخرجه البخاری ح ۳]. (۳) و الحدیث الموقوف: هو ما انتهی سنده إلی الصحابی. و الحدیث المرفوع: هو ما انتهی سنده إلی الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم. (مقدمة فی أصول الحدیث، للدهلوی، ص ۳۴). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۹۵ فقد وردت فی القرآن الکریم و السّنة الشریفة استثناءات لتلک الحقائق أو السنن، فعلی سبیل المثال: أمر اللّه تعالی النار أن تکون بردا و سلاما علی سیدنا إبراهیم علیه السّلام کما فی الآیة: قُلْنا یا نارُ کُونِی بَرْداً وَ سَلاماً عَلی إِبْراهِیمَ [الأنبیاء: ۶۹]. - أن تکون السنن الکونیة المشار إلیها عامّة، فلا نستطیع أن نقیس أحداثا أو ظواهر کونیة استثنائیة شاذة مثل: الظواهر السائدة فی ملّث برمودا أو فورموذا، أو کالتی حدثت بعد انفجار القنبلة الذریّة فی مدینة هیروشیما، حیث فسدت البیئة بتلوثها بالإشعاعات، فلا نستطیع أن نقیس ذلک علی نصوص شرعیة تتکلم عن ظواهر عامة، إلا إذا أشارت النصوص الشرعیة إلی تلک الحوادث أو الظواهر علی أنها خارقة للنوامیس الکونیة، فتکون إذن إعجازا علمیا لما تکشف عن أمور غیبیة خارقة للعادة، مثال علی ذلک: طلوع الشمس من المغرب فی آخر الزمان، کما یخبرنا الحدیث الآتی: «إنّ الساعة لا تکون حتّی تکون عشر آیات ... و طلوع الشمس من مغربها ...» [أخرجه مسلم ح ۱]. - أن تکون السّنة الکونیة معلومة، فإن لم تکن کذلک، کانت إحدی اثنتین: * إما سنّة یرجی کشف حقیقتها یقینا فی المستقبل من خلال الأبحاث العلمیة و الوقائع الکونیة، فیحتمل کونها مستقبلا إعجازا علمیا. * و إمّا

سنّة لا یرجی کشف حقیقتها فی المستقبل فیما نظن، و بذلک لا یصح وصفها بأنها إعجاز علمی بحال، و لکن یمکن وصفها بأنها مقاربة للإعجاز العلمی، و بذلک یصح الاتعاظ بها. و هنا نقول فی النوع الأول من السنّة: إنّه فی حال ظهرت مطابقة السنّة الکونیة لحدیث نبوی شریف فی المستقبل، صارت إعجازا علمیا، و إن عارضت السنّة الکونیة حدیثا نبویا أرجعنا ذلک إلی قصور فهمنا للحدیث الشریف، مع اعتقادنا بصحة الحدیث الشریف، و وجوب معاودة النظر فی فهمه علی ضوء المعطیات العلمیة الیقینیة التی یمکن أن تکتشف لنا فی المستقبل. فالتاریخ یشهد علی أن فهمنا لبعض الأحادیث فیما مضی کان قاصرا، و من ثمّ تعمّق الفهم مع التقدّم العلمی و انجلت الحقیقة بعد ذلک، مثاله الحدیث الشریف: «إن اللّه تعالی إذا أراد خلق النّسمة فجامع الرجل المرأة طار ماؤه فی کل عرق و عصب منها ...» [أخرجه الطبرانی ح ۲۱]، فقد فسّره بعض الصحابة علی أنه یشیر إلی أن النطفة تطیر تحت کل ظفر إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۹۶ و شعر، بینما تفید معطیات العلم بأن الحدیث یشیر إلی انتشار صبغیات الحیوان المنوی لدی الرجل بین صبغیات بویضة المرأة «۱». و نقول فی النوع الثانی: إن هناک سننا کونیّة لن نستطیع اکتشافها فی المستقبل لسبب من الأسباب، مثل: وصف نهایة الکون، فلن یکون هناک أی إنسان حیّ لمشاهدة نهایة الکون، أو سیکون الوقت متأخّرا أو قصیرا جدا لإدراکه و ذلک للإیمان به. بید أن المعطیات العلمیة بعد التقدم العلمی الهائل، تعطینا فکرة جیّدة عمّا سیکون فی المستقبل؛ فهناک نظریات قویّة مثلا، تشیر إلی أن الکون سینقبض علی نفسه فی نهایة الزمان بعد عملیة التوسّع التی تحصل له الآن، و الآیة القرآنیة ربما تشیر إلی ذلک: یَوْمَ نَطْوِی السَّماءَ کَطَیِّ السِّجِلِّ لِلْکُتُبِ کَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِیدُهُ وَعْداً عَلَیْنا إِنَّا کُنَّا فاعِلِینَ [الأنبیاء: ۱۰۴]. و لذلک یصحّ الاتعاظ بالآیة و اعتبارها تقریبا للإعجاز العلمی، و لکن لا یصحّ لنا أن نعتقد ثبوت الإعجاز العلمی فیها بشکل جازم. - أن یتناول النص الشرعی موضع الإعجاز موضوعا علمیا صحیحا، لا حقیقة تاریخیة محضة سابقة معینة مثلا «۲»، و إلّا لفقد الاعجاز العلمی مصداقیته، کما جاء فی الآیة: إِنَّا أَرْسَلْنا نُوحاً إِلی قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَکَ مِنْ قَبْلِ أَنْ یَأْتِیَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ [نوح: ۱]. - أن تتکلم الآیة القرآنیة أو السنّة الصحیحة عن ظاهرة علمیة حقیقیة، و إلا فقدت الأرضیة الصلبة التی ترتکز علیها فی الإعجاز. فعلی سبیل المثال: لا یصح لنا أن نفسّر الحدیث: إن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم بصق یوما فی کفّه فوضع علیها إصبعه ثم قال: قال اللّه: «ابن آدم: أنّی تعجزنی و قد خلقتک من مثل هذه ...» [أخرجه أحمد ح ۲]، أنه یشیر إلی أن الجنین یتخلق من اللّعاب، فمن البدیهی أن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم قد ماثل بین اللعاب و المنیّ لعلّة التشابه فی القلة و الامتهان، و لیس للترکیبة الخلقیة الکیمیائیة لکل منهما.

(_____ ۱) لمزید من التفاصیل، انظر مبحث «اختلاط عروق النطفة». (۲) و قد یکون النص الشرعی یتحدّث عن حقیقة تاریخیة و فی طیّاتها إعجاز علمی لأنه ینطوی تحت موضوعها العام موضوعا علمیا، مثل ما ورد فی الآیة: وَ هُزِّی إِلَیْکِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَیْکِ رُطَباً جَنِیًّا [مریم: ۲۵]، فهذه الآیة تروی لنا أن اللّه تعالی أمر السیدة مریم رضی اللّه عنها بتناول الرطب بعد أن وضعت النبی عیسی علیه السّلام، و هی تشیر بالتالی إلی أن الرطب مفید للنفساء. و الحاصل أن المرأة تصاب بعد الولادة مباشرة بإجهاد شدید من جرّاء فقدان الکثیر من الدم و انخفاض ضغطه ... و قد کشف العلم الحدیث إلی أن سکر الرّطب یتحلل و یدخل بالدم بسرعة، فینشّط النفساء. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۹۷ - أن یکون الإخبار القرآنی أو الحدیثی عن حقیقة علمیّة صریحة، أی أنه یشیر إلی حقیقة علمیّة محدّدة و واضحة، و إلّا لصرفنا تفسیر الآیة القرآنیة فی أیّ اتجاه شئنا، و لحملناها ما لا تحتمل، و لفقدنا عندها جوهر المطابقة. فلا یصح مثلا أن نصرف الآیة الکریمة: وَ إِنَّ لَکُمْ فِی الْأَنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِیکُمْ مِمَّا فِی بُطُونِهِ وَ لَکُمْ فِیها مَنافِعُ کَثِیرَةٌ وَ مِنْها تَأْکُلُونَ (۲۱) [المؤمنون: ۲۱] إلی أنها إعجاز علمی فی مجال الکبد، أو الطحال، أو المرارة، ذلک لأن البطن لفظ عام یشمل کل الأعضاء الموجودة فیه.

تأثر حکم التوفیق بین دلالات النصوص الشرعیة و المعطیات العلمیة بصحة ثبوت کلّ منهما:

تأثر حکم التوفیق بین دلالات النصوص الشرعیة و المعطیات العلمیة بصحة ثبوت کلّ منهما: بعد أن شرحنا معنی «دلالات النصوص الشرعیة»، و بعد أن وضّحنا ما هو المقبول و المردود منها، و الشروط التی یجب أن یلتزم بها الباحث فی علم مصطلح الحدیث حتی یصل إلی نتائج سلیمة، و بعد أن عرّفنا الضوابط التی لا بد من أن نقید بها المعطیات العلمیة حتی نعتبرها حقائق علمیة، من المهم أن نذکر الضوابط التی یجب أن نراعیها فی التوفیق بین دلالات النصوص الشرعیة و درجة ثبوت إسنادها و صحة المعطیات العلمیة لکی نعتبر أنها تشیر إلی إعجاز علمی فی القرآن و السنة. و من المهم قبل أن نصف النصوص القرآنیة بالإعجاز العلمی، أن ننوه إلی کل مما یلی: - أولا: أن هناک نصوصا من الوحی قطعیة الدلالة، کما أن هناک حقائق علمیة کونیة قطعیة الثبوت. - ثانیا: أن هناک نصوصا من الوحی ظنیة فی دلالتها، و کذلک فی العلم، هناک نظریات ظنیة فی ثبوتها لم ترق إلی مستوی الحقائق العلمیة الثابتة. و أما التوفیق بین النصوص الشرعیة و المعطیات العلمیة فهو علی النحو التالی: - لا یمکن أن یقع تعارض بین قطعی الدلالة من الوحی و قطعی الثبوت من العلم التجریبی، و ذلک لأن القرآن کلام اللّه و الحقائق الکونیة خلق اللّه. و إن وقع تعارض ففی الظاهر، فلا بد عند ذلک من النظر فی اعتبار قطعیة دلالة النص، أو قطعیة ثبوت الحقیقة العلمیة. فإذا کان ثمّ خلل فی ذلک، أعدنا البحث فی دلالة النص القرآنی و فی حقیقة المعطیات العلمیة إلی أن ندرأ التعارض الظاهر بینهما، فربّ علم کونی اعتقدنا أنه إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۹۸ حقیقة، تبین لنا فیما بعد أنه نظریة، مثل: الاعتقاد بأن (مادة الغمامة الإلکترونیة المحیطة بنواة الذرات NOITAVRESNOC SSAM) ثابتة لا تتحول، ثم تبین لنا فیما بعد أنها تصبح (کتلة طاقة محفوظة SNORTCELE YGRENE). - و إذا وافقت المعطیات العلمیة الظنیة الثبوت، نصا قرآنیا قطعی الدلالة، لم نعتبر النص القرآنی إعجازا علمیا، إلی أن تکتشف حقیقة المعطیات العلمیة، و لکن نعتبره إشارة إلی حقیقة کونیة کبری، و معلما علی طریق الوصول إلی الحقیقة العلمیة. - و إذا وافقت المعطیات العلمیة القطعیة نصا قرآنیا ظنی الدلالة- یصرف معناه فی کثیر من الأوجه-، أخذنا بدلالة النص القرآنی، و لم نعتبر النص القرآنی إعجازا علمیا، لأن دلالة النص القرآنی غیر قطعیة، و ینبغی ألا نتطلق من قاعدة غیر مطردة. - و إذا وقع التعارض بین حقیقة علمیة قطعیة، و بین نص قرآنی لم نتأکد من دلالته، فتؤول الدلالة الظنیة للنص القرآنی لتتفق مع الحقیقة العلمیة القطعیة، ثم لا نعتبر النص القرآنی إعجازا علمیا. - و إذا وقع تعارض بین معطیات علمیة ظنیة، و بین دلالة قطعیة لنص قرآنی، رفضنا تلک المعطیات. و هذه الأحکام مطردة الاعتبار أیضا علی الأحادیث النبویة الشریفة، غیر أن هناک عاملا آخر تحسن إضافته و هو: صحة إسناد الحدیث الشریف. و فی حالة حصول تعارض ظاهر بین دلالة قطعیة لنص قرآنی و دلالة قطعیة لحدیث شریف، نظرنا عندها فی صحة إسناد الحدیث، فإن لم یصح، قدّمنا دلالة النص القرآنی القطعیة، و لم نأخذ بنص الحدیث غیر الصحیح. و إن صحّ إسناد الحدیث الشریف، توقفنا عنده- للبحث عن نصوص أخری حتی تزداد معرفة عن حال هذا الحدیث- أو أوّلناه. فإن لم نستطع أن نؤوله، و کان تعارضه بیّنا لم نستحسنه، و وضعناه جانبا. و إن تعارضت دلالة قطعیة لحدیث صحیح الإسناد مع معطیات علمیة یقینیة بدیهیة لا- مجال لإنکارها، و لم یکن هناک مجال للتأویل، کان حکم الحدیث فی هذا المقام حکم التعارض بین دلالة نص قرآنی قطعی الدلالة و دلالة قطعیة لحدیث صحیح الإسناد، و وجب التنبیه إلی استحسان عدم الاستشهاد به. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۵۹۹ جاء فی تدریب الراوی «۱»: «و من جملة الوضع أن یکون مخالفا للعقل بحیث لا یقبل التأویل، و یلحق به ما کان یدفعه الحس و المشاهدة [و قیاسا- فی مجال الإعجاز العلمی- ما تدفعه المعطیات العلمیة الیقینیة البدیهیة التی لا مجال لإنکارها]، أو یکون منافیا لدلالة الکتاب القطعیة، أو السنة المتواترة، أو الإجماع القطعی». و أما إذا کان الحدیث ذا ضعف غیر شدید و وافق الشروط الثلاثة التی ذکرناها سابقا، و الذی یصح معنی متنه، أی الذی یوافق المعطیات العلمیة الیقینیة، فیحسن الاستشهاد به فی الإعجاز علی سبیل الاستئناس لا الجزم. و أما الحدیث ذو الضعف غیر الشدید، و الذی وافق المعطیات العلمیة، غیر الیقینیة (مثل النظریات العلمیة قید الأبحاث)، فیظل حکمه- و بالتالی الاتعاظ به- معلّقا، إلی أن تثبت الحقیقة، فإذا تبین فیما بعد- و ذلک من خلال الأبحاث العلمیة- أن معنی الحدیث، و بالتالی متنه لا یصحّ، وجب التنبیه إلی الشکّ فی نسبته إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و إلی استحسان عدم الاستشهاد به، حتی لا یؤثر ذلک سلبا علی ضعیفی الإیمان وکیلا یکون بمثابة حاجز لغیر المسلمین عن اعتناق الإسلام، و حتی نحتاط للسّنة المطهّرة من نسبة ما لیس منها إلیها. و الحدیث ذو الضعف غیر الشدید، الذی وافق بعض متنه المعطیات العلمیة الیقینیة، و البعض الآخر لم یوافق (کما إذا کان سبب ضعف الحدیث ضعف أحد رجال إسناده لاختلاطه «۲» فی آخر عمره أو لسوء حفظه) «۳»، فالإنصاف فی الحکم علی الرجال، و بالتالی فی الحکم علی الحدیث یکون بقبول ما وافق الثقات فی الروایات و ترک ما لم یتابع علیه. و فی مجال الإعجاز العلمی فی تخلّق الجنین قبول ما وافق المعطیات العلمیة الیقینیة، و ترک ما عارضها. و أما الحدیث ذو الضعف الشدید الذی وافق متنه الحقائق العلمیة فلا یصح مطلقا نسبته إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم وفق القواعد التقلیدیة، و لم نعتبره إعجازا علمیا، و مثال ذلک الروایة: «النطفة التی یخلق منها الولد ترعد لها الأعضاء و العروق کلها إذا خرجت وقعت فی الرحم» [أخرجه الدیلمی ح ۲۳].

(_____ ۱) تدریب الراوی للسیوطی، (ج ۱/ ص ۲۳۳). (۲) یصبح الراوی مختلطا إذا طرأ سوء حفظ علیه لعارض، مثل اختلال فی الحافظة بسبب کبر سنه أو ذهاب بصره أو فوات کتبه. (انظر کتاب مقدمة فی أصول الحدیث، للشیخ عبد الحق الدهلوی، ص ۷۲ بتصرف). (۳) مثل الکلام علی التابعی خصیف، انظر حدیث رقم ۵۰. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۰۰ و أما النصوص الشرعیة التی هی لیست من کلام خیر الأنام، فلن نأخذ بها و لو وافقت المعطیات العلمیة الغیبیة و لن نعتبرها إعجازا علمیا، و ذلک أنه لم یدّع أحد من الصحابة- رضوان اللّه تعالی علیهم- أنه یعلم الغیب أو أنه نبیّ، و بالتالی لا نستطیع أن ننسب إلیهم ما لم یقولوه. و من ادعی النبوّة ممن عاصر الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم، قتل أو بطل ادعاؤه و زهق باطله.

قولنا (غیر معلومة):

قولنا (غیر معلومة): معناه: أن یکون التحدث عن حقیقة علمیة غیر معلومة، أو غیبیة، و إلا لفقدت النصوص الشرعیة صفة الاعجاز. فالإخبار عن أمر معلوم لیس بإعجاز ذلک أنه بمتناول عامّة الناس، و هو لیس بأمر خارق للعادة، و قد فقد صبغته الغیبیّة، مثال علی ذلک الآیة: وَ وَصَّیْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَیْهِ إِحساناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ کُرْهاً وَ وَضَعَتْهُ کُرْهاً ... [الأحقاف: ۱۵]. فمن المعلوم لدی عامّة الناس أن المرأة الحامل تعانی من تعب و ألم خلال وضعها لطفلها، و بالتالی وصف وضع المرأة خلال الوضع وصفا عاما یعلمه الجمیع لا یعدّ إعجازا علمیا.

قولنا (زمن التنزيل):

قولنا (زمن التنزيل): معناه: - أن تكون تلك الحقائق العلمية غير معلومة فی عهد الرسالة، حتى يتبين للناس أن ما أخبر به الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم لم يكن بمستطاع للبشر معرفته لو لا- معطيات العلم، و بالتالی يقرّون بأن تلك المعلومات هی من قبيل الوحی الإلهی الواجب تصديقه. كذلك، فإن جهل الأمم بتلك الحقائق العلمية ضرورى قبل عهد الرسالة، حتى لا يتهم الناس الرسول الكريم صلّى اللّه عليه و سلّم باقتباس المعلومات من الأمم المتحضرة المعاصرة له. - أن تكتشف تلك الحقائق بعد عهد الرسالة، حتى يقارن الناس بين ما جاء به الرسول محمد صلّى اللّه عليه و سلّم و ما كشفه العلم اليقينی. و بذلك يتبين للناس صحة المعلومات التی أتی بها الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم، فيؤمنون بها. و كلمة «مطابقة» التی أوردناها فی التعريف تقتضی أن تكتشف تلك الحقائق بعد زمن التنزيل، و إلا- لما استطعنا أن نطابق هذه الحقائق بمعانی النصوص الشرعية، و لما اتضح الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة. إعجاز القرآن فی ما تخفيه الأرحام، ص: ۶۰۱

قولنا (و لا تدرک إلا بالتجربة أو وسائل مادية):

قولنا (و لا تدرک إلا بالتجربة أو وسائل مادية): فی هذا المقام نبيّن الفرق بين العالم الفذّ الذی اكتشف بعض الحقائق الكونية بعد جهد جهيد، و بين النبی أو الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم الذی تكلم عنها، فالعالم خلال رحلة اكتشافه للحقائق الكونية قد استعمل من الوسائل المادية مثل المجهر، أو الحاسوب، أو أدوات أخرى كالاختبارات، ما يخوله التنقيب عن الحقائق العلمية، كما أنه سهر الليالی يطالع الكتب، و يفكّر، و يتأمّل، حتى يصل إلى نتيجة سليمة، و أخطأ فی كثير من الأحيان، و أصاب فی أحيان أخرى، و ارتكز فی كثير من الأحيان علی التخمين، و بنی عليه، و هذا ما يسمی بالنظريات العلمية (و من كان له شك فی هذا الكلام فليطالع مبحث «ثقافة العالم القديم و الحديث فی علم الأجنة» حتى يتبين له صحة ادعائنا)، بينما جاء الأنبياء بمعجزاتهم من دون أن يستعملوا أدوات مادية، كما أنه فی كثير من الأحيان كانت المعجزات تحصل علی أيديهم فجأة من دون أن يستطيع أحد أن يتهم أنهم حضّروا لها. و نرى لهذا الغرض قصة الحبر اليهودی الذی جاء يسأل الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم عن عوامل إيناث أو إذكار الجنين. ففی الحديث أن ثوبان مولی رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قال: «كنت قائما عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فجاء حبر من أحبار اليهود، فقال: السلام عليك يا محمد ... جئت أسألك عن شیء لا يعلمه من أهل الأرض إلا نبی أو رجل أو رجلان، قال: ينفعك إن حدثتك؟، قال: أسمع بأذنی، قال: جئت أسألك عن الولد، قال: ماء الرجل أبيض و ماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا، فعلا منی الرجل منی المرأة أذكرا بإذن اللّه، و إذا علا- منی المرأة منی الرجل آنثا بإذن اللّه، قال اليهودی: لقد صدقت و إنك لنبی، ثم انصرف و ذهب، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: لقد سألنی هذا عن الذی سألنی عنه و ما لی علم بشیء منه حتى أتانی اللّه به» [أخرجه مسلم ح ۹]. فی هذه الرواية يتبين لنا أن الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم كان فی كثير من الأحيان يجيب عن أسئلة الذين يفدون عليه من غير سابق إعلام، علی حين غفلة، و هو لا يعلم سابقا الأسئلة التی ستطرح عليه. و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يجيب مباشرة، بدون أن يلجأ إلی دراسة المواضيع المطروحة عليه، و بدون أن يستعمل وسائل مادية تمكّنه من معرفة الحقيقة العلمية، و يردّ عليها بدقة، و بعبارات محبوكة السبك، و يوحی من اللّه عزّ و جلّ، و هو مقرّ بعجزه لو لا- المدد الربّانی له. و نفهم من كلامنا السابق أن الخوارق- سواء أ كانت مادية، أو معنوية- التی حصلت علی أيدی الأنبياء- صلوات اللّه و سلامه عليهم- لا تعدّ سبقا زمنيا فقط، إعجاز القرآن فی ما تخفيه الأرحام، ص: ۶۰۲ بمعنی أننا لا نستطيع أن نعتبر أن هذه الخوارق سبقت زمنها فقط، و بمقدور البشر يوما ما أن يأتوا بمثلها. فالإعجاز العلمی فی القرآن و السنة هو كشف للحقائق العلمية الغيبية بدون وسائط، و هذا فوق قدرة البشر، و كل من عاصر الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم لم يشاهد يوما ما أن نبی اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم استعمل أداة ما، و لم يكن لديه مختبر، و لم يقرأ الكتب، بل و كان أمّيا لا- يقرأ و لا- يكتب مصداقا لقوله تعالی: وَ ما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ (۴۸) [العنكبوت: ۴۸].

قولنا (لتثبت صدق الرسالة التی جاء بها النبی محمد صلّى اللّه عليه و سلّم من عند اللّه عزّ و جلّ):

قولنا (لتثبت صدق الرسالة التی جاء بها النبی محمد صلّى اللّه عليه و سلّم من عند اللّه عزّ و جلّ): و بالطبع فالغرض من الإعجاز العلمی هو أن يبرهن أن النبی صلّى اللّه عليه و سلّم مرسل من عند اللّه عزّ و جلّ، و ليظهر و يثبت صدق مدده من عند اللّه تعالی. فالرسول صلّى اللّه عليه و سلّم لم يكذب، لأن الكذاب لا يتحدى إن كان حاذقا، فهو يتكلم عن جهل، و كذبه سيظهر عاجلا أم آجلا، و من ادعی النبوة (مثل مسيلمة الكذاب، و سجاح بنت الحارث بن عقبان ...) و تحدى عن حماقة، ظهر جليّا فی عصره، أو فيما بعد، أنه كاذب. و الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم لم يخمّن، فالمخمّن أيضا لا يتحدى، لأنه غير واثق من كلامه، حيث إنه بنی كلامه علی الظن، و الظن قد يخطئ، و خصوصا إذا ما كان يتكلّم عن كثير من الأمور، حيث إن احتمال الخطأ فی إجابته يزيد فی هذه الحالة. و قد بيّنا فی مبحث «التحدی» مدى جدية هذا التحدی، و بيّنا أن الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم جعله علامة فارقة له علی صدقه. و لهذا أجاب الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم فی قضية الحبر اليهودی، واثقا من نفسه، متحدّيا العالم أجمع: «لقد سألنی هذا عن الذی سألنی عنه و ما لی علم بشیء منه حتى أتانی اللّه به» [أخرجه مسلم ح ۹]. و بعد أن عرّفنا الإعجاز العلمی فی القرآن و السنّة و اطلعنا علی القواعد و الأسس المعتمدة لبيانه، نشير هنا إلی أحكام تطلق علی النصوص التی تعالج موضوع الإعجاز، و ذلك لضبط الاجتهادات فی هذا المجال، و قد تكون أيا من الأحكام التالية: ۱- إن كان تفسير الباحث للآية غير منسجم مع القواعد: (النحوية و/ أو الصرفية و/ أو البلاغية و غيره ...) فإنه لا يعد إعجازا علميا. ۲- إن كان الباحث لا يجيد المطابقة بين الحقائق العلمية و النص الشرعی، و قد أوّل النص الشرعی تأويلا بعيدا أو متكلفا، فإنه لا يصح الاحتجاج بالنص الشرعی علی أنه إعجاز علمی عند هذا الباحث. إعجاز القرآن فی ما تخفيه الأرحام، ص: ۶۰۳ ۳- إن لم يشر الباحث للكلمة المعتبرة فی الإعجاز إلی معنی متعارف عليه، فلا يصح الاحتجاج بالنص الشرعی علی أنه إعجاز من حيث المعنی. ۴- إن لم يشر الباحث إلی الكلمة المعتبرة فی الإعجاز بمعنی يتلاءم مع معنی جذر الكلمة، فلا يصح الاحتجاج بالنص الشرعی عند هذا الباحث علی أنه إعجاز علمی. ۵- إن النص الشرعی يتناول حادثة كونية يرجی كشف حقيقتها فی المستقبل، و بالتالی فإن النص الشرعی له القابلية لأن يكون إعجازا علميا، للبحث و الاتعاظ. ۶- إن كان النص الشرعی يتناول حادثة كونية لا- يرجی كشف حقيقتها فی المستقبل، و بالتالی فإن النص الشرعی ليس له القابلية لأن يكون إعجازا علميا، فيكون للاتعاظ فقط. ۷- إن كان النص الشرعی لا يتناول موضوعا علميا، فلا يصح بالتالی الاحتجاج به علی أنه إعجاز علمی. ۸- إن كان النص الشرعی لا يتناول حادثة كونية علميّة، فلا يصح الاحتجاج به أيضا علی أنه إعجاز علمی. ۹- إن كان النص الشرعی يتناول حادثة معلومة فی كل الأزمنة، فلا- يصح الاحتجاج به علی أنه إعجاز علمی. ۱۰- إن كان النص الشرعی يعالج استثناءات للسنن الكونيّة، فلا- يمكن اعتباره عند ذلك إعجازا علميا. ۱۱- إن كان النص الشرعی يتناول حديثا مقبول الإسناد، مع عدم توافق متنه للحقائق العلمية اليقينية، نتوقّف عند الحديث، و يجعل قيد البحث. ۱۲- إن كان نص الباحث يتناول حديثا مختلفا فی ضعف إسناده، مع توافق متنه للأدلة العلمية، فإنه يستدل بالحديث فی الإعجاز- علی سبيل الاستئناس لا الجزم-. ۱۳- إن كان نص الباحث يتناول حديثا مختلفا فی ضعف إسناده، مع عدم توافق متنه للأدلة العلمية، نتوقّف عند الحديث، و يجعل قيد البحث. ۱۴- إن كان نص الباحث يتناول حديثا مختلفا فی ضعف إسناده، مع توافق بعض متنه للحقائق العلمية، فيؤخذ من الحديث ما صحّ من متنه، و يستدل به. إعجاز القرآن فی ما تخفيه الأرحام، ص: ۶۰۴ ۱۵- إن كان نص الباحث يتناول حديثا واهيا، مع عدم توافق متنه للمعطيات العلمية، فلا يصح الاحتجاج بهذا النص فی الإعجاز، فيكون ذكره لبيان درجته فقط. ۱۶- إن كان نص الباحث يتناول حديثا ضعيفا جدا، مع موافقة متنه للمعطيات العلمية، فلا يصح الاحتجاج بالحديث فی الإعجاز، و يكون قيد البحث حتى يثبت معناه من نصوص أخرى. ۱۷- إن ارتكز الباحث علی التأويل المحمود (كالمجاز المنضبط) فی تفسير معنی اللفظ الذی ورد فی النص الشرعی، فلا يعتبر إعجازا علميا، للبحث و الاتعاظ، إلا إذا كانت دلالة المجاز دلالة قطعية. ۱۸- إن كان الباحث لا يجيد استنباط المعنی من المفهوم العام للنص الشرعی وفق دلالة اللفظ علی المعنی، فإنه لا يصح الاحتجاج بالنص الشرعی علی أنه إعجاز علمی عند هذا الباحث. ۱۹- إن كان النص الشرعی ليس من قول الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم، فلا يعتبر إعجازا علميا، للبحث و التفسير. ۲۰- إن توافر فی النص الشرعی جميع الشروط السابقة، و وافق متنه أيضا المعطيات العلمية، فإن الإعجاز يكون مقبولا. و من الجدير بالذكر أننا تناولنا دراسة متن الأحاديث و سندها كلّا علی حدة، لكی نعطی كل ذی حق حقّه، و لكی لا يتأثر تخريج الأحاديث بالعلم الكونی، و العكس صحيح. و من ثمّ حكمنا علی إعجازها علی ضوء هذه المعطيات. و نرجو من القراء الكرام مراجعة قسم الأحاديث للتأكد من درجات الأحاديث التی استشهدنا بها، و معرفة ما يصلح منها للاستدلال فی ميدان الإعجاز العلمی. إعجاز القرآن فی ما تخفيه الأرحام، ص: ۶۰۵

قسم تخريج الأحاديث وصلتها بالإعجاز العلمی

قسم تخريج الأحاديث وصلتها بالإعجاز العلمی حكمنا علی الأحاديث هو بحسب ما قرره بعض أهل الحديث [و قد يتوصل غيرنا إلی ما يخالفنا فيه، و لكلّ سعيه] مقدمة: فی هذا القسم سوف نخرّج الأحاديث، و من ثمّ نعلّق علی صلتها بالإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، وفقا لصحة أسانيد الأحاديث، و لما آلت إليه المعطيات العلمية من حقائق و نظريات، و للشروط التی أوردناها فی أواخر مبحث «تعريف الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة و الأسس التی يرتكز عليها». و من المهم أن نبيّه أن علماء الأحاديث اتفقوا علی أن الأحاديث التی وردت فی صحيح البخاری، و فی صحيح مسلم صحيحة السند و المتن، لكثرة العناية التی خصّصت لها من قبل محقّقيها، و للشروط التی وضعوها. فصحيح البخاری يعتبر «أصح كتاب بعد كتاب اللّه تعالی» «۱» عند جمهور المحدثين، و صحيح مسلم يعتبر ثانی كتاب بعد صحيح البخاری من حيث البحث فی صحة و قوة الأسانيد «۲»، و بالتالی فإننا لن نشير فی تعليقنا «علی صلة الحديث بالإعجاز العلمی» أن الحديث المروی من قبل البخاری و/ أو مسلم صحيح السند و/ أو المتن، لأنه أمر مسلّم به. غير أنه يتوجب علينا فی حال ظهور عكس ذلك أن نشير إلی خلل متنه. و قد تعمدت عدم ذكر أسانيد الأحاديث لكی لا يمل القارئ من قراءة الأسانيد الطويلة مع الاكتفاء بذكر الصحابی الذی روی الحديث، حيث إن الفضل يرجع إليه فی رواية الحديث، و لا يجب أن تنسی فضله فی الإسلام و ذلك للأحاديث المقبولة- أی للأحاديث ذات درجة الحسن فما فوقها- غير أنی ذكرت الأسانيد للأحاديث المقبولة التی لنا حاجة إلی الخوض فی تفاصيلها خلال البحث، كما أنی ذكرت أسانيد الأحاديث التی هناك اختلاف فی سندها بين

علماء تخریج الحدیث- بقدر ما أتیح لی- لکی یطّلع علیها من أحبّ أن یخوض فی تفاصیلها، و للحاجة إلی دراسة سندها.

(_____ ۱) مقدّمة فی أصول الحدیث، للذهلوی، ص ۸۵- ۸۶. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۰۶ ح [۱] عن أبی سریحة حذیفة بن أسید، قال: کان النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم فی غرفة و نحن أسفل منه، فاطّلع إلینا فقال: «ما تذکرون؟» قلنا: الساعة، قال: «إنّ الساعة لا تکون حتّی تکون عشر آیات: خسف بالمشرق، و خسف بالمغرب، و خسف فی جزیرة العرب، و الدّخان، و الدّجّال، و دابّة الأرض، و یأجوج و مأجوج، و طلوع الشّمس من مغربها، و نار تخرج من قعرة عدن ترحل النّاس». انظر ص: ۵۹۵ - أخرجه مسلم- بهذا اللفظ- فی «کتاب الفتن و أشراط الساعة»، (۱۳) باب فی الآیات التی تکون قبل الساعة، رقم ۴۰/ ۲۹۰۱. - و أخرجه أبو داود فی «کتاب الملاحم»، باب أمارات الساعة، رقم ۴۳۱۱. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث أوردناه فی سبیل ضرب الأمثال و لیس لغرض إظهار الإعجاز العلمی فی القرآن و السّنّة فی مجال تخلّق الجنین، و هو لا یعنینا فی هذا المقام. و هذا الحدیث یتناول حوادث کونیة یرجی کشف حقیقتها فی المستقبل، و بالتالی فإن النص الشرعی له القابلیّة لأن یکون إعجازا علمیا، فهو للبحث و الانتقاط. و ینطبق علیه حکم رقم ۵ فی مبحث «تعریف الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة و الأسس التی یرتکز علیها». ۰ [ح ۲] عن بسر بن جحاش القرشی أنّ النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم بصق یوما فی کفّه، فوضع علیها إصبعه ثمّ قال: «قال اللّه: ابن آدم: أنّی تعجزنی، و قد خلقتک من مثل هذه، حتّی إذا سوّیتک و عدلتک مشیت بین بردین و للأرض منک وئید، فجمعت و منعت، حتّی إذا بلغت التّراقی قلت: أتصدّق، و أنّی أوان الصّدقة؟». انظر ص: ۵۹۶ - أخرجه الإمام أحمد فی المسند ۴: ۲۱۰- ۲۱۱ [من طریق أربعة من شیوخه عن حریز ابن عبد الرحمن بن میسرة]. - و ابن ماجة فی الوصایا (۲۷۰۷) و الحدیث حسن بنظر «مسند أحمد» ۲۹: ۳۸۵، رقم ۱۷۸۴۲، من طبعة الرسالة. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث أوردناه فی سبیل ضرب الأمثال و لیس لغرض إظهار الإعجاز العلمی فی القرآن و السنّة فی مجال تخلّق الجنین، و هو لا یعنینا إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۰۷ فی هذا المقام. و هو حدیث حسن الإسناد، غیر أنه لا یتناول حادثة کونیة علمیة، فلا یصح الاحتجاج به أیضا علی أنه إعجاز علمی. و ینطبق علیه حکم رقم ۸. ۰ [ح ۳] عن عائشة رضی اللّه عنها زوج النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم أنّها سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم یقول: «إنّ الملائکة تنزل فی العنان- و هو السّحاب- فتذکر الأمر قضی فی السّماء، فتسترق الشّیاطین السّمع فتسمعه، فتوحیه إلی الکهّان، فیکذبون معها مائة کذبة من عند أنفسهم». انظر ص: ۵۹۴ (ح)- ۶۹۳. - أخرجه البخاری فی «کتاب بدء الخلق»، (۶) باب ذکر الملائکة، رقم ۳۲۱۰. و أخرجه فی «کتاب الطب»، (۴۶) باب الکهانة، رقم ۵۷۶۲، بلفظ آخر. و فی «کتاب الأدب»، (۱۱۷) باب قول الرجل للشیء «لیس بشیء» و هو ینوی أنه لیس بحق، رقم ۶۲۱۳، بلفظ آخر. و أخرجه أیضا فی موضع آخر. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث أوردناه فی سبیل ضرب الأمثال و التفسیر، و لیس لغرض إظهار الإعجاز العلمی فی القرآن و السّنّة، و هو لا یتحدث عن ظاهرة علمیة، و بالتالی لیس هناک تعلیق علیه من ناحیة الإعجاز. و ینطبق علیه الحکم رقم ۷. ۰ [ح ۴] عن أبی هریرة رضی اللّه عنه قال: وکّلنی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم بحفظ زکاة رمضان، فأتانی آت، فجعل یحثو من الطعام، فأخذته، و قلت: و اللّه لأرفعنّک إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم/ فقصّ الحدیث/. فقال لی: إذا أویت إلی فراشک فاقرأ آیة الکرسی ...، لن یزال علیک من اللّه حافظ و لا یقربک شیطان حتی تصبح ...، و قال النبی صلّی اللّه علیه و سلّم: «صدقک و هو کذوب، ... ذاک شیطان». انظر ص: ۵۹۳ (ح)- ۵۹۴ (ح)- ۶۹۳. - جزء من حدیث طویل أخرجه البخاری فی «کتاب الوکالة»، (۱۰) باب إذا وکّل رجلا فترک الوکیل شیئا فأجازه الموکّل فهو جائز، و إن أقرضه إلی أجل مسمّی جاز، رقم ۲۳۱۱. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۰۸ و أخرجه فی «کتاب بدء الخلق»، (۱۱) باب صفة إبلیس و جنوده، رقم ۳۲۷۵ مختصرا. و أخرجه فی «کتاب فضائل القرآن»، (۱۰) باب فضل سورة البقرة، رقم ۵۰۱۰، و لفظه قریب جدا من لفظ الحدیث رقم ۳۲۷۵. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۳. ۰ [ح ۵] عن المغیرة بن شعبة: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «من حدّث عنی بحدیث یری أنه کذب فهو أحد الکاذبین». و فی روایة «الکاذبین» بالجمع. انظر ص: ۵۹۲. - هذا الحدیث رواه الإمام مسلم فی مقدمة صحیحه، (۱) باب وجوب الروایة عن الثقات و ترک الکذابین، و التحذیر من الکذب علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم. - و أخرجه الترمذی فی سننه فی «کتاب العلم»، (۹) باب ما جاء فیمن روی حدیثا و هو یری أنه کذب، رقم ۲۶۶۲، بلفظ: «فهو واحد الکاذبین». [نسخة تحفة الأحوذی ۷: ۴۲۲ أحد، بدل واحد]. قال الترمذی: هذا حدیث حسن صحیح. - و رواه ابن ماجة فی مقدمة سننه، (۵) باب من حدّث عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم حدیثا و هو یری أنه کذب، رقم ۳۸- ۴۱ - و أخرجه الإمام أحمد فی المسند ۵: ۱۴، بلفظ «من حدث بحدیث و هو یری أنه کذب فهو أحد الکاذبین». و فی ۵: ۲۰، بلفظ «من حدث عنی حدیثا یری أنه کذب فهو أحد الکاذبین». و أخرجه فی ۱: ۱۱۳، بلفظ «من حدث عنی حدیثا یری أنه کذب فهو أحد الکاذبین». و أخرجه فی ۴: ۲۵۰ بمثل اللفظ الأول- عنده- لکن بلفظ «الکذّابین». و فی ۴: ۲۵۲ بلفظ: «من حدّث بحدیث و هو یری أنه کذب فهو أحد الکذّابین». (فاللفظ هنا عام غیر مختص بالنبی صلّی اللّه علیه و سلّم). و فی ۴: ۲۵۵ بلفظ: «من حدّث بحدیث و هو یری أنه کذب فهو أحد الکاذبین- و فی روایة أحد الکذّابین-». و هذا اللفظ أیضا عام. و ینظر الحدیث رقم ۶ (التالی). صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۳. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۰۹ ۰ [ح ۶] عن أنس رضی اللّه عنه: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «من تعمّد علیّ کذبا فلیتبوّأ مقعده من النار». انظر ص: ۵۹۲ - أخرجه البخاری- بهذا اللفظ- فی «کتاب العلم»، (۳۸) باب إثم من کذب علی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم، رقم ۱۰۸. و فی الکتاب و الباب نفسه رقم ۱۰۶- ۱۰۷- ۱۰۹- ۱۱۰. و أخرجه فی کتب أخری کالجنائز و الأنبیاء و الأدب. - و أخرجه مسلم فی «کتاب الزّهد و الرقائق»، (۱۶) باب التثبّت فی الحدیث، و حکم کتابة العلم، رقم ۷۲/ ۳۰۰۴. و الحدیث أخرجه کثیرون عن عدد کبیر من الصحابة. و قد نص المحدثون علی تواتره، ینظر علی سبیل المثال: «نظم المتناثر من الحدیث المتواتر»، للمحدّث محمد بن جعفر الکتانی، ح رقم ۲، کتاب العلم، ص ۳۵- ۴۱. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۳. ۰ [ح ۷] عن سعید بن عمرو أنه سمع ابن عمر رضی اللّه عنهما عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم أنه قال: «إنّا أمّة أمّیّة لا نکتب و لا نحسب ...». انظر ص: ۴۲. - أخرجه البخاری فی «کتاب الصوم»، (۱۳) باب قول النبی صلّی اللّه علیه و سلّم: «لا نکتب و لا نحسب» رقم ۱۹۱۳. و اللفظ له. - و أخرجه مسلم فی «کتاب الصیام»، (۲) باب وجوب صوم رمضان لرؤیة الهلال، و الفطر لرؤیة الهلال، رقم ۱۵. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث له علاقة غیر مباشرة بالإعجاز، لأنه یظهر أمّیة الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم و مدی الفتح الربّانی علیه صلّی اللّه علیه و سلّم، و بالتالی فإن موضوع الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة یرتکز علیه، و هو صحیح المعنی، صحیح السند لأنه ورد فی صحیح البخاری. و ینطبق علیه الحکم رقم ۷. ۰ [ح ۸] عن عائشة أمّ المؤمنین أنّها قالت: أوّل ما بدئ به رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم من الوحی الرّؤیا الصّالحة فی النّوم، فکان لا یری رؤیا إلّا جاءت مثل فلق الصّبح، ثمّ حبّب إلیه الخلاء، و کان یخلو بغار حراء، فیتحنّث فیه- و هو التّعبد اللّیالی ذوات العدد- قبل أن ینزع إلی أهله و یتزوّد لذلک، ثمّ یرجع إلی خدیجة فیتزوّد لمثلها، حتّی جاءه الحقّ و هو فی غار حراء، فجاءه الملک، فقال: اقرأ قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذنی فغطّنی حتّی بلغ منّی الجهد، ثمّ أرسلنی، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذنی فغطّنی الثّانیة حتّی بلغ منّی الجهد، ثمّ أرسلنی، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذنی فغطّنی الثّالثة ثمّ أرسلنی، فقال: اقْرَأْ باسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ (۱) خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ (۲) اقْرَأْ وَ رَبُّکَ الْأَکْرَمُ (۳) [العلق: ۱- ۳]. انظر ص: ۴۴. - أخرجه البخاری فی «کتاب بدء الوحی»، (۱) باب کیف کان بدء الوحی إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، رقم ۳. و اللفظ له. - و أخرجه مسلم فی «کتاب الإیمان»، (۷۳) باب بدء الوحی إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، رقم ۲۵۲. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۷. ۰ [ح ۹] عن ثوبان مولی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، قال: کنت قائما عند رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، فجاء حبر من أحبار الیهود فقال: السّلام علیک یا محمّد ... جئت أسألک عن شیء لا یعلمه أحد من أهل الأرض إلّا نبیّ أو رجل أو رجلان، قال: «ینفعک إن حدّثتک؟» قال: أسمع بأذنی، قال: جئت أسألک عن الولد، قال: «ماء الرّجل أبیض، و ماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا، فعلا منیّ الرّجل منیّ المرأة أذکرا بإذن اللّه، و إذا علا منیّ المرأة منیّ الرّجل آنثا بإذن اللّه» قال الیهودیّ: لقد صدقت، و إنّک لنبیّ، ثمّ انصرف، فذهب، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «لقد سألنی هذا عن الّذی سألنی عنه و ما لی علم بشیء منه حتّی أتانی اللّه به». انظر ص: ۷۴ - ۷۸- ۸۰- ۸۲- ۸۴- ۱۰۴- ۱۰۵ (ص)- ۱۰۹ (ح)- ۳۹۹- ۵۱۴- ۵۴۳ (ح)- ۶۰۱- ۶۰۲. - أخرجه مسلم فی «کتاب الحیض»، (۸) باب بیان صفة منیّ الرجل و المرأة و أنّ الولد مخلوق من مائهما، رقم ۳۴. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: یتکلم هذا الحدیث عن ظواهر علمیة غیبیة، ألا إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۱۱ و هی باختصار: إذکار أو إیناث الجنین، و الظروف التی تسهّل هذه العملیة. و قد روی هذا المتن بسند آخر و جاء فیه «أذکر» و «آنث». و الصحیح هو «أذکرا» و «آنثا» بالتثنیة، لأنه یتوجب إشراک کل من ماء الرجل و ماء المرأة فی عملیة إذکار أو إیناث الجنین، و بالتالی تتوفر فیه جمیع الشروط لإطلاق علیه حکم «الإعجاز العلمی فی القرآن و السّنّة» (حکم رقم ۲۰). ۰ [۱۰] عن أبی هریرة عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «ما من الأنبیاء نبیّ إلّا أعطی من الآیات ما مثله أو من أو آمن علیه البشر، و إنّما کان الّذی أوتیت وحیا أوحاه اللّه إلیّ، فأرجو أنّی أکثرهم تابعا یوم القیامة». انظر ص: ۵۲. - أخرجه البخاری فی «کتاب الاعتصام بالکتاب و السّنّة»، (۱) باب قول النبی صلّی اللّه علیه و سلّم: «بعثت بجوامع الکلم» رقم ۷۲۷۴. و اللفظ له. - و أخرجه مسلم فی «کتاب الإیمان»، (۷۰) باب وجوب الإیمان برسالة نبینا محمد صلّی اللّه علیه و سلّم إلی جمیع الناس و نسخ الملل بملّته. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث لیس له علاقة مباشرة بالإعجاز، لأنه یتحدّث عن طبیعة الإعجاز الذی أعطی للرسول صلّی اللّه علیه و سلّم و لیس عن خبر إعجازی محدد. و بالتالی فإن موضوع الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة یرتکز علیه. و ینطبق علیه الحکم رقم ۷. ۰ [ح ۱۱] حدّثنا عبد الرّحمن بن إبراهیم الدّمشقیّ، حدّثنا بشر بن بکر، حدّثنا ابن جابر، حدّثنی أبو عبد السّلام عن ثوبان قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «یوشک الأمم أن تداعی علیکم کما تداعی الأکلة إلی قصعتها» فقال قائل: و من قلّة نحن یومئذ؟ قال: «بل أنتم یومئذ کثیر، و لکنّکم غثاء کغثاء السّیل، و لینزعنّ اللّه من صدور عدوّکم المهابة منکم، و لیقذفنّ اللّه فی قلوبکم الوهن، فقال قائل: یا رسول اللّه: و ما الوهن؟ قال: «حبّ الدّنیا و کراهیة الموت». انظر ص: ۵۴ - أخرجه أبو داود فی «کتاب الملاحم»، باب فی تداعی الأمم علی الإسلام، رقم ۴۲۹۷. و اللفظ له. - و أخرجه أحمد فی المسند ۲: ۳۳۹. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۱۲ فی سند الحدیث مقال، و قد حسّنه بعضهم و قوّی إسناده بعضهم، و الحق أنه حسن لغیره. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۳. إلا أنه یشیر إلی إعجاز إخباری (و لیس فی مجال العلم) لأنه یتکلم عن أخبار غیبیة تحققت بعد عصر البعثة، و ینطبق علیه الحکم رقم ۷. ۰ [ح ۱۲] عن أبی

هریرة رضی اللّه عنه: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «کلّ شیء خلق من ماء». انظر ص: ۵۶- ۵۷. - أخرجه الإمام أحمد فی المسند ۲: ۲۹۵- ۳۲۳- ۴۹۳. [قال الهیثمی: رواه أحمد و رجاله رجال الصحیح خلا أبی میمونة، و هو ثقة، و قال أحمد شاکر فی شرحه علی المسند ۱۵: ۷۲. رقم ۷۹۱۹. إسناده صحیح]. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث صحیح السند، صحیح المعنی من الناحیة العلمیة، و هو یتکلم عن ظاهرة کونیة لا یعلمها إلّا القلیل من الناس، و قد یکون معلوما لدی علماء عصور ما قبل بعثة الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم، و ذلک لأن مجرّد الاحتکام إلی العقل و التفکر و النظر فی خلق اللّه قد یوصلنا إلی هذه النتیجة، غیر أن وصول الناس إلی هذه النتیجة تبقی فی مجال الظن لأنه لیس بوسعهم قبل البعثة التحقق من هذا معملیا. أما الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم فقد بتّ فی هذا الأمر عن یقین بما أوحی اللّه تعالی له، و إقرار النبی صلّی اللّه علیه و سلّم لیس کإقرار الناس لأنه یترتب علیه نفی النبوة، و بالتالی فیعتبر تحدّیا، و یصح الاحتجاج به علی أنه إعجاز علمی (حکم رقم ۲۰). * [ح ۱۳] عن أبی هریرة رضی اللّه عنه: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «بعثت بجوامع الکلم». انظر ص: ۲۰- ۶۹- ۷۰- ۱۳۷- ۱۳۹ (ح)- ۲۱۱- ۳۰۳- ۳۵۶- ۵۴۰ (ح)- ۵۷۹- ۶۹۵. - أخرجه البخاری فی «کتاب الجهاد»، (۱۲۲) باب قول النبی صلّی اللّه علیه و سلّم: «نصرت بالرّعب مسیرة شهر»، رقم ۲۹۷۷. و أخرجه أیضا فی «کتاب التعبیر» (۲۲) باب المفاتیح فی الید، رقم ۷۰۱۳. و أخرجه أیضا فی «کتاب الاعتصام بالکتاب و السّنّة»، (۱) باب قول النبی صلّی اللّه علیه و سلّم: «بعثت بجوامع الکلم»، رقم ۷۲۷۳. - و أخرجه مسلم فی «کتاب المساجد و مواضع الصلاة»، رقم ۱۱۶۸. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث لیس له علاقة مباشرة بالإعجاز، لأنه إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۱۳ یتحدّث عن منهجیة متّبعة فی إظهار الإعجاز الذی أعطی للرسول صلّی اللّه علیه و سلّم، و لا یتکلم عن خبر إعجازی محدد. و بالتالی فإن موضوع الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة یرتکز علیه. و ینطبق علیه الحکم رقم ۷. * [ح ۱۴] عن أمّ سلمة قالت: جاءت أمّ سلیم إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم فقالت: یا رسول اللّه: إنّ اللّه لا یستحیی من الحقّ، فهل علی المرأة من غسل إذا احتلمت؟ قال النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم: «إذا رأت الماء»، فغطّت أمّ سلمة- تعنی وجهها- و قالت: یا رسول اللّه! أو تحتلم المرأة؟ قال: «نعم تربت یمینک فبم یشبهها ولدها؟». انظر ص: ۷۴- ۷۵- ۷۷- ۸۲ (ح)- ۵۳۹ (ح)- ۵۴۰ (ح)- ۵۴۳ (ح). - أخرجه البخاری فی «کتاب العلم»، (۵۰) باب الحیاء فی العلم، رقم ۱۳۰. و اللفظ له. - و أخرجه مسلم فی «کتاب الحیض»، (۷) باب وجوب الغسل علی المرأة بخروج المنیّ منها، رقم ۳۲. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث یتکلم عن ظاهرة کونیة لا یعلمها إلّا القلیل من الناس علی وجه الیقین (و هو قد یکون معلوما لبعض من علماء عصور ما قبل البعثة لأنه یتکلم عن أن للمرأة منیّا کما أن للرجل منیّ؛ و هذا أمر غیر غیبی، لأنه یوسع المرأة أو الطبیب أن یشاهدا إفرازات المهبل)، و بالتالی فإن النص الشرعی یتناول حادثة قد تکون معلومة فی بعض الأزمنة، و لا یصح الاحتجاج به علی أنه إعجاز علمی، و لکن یصح الاستشهاد به علی أنه مرجع دینی علمی ملفت للنظر، و ینطبق علیه الحکم رقم ۹. * [ح ۱۵] حدّثنا أبو نعیم، حدّثنا سفیان عن ابن المنکدر: سمعت جابرا رضی اللّه عنه قال: کانت الیهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول، فنزلت: نِساؤُکُمْ حَرْثٌ لَکُمْ فَأْتُوا حَرْثَکُمْ أَنَّی شِئْتُمْ [البقرة: ۲۲۳]. انظر ص: ۴۳. - أخرجه البخاری فی «تفسیر القرآن» باب نِساؤُکُمْ حَرْثٌ لَکُمْ فَأْتُوا حَرْثَکُمْ أَنَّی شِئْتُمْ، رقم ۴۵۲۳. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث لیس بعینه الإعجاز، و إنما فی الآیة إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۱۴ التی نزلت بسببه، و أوردناه فی سبیل ضرب الأمثال و التفسیر، بید أن موضوع الإعجاز العلمی یرتکز علیه لأنه ینفی اعتقادا خاطئا اکتسبه العرب من الیهود، و یظهر مدی تقدّم تعالیم الإسلام علی غیرها من المعتقدات السائدة فی شبه الجزیرة العربیة. و هو إن کان یتناول موضوعا علمیا (و هو أن إتیان النساء من قبل الرجال من جهة الخلف فی القبل لیس له تأثیر علی تخلق الجنین)، غیر أن موضوعه لا یعتبر بعیدا عن إدراک العالم سلیم التفکیر، بعید الحدس، و قد تکون عادة الإتیان المذکورة سابقا معروفة لدی شعوب أخری فی العالم أنها لا تضرّ. و ینطبق علیه الحکم رقم ۹. * [ح ۱۶] عن أبی موسی الأشعری قال: أخذ النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم فی عقبة- أو قال: فی ثنیة- قال: فلمّا علا علیها رجل نادی، فرفع صوته: لا إله إلّا اللّه و اللّه أکبر، قال: و رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم علی بغلته، قال: «فإنّکم لا تدعون أصمّا و لا غائبا». انظر ص: ۸۳. - أخرجه البخاری فی «کتاب الدعوات»، (۷) باب لا حول و لا قوّة إلا باللّه، رقم ۶۴۰۹. و اللفظ له. - و أخرجه مسلم فی «کتاب الذّکر و الدّعاء»، (۱۳) باب استحباب خفض الصوت بالذّکر، رقم ۴۵. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۳. * [ح ۱۷] عن أبی الوذّاک عن أبی سعید الخدری سمعه یقول: سئل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم عن العزل، فقال: «ما من کلّ الماء یکون الولد و إذا أراد اللّه خلق شیء لم یمنعه شیء». انظر ص: ۱۰۶- ۱۰۹- ۱۱۰ (ص)- ۱۳۷- ۱۳۹ (ح)- ۱۴۱- ۱۴۴ (ح)- ۵۳۸- ۵۵۱. - أخرجه مسلم فی «کتاب النکاح»، (۲۲) باب حکم العزل، رقم ۱۳۳. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث یتکلم عن ظاهرة غیبیة و هی أن الإنسان یتخلق من جزء من المنیّ- من الحیوانات المنویة- و لیس من المنیّ کلّه، و لا یمکننا معرفة ذلک إلا بواسطة المجهر الألکترونی (الذی لم یکن متاحا قبل عصر البعثة) لصغر حجم الحیوانات المنویة، و بالتالی تتوفر فیه جمیع الشروط لإطلاق حکم «الإعجاز» العلمی فی القرآن و السّنّة فی مجال تخلق الجنین (حکم رقم ۲۰). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۱۵ * [ح ۱۸] عن سالم بن عبد اللّه بن عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه عن أبیه قال: سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم یقول: «بینما أنا نائم رأیتنی أطوف بالکعبة فإذا رجل آدم سبط الشّعر بین رجلین ینطف رأسه ماء ...». انظر ص: ۱۰۹. - أخرجه البخاری فی «کتاب أحادیث الأنبیاء»، (۴۸) باب قول اللّه: وَ اذْکُرْ فِی الْکِتابِ مَرْیَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها مَکاناً شَرْقِیًّا ... [مریم: ۱۶]، رقم ۳۴۴۱. - و أخرجه مسلم فی «کتاب الإیمان»، (۷۵) باب ذکر المسیح ابن مریم و المسیح الدّجّال، رقم ۲۷۷. و اللفظ له. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۳. * [ح ۱۹] عن الزهری قال: أخبرنی أنس بن مالک قال: کنّا جلوسا مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم فقال: «یطلع علیکم الآن رجل من أهل الجنّة»، فطلع رجل من الأنصار تنطف لحیته من وضوئه .. انظر ص: ۱۰۹. - رواه الإمام أحمد فی المسند ۳: ۱۶۶. قال المنذری فی «الترغیب و الترهیب» ۳: ۵۴۸- ۵۴۹، من کتاب الأدب باب الترهیب من الحسد و فضل سلامة الصدر: بإسناد علی شرط البخاری و مسلم، و النسائی، و رواته احتجّا بهم أیضا، إلا شیخه سوید بن نصر و هو ثقة. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۳. * [ح ۲۰] حدثنا حسین بن الحسن، حدثنا أبو کدینة، عن عطاء بن السائب، عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبیه عن عبد اللّه قال: مرّ یهودیّ برسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و هو یحدث أصحابه، فقالت قریش: یا یهودیّ: إنّ هذا یزعم أنه نبیّ، فقال: لأسألنه عن شیء لا یعلمه إلّا نبیّ، قال: فجاء حتّی جلس ثمّ قال: یا محمّد ممّ یخلق الإنسان؟ قال: «یا یهودیّ من کلّ یخلق، من نطفة الرّجل و من نطفة المرأة، فأمّا نطفة الرّجل فنطفة غلیظة منها العظم و العصب، و أمّا نطفة المرأة فنطفة رقیقة منها اللّحم و الدّم، فقام الیهودیّ فقال: هکذا کان یقول من قبلک». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۱۶ انظر ص: ۱۱۱- ۱۳۳- ۱۳۴- ۱۴۲- ۲۱۴- ۲۲۰. - أخرجه الإمام أحمد فی المسند ۱: ۴۶۵. [فی سنده حسین بن حسن الأشقر الفزاری ضعیف، قال البخاری: «فیه نظر»، و قال أبو زرعة: «منکر الحدیث»، و ذکره ابن حبان فی الثقات، و قال ابن حجر: صدوق یهم و یغلو فی التشیع، ینظر: شرحه فی المسند لأحمد شاکر ۶: ۱۹۹، و تقریب التهذیب رقم: ۱۳۱۸، و «کتاب التذکرة بمعرفة رجال الکتب العشرة» للحسینی رقم ۱۳۰۴]. و ینظر «مسند الإمام أحمد» ۷: ۴۳۷، من طبعة الرسالة. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: إن بعض متن هذا الحدیث صحیح مثل: (یا یهودیّ من کلّ یخلق، من نطفة الرّجل و من نطفة المرأة، فأمّا نطفة الرّجل فنطفة غلیظة ...، و أمّا نطفة المرأة فنطفة رقیقة ...)، و بعضه الآخر غیر صحیح مثل: أن العظم و العصب من نطفة الرجل، و أن اللحم و الدم من نطفة المرأة. و ما یقوله العلم الیوم هی أن کل الأعضاء تتخلق مناصفة من نطفة الرجل و نطفة المرأة. و یشهد للجزء الصحیح من هذا المتن الحدیث رقم ۶۷ علی وجه عام، و رقم ۶۹ علی وجه خاص. و من الجدیر بالذکر أن العلماء اختلفوا فی الحکم علی راو من رواة الحدیث، حیث أفاد قول العلماء فیه أنه ینفرد بروایات، و له أوهام، و بالتالی فاحتمال الوهم فیه وارد. و علیه فإن الجزء الذی انفرد بروایته، و الذی عارض العلم الکونی، یعدّ ضعیفا لا یصلح للاحتجاج به فی مجال الإعجاز العلمی. و ینطبق علی مجمل الحدیث حکم رقم (۱۴). * [ح ۲۱] عن مالک بن الحویرث أنّ النبی صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «إنّ اللّه تعالی إذا أراد خلق النّسمة، فجامع الرّجل المرأة، طار ماؤه فی کلّ عرق و عصب منها، فإذا کان یوم السابع جمعه اللّه تعالی، ثم أحضر له کلّ عرق له بینه و بین آدم. ثم قرأ: فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ [الانفطار: ۸]». انظر ص: ۸۰- ۱۳۶- ۱۴۱- ۱۴۲- ۱۴۴- ۱۴۵- ۱۴۸- ۱۵۰- ۱۵۱- ۱۵۲- ۱۵۳- ۲۲۶- ۲۳۴- ۲۳۵- ۲۴۱- ۲۴۲- ۲۴۵- ۲۴۷- ۲۴۸- ۲۶۸- ۳۰۱- ۳۰۲- ۳۹۸- ۴۰۰- ۴۰۱- ۴۰۷- ۴۹۹- ۵۱۷- ۵۱۸- ۵۲۱- ۵۲۷- ۵۳۳- ۵۵۲- ۵۵۶- ۵۵۷- ۵۸۵- ۵۸۷- ۵۹۵- ۷۰۶. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۱۷ - [رواه الطبرانی فی «الکبیر» ۱۹: ۶۶۴، و الأوسط ۲: ۳۶۵- ۳۶۶، رقم ۱۶۳۶، و «الصغیر»: ۱۰۶، و البیهقی فی «الأسماء و الصفات» ۲: ۱۲۹ (ط ۱، ۱۹۸۵ م، دار الکتاب العربی) و ابن منده فی کتاب «التوحید»، و قال: إسناده متّصل مشهور علی رسم أبی عیسی- أی الترمذی- و النسائی و غیرهما، و جوّد السیوطی إسناده، و قال الهیثمی: رجاله ثقات، ینظر: جامع العلوم و الحکم لابن رجب: ۱۵۴، و مجمع الزوائد ۷: ۱۳۴، و الدر المنثور: ۸/ ۴۳۹]. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث جیّد الإسناد، و هو صحیح المعنی. و یتناول أخبارا علمیة غیبیة، و هی- باختصار- انتشار صبغیات نطفة الرجل بین صبغیات نطفة المرأة، و عملیة إحضار «خطة ترکیب الجنین» من الصبغیات. و بالتالی تتوفّر فیه جمیع الشروط لأن نطلق علیه حکم «الإعجاز العلمی فی القرآن و السّنّة» (حکم رقم ۲۰). و قد ورد فی متن آخر لهذا الحدیث عند البیهقی لفظ «عضو» بدلا من لفظ «عصب»، و الأولی هو لفظ «عصب»، حیث إن المعطیات العلمیة تقصر عملیة الانتشار (أی عملیة الطیران) علی الصبغیات فقط کما یشیر إلیه معنی کلمتی «عرق» و «عصب»، و لیس علی کلّ أعضاء النطفة المخصّبة. أضف إلی ذلک أنّ مجموع الأحادیث النبویة الشریفة جاء فیها لفظ «عرق» فقط دون لفظ «عضو». انظر تعلیقنا عن التصحیف فی حاشیة «الملحق» المرفق فی آخر الکتاب. * [ح ۲۲] حدثنا الجارود قال: حدثنا علی الحسین بن شقیق قال: أخبرنا عبد اللّه قال: حدثنا مغیرة بن مسلم عن عبد اللّه بن بریدة: أن رجلا من الأنصار ولدت له امرأته غلاما أسود، فأخذ بید امرأته فأتی بها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، فقالت: و الذی بعثک بالحق لقد تزوّجنی بکرا و ما أقعدت مقعده أحدا، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «صدقت، إن لک تسعة و تسعین عرقا، و له مثل ذلک، إذا کان حین الولد اضطربت العروق کلّها، لیس منها عرق إلا یسأل اللّه أن یجعل الشّبه له» «۱». انظر ص: ۱۴۶- ۱۵۰- ۱۵۵- ۱۵۶- ۲۰۸- ۲۱۱- ۳۸۱- ۴۰۰- ۵۳۰- ۵۳۳- ۵۴۴- ۵۵۷ (ح)- ۷۰۶- ۷۰۷- ۷۱۰ (ح).

(۱) کما جاء فی مخطوطة نسخة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامیة (الریاض، المملکة العربیة السعودیة)، برقم ۳۴۸۷. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۱۸ - أورده السیوطی فی «الدر المنثور» تفسیر سورة الانفطار. - و أخرجه الحکیم الترمذی فی «نوادر الأصول» الأصل الثامن و الأربعون و المائة فی الثلاثة التی تحت العرش. ص ۱۹۱/ من الطبعة المصوّرة فی دار صادر- بیروت-» و قال فی روایة ابن بریدة: أن

رجلا من الأنصار ...». دراسة رجال السند: - الجارود: هو الجارود «۱» (فإما أن يكون أخطأ الناسخ، و إما أن تكون اضمحلّت نقطة حرف «ج» مع مرور الزمن) و الجارود هو من شيوخ الحكيم الترمذي، و هو شيعي ثقة و اسمه عباد بن يعقوب الرواجني (سير أعلام النبلاء: ۱۱/ ۵۳۶). - على الحسين بن شقيق: هو على بن الحسن «۲» بن شقيق (خطأ من الناسخ) من شيوخ البخاري و أحمد بن حنبل و هو ثقة (تهذيب الكمال: ۲۰/ ۳۷۱). - عبد اللّه: هو (ابن المبارك) الإمام الحجة الثقة (تقريب التهذيب: ۳۲۰). - مغيرة بن مسلم القسمي التراج: صدوق (تقريب التهذيب: ۵۴۲). - عبد اللّه بن بريدة: أبو سهل المروزي، قاضي مرو تابعي ثقة، توفي سنة ۱۰۵ هجرية و قيل بل ۱۱۵ هجرية و له مائة سنة، ينظر تقريب التهذيب رقم ۳۲۲۷. فالحديث ضعيف لإرساله. صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث ضعيف لإرساله، و هو صحيح المعنى (إلا في عدد الصبغيات، حيث إن العدد في متن الحديث يتوافق مع المعطيات العلمية في رأس العدد- أي العدد «تسعين»- و يختلف في الرقم الفرعي- أي العدد «تسعة»- مما يخفّف من وطأة الخطأ). و من الجدير بالذكر أن سند هذا الحديث آحادي، أي أنه لم يرو إلا من هذا الوجه، و بالتالي فإن احتمال الخطأ فيه وارد، خصوصا أنه ليس هناك سند قويّ متابع له يتكرر فيه هذا الخطأ، و بالتالي سنعتبر هذا الاختلاف ناتجا من سمع الرواة، و ليس من كذبهم لأن جميعهم ثقات (_____ ۱) كما جاء في مخطوطة نسخة مكتبة الملك فهد (الرياض، المملكة العربية السعودية)، برقم ۱۸۱. المجلد الأول، تحت الأصل الخمسين و المائة، ص ۲۱۵. (۲) في نسخة جامعة الإمام محمد بن سعود جاء: على الحسين بن شقيق، و في نسخة مكتبة الملك فهد جاء: على الحسن شقيق، و الأصل على بن الحسن بن شقيق، لأن هذا الاسم هو الوحيد الذي له ترجمة، و لأنه يجمع بين ما ورد في النسختين. إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، ص: ۶۱۹ كذلك فإن الخطأ ليس ناجما من خطأ الناسخ و ذلك لأن لفظ «تسعة و تسعين عرقا» جاء في جميع المخطوطات التي تحققنا منها. و من الجدير بالذكر أنه يحتوي على عدّة إخبارات غيبية صحيحة و في غاية الدّقة مثل: أن يكون للإنسان عائة عروقا (و يشهد لهذا الظاهر الأحاديث رقم: ۲۱، ۲۳، ۶۵، ۷۰، ۷۱، ۹۰، ۹۲). و أنّ هذه العروق تسبّب شبه الإنسان بأقربائه (انظر حديث رقم ۲۱، ۶۵، ۷۱، ۹۰). و أن للرجل عددا مماثلا من العروق التي للمرأة، و أن هذه العروق تضطرب (انظر حديث رقم: ۲۱، ۲۳، ۶۵، ۷۰، ۹۰، ۹۲). و أن حادثة الاضطراب تحدث عند بداية «الخلق»- أي عند تخصيب البويضة المخصّبة- (انظر حديث رقم ۲۳). و أن هذه العروق تدسّ صفات في النسل غير المباشر (انظر حديث رقم ۲۱، ۶۳، ۶۵، ۷۱). و بما أن ضعف هذا الحديث غير شديد و ذلك لأنه حديث مرسل عن ثقة «۱»، و بما أن حادثة اضطراب العروق تندرج تحت ظاهرة كونية يعتقد ثبوتها في مجال الأحاديث النبوية الشريفة (كما أشرنا إليه سابقا في هذا التعليق)، و بما أن معظم متنه موافق للمعطيات العلمية المقررة (راجع مبحث «اضطراب عروق النطفة»)، فلا بأس من الاستشهاد به في مجال الإعجاز العلمي في القرآن و السنّة «۲»، شرط توضيح الفارق البسيط في رقم عدد الصبغيات، و تبيان كيفيّة حدوث هذا الخطأ. و ينطبق عليه الحكمان رقم ۱۲ و ۱۴. * [ح ۲۳] عن ابن عباس مرفوعا: «النطفة التي يخلق منها الولد، ترعد لها الأعضاء و العروق كلها، إذا خرجت، وقعت في الرحم». انظر ص: ۱۵۵- ۱۵۶- ۲۰۸- ۲۱۰- ۲۱۱- ۲۱۴- ۲۱۵- ۴۰۰- ۵۹۹- ۷۰۵- ۷۰۹ (ح)- ۷۱۰ (ح). - أخرجه الديلمي. و هو شديد الضعف، قال السيوطي في «الدر المنثور» ۵: ۶: «بسند واه». و ذكره ابن عراق الكناني في «تنزيه الشريعة» ۱ : ۲۲۶ رقم ۱۵۷. (_____ ۱) راجع تعليقنا على هذا الأمر في مبحث «تعريف الإعجاز العلمي في القرآن و السنة و الأسس التي يرتكز عليها». (۲) راجع تعليقنا على هذا الأمر في مبحث «تعريف الإعجاز العلمي في القرآن و السنة و الأسس التي يرتكز عليها». إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، ص: ۶۲۰ و في سنده: نهشل بن سعيد بن وردان، ... متروك- أي متّهم بالكذب- و كذّبه إسحاق بن راهويه/ التقريب رقم ۷۱۹۸/. صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث شديد ضعف السند، صحيح المعنى، و ذلك لأن راويه «نهشل» اتّهم بالكذب. و لفظ «الأعضاء» لا يتوافق مع المعطيات العلمية كما أشرنا إليه في تعليقنا على الحديث رقم ۲۱. و هو يشير إلى معظم الدلالات العلمية التي يتحدث عنها الحديث السابق، و هي: أن للإنسان عائة عروقا، و أن هذه العروق ترعد- أي تضطرب- و أن حادثة الارتعاد تحدث بعد حصول عملية «الخلق»- أي بعد تخصيب البويضة المخصّبة-. و يضيف إلى ذلك أن النطفة تأتي من خارج الرّحم، و أنها تخرج من مكان ما لتقع بالرّحم، و يشهد لهاتين الظاهرتين الأخيرتين الحديث رقم ۳۲. و بما أن الحديث ضعيف جدا (مع أن متنه يوافق المعطيات العلمية) فلا يصح الاحتجاج به في الإعجاز، حتى يثبت معناه من نصوص أخرى، و ينطبق عليه الحكم رقم ۱۶. غير أننا نستطيع أن نعتبره أثرا إسلاميا، مع عدم نسبته للرسول صلّى اللّه عليه و سلّم، و أن نجعله قاعدة للبحث في مجال الإعجاز العلمي في القرآن و السنّة. * [ح ۲۴] في حديث يزيد بن الأسود العامري: «فجيء بهما ترعد فرائصهما/ أي ترجف و تضطرب من الخوف/». انظر ص: ۱۵۶. - أخرجه الترمذي في «كتاب الصلاة»، (۱۶۳) باب ما جاء في الرجل يصلّي وحده ثم يدرك الجماعة، رقم ۲۱۹. و اللفظ له. و قال: حديث حسن صحيح. - و أخرجه النسائي في «كتاب الإمامة»، (۵۴) باب إعادة الفجر مع الجماعة لمن صلى وحده، رقم ۸۵۸. صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم ۳. * [ح ۲۵] عن عليّ- كرّم اللّه وجهه-: «و الّذي فلق الحبّة و برأ النّسمة إنّه لعهد النّبيّ الأمّيّ صلّى اللّه عليه و سلّم إليّ أن لا- يحبّني إلّا مؤمن و لا يبغضني إلّا منافق». انظر ص: ۱۵۹- ۴۹۹ (ح). - أخرجه مسلم في «كتاب الإيمان»، (۳۳) باب الدليل على أن حبّ الأنصار إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، ص: ۶۲۱ و عليّ رضي اللّه عنهم من الإيمان ...»، رقم ۱۳۱. صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم ۳. * [ح ۲۶] عن فاطمة بنت أبي حبيش أنّها كانت تستحاض فقال لها النّبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم: «إذا كان دم الحيض فإنّه دم أسود يعرف، فإذا كان ذلك فأمسكي عن الصّلاة، فإذا كان الآخر فتوضّئي و صلّي». انظر ص: ۱۸۰- ۱۸۶- ۱۸۹. - أخرجه أبو داود في سننه في «كتاب الطهارة»، باب من قال توضأ لكل صلاة، رقم ۳۰۴. و اللفظ له. و أخرجه أيضا في «كتاب الطهارة»، باب من قال إذا أقبلت الحيضة تدع الصلاة، رقم ۲۸۶، بهذا اللفظ: «إذا كان دم الحيضة فإنّه دم أسود يعرف، ... فإنما هو عرق». [قلت: سكت أبو داود عن الحديثين]. - و أخرجه النسائي في «كتاب الطهارة»، (۱۳۸) باب الفرق بين دم الحيض و الاستحاضة، رقم ۲۱۵ و ۲۱۶. و أخرجه أيضا في «كتاب الحيض و الاستحاضة»، (۶) باب الفرق بين دم الحيض و الاستحاضة، رقم ۳۶۲ و ۳۶۳. [قال ابن القيّم في «تهذيب سنن أبي داود»- المطبوع مع كتاب «معالم التّنزيل» للخطابي، بعد أن نقل كلام ابن القطّان بأنه منقطع- قال: في ۱: ۱۸۳ «و لم يروه أصحاب الصحيح، و إنّما رواه أبو داود و النّسائي، و سأل عنه ابن أبي حاتم أباه فضعّفه، و قال: هذا منكر، و صححه الحاكم». انتهى]. - و أخرجه البخاري في «كتاب الحيض»، (۲۶) باب عرق الاستحاضة، رقم ۳۲۷. - و أخرجه أبو داود في سننه في «كتاب الطهارة»، باب من روى أن المستحاضة تغتسل لكل صلاة، رقم ۲۸۹، و سنده: حدثنا أحمد بن صالح، ثنا عنبسة، ثنا يونس، عن ابن شهاب، أخبرتني عمرة بنت عبد الرحمن، عن أم حبيبة بهذا الحديث- أي الحديث الذي سبق الرقم ۲۸۹، و هو حديث ۲۸۸، أن أم حبيبة ... استحيضت سبع سنين ... فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «إن هذه ليست بالحيضة، و لكن هذا عرق فاغتسلي و صلي ...»- قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ۱: ۴۲۷- بعد حديث ... ۳۲۷، و كذا أخرجه إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، ص: ۶۲۲ مسلم ...، و أبو داود من طريق الأوزاعي ...- قال: و مسلم أيضا من طريق إبراهيم بن سعد [ح رقم ۶۴]، و أبو داود من طريق يونس كلاهما عن الزهري عن عمرة وحدها، قال الدارقطني: هو صحيح من رواية الزهري عن عروة و عمرة جميعا. انتهى. [فيكون حديث أبي داود برقم ۲۸۹ صحيحا]. [و قال الشيخ عبد القادر الأرناءوط معلّقا على «جامع الأصول» ۷: ۳۶۷: و هو حديث صحيح/ أي عن حديث رقم ۲۸۹/]. صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث صحيح السند (و إن كان فيه اختلاف بين العلماء، و لكن الظاهر أنه صحيح)، و هو صحيح المعنى. و هو يتكلم عن ظاهرة علمية، ألا و هي: صفة دم الحيض، و هذا الأمر واضح للعيان و النساء ذوات الخبرة بذلك، و بالتالي لا يصح أن نعتبره إعجازا علميا، و لكن يصح أن نعتبره مرجعا دينيا علميا ملفتا للنظر. و ينطبق عليه حكم رقم ۹. * [ح ۲۷] عن أمّ سلمة قالت: جاءت فاطمة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فقالت: إني أستحاض، فقال: «ليس ذلك بالحيض إنّما هو عرق، لتقعد أيام أقرائها، ثم لتغتسل، ثم لتستثفر بثوب، و لتصلّ». انظر ص: ۱۸۰- ۱۸۶- ۱۸۷- ۱۸۸- ۵۸۷. - أخرجه بهذا اللفظ الإمام أحمد عن أم سلمة (المسند ۶: ۳۰۴). و أخرجه أحمد أيضا عن عائشة (المسند ۶: ۱۹۴) أن فاطمة بنت أبي حبيش جاءت إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فقالت: إني أستحاض فلا أطهر أ فأدع الصلاة قال: «لا، ليس ذلك بالحيض إنما ذلك عرق، فإذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة فإذا أدبرت فاغسلي عنك الدم و صلي». - و أصله في البخاري «كتاب الحيض»، (۸) باب الاستحاضة، رقم ۳۰۶ عن عائشة رضي اللّه عنها أنها قالت: قالت فاطمة بنت أبي حبيش لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: يا رسول اللّه: إني لا أطهر، أ فأدع الصلاة؟ فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «إنما ذلك عرق و ليس بالحيضة، ...» الحديث. - و أخرجه أيضا مسلم في «كتاب الحيض»، (۱۴) باب المستحاضة و غسلها و صلاتها، رقم ۶۲/ ۳۳۳. إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، ص: ۶۲۳ - و أخرجه مالك في «الموطأ»، «كتاب الطهارة»، (۲۹) باب المستحاضة رقم ۱۰. صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث صحيح لأن أصله ورد في البخاري، و هو يتكلم عن ظاهرة غيبية ألا- و هي: ما يمتاز به الرّحم في تركيبه: و هو وجود العروق فيه بشكل مكثّف، و بالتالي يصح أن نعتبره إعجازا علميا. و ينطبق عليه الحكم رقم ۲۰. * [ح ۲۸] عن صفيّة بنت حيي قالت: ... قال (رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم): «إنّ الشّيطان يجري من الإنسان مجرى الدّم». انظر ص: ۱۸۶. - أخرجه البخاري في «كتاب بدء الخلق»، (۱۱) باب صفة إبليس و جنوده، رقم ۳۲۸۱. و اللفظ له. و أخرجه أيضا بهذا اللفظ في «كتاب الاعتكاف»، (۱۱) باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه، رقم ۲۰۳۸. و بلفظ «من ابن آدم» أخرجه في «كتاب الأحكام»، (۲۱) باب الشهادة تكون عند الحاكم في ولاية القضاء أو قبل ذلك الخصم، رقم ۷۱۷۱. صلة الحديث بالإعجاز العلمي: هذا الحديث يتكلم عن ظاهرة علمية غير غيبية، لأنه باستطاعة الأطباء في كل العصور تشريح جسم الإنسان و معرفة هذه الظاهرة، و بالتالي لا يصح أن نعتبره إعجازا علميا، و لكن يصح أن نعتبره مرجعا دينيا علميا ملفتا للنظر. و ينطبق عليه حكم رقم ۹. * [ح ۲۹] عن عائشة رضي اللّه عنها: «و كانت/ أي أم حبيبة/ تغتسل أحيانا في مركن في حجرة أختها زينب و هي عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، حتّى أنّ حمرة الدّم لتعلو الماء ...». انظر ص: ۱۸۶. - أخرجه مسلم في «كتاب الحيض»، (۱۴) باب المستحاضة و غسلها و صلاتها، رقم ۶۴ (بلفظ قريب منه). - و النّسائي في «كتاب الطهارة»، (۱۳۴) باب ذكر الاغتسال من الحيض، رقم ۲۰۴. و اللفظ له. - و أبو داود- بمثل لفظ مسلم- في «كتاب الطهارة»، باب من روى أنّ المستحاضة تغتسل لكل صلاة، رقم ۲۸۸. إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، ص: ۶۲۴ - و أخرجه الإمام أحمد في المسند ۶: ۸۳- ۱۸۷- ۲۳۷. صلة الحديث بالإعجاز العلمي: انظر تعليقنا على الحديث رقم ۳. إلا أنه يتكلم عن ظاهرة علمية. * [ح ۳۰] عن عائشة رضي اللّه عنها: أنّ امرأة مستحاضة على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قيل لها أنّه عرق عاند ... انظر ص: ۱۸۷. - أخرجه النّسائي في «كتاب الطهارة»، (۱۳۶) باب ذكر اغتسال المستحاضة، رقم ۲۱۳. و اللفظ له. و أخرجه أيضا

فی «کتاب الحیض و الاستحاضة»، (۵) باب جمع المستحاضة بین الصلاتین و غسلها إذا جمعت، رقم ۳۶۰. قال الشیخ عبد القادر الأرناءوط معلّقا علی «جامع الأصول» ۷: ۳۷۰: و هو حدیث صحیح. - و أخرجه الإمام أحمد فی المسند ۶: ۱۷۲. قال الساعاتی فی «الفتح الربّانی» ۲: ۱۷۸: الحدیث رجاله کلهم رجال الصحیحین (أی البخاری و مسلم). صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث صحیح السند، صحیح المعنی، و هو یتکلم عن أسباب استحاضة النساء، و هو مقاومة العرق لتحثّر الدم، و هو أمر غیبی، تحدث به أحد الصحابة و أصاب بنور من اللّه تعالی کما جاء فی الحدیث: «اتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ینظر بنور اللّه» [ح ۷۴]، و لا یعتبر هذا الجزء من الحدیث إعجازا علمیا لأن لم یدّع أحد من الصحابة معرفة الغیب. و یعتبر أثرا إسلامیا علمیا ملفتا للنظر، و ینطبق علیه الحکم رقم ۱۹.

* [ح ۳۱] حدثنا یحیی بن أبی بکیر قال: ثنا إسرائیل عن عثمان بن سعد عن عبد اللّه ابن أبی ملیکة قال: حدثتنی خالتی فاطمة بنت أبی حبیش قالت: ... فقال (رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم): «مری فاطمة بنت أبی حبیش، فلتمسک کلّ شهر عدد أیّام أقرائها، ثمّ تغتسل و تحتشی، و تستثفر، و تتلفّف، ثمّ تطهّر عند کلّ صلاة، و تصلّی فإنّما ذلک رکضة من الشّیطان، أو عرق انقطع» أو داء عرض لها». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۲۵ انظر ص: ۱۸۰ - ۱۸۶ - ۱۸۷. - أخرجه الإمام أحمد فی المسند ۶: ۴۶۴. و فیه (عثمان بن سعد) وثّقه أبو نعیم و شیخه الحاکم، و لیّنه غیر واحد منهم النسائی و ابن معین و یحیی بن سعید القطان انظر «الکاشف» للذهبی رقم ۳۶۹۹ و «التذکرة» للحسینی ۲: ۱۱۳۸ رقم ۴۴۹۸، و «تهذیب التهذیب» لابن حجر ۷: ۱۱۷، و قال ابن عدیّ: هو حسن الحدیث و مع ضعفه یکتب حدیثه، و الحدیث له شواهد یرقی بها للاحتجاج. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث یحتجّ به من ناحیة السند، و هو صحیح المعنی. و یتکلّم عن أسباب استحاضة النساء، و هو أن العروق تنقطع داخل الرحم، و هذا أمر غیبی لم یعلمه العلماء إلا بعد أن درسوا بدقّة مقطع الرحم و تکوینه، و بالتالی یصح الاحتجاج به علی أنه إعجاز علمی، و ینطبق علیه الحکم رقم ۲۰. * [ح ۳۲] عن عبد اللّه بن مسعود رضی اللّه عنه قال: إذا وقعت النطفة فی الرحم، بعث اللّه ملکا فقال: یا ربّ: مخلّقة أو غیر مخلّقة؟ فإن قال: غیر مخلّقة، مجّتها الأرحام دما، و إن قال: مخلّقة، قال: یا ربّ: فما صفة هذه النطفة؟ أذکر أم أنثی؟ ما رزقها؟ ما أجلها؟ أ شقیّ أم سعید؟ قال: فیقال له: انطلق إلی أمّ الکتاب فاستنسخ منه صفة هذه النطفة، قال: فینطلق الملک فینسخها، فلا تزال حتی یأتی علی آخر صفتها. انظر ص: ۱۶۹ - ۱۷۰ - ۲۰۶ - ۲۰۸ - ۲۰۹ - ۲۱۰ - ۲۱۱ - ۲۱۳ - ۲۱۴ - ۲۱۵ - ۲۹۷ (ح)- ۳۴۳ - ۳۴۸ - ۳۹۹ - ۵۴۳ (ح)- ۵۵۸ (ح)- ۵۸۵ - ۵۸۶ - ۵۸۹ - ۷۰۶. قال بدر الدین العینی فی عمدة القاری- ج ۳/ ص ۲۹۱-: «و قد بین ذلک حدیث رواه الطبرانی بإسناد صحیح من طریق داود بن أبی هند عن الشعبی عن علقمة عن ابن مسعود رضی اللّه عنه قال: (إذا وقعت النطفة فی الرّحم بعث اللّه ملکا، فقال یا ربّ: مخلّقة أو غیر مخلّقة؟ فإن قال: غیر مخلّقة، مجّها الرحم دما، و إن قال: مخلّقة، قال: یا ربّ: فما صفة هذه النطفة؟ فیقال له: انطلق إلی أم الکتاب فإنک تجد قصة هذه النطفة، فینطلق فیجد قصتها فی أم الکتاب)، و هو موقوف لفظا، مرفوع حکما، لأن الإخبار عن شیء لا یدرکه العقل محمول علی السماع». و انظر فتح الباری فی صحیح البخاری لابن حجر [۱: ۴۱۸ - ۴۱۹]، و قد عزاه إلی الإمام الطبری، و هو موجود عنده بنفس الإسناد المذکور آنفا فی تفسیر سورة الحج، إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۲۶ و هو کالتالی: (حدثنا أبو کریب، قال: ثنا أبو معاویة، عن داود بن أبی هند، عن عامر، عن علقمة، عن عبد اللّه، قال: ... (الحدیث)). أقول: إن ابن مسعود صحابی جلیل فی منتهی الصدق، و قد روی عنه أشهر حدیث فی الصحیحین علی الاطلاق فی مجال تخلق الجنین، و هو حدیث رقم [۴۳] أو [۴۶]، و بالتالی فمن المستبعد تماما أن یتکلم برأیه عن حادثة غیبیة، لذا وجب أن یقول هذا الحدیث استنادا إلی شیء عنده عن طریق الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم، و ذلک لعدّة أسباب: ۱- أن هذا الخبر لا یقال من قبل الرأی، و لا سبیل إلی معرفة هذا إلا عن طریق النّبوة. ۲- أن ابن مسعود رضی اللّه عنه لم یرو عن أهل الکتاب، و لم یعرف بالروایة عنهم «۱». ۳- أنه من تتبّع الأحادیث التی رویت عن ابن مسعود رضی اللّه عنه لاحظ أنه لا یرفع الحدیث لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم- أو جزء من الحدیث- إلا إذا تأکّد من أدائه بلفظه کما سمعه، و یسکت عن رفع باقی الحدیث و یرویه بالمعنی، بالرغم من أن الأحادیث التی رواها رویت بأسانید أخری مرفوعة بأکملها، و انظر فی هذا الخصوص- علی سبیل المثال-: الحدیث الذی روی فی صحیح مسلم، کتاب «الفتن و أشراط الساعة»، باب «إقبال الروم فی کثرة القتل عند خروج الدجال»، رقم ۲۸۹۹، و الحدیث الذی روی فی صحیح البخاری، فی کتاب «الفرائض»، باب «میراث ابنة الابن مع بنت»، مع الحدیث الذی روی فی نفس المرجع السابق، فی نفس الکتاب، و لکن تحت باب «میراث الأخوات مع البنات عصبة». صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث صحیح السند، صحیح المعنی، و یتکلّم عن ظاهرتین غیبیتین: وقوع النطفة فی الرّحم، و الإجهاض المبکر، و بالتالی یصح الاحتجاج به علی أنه إعجاز علمی، و ینطبق علیه الحکم رقم ۲۰. * [ح ۳۳] قال صلّی اللّه علیه و سلّم: «النطفة إذا استقرّت فی الرّحم جاءها ملک، فأخذها بکفّه فقال: أی ربّ: مخلّقة أم غیر مخلّقة؟ فإن قیل: غیر مخلّقة، لم تکن نسمة، و قذفتها الأرحام دما».

(_____ ۱) تدریب الراوی للسیوطی- (ج ۱/ ص ۱۵۵). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۲۷ انظر ص: ۲۰۶- ۲۳۵ (ح)- ۲۹۷- ۴۰۰. - [جاء فی «جامع العلوم و الحکم» ص ۱۶۰: خرّجه ابن أبی حاتم و غیره. - و فی التعلیق علی الکتاب: و رواه أیضا الطبریّ ۱۷: ۱۱۷، و إسناده صحیح]. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث صحیح السند، صحیح المعنی، و یتکلّم عن ظاهرتین غیبیتین: استقرار النطفة فی الرّحم، و الإجهاض المبکر. و بالتالی یصح الاحتجاج به علی أنه إعجاز علمی، و ینطبق علیه الحکم رقم ۲۰. * [ح ۳۴] عن ابن عمر رضی اللّه عنهما أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «مفاتح الغیب خمس لا یعلمها إلّا اللّه؛ لا یعلم ما فی غد إلّا اللّه، و لا یعلم ما تغیض الأرحام إلّا اللّه، و لا یعلم متی یأتی المطر أحد إلّا اللّه، و لا تدری نفس بأیّ أرض تموت، و لا یعلم متی تقوم السّاعة إلّا اللّه». انظر ص: ۲۲۶- ۲۲۷- ۲۲۹ (ح)- ۲۳۰ (ح)- ۲۳۳- ۲۳۴. - أخرجه البخاری فی «کتاب التفسیر»، سورة الرعد، باب اللّهُ یَعْلَمُ ما تَحْمِلُ کُلُّ أُنْثی وَ ما تَغِیضُ الْأَرْحامُ [الرعد: ۸]، غیض: نقص، رقم ۴۶۹۷، لکن بلفظ «مفاتیح ...». [و قد روی هذا الحدیث فی البخاری فی أکثر من موضع بألفاظ مختصرة، و فیها تقدیم و تأخیر ...]. و اللفظ له. - و أخرجه أحمد فی المسند بلفظ مأخوذ من الآیة ۲: ۱۲۲، و فی ۲: ۲۴- و فی ۲: ۵۲ بلفظ قریب من لفظ البخاری- و فی ۲: ۵۸. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث یتحدّی العلماء و البشر أجمعین علی أن یعلموا ما هی خصائص النطفة فی مرحلة غیضها فی الرحم. و بالتالی یصح الاحتجاج به علی أنه إعجاز علمی، و ینطبق علیه الحکم رقم ۲۰. * [ح ۳۵] عن أبی هریرة رضی اللّه عنه أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «کلّ ابن آدم یأکله التّراب إلّا عجب الذّنب منه خلق و فیه یرکّب». انظر ص: ۲۴۷- ۲۴۹- ۲۵۰- ۴۰۱. - أخرجه مسلم فی «کتاب الفتن»، (۲۸) باب ما بین النفختین، رقم ۱۴۲. و اللفظ له. و ینظر فیه رقم ۱۴۱ و ۱۴۳. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۲۸ - و فی البخاری لفظ قریب من حدیثی مسلم- برقم ۱۴۱ و ۱۴۳- فی «کتاب التفسیر»، باب وَ نُفِخَ فِی الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ مَنْ فِی الْأَرْضِ ... [الزمر: ۶۸] من سورة الزمر، رقم ۴۸۱۴، و فی سورة عَمَّ یَتَساءَلُونَ [النبأ] باب یَوْمَ یُنْفَخُ فِی الصُّورِ ... [النبأ: ۱۸]، رقم ۴۹۳۵. - و أخرجه أبو داود فی «کتاب السّنّة» باب فی ذکر البعث و الصّور، رقم ۴۷۴۳. - و أخرجه الإمام مالک فی الموطّأ فی «کتاب الجنائز»، (۱۶) باب جامع الجنائز، رقم ۴۸ بلفظ «تأکله الأرض». - و أخرجه الإمام أحمد فی المسند ۲: ۳۲۲- ۴۲۸. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث یتکلّم عن ظاهرة غیبیة جدا لم یعلمها العلماء الکونیون إلا فی الآونة الأخیرة؛ و هی أن تخلق الجنین یکون من مؤخرة ذنبه. و بالتالی یصح الاحتجاج به علی أنه إعجاز علمی، و ینطبق علیه الحکم رقم ۲۰. * [ح ۳۶] عن الحسن بن موسی، عن عبد اللّه، عن دراج بن سمعان (أبو السمح) عن سلیمان بن عمرو بن عبد، عن سعد بن مالک (أبی سعید الخدری) عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم أنّه قال: «یأکل التّراب کلّ شیء من الإنسان إلّا عجب ذنبه»، قیل: و مثل ما هو یا رسول اللّه؟ قال: «مثل حبّة خردل منه تنبتون». انظر ص: ۲۴۷- ۲۴۹- ۲۵۰. - أخرجه الإمام أحمد فی المسند ۳: ۲۸. و اللفظ له عن أبی سعید الخدری و حسّن الهیثمی إسناده فی «مجمع الزوائد» ۱۰: ۳۳۲، من «کتاب البعث» باب قیام الساعة و کیف ینبتون. و سکت عنه الحافظ فی «فتح الباری» ۶: ۵۵۲ من «کتاب التفسیر»، سورة الزّمر ...، عند الحدیث رقم ۴۸۱۴. - و قد أخرجه الحاکم و قال: «صحیح الإسناد» و سکت عنه الذهبی. و فی سنده دراج أبی السمح و فی روایته ضعف، و لکن الحدیث صحیح بطرقه و شواهده. و ینظر الحدیث رقم ۳۵ السابق و الحدیث رقم (۳۷) الآتی. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث صحیح المعنی، و له حکم الحدیث السابق، غیر أنه یضیف إخبارا غیبیا آخر: و هو أن مؤخرة الذنب الذی ینشأ منه الجنین صغیر الحجم جدا. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۲۹ * [ح ۳۷] عن أبی هریرة رضی اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: ما بین النّفختین أربعون، قال: أربعون یوما، قال: أبیت، قال: أربعون شهرا، قال: أبیت، قال: أربعون سنة، قال: أبیت، قال: ثمّ ینزل اللّه من السّماء ماء فینبتون کما ینبت البقل لیس من الإنسان شیء إلّا یبلی إلّا عظما واحدا و هو عجب الذّنب و منه یرکّب الخلق یوم القیامة. انظر ص: ۲۴۷- ۲۴۹- ۲۵۰- ۲۶۰- ۲۶۱- ۲۶۵. - أخرجه البخاری فی «کتاب التفسیر»، سورة عم، (۱) باب یَوْمَ یُنْفَخُ فِی الصُّورِ ... [النبأ: ۱۸]، رقم ۴۹۳۵. و ینظر الحدیث رقم ۳۵ المتقدم. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث یضیف خبرا غیبیا آخر: و هو أن مؤخرة الذنب التی ینشأ منها الجنین مادّتها عظمیة. و ینطبق علیه الحکم رقم ۲۰. * [ح ۳۸] عن علی بن أبی طالب رضی اللّه عنه عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم ... إذا سجد قال: «اللّهمّ لک سجدت و بک آمنت و لک أسلمت سجد وجهی للّذی خلقه و صوّره و شقّ سمعه و بصره تبارک اللّه أحسن الخالقین». انظر ص: ۲۸۹- ۳۰۴- ۳۰۷ (ص)- ۳۰۹- ۳۱۱. - أخرجه مسلم فی «کتاب صلاة المسافرین و قصرها» (۲۶) باب الدعاء فی صلاة اللیل و قیامه، رقم ۲۰۱. و اللفظ له. - و أخرجه أبو داود فی «کتاب الصلاة»، باب ما یستفتح به الصلاة من الدعاء، رقم ۷۶۰. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث یتکلم عن ظاهرة غیبیة، و هی کیفیة خلق السمع و البصر لدی الجنین، و بالتالی یصح الاحتجاج به علی أنه إعجاز علمی، و ینطبق علیه الحکم رقم ۲۰. * [ح ۳۹] حدّثنا ابن أبی عمر و سعید بن عبد الرّحمن المخزومیّ قالا: حدّثنا سفیان ابن عیینة، عن الزّهری، عن أبی سلمة قال: اشتکی أبو الوَدّاد اللّیثیّ فعاده عبد الرّحمن بن عوف فقال: خیرهم و أوصلهم ما علمت أبا محمّد، فقال إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۳۰ عبد الرّحمن: سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم یقول: «قال اللّه تبارک و تعالی: أنا اللّه، و أنا الرّحمن، خلقت الرّحم، و شققت لها من اسمی، فمن وصلها وصلته، و من قطعها بتّته». انظر ص: ۳۰۴. - أخرجه أبو داود فی «کتاب الزّکاة»، باب فی صلة الرّحم، رقم ۱۶۹۴. - و الترمذی فی «کتاب البرّ و الصّلة»، (۹) باب ما جاء فی قطیعة الرّحم، رقم ۱۹۰۷. قال الترمذی: حدیث صحیح. و اللفظ له. قال الشیخ عبد القادر الأرناءوط معلّقا علی «جامع الأصول» ۶: ۴۸۶: إسناده- أی إسناد الترمذی- منقطع. «و للمتن متابع رواه أبو یعلی بسند صحیح». انتهی. قلت: ینظر «تهذیب التهذیب» لابن حجر ۳: ۲۷۱، ترجمة ردّاد اللّیثی. و «تحفة الأحوذی» للمبارکفوری ۶: ۳۴- ۳۵. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۳. * [ح ۴۰] عن عبد اللّه عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «لیس منّا من شقّ الجیوب، و ضرب الخدود، و دعا بدعوة الجاهلیّة». انظر ص: ۳۰۵. - أخرجه البخاری فی

«کتاب الجنائز»، (۳۵) باب لیس منا من شق الجیوب، رقم ۱۲۹۴. و فی (۳۸) باب لیس منا من ضرب الخدود. و فی (۳۹) باب ما ینهی من الویل و دعوی الجاهلیة عند المصیبة. (بألفاظ فیها تقدیم و تأخیر). - و مسلم فی «کتاب الإیمان»، (۴۴) باب تحریم ضرب الخدود و شق الجیوب و الدعاء بدعوی الجاهلیة، رقم ۱۶۵، بلفظ: «لیس منا من ضرب الخدود، أو شق الجیوب، أو دعا بدعوی الجاهلیة». - و الترمذی فی «کتاب الجنائز»، (۲۲) باب ما جاء فی النهی عن ضرب الخدود و شق الجیوب عند المصیبة، رقم ۹۹۹. و اللفظ له. و قال: هذا حدیث حسن صحیح. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۳. * [ح ۴۱] عن معیقیب بن أبی فاطمة أنّ النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم قال فی الرّجل یسوّی التّراب حیث یسجد، قال: «إن کنت فاعلا فواحدة». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۳۱ انظر ص: ۳۱۷. - أخرجه البخاری فی «کتاب العمل فی الصلاة»، (۸) باب مسح الحصی فی الصلاة، رقم ۱۲۰۷. - و أخرجه مسلم فی «کتاب المساجد و مواضع الصلاة»، (۱۲) باب کراهة مسح الحصی و تسویة التراب فی الصلاة، رقم ۴۹. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۳. * [ح ۴۲] عن عبد اللّه بن فروخ أنه سمع عائشة رضی اللّه عنها تقول: إنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «إنّه خلق کلّ إنسان من بنی آدم علی ستّین و ثلاث مائة مفصل، فمن کبّر اللّه، و حمد اللّه، و هلّل اللّه، و سبّح اللّه، و استغفر اللّه، و عزل حجرا عن طریق النّاس، أو شوکة أو عظما عن طریق النّاس، و أمر بمعروف أو نهی عن منکر عدد تلک الستّین و الثّلاث مائة السّلامی فإنّه یمشی یومئذ و قد زحزح نفسه عن النّار». انظر ص: ۳۲۳- ۳۳۳- ۳۸۱ (ح)- ۵۵۶. - أخرجه مسلم فی «کتاب الزکاة»، (۱۶) باب بیان أن اسم الصدقة یقع علی کل نوع من المعروف، رقم ۵۴. - [و قریب من القسم الأول من الحدیث، فی مسند الإمام أحمد: ۵: ۳۵۴ و ۳۵]. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث یتکلم عن ظاهرة غیبیة، و هی عدد المفاصل أو العظام لدی الجنین، و بالتالی یصح الاحتجاج به علی أنه إعجاز علمی، و ینطبق علیه الحکم رقم ۲۰. * [ح ۴۳] عن عبد اللّه (بن مسعود) رضی اللّه عنه قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم- و هو الصّادق المصدوق-: «إنّ أحدکم یجمع خلقه فی بطن أمّه أربعین یوما، ثمّ یکون فی ذلک علقة مثل ذلک، ثمّ یکون فی ذلک مضغة مثل ذلک، ثمّ یرسل الملک فینفخ فیه الرّوح و یؤمر بأربع کلمات؛ بکتب رزقه و أجله و عمله و شقیّ أو سعید، فو الّذی لا إله غیره إنّ أحدکم لیعمل بعمل أهل الجنّة حتّی ما یکون بینه و بینها إلّا ذراع فیسبق علیه الکتاب فیعمل بعمل أهل النّار فیدخلها و إنّ أحدکم لیعمل بعمل أهل النّار حتّی ما یکون بینه و بینها إلّا ذراع فیسبق علیه الکتاب فیعمل بعمل أهل الجنّة فیدخلها». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۳۲ انظر ص: ۲۸۹ - ۲۹۵- ۳۰۱- ۳۰۲- ۳۱۶- ۳۱۷- ۳۳۱- ۳۴۱- ۳۴۲- ۳۸۱ (ح)- ۳۹۸- ۴۲۴- ۴۳۰- ۵۷۶. - أخرجه البخاری فی «کتاب القدر»، (۱) باب (فی القدر)، رقم ۶۵۹۴. و فی «کتاب بدء الخلق»، (۶) باب ذکر الملائکة، رقم ۳۲۰۸. و فی «کتاب أحادیث الأنبیاء»، (۱) باب خلق آدم و ذریته، رقم ۳۳۳۲. و فی «کتاب التوحید»، (۲۸) باب قوله تعالی: وَ لَقَدْ سَبَقَتْ کَلِمَتُنا لِعِبادِنَا الْمُرْسَلِینَ [الصافات: ۱۷۱]، رقم ۷۴۵۴. - و أخرجه مسلم فی «کتاب القدر»، (۱) باب کیفیة الخلق الآدمیّ، فی بطن أمه، و کتابة رزقه و أجله و عمله، ...»، رقم ۱. و اللفظ له. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث یتکلم عن عدّة ظواهر غیبیة، أبرزها: أن الجنین یمرّ بما یسمی ظاهرة «جمع الخلق»، و أن هذه الفترة مدّتها أربعون یوما، و بالتالی یصح الاحتجاج به علی أنه إعجاز علمی، و ینطبق علیه الحکم رقم ۲۰. * [ح ۴۴] عن ابن عمر رضی اللّه عنهما قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «إذا أراد اللّه أن یخلق نسمة قال ملک الأرحام معرضا: أی ربّ: أذکر أم أنثی؟ فیقضی اللّه، فیقول: أی ربّ: أ شقی أم سعید؟ فیقضی اللّه أمره، ثم یکتب بین عینیه ما هو لاق حتی النکبة ینکبها». انظر ص: ۳۴۹. - قال الهیثمی فی «مجمع الزوائد» ۷: ۱۹۳، من «کتاب القدر»، باب ما یکتب علی العبد فی بطن أمه: رواه أبو یعلی و البزّار، و رجال أبی یعلی رجال الصحیح. انتهی. - و الحدیث فی «مسند أبی یعلی الموصلی» ۱۰: ۱۵۴ رقم ۵۷۷۵ قال المحقق: إسناده صحیح. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث صحیح السند، صحیح المعنی، و هو یتحدث عن أن الجنین یؤنّث أو یذکّر بعد مرحلة خلق الشیء الحی- أی بعد مرحلة نفخ الروح- و هذا الأمر غیبی نستطیع أن نحدد وقته إذا ما استعنّا بأحادیث أخری. و هو یتکلّم أیضا عن حادثة غیر مرئیة و غیر واضحة تمام الوضوح للعلم الکونی، و هی کتابة مصیر الجنین بین عینیه. و یصح أن نعتبره إعجازا علمیا فی مجال إذکار أو إیناث الجنین، و ینطبق علیه الحکم رقم ۲۰. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۳۳ * [ح ۴۵] عن أبی الزّبیر المکی أن عامر بن واثلة حدّثه ... فأتی رجلا من أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم یقال له حذیفة بن أسید الغفاری ... فقال له الرجل: ... فإنی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم یقول: «إذا مرّ بالنّطفة ثنتان و أربعون لیلة، بعث اللّه إلیها ملکا، فصوّرها و خلق سمعها و بصرها و جلدها و لحمها و عظامها، ثمّ قال: یا ربّ: أذکر أم أنثی؟ فیقضی ربّک ما شاء، و یکتب الملک، ثمّ یقول: یا ربّ: أجله؟ فیقول ربّک ما شاء، و یکتب الملک، ثمّ یقول: یا ربّ: رزقه؟ فیقضی ربّک ما شاء، و یکتب الملک، ثمّ یخرج الملک بالصّحیفة فی یده فلا یزید علی ما أمر و لا ینقص». انظر ص: ۱۰۷ (ح)- ۳۱۶- ۳۱۹- ۳۲۱- ۳۳۱- ۳۴۰- ۳۴۵- ۳۴۹- ۳۵۶- ۳۶۱- ۳۶۳- ۳۶۸- ۴۰۱- ۴۰۲- ۴۲۱- ۴۲۶- ۴۲۷- ۴۲۸. - أخرجه مسلم بهذا اللفظ فی «کتاب القدر»، (۱) باب کیفیة الخلق الآدمی، فی بطن أمه، و کتابة رزقه و أجله و عمله، و شقاوته و سعادته، رقم ۲۶۴۵. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث یتکلم عن عدّة ظواهر غیبیة، و لا سیما أن تصویر و خلق السمع و البصر و الجلد و اللحم و العظام یأتی زمنیا بعد اثنین و أربعین یوما، و قبل إذکار أو إیناث الجنین، و هو أمر غیبی، و بالتالی یصح الاحتجاج به علی أنه إعجاز علمی، و ینطبق علیه الحکم رقم ۲۰. * [ح ۴۶] عن عبد اللّه (بن مسعود) حدّثنا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم- و هو الصّادق المصدوق-، قال: «إنّ أحدکم یجمع خلقه فی بطن أمّه أربعین یوما، ثمّ یکون علقة مثل ذلک، ثمّ یکون مضغة مثل ذلک، ثمّ یبعث اللّه ملکا فیؤمر بأربع کلمات و یقال له: اکتب عمله و رزقه و أجله و شقیّ أو سعید، ثمّ ینفخ فیه الرّوح، فإنّ الرّجل منکم لیعمل حتّی ما یکون بینه و بین الجنّة إلّا ذراع فیسبق علیه کتابه فیعمل بعمل أهل النّار، و یعمل حتّی ما یکون بینه و بین النّار إلّا ذراع فیسبق علیه الکتاب فیعمل بعمل أهل الجنّة». (نسخة الحافظ الیونینی «فیعمل» ۴: ۱۳۵، تصویر دار إحیاء التراث العربی- بیروت- عن طبعة البابی الحلبی- القاهرة- سنة ۱۳۷۸ هجریة). انظر ص: ۳۴۱- ۳۴۲- ۴۲۳. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۳۴ - أخرجه البخاری فی «کتاب بدء الخلق»، (۶) باب ذکر الملائکة، رقم ۳۲۰۸. و ینظر الحدیث رقم ۴۳. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: له نفس حکم الحدیث رقم ۴۳. و لکن من الجدیر بالذکر أن الحدیث رقم ۴۳ أدق فی تعبیره من هذا الحدیث، و بالتالی من الأولی أن نستشهد بالحدیث رقم ۴۳ فی مجال الإعجاز العلمی و فی المجال التشریعی بالرغم من أن هذا الحدیث أکثر تداولا بین العلماء المسلمین!!. * [ح ۴۷] عن حذیفة بن أسید- بیلغ به النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم- قال: «یدخل الملک علی النّطفة بعد ما تستقرّ فی الرّحم بأربعین أو خمسة و أربعین لیلة، فیقول: یا ربّ: أ شقیّ أو سعید؟ فیکتبان، فیقول: أی ربّ: أذکر أو أنثی؟ فیکتبان، و یکتب عمله و أثره و أجله و رزقه ثمّ تطوی الصّحف فلا یزاد فیها و لا ینقص». انظر ص: ۴۲۶. - أخرجه مسلم فی «کتاب القدر»، (۱) باب کیفیة الخلق الآدمیّ، فی بطن أمه، و کتابة رزقه و أجله و عمله و شقاوته و سعادته، رقم ۲۶۴۴. و اللفظ له. - و أخرجه أحمد فی المسند ۴: ۶- ۷. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث یتکلم عن ظاهرة غیبیة، و هی المدّة التی یمکث فیها الجنین قبل نفخ الروح فیه (بدلالة سؤال الملک لربّه عزّ و جلّ أ شقی أو سعید- و هذا لا یکون إلا بعد نفخ الروح-) و قبل أن یؤنّث أو یذکّر. و من الجدیر بالذکر أن الحدیث لیس بوضوح الأحادیث رقم ۴۳، و ۴۵ و ۴۶، من جهة أنه لا یصرح بوضوح مسألة نفخ الروح، و بالتالی من الأفضل أن نذکره مع الأحادیث السالفة الذکر لکی لا یحصل الالتباس. و لکن أهمیته تکمن فی أنه یذکر مدّة مختلفة قلیلا عن مدّة الأربعین أو الاثنین و الأربعین حتی یظهر أن الأجنّة تختلف فیما بینها. و یصح الاحتجاج به علی أنه إعجاز علمی، و ینطبق علیه الحکم رقم ۲۰. * [ح ۴۸] عن حذیفة بن أسید الغفاریّ قال: سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم یأذنّ هاتین یقول: «إنّ النّطفة تقع فی الرّحم أربعین لیلة ثم یتصوّر علیها الملک ...». انظر ص: ۲۱۵- ۴۲۶. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۳۵ - أخرجه مسلم فی «کتاب القدر»، (۱) باب کیفیة الخلق الآدمی، فی بطن أمه، و کتابة رزقه و أجله و عمله، و شقاوته و سعادته، رقم (۱/ ۴)/ ۲۶۴۵. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث یتکلم عن ظاهرة غیبیة، و هی المدّة التی یمکث فیها الجنین قبل بدء عملیة التصویر له. و بالتالی یصح الاحتجاج به علی أنه إعجاز علمی، و ینطبق علیه الحکم رقم ۲۰. * [ح ۴۹] عن حذیفة بن أسید الغفاریّ صاحب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، رفع الحدیث إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «أنّ ملکا موکّلا بالرّحم إذا أراد اللّه أن یخلق شیئا یأذن اللّه لیضع و أربعین لیلة ...». انظر ص: ۴۲۶. - أخرجه مسلم فی «کتاب القدر»، (۱) باب کیفیة الخلق الآدمی، فی بطن أمه، و کتابة رزقه و أجله و عمله و شقاوته و سعادته، رقم (۲/ ۴)/ ۲۶۴۵. [تنبیه: بعض أجزاء الحدیث- بتقدیم و تأخیر و اختلاف بعض اللفظ- فی البخاری و مسند أحمد، لکن قوله: «إذا أراد ... لیلة» فی مسلم فقط]. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: له نفس حکم الحدیث رقم ۴۷. * [ح ۵۰] حدثنا أحمد بن عبد الملک، حدثنا الخطاب بن القاسم، عن خصیف، عن أبی الزّبیر عن جابر قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «إذا استقرّت النّطفة فی الرّحم أربعین یوما أو أربعین لیلة بعث إلیها ملکا فیقول: یا ربّ: ما رزقه؟ فیقال له، فیقول: یا ربّ: ما أجله؟ فیقال له، فیقول: یا ربّ: ذکر أو أنثی؟ فیعلم، فیقول: یا ربّ: شقیّ أو سعید؟ فیعلم». انظر ص: ۴۲۶. - أخرجه الإمام أحمد فی المسند، ۳: ۳۹۷. [دون لفظ الجلالة «اللّه»، و فی «الفتح الربانی» للساعاتی ۱: ۱۲۹ بلفظ: «بعث اللّه إلیه ملکا». و فی «مجمع الزوائد» للهیثمی ۷: ۱۹۲: «بعث اللّه إلیها ملکا»]. - قال الهیثمی فی «مجمع الزوائد» ۷: ۱۹۲: رواه أحمد، و فیه خصیف، وثّقه ابن معین و جماعة و فیه خلاف، و بقیة رجاله ثقات. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۳۶ و ینظر «تهذیب التهذیب» لابن حجر ۳: ۱۴۳- ۱۴۴ (ففیه خلاف کبیر). و فی «التهذیب» عن ابن حبّان: إلا أن الإنصاف فیه: قبول ما وافق الثقات فی الروایات و ترک ما لم یتابع علیه. قال الحافظ ابن حجر فی «تقریب التهذیب» رقم ۱۷۱۸: صدوق سیّئ الحفظ خلط بأخرة، و رمی بالإرجاء. [جاء فی حاشیة التقریب: (خصیف: حسّن الترمذی حدیثه)- من طبعة دار ابن حزم- بیروت- الأولی سنة ۱۴۲۰ هجریة، تحقیق العلّامة المحدّث محمد عوّامة]. و الحدیث، کما فی «مسند أحمد» ۲۳: ۴۱۴، رقم ۱۵۲۶۹ من طبعة الرسالة، صحیح لغیره. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: له نفس حکم الحدیث رقم ۴۷، إلا أنه لا یذکر مدّة مختلفة عن الأربعین. * [ح ۵۱] عن عامر بن سعد أن أسامة بن زید أخبر والده سعد بن أبی وقاص أنّ رجلا جاء إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، فقال: إنّی أعزل عن امرأتی، فقال له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «لم تفعل ذلک؟» فقال الرّجل: أشفق علی ولدها أو علی أولادها، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «لو کان ذلک ضارّا ضرّ فارس و الرّوم». انظر ص: ۴۸۳- ۴۸۴- ۴۸۸. - أخرجه مسلم فی «کتاب النکاح»، (۲۴) باب جواز الغیلة و هی وطء المرضع و کراهة العزل، رقم ۱۴۳/ ۱۴۴۳. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث یتکلم عن أمر معلوم، و هو أنّ فارس و الروم یجامعون نساءهم خلال الحمل، و قد یترتب علی ذلک حمل المرأة، و قد یؤثر علی نوعیة لبنها. و لکن إقرار الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم بأن مجامعة النساء خلال الحمل لا تضر لیس کإقرار الشعوب، فالشعوب التی مفت ترتکز علی خبرتها فی هذا المجال، و لیس لدیها الإمکانیة بأن تجری الفحوص المعملیة، و أن تعلم

التركيبة الكيميائية للبن الأم (و هذا من مجال الغيب فى عصر ما قبل البعثة) و أن تتأكد أن ذلك يضرّ أو لا. أما إقرار النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ففيه تحدّ لأنه عارض تقاليد شعبه، و يترتب عليه نفى النبوة منه فى حال ثبت العكس، و بالتالى يصح أن نعتبر هذا الحديث على أنه إعجاز علمى فى مجال الرضاعة، و ينطبق عليه الحكم رقم ٢٠. إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۶۳۷ * [ح ۵۲] عن جدامة بنت وهب أخت عكّاشة قالت: حضرت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فى أناس و هو يقول: «لقد هممت أن أنهى عن الغيلة فنظرت فى الرّوم و فارس فإذا هم يغيلون أولادهم فلا يضرّ أولادهم ذلك شيئا». انظر ص: ۴۸۳- ۴۸۴- ۴۸۵- ۴۸۶. - أخرجه مسلم فى «كتاب النكاح»، (۲۴) باب جواز الغيلة و هى وطء المرضع و كراهة العزل، رقم ۱۴۱/ ۱۴۴۲. - و أخرجه الإمام أحمد فى المسند ۶: ۴۳۴، باللفظ: «لا تقتلوا أولادكم سرّا فلا: بالقاء، و «لا»: بالواو. صلة الحديث بالإعجاز العلمى: له نفس حكم الحديث رقم ۵۲. * [ح ۵۳] حدّثنا الرّبيع بن نافع أبو توبة حدّثنا محمّد بن مهاجر عن أبيه عن أسماء بنت يزيد بن السّكن قالت: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: «لا تقتلوا أولادكم سرّا فإنّ الغيل يدرك الفارس فيدعثره عن فرسه». انظر ص: ۴۸۳- ۴۸۴- ۴۸۵- ۴۸۶. - أخرجه- بهذا اللفظ- أبو داود فى سننه فى «كتاب الطّب»، باب فى الغيل، رقم ۳۸۸۱. - و أخرجه الإمام أحمد فى المسند ۶: ۴۵۳، باللفظ: «لا تقتلوا أولادكم سرّا فإن قتل الغيل يدرك الفارس فيدعثره عن ظهر فرسه». و أخرجه أيضا فى المسند ۶: ۴۵۸ بلفظ: «لا تقتلوا أولادكم سرّا فإن الغيل يدرك الفارس فيدعثره من فوق فرسه». قال الساعاتى فى «الفتح الربانى» ۱۶: ۲۲۱: و سنده حسن. - و أخرجه ابن ماجة فى سننه فى «كتاب النكاح»، (۶۱) باب الغيل، رقم ۲۰۱۲ بلفظ: «لا تقتلوا أولادكم سرّا فو الّذى نفسى بيده إن الغيل ليدرك الفارس على ظهر فرسه حتى يصرعه». قال الشيخ الأرناءوط معلّقا على «جامع الأصول» ۱۱: ۵۲۸: و فى سنده: المهاجر بن أبى مسلم (مولى أسماء بنت يزيد بن السّكن)، لم يوثقه غير ابن حبّان، و باقى رجاله ثقات. انتهى. إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۶۳۸ و المهاجر بن أبى مسلم، قال عنه الذهبى فى «الكاشف»، رقم ۵۶۶۰: وثق. و قال عنه ابن حجر فى «التقريب» رقم ۶۹۲۵: مقبول من الثالثة (أى الطبقة الوسطى من التابعين). و قول الحافظ ابن حجر: «مقبول»، يعنى أنه: [من ليس له من الحديث إلا القليل، و لم يثبت فيه ما يترك حديثه من أجله، (مقبول) حيث يتابع]. (ينظر مقدمة التقريب المرتبة السادسة). - و الحديث أخرجه أحمد فى المسند، و أبو داود و ابن ماجة، و البيهقى ۷: ۴۶۴ (البيهقى من طريق أبى داود برقم ۳۸۸۱) كلّهم من طريق المهاجر بن أبى مسلم عن أسماء بنت يزيد بن السكن. و المهاجر روى عنه فى هذا الحديث ابنه محمد بن مهاجر (عند أبى داود، رقم ۳۸۸۱، و أحمد، و البيهقى). و روى عنه أيضا ابنه عمرو بن مهاجر هذا الحديث أيضا (عند ابن ماجة). فتحصّل من ذلك أن محمد بن مهاجر له متابع هو أخوه عمرو بن مهاجر. و عندئذ يتجه تحسين الساعاتى للحديث، و اللّه تعالى أعلم. و ينظر «تهذيب الكمال» للمزّى ۲۸: ۵۸۲- ۵۸۳ رقم ۶۲۱۷، ترجمة المهاجر. و بذلك ينظر فى كلام الشيخ الأرناءوط- حفظه اللّه تعالى-. و فى «تهذيب سنن أبى داود» لابن القيّم ۵: ۳۶۲- بعد أن أورد حديث مسلم عن سعد بن أبى وقاص: أن رجلا جاء إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: إنى أعزل عن امرأتى ...»- قال ابن القيّم: و هذه الأحاديث: أصح من حديث أسماء بنت يزيد، و هو حديث شامى يرويه عمرو بن مهاجر عن أبيه المهاجر بن أسلم «۱» مولى أسماء بنت يزيد- يعدّ فى الشاميين- عن أسماء بنت يزيد، فإن كان صحيحا فيكون النهى عنه أوّلا إرشادا و كراهة، لا تحريما، و اللّه تعالى أعلم. صلة الحديث بالإعجاز العلمى: هذا الحديث حسن، و هو صحيح المعنى، و بالتالى يصح الاحتجاج به. و هو يتكلّم عن أمر غيبى، و هو أثر لبن الأم الحامل على الرضيع مآلا، و هذا أمر غيبى، لا يعلمه إلا من يوسعه أن يجرى أبحاثا معملية عدّة ذات طابع كيميائى و بيولوجى. و هذه ليست باستطاعة شعوب ما قبل البعثة، و بالتالى يصح أن

(_____ ۱) الصّواب: المهاجر بن أبى مسلم.

إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۶۳۹ نعتبر هذا الحديث على أنه إعجاز علمى فى مجال الرضاعة، و ينطبق عليه الحكم رقم ۲۰. * [ح ۵۴] عن ابن عبّاس رضى اللّه عنهما قال: قال النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم فى بنت حمزة: «لا تحلّ لى، يحرم من الرّضاع (الرضاعة) ما يحرم من النّسب، هى بنت أخى من الرّضاعة». انظر ص: ۴۶۴- ۴۶۷- ۵۵۹. - أخرجه البخارى فى «كتاب الشهادات»، (۷) باب الشهادة على الأنساب، و الرضاع المستفيض، و الموت القديم، رقم ۲۶۴۵. - و أخرجه مسلم فى «كتاب الرّضاع»، (۲) باب تحريم الرضاعة من ماء الفحل، رقم ۹/ ۱۴۴۵، و (۳) باب تحريم ابنة الأخ من الرضاعة، رقم ۱۳/ ۱۴۴۷. و اللفظ لهما. [تنبيه: هناك ألفاظ مثل: إن الرّضاعة تحرّم ما تحرّم الولادة. يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة. كانت عائشة تقول: حرّموا من الرضاعة ما تحرّمون من النسب. يحرم من الرضاعة ما يحرم من الرّحم. هذه الألفاظ فى مسلم من الباب الثانى و الثالث]. صلة الحديث بالإعجاز العلمى: هذا الحديث يشير إلى أن الأخت من الرضاعة تحرم على أخيها من الرضاعة كحرمة الأخت من النسب. و تفسيرنا لهذه الحرمة ترتكز على حكمة أن الأخت بالرضاعة تصبح مورفولوجيا قريبة إلى أخيها من جراء الرضاعة (و هذا صحيح من الناحية العلمية)، و بالتالى تأنف النفس البشرية أن يتزوج الرجل من المرأة القريبة منه. و قد يكون هناك سبب ثان علمى يسبب التحريم لم نكتشفه بعد، و بالتالى فهذا الحديث يرجى كشف حقيقته العلمية فى المستقبل، و له القابلية لأن يكون إعجازا علميا، للبحث و الاتعاظ. و ينطبق عليه الحكم رقم ۵. و نعتبره- إلى حين اكتشاف الحقيقة العلمية- مرجعا دينيا علميا بارزا. * [ح ۵۵] عن عائشة رضى اللّه عنها أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم دخل عليها و عندها رجل، فكأنّه تغير وجهه كأنّه كره ذلك، فقالت: إنّه أخى، فقال: «انظرن من إخوانكنّ، فإنّما الرّضاعة من المجاعة». إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۶۴۰ انظر ص: ۴۷۱- ۴۷۵ (ح). - أخرجه البخارى فى «كتاب الشهادات»، (۷) باب الشهادة على الأنساب، و الرضاع المستفيض، رقم ۲۶۴۷. و فى «كتاب النكاح»، (۲۱) باب من قال: لا رضاع بعد حولين، رقم ۵۱۰۲. و اللفظ له. - و أخرجه مسلم فى «كتاب الرّضاع»، (۸) باب إنما الرضاعة من المجاعة، رقم ۳۲/ ۱۴۵۵، بلفظ: «انظرن إخوتكن من الرضاعة ...». صلة الحديث بالإعجاز العلمى: هذا الحديث يشير إلى أنه لا بد أن يكون الطفل جائعا لكى يتولّد عنده الحافز للامتصاص القوى، و يخرج بذلك اللبن المثقل. و بما أن الشعوب لم تكن تعلم قبل البعثة أن اللبن المثقل هو الذى يؤثر هيكليا على الطفل فبالتالى يصحّ أن نعتبره إعجازا علميا فى مجال الرضاعة. و ينطبق عليه الحكم رقم ۲۰. * [ح ۵۶] حدّثنا قتيبة، حدّثنا أبو عوانة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن فاطمة بنت المنذر عن أمّ سلمة قالت: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: «لا يحرم من الرّضاعة إلّا ما فتق الأمعاء، فى الثّدى و كان قبل الفطام». إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۶۴۱ انظر ص: ۴۴۷- ۴۵۶- ۴۶۷- ۴۶۸- ۴۷۱- ۴۷۴ (ح)- ۵۷۶- ۵۸۳- ۵۸۶- ۵۸۷ (ح)- ۵۸۹. - أخرجه الترمذى فى «كتاب الرّضاع»، (۵) باب ما جاء (أو ما ذكر) أن الرضاعة لا تحرّم إلا فى الصّغر دون الحولين، رقم ۱۱۵۲. و اللفظ له. - و ابن ماجة فى «كتاب النكاح»، (۳۷) باب لا رضاع بعد فصال، و لفظه: «لا رضاع إلا ما فتق الأمعاء»، رقم ۱۹۴۶. قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح. و قال المباركفورى فى «تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى» ۴: ۳۱۴: و صحّحه الحاكم أيضا. انتهى. و فى سند ابن ماجة: عبد اللّه بن لهيعة. قال الحافظ ابن حجر فى «تقريب التهذيب» رقم ۳۵۶۳: عبد اللّه بن لهيعة، أبو عبد الرحمن المصرى، القاضى، صدوق، ... خلط بعد احتراق كتبه، و رواية ابن المبارك و ابن وهب عنه أعدل من غيرهما، و له فى مسلم بعض شىء مقرون. إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۶۴۱ و صحيح الحديث الألبانى فى «إرواء الغليل»: (ج ۲، ص ۲۲۱). قلت: و هذا من صحيح حديثه لأنه من رواية محمد بن وهب عنه. صلة الحديث بالإعجاز العلمى: هذا الحديث صحيح، و الحديث يشير إلى ظواهر علمية غيبية عدّة فى غاية الدقّة. فهو يشير إلى أن هناك أكثر من نوع للبن الثدى (و هذا ليس بغيب لأننا نستطيع أن نميّز اللبن الخارج من الثدى بمجرد أن نلمسه أو نطعمه). و أن هناك أغشية تتفتق بالثدى (و هذا من الغيب، لأنها موجودة داخل الثدى، و غير مرئية). و أن اللبن المثقل هو الذى يخرج من خلال عملية الفتق للأغشية (و هذا من الغيب لأننا لا نستطيع أن نرى بالعين المجردة آلية خروج اللبن عبر الأغشية داخل الثدى). و أن هذا اللبن هو الذى يؤثر هيكليا على جسم الرضيع (و هذا أيضا من الغيب حيث يتطلب معامل كيميائية و بيولوجية لمعرفة تأثيره)، ممّا يؤدى إلى تحريم علاقته بأمّه، و بالتالى يصح أن نعتبر الحديث إعجازا علميا لما يحتوى من أخبار غيبية. و ينطبق عليه الحكم رقم ۲۰. * [ح ۵۷] و قد أخبرنا أبو سعد بن محمد الماليني، أنا أبو أحمد بن عدى الحافظ قال: سمعت عمر بن محمد الوكيل يقول: نا أبو الوليد بن برد الأنطاكى، نا الهيثم بن جميل، نا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار عن ابن عباس رضى اللّه عنهما عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: «لا يحرّم من الرضاع إلا ما كان فى الحولين». انظر ص: ۴۵۹- ۴۶۰. - [تنبيه: جاء فى الموطّأ للإمام مالك ۲: ۶۰۷ الحديث من رواية عبد اللّه بن مسعود بلفظ: «لا رضاعة إلا ما كان فى الحولين» ... قال محقق الموطأ- محمد فؤاد عبد الباقى:- قال أبو عمر- أى ابن عبد البر-: منقطع، و يتصل من وجوه. «كتاب الرضاع»، (۲) باب ما جاء فى الرضاعة بعد الكبر، رقم ۱۴]. - و فى سنن البيهقى ۷: ۴۶۲ أحاديث منها: عن عبد اللّه- بن مسعود- قال: لا رضاع إلا ما كان فى الحولين. عن ابن عباس قال: لا رضاع بعد حولين كاملين. عن ابن عباس قال: لا رضاع إلا ما كان فى الحولين. قال البيهقى: هذا هو الصحيح موقوف. عن ابن عباس عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال: «لا يحرم من الرضاع إلا ما كان فى الحولين»، قال البيهقى: قال أبو أحمد- أى الحافظ ابن عدى صاحب «الكامل فى الضّعفاء»-: إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۶۴۲ هذا يعرف بالهيثم بن جميل عن ابن عيينة مسندا (أى ما اتصل سنده مرفوعا إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم) و غير الهيثم يوقف- أى يوقف الحديث- على ابن عباس رضى اللّه عنهما. قال العلّامة علاء الدّين المارديني الشهير بابن التركماني سنة ۷۴۵ هجرية فى «الجوهر النّقى»- و هو ذيل على سنن البيهقى-: الهيثم هذا وثّقه ابن حنبل و غيره. و قال الدارقطنى: حافظ، فعلى هذا الحكم، له على ما هو الأصح عندهم لأنه ثقة، و قد زاد الرّفع انتهى. [الراجح- و اللّه أعلم- الوقف كما يتبيّن من قول و نقل الحافظ الزّيلعى- سنة ۷۶۲ هجرية- فى «نصب الراية» ۳: ۲۱۸- ۲۱۹]. - و الحديث رواه الدارقطنى فى سننه ۴: ۱۷۴، «كتاب الرضاع» بلفظ: «لا رضاع إلا ما كان فى الحولين» عن ابن عباس عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم. قال الدارقطنى: لم يسنده عن ابن عيينة غير الهيثم بن جميل، و هو ثقة حافظ. قال الحافظ ابن حجر فى «فتح البارى» ۹: ۱۴۶- من «كتاب النكاح»، (۲۱) باب من قال: لا رضاع بعد حولين، بعد أن أورد حديث ابن عباس و قال: رفعه: «لا رضاع إلا ما كان فى الحولين» أخرجه الدارقطنى، ثم نقل كلام الدارقطنى فى الهيثم- قال: و أخرجه ابن عدى. و قال- أى ابن عدى- غير الهيثم يوقفه على ابن عباس و هو المحفوظ. انتهى. فتحصل من هذا كلّه أن المحفوظ هو أن هذا الحديث موقوف على ابن عباس رضى اللّه عنهما، و اللّه تعالى أعلم. أما الحكم على الحديث، فقد قال الشيخ عبد القادر الأرناءوط معلّقا على «جامع الأصول» ۱۱: ۴۹۰: و يشهد له حديث الترمذى الذى بعده- أى رقم ۵۶ المتقدّم-، فهو حديث حسن بشواهده. صلة الحديث بالإعجاز العلمى: هذا الحديث حسن، و هو صحيح المعنى. و هو يتكلم ضمنيا عن ظاهرة علمية غيبية، و هى أن حركة الجهاز الهضمى و خمائره التى تساعد على الهضم لا تكتمل قبل نهاية سنتين من عمر الرضيع، و لم يعلم أحد هذه الظاهرة قبل البعثة لفقدان الوسائل المعملية و التشخيصية. و يشهد لمعنى هذا الحديث الآية: وَ الْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ لِمَنْ أَرادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضاعَةَ [البقرة: ۲۳۳]. و بما أن الحديث فى الغالب موقوف، فمن الاحتياط أن لا- ننسبه إلى الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم، و بالتالى أن لا

نعتبره إعجازا علمیا، و أن نقول أن ابن عباس رضی اللّه عنه استوحی تفسیره من الآیة السابقة الذکر (و هی التی نستطیع أن نقول إنها تشیر إلی إعجاز علمی). کذلک، من الحکمة أن نعتبر الحدیث أثرا إسلامیا من قول ابن عباس رضی اللّه عنهما، و أن نستشهد به إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۴۳ فی تفسیر الآیة القرآنیة. و لا ننکر علی أحد أصرّ أن الحدیث من قول الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم، و ذلک أن الهیثم رفعه إلی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم، و قد یکون محقّا. و ینطبق علیه الحکم رقم ۲۰. * [ح ۵۸] عن أبی موسی الهلالیّ عن أبیه أن رجلا کان فی سفر فولدت امرأته فاحتبس لبنها فجعل یمصّه و یمجّه فدخل حلقه فأتی أبا موسی فقال: حرّمت علیک، قال: فأتی ابن مسعود فسأله فقال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «لا یحرّم من الرّضاع إلّا ما أنبت اللّحم و أنشز العظم». انظر ص: ۴۵۹- ۴۷۴ (ح)- ۴۷۶ (ح)- ۵۸۷- ۵۸۹. - أخرجه الإمام أحمد فی المسند ۱: ۴۳۲، لکن بالراء المهملة فی «أنشر» بدل الزای. [قال الشیخ أحمد شاکر معلّقا علی المسند ۶: ۸۰، رقم ۴۱۱۴: و یروی: «أنشر» العظم، بالراء المعجمة]. و اللفظ له. و قد حکم الشیخ أحمد شاکر علی الحدیث بالضعف. [و الحدیث بسنده: حدثنا وکیع حدثنا سلیمان بن المغیرة عن أبی موسی الهلالی عن أبیه: أن رجلا- کان فی سفر -، لا یحرّم من الرضاع ... الحدیث]. قال الشیخ شاکر: أبوه- أی والد أبی موسی الهلالی- مجهول لم یترجم له أحد ... - و أخرجه أبو داود فی «کتاب النکاح»، باب فی رضاعة الکبیر، رقم ۲۰۵۹، بلفظ: «لا رضاع إلا ما شدّ العظم و أنبت اللحم». من حدیث ابن مسعود موقوفا. و هذه الروایة ضعیفة أیضا، کما قال الشیخ أحمد شاکر. و أما الروایة الثانیة لأبی داود برقم ۲۰۶۰، فهی مرفوعة إلی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم، و لفظها «أنشز العظم» بالزای المعجمة. و هذه الروایة ضعیفة أیضا کما قال الشیخ أحمد شاکر. و بالرجوع إلی ما قاله الشیخ الأرناءوط فی الحدیث ۵۷، نجد أن الحدیث حسن بشواهده. کما فی «جامع الأصول» ۱۱: ۴۹۰. قال الإمام الخطّابی فی «معالم السّنن» ۳: ۱۱، فی الحدیث رقم ۱۹۷۶: أنشر العظم- بالراء المهملة- معناه: ما شدّ العظم و قوّاه، و الإنشار بمعنی الإحیاء، فی قوله تعالی: ثُمَّ إِذا شاءَ أَنْشَرَهُ (۲۲) [عبس: ۲۲] و یروی «أنشز العظم» بالزای معجمة، و معناه: زاد فی حجمه فنشز. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۴۴ و یؤید هذا قوله تعالی: وَ انْظُرْ إِلَی الْعِظامِ کَیْفَ نُنْشِزُها [البقرة: ۲۵۹] فقد ورد فیها القراءتان و هما متواترتان. یقول ابن عاشور ۳/ ۳۷: «نشرها بضم النون و الراء المهملة مضارع أنشر الرباعی بمعنی الإحیاء ... نشزها بالزای مضارع أنشزه إذا رفعه، و النشز الارتفاع و المراد ارتفاعها حین تغلظ یاحاطة العصب و اللحم و الدم بها» «۱». صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث حسن (و هذا یعنی أننا نستطیع أن نستشهد به)، و هو صحیح المعنی. و یتحدث عن أن هناک أکثر من نوع للبن الثدی: اللبن المخفف، و اللبن المثقل. و أن اللبن المخفف لیس له الأثر البلیغ فی نمو الطفل علی عکس اللبن المثقل، و هذا أمر یعدّ من الغیب قبل البعثة لفقدان الوسائل المعملیة الکیمیائیة و البیولوجیة، و بالتالی یصح أن نعتبره إعجازا علمیا فی مجال الرضاعة. و ینطبق علیه الحکم رقم ۲۰. * [ح ۵۹] عن أمّ الفضل أنّ نبی اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم سئل عن الرضاع، فقال: «لا تحرّم الإملاجة و لا الإملاجتان». انظر ص: ۴۷۱- ۴۷۲ (ص)- ۴۷۳ (ح). - أخرجه مسلم فی «کتاب الرّضاع»، (۵) باب فی المصّة و المصّتان، رقم ۱۸/ ۱۴۵۱، و ۲۲/ ۱۴۵۱ من دون لفظ «لا» الثانیة. - و أخرجه النّسائی بهذا اللفظ فی «کتاب النکاح»، (۵۱) (باب) القدر الذی یحرم من الرضاعة، رقم ۳۳۰۸. - و أخرجه الإمام أحمد فی المسند ۶: ۳۳۹ و ۶: ۳۴۰، بهذا اللفظ أیضا. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث یشیر إلی أن الرضیع لا یتأثر إلا إذا تناول وجبة مشبعة من اللبن المثقل، و هذا لا یکون من خلال تناول مصة أو مصتین. و یعتبر هذا الخبر من الغیب لعدم معرفة الصحابة بتأثیر اللبن المثقل علی هیکل الرضیع فی المقام الأول. کذلک فإن معرفة أن اللبن المثقل لا یخرج إلا إذا تناول الرضیع الثدی بکامل الفم یتطلب مراقبة دقیقة لعملیة الرضاعة و تحتاج لاختصاصیین فی هذا المجال. و یصح الاحتجاج به فی الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة فی مجال الرضاعة. و ینطبق علیه الحکم رقم ۲۰.

(_____۱) و انظر البدور الزاهرة فی القراءات العشر المتواترة لعبد الفتاح القاضی ص ۵۴. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۴۵ * [ح ۶۰] عن عائشة أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «لا تحرّم المصّة و لا المصّتان». انظر ص: ۴۶۷- ۴۶۸- ۴۷۳- ۴۷۵- ۵۸۶- ۵۸۷ (ح). - أخرجه مسلم فی «کتاب الرضاع»، (۵) باب فی المصّة و المصّتان، رقم ۱۷/ ۱۴۵۰ دون لفظ «لا»، و فی ۲۰/ ۱۴۵۱ بلفظ: «لا تحرّم الرّضعة أو الرّضعتان، أو المصّة أو المصّتان». - و أخرجه الإمام أحمد فی المسند بهذا اللفظ ۶: ۹۶ و ۶: ۲۱۶ و ۶: ۲۴۷ (و ۶: ۳۱ و ۴: ۵ دون لفظ «لا»). - و أخرجه النّسائی فی «کتاب النکاح»، (۵۱) (باب) القدر الذی یحرّم من الرضاعة، رقم ۳۳۰۹ و ۳۳۱۰، دون لفظ «لا». [و فی النّسائی ح رقم ۳۳۰۸: و قال قتادة: المصّة و المصّتان، بعد قوله: «لا تحرّم الإملاجة ...]. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث یشیر إلی أن الرضیع لا یتأثر إلا إذا تناول وجبة مشبعة من اللبن المثقل، و هذا لا یکون من خلال تناول مصة أو مصتین. و یعتبر هذا الخبر من الغیب لعدم معرفة الصحابة بتأثیر اللبن المثقل علی هیکل الرضیع فی المقام الأول. و یصح الاحتجاج به فی الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة فی مجال الرضاعة. و ینطبق علیه الحکم رقم ۲۰. * [ح ۶۱] عن عائشة قالت: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «لا تسترضعوا الورهاء، فإنّ اللّبن یعدی». انظر ص: ۴۷۷- ۴۸۱. - أخرجه الطبرانی فی «المعجم الصغیر» ۱: ۵۲، قال یونس بن حبیب: الورهاء: الحمقاء. - و فی روایة البزار: «لا تسترضعوا الحمقاء فإن اللبن یورث». قال الهیثمی فی «مجمع الزوائد» (۴: ۲۶۲): و إسنادهما ضعیف. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث ضعیف السند. و هو حسن التوجه من الناحیة العلمیة، غیر أن المعطیات العلمیة- و إن کانت تؤید معنی الحدیث بقوة- غیر قاطعة کل القطع فی هذا المجال علی ما نعلم. فلذلک نتوقف عند الحدیث، و یجعل قید البحث، و للاحتیاط. و ینطبق علیه الحکم رقم ۱۳. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۴۶ * [ح ۶۲] عن مالک عن ابن شهاب أنّه سئل عن رضاعة الکبیر فقال: ... فجاءت سهلة بنت سهیل- و هی امرأة أبی حذیفة و هی من بنی عامر بن لؤی- إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم فقالت: یا رسول اللّه: کنّا نری سالما ولدا، و کان یدخل علیّ و أنا فضل، و لیس لنا إلّا بیت واحد فما ذا تری فی شأنه؟ فقال لها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «أرضعیه خمس رضعات فیحرم بلبنها»، و کانت تراه ابنا من الرّضاعة. انظر ص: ۴۷۳- ۴۷۵. - أخرجه الإمام مالک فی الموطّأ فی «کتاب الرضاع»، (۲) باب ما جاء فی الرضاعة بعد الکبر، رقم ۱۲. و اللفظ له. - و أخرجه مسلم فی «کتاب الرضاع»، (۷) باب رضاعة الکبیر، رقم ۱۴۵۳- ۱۴۵۴ (مختصرا). صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: له نفس حکم الحدیث رقم ۶۰. * [ح ۶۳] عن موسی بن علی، عن أبیه عن جده أن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم قال له: «ما ولد لکک؟» قال الرجل: یا رسول اللّه: ما عسی أن یولد لی إمّا غلام و إمّا جاریة! قال: «فمن یشبه؟» قال: یا رسول اللّه: ما عسی أن یشبه؟ إمّا أباه و إمّا أمّه! فقال الرسول- صلوات اللّه علیه و سلامه-: «مه! لا تقولنّ هکذا، إن النطفة إذا استقرت فی الرحم أحضرها اللّه تعالی کلّ نسب بینها و بین آدم. أما قرأت هذه الآیة فی کتاب اللّه تعالی: فِی أَیِّ صُورَةٍ مّا شاءَ رَکَّبَکَ (۸) [الانفطار: ۸]؟»، قال: شَکّلک. انظر ص: ۱۴۱- ۲۲۶- ۲۳۳- ۲۳۴- ۲۳۵- ۲۴۱- ۵۲۶- ۵۲۷. - أورده الهیثمی فی «مجمع الزوائد» ۷: ۱۳۴- ۱۳۵- من «کتاب التفسیر» سورة إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ (۱) [الانفطار: ۱]- و قال: رواه الطبرانی- أی فی الکبیر- و فیه مطهّر بن الهیثم، و هو متروک. انتهی. فالحدیث ضعیف جدا. - و الحدیث وارد من طریق موسی بن علیّ بن رباح عن أبیه عن جده أن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم قال له: ما ولد لکک؟ کما فی «الدر المنثور» للسیوطی ۶: ۳۲۳- عند تفسیر سورة الانفطار، قوله تعالی: یا أَیُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّکَ [الانفطار: ۶] الآیات- و اللفظ هو: «... فرکب خلقه فی صورة من تلک الصّور، أما قرأت هذه الآیة فی کتاب اللّه: فِی أَیِّ صُورَةٍ مّا شاءَ رَکَّبَکَ (۸) [الانفطار: ۸] من نسلک ما بینک و بین آدم». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۴۷ قال الذهبی فی «میزان الاعتدال» ۴: ۱۲۹، رقم ۸۵۹۶: مطهّر بن الهیثم عن موسی بن علی، قال أبو سعید بن یونس: متروک الحدیث ... قال ابن حبّان: یأتی بما لا یتابع علیه. انتهی. و قال الذهبی فی «الکاشف» رقم ۵۴۸۶: مطهّر بن الهیثم الطّائی، عن أبیه، و موسی ابن علیّ، و عنه ابن المثنی، و الفلّاس، واه. ق- أی ابن ماجة القزوینی- [تنبیه: هناک خلاف فی ضبط اسم علی، هل هو علیّ، أم بالتصغیر علیّ، تراجع کتب التراجم، و المشهور فیه: علی، بضم العین المهملة، و فتح اللام، أی بالتصغیر]. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث شدید ضعف السند، صحیح المعنی. و هو یتکلم عن أن تخلق الجنین قد یشبه أیّا من أجداده، لأن الخطة الجینیة قد تکون فی أی شکل من الأشکال، و هذا من مجال الغیب لعدم درایة شعوب ما قبل البعثة بأن هناک خطة جینیة لتخلق الإنسان. و یشهد لمعنی هذا الحدیث الآیة القرآنیة: وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ مِنَ الْماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَ صِهْراً وَ کانَ رَبُّکَ قَدِیراً [الفرقان: ۵۴]، و الحدیث رقم ۲۱: «ثم أحضر له کل عرق له بینه و بین آدم» (فلفظ «أحضر» و لفظ «بینه و بین آدم» وردا فی الحدیثین). کذلک فإن الحدیث رقم ۲۲ «لیس منها عرق إلا یسأل اللّه أن یجعل النّسب له» یتکلم عن هذه الظاهرة بعبارة مختلفة. و الحدیث رقم ۳۳ یشیر إلی معنی الاستقرار الذی ورد فی هذا الحدیث، و إلی أن التخلق یعقب الاستقرار. و بسبب شدة ضعف سنده لا نستطیع أن ننسبه إلی الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم، و لا یصح أن نعتبره إعجازا علمیا (و لکن هذا لا یعنی أننا لا نعتبر المعنی الذی یرمی إلیه الحدیث إعجازا علمیا لوجود أدلّة خارجیة علیه؛ کآیة سورة الفرقان السالفة الذکر، و الحدیث الشریف رقم ۲۱ الجید السند). و لکن یصح أن نعتبره أثرا إسلامیا نستعین به علی تفسیر الآیات القرآنیة و الأحادیث الشریفة، شرط أن نشیر إلی شدة ضعفه. و ینطبق علیه الحکم رقم ۱۶. * [ح ۶۴] عن أبی موسی الأشعری قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «إنّ اللّه تعالی خلق آدم من قبضة قبضها من جمیع الأرض فجاء بنو آدم علی قدر الأرض؛ فجاء منهم الأحمر و الأبیض، و الأسود و بین ذلک، و السّهل و الحزن، و الخبیث و الطّیب». انظر ص: ۵۶- ۵۲۴- ۵۲۶- ۵۲۷. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۴۸ - أخرجه الإمام أحمد فی المسند ۴: ۴۰۰، و لفظه: «إن اللّه عزّ و جلّ خلق ... جاء منهم الأبیض و الأحمر و الأسود و بین ذلک، و الخبیث و الطّیب، و السّهل و الحزن، و بین ذلک». و فی ۴: ۴۰۶، و لفظه: «إن اللّه عزّ و جلّ خلق ... جعل منهم الأحمر و الأبیض و الأسود و بین ذلک، و السّهل و الحزن، و بین ذلک، و الخبیث و الطّیب و بین ذلک». - و أخرجه أبو داود فی «کتاب السّنّة»، باب فی القدر، رقم ۴۶۹۳، و لفظه: «إن اللّه خلق ... جاء منهم الأحمر، و الأبیض، و الأسود، و بین ذلک، و السّهل و الحزن، و الخبیث، و الطّیب» و فی روایة بزیادة «و بین ذلک». - و أخرجه الترمذی فی «کتاب تفسیر القرآن»، (۳) باب «و من سورة البقرة»، رقم ۲۹۵۵، و اللفظ له. قال الترمذی: هذا حدیث حسن صحیح. و قد صححه ابن حبّان، و الحاکم، و أقرّه الذهبی [«الفتح الرّبّانی» للساعاتی ۲۰: ۲۷- ۲۸]. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث صحیح السند. و هو یخبرنا أن الإنسان مکوّن من جمیع مواد الأرض، و هو یصوّر لنا کیف أن تنوع مزاج البشر مرتبط بتنوع التربة التی نشأ منها أبونا آدم علیه السّلام. و لا أعتقد أننا سنستطیع إثبات تلک الظاهرة الأخیرة من خلال العلم الکونی، و لکن لن نقفل الباب أمام البحث، و سنقول: إنه یرجی کشف حقیقة هذا الأمر. و ینطبق علیه الحکم رقم ۵. * [ح ۶۵] عن أبی هریرة أن أعرابیا أتی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، فقال: یا رسول اللّه: إنّ امرأتی ولدت غلاما أسود، و إنّی أنکرته. فقال له النّبی صلّی اللّه علیه و سلّم: «هل لک من إبل؟»، قال: نعم، قال: «ما ألوانها؟»، قال: حمر، قال: «هل فیها من أورق؟»/ أسمر أو ما کان لونه کلون الرماد/، قال: نعم، قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «فأنّی هو؟» قال: لعلّه، یا

رسول اللّه یکون نزعه عرق له، قال له النبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم: «و هذا لعلّه یکون نزعه عرق له». انظر ص: ۱۴۲- ۱۴۶- ۳۹۹- ۵۲۹- ۵۳۳- ۵۵۳- ۵۵۷- ۵۵۸ (ح)- ۷۰۶. - أخرجه البخاری فی «کتاب الحدود»، (۴۱) باب ما جاء فی التعریض، رقم ۶۸۴۷. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۴۹ و فی «کتاب الاعتصام بالکتاب و السّنّة»، (۱۲) باب من شبّه أصلا معلوما بأصل مبیّن و قد بیّن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم حکمهما لیفهم السائل، رقم ۷۳۱۴. - و مسلم فی «کتاب اللّعان»، (دون ذکر للباب، لأنّه لا یوجد باب فی «کتاب اللّعان» کله من صحیح مسلم، و کذا الشرح للنووی) رقم ۲۰/ ۱۵۰۰. و اللفظ له. و فی روایة ل مسلم جاء فی آخرها: «و لم یرخّص له فی الانتفاء منه». و فی روایة فی أوّلها: «جاء رجل من بنی فزارة إلی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم ...». صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث یشیر إلی عملیة نزع صفة- أی نزع مورّثة- من عرق إلی عرق آخر، مما یسبب ظهور صفة متنحیة فی النسل غیر المباشر، و هذه العملیة ظلّت فی عالم الغیب للبشر إلی أن تقدم العلم فی الآونة الأخیرة، و اکتشف هذه الظاهرة. و یصح أن نعتبر هذا الحدیث إعجازا علمیا. و ینطبق علیه الحکم رقم ۲۰. * [ح ۶۶] أن ابن عمر قال: قلّما کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم یقوم من مجلس حتّی یدعو بهؤلاء الدّعوات لأصحابه: «اللّهمّ اقسم لنا من خشیتک ما یحول بیننا و بین معاصیک، و من طاعتک ما تبلّغنا به جنّتک، و من الیقین ما تهوّن به علینا مصیبات الدّنیا، و متّعنا بأسماعنا و أبصارنا و قوّتنا ما أحییتنا و اجعله الوارث منّا، و اجعل ثأرنا علی من ظلمنا، و انصرنا علی من عادانا، و لا تجعل مصیبتنا فی دیننا، و لا تجعل الدّنیا أکبر همّنا و لا مبلغ علمنا، و لا تسلّط علینا من لا یرحمنا». انظر ص: ۵۲۹- ۵۳۷- ۵۵۷ (ح). - أخرجه الترمذی فی «کتاب الدعوات»، (۸۰) باب ما جاء فی عقد التسبیح بالید، رقم ۳۵۰۲. و اللفظ له، قال الترمذی: هذا حدیث حسن غریب. و قد صححه الحاکم فی المستدرک ۲: ۱۴۲، و وافقه الذهبی. - قال المبارکفوری فی «تحفة الأحوذی» ۹: ۴۷۷: و أخرجه النّسائی و الحاکم و قال: صحیح علی شرط البخاری. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث صحیح السند، صحیح المعنی، و هو یتکلم عن المورّثات المسیطرة و دورها فی التحکم فی صفات النسل. و هذا من عالم الغیب حیث إنّ العلم لم یکتشف المورّثات السائدة و المتنحیة إلا فی الآونة الأخیرة. و یعتبر إعجازا علمیا. و ینطبق علیه الحکم رقم ۲۰. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۵۰ * [ح ۶۷] عن قتادة أن أنس بن مالک حدّثهم أن أم سلیم حدثت أنها سألت نبی اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم عن المرأة تری فی منامها ما یری الرجل، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «إذا رأت ذلک المرأة فلتغتسل»، فقالت أم سلیم- و استحییت من ذلک- قالت: و هل یکون هذا، فقال نبی اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «نعم فمن أین یکون الشّبه؟ إنّ ماء الرّجل غلیظ أبیض، و ماء المرأة رقیق أصفر، فمن أیّهما علا أو سبق یکون منه الشّبه». انظر ص: ۷۲- ۸۶- ۱۰۶- ۱۲۳- ۵۲۹- ۵۳۷- ۵۳۸ (ح)- ۵۳۹ (ح)- ۵۴۰ (ح)- ۵۵۷ (ح)- ۵۷۶ - أخرجه البخاری فی «کتاب مناقب الأنصار»، (۵۱) باب کیف آخی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم بین أصحابه؟، رقم ۳۹۳۸، و فیه «... و أما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، و إذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد ...». - و مسلم فی «کتاب الحیض»، (۷) باب وجوب الغسل علی المرأة بخروج المنیّ منها، رقم ۳۱۰/ ۳۱۱. و اللفظ له. - و أخرجه النّسائی فی «کتاب الطهارة»، (۱۳۳) باب الفصل بین ماء الرجل و ماء المرأة، رقم ۲۰۰، بهذا اللفظ: «ماء الرجل غلیظ أبیض و ماء المرأة رقیق أصفر فأیّهما سبق کان الشبه». - و ابن ماجة فی «کتاب الطهارة و سننها»، (۱۰۷) باب فی المرأة تری فی منامها ما یری الرجل، رقم ۶۰۱، و لفظه «ماء الرجل غلیظ أبیض، و ماء المرأة رقیق أصفر، فأیّهما سبق أو علا أشبه الولد». - و أحمد فی المسند: ۳: ۱۲۱، و لفظه: «... ماء الرجل ...، و ماء المرأة أصفر رقیق، فأیّهما سبق أو علا أشبهه الولد». و فی ۳: ۱۹۹، و لفظه: «... ماء الرجل ...، فمن أیّهما سبق أو علا یکون الشّبه». [قال سعید- أی ابن المسیّب-: نحن نشک- أی فی کلمة سبق أو علا-]. و فی ۳: ۲۸۲، و لفظه: «... ماء الرجل أبیض غلیظ، ... أصفر رقیق، فمن أیّهما سبق أو علا یکون الشّبه». صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث یتکلم عن صفات ماء الرجل و ماء المرأة. و معرفة صفات ماء الرجل لیس بإعجاز لأنه ظاهر للعیان، أما معرفة صفات ماء المرأة فهو إعجاز علمی، حیث إن ماء المرأة یخرج من مکان متخفّ (مبیض المرأة) و یضیع فی جوف المرأة، و لا سبیل له أن یخرج من خارج الجسم. و إن خرج، یخرج و قد اختلط بسوائل أخری تغیر خصائصه. فلا سبیل لنا إلی معرفة إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۵۱ خصائصه إلا بواسطة کامیرات ذات تقانة عالیة. کذلک فإن الحدیث یشیر إلی ظاهرة علمیة غیبیة هی الأخری: و هی أن الصفات السائدة الموجودة فی نطفة المرأة و نطفة الرجل هی التی تعطی النسل صفات مشابهة لأی من والدیه. و بما أن مجتمع ما قبل البعثة لم یعلم ابتداء أن للمرأة ماء، و بما أنه لم یعلم دور المورّثات السائدة و المتنحیة فهذا الحدیث یعد إعجازا علمیا. و ینطبق علیه الحکم رقم ۲۰. * [ح ۶۸] عن عائشة ...: فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «إذا علا ماؤها ماء الرّجل أشبه الولد أخواله، و إذا علا ماء الرّجل ماءها أشبه أعمامه». انظر ص: ۵۳۸ - أخرجه مسلم فی «کتاب الحیض»، (۷) باب وجوب الغسل علی المرأة بخروج المنیّ منها، رقم ۳۳/ ۳۱۴. و اللفظ له. - و أخرجه الإمام أحمد فی المسند ۶: ۹۲، بلفظ: «... إذا علا ماؤها ماء الرجل أشبه أخواله، و إذا علا ماء الرجل ماءها أشبهه». صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: له نفس حکم الحدیث ۶۷. * [ح ۶۹] عن ابن عباس رضی اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «نطفة الرجل بیضاء غلیظة، و نطفة المرأة صفراء رقیقة، فأیّهما غلبت صاحبتها فالشّبه له». انظر ص: ۱۰۴ (ح)- ۱۰۶- ۱۲۱- ۱۲۲- ۱۲۳- ۱۴۶- ۱۵۰- ۲۲۰- ۵۲۹- ۵۴۵- ۵۵۶- ۵۵۷ (ح). - هذا الحدیث ذکره ابن هشام فی سیرته ج ۲/ ۱۶۷، ط محمد محی الدین عبد الحمید، بلفظ: «... فأیتهما غلبت صاحبتها کان الشبه لها». - و أخرجه أبو الشیخ الأصبهانی فی «کتاب العظمة»، ۵: ۱۶۳۲، ح رقم ۱۰۷۰- ۱۱، ذکر لطیف صنع اللّه و حکمته سبحانه و تعالی و حسن تقدیره و عجیب صنیعه، و حسن ترکیب خلقه. عن ابن عباس رضی اللّه عنهما: «أتی نفر من الیهود النبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم فقالوا: إن أخبرنا عما نسأله فإنه نبی، فقالوا: من أین یکون الشبه یا محمد؟ فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: الحدیث ....» - و أخرجه البزار فی مسنده کما فی کشف الأستار- للهیثمی- (۳/ ۱۱۹ رقم ۲۳۷۵) عن السکن بن سعید، ثنا أبو عامر عبد الملک بن عمرو، ثنا إبراهیم بن طهمان- به. قال البزار: لا نعلمه یروی عن ابن عباس إلا من هذا الوجه، و قد روی نحوه عن غیره من وجوه. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۵۲ و حدیث أنس أخرجه البخاری فی صحیحه (۶/ ۳۶۲ رقم ۳۳۲۹، ۷/ ۲۷۲ رقم ۳۹۳۸، ۸/ ۱۶۵ رقم ۴۴۸۰) فی سیاق قصة عبد اللّه بن سلام مع النبی صلّی اللّه علیه و سلّم حین مقدمه علی المدینة، و لفظه الأول: «و أما الشبه فی الولد ... لها». صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث صحیح، و هو صحیح المعنی، و یخبرنا عن ظاهرة علمیة غیبیة، و هی أن نطفة المرأة قلیلة الکثافة بالنسبة لنطفة الرجل، و هذا من مجال الغیب، لأن شعوب ما قبل البعثة لم تعلم فی المقام الأول وجود النطف، فکیف لها أن تعلم صفات هذه النطف؟. و یعدّ إعجازا علمیا، و ینطبق علیه الحکم رقم ۲۰. * [ح ۷۰] حدّثنا محمّد بن بشّار، حدّثنا أبو عامر العقدیّ، حدّثنا إبراهیم بن إسماعیل بن أبی حبیبة عن داود بن حصین، عن عکرمة، عن ابن عبّاس أنّ النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم کان یعلّمهم من الحمّی و من الأوجاع کلّها أن یقول: «بسم اللّه الکبیر، أعوذ باللّه العظیم، من شرّ کلّ عرق نعّار، و من شرّ حرّ النّار». انظر ص: ۳۱۵- ۵۴۵- ۵۵۸ (ح). - أخرجه الترمذی فی «کتاب الطب»، (۲۵) باب ما جاء فی تبرید الحمّی بالماء، رقم ۲۰۷۵. و اللفظ له. - و ابن ماجة فی «کتاب الطب»، (۳۷) باب ما یعوذ به من الحمّی، رقم ۳۵۲۶. (و فی السند إبراهیم الأشهلی، و هو إبراهیم بن إسماعیل). - و أحمد فی المسند ۱: ۳۰۰ و ۴: ۴۶۲، رقم ۲۷۲۹ من طبعة الرسالة. قال الترمذی: هذا حدیث غریب لا نعرفه إلا من حدیث إبراهیم بن إسماعیل بن أبی حبیبة- و یقال له: إبراهیم النهشلی- و إبراهیم یضعّف فی الحدیث. و یروی: عرق یعار- أی بالیاء المثنّاة تحتیّة-. جاء فی «الفتح الربّانی» للساعاتی ۱۷: ۱۶۰ (قلت) الحدیث أخرجه أیضا (ک هق ش «۱» و ابن أبی الدنیا و ابن السّنّی فی «عمل الیوم و اللیلة» و صححه الحاکم و أقره الذهبی و قال: إبراهیم قد وثّقه أحمد. انتهی. (_____ ۱) کت: أی الحاکم فی المستدرک علی الصحیحین. هق: أی البیهقی فی السنن الکبری. ش: أی ابن أبی شیبة فی مصنّفه. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۵۳ قلت: و قال ابن حجر فی إبراهیم: ضعیف، و قال الدارقطنی: متروک. ینظر التقریب لابن حجر رقم: ۱۴۶، و الکاشف للذهبی رقم ۱۱۴. و «تهذیب التهذیب» لابن حجر ۱: ۱۰۴- ۱۰۵، و «تهذیب الکمال» للحافظ المزّی ۲: ۴۲- ۴۴، رقم ۱۴۶. فالحدیث ضعیف، و اللّه أعلم. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: لقد اختلف العلماء فی ضعف سند هذا الحدیث، و إن کان الراجح أن یکون ضعیفا. و علیه فإن الضعف لیس شدیدا. و معنی هذا الحدیث صحیح، و یشیر إلی دور الصبغیات فی إحداث الأمراض. و إذا کان خبر وجود الصبغیات لشعوب ما قبل البعثة مجهولا، فکیف لهذه الشعوب السبیل إذن لمعرفة دور هذه الصبغیات؟. و نعتبر هذا الحدیث إعجازا علمیا. و ینطبق علیه الحکم رقم ۱۲. * [ح ۷۱] حدیث: «تخیّروا لنطفکم، فإن العرق دسّاس». انظر ص: ۱۴۲- ۱۴۶- ۵۲۹- ۵۳۲- ۵۳۳- ۵۳۵- ۵۴۴- ۵۵۷ (ح)- ۵۵۹- ۵۶۵ - تنبیه: هذا اللفظ لعله مرکّب من جزءین. و الحدیث: «تخیروا لنطفکم، و انکحوا الأکفاء، و أنکحوا إلیهم»، و فی لفظ «و لا تضعوها إلا فی الأکفاء». - أخرجه ابن ماجة فی «کتاب النکاح»، (۴۶) باب الأکفاء، رقم ۱۹۶۸. - و الحاکم فی المستدرک، ۲/ ۲۶۸ ۱. - و الدارقطنی ۳/ ۲۹۹ ۳. - و القضاعی فی مسند الشهاب رقم ۶۷۷. - و الدیلمی فی الفردوس، رقم ۲۲۹۵. - و ابن عدی فی الکامل ۱۹۵/ ۲ و ۲۴۱/ ۵. - و ابن حبان فی المجروحین ۲۲۵/ ۱. - و الخطیب فی تاریخه ۲۶۴/ ۱. کلهم عن عائشة رضی اللّه عنها من طرق عدیدة. قال الحاکم: صحیح الإسناد، و أورده الذهبی بأن فی سنده ضعیف و متّهم، کما ضعّفه ابن أبی حاکم فی العلل رقم ۱۲۹۶، و قال فی الجرح و التعدیل ۱/ ۳۸۵: لیس له أصل. - و أورده ابن الجوزی فی العلل المتناهیة من طرق کثیرة عن عائشة و عن عمرو عن ابن عمر رضی اللّه عنهم و أعلّ جمیع طرقه. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۵۴ - و أخرجه الضیاء فی المختارة رقم ۲۶۳۴ و حسّن إسناده. و الخلاصة: فإن الحدیث بمتابعاته و شواهده یرتقی للاحتجاج به و لا شک. - و قد اشتهر علی الألسنة: «تخیروا لنطفکم فإن العرق دساس»، و جملة «إن العرق دساس» لیست فی شیء من روایات هذا الحدیث، بل أخرجها القضاعی فی مسند الشهاب ۳۷۰/ ۱، رقم ۶۳۸ من حدیث ابن عمر رضی اللّه عنهما مرفوعا. - و جاء فی کشف الخفاء للعجلونی، ۱/ ۳۵۸: «أقلّ من الدّین تعش حرّا ... و انظر فی أی نصاب تضع ولدک، فإن العرق دساس». - و أورده السخاوی فی المقاصد الحسنة، ص ۱۶۹، بلفظ: «تزوّجوا فی الحجر الصالح، فإن العرق دساس». - کما أورده ابن الجوزی فی «العلل المتناهیة»، رقم ۶۰۷، بلفظ: «الناس معادن، و العرق دسّاس، ...». و طرق لفظ «إن العرق دساس» لا تقوی إلی درجة الحسن، فأحسن درجاته أن یکون ضعیفا، و هو أعلی من أن یکون موضوعا، انظر سلسلة الأحادیث الضعیفة للشیخ الألبانی (۲/ ۱۵۹- ۱۶۱)، و تلخیص العلل للذهبی، حدیث رقم ۶۰۲. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث مرکب ابتداء من حدیثین، و إن أوردته علی حاله هذه فی البحث، فذلک لأن کثیرا من الباحثین قد تلفّظوا به هکذا عن غیر درایة: و اللفظ الأول مقبول، و الثانی ضعیف لا ینجبر. و اللفظ: «تخیروا لنطفکم، فإن العرق دسّاس» و إن کان مرکّبا من حدیثین، إلا أنه یجدر أن نلاحظ التالی: الرکن الأساسی فی البحث العلمی لفهم النصوص هو معرفة العلّة کما هو معروف فی علم الأصول. و علّة «تخیر النطف» هی- حسب نصوص السلف-: أن العرق دساس. فقد

روی عن السلف عدّة نصوص تشرح معنی التخیر، بل تبیّن علّة التخیر، و هو أن العرق دساس، و لذلک روی عن السیدة عائشة رضی اللّه عنها: «تخیروا لنطفکم فإن النساء یلدن أشباه إخوانهنّ و أخواتهن». و روی غیر ذلک. فهذه الزیادة، و إن کانت ضعیفة، إلا أنها علّة الحدیث، فیعمل بها کما هو مقرر. و من الناحیة العلمیة معنی العبارتین صحیح. و کلا العبارتین یشیر إلی ظاهرة الصفات المنتحیة و السائدة. و هذا من مجال الغیب عند شعوب ما قبل البعثة. و لذلک نستطیع أن نعتبر الحدیثین إعجازا علمیا فی مجال «الوراثة»، و ینطبق علیهما معا الحکم رقم ۱۲. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۵۵ * [ح ۷۲] حدّثنا محمود بن خالد الدّمشقیّ، حدّثنا سلیمان بن عبد الرّحمن أبو أیّوب عن ابن أبی مالک، عن أبیه عن عطاء بن أبی رباح، عن عبد اللّه بن عمر قال: أقبل علینا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم فقال: «یا معشر المهاجرین خمس إذا ابتلیتم بهنّ، و أعوذ باللّه أن تدرکوهنّ: لم تظهر الفاحشة فی قوم قطّ حتّی یعلنوا بها إلّا فشا فیهم الطّاعون و الأوجاع الّتی لم تکن مضت فی أسلافهم الّذین مضوا، و لم ینقصوا المکیال و المیزان إلّا أخذوا بالسّنین و شدّة المئونة و جور السّلطان علیهم، و لم یمنعوا زکاة أموالهم إلّا منعوا القطر من السّماء، و لو لا البهائم لم یمطروا، و لم ینقضوا عهد اللّه و عهد رسوله إلّا سلّط اللّه علیهم عدوّا من غیرهم، فأخذوا بعض ما فی أیدیهم، و ما لم تحکم أئمّتهم بکتاب اللّه و یتخیّروا ممّا أنزل اللّه إلّا جعل اللّه بأسهم بینهم». انظر ص: ۵۵۹- ۵۶۶- ۵۶۷ - أخرجه ابن ماجة فی «کتاب الفتن» (۲۲) باب العقوبات، رقم ۴۰۱۹. و اللفظ له. قال البوصیری فی مصباح الزجاجة فی زوائد ابن ماجة: هذا حدیث صالح للعمل به، و قد اختلفوا فی ابن أبی مالک و أبیه. [سنده فی ابن ماجة: ... حدثنا محمود بن خالد الدمشقی، ثنا سلیمان بن عبد الرحمن، أبو أیوب، عن ابن أبی مالک، عن أبیه، عن عطاء بن أبی رباح، عن عبد اللّه بن عمر]. - و أخرجه البیهقی ۳: ۳۶۶- ۳۴۷ فی «کتاب صلاة الاستسقاء»، باب الخروج من المظالم و التقرّب إلی اللّه تعالی بالصدقة و توافل الخیر رجاء الإجابة. و أخرجه أیضا فی ۹: ۲۳۱ فی «کتاب الجزیة»، باب الوفاء بالعهد إذا کان العقد مباحا، و ما ورد من التشدید فی نقضه. - و جاء فی «مجمع الزوائد» ۳: ۶۵ فی «کتاب الزکاة»، باب فرض الزکاة، هذا الحدیث دون لفظ «لم تظهر الفاحشة ...»، و لفظه: «قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «خمس بخمس»، قیل: یا رسول اللّه و ما خمس بخمس؟ قال: «ما نقض قوم العهد إلا سلط علیهم عدوهم، و ما حکموا بغیر ما أنزل اللّه إلا فشا فیهم الموت، و لا منعوا الزکاة إلا حبس عنهم القطر، و لا طفّفوا المکیال إلا حبس عنهم النبات و أخذوا بالسّنین». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۵۶ ثم قال الحافظ الهیثمی: رواه الطبرانی فی الکبیر، و فیه إسحاق بن عبد اللّه بن کیسان المروزی، لیّنه الحاکم، و بقیّة رجاله موثّقون، و فیهم کلام. انتهی. [- تنبیه: و عند العدّ/ کما فی الحدیث الذی ورد فی «مجمع الزوائد»/ یظهر أن المعدود هو أربعة، و لیس خمسة. و المذکور فی سنن ابن ماجة خمسة هی: [یا معشر المهاجرین: خمس إذا ابتلیتم بهن ...] ۱- لم تظهر الفاحشة ... ۲- و لم ینقصوا المکیال ۳- و لم یمنعوا زکاة أموالهم ... ۴- و لم ینقضوا عهد اللّه ... ۵- و ما لم تحکم أئمتهم بکتاب اللّه ...]. و فی «مجمع الزوائد» أیضا ۵: ۳۱۷- ۳۱۸، الحدیث بأطول مما ذکره ابن ماجة و البیهقی، فی «کتاب الجهاد»، باب ما نهی عن قتله من النساء و غیر ذلک. ثم قال- الهیثمی-:- قلت روی ابن ماجة بعضه- رواه البزّار و رجاله موثّقون. دراسة رجال سند ابن ماجة: ۱- محمود بن خالد الدمشقی، ثقة/ «التقریب» لابن حجر رقم ۶۵۱۰/. ۲- سلیمان بن عبد الرحمن، أبو أیوب، صدوق یخطئ/ «التقریب» رقم ۲۵۸۸/. ۳- ابن أبی مالک- و اسمه خالد بن یزید-: ضعیف مع کونه کان فقیها، و قد اتهمه ابن معین- اتّهمه بالکذب علی أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، کما فی «التهذیب» لابن حجر ۳: ۱۲۷-/ «التقریب» رقم ۱۶۸۸، و فی «الکاشف» للذهبی: ضعّفوه رقم ۱۳۶۴/. ۴- عن أبیه-، و هو- یزید بن عبد الرحمن بن أبی مالک الهمدانی الدمشقی القاضی، صدوق ربّما وهم/ «التقریب» رقم ۷۷۴۸/. و قال الذهبی فی «الکاشف» رقم ۶۳۳۶: وثّقه أبو حاتم. قال الشیخ محمد عوّامة- حفظه اللّه تعالی- معلّقا علی «الکاشف»: و الرّجل- أی یزید بن عبد الرحمن- ثقة، کما قال أبو حاتم و غیره، و یحتمل أن یقال فیه: صدوق، أما «صدوق ربما وهم»: فلا. ۵- عطاء بن أبی رباح ...، ثقة فقیه/ «التقریب» رقم ۴۵۹۱/. ۶- عبد اللّه بن عمر، صحابی. - تنبیه: قسم من هذا الحدیث وارد فی «حلیة الأولیاء» لأبی نعیم الأصفهانی. ذکر إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۵۷ ذلک الشیخ أحمد الغماری فی «المداوی» ۵: ۲۸۰، فقال: و قد أخرجه أیضا أبو نعیم فی «الحلیة» [۳/ ۳۲۰] من طریق جعفر بن محمد المهایرانی: ثنا سلیمان بن عبد الرحمن الدمشقی، ثنا خالد بن یزید بن أبی مالک، عن أبیه، عن عطاء، عن ابن عمر به، و خالد بن یزید متروک. انتهی. و لفظ أبی نعیم: «لم یمنع قوم زکاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، و لو لا البهائم لم یمطروا». - و فی الموطّأ من «کتاب الجهاد» (۱۳) باب ما جاء فی الغلول، ح رقم ۲۶: عن عبد اللّه بن عباس أنه قال: «ما ظهر الغلول فی قوم قطّ إلا- ألقی فی قلوبهم الرّعب. و لا- فشا الزنا فی قوم قط إلا کثر فیهم الموت. و لا نقص قوم المکیال و المیزان إلا قطع عنهم الرّزق. و لا حکم قوم بغیر الحقّ إلا فشا فیهم الدّم. و لا ختر (غدر) قوم بالعهد إلا سلط اللّه علیهم العدوّ». انتهی. قال أبو عمر بن عبد البرّ فی «التمهید» ۲۳: ۴۳۰: و هذا حدیث قد رویناه متصلا عن ابن عباس، و مثله- و اللّه أعلم- لا یکون رأیا أبدا. انتهی. ثم ذکر الإمام ابن عبد البر الحدیث عن ابن عباس رضی اللّه عنهما متصلا (ینظر «التمهید» ۲۳: ۴۳۰- ۴۳۱). و قال الحافظ المنذری فی «الترغیب و الترهیب» ۱: ۲۱۵- من «کتاب الصدقات، الترهیب من منع الزکاة و ما جاء فی زکاة الحلی- [ط محمد الصبیح- مصر، أو ۱: ۵۴۳- ۵۴۴ رقم ۲۰- ۲۱، من الطبعة التی حقّقها محمد عمارة] قال المنذری- بعد ذکر روایة الطبرانی فی الکبیر-: رواه الطبرانی فی الکبیر، و سنده قریب من الحسن و له شواهد. انتهی. - و روی المنذری أیضا حدیث بریدة رضی اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «ما منع قوم الزکاة إلا ابتلاهم اللّه بالسنین» «۱»، ثم قال: رواه الطبرانی فی الأوسط «۲» و رواته ثقات، و الحاکم و البیهقی فی حدیث إلا- أنهما قالا: و لا- منع قوم الزکاة إلا حبس اللّه عنهم القطر، و قال الحاکم: صحیح علی شرط مسلم، و رواه ابن ماجة و البزار و البیهقی من حدیث ابن عمر و لفظ البیهقی: ... انتهی کلام المنذری. قال الشیخ عبد القادر الأرناءوط معلّقا علی «جامع الأصول» ۱۱: ۷۲۲- بعد إیراد حدیث الموطّأ-: و له شواهد بمعناه فی المرفوع ما عدا الشطر الأول منه، من (_____ ۱) التّسنین:

القحط و الجدب. (۲) ح رقم ۴۵۷۴- و رقم ۶۷۸۴ من طبعة د. الطحّان. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۵۸ حدیث ابن عمر، رواه ابن ماجة و البزار و البیهقی، و من حدیث ابن عباس عند الطبرانی- أی فی الکبیر-، و هو حدیث صحیح بشواهده. و فی «صحیح الترغیب و الترهیب» للألبانی، حکم علی حدیث بریدة رقم ۷۶۱ و ابن عباس رقم ۷۶۳ بالحسن، و علی حدیث ابن عمر رقم ۷۶۲ بالصّحة. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث صحیح، و هو صحیح المعنی فی المجال العلمی للعلاقات الجنسیة. و ینص علی أن کثرة الجماع من رجال أجانب تؤدی إلی زیادة الاحتمال بالإصابة بالأمراض الجنسیة (و أما باقی الحدیث فلا یعنینا فی هذا المقام). و لمعرفة هذه الظاهرة لا بد من تقدم الشعوب فی المجال العلمی للأمراض الجنسیة، و معرفة کیف و متی تنقل الجراثیم، و هذا لم یکن متاحا فیما مضی. کذلک یتطلب معرفة فی تاریخ الأمراض الجنسیة التی أصابت الشعوب، و هذا الأمر لم یکن یعطی أهمیة کبری فیما قبل. و لذلک سنعتبره إعجازا علمیا. و ینطبق علیه الحکم رقم ۲۰. * [ح ۷۳] عن عبد اللّه (بن مسعود) قال: ... فقال (النّبی صلّی اللّه علیه و سلّم): «إنّ اللّه لم یجعل لمسخ نسلا و لا عقبا، و قد کانت القردة و الخنازیر قبل ذلک». انظر ص: ۵۵۹- ۵۶۹. - أخرجه مسلم فی «کتاب القدر»، (۷) باب بیان أن الآجال و الأرزاق و غیرها، لا تزید و لا تنقص عمّا سبق به القدر، رقم ۳۲/ ۲۶۶۳. و اللفظ له. - و أخرجه الإمام أحمد فی المسند ۱: ۳۹۰، ۴۱۳، ۴۶۶. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث ینص علی أن المسخ- أی أن الإنسان الذی یصاب بتشوهات خطیرة- لا یبقی نسلا. و تبین أن هذا مرده أن الجنین الممسوخ یولد میتا، أو یعیش قلیلا، أو یصاب فی الجهاز الذی یتحکم بأعضائه التناسلیة، مما یجعله غیر قادر علی التناسل. و معرفة السبب الأخیر (الذی یعید العقم لجهاز التحکم) یتطلب معرفة فی العلم الکونی للمجال الجنسی و البیولوجی. و هذا لم یکن متاحا فیما مضی. و نعتبر هذا الحدیث إعجازا علمیا فی المجال الجنسی. و ینطبق علیه الحکم رقم ۲۰. * [ح ۷۴] حدّثنا محمّد بن إسماعیل حدّثنا أحمد بن أبی الطّیب حدّثنا مصعب بن سلّام عن عمرو بن قیس عن عطیّة عن أبی سعید الخدری قال: قال إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۵۹ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «اتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ینظر بنور اللّه»، ثم قرأ: إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِینَ [الحجر: ۷۵]. انظر ص: ۱۴۷ (ح). - أخرجه الترمذی فی سننه فی «کتاب تفسیر القرآن» (۱۶) باب «و من سورة الحجر»، رقم ۳۱۲۷. و قال: هذا حدیث غریب. [تنبیه: هذا الحدیث بکثرة طرقه- إن شاء اللّه- تعالی حسن، أو صحیح. ینظر «المداوی لعلل الجامع الصغیر و شرحی المناوی» ۱: ۱۷۶- ۱۷۹، للحافظ أحمد الغماری. و ینظر («بشارة المؤمن بتصحیح حدیث «اتقوا فراسة المؤمن») ص ۳۹- ۴۰، للشیخ محمود سعید ممدوح. و هذا الکتیب عبارة عن جزء حدیثی]. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۳. * [ح ۷۵] حدیث: «لا تنکحوا القرابة القریبة، فإنّ الولد یخلق ضاویا». انظر ص: ۵۵۹- ۵۶۵. - أورده الحافظ ابن حجر فی «التلخیص الحبیر» ۳: ۱۴۶ و قال: هذا الحدیث تبع فی إیراده إمام الحرمین هو و القاضی الحسین- أی تبع الرافعی فی شرحه علی الوجیز المذکورین فی إیراد الحدیث-. و قال ابن الصلاح: لم أجد له أصلا معتمدا. انتهی. و قد وقع فی «غریب الحدیث» لابن قتیبة قال: جاء فی الحدیث: «اغتربوا لا تضووا». صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث لیس له أصل، فبالتالی لا نستطیع أن ننسبه إلی الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم، و بالتالی لن نعتبره إعجازا علمیا. و هو صحیح المعنی. و یشهد لمعنی هذا الحدیث بطریقة غیر مباشرة الآیة القرآنیة: حُرِّمَتْ عَلَیْکُمْ أُمَّهاتُکُمْ وَ بَناتُکُمْ وَ أَخَواتُکُمْ وَ عَمّاتُکُمْ وَ خالاتُکُمْ وَ بَناتُ الْأَخِ وَ بَناتُ الْأُخْتِ وَ أُمَّهاتُکُمُ اللّاتِی أَرْضَعْنَکُمْ وَ أَخَواتُکُمْ مِنَ الرَّضاعَةِ ... [النساء: ۲۳]، لأنها تحرم العلاقة الجنسیة بین الأقارب، و لا بد أن هذا مرده لسبب علمی وجیه (و هو أن النسل یضعف من خلال هذا التزاوج) إلی جانب الجانب الاجتماعی. و من الحکمة أن نستشهد به کأثر إسلامی علی سبیل التفسیر، و لیس کحدیث نبوی شریف. و ینطبق علیه الحکم رقم ۱۹. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۶۰ * [ح ۷۶] حدّثنا عبد بن حمید، حدّثنا حسین بن علیّ الجعفیّ، قال: سمعت حمزة الزّیّات عن أبی المختار الطّائیّ عن ابن أخی الحارث الأعور عن الحارث قال: مررت فی المسجد، فإذا النّاس یخوضون فی الأحادیث، فدخلت علی علیّ فقلت: یا أمیر المؤمنین أ لا تری أنّ النّاس قد خاضوا فی الأحادیث؟ قال: و قد فعلوها؟ قلت: نعم قال: أما إنّی قد سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم یقول: «ألا إنّها ستکون فتنة» فقلت: ما المخرج منها یا رسول اللّه؟ قال: «کتاب اللّه، فیه نبأ ما کان قبلکم، و خبر ما بعدکم، و حکم ما بینکم، و هو الفصل لیس بالهزل، من ترکه من جبّار قصمه اللّه، و من ابتغی الهدی فی غیره أضلّه اللّه، و هو حبل اللّه المتین، و هو الذّکر الحکیم، و هو الصّراط المستقیم، و هو الّذی لا تزیغ به الأهواء، و لا تلتبس به الألسنة، و لا یشبع منه العلماء، و لا یخلق علی کثرة الرّدّ، و لا تنقضی عجائبه، هو الّذی لم تنته الجنّ إذ سمعته حتّی قالوا: إِنّٰا سَمِعْنٰا قُرْآناً عَجَباً (۱) یَهْدِی إِلَی الرُّشْدِ فَآمَنّٰا بِهِ [الجن: ۱- ۲] من قال به صدق، و من عمل به أجر، و من حکم به عدل، و من دعا إلیه هدی إلی صراط مستقیم». انظر ص: ۱۰. - أخرجه الترمذی فی «فضائل القرآن»، باب ما جاء فی فضل القرآن، رقم ۲۹۰۶. - و الدّارمی فی «فضائل القرآن»، باب فضل من قرأ القرآن، رقم ۲۶، ۲: ۴۳۵. و اللفظ للترمذی. و فی سند

الحدیث أبو المختار الطائی مجهول کما فی «التقریب» رقم ۸۳۴۸ و الحارث الأعور الهمدانی صاحب علیّ- کرم اللّه وجهه-، رمی بالرّفض، و قد ضعّف فی حدیثه، و کذّبه الشعبیّ من جهة بدعته، لا من جهة حدیثه. و حدیثه فی السنن الأربعة، و احتجّ به النّسائی. و علی کلّ فالحدیث- کما قال ابن کثیر- قصاراه أن یکون من کلام أمیر المؤمنین علیّ رضی اللّه عنه و قد وهم بعضهم فی رفعه. و هو کلام حسن، و له شاهد مرفوع من حدیث عبد اللّه بن مسعود. ینظر فضائل القرآن لابن کثیر ص ۱۴- ۱۶. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۳. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۶۱ * [ح ۷۷] عن أمّ سلیم قالت: کانت مجاورة أمّ سلمة زوج النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم، فکانت تدخل علیها، فدخل النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم، فقالت أمّ سلیم: یا رسول اللّه: أ رأیت إذا رأت المرأة أن زوجها یجامعها فی المنام أ تغتسل؟ فقالت أمّ سلمة: تربت یداک یا أمّ سلیم ففضحت النّساء عند رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، فقالت أمّ سلیم: إنّ اللّه لا یستحی من الحقّ، و إنّا إن نسأل النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم عمّا أشکل علینا خیر من أن نکون منه علی عمیاء، فقال النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم لأمّ سلمة: «بل أنت تربت یداک، نعم یا أمّ سلیم، علیها الغسل إذا وجدت الماء»، فقالت أمّ سلمة: یا رسول اللّه و هل للمرأة ماء؟ فقال النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم: «فأنّی یشبهها ولدها؟ هنّ شقائق الرّجال». انظر ص: ۷۶- ۵۳۹- ۵۴۰ (ح)- ۵۴۲ (ح)- ۵۴۳ (ح). - أخرجه الإمام أحمد فی المسند ۶: ۳۷۷. و اللفظ له. قال الهیثمی: رواه أحمد و هو فی الصحیح باختصار، و فی إسناده انقطاع بین أم سلیم و إسحاق بن عبد اللّه بن أبی طلحة. - و الدارمی فی کتاب «الطهارة»، باب فی المرأة تری فی منامها ما یری الرجل، رقم ۷۶۴. [و الحدیث أورده الحافظ ابن حجر فی «فتح الباری بشرح صحیح البخاری» ۱: ۳۸۸ و ۱: ۳۸۹، و سکت عنه] «۱». و هو حدیث صحیح أصله فی صحیح البخاری- کتاب الغسل. باب: إذا احتملت المرأة. رقم ۲۷۸. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث صحیح لأن أصله فی البخاری، و هو صحیح المعنی. و له حکم الحدیث رقم ۱۴. * [ح ۷۸] حدّثنا بشر بن هلال الصّوّاف، حدّثنا داود بن الزّبرقان عن بکر بن خنیس عن عبد الرّحمن بن زیاد عن عبد اللّه بن یزید عن عبد اللّه بن عمرو قال: خرج رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم ذات یوم من بعض حجره فدخل المسجد فإذا هو بحلقتین إحداهما یقرءون القرآن و یدعون اللّه، و الأخری یتعلّمون و یعلّمون، فقال: (_____1) سکوت الحافظ ابن حجر یعنی أن الحدیث عنده حسن أو صحیح-. ینظر هدی الساری مقدمة فتح الباری، لابن حجر، ص ۴-. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۶۲ النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم: «کلّ علی خیر، هؤلاء یقرءون القرآن و یدعون اللّه، فإن شاء أعطاهم و إن شاء منعهم، و هؤلاء یتعلّمون و إنّما بعثت معلّما»، فجلس معهم. انظر ص: ۷۶. - أخرجه ابن ماجة فی «المقدمة»، باب فضل العلماء و الحث علی طلب العلم، رقم ۲۲۲. - و الدارمی فی کتاب «المقدمة»، باب فی فضل العلم و العالم، رقم ۳۴۹. متفق علی ضعف إسناده، قال العراقی فی تخریج أحادیث الإحیاء: أخرجه ابن ماجة من حدیث عبد اللّه بن عمرو بسند ضعیف. و قال البوصیری فی زائد ابن ماجة: إسناده ضعیف. داود و بکر و عبد الرّحمن، کلهم ضعفاء. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۳. * [ح ۷۹] عن جابر بن عبد اللّه قال: سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم یقول: «غطّوا الإناء و أوکوا السّقاء فإنّ فی السّنة لیلة ینزل فیها وباء لا یمرّ بإناء لیس علیه غطاء أو سقاء لیس علیه وکاء إلّا نزل فیه من ذلک الوباء». انظر ص: ۴۴۱- ۵۷۷. - أخرجه أحمد فی المسند (۳/ ۳۵۵). - و مسلم فی «الأشربة»، باب الأمر بتغطیة الإناء و إیکاء السقاء و إغلاق الأبواب و ذکر اسم اللّه علیها ...، رقم (۲۰۱۴). - و ابن ماجة فی الأشربة، باب تخمیر الإناء، رقم (۳۴۱۰). و اللفظ لمسلم. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث لیس له علاقة بعلم «تخلق الجنین»، بل « (بعلم المیکروب YGOLOIBORCIM)»، و ینطبق علیه الحکم رقم ۲۰ لأنه یتکلم عن أمور علمیة غیبیة، ألا و هی انتقال الأعضاء المیکروبیة غیر المرئیة عبر الهواء»، و هذا أمر لم تکتشفه الخلیفة إلا بعد مرور حوالی ۱۲۰۰ عام علی بعثة الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم. * [ح ۸۰] عن أنس أنّ الیهود کانوا إذا حاضت المرأة فیهم لم یؤاکلوها و لم یجامعوهنّ فی البیوت، فسأل أصحاب النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم: فأنزل اللّه تعالی: وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْمَحِیضِ قُلْ هُوَ أَذیً فَاعْتَزِلُوا النِّساءَ فِی الْمَحِیضِ [البقرة: ۲۲۲] إلی آخر الآیة، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «اصنعوا کلّ شیء إلّا النّکاح»، فبلغ ذلک الیهود إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۶۳ فقالوا: ما یرید هذا الرّجل أن یدع من أمرنا شیئا إلّا خالفنا فیه! فجاء أسید بن حضیر و عبّاد بن بشر فقالا: یا رسول اللّه: إنّ الیهود تقول کذا و کذا فلا نجامعهنّ، فتغیّر وجه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم حتّی ظنّا أن قد وجد علیهما، فخرجا فاستقبلهما هدیّة من لبن إلی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم فأرسل فی آثارهما فسقاهما، فعرفا أن لم یجد علیهما. انظر ص: ۱۹۵. - أخرجه أحمد فی المسند (۳/ ۱۳۲- ۱۳۳ و ۲۴۶- ۲۴۷). - و مسلم فی الحیض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها و ترجیله، رقم (۳۰۲). - و أبو داود فی «الطهارة»، باب فی مؤاکلة الحائض و مجامعتها، (رقم ۲۵۸). - و الترمذی فی التفسیر (سورة البقرة)، رقم ۲۹۷۷، و اللفظ لمسلم. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: سبق أن سردنا بالتفصیل فی مبحث «ازدیاد الأرحام و غیضها/ الحیض» أن الشعوب لم تکن تعلم حقیقة ما یجری علمیا فی المهبل و الرّحم حتی عهد قریب، و کانت تعتقد کثیرا من الأمور الباطلة فی شأن حیض المرأة، فجاء هذا الحدیث و أعطی بعدا جدیدا محقّا لحیض المرأة و فرّق بین الحیض و الاستحاضة، و تحدّی معتقدات الشعوب السائدة آنذاک بأن جسم المرأة یحتوی علی سموم و أوضح أن وجود الدم فی فترة الحیض قد یسبب نشوء الأمراض إذا ما لم تأخذ الحیطة و الحذر، و هذا کان مجهولا للناس قبل فترة الوحی، و هی علاقة الزمان و المکان بسیلان الدم. و بالتالی یصح أن نعتبره إعجازا علمیا. و ینطبق علیه الحکم رقم ۲۰. * [ح ۸۱] حدّثنا هارون بن محمّد بن بکّار حدّثنا مروان- یعنی ابن محمّد- حدّثنا الهیثم بن حمید، حدّثنا العلاء بن الحارث، عن حزام بن حکیم عن عمّه: أنّه سأل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم ما یحلّ لی من امرأتی و هی حائض؟ قال: «لک ما فوق الإزار»، و ذکر مؤاکلة الحائض أیضا و ساق الحدیث. انظر ص: ۱۹۵. - أخرجه أبو داود فی «الطهارة»، باب فی المذی، رقم (۲۱۲)، و اللفظ له. - و أخرجه الترمذی مختصرا فی «الطهارة»، باب ما جاء فی مؤاکلة الحائض، رقم (۱۳۳). - و ابن ماجة فی «الطهارة»، باب فی مؤاکلة الحائض، رقم (۱۰۷۳). - و أحمد فی مسنده رقم (۱۸۵۲۸) و (۱۹۹۹). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۶۴ - و الدارمی فی «الطهارة»، باب الحائض تمشط زوجها رقم (۱۰۷۳). و قال الترمذی: حدیث حسن غریب. و سکت عنه أبو داود و المنذری. و الحدیث صحیح لشواهده المتعددة منها ما أشار إلیه الترمذی عن عائشة و أنس رضی اللّه عنهما و غیرهما، و حدیث عائشة فی الصحیحین. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: له نفس حکم الحدیث رقم ۸۰. و لکن من الحکمة أن لا نذکره وحده فی مجال الإعجاز العلمی فی علم «الأرحام» لأنه لا یلقی الضوء بشکل واضح علی البعد العلمی فی المحیض إلا إذا أرفقناه بالحدیث رقم ۸۰، و ذلک لعدم ورود الآیة الکریمة و حادثة مخالفة الیهود فی الحدیث. * [ح ۸۲] عن عائشة رضی اللّه عنها قالت: خرجنا لا نری إلّا الحجّ، فلمّا کنّا بسرف حضت، فدخل علیّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و أنا أبکی، قال: «ما لکِ أنفست؟»، قلت: نعم، قال: «إنّ هذا أمر کتبه اللّه علی بنات آدم، فاقضی ما یقضی الحاجّ غیر أن لا تطوفی بالبیت»، قالت: و ضحّی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم عن نسائه بالبقر. انظر ص: ۱۹۴. - أخرجه البخاری فی «الحیض»، باب کیف کان بدء الحیض، رقم (۲۹۴)، و اللفظ له. - و هو عند مسلم فی «الحج»، باب بیان وجوه الإحرام، رقم (۱۲۱۱). صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۳. * [ح ۸۳] (عن عائشة رضی اللّه عنها) و کنّ نساء یبعثن إلی عائشة بالدّرجة فیها الکرسف فیه الصّفرة، فتقول: لا- تعجلن حتّی ترین القصّة البیضاء، تریدبذلک الطّهر من الحیضة، و بلغ بنت زید بن ثابت أنّ نساء یدعون بالمصابیح من جوف اللّیل ینظرن إلی الطّهر، فقالت: ما کان النّساء یصنعن هذا، و عابت علیهنّ. - هذان أثران أخرجهما البخاری تعلیقا فی «الحیض»، باب إقبال الحیض و إدباره. انظر ص: ۱۹۵. - أما الأول «و کن نساء یبعثن إلی عائشة» فقد رواه مالک موصولا فی الموطأ، فی الطهارة، باب طهر الحائض، رقم (۹۸)، عن علقمة بن أبی علقمة عن أمه مولاة عائشة ... و من هذا الطریق أخرجه البیهقی فی السنن الکبری (۱/ ۳۳۵، رقم ۱۴۸۶) و عبد الرزاق فی المصنف (۱/ ۳۰۱، رقم ۱۱۵۹). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۶۵ و للحدیث شاهد عن أسماء أیضا أشار إلیه صاحب نصب الرایة (۱/ ۱۹۳)، و ابن حجر فی الدرایة (۱/ ۸۵). فالحدیث صحیح بشاهده. - و أما الثانی «و بلغ بنت زید ...» فقد وصله مالک فی الموطأ فی الطهارة، باب طهر الحائض، رقم (۹۸)، من حدیث عبد اللّه بن أبی بکر عن عمته عن ابنة زید. و من طریق مالک أخرجه ابن أبی شیبة فی المصنف (۱/ ۵۹)، رقم (۱۲۹)، و البیهقی فی السنن الکبری (۱/ ۳۳۵، رقم ۱۴۸۶). صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۳. * [ح ۸۴] عن عائشة أنّ امرأة من الأنصار قالت لنّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم: کیف أغتسل من المحیض؟ قال: «خذی فرصة ممسکة فتوضّئی ثلاثا» ثمّ إنّ النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم استحیا فأعرض بوجهه، أو قال: «توضّئی بها»، فأخذتها فجذبتها، فأخبرتها بما یرید النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم. انظر ص: ۱۹۶. - أخرجه البخاری فی «کتاب الحیض»، باب غسل المحیض، رقم (۳۱۵)، و اللفظ له. و ینظر رقم (۳۱۴ و ۷۳۵۷). - و أخرجه مسلم فی «کتاب الحیض»، باب استحباب استعمال المغتسلة من الحیض فرصة من مسک فی موضع الدم، رقم (۳۳۲). صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۳. * [ح ۸۵] عن عائشة أنّ امرأة سألت النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم عن غسلها من المحیض، فأمرها کیف تغتسل، قال: «خذی فرصة من مسک فتطهّری بها»، قالت: کیف أتطهّر؟ قال: «سبحان اللّه تطهّری»، فاجتذبتها إلیّ، فقلت: تتبعی بها أثر الدّم. انظر ص: ۱۹۶. - أخرجه البخاری فی «کتاب الحیض»، باب دلک المرأة نفسها إذا تطهرت من المحیض و کیف تغتسل و تأخذ فرصة ممسّکة فتتبع أثر الدم، رقم (۳۱۴). و اللفظ له. - و أخرجه مسلم برقم (۳۳۲). و ینظر الحدیث السابق [۸۴]. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۳. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۶۶ * [ح ۸۶] باب إذا رأت المستحاضة الطّهر. قال ابن عباس: تغتسل و تصلّی و لو ساعة، و یأتیها زوجها إذا صلّت، الصّلاة أعظم. انظر ص: ۱۹۹. - أورده البخاری تعلیقا فی «کتاب الحیض»، باب إذا رأت المستحاضة الطهر. - و قد أخرجه موصولا ابن أبی شیبة فی المصنف (۱/ ۱۲۰ رقم: ۱۳۶۷). - و الدارمی فی (۱/ ۲۲۴- ۲۲۵) رقم (۸۰۰ و ۸۰۱). - و أورده أبو داود معلقا أیضا بعد رقم (۲۸۱ و ۳۰۰)، و عنه البیهقی فی السنن الکبری (۱/ ۳۴۰ رقم ۱۵۰۱). - و انظر شرح معانی الآثار للطحاوی (۱/ ۹۹)، و الآثار لأبی یوسف (۳۵). و للحدیث شواهد یقوی بها و یصلح للاحتجاج منها الحدیث التالی. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۸۷ الآتی. * [ح ۸۷] حدّثنا أحمد بن أبی سریج الرّازیّ أخبرنا عبد اللّه بن الجهم حدّثنا عمرو ابن أبی قیس عن عاصم عن عکرمة عن حمنة بنت جحش أنّها کانت مستحاضة و کان زوجها یجامعها. انظر ص: ۱۹۹. - أخرجه أبو داود فی «کتاب الطهارة»، باب المستحاضة یغشاها زوجها، رقم (۳۱۰)، و اللفظ له. - و البیهقی فی السنن الکبری (۱: ۳۲۹). و فی سماع عکرمة من حمنة نظر عند المحدثین، و لکن یشهد للحدیث الحدیث السابق. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث فیه نظر من حیث سماع عکرمة من حمنة عند المحدثین، أی أن المحدثین لا یجزمون بسماع عکرمة من حمنة، و بالتالی لیس بقوی. و لکن حدیث ابن عباس

رضی اللّه عنهما، السابق (و له حکم الاتصال) «۱» و شواهد أخری مثل: أن أم حبیبة کان زوجها یجامعها و هی مستحاضة، تجعله یرقی للاحتجاج به. جاء فی فتح الباری بشرح صحیح البخاری فی تفسیر الحدیث السابق: «و لأبی داود من وجه آخر عن عکرمة، قال: «کانت أم حبیبة تستحاض، و کان (_____ ۱)

و التعلیقات فی صحیح البخاری لها حکم الاتصال، لأنه التزم فی هذا الکتاب أن لا یأتی إلا بالصحیح، و إن لم تکن فی مرتبة مسانیده. (مقدمة فی أصول الحدیث، للدّهلوی، ص ۴۱). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۶۷ زوجها یغشاها» و هو حدیث صحیح إن کان عکرمة سمع منها. و هذان الحدیثان (رقم ۸۶ و ۸۷) موقوفان (أی أن سندیهما ینتهی إلی الصحابة- رضوان اللّه تعالی علیهم- و لیس إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم)، غیر أن لهما حکم المرفوع «۱»، لأن الصحابة کانوا یأتون نساءهم فی عهد الوحی، و لم ینههم النبی صلّی اللّه علیه و سلّم. جاء فی عون المعبود شرح سنن أبی داود فی شرح هذا الحدیث: «من الصحابة قد فعلا «۲» ذلک فی زمن الوحی، و لم ینزل فی امتناعه، فیستدل به علی الجواز». و سکوت الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم هو نوع من الإقرار بأنه یرضی بهذا الفعل. و الإخبار بأن الصحابة کانوا یفعلون ذلک مع عدم نهی الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم لهم هو رفع تقریری حکمی «۳». و بالتالی نقول: أننا نستطیع أن نستشهد بهذین الحدیثین فی مجال الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة. و هذان الحدیثان یدلّان علی الأسس التی وضعها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم فی مجال الحیض و الاستحاضة، و التی بیّنا إعجازها فی الحدیث رقم ۸۰، و بالتالی فهی تشیر إلی الإعجاز العلمی فی مجال علم «الأرحام». و من الجدیر بالذکر أنه یجب أن لا نستشهد بالحدیث رقم ۸۷ إلا مع ذکر الحدیث رقم ۸۶ السابق، حتی تکون الحجة قویة. و ینطبق علی الحدیثین الحکم رقم ۲۰. * [ح ۸۸] حدّثنا أبو بکر بن أبی شیبة و علیّ بن محمّد قالا: حدّثنا أبو أسامة عن عبید اللّه بن عمر، عن نافع عن سلیمان بن یسار، عن أمّ سلمة قالت: سألت امرأة النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم، قالت: إنّی أستحاض فلا أطهر، أ فأدع الصّلاة؟ قال: «لا و لکن دعی قدر الأیّام و اللّیالی الّتی کنت تحیضین- قال أبو بکر فی حدیثه: و قدرهنّ من الشّهر- ثمّ اغتسلی و استثفری بثوب و صلّی». انظر ص: ۱۹۹. - أخرجه مالک فی الموطأ، «کتاب الصلاة»، باب المستحاضة، رقم (۱۰۵). - و أبو داود فی «الطهارة»، باب المرأة تستحاض، رقم (۲۷۵- ۲۷۶). - و النّسائی فی «الحیض و الاستحاضة»، باب المرأة یکون لها أیام معلومة تحیض کل شهر، رقم (۳۵۴ - ۳۵۵).

(_____ ۱) أی أن لها حکم الحدیث المرفوع

(و هو الذی ینتهی سنده) إلی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم. (۲) أی اثنان من الصحابة قد فعلا ذلک علی ما تقدّم من کلامه. (۳) مقدمة فی أصول الحدیث، للدّهلوی، ص ۳۸. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۶۸ - و ابن ماجة فی «الطهارة»، باب ما جاء فی المستحاضة التی قد عدّت أیام قرائها، رقم (۶۲۳)، و اللفظ له. و هذا الحدیث من روایة سلیمان بن یسار عن السیدة أم سلمة رضی اللّه عنها. و قد أعلّه بعضهم بأن سلیمان لم یسمع من أم سلمة، و للحدیث شواهد یرتقی بها إلی الصحة، و اللّه أعلم. و انظر شرح ابن ماجة لمغلطای (۳- ۸۵۷- ۸۶۰)، و شرح السنة للبغوی (۲/ ۱۴۲)، و تهذیب الکمال (۱۲/ ۱۰۱)، و تهذیب التهذیب (۴/ ۲۲۸). صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث جید السند، و له شواهد یرقی بها إلی درجة الصحة، و هو صحیح المعنی، و یشیر إلی نفس الأسس فی الإعجاز العلمی فی مجال الحیض و الاستحاضة التی تشیر إلیها الأحادیث رقم ۸۰، ۸۶ و ۸۷، و بالتالی له نفس حکمهم. * [ح ۸۹] حدّثنا محمّد بن بشّار، حدّثنا أبو عامر العقدیّ، حدّثنا زهیر بن محمّد عن عبد اللّه بن محمّد بن عقیل، عن إبراهیم بن محمّد بن طلحة، عن عمّه عمران ابن طلحة، عن أمّه حمنة بنت جحش قالت: کنت أستحاض حیضة کثیرة شدیدة، فأتیت النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم أستفتیه و أخبره، فوجدته فی بیت أختی زینب بنت جحش، فقلت: یا رسول اللّه: إنّی أستحاض حیضة کثیرة شدیدة فما تأمرنی فیها؟ قد منعتنی الصّیام و الصّلاة قال: «أنعت لک الکرسف فإنّه یذهب الدّم»، قالت: هو أکثر من ذلک، قال: «فتلجّمی»، قالت: هو أکثر من ذلک، قال: «فاتّخذی ثوبا»، قالت: هو أکثر من ذلک إنّما أثجّ ثجّا، فقال النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم: «سآمرک بأمرین أیّهما صنعت أجزأ عنک، فإن قویت علیهما فأنت أعلم»، فقال: «إنّما هی رکضة من الشّیطان، فتحیّضی ستّة أیّام أو سبعة أیّام فی علم اللّه، ثمّ اغتسلی، فإذا رأیت أنّک قد طهرت و استنقأت فصلّی أربعا و عشرین لیلة أو ثلاثا و عشرین لیلة و أیّامها و صومی و صلّی فإنّ ذلک یجزئک، و کذلک فافعلی کما تحیض النّساء و کما یطهرن لمیقات حیضهنّ و طهرهنّ، فإن قویت علی أن تؤخّری الظّهر و تعجّلی العصر ثمّ تغتسلین حین تطهرین و تصلّین الظّهر و العصر جمیعا، ثمّ تؤخّرین المغرب و تعجّلین العشاء ثمّ تغتسلین و تجمعین بین الصّلاتین فافعلی، إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۶۹ و تغتسلین مع الصّبح و تصلّین، و کذلک فافعلی و صومی إن قویت علی ذلک»، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «و هو أعجب الأمرین إلیّ». انظر ص: ۱۸۳ - ۱۸۵ - ۱۹۹. - أخرجه أحمد فی المسند (۶/ ۳۸۱- ۳۸۲ و ۴۳۹- ۴۴۰). - و أبو داود فی «الطهارة»، باب من قال: إذا أقبلت الحیضة تدع الصلاة، رقم (۲۸۷). - و الترمذی فی «الطهارة»، باب ما جاء فی المستحاضة أنها تجمع بین الصلاتین بغسل واحد، رقم (۱۲۸)، و اللفظ له. - و ابن ماجة فی «الطهارة»، باب ما جاء فی البکر إذا ابتدئت مستحاضة أو کان لها أیام حیض فنسیتها، رقم (۶۲۷). - و الحاکم فی المستدرک فی «الطهارة» (أحکام المستحاضة) (۱/ ۱۷۲- ۱۷۳). - و البیهقی فی السنن الکبری فی «کتاب الحیض»، باب المبتدئة لا تمیّز بین الدّمین (۱/ ۳۳۸- ۳۳۹). - و الدارقطنی فی الحیض (۱/ ۲۱۴، رقم ۴۸). قال الترمذی: هذا حدیث حسن صحیح، و نقل تصحیحه عن البخاری و أحمد أیضا. و لا یقدح فی صحته روایة ابن عقیل. و اللّه أعلم. قال الحاکم: قد اتفق الشیخان علی إخراج حدیث الاستحاضة من حدیث الزهری و هشام بن عروة عن عائشة ... و لیس فیه هذه الألفاظ التی فی حدیث حمنة بنت جحش. و روایة عبد اللّه بن محمد بن عقیل بن أبی طالب و هو من أشراف قریش و أکثرهم روایة غیر أنهما لم یحتجا به. ثم أشار إلی شواهد الحدیث. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث صحیح السند، و له نفس حکم الحدیث ۸۸ السابق. * [ح ۹۰] عن أبی موسی رضی اللّه عنه: قال النبی صلّی اللّه علیه و سلّم: «لا یغی علی الناس إلّا ولد غیّ، و إلا من فیه عرق منه». انظر ص: ۵۲۳. - أخرجه البخاری فی تاریخه الکبیر (۴/ ۱۰۲، رقم ۲۱۰۷). - و الطبرانی فی المعجم الکبیر (کما فی مجمع الزوائد: ۵/ ۲۳۳). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۷۰ - و البیهقی فی السنن الکبری (۸/ ۲۹۸، رقم ۲۶۳۳۵). و فی شعب الإیمان (۵/ ۲۸۶، رقم ۶۶۷۵). - و الدیلمی فی الفردوس (۵/ ۱۴۱، رقم ۷۷۵۵)، کلهم من طریق سهل بن عطیة الأعرابی عن أبی الولید القرشی. قال ابن حبان عن سهل: «منکر الروایة لا یقبل ما ینفرد به»، و قال الهیثمی: «أبو ولید القرشی لم أعرفه». و للحدیث طریق آخر أخرجه وکیع فی «الغرر» عن منصور بن أبی مزاحم و من طریق عیسی بن مرحوم العطار عن أبی الفقماء عن أبی موسی. و من ثمّ فقد حسّن الحدیث المناوی فی التیسیر شرح جامع الصغیر. و انظر المداوی لعلل الجامع الصغیر و شرحی المناوی لأحمد الغماری (۶/ ۶۰۷- ۶۰۸). صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث حسن یتعدد طرقه. و هو یشیر إلی أن الصبغیات تتحکم إلی حد کبیر فی طبع الإنسان. و هذا من علم الغیب فی عهد ما قبل الرسالة حیث إن الشعوب قاطبة قبل عهد الوحی لم تعلم ابتداء بوجود الصبغیات. و بالتالی نعتبر أنه یشیر إلی إعجاز علمی. و له الحکم رقم ۲۰. * [ح ۹۱] و عن طلحة بن عبید اللّه قال: «مرّ علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم ببعیر قد وسم فی وجهه فقال: «لو أن أهل هذا البعیر عزلوا النار عن هذه الدابة»، فقلت: لأسمنّ فی أبعد مکان من وجهها قال: فوسمت فی عجب الذنب». انظر ص: ۲۴۹. - أخرجه أبو یعلی فی مسنده (۲/ ۲۱، رقم ۶۵۱) و البزار فی البحر الزخار (۳/ ۱۶۳، رقم ۹۴۸) و الضیاء المقدسی فی المختارة (۳/ ۳۹، رقم ۸۳۸). قال الضیاء: إسناده حسن، و قال الهیثمی: رجاله رجال صحیح. انظر مجمع الزوائد (۸/ ۱۰۹- ۱۱۰). صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۳. * [ح ۹۲] روی عن حجّاج بن فرافصة، أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «ما من مریض یقول: سبحان الملک القدوس الرحمن الملک الدیّان، لا إله إلا أنت مسکّن العروق الضّاربة، و میّت العیون الساهرة إلا شفاه اللّه تعالی». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۷۱ انظر ص: ۵۴۵- ۵۴۹ - أخرجه ابن أبی الدنیا فی «المرض و الکفارات»، رقم ۲۵۷، و هو آخر حدیث فی الکتاب، و عنه المنذری فی الترغیب و الترهیب (۴/ ۲۲۱، رقم ۵۱۰۶) و هو حدیث ضعیف لاعضاله، و ضعّف بعض رواته. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث معضل، أی أنه سقط من إسناده اثنان فأکثر، أضف إلی ذلک أنه ضعّف بعض رواته، مما یزید الحدیث ضعفا، و لکن معناه صحیح. و یشهد لمعنی الحدیث، الحدیث رقم ۷۰. و بالتالی لا نستطیع أن نستشهد به وحده، و لکننا نستطیع أن نذکره کتفسیر و کشاهد للحدیث رقم ۷۰. و ینطبق علیه الحکم رقم ۱۶. * [ح ۹۳] عن أسامة بن زید قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «من صنع إلیه معروف فقال لفاعله: جزاک اللّه خیرا فقد أبلغ فی الثّناء». انظر ص: ۱۶. - أخرجه الترمذی فی «البر و الصلة»، باب ما جاء فی الثناء بالمعروف، رقم (۲۰۳۵)، و اللفظ له، و قال هذا حدیث حسن جید غریب. - و أخرجه النّسائی فی السنن الکبری (۶/ ۵۳، رقم: ۱۰۰۸) و من طریقه ابن السنی فی عمل الیوم و اللیلة رقم (۲۷۰). - و أخرجه الطبرانی فی الصغیر (۲/ ۱۴۸- ۱۴۹). - و أبو نعیم فی تاریخ أصبهان (۲/ ۳۴۲) و هو حدیث حسن. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۳. * [ح ۹۴] عن أبی هریرة رضی اللّه عنه: قال النبی صلّی اللّه علیه و سلّم: «إن الشیطان یجری من ابن آدم مجری الدم فی العرق». انظر ص: ۱۸۶. - أخرجه البخاری فی الاعتکاف، (باب هل یخرج المعتکف لحوائجه إلی باب المسجد؟، رقم ۲۰۳۵) و باب زیارة المرأة زوجها فی اعتکافه، رقم (۲۰۳۷)، و باب هل یبدأ المعتکف عن نفسه، رقم (۲۰۳۹). و انظر الأرقام (۳۱۰۱ و ۳۲۸۱ و ۶۲۱۹ و ۷۱۷۱). - و مسلم فی «السلام»، باب بیان أنه یستحب لمن رؤی خلیا بامرأة و کانت زوجته محرما له أن یقول: هذه فلانة ... رقم (۲۱۷۴ و ۲۱۷۵). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۷۲ - و البیهقی فی «شعب الإیمان» (۵/ ۳۲۱- ۳۲۲)، رقم ۶۷۹۹، بلفظ «... مجری الدم من العروق». - و الحافظ أبی نعیم فی ذکر أخبار أصبهان (۲/ ۲۱۱- ۲۱۲)، بلفظ «... مجری الدم فی العروق». - و السیوطی فی جامع الأحادیث و المراسیل (۳/ ۲۵)، رقم (۸۸۰۷). و اللفظ له. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث یحتج به لأن أصله فی البخاری، و له نفس حکم الحدیث رقم ۲۸. * [ح ۹۵] أخبرنا أبو الحسین بن أبی یعلی، و أبو غالب، و أبو عبد اللّه ابنا أبی علی، قالوا: أنا محمّد بن أحمد أنا محمد بن عبد الرحمن أنا أحمد بن سلیمان أنا الزبیر ابن أبی بکر قال: و حدثنی محمد بن الحسن، عن إبراهیم بن محمّد بن نافع بن ثابت، عن محمد بن کعب القرظی: أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم دخل علی أسماء بنت أبی بکر الصدیق رضی اللّه عنهما حین ولد عبد اللّه بن الزبیر فقال: «أ هو هو؟ أ هو هو؟» فقیل: یا رسول اللّه: إن أسماء ترکت رضاع عبد اللّه لمّا سمعتک تقول: أ هو هو؟ أ هو هو؟، فقال: «أرضعیه و لو من ماء عینیک، کبش من ذئاب، ذئاب علیها ثیاب، لیمنعنّ الحرم، و لیقتلنّ به». انظر ص: ۴۳۵- ۵۸۲ - أخرجه ابن عساکر فی تاریخ دمشق (۲۸/ ۱۶۰). - و هو فی کنز العمال (۱۳/ ۴۷۱)، رقم (۳۷۲۳۲)، و الحدیث مرسل ضعیف. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث مرسل ضعیف، و لکن لا ضرر فی ضعفه فی الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة فی مجال الرضاعة، لأنه لا یتکلم عن ظاهرة غیبیة، بل عن توجه حکیم للمرضعات خاصة و للشعوب عامة. فلا بأس أن نستشهد به للاستئناس. و ینطبق علیه الحکم رقم ۹. * [ح ۹۶] عن أنس بن مالک قال:

ما رأیت أحدا کان أرحم بالعیال من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، قال: کان إبراهیم مسترضعا له فی عوالی المدینة، فکان ینطلق و نحن معه فیدخل البیت و إنّه لیدخّن و کان ظئره قینا فیأخذه فیقبّله ثمّ یرجع قال إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۷۳ عمرو: فلمّا توفّی إبراهیم، قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «إنّ إبراهیم ابنی، و إنّه مات فی الثّدی، و إنّ له لظئرین تکملان رضاعه فی الجنّة». انظر ص: ۴۵۶ (ح)- ۵۸۲ - أخرجه مسلم فی «الفضائل»، باب رحمته صلّی اللّه علیه و سلّم الصبیان و العیال و تواضعه، رقم (۲۳۱۶). و اللفظ له. - و أحمد فی المسند (۳/ ۱۱۲). صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۳. ۞ [ح ۹۷] حدّثنا إبراهیم بن سعید الجوهری، حدّثنا محمّد بن ربیعة عن کامل أبی العلاء عن أبی صالح، عن أبی هریرة رضی اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «عمر أمّتی من ستّین سنة إلی سبعین سنة». انظر ص: ۴۹۷- ۵۰۹ - أخرجه الترمذی فی «کتاب الزهد عن رسول اللّه»، باب ما جاء فی فناء أعمار هذه الأمّة ما بین الستین إلی السبعین، رقم (۲۳۳۱). - و ابن ماجة فی «کتاب الزهد»، باب الأمل و الأجل، رقم (۴۲۳۶)، بلفظ «أعمار أمّتی ما بین السّتّین إلی السّبعین و أقلّهم من یجوز ذلک». قال أبو عیسی: هذا حدیث حسن غریب من حدیث أبی صالح عن أبی هریرة و قد روی من غیر وجه عن أبی هریرة. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث حسن السند، صحیح المعنی. و هو یشیر إلی متوسط عمر أمّة محمد صلّی اللّه علیه و سلّم. و هذا الأمر لیس یغیب لأن التفکر و المراقبة العمیقة و الدقیقة یفضی بنا إلی هذه النتیجة- و إن کانت هذه النتیجة غیر واضحة تماما و ذلک لأن متوسط عمر الإنسان یقل تدریجیا مع مرور الزمن إلی حد لا یمکن التنبؤ به-. و لکن ما یلفت النظر إلیه هو أنه یشیر إلی أن عمر شعب من الشعوب محدد إلی حد ما. و هذا یتطلب فی معرفته إلی حکمة بالغة. و بالتالی لیس بإعجاز، و هو حدیث دینی علمی بارز. و ینطبق علیه الحکم رقم ۹. ۞ [ح ۹۸] عن أنس بن مالک رضی اللّه عنه عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «و کّل اللّه بالرّحم ملکا فیقول: أی ربّ: نطفة؟ أی ربّ: علقة؟ أی ربّ: مضغة؟ فإذا أراد اللّه أن یقضی خلقها إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۷۴ قال: أی ربّ: أذکر أم أنثی؟ أ شقیّ أم سعید؟ فما الرّزق؟ فما الأجل؟ فیکتب کذلک فی بطن أمّه». انظر ص: ۳۴۳- ۳۴۶- ۳۴۷- ۳۴۸ (ص)- ۴۰۲- ۵۵۸ (ح). - أخرجه البخاری فی «القدر»، باب فی القدر، رقم (۶۵۹۵)، و اللفظ له، و فی کتاب الحیض، باب قول اللّه عزّ و جلّ: مخلّقة و غیر مخلّقة، رقم (۳۱۸). - و مسلم فی «القدر»، باب کیفیة خلق الآدمی فی بطن أمه و کتابة رزقه و أجله، بلفظ: «فإذا أراد اللّه أن یقضی خلقا»، رقم ۶۶۴۶. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث یتکلم عن عدّة ظواهر علمیة غیبیة، و أهمّها: أن اللّه تعالی یقضی (أی یتمّ) خلق الجنین عند ما یدخل هذا الأخیر فترة الإذکار أو الإیناث، أی أن الجنین یدخل فترة غیر حرجة من تخلقه بدخوله فترة التمیز الجنسی. و هذا من علم الغیب لأن عالم ما قبل فترة الوحی لم یعلم بتفاصیل التخلق، فکیف له أن یربط ما بین دخول فترة التمیز الجنسی و دخول فترة التمام؟. و ینطبق علیه الحکم رقم ۲۰. ۞ [ح ۹۹] عن أبی هریرة رضی اللّه عنه: قال النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم: «إذا وقع الذّباب فی شراب أحدکم فلیغمسه ثمّ لینزعه، فإنّ فی إحدی جناحیه داء و الأخری شفاء». انظر ص: ۵۷۷ - أخرجه البخاری فی «کتاب بدء الخلق»، باب فی إذا وقع الذّباب فی شراب أحدکم فلیغمسه فإنّ فی إحدی جناحیه داء و فی الأخری شفاء، رقم (۳۳۲۰). صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث یتکلّم عن ظاهرة غیبیّة جدّا، و هی أن الذباب یحمل فی أحد جناحیه البکتیریا التی تسبّب الأمراض، و فی الأخری (الفیروس القاتل لهذه البکتیریا EGAHPOIRETCAB). و لمعرفة هذا نحتاج إلی مجهر إلکترونی بالغ الدقّة، إضافة إلی معرفة عالیة فی «علم المیکروب»، و ینطبق علیه الحکم رقم ۲۰. ۞ [ح ۱۰۰] عن النعمان بن بشیر یقول: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «تری المؤمنین فی تراحمهم و توادّهم و تعاطفهم کمثل الجسد، إذا اشتکی عضوا، تداعی له سائر جسده بالسّهر و الحمّی». انظر ص: ۵۷۷. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۷۵ - أخرجه البخاری «فی کتاب الأدب»، باب رحمة الناس و البهائم، رقم (۶۰۱۱). صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث یتکلّم عن ظواهر غیبیّة، من خلال استعمال کلمتین فی غایة الدقّة: «اشتکی»، و «تداعی». فکلمة «اشتکی» تشیر إلی أن العضو المصاب «یشتکی»، أی یستغیث و یعلم و یخبر باقی الأعضاء بأنه مصاب. و بالفعل تنطلق نبضات عصبیة من مکان الإصابة، إلی الدماغ، و إلی مراکز الحس و التحکم غیر الإرادی، و تنبعث مواد کیمیاویة و هرمونات بمجرّد حدوث ما یهدد أنسجة العضو المصاب. و أما کلمة «تداعی» فهی تعنی أن الجسم یدعو بعضه بعضا، و هذا ما یحدث بالفعل، فمراکز الإحساس تدعو مراکز الیقظة و التحکم فیما تحت المهاد، التی تدعو بدورها الغدة النخامیة لإفراز الهورمونات، التی تدعو باقی الغدد الصماء لإفراز الهورمونات، التی تحفّز جمیع الأعضاء لتوجیه وظائفها لنجدة المشتکی: فالقلب یسرع بالنبض لسرعة جریان الدم، فی الوقت الذی تنقبض فیه الأوعیة بالأجزاء الخاملة من الجسم، و تتسع الأوعیة الدمویة المحیطة بالعضو المصاب لکی تحمل له ما یحتاجه من طاقة و أوکسجین ...، کذلک تبدأ العضلات بهدم مخزونها من الدهن و لحم العضلات، لکی تعطی من نفسها لمصلحة العضو المصاب. و بالتالی فإن صیاغة الحدیث تشیر إلی العملیات الخفیّة و الدقیقة التی تحدث فی الجسم، و لا یمکن الاطلاع علیها إلا بالوسائل العلمیة المتقدمة، التی لم تکن متوفّرة فی عصر النبوة، و بالتالی ینطبق علی الحدیث الحکم رقم ۲۰. ۞ [ح ۱۰۱] نا محمد بن مخلد بن حفص- إملاء من کتابه- نا القاسم بن الفضل بن یزیع- سنة تسع و خمسین و مائتین- نا زکریا بن عطیة نا سعید بن خالد حدثنی محمد بن عثمان عن عمرو بن دینار عن ابن عباس قال: ... قال لی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه علی أحسن وجوهه». انظر ص: ۲۰- ۲۱. - رواه الدارقطنی فی الجزء الرابع، ص ۱۴۴ عن ابن عباس مرفوعا. - و الدیلمی فی الفردوس فی الجزء الثالث، ص ۲۲۸، عن ابن عباس. و قد ضعف الحدیث ابن حزم فی «الأحکام» الجزء الثالث، ص ۲۸۱، و قال: لا تقوم به حجة- أی من جهة السند-. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: یشهد لمعنی هذا الحدیث: الحدیث رقم ۱۳. و انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۳. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۷۶ ۞ [ح ۱۰۲] عن علیّ رضی اللّه عنه أنّه قال: استحییت أن أسأل النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم عن المذی من أجل فاطمة، فأمرت المقداد فسأله، فقال: «منه الوضوء». انظر ص: ۷۴. - أخرجه مسلم فی «کتاب الحیض»، باب المذی، رقم ۳۰۳. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۳. ۞ [ح ۱۰۳] عن أبی سعید قال لم نعد أن فتحت خیبر فوقعنا أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم فی تلک البقلة: الثّوم و النّاس جیاع، فأکلنا منها أکلا شدیدا ثمّ رحنا إلی المسجد، فوجد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم الرّیح، فقال: «من أکل من هذه الشّجرة الخبیثة شیئا فلا یقربنا فی المسجد». فقال النّاس: حرمت، حرّمت، فبلغ ذاک النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم، فقال: «أیّها النّاس إنّه لیس بی تحریم ما أحلّ اللّه لی و لکنّها شجرة أکره ریحها». انظر ص: ۵۰۰ - أخرجه مسلم فی «کتاب المساجد و مواضع الصلاة»، باب نهی من أکل ثوما أو بصلا أو کراثا أو نحوها، رقم ۵۶۵. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۳. ۞ [ح ۱۰۴] قالت عائشة رضی اللّه عنها: أنزل فی القرآن عشر رضعات معلومات فنسخ من ذلک خمس، و صار إلی خمس رضعات معلومات، فتوفّی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و الأمر علی ذلک. انظر ص: ۴۷۳ (ح)- ۴۷۶ (ح). - أخرجه مسلم. فی «کتاب الرضاع»، باب التحریم بخمس رضعات، رقم ۱۴۵۲. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: له نفس حکم الحدیث رقم ۶۲. ۞ [ح ۱۰۵] عن ابن عبّاس قال: دخلت مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم أنا و خالد بن الولید علی میمونة، فجاءتنا بإناء فیه لبن فشرب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، و أنا علی یمینه، و خالد علی شماله، فقال لی: «الشّربة لک، فإن شئت آثرت بها خالدا»، فقلت: ما کنت أوثر علی سؤرک أحدا، ثمّ قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «من أطعمه اللّه الطّعام فلیقل: اللّهمّ إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۷۷ بارک لنا فیه و أطعمنا خیرا منه، و من سقاه اللّه لبنا فلیقل: اللّهمّ بارک لنا فیه و زدنا منه»، و قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «لیس شیء یجزئ مکان الطّعام و الشّراب غیر اللّبن». انظر ص: ۴۵۲ - أخرجه أبو داود فی «الأشربة»، باب ما یقول إذا شرب اللبن، رقم ۳۷۳۰. - و الترمذی فی «الدعوات»، باب: ما ذا یقول إذا أکل طعاما، رقم ۳۴۵۵. - و ابن ماجة فی «الأطعمة»، باب اللبن، رقم ۳۳۲۲. و قال الترمذی هذا حدیث حسن. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث حسن السند، صحیح المعنی، و هو یخبر أن القیمة الغذائیة للبن غیر موجودة فی أی غذاء آخر فی زمن لم یکن باستطاعة الناس معرفة الترکیبة الکیمیائیة للأغذیة المختلفة، و من المستلزمات لمعرفة أن هذا الغذاء أکمل من الأغذیة الأخری الإحاطة (بعلم الغذاء NOITIRTUN). و هذا یتطلب العدید من العلماء الباحثین، و الکثیر من وسائل التقنیة المتقدمة، و المجاهر الألکترونیة، لذا یعتبر هذا الحدیث من الإعجاز العلمی للرسول الکریم صلّی اللّه علیه و سلّم، و ینطبق علیه الحکم رقم ۲۰. ۞ [ح ۱۰۶] عن أبی هریرة رضی اللّه عنه عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «قال اللّه: کذّبنی ابن آدم و لم یکن له ذلک، و شتمنی و لم یکن له ذلک، فأمّا تکذیبه إیّای فقوله: لن یعیدنی کما بدأنی، و لیس أوّل الخلق بأهون علیّ من إعادته. و أمّا شتمه إیّای فقوله: اتّخذ اللّه ولدا و أنا الأحد الصّمد لم ألد و لم أولد و لم یکن لی کفؤا أحد». انظر ص: ۲۶۲. - أخرجه البخاری فی «کتاب تفسیر القرآن»، باب یقال: لا یثون أحد أی واحد، رقم ۴۹۷۴. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۳. ۞ [ح ۱۰۷] عن أبی هریرة عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «خلق اللّه آدم علی صورته طوله ستّون ذراعا فلمّا خلقه قال اذهب فسلّم علی أولئک النّفر من الملائکة جلوس فاستمع ما یحیّونک فإنّها تحیّتک و تحیّة ذرّیّتک. فقال: السّلام علیکم. فقالوا: السّلام علیک إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۷۸ و رحمة اللّه. فزادوه و رحمة اللّه. فکلّ من یدخل الجنّة علی صورة آدم فلم یزل الخلق ینقص بعد حتّی الآن». انظر ص: ۵۹ - أخرجه البخاری فی «کتاب الاستئذان»، باب بدء السلام، رقم ۶۲۲۷، و اللفظ له. - و مسلم، فی «کتاب الجنة و صفة نعیمها و أهلها»، باب یدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطیر، رقم ۷۲۸۴، بلفظ قریب منه. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۳. ۞ [ح ۱۰۸] عن جابر بن عبد اللّه أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «من بنی مسجدا للّه کمفحص قطاة أو أصغر بنی اللّه له بیتا فی الجنّة». انظر ص: ۴۳۶. - أخرجه ابن ماجة فی کتاب المساجد و الجماعات، باب من بنی للّه مسجدا، رقم ۷۳۸. - و ابن حبّان فی صحیحه (۴/ ۴۹۰) و (۴/ ۴۹۱). - و قال البوصیری فی مصباح الزجاجة فی زوائد ابن ماجة، الجزء ۱، ص ۲۶۱: «هذا إسناد صحیح، رواه ابن حبان فی صحیحه. و له شاهد من حدیث ابن عباس رواه أحمد فی مسنده، و البزار فی مسنده أیضا، و أبو داود، و الطیالسی، و الحارث ابن أبی أسامة، و أبو یعلی الموصلی». صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۳. ۞ [ح ۱۰۹] عن عائشة أمّ المؤمنین رضی اللّه عنها قالت: دعی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم إلی جنازة صبیّ من الأنصار، فقلت: یا رسول اللّه: طوبی لهذا، عصفور من عصافیر الجنّة، لم یعمل السّوء و لم یدرکه، قال: «أو غیر ذلک یا عائشة؟ إنّ اللّه خلق للجنّة أهلا خلقهم لها، و هم فی أصلاب آبائهم، و خلق للنّار أهلا خلقهم لها، و هم فی أصلاب آبائهم». انظر ص: ۱۰۲ - أخرجه مسلم، فی «کتاب القدر»، باب معنی کل مولود یولد علی الفطرة، و حکم موت أطفال الکفار، رقم ۲۶۶۲. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۷۹ - و ابن ماجة، فی المقدمة، باب فی القدر، رقم ۸۲. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: لقد استعمل المجاز فی هذا الحدیث للدلالة علی أن الإنسان وجد ابتداء فی مکان یقع قریب من الصلب و هو فی عالم الذر. و بالتالی فهو لا یشیر إلی إعجاز علمی، و ینطبق علیه الحکم رقم ۱۷. ۞ [ح ۱۱۰] عن عروة، أنّ عائشة رضی اللّه عنها-

زوج النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم-، حدّثته أنّها قالت للنّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم: هل أتی علیک یوم کان أشدّ من یوم أحد؟ قال: «لقد لقیت من قومک ما لقیت، و کان أشدّ ما لقیت منهم یوم العقبة، إذ عرضت نفسی علی ابن عبد یالیل بن عبد کلال، فلم یجبنی إلی ما أردت، فانطلقت و أنا مهموم علی وجهی، فلم أستفق إلّا و أنا بقرن الثّعالب، فرفعت رأسی، فإذا أنا بسحابة قد أظلّتنی، فنظرت، فإذا فیها جبریل، فنادانی، فقال: إنّ اللّه قد سمع قول قومک لک، و ما ردّوا علیک، و قد بعث إلیک ملک الجبال لتأمره بما شئت فیهم، فنادانی ملک الجبال، فسلّم علیّ ثمّ قال: یا محمّد: فقال: ذلک فیما شئت، إن شئت أن أطبق علیهم الأخشبین، فقال النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم: بل أرجو أن یخرج اللّه من أصلابهم من یعبد اللّه وحده لا یشرک به شیئا». انظر ص: ۱۰۲. - أخرجه البخاری فی «کتاب بدء الخلق، باب ذکر الملائکة» رقم ۳۲۳۱، واللفظ له. - و أخرجه مسلم فی «کتاب الجهاد و السیر»، باب ما لقی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم من أذی المشرکین و المنافقین، رقم ۱۷۹۵. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۱۰۹. * [ح ۱۱۱] عن سیدنا حذیفة رضی اللّه عنه قال: ضرب لنا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم أمثالا، واحدا، و ثلاثة، و خمسة، و سبعة، و تسعة عشر، و فتیر لنا منها واحدا، و سکت عن سائرها، فقال: «إنّ قوما کانوا أهل ضعف و مسکنة، فقاتلوا قوما أهل حیلة و عداء، فظهروا علیهم، و استعلوهم، و تسلّطوهم، فأسخطوا ربهم علیهم». انظر ص: ۳۸۱ (ح). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۸۰ - ذکره المتّقی الهندی فی کنز العمال، رقم ۳۱۳۲۲، (المجلّد ۱۱، ج ۱، ص ۲۲۱۴ من طبعة دار الفکر). - و ابن أبی شیبة فی مصنّفه، باب من کره الخروج فی الفتنة و تعوّذ منها، رقم ۳۲۹۹۳، و سنده: حدّثنا أبو أسامة عن الأجلح عن قیس بن أبی مسلم عن حذیفة ... صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۳. * [ح ۱۱۲] قال المستورد القرشیّ عند عمرو بن العاص: سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم یقول: «تقوم الساعة و الرّوم أکثر النّاس» فقال له عمرو: أبصر ما تقول! قال: أقول ما سمعت من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، قال: «لئن قلت ذلک إنّ فیهم لخصالا أربعا: إنّهم لأحلم النّاس عند فتنة، و أسرعهم إفاقة بعد مصیبة، و أوشکهم کرّة بعد فرّة، و خیرهم لمسکین و یتیم و ضعیف، و خامسة حسنة جمیلة: و أمنعهم من ظلم الملوک». انظر ص: ۳۸۲ (ح). - أخرجه مسلم فی «کتاب الفتن و أشراط الساعة»، باب تقوم الساعة و الروم أکثر الناس، رقم ۲۸۹۸. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۳. * [ح ۱۱۳] أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن أیوب عن ابن سیرین أن عمر بن الخطاب استعمل أبا هریرة علی البحرین ... (فقال عمر بن الخطاب لأبی هریرة رضی اللّه عنهما): أ تکره العمل، و قد طلب العمل من کان خیر منک، یوسف؟، قال: إن یوسف نبی ابن نبی ابن نبی، و أنا أبو هریرة بن أمیمة، أخشی ثلاثة، و اثنین، قال عمر: أ فلا قلت خمسا؟، قال: لا، أخشی أن أقول بغیر علم، و أقضی بغیر حکم، و یضرب ظهری، و ینتزع مالی، و یشتم عرضی. انظر ص: ۳۸۲ (ح). - أخرجه عبد الرزاق فی مصنفه، ج ۱۱، ص ۳۳۳، مطولا. - و أبو نعیم فی حلیة الأولیاء، ج ۱، ص ۳۸۰. - و ابن سعد فی الطبقات الکبری، باب الطبقة الثانیة من المهاجرین و الأنصار، ج ۴، ص ۲۴۱. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۸۱ صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۳. * [ح ۱۱۴] عن أبی هریرة أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «لیست التّبنة بأن لا تمطروا، و لکن التّبنة أن تمطروا و تمطروا و لا تنبت الأرض شیئا». انظر ص: ۳۸۵ (ح). - أخرجه مسلم فی «کتاب الفتن و أشراط الساعة»، باب فی سکنی المدینة و عمارتها قبل الساعة، رقم ۲۹۰۴. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۳. * [ح ۱۱۵] عن ابن عمر عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم: أنّ رجلا سأله ما یلبس المحرم فقال: «لا یلبس القمیص و لا العمامة و لا التّبّان و لا البرنس و لا ثوبا مسّه الورس أو الزّعفران فإن لم یجد النّعلین فلیلبس الخفّین و لیقطعهما حتّی یکونا تحت الکعبین». انظر ص: ۵۴۳ (ح). - أخرجه البخاری فی «کتاب العلم»، باب من أجاب السائل بأکثر ممّا سأله، رقم ۱۳۴. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۳. * [ح ۱۱۶] عن أبی هریرة رضی اللّه عنه عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «تجدون النّاس معادن خیارهم فی الجاهلیّة خیارهم فی الإسلام إذا فقهوا، و تجدون خیر النّاس فی هذا الشّأن أشدّهم له کراهیة، و تجدون شرّ النّاس ذا الوجهین الّذی یأتی هؤلاء بوجه و یأتی هؤلاء بوجه». انظر ص: ۵۲۴. - أخرجه البخاری فی «کتاب المناقب»، باب قوله تعالی: یا أَیُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْناکُمْ مِنْ ذَکَرٍ وَ أُنْثی [الحجرات: ۱۳]، رقم ۳۴۹۴. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث یتکلّم عن أن الصفیعات تتحکم بأطباع البشر، و هذا من علم الغیب، غیر أنه من المناسب أکثر أن نذکره مع الحدیث رقم ۹۰ و الحدیث رقم ۶۴، لأن استنباط تلک الظاهرة توجب مقابلته مع الأحادیث السالفة الذکر، و ینطبق علیه حکم رقم ۲۰. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۸۲ * [ح ۱۱۷] عن ابن عبّاس، قال: إنّ ابن عمر- و اللّه یغفر له- أوهم، إنّما کان هذا الحیّ من الأنصار- و هم أهل وثن- مع هذا الحیّ من یهود- و هم أهل کتاب- و کانوا یرون لهم فضلا علیهم فی العلم، فکانوا یقتدون بکثیر من فعلهم، و کان من أمر أهل الکتاب أن لا یأتوا النّساء إلّا علی حرف، و ذلک أستر ما تکون المرأة، فکان هذا الحیّ من الأنصار قد أخذوا بذلک من فعلهم، و کان هذا الحیّ من قریش یشرحون النّساء شرحا منکرا، و یتلذّذون منهنّ مقبلات و مدبرات و مستلقیات، فلمّا قدم المهاجرون المدینة تزوّج رجل منهم امرأة من الأنصار، فذهب یصنع بها ذلک فأنکرته علیه، و قالت: إنّما کنّا نؤتی علی حرف فاصنع ذلک و إلّا فاجتنبنی، حتّی شری أمرهما، فبلغ ذلک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، فأنزل اللّه عزّ و جلّ: نِساؤُکُمْ حَرْثٌ لَکُمْ فَأْتُوا حَرْثَکُمْ أَنّی شِئْتُمْ [البقرة: ۲۲۳]، أی: مقبلات، و مدبرات، و مستلقیات یعنی بذلک موضع الولد. - انظر ص: ۴۳. - أخرجه أبو داود فی کتاب النکاح، باب فی جامع النکاح، من طریقه عن محمد ابن سلمة عن محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح عن مجاهد عن ابن عباس به، رقم ۲۱۶۴. و ابن إسحاق یدلّس، و قد عنعن فی هذا الإسناد، إلا أنه قد صرّح بالسماع عن أبان بن صالح عند الحاکم فی مستدرکه: ج ۲، ص ۲۷۹، من طریق عبد الرحمن بن محمد المحاربی عن محمد بن إسحاق سمع أبان بن صالح یحدّث ... و هذا ما بنیه البیهقی حین خرجه فی سننه: ج ۷، ص ۱۹۴. و عبد الرحمن بن محمد المحاربی لا بأس به کما قال ابن حجر فی «تقریب التهذیب»: ج ۱، ص ۳۷۲. و أبان بن صالح وثقه الأئمة کما فی «التقریب»: ج ۱، ص ۴۳. و قد صححه الحاکم فی مستدرکه. و قال الذهبی: علی شرط مسلم. و قال ابن کثیر: تفرّد به أبو داود، و یشهد له بالصحة ما تقدّم من الأحادیث ... إلخ. (تفسیر ابن کثیر: ج ۱، ص ۵۹۵، بتحقیق سامی السلامة- ط دار طیبة-). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۸۳ و ذکره ابن حجر فی فتح الباری- ج ۸، ص ۳۹-، مع التزامه ألا یذکر فی کتابه إلا- ما صحّ عنده أو حسن. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: انظر تعلیقنا علی الحدیث رقم ۳. و ما نضیفه هو: أن هذا الحدیث من الأهمیة لأنه شاهد علی جهل العرب قبل البعثة، و بالتالی یرتکز علیه الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، و هو صحیح السند، فنستطیع الاستشهاد به. * [ح ۱۱۸] عن أبی هریرة رضی اللّه عنه أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «إنّ للّه تسعة و تسعین اسما مائة إلّا واحدا من أحصاها دخل الجنّة» انظر ص: ۷۰۹ (ح). - أخرجه البخاری فی کتاب «الشروط»، باب ما یجوز من الاشتراط و الثنیا فی الإقرار و الشروط، رقم ۲۷۳۶. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث لا یتحدث عن ظاهرة علمیة، و لا علاقة له بالإعجاز العلمی، و بالتالی ینطبق علیه الحکم رقم ۷. * [ح ۱۱۹] عن أبا هریرة رضی اللّه عنه عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «قال سلیمان بن داود علیه السّلام لأطوفنّ اللّیلة علی مائة امرأة أو تسع و تسعین کلّهنّ یأتی بفارس یجاهد فی سبیل اللّه، فقال له صاحبه إن شاء اللّه، فلم یقل إن شاء اللّه، فلم یحمل منهنّ إلّا امرأة واحدة جاءت بشقّ رجل، و الّذی نفس محمّد بیده لو قال إن شاء اللّه لجاهدوا فی سبیل اللّه فرسانا أجمعون» انظر ص: ۷۰۹ (ح). - أخرجه البخاری فی کتاب «الجهاد و السیر»، باب من طلب الولد. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث لا یتحدث عن ظاهرة علمیة، و لا علاقة له بالإعجاز العلمی، و بالتالی ینطبق علیه الحکم رقم ۷. * [ح ۱۲۰] عن ابن عبّاس: أمر النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم أن یسجد علی سبعة أعضاء، و لا یکفّ شعرا، و لا ثوبا: الجبهة، و الیدین، و الرّکبتین، و الرّجلین. انظر ص: ۷۱۰ (ح). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۸۴ - أخرجه البخاری فی کتاب «الأذان»، باب السجود علی سبعة أعظم، رقم ۸۰۹. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث لا یتحدث عن ظاهرة علمیة، و لا علاقة له بالإعجاز العلمی، و بالتالی ینطبق علیه الحکم رقم ۷. * [ح ۱۲۱] حدّثنا محمّد بن موسی البصریّ حدّثنا حمّاد بن زید عن أبی الغیداء عن سعید بن جبیر عن أبی سعید الخدریّ رفعه قال: «إذا أصبح ابن آدم فإنّ الأعضاء کلّها تکفّر اللّسان فتقول: اتّق اللّه فینا، فإنّما نحن بک، فإن استقمت استقمنا، و إن اعوججت اعوججنا» انظر ص: ۷۱۰ (ح). - أخرجه الترمذی فی کتاب «الزهد عن رسول الله»، باب ما جاء فی حفظ اللسان، رقم ۲۴۰۷. صلة الحدیث بالإعجاز العلمی: هذا الحدیث لا یتحدث عن ظاهرة علمیة، و لا علاقة له بالإعجاز العلمی، و بالتالی ینطبق علیه الحکم رقم ۷. کلمة: لقد رأینا فی هذا البحث أن الأحادیث الصحیحة لا- یعتریها خطأ علمی، و أن الأحادیث الضعیفة قد یصیبها خطأ علمی، و قد لا یصیبها، أو قد یصیبها فی بعض متنها دون بقیة المتن. و هذا مما یثبت أن قول الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم- علی القطع- صحیح، حیث إنه إذا ما توفّر الصدق فی رجال السند، و بعد عنهم الاختلاط، و الوهم ... إلخ، و تحققنا من أن طریق الإسناد خال من أی نقص، أو عیب، زال الغبار، و ظهر الحق علی الدوام. کذلک، هذا یثبت أن الأسس التی وضعها العلماء فی مجال «الحدیث» عامة، و فی مجال «مصطلح الحدیث» خاصة، سلیمة، لأنه لو لم تکن کذلک، لظهر کثیر من الباطل فی متن و معنی الأحادیث صحیحة السند. فلله الحمد و المنّة أنه حفظ الدین کما جاء فی الحدیث: «قد ترکتکم علی البیضاء لیلها کنهارها لا یزیغ عنها بعدی إلّا هالک ...» [رواه ابن ماجة فی المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدین المهدیین، رقم ۴۴] و قیض له رجالا ثقات یحافظون علیه کما فی قوله تعالی: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَیْراتِ بِإِذْنِ اللّهِ ذلِکَ هُوَ الْفَضْلُ الْکَبِیرُ [فاطر: ۳۲]. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۸۵ قرأنة مصطلحات المراحل الجنینیة (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۸۶ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۸۷ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۸۸ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۸۹ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۹۰ (SC) إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۹۱ (SC) الوحدة القیاسیة للطول المستعملة هی: LG: HGTNEL TSETAERG)) إلی الیوم الثالث و العشرین، و من ثم الوحدة القیاسیة المستعملة هی: (RC: PMUR- NWORC للمراجعة کتاب الإنسان النامی، مور وبارسو، ص ۹۱ و ۱۰۹ و ۵۴۴- ۵۴۶، و کتاب علم الأجنة الطبی، سادلر، (بدایة الکتاب). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۹۲

ملحق تقویة الحدیث الضعیف جدا إلی درجة الاستئناس

ملحق تقویة الحدیث الضعیف جدا إلی درجة الاستئناس فی هذا الملحق نرید أن نعالج موضوعا فریدا من نوعه، قلّما تعرّض له علماء مصطلح الحدیث، و هو موضوع حساس جدًا قد یعترض علیه بعض العلماء فی هذا العصر لأنه قد یتصادم مع بعض مفاهیمهم الراسخة فی وجدانهم: و هو موضوع تقویة الحدیث ذی السند الضعیف جدا- و الذی یحمل فی طیّاته إعجازا علمیا نوعیا- إلی درجة

الاستئناس به- کحد أدنی-. و مرد هذا الاعتراض فی نظرنا یعود للجمود الفکری الذی یرجح فی عصرنا هذا، و المخافة من التجدید، لأن هذا الأخیر یحمل فی طیاته: الخروج عن المألوف، الذی یعد العدو النفسی للإنسان لما یحمل من أمور قد تختلف عن المعتقدات القدیمة، و لما یفتح من مجالات ضخمة تحمل فی طیاتها أعباء ضخمة من أمور یعتقد الجامدون فیها أنهم بغنی عنها. کذلک قد یعود هذا الاعتراض لاعتقاد العلماء التقلیدیین أنه من الواجب أن یدافعوا عن مفاهیمهم حول العلوم التی یرون أنها قد وقفت فوق حد التمام، و أصبحت لا مجال للتجدید فیها، أو الإضافة علیها. و لکن نقول: إننا لسنا بدعاة لتغییر أی علم من العلوم التی فتقها السلف، و لکن ما نریده هو أن ننهض بالتفکیر إلی درجة التجدید الفقهی بما یتناسب مع مستلزمات علم جدید قد ظهرت ملامحه واضحة فی هذا العصر، بعد أن کانت فی عالم الرکود إلی أن یأذن اللّه تعالی بکشف اللثام عن هذا العلم فی الوقت المناسب، بل إن عملنا هذا هو- بعکس ما قد یعتقده العلماء المعارضون- هو للحفاظ علی التراث النبوی، و ألا یضیع منه شیء صحیح، حتی و لو حمله بعض الضعفاء، ما دام یدل علی حقائق علمیة دقیقة ظهرت مؤخرا، لأن ذلک مما یساهم فی تقریر النبوة، و یدل علی صدق صاحبها صلّی اللّه علیه و سلّم، و لأننا محتاجون إلی مثل هذه الدلائل فی هذا العصر الحاضر لإقناع الآخرین بمدی شمولیة الإسلام للعلم و المعرفة. بل نری أنه من التفریط أن ننسی تلک الأحادیث و نهجرها لمجرد أنها رویت علی ألسنة الضعفاء. فکما أن التحدث بحدیث یری أنه کذب جریمة، فإنه من التفریط أن نهجر أحادیث فیها من الإعجاز العلمی الهائل، حیث إننا سوف نسأل أیضا یوم القیامة عن ما ذا صنعنا بأحادیث تبین لنا أنها تساهم فی رفع شأن هذا الدین العظیم. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۹۳ و نقول أیضا: إنه تبین لنا فی هذا البحث أن القوانین التی سنّها علماء الحدیث هی علی درجة عالیة من المحافظة، و هذا أمر حمید لأنه یحتاط لدیننا من الأحادیث المغلوطة التی فیها من الأخطاء أو الأکاذیب التی- إن اعتمدناها- قد تدخل علی أسس هذا الدین المتین الوهن، و لکن قد یکون من الحکمة أن نخفّف بعض الشیء بعض قیود هذه القواعد فی حال تبین لنا الحاجة لهذا التصرف، و ذلک لأن هناک مبررات شرعیة لهذا، فرسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم قد أعلمنا أن الکاذب قد یصدق فی بعض الأحیان، أو قد یخلط بین الکلام الصحیح و الکلام الکاذب فی الحدیثین التالیین: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «صدقک و هو کذوب، ذاک شیطان» [أخرجه البخاری ح ۴]، و قال صلّی اللّه علیه و سلّم: «إن الملائکة تنزل فی العنان- و هو السّحاب- فتذکر الأمر قضی فی السماء، فتسترق الشیاطین السمع فتسمعه فتوحیه إلی الکهّان، فیکذبون منها مائة کذبة من عند أنفسهم» [أخرجه البخاری ح ۳]، و هذان الحدیثان- و إن کانا تحذیرا للأمة بأن نحتاط من الکذابین- (و هذا ما التزم به جیدا علماء الحدیث) فهما أیضا بمثابة تلمیح من خیر الأنام صلّی اللّه علیه و سلّم أنه لا یجب أن نقفل الباب مع هؤلاء الذین فقدوا مصداقیتهم فی بعض الأحیان، و أن ننبذ کل أحادیثهم التی رووها، و ننساها إلی الأبد، فتضعیف الراوی لا یعنی أنه یجب علینا أن نحکم علی کل أحادیثه بالضعف، فقد یستوعب الحدیث الذی سمعه من راو آخر و لا یستوعب حدیثا ثانیا، و قد یکذب فی أحیان (أو یخلط بین الکلام الصحیح و الکلام الکذب) لدافع الریاء أو لدنیا یصیبها ... إلخ کأن یظهر أنه حافظ لجمیع التراث النبوی، و من ثم یعود لصوابه فی أحیان أخری، و قد یکون ضعیف النفس فیکذب لیظهر صادقا، ظنّا منه أن هذا العمل سیجعل له مخرجا من موقف حرج، کأن یکون نسی لفظ حدیث نبوی أو معناه و لکن لا یرید أن یظهر أمام المجتمع أنه نسیه، و من ثم تنتفی أسباب الإحراج فیعود لصدقه، بل حتی و لو کان کثیر الکذب فقد یدفعه الخوف من العقاب لأن یصدق، أو حرصا أ لا تذهب مصداقیته فی المجتمع الإسلامی (کما ظهر لنا جلیا فی الحدیث رقم ۴ السالف ذکره) ... إلی ما هنالک من أسباب. فکذبه لا یعنی بالضرورة أنه ذو مکر شدید یرید أن یخلط مفاهیم هذا الدین لیظهره بصورة متدنیة، فیکذب بلا استثناء، و مع ذلک فنحن لا نبحث عن إمکانیة إرجاع مصداقیة هذا الصنف من الرجال، بل نتحری عن المواطن التی صدقوا فیها مع الاعتقاد الراسخ أنهم فاقدون لهذه المزیّة. و من هذا المنطلق فلا یجب أن نعزل تماما روایات الضعفاء و خصوصا إذا کان هناک وسیلة إیضاحیة تبین کذبهم من عدمه، و الآیة: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنْ جاءَکُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَیَّنُوا أَنْ تُصِیبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلی ما فَعَلْتُمْ نادِمِینَ [الحجرات: ۶] تلقی الضوء علی هذا إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۹۴ الأمر، و تعلمنا- بل تأمرنا- أن نتبین- أی أن نتحری- صدق الکلام من عدمه عند فاقدی المصداقیة، بل تشیر إلینا بعبارة النص، أی بطریقة مباشرة أن نتحری عن مدی صدق الخبر الذی ینقوّه به فاسق- لا أن نعزل أقواله کلّها (کما فعله علماؤنا الکرام)- فلو کان الکلام ضربا من الکهانة لوجب علینا أن نعزل أقواله کلّها لفقدان الوسیلة الإیضاحیة، و لکن لو توفّرت لنا الوسیلة المبیّنة لکنا خالفنا الأمر الإلهی المتمثّل بتعالیم الآیة السالفة الذکر. و من الجدیر بالذکر أن الآیة تأمرنا أن نتحری عن الفاسق- فاقد المصداقیة- لا عن الصادق، مما یعنی أنه قد یکون کلامه صحیحا، فلا معنی من التحری إذا کان مآل الخبر الکذب المحض و لیس فیه احتمال الصحة. کذلک الآیة القرآنیة: وَ إِذا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذاعُوا بِهِ وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَی الرَّسُولِ وَ إِلی أُولِی الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِینَ یَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَ لَوْ لا- فَضْلُ اللَّهِ عَلَیْکُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّیْطانَ إِلَّا قَلِیلًا (۸۳) [النساء: ۸۳] فهی تشیر إلی أن نعید الخبر المشکوک إلی أهل الاختصاص لکی یتحروا عنه، و یستنبطوا هل هو صحیح أو لا، أو یتحروا ما هو صحیح منه مما هو خطأ من خلال الاستنباط المرتکز علی العلم، أی من خلال الاستخراج المرتکز علی علمهم الذی حصّلوه لذلک قال اللّه تعالی: لَعَلِمَهُ. جاء فی تفسیر القرطبی للآیة السالفة الذکر: «أی یستخرجونه، أی لیعلموا ما ینبغی أن یفشی منه، و ما ینبغی أن یکتم»، و بالتالی فهذه وصیة ربانیة أخری- تضاف إلی الوصیة الأولی التی ذکرناها آنفا- تدفعنا إلی وضع الأحادیث الضعیفة جدا تحت مجهر العلم الکونی الثابت. و هذا یعد بنظرنا تفریطا فی هذا الباب إن لم نلتزم به. لذا علینا أن نعمد إلی أمرین: ۱- أن نعید النظر فی دراسة الأحادیث الضعیفة جدا کلّها التی تتکلم عن الظواهر العلمیة، فنعزل الأحادیث ذات المتن الخاطئ، و نأخذ بالأحادیث ذات المتن الصحیح (التی تحمل فی طیاتها إعجازا علمیا یتعذر الوصول إلیه). ۲- أن نضع تلک الأحادیث تحت المجهر العلمی الثابت، فنعزل طرف الحدیث الخاطئ من طرف الحدیث الصحیح، لأن الکاذب یخلط فی حدیثه الخطأ بالصواب. و علینا بعد ذلک أن نجمع تلک الأحادیث فی مراجع معتمدة من مجمع فقهی، تشیر إلی أن هذه الأحادیث یستأنس بها. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۹۵ و نعنی بالاستئناس- علی وجه التحدید- فی هذا المقام المعیّن: أن الراوی لتلک الأحادیث قد یکون صدق، و بالتالی قد یکون تفوّه بها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم (و قد لا یکون)، أی- بمعنی آخر-: أن لا نجزم بثبوتها لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم کما أن لا ننفی قطعیا احتمال أن یکون قد تفوّه بها، و ذلک لأننا تحرینا عن مصداقیة متنها- التزما بآیة سورة الحجرات السابقة- و ذلک لوجود وسیلة إضافیة مکنتنا من ذلک، فترتفع مصداقیة سند هذا الحدیث خاصة- دون غیره- لدرجة الضعف الخفیف، لأنه تبین أن راوی الحدیث قد یکون صدق فی هذا الکلام علی وجه الخصوص. بید أننا لن نتکلم عن تلک الأحادیث الضعیفة بغیر ضوابط شرعیة حتی لا نفرّط بمقام هذا الدین. و من الضوابط- کما ذکرناه سابقا فی مبحث «تعریف الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة»-: ۱- أن تندرج تحت أصل عام شرعی و علمی معمول به، أی أن لا تعارض نصا قرآنیا، أو حدیثا ثبتت صحّته، أو علمًا شرعیا مسلّما به عند جمهور الفقهاء. ۲- أن تکون دلالة الحدیث قطعیة، بحیث لا نستطیع أن نؤوّله، أو ظنیة بحیث إنها تحمل دلالتین: إحداهما قریبة المنال، و الأخری بعیدة (بمعنی أنها تستلزم الإحاطة بعلم معین و عمق فی النظر لإدراکها، لا أنها بعیدة المنال من حیث إننا لا نستطیع أن ندرکها إلا بواسطة تأویل مفرط) و ذلک لکی تستوعب جمیع فئات المجتمع فی کل زمان فهم الحدیث المعتبر بما یتناسب مع قدراتها، أو ما یقاس علی ذلک من أمور، مصداقا لقوله صلّی اللّه علیه و سلّم: «بعثت بجوامع الکلم» [أخرجه البخاری ح ۱۳] و هکذا فعلی دلالة الحدیث البعیدة أن لا تنفی إعجازا علمیا باهرا، و أن تستوعبه استیعابا کاملا- لا لبس فیه-. ۳- أن یراعی فیها الضوابط اللغویة و الفقهیة و ما هنالک من شروط ذکرناها فی مبحث «تعریف الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة». ۴- أن لا یجزم بثبوت سند الحدیث لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم (و لا أن ینکر علی من یستأنس به)، مع التنبیه أن فیه فاقدا للمصداقیة، غیر أن المعطیات العلمیة رفعت من شأنه. ۵- أن یقتصر الموضوع علی الإعجاز العلمی، أو علی التجربة و الحس و المشاهدة التی لا مجال أن ندفعها أو أن نکذبها، فتؤیده و ترفع من شأنه، لا علی المواضیع الأخری التی لیس لها علاقة بموضوع الغیب، کالعقود و المعاملات ... إلخ. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۹۶ ۶- أن تحمل فی طیاتها إعجازا علمیا نادرا جدا لا یمکن لبعید الحدس أن یظفر به. بید أن العلماء السابقین- کما تکشّف لنا فی هذا المبحث، بعد تنقیب شدید فی کتب الحدیث و مصطلحاته- لم یعترضوا علی هذا الأمر، و إن لم یؤیّوا له بابا، و قد کشفت عباراتهم أنهم یؤیدون هذا الاتجاه فی حالات استثنائیة تتماشی مع متطلبات العلم ذات الوجه المشرق، و الخلفیة الرصینة؛ ألا- و هو موضوع الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، بل و حتی ذهب بعضهم إلی درجة تصحیح سند بعض هذه الأحادیث، و نحن- بهذه الحالة- نکون قد سلکنا مذهبا وسطا بین الإقصاء التام للأحادیث الضعیفة جدا و بین التصحیح القوی- المسلم به-. و بناء علی طلبنا قام- العالم الفاضل- الشیخ أبو حزم عبد الرحمن بن محمد الحکمی الفیفی ببحث رائع تطرّق فیه إلی أقوال العلماء فی هذا المضمار، و أثمرت جهوده عن نتائج باهرة قد تقلب رأسا علی عقب بعض المفاهیم السائدة فی عصرنا هذا، و أرسله لی، و هذا نص رسالته: «بحث المحدثون قدیما و حدیثا تقویة الحدیث الضعیف بالطرق، و المتابعات و الشواهد و الاعتبارات، ثم بموافقة الحدیث للقیاس أو قبل ذلک شهادة الکتاب و الإجماع علی صحته، إلی غیر ذلک مما بحثوه فی کتبهم فی مصطلح الحدیث تطویلا- و اختصارا، إلا- أنی وجدت أنهم لم یبحثوا تقویة الحدیث بالتجربة التی یندرج تحتها: - وقوعه کحادثة تاریخیة. - وقوعه کذکر أو دعاء و تحقق ذلک منه. - وقوعه دلالة علی اکتشاف علمی، أو إعجاز غیبی. کل هذه الأمور تندرج تحت تقویة الحدیث بالتجربة التی هی اختبار الشیء و إحکامه و معرفة الأمور و ما فیها، کما تدل علیه عبارة اللسان (۳/ ۱۱۰)، و القاموس (۸۵)، و هذا المعنی هو الذی یریده أهل الطب قدیما کابن البیطار، و ابن سینا، و الأنطاکی، حیث یصفون خلطة ما فیقولون: دواء مجرب، و کذلک هو المعنی الذی یعنیه أصحاب العلم التجریبی الیوم حین یکتفون التجارب علی شیء ما، و بعد طول الامتحان، و کثرة الاختبارات و تنوع التقلیبات البحثیة له یجزمون أنه حقیقة علمیة، نجمت عن تجربة، و هذا تماما ما نعنیه هنا. فوقوع الحدیث الدال علی أمر غیبی تاریخی أو علمی أو روحانی (من دعاء و نحوه) و تحققه مع التجربة الصریحة و البحث المجرد، لا- شک أنه أمر یلفت إلی الانتباه، و التروی فی عدم رد الحدیث. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۹۷ و الأصل فی هذا حدیث أبی حمید و أبی أسید الساعدیین رضی اللّه عنهما أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «إذا سمعتم الحدیث عنی تعرفه قلوبکم، و تلین له أشعارکم و أبشارکم، و ترون أنه منکم قریب، فأنا أولاکم به، و إذا سمعتم الحدیث عنی تنکره قلوبکم، و تنفر أشعارکم و أبشارکم، و ترون أنه منکم بعید، فأنا أبعدکم منه». رواه أحمد فی مسنده (۳/ ۴۹۷)، و رواه أیضا ابن حبان فی صحیحه رقم (۶۳)، (۱/ ۱۴۰)، و صححه، و قال الهیثمی فی مجمع الزوائد (۱/ ۳۷۷): (رواه أحمد و البزار و رجاله رجال الصحیح). و ذکر الزرکشی فی «النکت علی مقدمة ابن الصلاح» (۲/ ۲۶۳) أن عبد الحق الإشبیلی صححه فی «الأحکام» و کذلک القرطبی فی «المفهم» شرح صحیح مسلم. و الذی أراه أن هذه الروایة للحدیث هی أصح روایاته دون غیرها، و أن معنی

الحدیث یتنزل علی تلک الأحادیث التی لم یحملها إلا الضعفاء مع صحتها فی نفسها، و مخالفتها لجملة ما یروونه، لموافقتها للشریعة، و للحقائق العلمیة، و کذلک ما یروونه من قلیل وافقوا فیه من سواهم من رواة الحدیث الصحیح، مما هو موافق تماما للشریعة، لأن الراوی الضعیف لا یکون غیر ضابط لکل روایاته، و إنما ضعف بالأغلب، لأن الحکم علی الغالب، و هکذا کانت أحکام أهل التجریح و التعدیل، فإنهم إن ضعفوا رجلا لا یقصدون أن کل أحادیثه لم یضبطها، و إنما قصدوا الأغلب منها فطرحوه، و أما ما عنده من قلیل صحیح فاستغنوا بروایة غیره له من الثقات، و لذلک اعتبروا الضعفاء فی المتابعات و الشواهد و غیرها. و مما تقدم موجزا یظهر لنا أن الحدیث السابق قوی العمل بالتجربة فی تصحیح أو قبول بعض الأحادیث. و قد رأیت فی هذه العجالة أن أسوق بعضا من أقوال أئمة هذا الشأن فی ذلک، أو المشتغلین به من المعاصرین. ۞ الحاکم أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه النیسابوری (ت ۴۰۵) الإمام المحدث المشهور، صاحب المستدرک علی الصحیحین. فقد أخرج عن عبد اللّه بن مسعود رضی اللّه عنه عن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «اثنتا عشرة رکعة تصلیهن من لیل أو نهار، و تتشهد بین کل رکعتین، فإذا تشهدت فی آخر صلاتک فأثن علی اللّه- عزّ و جلّ- و صلّ علی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم ثم اسجد و اقرأ و أنت ساجد فاتحة الکتاب سبع مرات، و قل: لا إله إلا اللّه وحده لا شریک له، له الملک و له الحمد و هو علی کل شیء قدیر، عشر مرات ثم قل: اللهم إنی أسالک بمعاقد العزّ من عرشک، و منتهی الرحمة من کتابک، و اسمک الأعظم، وجدک الأعلی، و کلماتک إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۹۸ التامة، ثم سل حاجتک ثم ارفع رأسک، ثم سلم یمینا و شمالا، و لا تعلموها السفهاء فإنهم یدعون بها فیستجابون». قال الحاکم: قال حمید بن حرب: قد جربته فوجدته حقا، و قال إبراهیم بن علی الدیبلی: قد جربته فوجدته حقا، و قال الحاکم: قال لنا أبو زکریا: قد جربته فوجدته حقا، قال الحاکم: و قد جربته فوجدته حقا. و هذا النسق من الرجال هم سند الحاکم فی الحدیث، و بالتالی فهو حدیث مسلسل بالتجربة، و الحاکم و حمید بن حرب، و إبراهیم بن علی الدیبلی، و أبو زکریا، وعددهم أربعة من أئمة الحدیث اعتمدوا التجربة فی تقویة الحدیث حتی وجدوه حقا. و قد أورد الحافظ الکبیر، إمام أهل الحدیث فی زمانه، شیخ الإسلام أبو محمد عبد العظیم بن عبد القوی المنذری (ت ۶۵۶) هذا الحدیث فی کتابه «الترغیب و الترهیب» (۱/ ۴۷۷- ۴۷۸) ثم قال: (أما عامر ابن خداش- راوی الحدیث المتفرد به- هذا هو النیسابوری. قال شیخنا الحافظ أبو الحسن: کان صاحب مناکیر، و قد تفرد به عن عمر ابن هارون البلخی، و هو متروک متهم/ أثنی علیه ابن مهدی وحده فیما أعلم. و الاعتماد فی مثل هذا علی التجربة لا علی الإسناد، و اللّه أعلم). شیخ الإمام المنذری هذا هو أبو الحسن علی بن المفضل بن علی الإسکندری المالکی (۵۴۴- ۶۱۱) و المنذری، ولد سنة ۵۸۱، فیکون عمره حین وفاة شیخه ثلاثین عاما، علی أنه بلدیّة، فهما مصریان. فإن کان الکلام الأخیر فی «الترغیب و الترهیب»- و هو قوله: (و الاعتماد فی مثل هذا علی التجربة لا علی الإسناد)- من کلام الإمام أبی الحسن علی بن المفضل فیضاف إلی المنذری أیضا، و إلا فهو للمنذری موافقا و مقررا، أو محررا و مبتدئا بالحکم، و علی کل فقد ظهر من خلال هذا أن المنذری- و هو أعلم أهل زمانه بالحدیث و أحفظهم له کما ذکره الذهبی- [انظر «طبقات الشافعیة الکبری» (۸/ ۲۶۰)] یقبل حدیثا بالتجربة و یعتمد علیها فی العمل به، مع أن إسناده ضعیف کما صرح به هو. و قد علق السید العلامة المحدث محمد بن علوی المالکی الحسنی المکی فی کتابه «أبواب الفرج» (۲۹۹) قائلا: (و الحدیث و إن کان ضعیفا لکنه مقبول مجرب معمول به) فهذا الإمام خامس المحدثین الأربعة السابقین، و قد قوی الحدیث الضعیف بالتجربة بالإضافة إلی الإمام المنذری. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۶۹۹ و قد ورد النهی عن القراءة فی الرکوع و السجود کما هو مشهور فی الحدیث، فی صحیح مسلم و غیره، إلا أن القراءة فی هذا السجود خاصة جائزة، لأنه لیس السجود الذی هو من صلب الصلاة، و إنما هو سجود زائد بعد التشهد کما هو ظاهر فی الحدیث، و هذا ما قرره السید العلامة المالکی فی کتابه السابق. ۞ من الأحادیث التی رویت بالتجربة الحدیث المسلسل بإجابة الدعاء فی الملتزم، و الملتزم هو: ما بین الحجر الأسود و باب الکعبة. و قد رواه السیوطی قائلا: أخبرتنی أم هانئ بنت أبی الحسن سماعا علیها قالت: أخبرنا عبد اللّه بن محمد النشاوری، قال: أخبرنا إبراهیم بن محمد الطبری، قال: أخبرنا أبو القاسم بن مکی، قال: أخبرنا أبو طاهر السلفی، قال: سمعت أبا الفتح الغزنوی یقول: سمعت أبا الحسن علی بن محمد بن نصر اللبان یقول: سمعت أبا القاسم حمزة بن یوسف السهمی یقول: سمعت أبا القاسم عبید اللّه بن محمد بن خلف البزاز یقول: سمعت عبد اللّه بن الزبیر الحمیدی یقول: سمعت سفیان بن عیینة یقول: سمعت عمرو بن دینار یقول: سمعت ابن عباس یقول: سمعت النبی صلّی اللّه علیه و سلّم یقول: (الملتزم موضع یستجاب فیه الدعاء، و ما دعا عبد اللّه- تعالی- فی دعوة إلا استجابها). قال ابن عباس: فو اللّه ما دعوت اللّه فیه قط إلا أجابنی. قال عمرو: و أنا ما دعوت اللّه فیه إلا استجاب لی. قال سفیان: و أنا ما دعوت اللّه فیه إلا استجاب لی. قال الحمیدی: و أنا ما دعوت اللّه فیه إلا استجاب لی. قال محمد بن إدریس: و أنا ما دعوت اللّه فیه إلا استجاب لی. قال محمد بن الحسن: و أنا ما دعوت اللّه فیه إلا استجاب لی. قال عبید اللّه بن محمد: و أنا دعوت اللّه فیه مرارا فاستجاب لی. قال حمزة: و أنا دعوت اللّه فیه فاستجاب لی. قال الحسن اللبان: و أنا دعوت اللّه فیه فاستجاب لی. قال الغزنوی: و أنا دعوت اللّه فیه فاستجاب لی. قال السلفی: و أنا دعوت اللّه فیه فاستجاب لی. قال ابن مکی: و أنا دعوت اللّه فیه فاستجاب لی. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۷۰۰ قال الطبری: و أنا دعوت اللّه فیه فاستجاب لی. قال النشاوری: و أنا دعوت اللّه فیه فاستجاب لی. قالت أم هانئ: و أنا دعوت اللّه فیه فاستجاب لی. قلت- أی السیوطی-: و أنا دعوت اللّه بأمور دنیویة و أخرویة فاستجاب لی الأولی، و أرجو أن تکون الأخری قد استجیبت [«جیاد المسلسلات» (۱۹۶- ۱۹۹)]. قال العلامة المحدث محمد بن أحمد الفاسی ثم المکی (ت ۸۳۲): (روینا عنه- أی الملتزم- حدیثا مرفوعا مسلسلا فی استجابة الدعاء فیه، و جرب ذلک من زمنه إلی عصرنا). [«العقد الثمین» (۱/ ۲۴۲)]. فهؤلاء الأئمة من لدن سفیان بن عیینة إلی السیوطی مرورا بالفاسی اعتمدوا التجربة فی قبول الحدیث. قال الشیخ العلامة صدیقنا مجد مکی محقق «جیاد المسلسلات» (۲۰۱) بعد نقل کلام للشوکانی فی ذلک: (و هذا تعلیل جید، یضاف إلیه صدق التجربة). فالشیخ العلامة المحدث مجد مکی اعتمد أیضا صدق التجربة فی تقویة الحدیث. قال الحافظ شمس الدین محمد بن محمد بن الجزری (ت ۸۳۳)، المقرئ المشهور، صاحب الطیبة و غیرها: أخبرنا شیخنا الإمام المحدث جمال الدین محمد ابن یوسف بن محمد بن مسعود السرمدی مشافهة، أنبأنا شیخنا الإمام أبو الثناء محمود بن محمد بن محمود المقرئ، أنبأنا أبو أحمد عبد الصمد بن أبی الجیش، أنبأنا أبو محمد یوسف بن عبد الرحمن بن علی، أنبأنا والدی، أنبأنا محمد بن ناصر الحافظ، أنبأنا أبو بکر محمد بن أحمد بن علی بن خلف، أنبأنا عبد الرحمن السلمی، أنبأنا عبد اللّه بن موسی السلامی، أنبأنا الفضل بن عیاش الکوفی، أنبأنا الحسین بن هارون الضبی، حدثنا عمر بن حفص بن غیاث، عن أبیه عن جعفر بن محمد عن أبیه عن علی بن الحسین عن أبیه عن علی بن أبی طالب، قال: رآنی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم حزینا فقال: یا ابن أبی طالب أراک حزینا؟ فقلت: هو کذلک. قال: فمر بعض أهلک یؤذن فی أذنک، فإنه دواء للهم. قال: ففعلت فزال عنی. قال الحسین: فجربته فوجدته کذلک. قال حفص بن غیاث: جربته فوجدته کذلک. قال عمر بن حفص: جربته فوجدته کذلک. قال الحسین بن هارون: جربته فوجدته کذلک. قال الفضل: جربته فوجدته کذلک. قال عبد اللّه بن موسی: جربته فوجدته کذلک. قال عبد الرحمن: جربته فوجدته کذلک. قال أبو بکر: جربته فوجدته کذلک. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۷۰۱ قال ابن الجزری: لم أسمع ابن ناصر یقول فیه شیئا، بل جربته فوجدته کذلک. قال أبو محمد یوسف: جربته فوجدته کذلک. قال عبد الصمد: جربته فوجدته کذلک. قال أبو الثناء: جربته فوجدته کذلک. قال ابن الجزری: و لم أسمع شیخنا السرمدی یقول شیئا، و لکن جربته فوجدته کذلک. قلت (أی: السیوطی): و سمعت هذا الحدیث من الحافظ تقی الدین محمد بن فهد (ت ۸۷۱) بسماعه من الجزری حسب التسلسل، و لم أر فی رجاله من تکلم فیه بقدح. انظر [«کنز العمال» رقم (۵۰۰۱)]. و هؤلاء الأئمة فی هذا النسق من لدن حفص بن غیاث إلی ابن فهد اعتمدوا التجربة کما تقدم من سیاقة الحدیث. ۞ و فی خبر مقطوع عن یونس بن عبید: لیس رجل یکون علی دابة صعبة، فیقول فی أذنها: أَ فَغَیْرَ دِینِ اللَّهِ یَبْغُونَ وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ کَرْهاً وَ إِلَیْهِ یُرْجَعُونَ [آل عمران: ۸۳] إلا وقفت بإذن اللّه. رواه ابن السنی فی عمل الیوم و اللیلة، من حدیث المنهال بن عیسی، و هو مجهول. و مع هذا فقد قال ابن القیم الجوزیة (ت ۷۵۱) عن هذا الدعاء: (قال شیخنا ابن تیمیة قدس اللّه روحه (ت ۷۲۸): و قد فعلنا ذلک فکان کذلک) [«الوابل الصیب» (ص ۱۶۸)]. و إن لم یصرحا بالتقویة للحدیث إلا أن فعلهما له أو فعل ابن تیمیة له ثم وقوع الحدیث وفق ذلک یدل علی قبوله عندهما، لما علم من شدة تمسکهما بالسنة و بالآثار، و من هنا ینضمان إلی من ذکرنا سابقا بتقویة الحدیث بالتجربة. ۞ حدیث علی رضی اللّه عنه أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «تکون مدینة بین الفرات و دجلة، یکون فیها ملک بنی العباس و هی الزوراء، تکون فیها حرب مقطعة یسبی فیها النساء، و یذبح فیها الرجال، کما یذبح الغنم». رواه الخطیب البغدادی أحمد بن علی (ت ۴۶۳) فی «تاریخ بغداد» (۱/ ۳۹). و ذکره الإمام السیوطی (ت ۹۱۱) فی کتابه «جامع الأحادیث الکبیر» (۴/ ۱۰۹- ۱۱۰) ثم قال: (الخطیب عن علی، و قال: إسناده شدید الضعف، قلت- أی السیوطی-: وقعت هذه الحرب و الذبح بعد موت الخطیب بأکثر من مائتی سنة، و ذلک مما یقوی الحدیث) (رقم الحدیث: ۱۰۵۸۰) کما فی طبعة دار الکتب العلمیة، و أما فی طبعة مجمع البحوث الإسلامیة ۱۴۰۲ «جمع الجوامع» المعروف بالجامع الکبیر، العدد العاشر من الجزء الثانی، فهو فی (ص ۱۱۸۵) و رقم (۴۷۰- ۱۲۷۹۴). و سقطت بغداد (الزوراء) بأیدی التتار سنة ۶۵۶، و وقع فیها من الذبح، و الحرب المقطعة، و السبی ما هو مذکور فی کتب التاریخ، و ذلک محل اتفاق من إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۷۰۲ المؤرخین، أی بعد موت الخطیب ب ۱۹۳ سنة/ مع أنه ضعفه، و علی ذلک فیکون الحدیث موجودا عند الرواة قبله بکثیر، و لعل مما زهد الحفاظ فی روایته حتی حمله غیرهم من الضعفاء الذین لیسوا وجوها فی الناس لعله وقع بغداد فی النفوس، و کونها حاضرة البلاد، و مرکز الخلافة، و لا یجرؤ المشاهیر علی روایة شیء من ذلک مما قد یعرضهم لطوائل المحاسبة و صوادع المعاقبة. هذا و قد أورد الإمام المحدث المتقی الهندی (ت ۹۷۵) هذا الحدیث فی کتابه «کنز العمال» رقم (۳۱۴۵۵) فی (۱/ ۱۱۳۶) طبعة بیت الأفکار الدولیة، و نقل کلام السیوطی کما هو مقرا له، فهذا إقرار منه و رضا به. و السیوطی نفسه قد أورد هذا الحدیث ضمن کتابه «اللآلئ المصنوعة فی الأحادیث الموضوعة» (۱/ ۲۴۸). و مع هذا فقد قواه فی کتابه «جامع الأحادیث الکبیر» لأنه وقع. ۞ و قد استأنس الحافظ الکبیر، و الإمام الشهیر، خاتمة الحفاظ أحمد بن علی ابن حجر (ت ۸۵۲) بالتجربة فی تخریجه حدیث «ماء زمزم لما شرب له» فقال فیما نقله عنه الإمام السخاوی: (و مرتبة هذا الحدیث أنه باجتماع هذه الطرق یصلح للاحتجاج به، و قد جربه جماعة من الکبار فذکروا أنه صح ...) «المقاصد الحسنة» (۵۶۸) فاستأنس بالتجربة کما ترى، فلا أقل من أن تکون عنده استئناسا کما یظهر من کلامه. ۞ و ذکر الإمام السخاوی صاحب «فتح المغیث بشرح ألفیة الحدیث» المتوفی (۹۰۲ ه) حدیث «ما خلا یهودیان بمسلم إلا هما بقتله» ثم قال: (و قد تکلمت علیه فی بعض الحوادث، و أوردت ما حکاه لی قاضی الحنابلة الأستاذ عز الدین الکنانی رحمه اللّه من واقعة له مع یهودی تؤید ذلک) «المقاصد الحسنة» (۵۸۰) فجعل الواقعة مؤیدة للحدیث، فلا أقل من کونه جعل الواقع العلمی أو التجریبی لدلالة الحدیث

الضعیف تأییدا و استئناسا به علیه. * و من المشایخ المعاصرین الذین قووا الأحادیث الضعیفة لوقوعها الشیخ حمود بن عبد اللّه التویجری (ت ۱۴۱۳)، قال فی کتابه «إتحاف الجماعة بما جاء فی الفتن و الملاحم و أشراط الساعة» (۱/ ۱۲): (و بعض الأمور التی ورد الإخبار بوقوعها لم ترو إلا من طرق ضعیفة و قد ظهر مصداق کثیر منها، و لا سیما فی زماننا، و ذلک مما یدل علی صحتها فی نفس الأمر و کفی بالواقع شاهدا بثبوتها و خروجها من مشکاة النبوة). إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۷۰۳ و علی ما ذکر فإن الحدیث الضعیف یقوی إذا تحقق وقوعه تماما بدون تأویل بعید، أو تفسیر متکلف، و أقوی أنواع وقوعه ثبوت إعجاز علمی به، فهذا هو أقوی التجارب. * و قد ذکر الشیخ أبو عبد الرحمن بن عقیل الظاهری فی کتابه «الحباء من العیة غب زیارتی لطیبة» حدیث جابر رضی اللّه عنه أن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم قعد علی موضع مسجد الفتح، و حمد اللّه و دعا علیه، و عرض أصحابه و هو علیه، و هذا الحدیث هو حدیث إجابة الدعوة فی مسجد الفتح، و قد حسنه الشیخ ابن عقیل لتجربة إجابة الدعوة فیه مما ظهر أن للمکان خصیصة فضل. ثم قال: (فإذا وجدت شواهد تصححه أو تحسّن تجربة جابر رضی اللّه عنه، أو صحت تجارب لغیره من خالف أو سالف فتتائج التجربة متبعة) (ص ۶۷). و قد ذکرنا من المعاصرین- علی ما سبق- السید العلامة المحدث الشیخ محمد ابن علوی المالکی الحسنی المکی، کما فی حدیث صلاة الحاجة، و ذکرنا أیضا الشیخ العلامة مجد مکی کما فی حدیث إجابة الدعاء فی الملتزم. و أما من السابقین فالإمام الحاکم صاحب المستدرک، و من فی نسق إسناده فی صلاة الحاجة علی ما مر سلفا، فقد اعتمدوا التجربة. و کذلک من فی نسق الحدیث المسلسل بإجابة الدعاء فی الملتزم، و منهم السیوطی إلی سفیان بن عیینة، و کلهم محدثون أثبات. و کذلک الإمام الفاسی صاحب «العقد الثمین» حیث نقلنا قوله هناک و صرح بالتجربة، و کذلک من فی نسق الحدیث فی تفریج الهم بالأذان فی الأذن، و فیه جلة من أئمة هذا الشأن کالسیوطی و ابن الجزری، و ابن فهد و ابن ناصر و حفص ابن غیاث و غیرهم. و أنهم جربوه فوجدوه کذلک، رووه هکذا مسلسلا من لدن حفص بن غیاث إلی السیوطی. و کذلک نقلنا عمل ابن تیمیة، و نقل ابن القیم عنه ما جربه فی إیقاف الدابة الصعبة بتطبیق خبر مقطوع و فیه مجهول، فوجدوا الأمر کذلک. و کذلک تقویة السیوطی ثم المتقی الهندی صاحب کنز العمال، لحدیث سقوط بغداد مع کونه واهی الإسناد لوقوعه و تحققه علی ما ورد. و کذلک اعتماد المنذری لحدیث صلاة الحاجة الذی رواه الحاکم، بسبب التجربة، مع أن فیه راویا ضعیفا تفرّد به، و رجلا متروکا متهما، و ذکرنا الحافظ ابن حجر، و تلمیذه السخاوی فی استئناسهما بالتجربة، أو الوقوع علی قبول بعض الأحادیث. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۷۰۴ إذا تأکد لدیک ما مضی تقریره، فاعلم أن ما قاله بعض الفضلاء المعاصرین المشتغلین بالحدیث و التفسیر و هو: الشیخ الفاضل الدکتور محمد بازمول: (و الیوم یکثر الحدیث عن الإعجاز العلمی، و قد هجم بعضهم و ذهب یقوی أحادیث حکم أهل العلم بضعفها، و أحیانا بوضعها، فیأتی هؤلاء «۱» لما یراها توافق الحقیقة العلمیة و یمهّد لإثبات الحدیث بهذه الموافقة. و هذه طریقة لا تثبت بها الأحادیث، بل إن الحدیث ضعیف السند إذا وافق آیة لا یحکم له بثبوت نسبته إلی الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم لمجرّد ذلک، ما لم تکثر طرقه، و یقوم من القرائن ما یجعل النفس تطمئن لذلک، فکیف بمجرّد الموافقة للواقع العلمی؟) «مجلة جامعة أم القری، (ع ۲۶) (ص ۲۶۱)». اعلم أن ما قاله هذا الشیخ الفاضل المعاصر لا یتجه مع ما سبق نقله من کلام أئمة هذا الشأن، و تقویتهم الحدیث بالتجربة. علی أنه لم یورد إلا حدیث سقوط بغداد و کلام السیوطی علیه فقط، و لم یورد کلام غیر السیوطی ممن ذکرنا فی رسالتنا هذه، ثم إنه لا نزاع أنه لا تثبت نسبة حدیث إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم ثبوتا قطعیا، إلا المتواتر من الحدیث علی ما هو مبسوط فی کتب المصطلح و أصول الفقه، و إنما ثبوت غیر المتواتر إلیه صلّی اللّه علیه و سلّم یکون من قبیل الظن الراجح، و أما الحدیث الضعیف الذی ثبت أو قوی بالتجربة (دعاء أو وقوعا أو إعجازا علمیا) فالأئمة و غیرهم من المتعاطین لهذا الفن لا یثبتون نسبة الحدیث إلی الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم قطعا أو جزما، و أنه قاله بلفظه، و لکن یحصل عندهم ظن راجح أن الراوی الضعیف لهذا الحدیث أدی المعنی، فالذی یثبتون نسبته هو المعنی الذی صححه التجربة، و دلّ علیه البرهان. هذا، و لا یخفی أن الحقائق العلمیة الیوم أقوی من الوقائع التاریخیة التی وردت ضمن الأخبار، و قوی السیوطی من أجلها حدیث سقوط بغداد، لأن التاریخ متسع، و قد تحدث حادثة مقبلة ینطبق علیها الحدیث أتم الانطباق. و کذلک الحقائق العلمیة أقوی من مجربات الأدعیة، کحدیث صلاة الحاجة، و الدعاء فی الملتزم، و الأذان فی الأذن، و قراءة الآیة علی الدابة الصعبة، علی ما مر تفصیله، لأن الدعاء قد یستجاب لأمر آخر، کالإخلاص و اضطرار الداعی، و غیر ذلک، و لکن لکثرة وقوع ذلک اعتمد الأئمة تصحیح تلک الأحادیث.

(_____ ۱) هکذا، و الصواب لغة: إما أن یقول: بعض هؤلاء، أو یقول: یرونها ... إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۷۰۵ لا یخفی أن الحقائق العلمیة الثابتة بالتجربة أقوی برهانا و دلالة علی صحة الحدیث إذا طابقته و طابقها دون تکلّف من تأویل أو تفسیر، لأنها حقائق ثبتت قطعا شأنها فی ذلک شأن الضروریات التی لا مجال لإنکارها لکونها من قبیل المحسوسات، أو ما نزل منزلتها، و کل هذا یدل علی قدرة اللّه تعالی، ثم الإعجاز العلمی المطوی فی تلک الأحادیث الأمر الذی قواها، علاوة علی دلالة ذلک علی ثبوت النبوة و صدق صاحبها صلّی اللّه علیه و سلّم. هذا و قد ألفت هذه الرسالة الموجزة بناء علی طلب السید الکریم ... کریم بن نجیب بن الأغر. أدامه اللّه لرفع رایة العلم الدقیق، و التفسیر العلمی للقرآن الکریم. و کتبتها بین الظهر و العصر من یوم الثلاثاء الموافق الخامس عشر من رجب عام ۱۴۲۵ ه المحاذی ل ۳۱ من أغسطس آب عام ۲۰۰۴ م. و اللّه أعلی و أعلم، و صلی اللّه و سلم علی رسولنا الأکرم، و أصحابه الأقدم فالأقدم، و من تبعهم بإحسان إلی یوم البعث الأعظم. انتهی کلامه. («المعربة فی تقویة الحدیث بالتجربة» للشیخ أبی حزم عبد الرحمن بن محمد الحکمی الفیفی). و بعد أن جلنا فی عالم أقوال الجهابذة العلماء الذین تلقّتهم الأمة بالقبول، و تبیّن لنا مدی حرص- العالم المکرم- الشیخ عبد الرحمن بن محمد الحکمی الفیفی فی الإحاطة بجوانب هذا الموضوع الفرید، نری أنه من الحکمة أن نورد مثلا یجسّد لنا هذا الإعجاز، و یبرز من الناحیة العلمیة الأسباب التی تجعله یرتقی إلی درجة الاستئناس. و لذلک نتناول الحدیث: «النطفة التی یخلق منها الولد ترعد لها الأعضاء و العروق کلها إذا خرجت وقعت فی الرحم» [أخرجه الدیلمی ح ۲۳]. فهذا الحدیث یشیر إلی الحقائق العلمیة الغیبیة التالیة: ۱- أن للإنسان نطفة، نسبة للفظ: [النطفة] فی الحدیث. و توافق بذلک الآیة: أَ لَمْ یَکُ نُطْفَةً مِنْ مَنِیٍّ یُمْنی [القیامة: ۳۷]. ۲- أن هذه النطفة خاصة، بمعنی أن لها القابلیة لأن تخلق- بإذن اللّه- إنسانا، أی أنها مخصبة، نسبة للفظ: [التی یخلق منها الولد]، و توافق بذلک الآیة: إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ نَبْتَلِیهِ فَجَعَلْناهُ سَمِیعاً بَصِیراً [الإنسان: ۲]. ۳- أن لهذه النطفة صبغیة، نسبة للفظی: [لها] و [عروق] فی الحدیث، و توافق بذلک الحدیث جید السند: «إن اللّه تعالی إذا أراد خلق النَّسمة فجامع الرجل إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۷۰۶ المرأة طار ماؤه فی کل عرق و عصب منها، فإذا کان یوم السابع جمعه اللّه تعالی ثم أحضر له کل عرق بینه و بین آدم، ثم قرأ: فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ [الانفطار: ۸]» [أخرجه الطبرانی ح ۲۱]، ناهیک عن أبعاد کلمة «عرق» من کونها تشیر إلی أن الصبغیات طویلة، بل إنها فی غایة من الطول، و إنها تشکّل أصل الإنسان. ۴- أن هناک العدید من العروق، نسبة للفظ: [العروق]، و توافق بذلک الحدیث السالف ذکره. ۵- أن هذه العروق تتحرک، نسبة للفظ: [ترعد لها ... العروق]، و هی بالتالی توافق الحدیث: أن أعرابیا أتی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم، فقال: ولدت امرأتی غلاما أسود، و إنی أنکرته، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم: «هل لک من إبل؟» قال: نعم. قال: «فما ألوانها؟» قال: حمر، قال: «هل فیها من أورق؟»، قال: نعم. قال: «فأنّی هو؟»، قال: لعله یا رسول اللّه: یکون نزعه عرق له. قال له النبی صلّی اللّه علیه و سلّم: و هذا لعله یکون نزعه عرق له» [أخرجه مسلم ح ۶۵]، و غیره من الأحادیث التی وردت فی هذا الصدد. ۶- أن حرکة هذه العروق محددة بالانکماش و التمدد المحدودین فی هذا المقام، و فی هذا الوقت تحدیدا، نسبة للفظ: [النطفة التی ... ترعد لها ... العروق ... إذا خرجت]، و توافق بذلک الحدیث المرسل عن ثقة (أی ذات الضعف غیر الشدید)، و هو: «صدقت! ... إذا کان حین الولد، اضطربت العروق کلها، لیس منها عرق إلا یسأل اللّه أن یجعل الشّبه له» [أخرجه الحکیم الترمذی ح ۲۲]. ۷- أنها تأتی من خارج الرحم نسبة للفظ: [وقعت فی الرحم]، و توافق بذلک الآیة: ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِی قَرارٍ مَکِینٍ [المؤمنون: ۱۳]. ۸- أن الموضع الذی تأتی منه متصل بالرحم، نسبة للفظ: [إذا خرجت وقعت فی الرحم]، و هذا المفهوم تفرّد به الحدیث، و هو یوافق الحقائق العلمیة الثابتة، و بالتالی أضاف إشارة علمیة جدیدة علی مجموع الإشارات التی جمعت من مختلف الأحادیث. ۹- أن الموضع الذی تأتی منه یقع علی هاویة تطل علی الرحم نسبة للفظ: [وقعت فی الرحم]، و توافق بذلک حدیث- إسناده صحیح- هو: «إذا وقعت النطفة فی الرحم بعث اللّه ملکا فقال: یا رب: مخلّقة أو غیر مخلّقة؟ فإن قال: غیر مخلقة مجّتها الأرحام دما» [رواه الطبری ح ۳۲]. ۱۰- أن إخصاب النطفة یحصل فی الرحم قبل أن تدخله، لأنها تدخل الرحم إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۷۰۷ و لها القابلیة أن تتخلق، نسبة للفظ [النطفة التی یخلق منها الولد ... وقعت فی الرحم]، و توافق بذلک الحدیث السالف ذکره فی النقطة رقم (۹). ۱۱- أن ارتعاد عروق النطفة یحصل فی المکان الذی یقع عضویا قبل الرحم، و هذه أیضا إشارة تفرّد بها الحدیث علی غیره من الأحادیث، و هی إشارة علمیة صحیحة بلا شک، و هو بذلک أضاف دقّة جدیدة تضاف إلی مجموعة الإعجازات التی وردت فی هذا المضمار. ۱۲- أن هذه النطفة تمکث لفترة غیر وجیزة خارج الرحم، نسبة لوظیفة [إذا] التی وردت فی الحدیث، و توافق بذلک الحدیث رقم ۳۲ السالف ذکره، و الذی ورد فی النقطة رقم (۹). ۱۳- أن ارتعاد عروق النطفة یحصل زمنیا بعد التخصیب مباشرة نسبة للفظ: «النطفة التی یخلق منها الولد ترعد لها ... العروق»، و قبل ولوج حدود الرحم نسبة للفظ: «ترعد لها ... العروق کلها إذا خرجت وقعت فی الرحم»، و توافق بذلک اللفظ الذی جاء فی الحدیث رقم ۲۲ السالف ذکره، و هو: «إذا کان حین الولد، اضطربت العروق کلها»، و هذا التحدید فی منتهی الدقة حیث جعل الأمر المذکور (الارتعاد) بین حدثین مهمین (التخصیب- دخول الرحم)، و کل ذلک فی وقت ضیّق (حوالی یومین)، مع تقریب الحدث أکثر لجهة زمن التخصیب، لأن لفظ «إذا»- المقترن بوقوع النطفة فی الرحم- یشیر إلی مکوثها لفترة من الزمن- بعد أن ترعد عروقها- فی مکان ما یقع خارج الرحم قبل الولوج فی الرحم، بینما الارتعاد حصل لمجرد أن النطفة أصبحت مستعدة لأن یتخلق منها الولد (أی أصبحت مخصبة). ۱۴- أن کل عروق النطفة ترعد بدون استثناء نسبة للفظ: [العروق کلها]، و توافق بذلک الحدیث رقم ۲۲ السالف ذکره بدقّة متناهیة. ۱۵- أن دخول الرحم یحصل برفق، نسبة للفظ: [إذا خرجت وقعت فی الرحم]، حیث إن خروج النطفة من حدود مکان ما (قناة فالوب) أعلی مستوی سطحه من مستوی سطح مکان آخر (الرحم) أدی إلی وقوعها علی سطح الأخیر، و لیس من جراء قفزها و اندفاعها بسبب السرعة و الضغط الذی یرافقها کما أشارت إلیه الآیة القرآنیة: خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ [الطارق: ۶]، و توافق بذلک الحدیث رقم ۳۲ السالف ذکره، و انظر لهذا الغرض مبحث «هجرة النطفة من المستودع إلی الرحم». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۷۰۸ أما بالنسبة للفظ «الأعضاء» الذی ورد فی الحدیث إلی جانب کلمة «العروق» فسنعتبر أنه جاء فی الحدیث من جراء ما یسمی فی مصطلح الحدیث بالتصحیف، و التفصیل هو کما فی الحاشیة «۱».

(_____ ۱) لقد اعتدنا فی هذا العصر علی النظر إلی مقالات و کتب طبعت بواسطة آلات حدیثة. هذه الآلات تطبع بأحرف أبجدیة قد صمّمت خصیصا لهذا الغرض، و اعتنی مصمّموها بها بشکل فائق لکی ترسم الحرف الأبجدی بشکل واضح و جلی لا تحید عن رسمه قدر أنملة. غیر أن المتقدمین لم تتح لهم هذه التقانة و نسخوا کل الأحادیث بأیدیهم علی الأوراق. و کما نعلم فإن کلّا منا یتمتع بخط معیّن یختلف عن الآخر، کما أن جودة الخط تختلف من واحد إلی آخر. و أثناء النسخ تحدث أخطاء یدویة، من جراء سهو بعض الناسخین لما یکتبون، أو من جراء فهمهم بشکل خاطئ لمخطوطة أخری ... إلخ. و هذا یسمی بالتصحیف فی علم مصطلح الحدیث، و هذا ما حصل فی هذا المقام، و تعریف التصحیف- کما یفسّره لنا الشریف محمد علی الجرجانی، فی کتاب «التعریفات» (ص ۸۲، تحقیق إبراهیم الأبیاری، ط ۲/ ۱۴۱۳ ه، ۱۹۹۲ م، دار الکتاب العربی بیروت)-: «أن یقرأ الشیء علی خلاف ما أراد کاتبه، أو علی ما اصطلحوا علیه»، أو هو- کما جاء فی «فتح المغیث بشرح ألفیة الحدیث» للعراقی، (ج ۴/ ص ۵۶)، تألیف محمد بن عبد الرحمن السخاوی، تحقیق و تعلیق علی حسین علی، ط ۱، الدار السلفیة لنشر العلم بالقاهرة، ۱۴۱۵ ه- ۱۹۹۵ م): «تحویل الکلمة من الهیئة المتعارفة علیها إلی غیرها» و ینقسم التصحیف إلی عدة أنواع، منها قسمان رئیسان هما: تصحیف البصر، و تصحیف السمع. و تصحیف البصر هو کما تبین من التعریفین السابقین، أما تعریف السمع فهو- کما یظهر من تقسیم المحدثین له إلی سمعی و بصری-: أن یسمع الشیء علی خلاف ما أراد قائله. و مثال التصحیف البصری- و هو الأکثر-: أن یحیی بن سلام حدث عن سعید بن أبی عروبة عن قتادة فی قوله تعالی: سَأُرِیکُمْ دارَ الْفاسِقِینَ [الأعراف: ۱۴۵] قال مصر، و هی فی الحقیقة مصیرهم کما أکده أبو زرعة، و هذا نشأ لعدم وجود التنقیط أثناء کتابة مصیرهم. و مثال التصحیف السمعی- و هو الأقل-: حدیث لعاصم الأحول رواه بعضهم عن واصل الأحدب. («التقیید و الإیضاح» للحافظ زین الدین الحسین العراقی، ص ۲۴۲- ۲۴۳، دار الحدیث، بیروت، ۱۴۰۵ ه- ۱۹۸۴ م، و انظر «فتح المغیث»، ج ۴/ ص ۶۱- ۶۲). و فی کتابنا هذا وقع أیضا النوعان المذکوران. فأما بالنسبة للتصحیف السمعی فتمثّل بالحدیث: «صدقت، إن لک تسعة و تسعین عرقا، و له مثل ذلک، إذا کان حین الولد اضطربت العروق کلّها، لیس منها عرق إلا یسأل اللّه أن یجعل الشّبه له» [أخرجه الحکیم الترمذی ح ۲۲]. فالعلم الکونی یشیر إلی أن للإنسان اثنین و تسعین عرقا بینما ینص الحدیث علی تسعة و تسعین عرقا، و بما أن مختلف النسخ کنسخة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامیة، و نسخة مکتبة الملک فهد، و غیرها فیها تسعة و تسعون عرقا فمن المستبعد أن یکون التصحیف بصریا لأنه لو کان ذلک لاختلف متن مخطوطة عن مخطوطة أخری، کما هو شأنه فی سند الحدیث (انظر تعلیقنا علی الحدیث فی صلة الحدیث علی الإعجاز، فی قسم تخریج الحدیث فی الإعجاز العلمی، علی الحدیث رقم ۲۲).- إعجـــــــــــــاز القرآن فی مـــــــــــــا تخفیـــــــــــــه الأرحـــــــــــــام، ص: ۷۰۹

- _____ و مرد هذا التصحیف- فی اعتقادنا- إلی التباس السمع علی المستمع سواء أ کان الناسخ الأول للحدیث، أم راویا من الرواة، حیث إن رقم تسعة و تسعین جاء فی عدّة مواضع فی النصوص القرآنیة، فتبادر إلی ذهن المستمع الرقم الأخیر لألفته له، فأخذ به. و من النصوص الشرعیة التی ورد فیها الرقم تسعة و تسعون هی: ۱- إِنَّ هذا أَخِی لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعْجَةً وَ لِیَ نَعْجَةٌ واحِدَةٌ فَقالَ أَکْفِلْنِیها وَ عَزَّنِی فِی الْخِطابِ [ص: ۲۳] ۲- عن أبی هریرة رضی اللّه عنه أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «إن للّه تسعة و تسعین اسما مائة إلّا واحدا من أحصاها دخل الجنّة» [أخرجه البخاری ح ۱۱۸]. ۳- عن أبی هریرة رضی اللّه عنه عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم قال: «قال سلیمان بن داود علیهما السّلام: لأطوفنّ اللّیلة علی مائة امرأة أو تسع و تسعین کلّهنّ یأتی بفارس یجاهد فی سبیل اللّه، فقال له صاحبه إن شاء اللّه، فلم یقل إن شاء اللّه، فلم یحمل منهنّ إلّا امرأة واحدة جاءت بشقّ رجل، و الّذی نفس محمّد بیده لو قال إن شاء اللّه لجاهدوا فی سبیل اللّه فرسانا أجمعون» [أخرجه البخاری ح ۱۱۹]. و من الجدیر بالذکر أن الشرع لم یذکر رقم تسعة و تسعین للتکثیر فقط، و إنما لوقوعه کذلک، و الدلیل علی ذلک أنه وقع فی أحادیث أخری غیر ذلک من الأرقام- کما مرّ معنا فی طیات هذا الکتاب-، مثل رقم أربعین، و سبع، و ثلاثمائة و ستین ... إلخ، و بالتالی فإن الشرع ینقل الرقم الموجود فی الطبیعة، و هو فی هذه الحالة: اثنان و تسعون، و هذا ما یدل علی أن السامع خلط بین الرقم الحقیقی و الرقم الشائع فی النصوص الشرعیة. و أما بالنسبة للتصحیف البصری فتمثل بالحدیث: «النطفة التی یخلق منها الولد ترعد لها الأعضاء و العروق کلها إذا خرجت وقعت فی الرحم» [أخرجه الدیلمی ح ۲۳]. و الدلیل علی ذلک الأسباب التالیة: ۱- أن رسم الأعصاب الیدوی یتشابه إلی حدّ کبیر برسم الأعضاء حیث إن الباء تکتب مرتفعة عن السطر فی وسط ألف الأعصاب الأخیرة و لها مثل الهمزة فی أولها، و بالتالی تتشابه إلی حدّ کبیر مع الهمزة، فیتوهم الناسخ أن الأعضاء هی اللفظ المراد. ۲- أن العلم الکونی الثابت یعتبر وسیلة لمعرفة الخطأ من الصحیح، و إذا استعرضنا مختلف الأحادیث، تعارض فیما بینها، إلا إذا رجحنا أی اللفظین أصوب، و العلم الکونی یشیر إلی أن لفظ «الأعصاب» هو المراد. ۳- أن العامل النفسی یؤثّر فی نسخ المخطوطات، و قد تجلّی هنا بناحیتین: ٭ أولا: أن الارتعاد مألوف لدی عامة الناس- و خاصة لرجل حصّل قدرا قلیلا من العلم فی مجال تخلّق الجنین- أنه یحصل لسائر الأعضاء الجسدیة، و بالتالی فلن یتبادر إلی ذهن الناسخ أن الارتعاد--- المذکور فی الحدیث یحصل علی صعید التلطف، بل علی صعید جسد المرأة ککل، و بما أن الاضطراب یتصوّر حصوله لسائر الأعضاء الجسدیة عادة أکثر من حصوله لأعضاء المرأة ککل، بمعنی جهازها العصبی، فلقد تراءی له أن کلمة «أعصاب» هی «أعضاء».- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۷۱۰ -٭ _____ ثانیا: أننا نلحظ أن ما وقع من العامل النفسی للراوی فی حدیث: «تسعة و تسعین عرقا» قد وقع أیضا هنا، فإن الراوی، أو الناسخ- الذی تصحّف علیه لفظ «أعصاب» إلی «أعضاء»- کان کثیرا ما یطرق سمعه ورود کلمة «أعضاء» فی الحدیث، الذی هو مجاله، بخلاف کلمة «أعصاب». فقد وردت فی حدیث: «عن ابن عبّاس أمر النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم أن یسجد علی سبعة أعضاء، و لا یکفّ شعرا، و لا ثوبا: الجبهة، و الیدین و الرّکبتین و الرّجلین» [أخرجه البخاری ح ۱۲۰]، و حدیث: (عن أبی سعید الخدری رفعه قال: «إذا أصبح ابن آدم فإنّ الأعضاء کلّها تکفّر اللّسان فتقول: اتّق اللّه فینا، فإنّما نحن بک، فإن استقمت استقمنا، و إن اعوججت اعوججنا») [أخرجه الترمذی ح ۱۲۱]، إلی غیر ذلک. فالورود الکثیر للکلمة شجّع الراوی أنها المقصودة، و من هنا وقع التصحیف عنده. ۴- أن مختلف الأحادیث جاءت بلفظ «عرق» دون لفظ «عضو»، مما یشیر إلی أن العروق وحدها هی المقصودة، و لیس سائر الأعضاء، مما یستوجب حمل معنی الکلمة المعطوفة علی العروق، أو المقرونة بها، علی الأعصاب دون غیرها من الأعضاء، لأنها تفید نفس المعنی. ۵- أنه لا یخفی أن عطف العروق- و هی دقیقة جدا- علی الأعضاء- و هی المرئیة فی البدن لکل أحد- فیه نبوّ فی الأسلوب العربی، لأن العطف، و إن اقتضی التغایر، إلا أنه ینبغی فیه التناظر، و نظیر العروق هو الأعصاب. و هذا ما یسمی «بمراعاة النظیر» (و قد سبق تعریفه فی مبحث «مرحلة القابلیة للحیاة/ العدة»)، فکیف إذا اتفق مع ما دل علیه العلم، و ما ذکرناه آنفا من الإمکانیة الکبیرة لوقوع التصحیف فیه؟. ۶- و الجدیر بالذکر أن حدیث الطبرانی وردت فیه اللفظتان مفردتین (عرق- عصب)، علی حین أن حدیث الدیلمی وردتا فیه مجموعتین (أعضاء- عروق)، مما یدل أن المراد هو الأعصاب، لا الأعضاء؛ ورودها مع «عروق» مفردتین هناک، و ورودهما عند الدیلمی مجموعتین، فما أفرد هناک جمع هنا، و لا یتعین هذا إلا بکون الراوی صحّف الأعصاب إلی الأعضاء. فاستعنا بدلالة إفرادهما عند الطبرانی علی معرفة تصحیف الراوی لإحداهما (الأعصاب) عند الدیلمی، فتأمل فإنه ملحظ دقیق. ۷- أن الحدیث رقم ۲۲: «إن اللّه تعالی إذا أراد خلق النّسمة فجامع الرجل المرأة طار ماؤه فی کل عرق و عصب منها، فإذا کان یوم السابع جمعه اللّه تعالی ثم أحضر له کل عرق بینه و بین آدم، ثم قرأ: فِی أَیِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَکَّبَکَ [الانفطار: ۸]» [أخرجه الطبرانی ح ۲۱] یعتبر بیانا للحدیث: «النطفة التی یخلق منها الولد ترعد لها الأعضاء و العروق کلها إذا خرجت وقعت فی الرحم» [أخرجه الدیلمی ح ۲۳]، و قد ورد فیه لفظ «عصب»- علی ما تأکدنا منه-، و هو أقوی فی سنده من الحدیث الذی أخرجه الدیلمی رقم ۲۳، مما یعنی أن الأعضاء هی المرادة، و الله تعالی أعلم.--- و قبل أن نشرح لما ذا حدیث الطبرانی هو بمثابة بیان لحدیث الدیلمی ننوه إلی ما یلی: إن الحدیث ورد عند البیهقی فی «الأسماء و الصفات» بلفظ «عضو»، غیر أن الطبرانی متقدم علی البیهقی، فالطبرانی متوفی سنة ۳۶۰ ه-، بینما البیهقی متوفی سنة ۴۵۸، و بالتالی فهو أقرب إلی النبع- أی إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم- مما یعزّز الاتجاه أن البیهقی أو أحد مشایخه- رحمهم اللّه-، أو أحد ناسخی مخطوطات البیهقی وقع منهم التصحیف، و أن هذا التصحیف من النوع البصری.- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۷۱۱ - _____ أضـــف إلی ذلـــک أن لفظ «عصب» ورد عند الطبرانی فی کتبه الثلاثة: «الکبیر»، و «الأوسط» و «الصغیر» مما یعزّز احتمال أن لفظ «عصب» هو المراد لأن تعدّد المصادر بنفس اللفظ تنفی أن یکون وقع هناک خطأ. أضف إلی ذلک أن الهیثمی الذی روی زوائد الطبرانی علی الکتب الستة فی کتابه «مجمع الزوائد» أورده بهذا اللفظ، و هذا دلیل آخر یضاف إلی مجموعة الأدلة السابقة بأن لفظ «عصب» هو المراد. کذلک فإن الحدیث الذی رواه الطبرانی و البیهقی إسناده واحد، و هو: عن أنیس بن سوار عن أبیه عن مالک بن الحویرث رضی اللّه عنه الحدیث ... و من ثم اشتهر- أی روی بأکثر من سند- بعد ذلک، مما یشیر إلی أن اللفظ یجب أن یکون واحدا فقط لا غیر، لأنه ینبع من أنیس بن سوار- رحمه اللّه-. قال الطبرانی: «لا یروی عن مالک ابن الحویرث إلا بهذا الإسناد، تفرّد به ابن سوار». و بما أن الطبرانی متقدم فیرجّح لفظ الطبرانی علی لفظ البیهقی لأننا لا نستطیع أن نعتبر أن هناک ألفاظا مختلفة- أی متون مختلفة- جاءت بأسانید مختلفة، أی بمعنی آخر: أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم تلفظ بها أکثر من مرّة بأکثر من متن لأکثر من صحابی. کذلک فإن الدیلمی متأخر عن البیهقی الذی هو بدوره متأخر عن الطبرانی، فالدیلمی متوفی عام ۵۰۹ ه، مما یعنی أن الدیلمی، أو أحد مشایخه، أو ناسخ مخطوطاته قد یکون ارتکز علی مخطوطات البیهقی فی فهمه للحدیث رقم ۲۳، فرواه بلفظ «الأعضاء» موافقا بذلک جمع لفظ «عضو» الذی ورد عند البیهقی. و تفصیل موضوع البیان الذی ذکرناه آنفا هو کالتالی: کلمة «کل»: «اسم موضوع لاستغراق أفراد المنکر نحو: کُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ [آل عمران: ۱۸۵]، و المعرف المجموع نحو: وَ کُلُّهُمْ آتِیهِ یَوْمَ الْقِیامَةِ فَرْداً [مریم: ۹۵]، و أجزاء المفرد المعرف نحو: کل زید حسن». (مغنی اللبیب، لابن هشام الأنصاری، ج ۳/ ص ۸۴، تحقیق عبد اللطیف الخطیب، ط المجلس الوطنی للثقافة و الفنون و الآداب، الکویت). فإذا تقدّمت «کل» علی المفرد المنکر جعلته بمعنی الجمع، و أفادت العموم، کما فی حدیث الطبرانی رقم ۲۱. و إذا تأخرت «کل» علی الاسم الذی تستغرقه أکّدته، و إذا أراد المتکلم أن یظهر الجمع فعلیه أن یجعل الاسم المستغرق فی صیغة الجمع لأن دلالة «کل» فی الجمع تبقی مطویة، کما فی حدیث الدیلمی.--- و خلاصة القول: أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم أراد العموم مع تأکیدهما فی کلا الحدیثین: رقم ۲۱، و رقم ۲۳. و ذلک لأن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم قدّم لفظ «کل» المفیدة للعموم لاستغراق أفراد الاسم المنکر فی حدیث الطبرانی رقم ۲۱، و عند ما تقدّمت «کل» کان المعنی فی قوّة الجمع، فأفادت «کل»

العموم. أما فی الحدیث الذی رواه الدیلمی فتأخرت «کل» فأصبحت مؤکدة لما قبلها، و أصبحت دلالة ما قبلها- مع کونها أکدته- معطیة علی الجمع بسبب تأخیرها، فاحتاج اللفظ أن یأتی بصیغة الجمع لکی یفید العموم. و هکذا أصبح المفرد «عصب» یساوی العموم «أعصاب»، و استوی الحدیثان فی الدلالة، لأنه استعیض عن معنی الجمع المطوی بجمع لفظی «عصب» و «عرق» إلی لفظتی «أعصاب» و «عروق». - إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۷۱۲

- فإذا تقرّر لک ذلک أیها القارئ، فاعلم أن الحدیث الذی رواه الطبرانی رقم ۲۱ بمثابة بیان للحدیث رقم ۲۳ الذی رواه الدیلمی- کما ذکرنا سابقا- لأن کل روایة فصلت ما کان مطویا فی الأخری، مما یعنی أن المتنین مستویان فی مرادهما، و بالتالی مستویان بألفاظهما، و هذا یشیر بدوره إلی أن لفظ «عصب» المفرد فی أصله، المجموع باتصاله باسم «کل»، یقابله لفظ «أعصاب» فی حدیث الدیلمی، مما یعنی أنه وقع تصحیف بصری بإبدال کلمة «أعصاب» بکلمة «أعضاء». فائدة مهمة: و قد یتساءل القارئ لما ذا قدّمت «کل» فی حدیث الطبرانی فی حین أخرت فی حدیث الدیلمی؟ أ لیس لهذا الفعل دلالته؟ و إلی ما ذا یدل؟. - فی حدیث الطبرانی: و من المعلوم أن «فی» تفید «الظرفیة المکانیة»، و هی بالتالی تشیر إلی معنی الوحدة و الممازجة. فإذا فهمنا أن معنی کلمة «طار» فی حدیث الطبرانی: «طار ماؤه فی کل عرق و عصب» یشیر إلی الانتشار فهمنا أن عروق نطفة الرجل انتشرت بین عروق نطفة المرأة، و بالتالی أن حرف «فی» وقع موقع أداة «بین». و مرد ذلک أن المراد هنا هو إظهار أن البینة شدیدة جدا و متشابکة کثیرا إلی حد الممازجة، مع أنها لیست الممازجة، فحسن استعمال «فی» الظرفیة المستخدمة فی غیر معناها الأصلی فی هذا الموضع. فمن ناحیة فعل «طار» یدل علی شدّة الانتشار- کما مرّ معنا فی مبحث «اختلاط عروق النطفة»- و من ناحیة وظیفة «فی» تدل علی المخالطة إلی حد الممازجة مما یثبت فی ذهن السامع قوّة الانتشار. و تفید المعطیات العلمیة: «إن صبغیات الأم (أی عروق نطفة المرأة) و صبغیات الأب (أی عروق نطفته) تختلط فی «الطور الاستوائی ESAHPATEM» (الأول عملیة انقسام میتوزیة NOISIVID CITOTIM TSRIF () للبویضة المخصبة» (کتاب الإنسان النامی مع زیادات إسلامیة، د. کیث مور، ص ۳۲)، و یکون ذلک عند خط استواء البویضة. فالحاصل أن هذه العروق- بعد أن تتمدد- تتضاعف، و من ثمّ تنقبض علی نفسها لکی یتاح لها أن تعبأ فی مکان ضیّق و أن تصطفّ بشکل منتظم عند خط استواء النطفة، و من هنا ساغت الصیاغة (أی ساغ استعمال فعل «طار» و اسم «فی») التی توحی بشدّة قرب الأشیاء المختلطة. غیر أن هذه العروق لا تتداخل، و لئلا تتوهم الممازجة أتی- بلفظة «کل» الدالة علی العموم. فکانت الدلالة علی المراد دقیقة جدا، فهی انتشار لکل عروق الحیوان المنوی بین کل عروق البویضة انتشارا واسعا شاملا- کما أفاده العموم فی «کل»- و متلاصقا إلی قریب الممازجة- کما أفادته «فی» المقیدة بمعنی العموم-. و السرّ فی ذلک أنه یتوهم من إدخال «فی» أن الصبغیات (أی العروق) أصبحت شیئا واحدا، علی حین أن لفظة «کل» تفید التعمیم للجنس فردا فردا، فقیّدت دلالة «فی» بدلالة «کل»، فحصلنا علی معنی دقیق جدا لم یکتشف إلا حدیثا بدقة متناهیة. - فی حدیث الدیلمی: أخرت «کل» لغرض التأکید. فالموضوع یشیر إلی الارتعاد، أی إلی تموج و اضطراب عروق الحیوان المنوی و عروق البویضة، و تفید لنا المعطیات العلمیة أن عروق الحیوان المنوی تکون داخل غشاء منفصل عن الغشاء الذی یغلّف عروق البویضة عند ما یدخل الحیوان المنوی البویضة، أی أنهما یؤلفان مجموعتین منفصلتین، و من ثم یتفکک غشاؤهما النووی- بعد أن تقترب المجموعتان من بعضهما- إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۷۱۳ و قد علّقنا فی «قسم تخریج الأحادیث وصلتها بالإعجاز العلمی» علی هذا الأمر فی «صلة الحدیث بالإعجاز العلمی» للحدیث رقم ۲۱، و بیّنا أن اللفظ الصحیح هو لفظ «الأعصاب»، لأنه بذلک یکون قد تکلم عن نفس الشیء الذی جاء ذکره فی الحدیث و هو: «العروق»، أی عن الصبغیات التی ترعد، فانظره هناک. و هو إن کان کذلک- و لا بد أن یکون کذلک لأن المعطیات العلمیة قاطعة فی هذا المجال، و لأن لفظ الحدیث رقم ۲۱ (المتصل، المشهور، ذو الرجال الثقات) قد جاء فیه کذلک- فهو یضیف أبعادا وصفیة فی منتهی الإعجاز للعروق و هی أنها مربوطة بعضها ببعض، و ملتویة، و لیس ذلک فقط بل شدیدة الالتواء، مع العلم أنه لا یمکننا رؤیتها بأی حال من الأحوال لصغر حجمها الذی یقدّر بالأمیکرومتر (واحد علی عشرة ملیار من المتر). و نری من التحلیل السابق أن الحدیث السالف ذکره یشیر إلی عدّة إشارات علمیة ذات طابع إعجازی مبهر، و هذه الإشارات العلمیة تشکّل مجموعة متجانسة بعیدة المنال لبعید الحدس، بحیث تجعل من المستحیل التنبؤ بها مجتمعة، فالحدیث یدور عن شیء (نطفة) جد صغیرة (یبلغ حجمها حوالی ۰٫۵۵ ملم) فی مکان مظلم، و الوصول إلیه متعذّر بغیاب الثقانة لأن مدخل المهبل لا یتّسع فی الأحوال العادیة لأکثر من إصبع صغیر أن یدخله، و هو مسدود بکتلة مخاطیة، و یصف لنا حالة هذه النطفة (مخصبة)، و یصوّر لنا طبیعة حرکتها (من رخاء)، و موقع المکان الذی تجری فیه (خارج الرحم)، و أنه یقع علی مشارفه)، و یعطینا فکرة عن مدة مکوثها فی هذا المکان، و یخبرنا عن وجود أشیاء فی النطفة هی أصغر منها بآلاف المرات (الصبغیات)، بل یخبرنا أن تلک الأشیاء تتحرک، و یصف لنا طبیعة تحرک العروق (الارتعاد، أو الاضطراب)، مع العلم أن حادثة الارتعاد تحصل فی دقائق معدودة، و یحجب رؤیتها غلاف النطفة بالنسبة للناظر الذی ینظر داخل قناة فالوب، فما الحال بالنسبة للناظر الذی ینظر من خارج جسد المرأة!!!، هذا مع العلم أن وصف صورة بعضها- و تنتشر عروق کل من

- الفریقین فیما بینها، و بما أنه فی بادئ الأمر کانت العروق تؤلف مجموعتین منفصلتین فإنه لا یلزم ارتعاد أفراد مجموعة ما ارتعاد أفراد المجموعة الأخری، فجاء تأخیر «کل» للتأکید علی أن أفراد کلتا المجموعتین ترتعد، حیث إن عروق الحیوان المنوی تتمدد بعد أن تکون متراصة، بینما تستکمل عروق البویضة تمددها، و عند اختلاط المجموعتین تنقبض کل العروق بلا استثناء- فتندرج مرّة أخری تحت معنی الاضطراب الکلی. فاعتبر أیها القارئ الکریم کیف أن الصیاغة محبوکة بحکمة و دقّة. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۷۱۴ دینامیکیة، أی شیء ینتقل من مکان إلی آخر، تتغیّر صورته الداخلیة مع مرور الوقت، أصعب من وصف شیء لا یتحرک، و أعضاؤه الداخلیة جامدة، بحیث یتسنی للناظر الوقت لکی یستوعب تفاصیله، و لیس ذلک فقط بل یحدد لنا الزمان الذی تتحرک فیه تلک العروق بالشکل السالف ذکره، و یقیّده بین زمانین: بعد زمن الإخصاب، و قبل زمن دخول الرحم، مع الإشارة إلی أن وقت الارتعاد أقرب لزمن حدوث الإخصاب، و لا أظن أن أی إنسان علی الإطلاق یستطیع أن یفصح عن تلک المعلومات بهذا التفصیل الذی یفوق التصور، إلا إذا کان یؤیّده الوحی الربانی، لشدّة الدقة و الشمولیة التی فیه، و الغیب المطبق الذی یحیط بهذا الأمر بغیاب الثقانة، و فی ظل جهل مطبق أیضا کان سائدا لیس فی الجزیرة العربیة فقط بل فی العالم أجمع فی عهد الوحی و ما قبله!!!!!!. کذلک فإن الحدیث المعتبر یوافق القرآن الکریم و الأحادیث السالف ذکرها و غیرها لم نذکرها لسببین:- أولا: لکی لا نطیل علی القارئ- ثانیا: لأن التوافق بین الحدیث المعتبر و الأحادیث الأخری یحصل بواسطة طرق فقهیة غیر مباشرة کاقتضاء النص و غیرها، و هی أقل مرتبة من طریقة عبارة النص التی اعتمدناها بالغالب هنا. و المعانی التی أشرنا إلیها هنا قطعیة الدلالة لأنه لا نستطیع أن نصرفها فی غیر الأوجه التی ذکرناها و إلا لأصبحت دلالاتها عندئذ عبثیة. و بعد أن سردنا الأدلة الشافیة لموضوع «تقویة الحدیث ذی السند الضعیف جدا- و الذی یحمل فی طیّاته إعجازا علمیا نوعیا- إلی درجة الاستئناس به- کحد أدنی-» نری من الأهمیة بمکان أن نلخّص ذکر الأسباب التی تدعونا لهذا الفعل، و القرائن التی من أجلها یجب أن ترفع لها رایة التجدید الفقهی لموضوع «الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة» من جهة تقویة الأحادیث التی لنا إلیها حاجة، حتی نحکم هذا الموضوع خدمة لهذا الدین العظیم، و لکی یعتمده علماء الحدیث فیبویوا له أبوابا، و حتی یعتمده العلماء المعاصرون فی أبحاثهم الآتیة بإذن اللّٰه، و هذه الأسباب هی: ۱- أن نصوص القرآن الکریم و السنة الشریفة تدعونا لهذا الفعل. ۲- أن جهابذة العلم الفقهی و الحدیثی فی الإسلام قد ذکروا تقویة الحدیث الضعیف جدا ملیّا- بشکل مفرّق- فی کتبهم. ۳- أنه إذا کان جهابذة العلماء یقوون الحدیث الضعیف جدا الذی یرتکز علی الدعاء لمجرد تحقق وقوعه عدّة مرات- و لیس بشکل مزمن دائم- علی أیدی بعض إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۷۱۵ الرجال دون غیرهم، فمن باب أولی أن نقوی الأحادیث التی تتکلم عن حقائق مطّردة ساریة فی کل زمان، و لکل المجتمعات، و فی کل أنحاء الکرة الأرضیة. ۴- أن علم «الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة» علم جدید یجب أن یسن له قوانین مناسبة لمتطلباته. ۵- أن هناک وسیلة إضافیة- لم تکن متوفّرة من قبل هی الآن بمتناول الأیدی- تمکّن لنا معرفة صحة متن الحدیث من خطئه. ۶- أنه یعد تفریطا أن ننسی تلک الأحادیث التی تتکلم عن إشارات غیبیة إعجازیة لمجرد أنها رویت علی ألسنة الضعفاء للأسباب النفسیة و الاجتماعیة التی ذکرناها آنفا. ۷- أنه إذا کان علماء الحدیث یرجعون الحدیث الموقوف علی الصحابی- و الذی جاء فیه إخبار عن الغیب- لرسول اللّٰه صلّی اللّٰه علیه و سلّم تحت باب «الوقف القولی الحکمی» «۱»، فمن باب مرادف أن نقوی درجة صحة سند الأحادیث الضعیفة جدا التی تتکلم عن إعجاز علمی فرید. و نقول: و إن کان الوقف القولی الحکمی یرتکز علی صحة السند، غیر أنه یرتکز أیضا علی فقدان تصریح الصحابی نسبته للنبی صلّی اللّٰه علیه و سلّم و قد یکون قال هذا الخبر رضی اللّٰه عنه بناء علی فهمه لأحادیث أخری، علی سبیل التفسیر، لا علی سبیل روایة حدث قاله رسول اللّٰه صلّی اللّٰه علیه و سلّم، أضف إلی ذلک أنه قد یخطئ فی فهمه لتلک الأحادیث، مع شکه فی أنه قد یکون فعل کذلک، فیصفها بشکل خاطئ، بقدر استطاعته، لعدم تمکنه من استعادة صیغة رسول اللّٰه صلّی اللّٰه علیه و سلّم الفریدة فی ذهنه، دون نسبتها للرسول صلّی اللّٰه علیه و سلّم، کما کان یفعله سیدنا ابن مسعود- التقی، الورع، رضی اللّٰه عنه- الذی تبین لنا سابقا فی هذا البحث «۲» أنه کان لا یرفع حدیثا لرسول اللّٰه صلّی اللّٰه علیه و سلّم لم یحفظ صیاغته بدقّة، لشدة حرصه علی هذا الأمر، بینما نری أن الحدیث الضعیف جدا علی عکس ذلک، حیث إن السند یقرّ الرفع إلی رسول اللّٰه صلّی اللّٰه علیه و سلّم بینما رجل من رجال السند- أو رجال- فیهم

(۱) مقدمة فی أصول الفقه، الشیخ عبد الحق الدهلوی، ص ۳۸: فالرفع قد یکون حکما کإخبار الصحابی، الذی لم یخبر عن الکتب المتقدمة (کالتوراة و الأناجیل)، ما لا اجتهاد فیه عن الأحوال الماضیة کأخبار الأنبیاء، أو الآتیة کالملاحم (و هی الموقعة العظیمة القتل) و الفتن و أهوال یوم القیامة، أو عن ترتب ثواب مخصوص أو عقاب مخصوص علی فعل، فإنه لا سبیل إلیه إلا سماع عن النبی صلّی اللّٰه علیه و سلّم. (۲) انظر تعلیقنا لصلة الحدیث بالإعجاز العلمی للحدیث رقم ۳۲، فی «قسم تخریج الأحادیث وصلتها بالإعجاز العلمی». إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۷۱۶ طعن، و کما مرّ معنا قد یکون صدق فی هذا الموضع خاصة، أو قد یکون قد خلط فی کلامه الکاذب بعض الصدق. ۸- أنه فی بعض الحالات یروی لنا الأحادیث رجال فیهم ضعف من حفظ و ضبط للأحادیث من جراء اختلاط ذاکرتهم، أو لأسباب أخری، و لکنهم لیسوا بکذبة، و علی هذا فیمکن اکتشاف الأحادیث التی ضبطوها- دون الأحادیث التی فرطوا فیها- عبر مقابلتها بالحقائق العلمیة الثابتة، إذا کانت روایاتهم بهذا الصدد. ۹- أنه یجب علینا الحفاظ علی جمیع التراث النبوی، و عدم التفریط فی شیء منه، و لو

حمله الضعفاء، ما دام لدینا الوسائل الدقیقة فی معرفة ما ضبطوه بما یتعلق بموضوعنا هذا. و صلی اللّه علی سیدنا محمد- خیر الأنام- و الحمد للّه رب العالمین. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۷۱۷

خاتمة

خاتمة لست أدّعی الکمال فی کتابی هذا، فکل إنسان یصیب و یخطئ، فلا کمال إلّا للّه و کتابه الذی لا یَأْتِیهِ الْباطِلُ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِیلٌ مِنْ حَکِیمٍ حَمِیدٍ (۴۲) [فصلت: ۴۲]، فما کتبته من فهمی و کان حقّا فهو من اللّه، و ما کان غیر ذلک فهو منّی و من الشیطان. و قد حاولت فی هذا الکتاب أن أثیر عقل القارئ حتی یبحث عن الحق، و أفتح قلبه حتی یستنیر بالنور، و أن أبحث بموضوعیة و منهجیة مطابقة للعلم. فبینت أن الإسلام وحی من اللّه تعالی لا مدخل للبشریة فیه، و أن محمدا صلّی اللّه علیه و سلّم رسول لا ینطق إلّا بوحی من اللّه الحکیم العلیم. و أظهرت جزءا من معجزات النبی صلّی اللّه علیه و سلّم فی القرآن علی ضوء الحقائق العلمیة المعاصرة، لیؤمن من کان منکرا و یزداد إیمانا من کان به معتقدا لِیَزْدادُوا إِیماناً مَعَ إِیمانِهِمْ [الفتح: ۴]، و لیکون مشعلا و نورا للعاصین الشاردین، فأهل عصرنا لا یذعنون لشیء مثل إذعانهم للعلم، علی اختلاف أجناسهم و أدیانهم. و هذا بحث أضعه حتی یکون واحدا من المؤلّفات التی تغنی المکتبة الإسلامیة العلمیة، و تعطی حافزا للباحثین أن یکملوا الطریق العلمی و یزیدوا من ترقّی العلم و تطویره. و قصدی من بحثی هذا أن یکون علما نافعا ینفع الآخرین نفعا عمیما و أن أنتفع به فی قبری حین لا أنیس و لا سمیر، فینوّر قبری و یشفع لی یوم القیامة، یَوْمَ لا- یَنْفَعُ مالٌ وَ لا- بَنُونَ (۸۸) إِلَّا مَنْ أَتَی اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِیمٍ (۸۹) [الشعراء: ۸۸- ۸۹] فنکون به نجاتی. و أسأل المولی عزّ و جلّ أن یتقبل منی عملی، و أن یجعله خالصا لوجهه الکریم، و أن ینفع به البشریة جمعاء، و أن یغفر لی زلّاتی و یستر لی عوراتی و یختم بالصالحات أعمالی. و صلی اللّه و سلم علی سید المرسلین و الحمد للّه رب العالمین. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۷۱۸

المصادر و المراجع

اشارة

المصادر و المراجع - القرآن الکریم

کتب تفسیر القرآن:

کتب تفسیر القرآن: ۱- إرشاد العقل السلیم إلی مزایا القرآن الکریم- لأبی السعود محمد بن محمد العمادی- دار إحیاء التراث العربی، الطبعة الرابعة، بیروت ۱۹۹۴ م. ۲- أنوار التنزیل و أسرار التأویل لأبی سعید عبد اللّه أبی عمر بن محمد الشیرازی البیضاوی- دار الفکر- بیروت- ۱۹۹۶ م. ۳- بحر العلوم- لمحمد بن أحمد أبو اللیث السمرقندی- تحقیق محب الدین أبی سعید عمر بن غرمة العمری- دار الفکر- الطبعة الأولی- بیروت ۱۹۹۶ م. ۴- البحر المحیط- لمحمد بن یوسف، الشهیر (بأبی حیان الأندلسی)- دار الفکر- الطبعة الثانیة- بیروت ۱۹۸۳ م. ۵- التحریر و التنویر- لمحمد طاهر ابن عاشور- دار سحنون- تونس ۱۹۹۷ م. ۶- الجامع لأحکام القرآن- لأبی عبد اللّه محمد بن أحمد الأنصاری القرطبی- دار إحیاء التراث العربی- الطبعة الثانیة- ۱۹۸۵ م. ۷- جامع البیان فی تفسیر القرآن- لأبی جعفر محمد بن جریر الطبری- دار المعرفة- بیروت- ۱۹۸۶ م. ۸- حاشیة الصاوی علی تفسیر الجلالین- لأحمد الصاوی المالکی- دار إحیاء التراث العربی- بیروت. ۹- الدر المنثور فی التفسیر بالمأثور- لجلال الدین عبد الرحمن بن أبی بکر السیوطی- دار المعرفة- بیروت- المصورة عن الطبعة المیمنیّة- مصر- سنة ۱۳۱۴ هجریة. ۱۰- روح المعانی فی تفسیر القرآن و السبع المثانی- لأبی الفضل شهاب الدین السید محمود الألوسی- دار إحیاء التراث العربی- الطبعة الرابعة- بیروت ۱۹۸۵ م. ۱۱- تفسیر روح البیان للبروسوی. ۱۲- زاد المسیر فی علم التفسیر- لأبی فرج جمال الدین عبد الرحمن بن علی بن محمود الجوزی- المکتب الإسلامی- الطبعة الثالثة- بیروت ۱۹۸۴ م. ۱۳- صفوة التفاسیر- لمحمد علی الصابونی- دار القرآن الکریم- الطبعة الأولی- بیروت ۱۹۸۰ م. ۱۴- فتح القدیر- لمحمد بن علی بن محمد الشوکانی- دار المعرفة- بیروت. ۱۵- تفسیر القرآن العظیم- لعماد الدین أبی الفداء إسماعیل بن کثیر- دار إحیاء التراث العربی- سوریا ۱۹۶۹ م. ۱۶- الکشاف عن حقائق التنزیل و عیون الأقاویل فی وجوه التأویل- لأبی القاسم جار اللّه محمود بن عمر الزمخشری- دار المعرفة- بیروت. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۷۱۹ ۱۷- محاسن التأویل- لمحمد جمال الدین القاسمی- تحقیق محمد فؤاد عبد الباقی- مؤسسة التاریخ العربی- الطبعة الأولی- بیروت ۱۹۹۴ م. ۱۸- مدارک التنزیل و حقائق التأویل- لأبی البرکات عبد اللّه النسفی- دار الفکر- بیروت. ۱۹- مفاتیح الغیب- المسمی التفسیر الکبیر- لمحمد بن عمر بن الحسین بن الحسن بن علی البکری الرازی- دار إحیاء التراث العربی- الطبعة الأولی- بیروت ۱۹۹۵ م. ۲۰- نظم الدرر فی تناسب الآیات و السور- لبرهان الدین أبی الحسن إبراهیم بن عمر البقاعی- دائرة المعارف العثمانیة- الطبعة الأولی- اسطنبول.

کتب علوم القرآن:

کتب علوم القرآن: ۱- الإتقان للإمام جلال الدین السیوطی الشافعی، دار الفکر، الطبعة الأولی. ۲- البرهان فی علوم القرآن للزرکشی، تحقیق د. محمد أبو الفضل إبراهیم، الطبعة الثالثة، دار الفکر.

کتب علوم الحدیث:

کتب علوم الحدیث: ۱- تدریب الراوی لجلال الدین السیوطی، تحقیق د. أحمد عمر هاشم، دار الکتاب العربی، بیروت. ۲- تیسیر مصطلح الحدیث، للدکتور محمود طحان، نشر و توزیع مکتبة دار التراث- الکویت- ط ۶، ۱۴۰۴ هجریة ۱۹۸۴ م. ۳- لمحات من تاریخ السنة و علوم الحدیث، عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الرابعة ۱۴۱۷ ه، مکتب المطبوعات الإسلامیة بحلب. ۴- مقدمة فی أصول الحدیث، للمحدث الجلیل الشیخ عبد الحق الدهلوی، المتوفی سنة ۱۰۵۲ هجریة، تقدیم و تعلیق سلمان الحسین النّدوی، دار البشائر الإسلامیة، الطبعة الثانیة ۱۹۸۶ میلادیة.

کتب تخریج الحدیث:

کتب تخریج الحدیث: ۱- أحوال الرّجال، لأبی إسحاق إبراهیم بن یعقوب الجوزجانی، تحقیق السیّد صبحی السامرّائی، مؤسسة الرسالة- بیروت- ط ۱ ۱۴۰۵ هجریة- ۱۹۸۵ م. ۲- إسعاف المبطأ برجال الموطّأ، للسیوطی- آخر کتاب تنویر الحوالک له.- ۳- البدایة و النهایة، للإمام أبی الفداء إسماعیل بن عمر بن کثیر، الناشر: مکتبة المعارف- بیروت- طبعة مصورة عن الطبعة المصریة. ۴- بشارة المؤمن بتصحیح حدیث «اتّقوا فراسة المؤمن»، لمحمود سعید ممدوح، ط ۱. ۱۴۱۶ هجریة، ۱۹۹۵ م. ۵- تاریخ مدینة دمشق لابن عساکر، دار الفکر- بیروت-. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۷۲۰ ۶- تذکرة الحفّاظ، لشمس الدین محمد بن أحمد الذهبی، تصحیح عبد الرحمن ابن یحیی المعلّمی، طبعة دار إحیاء التراث العربی- بیروت- المصوّرة عن دائرة المعارف العثمانیة بحیدرآباد- الهند- سنة ۱۳۷۷ هجریة. ۷- التذکرة بمعرفة رجال الکتب العشرة، لأبی المحاسن محمد بن علی العلوی الحسینی- تحقیق د. رفعت فوزی عبد المطّلب، الناشر مکتبة الخانجی بالقاهرة ط ۱. ۱۴۱۸ هجریة- ۱۹۹۷ م. ۸- تراجم رجال الدارقطنی فی سننه، للشیخ مقبل الوادعی، الطبعة الأولی ۱۴۲۰ هجریة، الناشر: دار الآثار- صنعاء-، توزیع مؤسسة الریان بیروت-. ۹- الترغیب و الترهیب، لعبد العظیم بن عبد القویّ المنذری، مطبعة محمد صبیح- میدان الأزهر بمصر- سنة ۱۳۵۲ هجریة [أو الطبعة التی حققها محمد عمارة، تصویر دار الفکر- بیروت- سنة ۱۴۰۱ هجریة- ۱۹۸۱ م]. - و النسخة التی حققها محی الدین مستو، و سمیر العطار، و یوسف بدیوی، الطبعة الثالثة ۱۴۲۰ هجریة، دار ابن کثیر دمشق- بیروت-. - و النسخة التی حققها الشیخ الألبانی من ضعیف الترغیب و الترهیب، الطبعة الأولی ۱۴۲۱ هجریة، مکتبة المعارف الریاض-. ۱۰- تغلیق التعلیق علی صحیح البخاری، لابن حجر العسقلانی، تحقیق سعید القزعی، الطبعة الأولی ۱۴۰۵ هجریة، المکتب الإسلامی- بیروت- و دار عمّار- الأردن-. ۱۱- تقریب التهذیب، لأحمد بن حجر العسقلانی، تحقیق محمد عوّامة، طبعة دار القلم- دمشق- ط ۳. ۱۴۱۱ هجریة- ۱۹۹۱ م. - تقریب التهذیب، لأحمد بن حجر العسقلانی، و معه حاشیتا عبد اللّه بن سالم البصری و محمد أمین میرغنی، تحقیق محمد عوّامة، الطبعة الأولی لدار ابن حزم- بیروت- سنة ۱۴۲۰ هجریة- ۱۹۹۹ م. ۱۲- التلخیص الحبیر فی تخریج أحادیث الرافعیّ الکبیر، لأحمد بن حجر العسقلانی، تحقیق عبد اللّه هاشم الیمانی المدنی، طبعة دار المعرفة- بیروت- المصورة عن الطبعة المصریة سنة ۱۳۸۴ هجریة. ۱۳- تلخیص العلل المتناهیة لابن الجوزی، لمحمد بن أحمد الذهبی، تحقیق یاسر بن إبراهیم بن محمد، مکتبة الرشد- الریاض- شرکة الریاض- الریاض- ط ۱. ۱۴۱۹ هجریة- ۱۹۹۸ م. ۱۴- تنزیه الشّریعة المرفوعة عن الأخبار الشّنیعة الموضوعة، لأبی الحسن علی بن محمد بن عراق الکنانی، تحقیق عبد الوهاب عبد اللطیف و عبد اللّه محمد الصّدّیق الغماری، ط ۲. ۱۴۰۱ هجریة- ۱۹۸۱ م دار الکتب العلمیة- بیروت- المصورة عن الطبعة المصریة. ۱۵- تنقیح التحقیق فی أحادیث التعلیق، لمحمد بن أحمد بن عبد الهادی، تحقیق د. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۷۲۱ عامر حسن صبری، المکتبة الحدیثة، الإمارات العربیة المتحدة، ط ۱. ۱۴۰۹ هجریة- ۱۹۸۹ م. ۱۶- تهذیب التهذیب، لأحمد بن حجر العسقلانی، طبعة دار صادر- بیروت- المصورة عن الطبعة الأولی لدائرة المعارف النظامیة- الهند- سنة ۱۳۲۵ هجریة. ۱۷- تهذیب سنن أبی داود، لمحمد بن أبی بکر الزّرعی (المعروف بابن القیّم)- و معه مختصر سنن أبی داود للحافظ المنذری، و معالم التنزیل للخطّابی- تحقیق محمد حامد الفقی، و أحمد محمد شاکر، تصویر دار المعرفة- بیروت- عن مطبعة السّنّة المحمدیة- القاهرة- سنة ۱۳۶۹ هجریة. ۱۸- تهذیب الکمال، لأبی الحجّاج یوسف بن عبد الرحمن المزّی، تحقیق د. بشّار عوّاد معروف، مؤسسة الرسالة- بیروت- ط ۱. ۱۴۱۳ هجریة- ۱۹۹۲ م. ۱۹- التیسیر بشرح الجامع الصغیر، للمناوی، الطبعة الثالثة ۱۴۰۸ هجریة، مکتبة الإمام الشافعی- الریاض. ۲۰- جامع الأحادیث و المراسیل (الجامع الکبیر و الصغیر و زوائده)- لجلال الدین عبد الرحمن السیوطی- دار الفکر- بیروت- ۱۹۹۴ م. ۲۱- ذکر أخبار أصبهان، للحافظ أبی نعیم أحمد بن عبد اللّه الأصبهانی، الطبعة

الثانية ۱۴۰۵ هجرية، الدار العلمية- دلهى- الهند. ۲۲- ذكر من اختلف العلماء و نقّاد الحديث فيه، لأبى حفص عمر بن شاهين، اعتناء حمّاد الأنصارى، كتب هوامشه عبد البارى بن حمّاد الأنصارى. مكتبة أضواء السّلف، ط ۱. ۱۴۱۹ هجرية- ۱۹۹۹ م. ۲۳- زوائد الأجزاء المنثورة على الكتب السّتة المشهورة، لعبد السلام علّوش، المكتب الإسلامى- بيروت- ط ۱. ۱۴۱۶ هجرية- ۱۹۹۵ م. ۲۴- سنن ابن ماجة، لأبى عبد اللّه محمد بن يزيد بن ماجة القزوينى، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، تصوير دار الكتب العلمية- بيروت- عن الطبعة المصرية. ۲۵- سنن أبى داود، لسليمان بن الأشعث السجستانى، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، طبعة دار إحياء التراث العربى- بيروت- المصورة عن الطبعة المصريّة. ۲۶- سنن البيهقى، لأحمد بن الحسين البيهقى- و معه الجوهر النّقى، لعلاء الدين ابن التركمانى- طبعة دار المعرفة- بيروت- ۱۴۱۳ هجرية- ۱۹۹۲ م. المصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية- الهند- سنة ۱۳۵۵ هجرية. ۲۷- سنن الترمذى، لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى، تحقيق و شرح أحمد محمد شاكر (۱- ۲)، و تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى (۳)، و تحقيق إبراهيم عطوة عوض (۴- ۵)، طبعة دار إحياء التراث العربى- بيروت- المصورة عن الطبعة المصرية. ۲۸- سنن الدارقطنى، لعلى بن عمر الدارقطنى، تحقيق السيد عبد اللّه هاشم اليمانى إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۷۲۲ المدنى، طبعة دار المحاسن- القاهرة- سنة ۱۳۸۶ هجرية- ۱۹۶۶ م، و طبعة دار المعرفة، تحقيق السيد عبد اللّه هاشم اليمانى، بيروت، ۱۹۶۶ م. ۲۹- سنن الدارمى، لأبى محمد عبد اللّه بن عبد الرحمن الدارمى، بعناية محمد أحمد دهمان، الناشر دار إحياء السّنة النبوية، طبعة دار الكتب العلمية- بيروت- المصوّرة. أو مصورة دار الفكر- بيروت- ۱۳۹۸ هجرية- ۱۹۷۸ م. ۳۰- سنن النّسائى، لأحمد بن شعيب النّسائى، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى، و حاشية الإمام السّندى، اعتناء الشيخ عبد الفتاح أبو غدّة، دار البشائر الإسلامية- بيروت- ط ۳. ۱۴۱۴ هجرية- ۱۹۹۴ م. الناشر مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب. ۳۱- سير أعلام النّبلاء، لمحمد بن أحمد الذهبى، أشرف على تحقيقه الشيخ شعيب الأرناءوط، مؤسسة الرسالة- بيروت- ط ۱۱ ۱۴۱۷ هجرية- ۱۹۹۶ م. ۳۲- شرح السنة، للإمام الحسين بن مسعود البغوى، تحقيق شعيب الأرناءوط و زهير الشاويش، الطبعة الثانية ۱۴۰۳ هجرية، المكتب الإسلامى- بيروت-. ۳۳- شرح سنن ابن ماجة، للحافظ علاء الدين مغلطاى بن قليج. تحقيق كامل عويضة، الطبعة الثانية ۱۴۲۰ هجرية، مكتبة نزار الباز- السعودية-. ۳۴- شعب الإيمان، للإمام البيهقى، تحقيق محمد بسيونى زغلول- طبعة دار الكتب العلمية. ۳۵- صحيح البخارى، لمحمد بن إسماعيل البخارى، و معه فتح البارى بشرح صحيح البخارى لأحمد بن حجر العسقلانى- رقّم كتبه و أبوابه و أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقى، تصوير دار المعرفة- بيروت-. ۳۶- صحيح الترغيب و الترهيب، لمحمد ناصر الدين الألبانى، المكتب الإسلامى- بيروت- ط ۲. ۱۴۰۶ هجرية- ۱۹۸۶ م. ۳۷- صحيح مسلم، لأبى الحسين مسلم بن الحجّاج القشيرى، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، طبعة دار الفكر- بيروت- ۱۴۰۳ هجرية- ۱۹۸۳ م المصورة عن الطبعة المصرية. ۳۸- الطبقات الكبرى، دار الكتب العلمية، ۱۹۹۷ م. ۳۹- العظمة، لأبى الشيخ الأصبهانى أبى محمد عبد اللّه بن محمد بن جعفر بن حيّان، دراسة و تحقيق رضاء اللّه بن محمد إدريس المباركفورى. دار العاصمة- الرياض- النشرة الأولى ۱۴۱۱ هجرية. ۴۰- غريب الحديث- لأبى الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على ابن الجوزى- تحقيق عبد المعطى أمين قلعجى- دار الكتب العلمية- الطبعة الأولى- ۱۹۸۵ م. ۴۱- الفتح الرّبّانى لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى، مع شرحه بلوغ الأمانى، لأحمد عبد الرحمن البنّا السّهير بالساعاتى، طبعة دار إحياء التراث العربى- بيروت- المصورة عن الطبعة المصرية. إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۷۲۳ ۴۲- الفتح الكبير فى ضم الزيادة إلى الجامع الصغير- يوسف النبهانى- دار الكتاب العربى- بيروت. ۴۳- الكاشف فى معرفة من له رواية فى الكتب السّتة، لمحمد بن أحمد الذهبى، و معه حاشية برهان الدين سبط بن العجمى الحلبى، تحقيق الشيخ محمد عوّامة، خرّج نصوصهما أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة- جدّة- و مؤسسة علوم القرآن- جدّة- ط ۱. ۱۴۱۳ هجرية- ۱۹۹۲ م. ۴۴- كشف الخفاء و مزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لإسماعيل بن محمد العجلونى، الناشر: مؤسسة مناهل العرفان- بيروت-، توزيع مكتبة الغزالى- دمشق-. ۴۵- كنز العمال فى سنن الأقوال و الأفعال، لعلاء الدين على المتقى بن حسام الدين الهندى، تحقيق بكرى حيانى، و صفوة السقا، طبعة مؤسسة الرسالة- بيروت- ۱۴۰۹ هجرية، و طبعة دار الفكر. ۴۶- مجمع الزّوائد و منبع الفوائد، لنور الدين على بن أبى بكر الهيثمى، دار الكتاب العربى- بيروت- ط ۳. ۱۴۰۲ هجرية- ۱۹۸۲ م مصورة عن الطبعة المصرية. ۴۷- المداوى لعلل الجامع الصغير و شرحى المناوى، لأبى الفيض أحمد بن محمد ابن الصّدّيق الغمارى، تحقيق مصطفى صبرى، دار الكتبى- مصر- ط ۱. ۴۸- المرض و الكفارات لابن أبى الدنيا، تحقيق يوسف بديوى و محمد منير جلال، دار ابن كثير- دمشق- ۱۹۹۲ م. ۴۹- المستدرك على الصحيحين، للإمام الحاكم، أبى عبد اللّه محمد بن عبد اللّه النيسابورى، و بذيله تلخيص المستدرك، للحافظ الذهبى. الناشر: دار الكتاب العربى- بيروت- مصور عن طبعة الهند. ۵۰- مسند أبى يعلى الموصلى، أحمد بن على بن المثنّى التميمى، تحقيق حسين سليم أسد. طبعة دار الثقافة العربية- دمشق- بيروت- ط ۱. ۱۴۱۳ هجرية- ۱۹۹۲ م. ۵۱- * مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، طبعة دار الفكر- بيروت- المصورة عن الطبعة الميمنيّة بمصر سنة ۱۳۱۳ هجرية. * مسند الإمام أحمد بشرح و تحقيق أحمد محمد شاكر، طبعة مكتبة التراث الإسلامى، القاهرة- مصر- الناشر دار الجيل- بيروت-. * مسند الإمام أحمد، طبعة مؤسسة الرسالة، الأولى، بإشراف الشيخ شعيب الأرناءوط. ۵۲- مسند الفردوس، للديلمى، دار الكتب العلمية، تحقيق بسيونى زغلول، بيروت. ۵۳- مصباح الزجاجة فى زوائد ابن ماجة لشهاب أحمد بن أبى بكر البوصيرى، تحقيق و تعليق موسى محمد على و الدكتور عزّت على عطية، الموزع: دار الكتب الحديثة، مطبعة حسان، مصر. إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۷۲۴ ۵۴- المصنف لابن أبى شيبة، طبعة دار الفكر. ۵۵- المصنف للحافظ الكبير أبى بكر عبد الرزاق بن همام الصنعانى، ط ۲، توزيع المكتب الإسلامى. ۵۶- معالم السّنن، لأبى سليمان حمد بن محمد الخطّابى، تحقيق محمد حامد الفقى، و أحمد محمد شاكر- ينظر تهذيب سنن أبى داود-. ۵۷- المعجم الأوسط، لأبى القاسم سليمان بن أحمد اللخمى الطّبرانى، تحقيق د. محمود الطّحّان، مكتبة المعارف- الرياض- ط ۱. ۱۴۰۵ هجرية- ۱۹۸۵ م. ۵۸- المعجم الصغير للطبرانى، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، طبعة دار الفكر- بيروت- ۱۴۰۱ هجرية- ۱۹۸۱ م. المصورة عن الطبعة المصرية. ۵۹- المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، لمحمد بن عبد الرحمن السّخاوى، تحقيق عبد اللّه محمد الصّدّيق الغمارى، دار الكتب العلمية- بيروت- ط ۱. ۱۴۰۷ هجرية- ۱۹۸۷ م. ۶۰- مقدمة صحيح مسلم- ينظر صحيح مسلم-. ۶۱- الموطّأ للإمام مالك بن أنس، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، طبعة دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابى الحلبى- مصر-. ۶۲- ميزان الاعتدال، لمحمد بن أحمد الذهبى، تحقيق على محمد البجاوى، طبعة دار المعرفة- بيروت- المصورة عن الطبعة المصرية. ۶۳- * نصب الرّاية، لأبى محمد عبد اللّه بن يوسف الزّيلعى، طبعة دار إحياء التراث العربى- بيروت- ط ۳ ۱۴۰۷ هجرية- ۱۹۸۷ م، المصورة عن الطبعة المصرية، دار المأمون سنة ۱۳۵۷ هجرية (و الهندية) سنة ۱۳۰۱ هجرية. * نصب الراية، بتصحيح الشيخ محمد عوّامة. مؤسسة الرّيان- بيروت، دار القبلة- السعودية، المكتبة المكيّة- السعودية- ط ۱. ۱۴۱۸ هجرية- ۱۹۹۷ م. ۶۴- نظم المتناثر من الحديث المتواتر، لمحمد بن جعفر الكتّانى، دار الكتب العلمية- بيروت- ط ۷. ۱۴۰۲ هجرية- ۱۹۸۷ م. ۶۵- نوادر الأصول، لمحمد بن على، الحكيم الترمذى، طبعة دار صادر- بيروت- المصوّرة. ۶۶- الهداية فى تخريج أحاديث البداية، لأحمد بن محمد بن الصّدّيق الغمارى، عالم الكتب- بيروت- ط ۱. ۱۴۰۷ هجرية- ۱۹۸۷ م. ۶۷- اليوم و الليلة، للإمام أبى بكر ابن السّنّى أحمد بن محمد، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، الطبعة الأولى ۱۳۸۹ هجرية، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة- دار الطباعة المحمّدية بالأزهر.

كتب تفسير الحديث:

كتب تفسير الحديث: ۱- تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى- لأبى العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۷۲۵ المباركفورى- تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، و عبد الرحمن محمد عثمان دار الفكر- بيروت (للتخريج)، و طبعة دار الفكر- ۱۹۹۵ م (للشرح). ۲- التمهيد لما فى الموطّأ من المعانى و الأسانيد، لأبى عمر يوسف بن عبد اللّه بن محمد ابن عبد البرّ النّمرى القرطبى، تحقيق جماعة من علماء المغرب، طبعة المغرب، سنة ۱۳۸۷ هجرية- ۱۹۶۷ م. ۳- تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى- دار الكتب العلمية- بيروت (للشرح)، و طبعة دار الندوة الجديدة- بيروت- المصورة عن الطبعة المصرية (للتخريج). ۴- جامع الأصول من أحاديث الرسول، لمجد الدين أبى السعادات المبارك ابن محمد الجزرى (المعروف بابن الأثير)- تحقيق عبد القادر الأرناءوط، مكتبة الحلوانى. مطبعة الملّاح. مكتبة دار البيان- دمشق- طبعة سنة ۱۳۸۹ هجرية- ۱۹۶۹ م (للتخريج)، و طبعة دار الفكر- الطبعة الثانية- ۱۹۸۳ م (للشرح). ۵- جامع العلوم و الحكم، لأبى الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلى، تحقيق شعيب الأرناءوط و إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة- بيروت- ط ۷. ۱۴۱۷ هجرية- ۱۹۹۷ م. ۶- حاشية السندى على سنن ابن ماجة- لأبى الحسن محمد بن عبد الهادى المعروف بالسندى- المطبعة العلمية ۱۳۱۳ هجرية، مصر. ۷- شرح سنن النسائى- لجلال الدين السيوطى و حاشية السندى- المطبعة المصرية بالأزهر (للشرح)، و (للتخريج: شرح سنن النسائى للسندى)، و شرح سنن النسائى للسيوطى، ينظر سنن النسائى فى كتب تخريج الحديث). ۸- شرح النووى على صحيح مسلم- تحقيق حازم محمد، عماد عامر- دار أبى حيان- الطبعة الأولى- الإمارات- ۱۹۹۵ م. ۹- عمدة القارى شرح صحيح البخارى- لبدر الدين محمد عبد الرحمن بن أحمد العينى- دار الفكر- بيروت. ۱۰- عون المعبود شرح سنن أبى داود مع شرح الحافظ ابن القيم الجوزية- لأبى الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادى- تحقيق عبد الرحمن عثمان- دار الفكر- بيروت. ۱۱- فتح البارى بشرح صحيح البخارى، لأحمد بن حجر العسقلانى- تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، و محب الدين الخطيب- دار المعرفة- بيروت (للشرح)، و (للتخريج: ينظر صحيح البخارى فى كتب تخريج الحديث). ۱۲- فيض القدير شرح الجامع الصغير لجلال الدين السيوطى- لمحمد عبد الرءوف المناوى- تصوير دار الفكر- بيروت- عن الطبعة المصرية- سنة ۱۳۵۷ هجرية. ۱۳- معالم السنن- لأبى سليمان حمد بن حمد الخطابى و تحقيق محمد حامد الفقى، و أحمد محمد شاكر- ينظر (تهذيب سنن أبى داود فى كتب تخريج الأحاديث). إعجاز القرآن فى ما تخفيه الأرحام، ص: ۷۲۶ ۱۴- المنتقى شرح موطأ الإمام مالك- لأبى الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب ابن وارث الباجى- دار الكتاب العربى- الطبعة الرابعة- بيروت- ۱۹۸۴ م.

كتب الفقه:

كتب الفقه: ۱- بداية المجتهد و نهاية المقتصد، لمحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبى، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.

کتب أصول الفقه:

کتب أصول الفقه: ۱- أصول الفقه الإسلامی للسنة الرابعة، کلیة الحقوق، جامعة دمشق، الدکتور إبراهیم السلقینی. ۲- المستصفی فی علم الأصول، للإمام أبی حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالی، دار الکتب العلمیة، بیروت- لبنان.

کتب اللغة العربیة:

کتب اللغة العربیة: ۱- الأشباه و النظائر للسیوطی، دار الکتاب العربی، ط ۳، ۱۴۱۷ هجریة. ۲- الأصول شرح تلخیص مفتاح العلوم، لإبراهیم بن محمد بن عربشاه العصام الحنفی، تحقیق د. عبد الحمید هنداوی، طبعة دار الکتب العلمیة، ط ۱، ۱۴۲۲ هجریة. ۳- الیدور الزاهرة فی القراءات العشر المتواترة لعبد الفتاح القاضی ط ۱، ۱۴۰۱ ه، دار الکتاب العربی، بیروت- لبنان. ۴- بغیة الإیضاح لتلخیص المفتاح فی علوم البلاغة، لعبد المتعال الصعیدی، مکتبة الآداب و مطبعتها بالجمامیز و المطبعة النموذجیة. ۵- تاج العروس للإمام اللغوی محب الدین أبی الفیض السید محمد مرتضی الحسینی الواسطی الزبیدی الحنفی- تحقیق علی شیری- دار الفکر- بیروت- ۱۹۹۴ م. ۶- تهذیب اللغة، لأبی منصور محمد بن أحمد الأزهری، دار إحیاء التراث العربی، ط ۱، ۲۰۰۱ م. ۷- الجنی الدانی فی حروف المعانی، للمرادی، طبعة دار الکتب العلمیة. ۸- رصف المبانی فی شرح حروف المعانی، للمالقی، تحقیق أحمد الخراط. ۹- شرح ابن عقیل علی ألفیة ابن مالک- لبهاء الدین عبد الله العقیلی الهمدانی- تحقیق محمد محی الدین عبد الحمید- المکتبة العصریة- بیروت- ۱۹۸۸ م. ۱۰- شرح الرضی لکافیة ابن الحاجب، تحقیق الدکتور یحیی بشیر مصری، ط ۱، جامعة الإمام، الریاض، ۱۴۱۷ هجریة. ۱۱- الصحاح، تاج اللغة و صحاح العربیة، لإسماعیل بن حماد الجوهری، تحقیق أحمد عبد الغفور عطار- دار العلم للملایین، الطبعة الأولی ۱۹۸۷ م. ۱۲- عروس الأفراح فی شرح تلخیص المفتاح، لبهاء الدین أبی حامد أحمد بن علی بن عبد الکافی السبکی، تحقیق الدکتور خلیل إبراهیم خلیل، ط ۱، دار الکتب العلمیة. إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۷۲۷ ۱۳- فصول فی فقه العربیة، للدکتور رمضان عبد التواب، مکتبة الخانجی، القاهرة، ط ۶، ۱۴۲۰ هجریة. ۱۴- القاموس المحیط- مجد الدین محمد بن یعقوب الفیروزآبادی- مؤسسة الرسالة- الطبعة الأولی- بیروت- ۱۹۸۶ م. ۱۵- قطر الندی وبل الصدی للإمام جمال الدین عبد الله بن یوسف بن هشام الأنصاری، تحقیق إمیل یعقوب، دار الکتب العلمیة، بیروت، ط ۲، ۲۰۰۰ م. ۱۶- لسان العرب لأبی الفضل جمال الدین محمد بن مکرم بن منظور الإفریقی المصری- دار إحیاء التراث العربی- الطبعة الثالثة- بیروت- ۱۹۹۳ م. ۱۷- المطول شرح تلخیص مفتاح العلوم، لسعد الدین مسعود، ابن عمر التفتازانی، تحقیق الدکتور عبد الحمید هنداوی، ط ۱، دار الکتب العلمیة، ۱۴۲۲ هجریة. ۱۸- معجم البلدان لشهاب الدین أبی عبد الله یاقوت بن عبد الله الحموی- دار صادر- بیروت- ۱۹۷۷ م. ۱۹- معجم القواعد النحویة عبد الغنی الدقر، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانیة- ۱۹۹۲ م. ۲۰- معجم متن اللغة، للعلامة اللغوی الشیخ أحمد رضا، دار مکتبة الحیاة، بیروت، ۱۹۵۸ م. ۲۱- معجم مقاییس اللغة: لأبی الحسین أحمد بن فارس بن زکریا- تحقیق: عبد السلام هارون، دار الفکر. ۲۲- المعجم الوسیط، إخراج د. إبراهیم أنیس، د. عبد الحلیم منتصر، عطیة الصوالحی، محمد خلف الله أحمد. ۲۳- نظرات فی البیان، تألیف الدکتور محمد عبد الرحمن نجم الدین الکردی، ط ۳، مطبعة السعادة، ۱۴۰۶ هجریة، ۱۹۸۶ م، مصر.

کتب متفرقة:

المصادر العربیة:

المصادر العربیة: ۱- إعجاز آیات القرآن فی بیان خلق الإنسان، الدکتور محمد قیاض، ط ۱، دار الشروق، القاهرة. ۲- الإعجاز العلمی فی السنة النبویة، الدکتور زغلول النجار، طبعة ثالثة، دار النهضة للطباعة و النشر و التوزیع- مصر، ۲۰۰۲ م. ۳- الإنسان، الدکتور تاج الدین محمود الجاعونی، الجزء الأول، ط ۱، دار عمار، عمان- الأردن. ۴- الآیات العجاب فی رحلة الإنجاب، للدکتور حامد أحمد حامد، دار القلم- دمشق- ط ۱، ۱۹۹۶ م. ۵- البرهان الکاشف عن إعجاز القرآن لکمال الدین عبد الواحد بن عبد الکریم إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۷۲۸ الزملکانی- تحقیق خدیجة الحدیثی و أحمد مطلوب- مطبعة العانی- الطبعة الأولی بغداد- ۱۹۷۴ م. ۶- التارات السبع؛ من الطین إلی الجنین، أطوار الخلق فی القرآن و السنة المطهرة، د. محمد علی البار، الندوة العالمیة للشباب الإسلامی، ۱۴۲۰ هجریة- الریاض- المملکة العربیة السعودیة. ۷- تاریخ النقد الأدبی عند العرب، للأستاذ طه أحمد إبراهیم، بدون ذکر طبعة و تاریخ و دار نشر. ۸- تحفة المرید شرح جوهرة التوحید للشیخ إبراهیم بن محمد بن أحمد الشافعی البیجوری، دار الکتب العلمیة، الطبعة الأولی، بیروت- لبنان. ۹- تشجیع الأمهات علی الإرضاع الطبیعی (طبعة منقّحة، و مزیدة)، للدکتورة فیلیستی سفیح کینغ، میدتو للنشر، نیقوسیا، قبرص، ۱۹۹۱ م. ۱۰- خلق الإنسان بین الطب و القرآن، للدکتور محمد علی البار، الدار السعودیة للنشر و التوزیع- جدة- ط ۱۰، ۱۹۹۵ م. ۱۱- دراسة فی السیرة، للدکتور عماد الدین خلیل، مؤسسة الرسالة، دار النفائس- بیروت- ط ۵، ۱۹۸۱ م. ۱۲- رحلة الإیمان فی جسم الإنسان، للدکتور حامد أحمد حامد، دار القلم- دمشق- ط ۱، ۱۹۹۶ م. ۱۳- الرضاعة الطبیعیة، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، للدکتور علی التنیر، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، مطابع کویت تایمز- الکویت- ط ۱، ۱۹۸۲ م. ۱۴- الرضاعة و الفطام فی الطب و القرآن، د. محمد کمال عبد العزیز، الدار العربیة للنشر و التوزیع، ط ۱، مصر- ۱۹۹۸ م. ۱۵- السیرة النبویة فی ضوء القرآن و السنّة، الدکتور محمد بن محمد أبو شهبة، ج ۱، دار القلم- دمشق ۱۹۹۹ م. ۱۶- الطب الإسلامی بین العقیدة و الإبداع، للمختار سالم، مؤسسة المعارف- بیروت- ۱۹۸۸ م. ۱۷- الطب محراب الإیمان، للدکتور خالص جلبی، مؤسسة الرسالة- بیروت- ط ۳، ۱۹۸۴ م. ۱۸- علم الأجنة فی ضوء القرآن و السنة، المجلس الأعلی العلمی للمساجد، هیئة الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، مطابع رابطة العالم الإسلامی- مکة المکرمة- ۱۹۸۷ م. ۱۹- القرار المکین، الدکتور مأمون الشقفة، دار حسان (الریاض- المملکة العربیة السعودیة)، دار الآداب (الشارقة، الامارات العربیة المتحدة)، ط ۲، ۱۹۸۷ م. ۲۰- مجلة الإعجاز العلمی الصادرة عن هیئة الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة- رابطة إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: ۷۲۹ العالم الإسلامی- مکة المکرمة، الأعداد: الأول و الرابع و العاشر، و الثانی عشر، و الثالث عشر، ۱۹۹۵- ۲۰۰۲ م. ۲۱- مختصر الجامع فی السیرة النبویة، سمیرة الزاید، المطبعة العلمیّة، ط ۱، ۱۹۹۵ م. ۲۲- المعالم الأثیرة فی السنّة و السیرة، محمد محمد حسن الشراب، دار القلم (دمشق)، الدار الشامیة (بیروت)، ط ۱، ۱۹۹۱ م. ۲۳- المعجزة القرآنیة، للدکتور محمد حسن هیتو، مؤسسة الرسالة- بیروت- ط ۲، ۱۹۹۴ م. ۲۴- مفردات ألفاظ القرآن الکریم- الراغب الأصفهانی- تحقیق عدنان داودی- دار القلم- دمشق، الطبعة الثانیة- بیروت- ۱۹۹۷ م. ۲۵- المفصّل فی تاریخ العرب قبل الإسلام، للدکتور جواد علی، جامعة بغداد، الطبعة الثانیة، ۱۹۹۳ م. ۲۶- مناهل العرفان فی علوم القرآن- لمحمد عبد العظیم الزرقانی- دار الکتب العلمیة- بیروت- ۱۹۹۶ م. ۲۷- من علم الطب القرآنی، للدکتور عدنان الشریف، دار العلم للملایین- بیروت- الطبعة الأولی، ۱۹۹۰ م. ۲۸- موسوعة الإعجاز العلمی فی القرآن الکریم و السنة المطهرة، یوسف الحاج أحمد، الطبعة الثانیة، ۲۰۰۳ م، مکتبة ابن حجر، دمشق، سوریا. ۲۹- هل تستطیع اختیار جنس مولودک ولد أم بنت؟ للدکتور خالد بکر کمال- دار الثقافة العالمیة- جدة- ط ۱، ۱۹۹۴ م. ۳۰- هل هناک طب نبوی؟ للدکتور محمد علی البار، الدار السعودیة للنشر و التوزیع، ط ۲، ۱۹۹۰ م، جدّة، المملکة العربیة السعودیة.

المصادر الأجنبیة:

Point

المصادر الأجنبیة: ۱۹۹۸، AMABALA ,ENICIDEM EVITCUDORPER ROF YTEIC -OS NACIREMA, ,YTILIRETS DNA YTILITREF NO SSERGNOC DLROW HT ۱۶ ,TNEM -ELPPUS MARGORP ,SNOISSES RETSOP DNA LARO CIFITNEICS EHT FO STCARTSBA -۱ ۱۹۹۰، ,NODNOL ,YAD ELBUOD ,REGREBMAH SRAL ,NROB SI DLIHC A -۲ ECNARF ,SIRAP ,ENIOLAM NOITIDE ,EREIVUOR P .J ,EUQIHPARGOPOT EIMOTANA -۳ ۱۹۹۹، ,STESUHCASSAM ,SREHSILBUP TTELTRAB DNA SENOJ ,NOITIDE DNOCES ,HCAB -REVA .G NEELHTAK .NADROIR NAJ ,NOITATCAL NAMUH DNA GNIDEEFTSAERB -۴ ,NOITIDE HT ۴ ,FFOREPS NOEL ,YTILITREFNI DNA YGOLONIRCODNE CIGOLOCENYG LACINILC -۵ ۲۰۰۰، ,NOITIDE DRIHT ,ENOTSGNIVIL LLIHCRUHC ,DOOWREDNU ECJ DETIDE ,YGOLOHTAP CITAMETSYS DNA LARENEG -۶ . MAILLIW EHT, NAMSSOM. W. H DNA NOTLIMAH. J. W, YGOLORBME NAMUH- ۷ ۱۹۷۸، YNAPMOC SNI- K LIW. EHT ,SIWEL IKCIR ,NOITIDE DR ۳ ,NOITACILPPA LLIH WARG, ۱۹۹۹ ۷۳۰: إعجاز القرآن فی ما تخفیه الأرحام، ص: DNA STPECNOC ,SCITENEG NAMUH -۸ CM ,YNABLA FO YTISREVINU . ۱۹۸۹ ,MUIGLEB NI DETNIRP ,۶۷ EMULOV OT TNEMELP - PUS -AVENEG -NOITAZINAGRO HTLAEH DLROW ,ERKA SEMAJ ,GNIDEEF TNAFNI -۹ . SREHSILBUP EGEL -LOC ECARB TRUORAH .۱۹۹۳ ,NOITIDE HTNEVELE ,MEB .J LYRAD ,HTSIMS .E DRAW -DE ,NOSNIKTA .C DRAHCIR ,NOSNIKTA .L ATIR ,YGOLOHCYSP OT NOITCUDORTNI -۱۰ . ۱۹۹۲ NODNOL, CBB/ SNILLOC, HGUOROBNETTA DIVAD, HTRAE NO EFIL- ۱۱. ۱۹۸۳ ,DROF -XO ,SNOITACILBUP LACIDEM DROFXO ,NOITIDE DRIHT ,REDNAVFOH EVGNY DNA NOREMAC TERAGRAM ,NERDLIHC GNUOY DNA STNAFNI GNIDEEF NO LAUNAM -۲۱ . SMAILLIW, RELDDAS W. T, YGOLOIRBME LACIDEM- ۳۱ ۱۹۹۵، EROMITLAB, NOITIDE HTNEVES, SNIKLIW. ۱۹۹۱ ,NOITIDE HT ۹ ,KOOB RAEY YBSOM ,NOTGNIRRAC NOSLLIW ,YGOLOCENYG DNA SCIRTETSBO -۴۱ . NOITIDE ht ۲۰, S'EVOL DNA YELIAB, YREGRUS FO ESITCARP TROHS- ۵۱. ۱۹۹۳ ,ASU ,NOITIDE HTXIS ,SSERP NED

-YRD EHT .NIPAL .L ECNERWAL ,SNOISICED SSENISUB NREDOM ROF SCITSITATS -۶۱ . EROOM HTIEK, NAMUH GNIPOLEVED EHT- ۷۱ ۱۹۸۳ ,HADDEJ ,ALBIQ LE RAD ,NOITIDE DRIHT ,INADNIZZ A DEEJAM -LUDBA ,snoitidda cimalsi htiw . EROOM, HTIEK NAMUH GNIPOLEVED EHT- ۸۱ ۱۹۹۸, ASU, NOITIDE HT ۶, YNAPMOC SREDNUAS. B. W, DUASREP. (DC)۱۹۹۵ ,AINROFILAC ,EPACS -DNIM ,CNI GNIHSILBUP CINORTCELE ,AIDEPOLCYCNE .AIDEMITLUM REILORG EHT -۹۱ . LGU, NOITIDE HT ۱۸, SCIRTETSBO S, MAILLIW- ۰۲

المؤتمرات:

المؤتمرات: - المؤتمر الطبي الإسلامي الدولي: الإعجاز الطبي في القرآن، ۲۵/ ۹/ ۸۵ م، القاهرة. - الدكتور شارل رو. - الدكتور ت- ف- ن يرسو. - الدكتور محمد علي البار. - الدكتور عبد الفتاح محمد طبرة. - الدكتور كيث مور. - الدكتور جولي سمبسون. - الدكتور ج- س- جورنجر. - المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن و السنة، ۲۲- ۲۴ مارس ۲۰۰۴، دبي، الإمارات العربية المتحدة. - د. عثمان جيلان علي معجمي. - د. فواز صادق المزيني - د. محمد دودح. إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، ص: ۷۳۱

فهرس الكتاب

فهرس الكتاب الموضوع الصفحة تنبيه ۶ تقريظ ۷ أبرز شخصية في علم الأجنّة تدلي بشهادتها ۸ مقدمة ۹ موجز في تعريف الإعجاز العلمي في القرآن و السنّة ۱۷ حكم التعارض بين التفسير العلمي و تفسير السلف ۲۰ ثقافة العالم القديم و الحديث في علم الأجنة: ۲۶ أ- مرحلة علم الأجنّة الوصفي ۲۷ ب- مرحلة علم الأجنّة التجريبي ۳۷ ج- مرحلة التقنية و استخدام الأجهزة ۴۰ معارف العرب على عهد رسول الله صلّى الله عليه و سلّم ۴۲ أميّة رسول الله صلّى الله عليه و سلّم ۴۴ الوحي يمحو الأمية ۴۶ التحدي ۵۰ بدء الخلق ۵۶ تعريف الأطوار ۶۶ المنهجية المتبعة في وصف الأطوار الجنينية ۶۹ الماء و المنى ۷۱ أ- نبذة علمية عن إفرازات الرجل و المرأة ۷۱ ب- التعريف القرآني و اللغوي للماء و المنى ۷۱ ج- مطابقة بين المعطيات العلمية و التعريف القرآني و اللغوي للماء و المنى ۷۳ د- النقاط الثمانية حول الماء و المنى ۷۴ ۱- النقطة الأولى: أن للمرأة منيا كما للرجل منيّ ۷۵ ۲- النقطة الثانية: أن لمني الرجل و لمني المرأة دورا في تسهيل عملية إذكار أو إيناث الجنين ۸۲ ۳- النقطة الثالثة: أن كلا من ماء الرجل و ماء المرأة يشارك في تخلّق و إذكار أو إيناث الجنين ۸۴ إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، ص: ۷۳۲ ۴- النقطة الرابعة: أن لماء المرأة و لماء الرجل دورا في شبه الجنين بأمّه أو بأبيه ۸۶ ۵- النقطة الخامسة: أن هذا الماء متدفق ۸۶ ۶- النقطة السادسة: أن هذا الماء ليس متدفقا فحسب بل دافق ۸۷ ۷- النقطة السابعة: أن مكونات هذا الماء تخرج من الظهر ۹۵ ۸- النقطة الثامنة: أن ماء المرأة أصفر ۱۰۴ النقطة ۱۰۶ أ- النقطة ۱۰۶ ۱- تعريف النقطة ۱۰۶ ۲- نقف ذكرية و أنثوية ۱۱۱ ب- السلالة ۱۱۱ ۱- المعنى الأول للسلالة: الماء القليل ۱۱۴ ۲- المعنى الثاني للسلالة: السمكة الطويلة ۱۱۵ ۳- المعنى الثالث للسلالة: انتزاع الشيء و إخراجه برفق ۱۱۵ ۴- المعنى الرابع للسلالة: الخروج من الرحام ۱۱۷ ۵- المعنى الخامس: الخروج من مضيق ۱۱۷ ۶- المعنى السادس: السير السريع و السباق ۱۲۰ ج- الوصف الداخلي للنطفة ۱۲۱ مستودع النطف ۱۲۴ نطفة الأمشاج ۱۳۳ اختلاط عروق النطفة ۱۳۶ اضطراب عروق النطفة ۱۵۵ انفلاق النطفة و الازدواجية في التركيب ۱۵۹ وقوع النطفة في الرحم ۱۶۹ القرار المكين ۱۷۱ أ- علاقة الرحم بالجنين ۱۷۱ ب- علاقة الرحم بجسم المرأة ۱۷۵ ازدياد الأرحام و غيضها- الحيض- ۱۸۰ أ- مرحلة النمو ۱۸۲ ب- مرحلة الإفراز ۱۸۲ ج- مرحلة الغيض ۱۸۳ د- علاقة الزمان و المكان بدم الحيض ۱۹۰ إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، ص: ۷۳۳ ۱- معتقدات الشعوب عن الحيض ۱۹۰ ۲- مسألة المحيض في الفقه الإسلامي ۱۹۴ ۳- الحقائق العلمية ۲۰۱ ۴- مجموع الإعجازات (أو الإشارات) العلمية في مجال الحيض ۲۰۵ الإجهاض المبكر ۲۰۶ مكان مستودع النطف و موقع الإخصاب ۲۰۸ هجرة النطفة من المستودع إلى الرحم ۲۱۳ الحرث ۲۲۲ غيض النطفة في الرحم و استقرارها ۲۲۶ ملخص المعلومات عن النطف ۲۳۷ ۱- عن البويضة ۲۳۷ ۲- عن الحيوان المنوي ۲۳۸ ۳- عن البويضة المخصبة ۲۳۹ جمع خلايا الجنين ۲۴۱ تذكير بالمراحل الماضية للنطفة ۲۴۶ الذنب ۲۴۷ مرحلة ازدياد الأرحام بالأجنة ۲۶۸ العلقة ۲۷۰ ۱- المعنى الأول: الالتصاق و التعلق بشيء ۲۷۱ ۲- المعنى الثاني: الدودة التي تعيش في البركة ۲۷۸ ۳- المعنى الثالث: الدم الجامد ۲۸۱ ۴- المعنى الرابع: الدم الرطب ۲۸۱ ۵- المعنى الخامس: شديد الحمرة ۲۸۱ الظلمات الثلاث ۲۸۳ المضغة ۲۸۹ أ- الشكل الخارجي ۲۸۹ ۱- المعنى الأول: المادة التي لاكتها الأسنان ۲۹۰ ۲- المعنى الثاني: الشيء الصغير ۲۹۴ ب- الشكل الداخلي ۲۹۵ ج- شق السمع و البصر ۳۰۴ الإقرار ۳۱۲ إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، ص: ۷۳۴ التسوية ۳۱۶ أ- التسوية و التصوير ۳۱۶ ب- خلق العظام و الكساء باللحم ۳۴۳ ۱- خلق العظام ۳۲۳ I - خلق المضغة عظاما ۳۲۳ II - عدد العظام ۳۳۲ ۲- الكساء باللحم ۳۳۵ ج- نفخ الروح ۳۴۱ إتمام الخلق ۳۴۳ النشأة ۳۴۹ أ- تعريف النشأة ۳۵۰ ۱- المعنى الأول: بدأ ۳۵۰ ۲- المعنى الثاني: نما ۳۵۰ ۳- المعنى الثالث: ارتفع و ربا ۳۵۱ ب- مرحلة القابلية للحياة ۳۵۷ ۱- التعديل I ۳۵۷ - الصورة الشخصية II ۳۵۷ - التوازن III ۳۶۰ - تخلق الجلد IV ۳۶۱ - التميز الجنسي ۳۶۳ ۲- العدة ۳۷۲ ۳- أقل مدة حمل ۳۸۶ ج- مرحلة الحضانة الرحمية ۳۹۲ تيسير سبل الولادة ۳۹۴ توقيت أحداث التخلقات في القرآن و السنة ۳۹۷ المراحل، و الأطوار، و الأحداث الجنينية التي ذكرتها النصوص الشرعية ۴۰۵ الأسلوب القرآني في استخدام حرفي «ثم» و «الفاء» في آيات علم الأجنة ۴۱۱ اجتهاد غير مصيب ۴۲۳ رعاية الخلق: الرضاعة ۴۳۲ ۱- نظام الرضاعة و تغذية الطفل كما أقره الشرع الإسلامي ۴۳۲ ۲- أفضلية الرضاعة من الأم على الرضاعة من المرضعات ۴۳۴ إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، ص: ۷۳۵ ۳- أفضلية اللبن الإنساني على اللبن الحيواني و المنتجات الصناعية ۴۳۷ ۴- المكونات الأساسية للبن ۴۴۴ ۵- قيمة اللبن الغذائية لا يماثلها أي قيمة أخرى لأي غذاء آخر ۴۵۲ ۶- عمليات خروج الحليب ۴۵۶ ۷- وقت احتياج الطفل إلى اللبن ۴۵۹ ۸- حكمة تحديد مدة الرضاعة بسنتين ۴۶۰ ۹- أسباب تحريم المرضع ۴۶۴ ۱۰- نوعية اللبن المحرّم ۴۶۷ ۱۱- الجوع أساس في التحريم ۴۷۱ ۱۲- مقدار اللبن المحرم ۴۷۳ ۱۳- عدوى اللبن ۴۷۷ ۱۴- الفيل ۴۸۳ ۱۵- مجموع الإعجازات التي وردت في النصوص الشرعية ۴۹۲ معجزة الرؤية الإسلامية في علم الوراثة ۴۹۴ أ- النطفة في الإسلام ۴۹۴ ۱- دور النطفة في التقدير ۴۹۴ I - التقدير كما جاء في النصوص الشرعية ۴۹۵ II - نبذة علمية عن الخطة الجينية و الانفلاق الفتيلي للخلايا ۴۹۸ III - خلق الموت ۵۰۰ IV - نبذة علمية عن الموت الخلوي المبرمج ۵۰۱ V - نبذة علمية عن أسباب الشيخوخة ۵۰۶ VI - نبذة علمية عن التقدير الجيني لموت الإنسان ۵۰۹ VII - الخلاصة ۵۱۱ VIII - دلائل الإعجاز ۵۱۲ ۲- دور النطفة في تحديد جنس الجنين ۵۱۲ I - النطفة المسببة للإذكار أو الإيناث ۵۱۴ II - عملية الإذكار أو الإيناث ۵۱۶ ب- الإعجاز العلمي في الصبغيات كما جاء في النصوص الشرعية ۵۱۷ ۱- صفات الصبغيات ۵۱۷ ۲- انحدار الصبغيات في النسل ۵۲۳ ۳- دور الصبغيات في تنويع الخلق ۵۲۶ إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، ص: ۷۳۶ ۴- المورثات المسيطرة و المتنحية ۵۲۹ ۵- دور الصبغيات في شبه الجنين لوالديه ۵۳۷ ۶- طفرات الصبغيات و آثارها على الجسد ۵۴۵ ۷- السبب الوراثي لتنوع خلق الحيوانات ۵۵۰ ج- خلاصة القول ۵۵۷ د- الانحراف التخلقي و مضاعفاته كما يراه القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة ۵۵۸ ۱- الفساد العلمي ۵۵۹ ۲- العلاقات المحرمة و الأمراض الوراثية التي تنتج منها ۵۶۳ I - آثار العلاقات المحرمة بالدم ۵۶۳ II - العلاج الوقائي لأمراض العلاقات المحرمة ۵۶۵ ۳- دور الزنى في إحداث الأمراض في النسل ۵۶۶ ۴- حالة استثنائية للانحراف التخلقي و تأثيره على النسل ۵۶۷ ۵- الانحراف التخلقي و تأثيره على النسل ۵۶۹ تعريف الإعجاز العلمي في القرآن و السنة و الأسس التي يرتكز عليها ۵۷۰ قسم تخريج الأحاديث وصلتها بالإعجاز العلمي ۶۰۵ قرأنة مصطلحات المراحل الجنينية ۶۸۵ ملحق ۶۹۲ خاتمة ۷۱۷ المصادر و المراجع ۷۱۸ فهرس الكتاب ۷۳۱

تعريف المركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبیلِ اللّهِ ذلِكُمْ خَیْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱). قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرّضا – علَیْهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیا أمْرَنا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنا وَ یُعَلِّمُها النّاسَ؛ فَإنَّ النّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحاسِنَ كَلامِنا لَاتَّبَعُونا... (بِنادِرُ البِحارِ – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷). مؤسّس مُجتمع "القائمیّة" "الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آبادی – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قد اشتهَرَ بشَغفِه بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ الله علَیهِم) و لاسیّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرّضا (علیه السَّلام) و بمساحة صاحب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةَ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُنَیِّع بأقوَی و أحسَنِ موقِفٍ كلَّ یوم. مركز" القائمیّة "للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهان، إیران – قد ابتدأ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاج السّید حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خیّرجی الحوزات العلمیّة و طلاّب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة... الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (كتاب الله و اهل البیت علیهمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتیثِ المبتذَلة أو الرّدیئة –فی المحامیل (=الهوائف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الكمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت– علیهم السَّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحقّقین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامج العلوم الإسلامیّة، إثالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و... – منها العدالة الاجتماعیّة: التی یُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمكِن تسریعُ إبراز المرافق و التسهیلاتِ – فی آكناف البلد – و نشر الثّقافة الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – من جِهةٍ أُخری. – من الأنشطة الواسعة للمركز: الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة ب) إنتاج مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مكتبیة، قابلة للتشغیل في الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدینیّة، السیاحیّة و... د) إبداع الموقع الانترنتی" القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع أُخرَ ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة و) الإطلاق و الدّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴ ز) ترسیم النظام التلفّاتی و الیدوی للبلوتوث، ویب كشك، و الرّسائل القصیرة SMS ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبیعیّة و

اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جمكران و... ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع" ما قبل المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشاركين فى الجلسة ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السّنة المكتب الرئيسى: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيد/ "ما بين شارع"بنج رَمَضان" ومُفترق"وفائى/"بناية"القائمية "تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة) رقم التسجيل: ۲۳۷۳ الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶ الموقع: www.ghaemiyeh.com البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com المتجر الانترنتى: www.eslamshop.com الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱) الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) مكتب طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) التّجاريّة و المبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱) ملاحظة هامّة: الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شبه عيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافى الحجم المتزايد و المتّسع للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركزُ صاحبَ هذا البيتِ (المُسمّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزايداً لإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاء اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة اصفهان للبحوث والدراسات الکمبیوتریة
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹